McGill University Libraries
3101389528B

McGill University Libraries
3 101 389 528 B

AP .M266
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
22381 ★ v. 28
McGILL
UNIVERSITY

﴿ الجزء الاول ﴾ ١٣٤٥ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

المنار
١٣١٥

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (مصر ـ ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل ﴾

﴿ فهرست الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين من المنار ﴾

فاتحة المجلد الـ٢٨ — في بيان سيرة المنار في الاصلاح كدأبه في أكثر الفواتح وكونه مجلة إصلاحية لا مالية، ويتضمن ذلك علاقته بالامام ابن السعود وسبب دفاعه عن الوهابية وتاريخ دعوته أمراء جزيرة العرب لوحدة حلفية ثم تخصيص الامامين يحيى وابن السعود بهذه الدعوة وبانقاذ الحجاز — ومسألة مؤتمر الخلافة وعمله فيه ١ — ٨

التفسير — فيه تتمة مباحث الساعة وبيان أشراطها وتقاسيمها ومشكلاتها ومشكلات أحاديث الدجال والجساسة والمهدي وخلاصة القول في أشراطها وما يجب اعتقاده في ذلك ٩ — ٢٨

الفتاوى — فتاوى للاستاذ الامام في تعدد الزوجات وأسبابه وإصلاح الاسلام فيه وجواز إبطاله عند الفساد وحكمة تعدد أزواج الرسول وسؤال في البناء على القبور وسؤال عن استقلال مملكة ابن السعود ٢٩ — ٤٠

الاحكام الفقهية — تابع ماقبله من أحكام السفر والاقامة لابن تيمية ٤١ — ٤٩

المقالات — نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم لأحد علماء المغرب ٥٠

سياسة الانكليز في الشرق وزعماء العرب ٥٢ — ٦٢

إثبات شهر رمضان بالحساب وبغيره ٦٣ — ٧٣

انباء العالم الاسلامي ٧٤ — ٧٦

تقاريظ المطبوعات الحديثة ٧٨ — ٨٠

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوًى « ومنارا » لكمنار الطريق

٢٩ شعبان سنة ١٣٤٥ه ١٢ برج العقرب سنة ١٣٠٦ هش ٣ مارس سنة ١٩٢٧

فاتحة المجلد الثامن والعشرين

﴿ وفيها بيان علاقتنا بالامام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه الصالحين المصلحين، والتابعين لهم في ذلك إلى يوم الدين

(أما بعد) فقد تم للمنار سبعة وعشرون مجلداً صدرت في مدى ٣٠ سنة هجرية (توافق ٢٩ سنة شمسية) إذ عجزنا عن إصداره في كل شهر من سني الحرب العظمى وما تلاها من سني الغلاء والعسرة، التي تضاعفت فيها النفقات وكثرت افراد الفصيلة العامة، وتدنت الاسرة الخاصة ، ونضبت الموارد التي كانت تسح من الخارج ، وشحت الموارد التي كانت تنبجس في الداخل ، ولم يتم لنا لم الشعث إلا منذ عامين ونصف عام، وتلاه بفضل الله تنظيم العمل بأحسن مما كان منذ كان، وما اضعنا على المشتركين شيئا بهذا الادغام، لاننا نتقاضى قيمة الاشتراك بحساب الاجزاء لا بحساب الاعوام، ولكن من لا وفاء لهم قد اتخذوا عجزنا عن إصدار المنار في كل شهر من سني العسرة حجة على هضم حقنا ، ونحن ما زلنا نكلهم إلى وجدانهم ، واستفتاء قلوبهم وهداية ايمانهم، وحسابهم على الله تعالى فهو يقضي بالحق بيننا وبينهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

22381

على اننا نرجو أن يوفقنا الله تعالى في القابل لاستدراك مانقص من المجلدات عن عدد السنين الى ان يتفقا في العدد ، وان يعيننا على اكمال النظام في العمل ، والزيادة من الفوائد في العلم ، وان يوفق قراء المنار لمساعدتنا على ذلك بحسن الوفاء، ولايحقق معنى الاشتراك الا تعجيل الاداء ، وقد اقترح علينا بعضهم أن نزيد في أبوابه مباحث في الادب والتاريخ وبعض الفنون الحديثة ، ومنهم من يريد بذلك ترويجه وكثرة سواد المشتركين فيه، ورأيهم هذا صحيح واننا على علمنا بصحته كنا نختار ان تملأ صفحات المنار بمالا تكاد الامة تجده في غيره من الصحف الا قليلا ، ونحن نستفتي جمهور القراء في ذلك ونعمل بما يراه الاكثرون أقوى حجة وأقوم قيلا ، وان كانت فائدته المالية أقل ، وقد بينا في فاتحة السنة الاولى أننا فيما اخترناه من الخطة الاصلاحية لا نرضي الا القليل من الناس (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) ولو أننا انشأنا المنار لاجل الكسب لما اخترنا هذه الخطة أولما اقتصرنا عليها

لو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير في اختيار الهزل على الجد ، وإيثار الافساد على الاصلاح ، وترجيح أهواء الناس على هداية كتاب الله ، ولهو الحديث على حديث رسول الله (ص)، وصور القيان والراقصات ، والبغايا والممثلات ، ومن وصفهن الرسول (ص) فيما كوشف به من أنباء الغيب بالكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، وما دون ذلك من المسليات، وصور الحيوانات والحشرات، وغرائب الآلات والمخترعات، التي يصورها أهلها لأغراض علمية صناعية وتجارية ، ونصورها للهو والتسلية

أو لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الافراد والجماعات ، كالاحزاب والحكومات، ولوجد من الحجج علينا في ذلك مالا نستطيع رده ولا كتمانه، ونحمد الله تعالى أننا لم نسلك طريقا في الاصلاح الخاص بالحكام الباذلين ، والامراء والملوك والسلاطين ، وجماعات الدينيين والسياسيين، إلا كان نقصاً في دنيانا ، وكمالا في شرفنا ودينا ، وانتهى الجماهير فيه إلى رأينا ، وفي مقدمتهم الذين كانوا ينكرونه علينا ، تلك سيرتنا في نقد الحكومة الحميدية ، ثم في التشنيع على الجمعية الاتحادية، وخليفتها الحكومة الكمالية ، وفي جهاد الملك حسين بن علي وأولاده، وفي انكارنا على متعصبي المذاهب من الشيوخ الجامدين ، ورجال الطرق الخرافيين

نعم انه قد عرضت في هذه الايام شبهة علينا في تأييدنا للحكومة السعودية ، والطريقة الوهابية ، فتحدث بعض الذين لا يعقلون انه يوجد في البشر أحد ينصر عقيدة دينية ، أو يؤيد طريقة إصلاحية ، إلا لاجل منفعة شخصية ، بأننا نأخذ

من ابن السعود أجرا على تاييدنا لحكومته ،والدفع عن قومه وشيعته ،ثم تجلى هذا التصور في صورة الواقع ، وظهر هذا الرأي في مظهر الرواية ، فصدقه من رآه من الناس معقولا ، حتى إن بعض كبار علماء الازهر قال لي في مجلس من مجالس الخواص في هذه الايام يقال انك أخذت من ابن السعود خمسة آلاف جنيه ، فقال أحد كبار الوجهاء الحاضرين بل أنا سمعت في أوربة أنه أخذ منه عشرة آلاف جنيه، وليس هذا بكثير فان فلاناً خدم ابن سعود وقومه منذ سنين خدمة لا تكترهذه المكافأة عليها، فما كان أحد يسمع في هذا الرجل ولا في هؤلاء القوم كلمة خير قبل مقالاته الرنانة في مناره وفي بعض الجرائد اليومية

الوهابية ودعوة المنار الى مذهب السلف

أقول لو صح ما تخيله هؤلاء معقولا ، فخالوه أمرا مفعولا ، فأحدثوا فيه قالا وقيلا — وماهو بصحيح — لما صح أن يجعل حجة على أن المنار أنشيء لجمع المال، لا يبالي أجمعه من حرام أو حلال ،وإنما كان يعد مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الاسلام ونشر العلم ، لا على دعاية سياسية حادثة لاجل الملك، فان المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ،ومذهب السلف الصالح، في عقائد الاسلام وهدايته، كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان نتهم بالطمع في مساعدته ، بل لم نكن يومئذ نعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف ، بل كنا نصدق الدعاية التركية التي أذيعت في العالم الاسلامي منذ القرن الثالث عشر للهجرة النبوية ، وجددها السلطان عبد الحميد منذ أوائل القرن الرابع عشر لأسباب سياسية ، من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها. وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الاسلام إلى عهدها الاول، وأنه كان يرجى أن يجددوا مجد الاسلام والعرب، هو محمد مسعود (بك) المصري الكاتب المؤلف المشهور ، ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري، ثم ما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخه (البحر الزاخر) وصاحب (الاستقصاء في تاريخ المغرب الاقصى) ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت في (تاريخ الاسلام) له — كما أنه أتيح لي الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للشيخ الامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج ،وأطلعت

شيخنا الاستاذ الامام على كتاب التوحيد وكشف الشبهات فأثنى عليهما، ورأيته موافقاً لرأي محمد مسعود وأنه لم تظلم طائفة من المسلمين في التاريخ بمثل ماظلم به هؤلاء القوم، على كثرة طعن أعوان الدول والمذاهب بعضهم في بعض

وكنت أسمع من والدي قبل هجرتي إلى مصر شيئاً مما افتراه على الوهابية احمد زيني دحلان وأمثاله من صنائع شرفاء مكة والترك، وثناء على محمد علي باشا الذي أخرجهم من الحجاز بالدين والتقوى، وأنه كنس الكعبة المعظمة ومرغ لحيته بها أو بكناستها

وفي شهر صفر سنة ١٣٢٠ احتفل ديوان الاوقاف العامة بمرور مائة عام على تأسيس محمد على باشا للامارة المصرية واحتفلت به مشيخة الازهر في الجامع الازهر فانتقدت ذلك في المنار من حيث صرف أموال الاوقاف الاسلامية وتزيين المساجد بذكر امراء الدنيا وسلاطينها والاوقاف انما وقفت للتقرب إلى الله تعالى والمساجد انما أنشئت لذكره تعالى وعبادته ...

وذكرت يومئذ حرب محمد علي للوهابية واعتقاد عموم المسلمين الجاهلين بالتاريخ أنها كانت خدمة للاسلام، واعتقاد الخواص العارفين أنها جناية عليه، وبينت فيما كتبته ما كنت وقفت عليه من حقيقة أمر الوهابيين في اتباعهم للسلف واعتصامهم بالسنة وسبب الطعن فيهم — وكل ما كتبته في هذه السنين الاخيرة يدور حوله لا يزيد في بيان حقيقتهم عليه، فانا ادافع عن الوهابية واثني عليهم منذ ربع قرن

كتبت ذلك يومئذ لوجه الله وخدمة للاسلام وأنا لا آمن ايذاء أمير البلاد لي على ذلك — وقد فعل بقدر الامكان في ذلك الزمان — وما كنت أرجو أن يكون لي تجاه هذا الايذاء أدنى نفع من أحد من الوهابيين، ولا أدري أن لهم أميراً يحسن أن أرسل اليه ما كتبت عنهم، وقد صار للوهابيين حزب كبير في القطر المصري من نجباء علماء الازهر وغيره من المعاهد الدينية وغيرها بارشاد المنار لا تشوبه أدنى شائبة دنيوية

علاقتنا بصاحب نجد وسببها

بعد هذا التاريخ ببضع سنين بدأت المكاتبة بيني وبين الأمير عبد العزيز بن السعود في مسألة العرب وجزيرة العرب ووجوب الولاء والتحالف بين أمرائها لأجل حفظها من تدخل الأجانب وإعلاء شأنها بالعمران والثروة والقوة — كما كاتبت في ذلك نفسه الامام يحيى بن حميد الدين والسيد محمد علي الادريسي (رحمه الله تعالى) وأرسلت رسلا إلى كل منهم، وأنفقت في هذه السبيل مالا يعد كثيراً علي، وأذكر

ان في أول كتبي إلى ابن السعود إنكاراً شديداً على شيء بلغني عنه عاتبني عليه بأنه لا يقبل مثله من غيري ، وإنما قبله مني لما بلغه من خدمتي للسنة واعتقاده انه صدر عن اخلاص لله تعالى ونحو لخدمة الاسلام والعرب

أجابني كل واحد من هؤلاء الأئمة باستحسان ما دعوتهم اليه ، إلا أن الامام يحيى استثنى الاتفاق مع جاره الادريسي معللا ذلك بأنه كان قد عقد معه اتفاقا فغدر « وحالف أعداء الله الطليان » وأما الامام عبد العزيز السعود فرغب إلي أن أرسل اليه رسولا بصيراً عارفا ليشرح له هذا المشروع من الوجهة الشرعية والسياسية لاقناع أهل الحل والعقد من قومه به ـ وقد أرسلت اليه رسولا وحملته صندوقا من الكتب الدينية وغيرها هدية للامام . وفي أثناء ذلك استعرت نار الحرب العامة الكبرى فتعذر وصول الرسول إلى نجد ، وأخذ منه صندوق الكتب في (بمبي) من ثغور الهند ، أخذ لاجل تفتيشه ثم لم يعرف عنه شيء ولعلهم أحرقوه

ثم قضت الحرب الكبرى بانقطاع المراسلة بيني وبين أمراء العرب المذكورين ، وكان من أحداثها دخول أمير مكة الشريف حسين بن علي في حلف البريطانيين ، وكنت قد بلغته مشروع الاتفاق الحلفي بين أئمة الجزيرة بمشافهة ولده الشريف عبد الله في مصر أطلعُ طلعه فيه ، وقد استحسنه ووعد باقناع والده به ، وكان من عواقبها ان صار حسين ملكا سماه الانكليز وأحلافهم ملك الحجاز وسمى نفسه ملك العرب ، وقد أظهرنا له الولاء ، لأجل إقناعه باتمام مشروع الاتفاق الحلفي مع سائر الامراء ، فلما تعذر ذلك وسار في الحجاز تلك السيرة السوءى اضطررت إلى مقاومته بما علمه القراء وغير القراء ، وكان قد جدد الدعوة إلى الطعن في دين الوهابية ، وتنحل لنفسه دعوى الامامة الرافضية الباطنية ، وأقامها في مقام التشريع الذي يراه إرثاً للهاشمية العلوية ، فأريناه أن بني عمه من انصار السنة فيهم رماح ، وكلنا له الصاع عدة أصواع

ثم انني عدت بعد الحرب الى دعوة امامي اليمن ونجد الى الولاء ، وأفتيت في أواخر سنة ١٣٤١ بوجوب انقاذ الحجاز من إلحاد حسين بالظلم فيه ، وجعله قطراً حراً حياديا بضمان العالم الاسلامي كله ، وكتبت في ذلك مقالا طويلا نشر في بعض الجرائد اليومية وفي المنار (ج ٨ م ٢٤) بينت فيه ان المخاطب بالقيام بهذا الواجب أولا وبالذات الحكومات الاسلامية وأن أولاها بذلك أقربها إلى الحجاز ، ومن جمله « ان كلا من إمام اليمن وسلطان نجد قادر على إنقاذ الحجاز من هذا الرجل فكيف إذا اجتمعا » ثم بينت سبب امتناع كل منهما ، وانه ان لم تفعل الحكومات ذلك فالواجب

على العالم الاسلامي أن يسعى له بتأليف جمعية إسلامية وضعنا لها نظاما بمساعدة بعض الاصدقاء ونشرناه في المنار

ولم أكتف بالنشر بل سعيت سعياً سرياً لحمل الامامين يحيى وعبدالعزيز على الاشتراك والتعاون على ذلك وإلا فليقم به أحدهما على انفراد. ثم تصدى الثاني لاداء هذه الفريضة للاسباب الاسلامية العامة والاسباب الخاصة بنجد التي نشرها في العالم ونقلناها في المنار، فوجب علينا تأييده فيها ، وهل يعقل أن نقتيه بافتراض هذا العمل عليه حتى إذا ما اصطلى بناره ، وشرع يجاهد في سبيله بماله ورجاله، وانبرى المبتدعون والمفسدون للطعن فيه وفي قومه — نترك لهم الحبال على الغوارب، ولا نقوم بقسطنا من الجهاد الواجب ، جهاد القلم واللسان ، وإقامة الحجة والبرهان

إنني لم أفضل ابن السعود على غيره من أمراء العرب في شيء من ذلك السعي العام للعرب ولجزيرة العرب ، ولا من هذا السعي الخاص بالحجاز والاسلام ، وقد كان رجائي في غيره أولا أقوى من رجائي فيه ثم كان ثنائي على الامام يحيى حميد الدين أكبر من ثنائي عليه ، حتى قالت بعض الجرائد المصرية في أثناء الخوض في مسألة الخلافة ان صاحب المنار يدعو إلى الامام يحيى ويسعى لتوسيد منصب الخلافة اليه ، على انني كنت أعتقد أن الامام عبدالعزيز ابن السعود أرجى لخدمة الاسلام وإعلاء شأن العرب إذا هو خرج من عزلته ، وترك القبوع في ربوع امارته ، وانما كنت أشك في خروجه منها ، كما كنت أشك في ميل الامام يحيى إلى تجاوز حدود اليمن إلا إلى عسير التي يعدها هو منها ،

كان من عناية الله تعالى في ابن السعود ان استعمله وحده في انقاذ حرمه وحرم رسوله ممن سمى نفسه المنقذ وقضى الله أمراً كان مفعولا ، فلم يستجب لنا غيره من أمراء المسلمين وملوكهم ، ولا من جماعاتهم ودهمائهم ، إلا أننا أسسنا الجمعية بمصر من رجال مختارين من أولي الكفاءة والكفاية علماً وعملا وهمة فنقحوا نظامها في مجالس كثيرة عقدوها لذلك ، وبتنا ننتظر سنوح الفرصة للعمل فكفانا الله تعالى ذلك بهذا الرجل العظيم الذي أنقذ الحجاز ، وأمنه تأميناً لم يسبق له نظير إلا في صدر الاسلام ، ثم ألف فيه المؤتمر الاسلامي العام ، وقد كان هذا المؤتمر أهم مقاصد جمعيتنا هذه فلم نحتج إلى استيكاف الاكف لجمع المال له ، ولا لدعوة رجال الخافقين اليه ، فقد أنفق هو بسخائه وجوده الواسع على إنشاء المؤتمر وضيافة رجاله هم ومن كان مع بعضهم من أهل

وخدم منذ وصلوا إلى الحجاز إلى أن خرجوا منه - مالم يكن يتيسر لنا جمع بعضه من العالم الاسلامي إلا في عدة سنين

كيف لا أنصر ابن السعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل كل هذا ويرجى أن يفعل ماهو أتم منه وأكمل ؟ وهو ما أفنيت شبابي وكهولتي في الدعوة اليه ، فانني أدعو الى مؤتمر اسلامي يعقد في مكة من زهاء ثلاثين سنة. وهو من وسائل الاصلاح الذي أدعو اليه من التوحيد واقامة السنن ، وتقويض هياكل الوثنية والبدع ، وتجديد اصلاح الاسلام ومجد العرب، وقد ايقنا بطول الاختبار، وبما ورد في دلائل النبوة من الاخبار ، أن هذا الاصلاح والتجديد لا يأتي الا من الحجاز، وان كل ما قمنا به من الدعوة اليهما لم يكن الا تمهيدا لتأييد العالم الاسلامي لهما ، فقد صح في الحديث ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وانه يأرز الى الحجاز وفي رواية في الصحيحين الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها، وانه يعقل بين المسجدين معقل الوعول من رؤوس الجبال

انني أشهد الله تعالى وكل من يطلع على قولي هذا انني أشعر في سريرتي وما يكنّ قلبي بتقصير في الثناء على هذا الرجل بالجهر بكل ما أعتقده وما أرى فيه من المصلحة والنصيحة للمسلمين، وكم طالبتني نفسي في مجالسه العامة الحافلة، التي حضرتها بعد صلوات الجمع بمكة المكرمة بالقاء خطاب في شكره والثناء عليه كما فعل أمامي بعض علماء الهند وفصحاء المصريين وغيرهم ، ولكنني كنت أستحي أن أقف مواقفهم ، وان كنت أجدر بها منهم ، فقد أقمت بمكة زهاء ثلاثة أشهر ولم يسمع خطابتي ، وربما كنت أقدر على البيان وأعلم بما يحسن بيانه بالحق من كل من سمعت ، اذا كان من الدعوى والغرور المذمومين أن أقول أكثر من ذلك، وما ابريء نفسي من كراهة الاتهام بالتملق والتزلف ان يعلق ببعض النفوس الصغيرة ، وانا آمن أن يلوح في جانب من جوانب نفسه الكبيرة .

وجملة القول ان مجلدات المنار السبعة والعشرين برهان على انه لا يعقل أن يكون ما كتبته في تأييد ابن السعود والدفاع عنه لغرض منفعة دنيوية، لانه عين ما كنت أكتبه قبل قيامه بما نصرته فيه وقبل علمي بوجوده أيضا ، وقد لقيت فيه من الاذي ما يجهل أقرب الناس مني كل ظاهره . وباطنه عند الله تعالى وحده

اضطررت الى بيان هذا كله في فاتحة هذا المجلد تذكيرا لقرائه بفصل من فصول تاريخ المنار في الاصلاح . على السنن الذي نتناوبه منذ اعوام . وتقوية لعزيمة

اخواني انصار الكتاب والسنة ، على اني لا أريد بهذا التنصل والتبرؤ مما قيل بغير حق من أن مساعدة هذا الامام او غيره من ملوك المسلمين وأمرائهم ايانا على عملنا في خدمة الملة والأمة مما يقبح منهم فعله ، أو يحرم علينا قبوله، بل نحن من أحق الناس به ، ولكن الاخلاص لله تعالى ونزاهة النفس . وتحليها بأدب الشرع ، تحول دون استشرافنا له ، بله السعي له أو التعريض به ، وقد قال شيخ الصوفية الاكبر في مال السلاطين الذي يعدون من شروط طريقهم التنزه عنه :

هو عنده للمسلمين أمانة فاذا حباك فخذه انك صاحبه

لا أقول هذا تعريضاً بطلب المساعدة من أحد وانما افترصت هذه المناسبة للرد على جريدة من جرائد القاهرة التي جعلت هجيراها الطعن في علماء الدين ، واستكثار كل ما يأخذونه من ريع الاوقاف الخيرية مع العلم بأن الوف الجنيهات من اموال هذه الاوقاف ينفق في اعمال غير شرعية ، فقد ذكرت هذه الجريدة ان شيخ الازهر قد انفق زهاء ثلاثة آلاف جنيه في اعمال مؤتمر الخلافة كان منها لفلان من العلماء كذا ولفلان كذا من اول هذه الحركة: « كما كان لفضيلة الاستاذ الورع الشيخ رشيد رضا صاحب المنار ثلاثون جنيها حتى في الوقت الذي كان فيه بالمدينة المنورة عند ابن السعود »

أقول فيما يعنيني إنني لم أكن في أول هذه الحركة كما قال. ولم أكن آخذ شيئاً أيام وجودي في (مكة المكرمة) كما توهم . وانما بعض المؤسسين لمؤتمر الخلافة من العلماء كانوا قد دعوني إلى مشاركتهم فيه فأبيت ، ثم أقنعني بعضهم بأنه يمكنني فيه خدمة الاسلام فقبلت ، وقد دعيت بعد الدخول في مجلس المؤتمر إلى المساعدة على إنشاء مجلة له تحرير أو تصحيحاً ونشراً . وهو ما تعد هذه المكافأة عليه نزرا، ولولا أن قيل لي إن هذه خدمة إسلامية نعدها تبرعا منك لما رضيت بها ، وقد كنت اعطى منذ بضع عشرة سنة ثلاثة جنيهات من إدارة (الجريدة) مكافأة على كل مقالة من مقالات كلفني إياها مدبرها، وكنت أكتب المقالة منها في ساعة واحدة ، ولم يكن لدي من الاعمال في ذلك الوقت ربع مالدي الآن منها ، فهل يستكثر علي الآن زميلي صاحب البلاغ الاغر ٣٠ جنيها في الشهر في مثل ما ذكرت ؟

هذا وانا ندعو اهل العلم المخلصين إلى الكتابة إلينا بما يرون انا اخطأنا فيه من امور الدين أو مصلحة الامة — كما هو دأبنا في كل عام — (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

منشيء المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

تفسير القرآن الحكيم

﴿ تتمة مباحث الساعة التي نشرت في ج ١٠ م ٢٧ ﴾

﴿ استطراد آخر في أشراط الساعة وتقاسيمها ومشكلاتها ﴾

اعلم أيها المسلم الذي يجب أن يكون على بصيرة من دينه ان في روايات الفتن واشراط الساعة من المشكلات والتعارض ما ينبغي لك أن تعرفه ولو إجمالا حتى لا تكون مقلداً لمن يظنون ان كل مايعتمده أصحاب النقل حق ، ولا لمن يظنون أن كل مايقوله أصحاب النظريات العقلية حق ، فان الله تعالى يقول (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الآية ، وقال لخاتم رسله ﷺ (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وانني أبين فيه مايطمئن به قلب القانع بالاجمال ، ويفتح باب التحقيق لطالب التفصيل ، فيؤمن به تشكيك الطاعنين في النصوص من ضالين ومضلين، فأقول :

ان العلماء جعلوا ماروي من اشراط الساعة وأماراتها ثلاثة أقسام (١) ماوقع بالفعل منذ الصدر الاول من الاسلام إلى زمن كل من تكلم في ذلك منهم وقد عدوه عدا (٢) ماوقع بعضه وهو لا يزال في ازدياد كالفتن والفسوق وكثرة الدجالين والنساء وتشبههن بالرجال والكفر والشرك حتى في بلاد العرب، (٣) ماسيقع بين يدي الساعة من العلامات الصغرى والكبرى

وتنقسم باعتبار آخر إلى ما عهد ويعهد مثله في كل الامم من الفتن والقتال وسعة الدنيا وضيقها ، وقيام الدول وسقوطها ، والفسق والظلم والأوبئة ، وهذا لا يشعر جماهير الناس بأن له علاقة ما بقيام الساعة الكبرى . وكذلك الزلازل والخسوف وظهور النجوم ذوات الاذناب أو الاذيال ، فقد صارت من الامور المعتادة المعروفة بين الناس ـ وإلى ما هو غريب غير مألوف كظهور الدجال والمهدي والمسيح ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها

وباعتبار ثالث إلى ماهو علامة على قيام ساعة الجيل أو الدولة كذهاب الامانة وتوسيد الامر إلى غير أهله، وكثرة المترفين الفاسقين، والخونة والمنافقين، وما هو آية على قرب الساعة العامة الكبرى،

ويرد من الاشكال على ماذكر أن ماورد من الاشراط الصغرى المعتاد مثلها التي تقع عادة بالتدريج لا يذكر أحداً بقيام الساعة ولا تحصل به الفائدة التي من أجلها أخبر الشارع بقرب قيام الساعة — وأن ماورد من الاشراط الكبرى الخارقة للعادة يضع العالم به في مأمن من قيام الساعة قبل وقوعها كلها فهو مانع من حصول تلك الفائدة، فالمسلمون المنتظرون لها يعلمون أن لها اشراطا تقع بالتدريج فهم آمنون من مجيئها بغتة في كل زمن، وانما ينتظرون قبلها ظهور الدجال والمهدي والمسيح عليه السلام ويأجوج ومأجوج، وهذا الاعتقاد لا يفيد الناس موعظة ولا خشية، ولا استعداداً لذلك اليوم أو لتلك الساعة، فما فائدة العلم به اذن؟ وهل من الحكمة أن تكون فائدتها محصورة في وقوع الرعب في قلوب الذين يشاهدون هذه الآيات الكبرى ولا سيما آخر آية منها؟ وكيف يتفق هذا وما ورد من كون كل رسول كان يخوف قومه وينذرهم الساعة والدجال قبلها؟ وكيف وقع هذا منهم ولم يصدقه الواقع ومثله لا يكون بمحض الرأي؟ وهل كان نبينا (ص) يريد بالاخبار بها تأمين الناس من قيام الساعة مدة قرون كثيرة الى أن تظهر هذه الاشراط؟ أم كان يتوقع ظهورها بعده في قرنه أو فيما يقرب منه كغيره من الرسل بدليل ماورد من تجويزه ظهور الدجال في زمنه، وتصديقه ماحكاه تميم الداري من خبر الجساسة وكون الدجال محبوسا في جزيرة؟

الاشكال والاشتباه في روايات الدجال

قد تقدم ماقاله ابن الجوزي من كونه (ص) كان يقدر في هذه المسائل تقديراً، اذ لم يوح الله تعالى اليه أخبارها مفصيلا، وعد من ذلك ماورد في احتمال ظهور الدجال في زمنه

وقال النووي في شرح أحاديث ابن صياد من صحيح مسلم: قال العلماء وقصته مشكلة وأمره مشتبه ... وظاهر الأحاديث أن النبي عليه السلام لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وانما أوحى إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد

قرائن محتملة ، فلذلك كان النبي عليه السلام لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر « إن يكن هو فلن تستطيع قتله » اه ولا بأس ببيان ما أشار اليه النووي من الاشكال والاشتباه بشيء من التفصيل

ان أحاديث الدجال مشكلة من وجوه (أحدها) ما ذكرناه آنفا من منافاتها لحكمة إنذار القرآن الناس بقرب قيام الساعة وإتيانها بغتة

(ثانيها) ماذكر فيها من الخوارق التي تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولي العزم من المرسلين أو تفوقها ، وتعد شبهة عليها كما قال بعض علماء الكلام وعدّ بعض المحدثين ذلك من بدعتهم ، ومن المعلوم ان الله ما آتاهم هذه الآيات إلا لهداية خلقه ، التي هي مقتضى سبق رحمته لغضبه، فكيف يؤتي الدجال أكبر الخوارق لفتنة السواد الأعظم من عباده ؟ فان من تلك الروايات انه يظهر على الارض كلها في أربعين يوما إلا مكة والمدينة ، وقد روى أبو نعيم في الحلية عن حسان ابن عطية من ثقات التابعين أنه لا ينجو من فتنة الدجال الا اثنا عشر الف رجل وسبعة آلاف امرأة . قال الحافظ في الفتح وهذا لا يقال من قبل الرأي فيحتمل أن يكون مرفوعا أرسله ، ويحتمل أن يكون أخذه عن بعض أهل الكتاب اه وهو الصحيح المختار عندي

(ثالثها) وهو من متعلقات ماقبله أن ماعزي اليه من الخوارق مخالف لسنن الله تعالى في خلقه وقد ثبت بنصوص القرآن القطعية انه لا تبديل لسننه تعالى ولا ولا تحويل . وهذه الروايات المضطربة المتعارضة لا تصلح لتخصيص هذه النصوص القطعية ولا لمعارضتها

(رابعها) اشتمال بعض هذه الاحاديث على مخالفة بعض القطعيات الاخرى من الدين كتخلف أخبار الرسل أو كونها عبثا وإقرارهم على الباطل وهو محال في حقهم

(خامسها) أنها متعارضة تعارضا كثيراً يوجب تساقطها كما ترى فيما يلي

فمن ذلك التعارض أن بعضها يصرح بانه ﷺ كان يرى من المحتمل ظهور الدجال في زمنه وانه يكفي المسلمين حينئذ شره ، وبعضها يصرح بأنه يخرج بعد فتح المسلمين لبلاد الروم والقسطنطينية (ومنه) انه كان يشك في ابن صياد من يهود المدينة

هل هو الدجال أم لا ؟ وأنه وصف (ص) الدجال بصفات لاتنطبق على ابن صياد كما قال ابن صياد نفسه لسعيد الخدري (رض)

ومن التعارض أيضاً أنه يصرح في بعض الروايات بأنه يكون معه (أي الدجال) جبل أوجبال من خبز ونهر أو أنهار من ماء وعسل، كما رواه أحمد والبيهقي في البعث عن رجل من الانصار وعن جابر بن عبدالله بسند رجاله ثقات مع ماروا ه الشيخان واللفظ للبخاري من حديث المغيرة بن شعبة قال : ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ماسألته وإنه قال لي «مايضرك منه؟» قلت لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال « بل هو أهون على الله من ذلك» وفي رواية مسلم يقولون ان معه جبال خبز ولحم ونهر من ماء .وقد أولوا هذا لتصحيح ذاك، ويتأمل قول جابر: يقولون إن معه كذا وكذا ، ولم يقل إنك قلت هذا.

ومن التعارض أيضاً ماورد من اختلاف الروايات في المكان الذي يخرج منه ، ففي بعض الروايات انه يخرج من قبل المشرق على الابهام . وفي حديث النواس بن سمعان عند مسلم انه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، وفي رواية أخرى لمسلم انه يخرج من أصبهان ، وفي حديث الجساسة عنده انه محبوس بدير أو قصر في جزيرة في بحر الشام — أي البحر المتوسط وهو في الشمال — أو بحر اليمن وهو في الجنوب وانه يخرج منها ، وروى أحمد والحاكم انه يخرج من خراسان .

وقد حاول شراح الصحيحين وغيرهم الجمع بين الروايات المتعارضة في كل مسألة فجاؤا بأجوبة متكلفة ردها المحققون كلها او أكثرها ، وفيها من المشكلات غير ما أشرنا اليه ولاسيما الروايات في ابن صياد وما كان من حلف عمر بن الخطاب (رض) عند النبي ﷺ انه هو الدجال وإقراره ﷺ إياه على ذلك ومتابعة جابر بن عبدالله إياه على هذا الحلف كما في الصحيحين عنه

وقد أجاب بعضهم عن الأخير بأن هذا التقرير قد نقضه التصريح منه ﷺ لعمر بخلافه حين قال له دعني أضرب عنقه فقال «ان يكن هو فلن تسلط عليه » الخ الحديث وهو في الصحيح ،وقد رد الحافظ ابن حجر بعض تأويلات الحافظ البيهقي في مولد ابن صياد وصفاته وفي إقرار النبي ﷺ لعمر على حلفه ، وعده قصة تميم

الداري مرجحة لكونه غير ابن صياد ، وكون عمر كان يحلف حلفه قبل سماعه لهذه القصة — لهذا أخص هذا الحديث بشيء من التفصيل فأقول ان فيه عدة مباحث

(١) كان تميم الداري من عرب فلسطين (سورية) وقد وصف بأنه كان راهب زمانه وقد جاء هو وأخوه نعيم المدينة في آخر عهد النبي ﷺ سنة تسع من الهجرة وأسلما وحدث هو النبي ﷺ بحكاية الجساسة الغريبة ، وذكروا انه كان بعد إسلامه من العباد ومن القصاصين ولم يذكر لأحد شبهة فيه بل عدوا من مناقبه ان النبي (ص) روى عنه ، وستعلم مافيه ، فهذه مقدمة

(٢) راوية الحديث عنه في صحيح مسلم بطوله ومشكلاته هي فاطمة بنت قيس من المهاجرات وقالت ان النبي ﷺ جمع الناس في المسجد رجالا ونساء وحدثهم على المنبر بما سمعه من تميم من هذه الحكاية . وقد رواه عنها الشعبي وحده ، وهو على جلالته قد روى عن كثير من الصحابة الذين لم يرهم ولم يسمع منهم ، ولكن المحدثين أثنوا على مراسيله على انه صرح بالسماع منها ، وسيأتي من رواه غيرها وغيره

(٣) من علل هذا الحديث اذاً انه من الاحاديث التي تتوفر الدواعي على نقلها بالتواتر لغرابة موضوعه ولاهتمام النبي ﷺ به وجمعه الناس له وتحديثه به على المنبر واستشهاده بقول تميم على ما كان حدثهم به قبل إسلامه ، ولسماع جمهور الصحابة له منه ﷺ فمن غير المعقول ان لا يروى إلا آحاديا ، ويؤيده امتناع البخاري عن إخراجه في صحيحه لشدة تحريه وقد أجاب الحافظ في الفتح عند شرح حديث جابر في ابن صياد من كتاب الاعتصام عن هذا الاعلال بقوله : ولشدة التباس الامر في ذلك — أي الاختلاف بينه وبين حديث ابن صياد — سلك البخاري مسلك الترجيح فاقتصر على حديث جابر عن عمر في ابن صياد ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم ، وقد توهم بعضهم انه غريب فرد وليس كذلك فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر — أما أبو هريرة فأخرجه أحمد من رواية عامر الشعبي عن المحرز بن أبي هريرة عن أبيه بطوله ، وأخرجه أبو داود مختصراً وابن ماجه عقب رواية الشعبي عن فاطمة قال الشعبي فلقيت المحرز فذكره ، وأخرجه ابو يعلى من وجه آخر عن ابي هريرة ... واما حديث عائشة فهو في الرواية المذكورة عن الشعبي قال ثم لقيت القاسم بن محمد

فقال اشهد على عائشة حدثتني كما حدثتك فاطمة بنت قيس ، واما حديث جابر فأخرجه أبوداود بسند حسن من رواية أبي سلمة عن جابر وذكر لفظه

اقول ان ماذكره الحافظ لاينفي كون الحديث من الآحاد والمقام مقام التواتر لما ذكرناه من أسباب توفر الدواعي ، ولاينفي ايضاً كونه غريبا ايضاً وإن لم يكن فرداً فقد انحصرت الاسانيد لروايته في الشعبي وفي فاطمة بنت قيس. واما مارواه أبوداود من طريق الوليد بن عبدالله بن جميع عن ابن أبي سلمة عن جابر فهو على كونه ليس من الصحيح مختصر وليس فيه اسناد الحكاية الى تميم الداري بل لايزيد لفظ المرفوع فيه عن هذه الجملة « بينما أناس يسيرون في البحر فنفد طعامهم فرفعت لهم جزيرة فخرجوا يريدون الخبز فلقيتهم الجساسة » قال أبو الوليد بن عبد الله فقلت لأبي سلمة وما الجساسة ؟ قال امرأة تجر شعر جلدها ورأسها قالت في هذا القصر ـ فذكر الحديث ـ وسأل عن نخل بيسان وعن عين زغر ، قال هو المسيح . فقال لي ابن ابي سلمة ان في هذا الحديث شيئاً ماحفظته ، قال شهد جابر انه هو ابن صائد وفي نسخة ـ ابن صياد ـ فقلت انه قد مات قال وان مات . قلت فانه قد اسلم قال وإن اسلم . قلت فانه قد دخل المدينة قال وان دخل المدينة اه سياق ابو داود بحروفه

اقول وهو لايقوي تلك الروايات وليس فيه شيء من مشكلاتها المعنوية وغرائبها بل قواه الحافظ بها فجعله حسناً لأجلها وهو يعلم ان الوليد بن عبد الله ابن جميع (بالتصغير) الزهري رواية عن ابي سلمة ضعيف وان روى عنه مسلم فقد قال هو نفسه (اي الحافظ) في تهذيب التهذيب فيما زاده على اصله ان ابن حبان ذكره في الضعفاء وقال انه ينفرد عن الاثبات بمالا يشبه حديث الثقات فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به ، وذكر عن الحاكم انه لو لم يخرج له مسلم لكان اولى اه في رواية ابي داود عن فاطمة مخالفة لرواية مسلم من وجه آخر لا غرض لنا في ذكره إذ لانريد استقصاء كل مافي هذه الاحاديث من التعارض والخلاف.

(٤و٥) من الاشكال المعنوي في هذه الحكاية أن تميما وأصحابه الثلاثين كانوا من عرب الشام والمتبادر أنهم ركبوا سفينتهم من بعض ثغورهم في البحر المتوسط

وقد ذكرت فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال بعد أن سرد للناس الحكاية « فانه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم به عنه — أي الدجال — وعن المدينة ومكة . ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن — لا بل من قبل المشرق . ماهو من قبل المشرق ، ماهو من قبل المشرق ، ماهو؟ وأومأ بيده إلى المشرق» قالت فحفظت هذا من حديث رسول الله (ص) اه

فان صح الحديث رواية فهذا التردد من النبي (ص) في مكان الجزيرة التي ذكرها تميم الداري في أي البحرين هي؟ ثم اضرابه عنهما وجزمه بأنه في جهة المشرق الخ إشكال آخر في متنه ينظر إلى اختلاف الروايات الأخرى في مكان الدجال بعين ، وينظر إلى اختلاف الروايات في ابن صياد بالعين الاخرى ، وينظر بالعينين كلتيهما إلى سبب هذا التردد ومنافاته لأن يكون كلامه صلوات الله وسلامه عليه في أمر الدجال عن وحي من الله تعالى وسأتكلم في سببه في هذا البحث على تقدير صحة الرواية

ثم أين هذه الجزيرة التي رفأ اليها تميم وأصحابه في سفينتهم ؟ إنها في بحر الشام أو بحر اليمن كما في اللفظ المرفوع — إن صح الحديث — أي الجهة المقابلة لسواحل سورية من البحر المتوسط ، أو الجهة المجاورة لشواطيء اليمن من البحر الاحمر ، وكل من البحرين قد مسحه البحارة في هذه الازمنة مسحاً ، وجابوا سطحهما طولا وعرضاً ، وقاسوا مياههما عمقاً عمقا ، وعرفوا جزائرهما فرداً فرداً ، فلو كان في أحدهما جزيرة فيها دير أو قصر حبس فيه الدجال وله جساسة فيها تقابل الناس وتنقل اليه الاخبار، لعرف ذلك كله كل الناس، وما قاله شارح المشارق من تنقل الدجال في البحرين أو من الجانب الشامي إلى الجانب اليمني بناء على زعمه أن البحر واحد — وما قاله الحافظ من انتقاله إلى اصفهان ليخرج منها مع سبعين ألفاً من يهودها — كلاهما من الدعاوي التي لا أصل لها من النقل، ولا من المقبول في نظر العقل، وانما يستنبطونها للجمع بين الروايات المتعارضة التي يعز عليهم أن يرجعوها إلى قاعدتهم « تعارضت فتساقطت »حتى إن الحافظ رضي لنفسه في هذا الجمع أن يقر قول من قال إن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن ذهب إلى اصفهان الخ وهو يحفظ تلك الروايات الكثيرة في ولادته بالمدينة

وتشوفه فيها ، ثم اسلامه وحجه ثم موته فيها، على انه يحفظ بعض الروايات المضعفة لهذا

(٦) في الالفاظ المرفوعة من حكاية الجساسة أن النبي (ص) لم يقر تميما على كل ماحكاه ، بل على بعضه وهو قوله « فانه أعجبني من حديث تميم انه وافق الذي كنت أحدثكم به عنه (أي عن الدجال) وعن المدينة ومكة » أي أنه لا يدخلهما . وقوله بعده « ألا انه في بحر الشام أو اليمن ، لا بل من قبل المشرق » الخ ما تقدم آنفا، وترجيح جميع العلماء روايات جهة المشرق دليل على أنه ليس في بحر الشام ولا بحر اليمن لأن الشام في جهة الشمال من المدينة واليمن في جهة الجنوب منها فلا شيء منهما بمشرق . قال الطيبي : لما تيقن عليه السلام بالوحي أنه من قبل المشرق نفى الاولين : وظاهر العبارة يدل على أن النبي (ص) صدق تميما في أول الأمر ولذلك قال « ألا إنه في بحر الشام او بحر اليمن » بالتأكيد بإن والبدء باداة الاستفتاح « ألا » ثم كوشف في موقفه بأنه ليس في هذا ولا ذاك، بل في جهة المشرق

(٧) ههنا يجيء اشكال آخر وهو أن نفي النبي (ص) لبعض قول تميم يبطل الثقة به كله ، ويحصر عجبه (ص) في شيء واحد منه لا يعرف بالرأي وهو موافقته لما سبق إخباره به (ص) من ظهور الدجال وكونه لا يدخل مكة ولا المدينة. وإن بقي الاعجاب مما ذكر منه في محله، وقد يتفصون من هذا بأن الدجال كان قبل اسلام تميم وحديثه قد خرج من تلك الجزيرة التي رآه فيها فذهب إلى اصبهان أو غيرها من المشرق، ويرده ان ما نقله عنه تميم صريح فيما ينافي ذلك وهو أن وثاقه الشديد انما يحل عند الاذن له في الخروج وأنه صار قريبا بعد ظهور العلامات التي ذكرها قال : اني أنا المسيح واني أوشك ان يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الارض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي ألخ فعطفه الخروج على الاذن بالفاء، والسير على الخروج بالفاء نص في أنهما على التعقيب لا فاصل بين هذه ولا تلك ، والاقرب إلى الخروج من كل هذه المشكلات أن تكون الرواية مصنوعة .

(٨) ننتقل من هذا المبحث إلى مبحث قوي الصلة به وهو اذا لم نعد ما فيه من نفي النبي (ص) لما أثبته تميم من وجود الدجال في أحد البحرين وفاقا للعلامة

الطيبي الشهير — فهل يجب أن تكون حكايته (ص) لما حدثه به تميم تصديقاً له ؟ وهل كان (ص) معصوما من تصديق كل كاذب في خبر فيعد تصديقه لحكاية تميم دليلا على صدقه فيها ؟ ويعد مايرد عليها من إشكال وارداً على حديث له حكم المرفوع ؟ وفي معناه إقراره ﷺ لعمر على حلفه بأن ابن صياد هو الدجال كما تقدم

إن مافالوه في العصمة لايدخل فيه هذا فالمجمع عليه هو العصمه في التبليغ عن الله تعالى وعن تعمد عصيانه بعد النبوة . قال السفاريني في شرح عقيدته. قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: وأنهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا معصومين في غير ذلك وقال ابن عقيل في الارشاد : إنهم عليهم السلام لم يعصموا في الافعال ، بل في نفس الاداء . قال ولا يجوز عليهم الكذب في الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى. وقال الحافظ العراقي : النبي ﷺ معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع ، ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك ألخ اه ملخصاً وتصديق الكاذب لايعد ذنباً . وقد ثبت أنه ﷺ كان يصدق بعض مايفتريه المنافقون حتى يخبره الله بما كان من المصلحة اخباره به منه كما وقع في غزوة تبوك وغيرها وصدق بعض أزواجه في القصة المشار اليها في سورة التحريم حتى أخبره تعالى به وبأن من أسر اليها الحديث أفشته وذلك قوله تعالى (قالت من انبأك هذا ؟ قال نبأني العليم الخبير) وتردد في حديث أهل الافك وضاق صدره به زمناحتى نزلت عليه آيات البراءة المكذبة لهم في سورة النور . فعلى هذا لايكون ذكره ﷺ لقصة تميم في حكم المرفوع الذي يقوله هو ﷺ كما أن مايقوله ﷺ برأيه وظنه لايدخل في عموم ماهو معصوم منه وهو تعمد الكذب كما قال ﷺ في مسألة تلقيح النخل « انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فاني لن أكذب على الله » وقال فيها أيضا « إنما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » رواهما مسلم في صحيحه

وقال المحقق ابن دقيق العيد في مسألة تقريره ﷺ من أوائل شرح الالمام : إذا أخبر في حضرة النبي ﷺ عن أمر ليس فيه حكم شرعي فهل يكون سكوته

ﷺ دليلا على مطابقة ما في الواقع كما وقع لعمر في حلفه على ان ابن صياد هو الدجال فلم ينكر عليه ، فهل يدل عدم انكاره على ان ابن صياد هو الدجال كما فهمه جابر حتى صار يحلف عليه ويستند إلى حلف عمر ، أو لا يدل ؟ فيه نظر ، والاقرب عندي انه لا يدل لان مأخذ المسألة ومناطها هو العصمة من التقرير على باطل وذلك يتوقف على تحقق البطلان ولا يكفي فيه عدم تحقق الصحة الخ نقله عنه الحافظ في الفتح ملخصا

(٩) إن في روايات هذه الحكاية اختلافات أخرى كقوله في أطولها عن تميم « انه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة » وقوله في رواية أخرى « حدثني تميم الداري أن أناسا من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم فانكسرت بهم فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة فخرجوا إلى سفينة في البحر » وفي رواية « إن بني عم تميم الداري ركبوا في البحر » وفي رواية « انه ركب البحر فتاهت به سفينة فسقط إلى جزيرة فخرج اليها يلتمس الماء فلقي انسانا يجر شعره » وهذه الروايات كلها في صحيح مسلم والاختلافات فيها متعددة كما ترى ، وفي سائر الروايات ما يزيد على ذلك

وجملة القول في حديث الجساسة أن مافيه من العلل والاختلاف والاشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع ، وأنه على تقدير صحته ليس له كله حكم المرفوع ، وكذا يقال في سائر أحاديث الدجال المشكلة التي انتقدها الحافظ في الفتح من جهة صناعة علم أصول الحديث وتعارض المتون أو مخالفتها للواقع وعد من علل بعضها احتمال كونها من الاسرائيليات . فقد ذكر ما أخرجه نعيم بن حماد شيخ البخاري في كتاب الفتن من طريق جبير بن نفير وشريح بن عبيد وعمرو بن الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا : الدجال ليس هو بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه : سليمان النبي أو غيره ؟ فاذا آن ظهوره فك الله عنه كل عام حلقة ، فاذا برز أتته أتان عرض ما بين أذنيها

أربعون ذراعا فيضع على ظهرها منبراً من نحاس ويقعد عليه ويتبعه قبائل الجن يخرجون له خزائن الارض »

قال الحافظ بعد ايراد هذا : (قلت) ولا يمكن معه كون ابن صياد هو الدجال ولعل هؤلاء مع كونهم ثقات تلقوا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب . وأخرج نعيم أيضاً من طريق (كعب الاحبار) أن الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر (قال) وبين مولده ومخرجه ثلاثون سنة (قال) ولم ينزل خبره في التوراة والانجيل وانما هو في بعض كتب الانبياء اه وأخلق بهذا الخبر أن يكون باطلا فان الحديث الصحيح أن كل نبي قبل نبينا أنذر قومه الدجال ، وكونه يولد قبل مخرجه بالمدة المذكورة مخالف لكونه ابن صياد ولكونه موثقا في جزيرة من جزائر البحر أه المراد من قول الحافظ وهو في شرح كتاب الاعتصام من الفتح

ومنه يعلم أن الحافظ لم يسلم من ضرب بعض هذه الروايات المضطربة المتعارضة المتنافرة ببعض ، وبأنه يعد احتمال الاخذ عن أهل الكتاب علة صحيحة لرد روايات الثقات ولو فيما لامجال للعقل ولا للرأي فيه خلافا لما زعمه الزرقاني وتمسك به بعض أنصار الخرافات فعدوه مما له حكم المرفوع .

ومنه يعلم أيضاً أن يد بطل هذه الاسرائيليات الاكبر كعب الاحبار قد لعبت لعبها في مسألة الدجال (في كل واد أثر من ثعلبة) وقول كعب إن ماذكره من ولادة الدجال بقوص في كتب بعض الانبياء كذب وافتراء

وهناك روايات أخرى عنه منها مانقله الحافظ في شرح كتاب الفتن عن نعيم ابن حماد في كتابه المذكور عنه قال (أي كعب) يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي ثم يلتمس فلا يُقدر عليه ، ثم يرى عند المياه التي عند نهر الكسوة ثم يطلب فلا يدرى أين يتوجه ، ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ، ثم يظهر السحر ، ثم يدعو النبوة فتتفرق الناس عنه فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ، ثم يامره أن ييبس فييبس ، ويامر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا فينتطحا ، ويامر الريح أن تثير سحابا من البحر فتمطر الارض ويخوض البحر في كل

يوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه ، وإحدى يديه أطول من الاخرى فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان مايريد اه

بمثل هذه الخرافات كان كعب الاحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم ، وخدع به الناس لاظهاره التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وجملة أخبار الدجال قالوا انها متواترة يعنون التواتر المعنوي وهو ان لها اصلا وان لم يتواتر شيء من رواياتها . ويدل القدر المشترك منها على ان النبي ﷺ كشف له وتمثل له ظهور دجال في آخر الزمان يظهر للناس خوارق كثيرة وغرائب يفتتن بها خلق كثير ، وأنه من اليهود ، وان المسلمين يقاتلونه ويقاتلون اليهود في هذه البلاد المقدسة وينتصرون عليهم ، وقد كشف له ذلك مجملا غير مفصل ولا يوحى به عن الله تعالى - كما كشف له غير ذلك من الفتن - فذكره فتناقله الرواة بالمعنى فاخطأ كثير منهم ، وتعمد الذين كانوا يبثون الاسرائيليات الدس في رواياته . ولا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك والله أعلم

التعارض والاشكالات في أحاديث المهدي

وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى واظهر ، والجمع بين الروايات فيه اعسر ، والمنكرون لها اكثر ، والشبهة فيها اظهر ، ولذلك لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتها في صحيحيهما . وقد كانت اكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الاسلامية . إذ تصدى كثير من محبي الملك والسلطان ، ومن ادعياء الولاية وأولياء الشيطان ، لدعوي المهدوية في الشرق والغرب ، وتأييد دعواهم بالقتال والحرب ، وبالبدع والافساد في الأرض ، حتى خرج ألوف الالوف عن هداية السنة النبوية ، ومرق بعضهم من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية

وقد كان من حق تصديق الجماهير من المتأخرين بخروج مهدي يجدد الاسلام ، وينشر العدل في جميع الانام ، أن يحملهم على الاستعداد لظهوره بتأليف عصبة قوية تنهض بزعامته ، وتساعده على إقامة أركان إمامته ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل تركوا مايجب

لحماية البيضة، وحفظ سلطان الملة بجمع كلمة الامة، وباعداد ما استطاعوا من حول وقوة، فاتكلوا وتواكلوا، وتنازعوا وتخاذلوا، ولم يعظهم ما نزع من ملكهم، وماسلب من مجدهم، اتكالا على قرب ظهور المهدي، كأنه هو المعيد المبدي، فهو الذي سيرد اليهم ملكهم، ويجدد لهم مجدهم، ويعيد لهم عدل شرعهم، وينتقم لهم من أعدائهم، ولكنه يفعل ذلك بالكرامات، وما يؤيد به من خوارق العادات، لا بالبوارد أو البندقيات الصارخات، ولا بالمدافع الصاخات. ولا بالدبابات المدمرات، ولا بأساطيل البحار السابحات والغواصات، ولا أساطيل المناطيد والطيارات، ولا بالغازات الخانقات، وقد كانت الحرب بين خاتم النبيين والمشركين سجالا، وكان المؤمنون ينفرون معه خفافا وثقالا، فهل يكون المهدي أهدى منه أعمالا، وأحسن حالا ومآلا؟ كلا

وقد جاءهم النذير، ابن خلدون الشهير، فصاح فيهم ان لله تعالى سننا في الامم والدول والعمران، مطردة في كل زمان ومكان، كما ثبت في مصحف القرآن، وصحف الاكوان، ومنها أن الدول لا تقوم إلا بعصبية، وإن الاعاجم قد سلبوا العصبية من قريش والعترة النبوية، فان صحت أخبار هذا المهدي فلن يظهر إلا بعد تجديد عصبية هاشمية علوية، ولو سمعوا وعقلوا، لسعوا وعملوا، ولكان استعدادهم لظهور المهدي بالاهتداء بسنن الله تعالى رحمة لهم، تجاه ما كان في أخباره من الفتن والنقم فيهم، وربما أغناهم عن بعض ما يرجون من زعامته إن لم يغنهم عنه كله.

كانت اليهود اغترت مثلنا بظواهر ما في كتب أنبيائهم من الانباء بظهور مسيح فيهم يعيد لهم ما فقدوا من ملك داود وسليمان، فاتكلوا على ما فهم أحبارهم منها بمحض التقليد الاصمّ الذي لا يسمع، الاعمى الذي لا يبصر، ومضت القرون في إثر القرون وهم لا يزدادون إلا تفرقا وضعفا، فلما عرفت أجيالهم الاخيرة سنن الله تعالى في العمران، طفقوا يستعدون لاستعادة ذلك الملك والسلطان، بالسعي الى انشاء وطن يهودي خاص بهم يقيمون فيه قواعد العمران، بارشاد العلوم والفنون العصرية، التي يتعلمونها بما يحيون من لغتهم العبرانية، وقد أنشأوا لذلك مصرفا ماليا خاصا، وما زالوا يجمعون لاجله الاعانات بالألوف وألوف

الألوف من الدنانير ، حتى انهم استمالوا لمساعدتهم في هذا العهد، أقوى دول الارض،

هذا — والمسلمون لايزالون يتكلون على ظهور المهدي ويزعم دهماؤهم انه سينقض لهم سنن الله تعالى أو يبدلها تبديلا ، وهم يتلون قوله تعالى (٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون إلا سنة الأولين ؟ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فاذا كان من أشراط الساعة آيات ، وكان زمنها زمن خوارق عادات، فهل يضرهم أن تأتيهم وهم على هدى من ربهم، واقامة لشرعهم، وعزة وسلطان في أرضهم؟

على انهم أنشؤا في العصور الاولى عصبيات لاجل المهدي ولكنها جاهلية ، بل أنشؤا المهدي المنتظر (عج) نفسه لأجل تلك العصبيات الفارسية المجوسية ، التي كانت تسعى لازالة ملك الامة العربية ، وافساد دينهم الذي أعطاهم الملك والقوة ، ولأجل ذلك كثر الاختلاف في اسم المهدي ونسبه وصفاته وأعماله، وكان لكعب الأحبار ، جولة واسعة فى تلفيق تلك الاخبار ،

الاختلاف والاضطراب في أحاديث المهدي

(منها) أن أشهر الروايات في اسمه واسم أبيه عند أهل السنة أنه محمد بن عبدالله وفي رواية : أحمد بن عبدالله ، والشيعة الامامية متفقون على انه محمد بن الحسن العسكري وهما الحادي عشر والثاني عشر من أئمتهم المعصومين ، ويلقبونه بالحجة والقائم والمنتظر ، ويقولون انه دخل السرداب في دار أبيه في مدينة (سر من رأى) التي تسمى الآن « سامرا » سنة ٢٦٥ وله من العمر تسع سنين ، وانه لا يزال في السرداب حيا، وقد رفع اليه بعض علمائهم المتأخرون أسئلة شرعية في رقاع كانوا يلقونها، وزعموا أنهم كانوا يجدون فتاواه مدونة فيها ! ! ومسائل هذه الرقاع عندهم أصح المسائل والأحكام !! وهم كلما ذكروه يقرنون اسمه بحرفي العين والجيم هكذا (عج) وهما مقتطفتان من جملة عجل الله خلاصه

وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية وانه حي مقيم بجبل رضوى بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان يفيضان ماء وعسلا ومعه أربعون من أصحابه . فقولهم فيه كقول الامامية في المهدي ابن الحسن العسكري. ورضوى بفتح الراء جبل جهينة من أرض الحجاز على مسيرة يوم من ينبع وسبع مراحل من المدينة

المنورة . ويقال إن السنوسية يعتقدون أن شيخهم المهدي السنوسي هو الامام المنتظر. ومنهم من يقول إنه اختفى ، وقد بلغنا أنهم كانوا اذا سئلوا عن موته يقولون : الحي يموت . ولا يقولون انه قد مات .

وروي عن كعب الأحبار انه قال : انما سمي بالمهدي لانه يهدي الى أمر خفي وسيخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها انطاكية ، وفي رواية أخرى عنه انما سمي بالمهدي لانه يهدى الى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام ويدعو اليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة . رواهما نعيم في كتاب الفتن . وروي مثل ذلك عن أبي عمرو الداني، وانما هو مأخوذ من تضليلات كعب الاحبار

والمشهور في نسبه أنه علوي فاطمي من ولد الحسن ، وفي بعض الروايات من ولد الحسين وهو يوافق قول الشيعة الامامية وهنالك عدة أحاديث مصرحة بأنه من ولد العباس (منها) مارواه الرافعي عن ابن عباس أنه (ص) قال للعباس « ألا أبشرك ياعم ؟ ان من ذريتك الأصفياء ،ومن عترتك الخلفاء ، ومنك المهدي في آخر الزمان ، به ينشر الله الهدى ويطفيء نيران الضلالة ، إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم» ومن حديث ابن عساكر عنه مرفوعاً أيضا « اللهم انصر العباس وولد العباس (ثلاثا) يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك موفقاً مرضياً » قال ابن حجر رجاله ثقات ، وفي معناهما أحاديث أخرى لا بي هريرة وأم سلمة وعلي وفي حديثه التصريح بأن المراد بالمهدي ثالث خلفاء بني العباس

وفي معناه حديث أبي هريرة المعروف عندهم بحديث الرايات وذكره ابن خلدون من حديث ابن مسعود مرفوعاً «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود » الخ وهو من طريق يزيد بن أبي زياد وهو من شيعة الكوفة ضعفه الأكثرون وروى له مسلم مقرونا بغيره وقال شعبة فيه : كان رفاعاً ، أي يرفع الى النبي ﷺ الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة ، وصرحوا بضعف حديثه هذا .وهنالك أحاديث أخرى في نسبة المهدي الى العباس. وعن ابن عباس عند البيهقي وأبي نعيم والخطيب البغدادي روايات في التصريح بأن

المهدي المنتظر هو العباسي وذكر قبله السفاح والمنصور . وأهل الرواية يتكلفون الجمع بين هذه الروايات وما يعارضها باحتمال أن يكون لكل من العباس والحسن والحسين فيه ولادة بعضها من جهة الأب وبعضها من جهة الأم ، قاله ابن حجر في القول المختصر وتبعه الشوكاني وغيره ، ولكن ألفاظ الاحاديث لاتتفق مع هذا الجمع ، على انه لم يرد في أم المهدى شيء من هذه الروايات على كثرتها

وسبب هذا الاختلاف أن الشيعة كانوا يسعون لجعل الخلافة في آل الرسول ﷺ من ذرية علي سلام الله ورضوانه عليهم ويضعون الأحاديث تمهيداً لذلك، ففطن لهذا الأمر العباسيون فاستمالوا بعضهم، ورأى أبو مسلم الخراساني وعصبيته أن آل علي يغلب عليهم الزهد، وأن بني العباس كبني أمية في الطمع في الملك، فعمل لهم توسلا بهم إلى تحويل عصبية الخلافة إلى الفرس ، تمهيداً لاعادة الملك والمجوسية ، وحينئذ وضعت أحاديث المهدي مشيرة الى العباسيين مصرحة بشارتهم (السواد) وأشهرها حديث ثوبان المرفوع في سنن ابن ماجه « يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا تصير الى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونهم قتلا لم يقتله قوم — ثم ذكر شيئا لا أحفظه — فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فانه خليفة الله المهدي » قال السندي في حاشيته على ابن ماجه : وفي الزوائد هذا اسناد صحيح رجاله ثقات ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين اه فهو مثال لأصح ما رووه في المهدي ولكن في إسناده عبد الرزاق بن همام الصنعاني الشهير وهو معروف بالتشيع وعمي في آخر عمره فخلط وكان من مشايخه عمه وهب بن منبه وناهيك به — وفي سنده الى ثوبان أبو قلابة وسفيان الثوري وهما مدلسان وقد عنعنا في هذا الحديث ولم يقولا انهما سمعاه . فاذا أضفت إلى هذا طعن الطاعنين في عبد الرزاق ومنهم ابن عدي القائل انه حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد، وما هو أعظم من ذلك من رمي بعضهم إياه بالكذب على مكانته من هذا الفن — واذا تذكرت مع هذا ان أحاديث الفتن والساعة عامة ، وأحاديث المهدي خاصة، وانها كانت مهب رياح الأهواء والبدع، وميدان فرسان الأحزاب والشيع ، — تبين لك أين تضع هذه الرواية منها

ولما انقضى أمر بني العباس وكانت الأحاديث قد دونت لم يسع القائلين بظهور المهدي إلا أن يقولوا ان الرايات السود المروية فيها غير رايات بني العباس على ان خصومهم كانوا قد رووا في معارضتها روايات ناطقة بأن رايات المهدي تكون صفرا ،وروايات في أن ظهوره من المغرب لامن المشرق

قال محمد بن الصامت قلت للحسين بن علي رضي الله عنهما : أما من علامة بين يدي هذا الامر ؟ - يعني ظهور المهدي - قال بلى . قلت وماهي ؟ قال هلاك بني العباس وخروج السفياني والخسف بالبيداء . قلت جعلني الله فداك أخاف أن يطول هذا الامر .فقال :انما هو كنظام سلك يتبع بعضه بعضا . ورووا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال : تكون في الشام رجفة يهلك فيها أكثر من مئة الف يجعلها الله رحمة المؤمنين ، وعذابا على المنافقين ، فان كان كذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام ، وذلك عند الجوع الاكبر ، والموت الأحمر ، فاذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها (حرستا) فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق، فاذا كان ذلك كله فانظروا خروج المهدي. انتهى الأثر المروي عن أمير المؤمنين ،ونحن نعلم ان ابن آكلة الاكباد لقب معاوية لأن أمه أخرجت قلب حمزة سيد الشهداء رضوان الله عليه يوم قتل في أحد فمضغته. وكانت هذه الرواية قد وضعت فيما يظهر بعد أمير المؤمنين للتبشير بانتقام المهدي من معاوية، ثم حملوها على السفياني التي كثرت الروايات في خروجه قبل المهدي وقالوا انه من ولد خالد بن يزيد ابن أبي سفيان ، وانه أحد الخوارج الذين يتقدمونه بل شرهم، والآخرون هم الملقبون بالأبقع والأصهب والأعرج والكندي والجرهمي والقحطاني ،

ولفارس ميدان الخرافات الاسرائيلية كعب الأحبار تفصيلات لخروج هؤلاء هي كالتفسير للأثر العلوي الموضوع تراجع في فوائد الفكر للشيخ مرعي وعقائد السفاريني وغيرها

فهذا نموذج من تعارض الروايات وتهافتها في المهدي ولو ذكرنا مافي كتب الشيعة والمتصوفة في ذلك لجئنا بالعجب العجاب. وتمحيص القول فيها لا يتم إلا بسفر مستقل .

خلاصة القول في اشراط الساعة

وجملة القول في أحاديث الفتن وأشراط الساعة وأماراتها وسبب الاختلاف والتعارض فيها يختصر في المسائل الآتية

(١) ان النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب كما يأتي في الآية التالية بل هو معلوم من الدين بالضرورة وانما أعلمه الله تعالى ببعض الغيوب بما أنزله عليه في كتابه وهو قسمان ، صريح كاخبار الملائكة والساعة والجنة والنار ، ومستنبط من بيان سنن الله تعالى المنصوصة فيه كقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) فكان يفهم منها ﷺ مالا يفهم غيره من الصحابة فمن دونهم علما وفهما كما روي عن الزبير (رض) من عدة طرق في آية (واتقوا فتنة) انهم قرءوها على عهد رسول الله ﷺ ولم يكونوا يعلمون أنها تقع منهم حيث وقعت في فتنة قتل عثمان وفي يوم الجمل ، والروايات عن الزبير أوردها الحافظ في أول شرح كتاب الفتن من البخاري

(٢) ان الله تعالى أعلمه ببعض ما يقع في المستقبل بغير القرآن من الوحي كسؤاله لربه أن لا يجعل بأس أمته بينها فلم يعطه ذلك وأعلمه أن سنته في خلقه لا تتبدل أي وأن هذا منها راجع تفسيرنا لقوله تعالى (٦ : ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) إلخ ولم يكن ﷺ يعلم أن ذلك من سنته تعالى قبل إعلامه له .

(٣) انه كان يتمثل له ﷺ بعض أمور المستقبل كانه يراه كما تمثلت له الجنة والنار في عرض الحائط ، وكما تمثل له في أثناء حفر الخندق ما يفتح الله لاصحابه من الممالك وكما تمثلت له الفتن وهو مشرف على أطم من آطام المدينة فقال كما في الصحيحين «هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا ، قال «فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر» وظهر هذا في فتنة قتل عثمان (رض) ومثله حديث الفتن من قبل المشرق وكشفه هذا حق وهو ما يسميه أهل الكتاب نبوءات وقد ظهر منه شيء كثير كالشمس

(٤) إنه ﷺ لم يكن يخبر أصحابه بكل ما يطلعه الله عليه من ذلك بل بما كان يرى المصلحة في إخبارهم به موعظة وتحذيراً ، وكان يخص بعض أصحابه ببعضها

كما روي في مناقب حذيفة (رض) وما كان كل من سمع منه شيئاً منها يفهم مراده كله واذا كانوا لم يفهموا تأويل بعض آيات القرآن في سنن الله العامة حق الفهم التفصيلي كما تقدم آنفا عن الزبير (رض) واذا كان منهم من لم يفهم بعض آيات الاحكام الظاهرة كقوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) فلأن يخفى عليهم تأويل ماخص به بعض الافراد وهو مما لم يؤمر بتبليغه للناس كافة - لأنه ليس من أصول الدين ولا من فروعه - أولى - وخفاء ذلك على من بعدهم أولى الا من يقع تأويله في عهدهم كوصفه (ص) النساء المتهتكات في هذا العصر بالكاسيات العاريات الخ

(٥) لاشك في أن اكثر الاحاديث قد روي بالمعنى كما هو معلوم واتفق عليه العلماء ، ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح في ألفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها ، ومادخل على بعض الاحاديث من المدرجات وهي مايدرج في اللفظ المرفوع من كلام الرواة ، فعلى هذا كان يروي كل أحد مافهمه ، وربما وقع في فهمه الخطأ لان هذه أمور غيبية ، وربما فسر بعض مافهمه بألفاظ يزيدها ، واذا كان النبي ﷺ لم يطلعه الله تعالى على كل ما أطلعه عليه من هذه المغيبات بالتفصيل ، وكان يجتهد في بعضها ويقدر ويأخذ بالقرائن كما قال النووي وابن الجوزي في تجويزه ﷺ أن يكون ابن صياد اليهودي المعاصر له هو الدجال المنتظر - وكذا تجويزه ان يظهر في زمنه وهو حي - فهل من الغرابة أن يقع الخلط والتعارض فيما يروى عنه بالمعنى بقدر فهم الرواة ؟

(٦) ان العابثين بالاسلام ومحاولي افساد المسلمين وازالة ملكهم من زنادقة اليهود والفرس وغيرهم من أهل الابتداع وأهل العصبيات العلوية والاموية والعباسية قد وضعوا أحاديث كثيرة اقتروها ، وزادوا في بعض الآثار المروية دسائس دسوها ، وراج كثير منها باظهار رواتها للصلاح والتقوى ، ولم يعرف بعض الأحاديث الموضوعة إلا باعتراف من تاب الى الله من واضعيها ، ولقد كان الاستاذ الامام يقول إن الاسلام الصحيح هو ما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن ، ولم يكن يثق الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من أحاديث الفتن

(٧) إن بعض الصحابة والتابعين كانوا يروون عن كل مسلم وما كل مسلم

مؤمن صادق ، وما كانوا يفرقون في الاداء بين ماسمعوه من النبي ﷺ أو من غيره وما بلغهم عنه بمثل سمعت وحدثني وأخبرني، ومثل: عن النبي ﷺ انه قال أو قال رسول الله ﷺ كما فعل المحدثون من بعد عند وضع مصطلح الحديث، وقد ثبت أن الصحابة (رض) كان يروي بعضهم عن بعض وعن التابعين حتى عن كعب الاحبار وأمثاله ، والقاعدة عند أهل السنة أن جميع الصحابة عدول فلا يخل جهل اسم راو منهم بصحة السند ، وهي قاعدة أغلبية لا مطردة فقد كان في عهد النبي ﷺ منافقون قال تعالى (٩ : ١٠٢) وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة، مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم) مردوا عليه احكموه وصقلوه أو صُقلوا فيه حتى لم يعد يظهر في سيماهم ونحوى كلامهم كالذين قال الله فيهم منهم (٤٧ : ٣١) ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)

ولكن البلية في الرواية عن مثل كعب الاحبار . وممن روى عنه أبو هريرة وابن عباس ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه، ومنهم المدلسون كقتادة وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج ،

فكل حديث مشكل المتن أو مضطرب الرواية ، أو مخالف لسنن الله تعالى في الخلق ، أو لأصول الدين أو نصوصه القطعية ، او للحسيات وأمثالها من القضايا اليقينية ، فهو مظنة لما ذكرنا في هذه التنبيهات . وسبق لنا بيان أكثرها في الكلام على حديث طلوع الشمس من مغربها في تفسير ٦ : ١٨٥ من أواخر سورة الانعام (ص ٢٠٩ ج ٨ تفسير). فمن صدق رواية مما ذكر ولم يجد فيها إشكالا فالاصل فيها الصدق، ومن ارتاب في كل شيء منها أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين إشكالا في متونها ، فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقة بالرواية لاحتمال كونها من دسائس الاسرائيليات ، أو خطأ الرواية بالمعنى ، أو غير ذلك مما أشرنا اليه ، وإذا لم يكن شيء منها ثابتا بالتواتر القطعي فلا يصح أن يجعل شبهة على صدق الرسول ﷺ المعلوم بالقطع ولا على غير ذلك من القطعيات . ولعل الله تعالى يبارك لنا في العمر ويوفقنا لصرف معظمه في خدمة الكتاب والسنة فنضع لاحاديث الفتن وآيات الساعة مصنفا خاصا بها، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو على كل شيء قدير .

فتاوى المنار

وجدت بين أوراق شيخنا الاستاذ الامام الفتاوى الآتية فأحببت نشرها لتصدي الحكومة المصرية لتقييد اباحة التعدد وكثرة الكلام فيه وهي :

السؤال الاول

« مامنشأ تعدد الزوجات في بلادالعرب (أوفي الشرق على الجملة) قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم »

(ج) ليس تعدد الزوجات من خواص المشرق ولا وحدة الزوجة من خواص المغرب بل في المشرق شعوب لاتعرف تعدد الزوجات كالتُّتَّبت والمغول ، وفي الغرب شعوب كان عندها تعدد الزوجات كالغولو والجرمانيين، ففي زمن سيزار كان تعدد الزوجات شائعاعندالغولو اوكان معروفا عند الجرمانيين في زمن ناسيت ،بل أباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد دخول الدين المسيحي إلى أوروبا كشرلمان ملك فرانسا وكان ذلك بعد الاسلام (١)

كان الرؤساء وأهل الثروة يميلون إلى تعدد الزوجات في بلاد يزيد فيها عدد النساء على عدد الرجال توسعا في التمتع ،وكانت البلاد العربية مما تجري فيها هذه العادة لا إلى حد محدود ، فكان الرجل يتزوج من النساء ما تسمح له أو تحمله عليه قوة الرجولية وسعة الثروة للانفاق عليهن وعلى ما يأتي له من الولد

(١) المنار: كان شرلمان معاصراً للخليفة المهدي وابنه الرشيد وحارب العرب فانكسر

وقد جاء الاسلام وبعض العرب تحته عشر نسوة وأسلم غيلان رضي الله عنه وعنده عشر نسوة فأمره النبي ﷺ بامساك أربعة منهن ومفارقة الباقيات ،وأسلم قيس بن الحارث الأسدي وتحته ثمان نسوة فأمره ﷺ بأن يختار منهن أربعا وأن يخلي ما بقي ،فسبب الاكثار من الزوجات إنما هو الميل إلى التمتع بتلك اللذة المعروفة وبكثرة النساء ،وقد كان العرب قبل البعثة في شقاق وقتال دائمين ،والقتال إنما كان بين الرجال فكان عدد الرجال ينقص بالقتل فيبقى كثير من النساء بلا أزواج ،فمن كانت عنده قوة بدنية وسعة في المال كانت تذهب نفسه وراء التمتع بالنساء فيجد منهن ما يرضي شهوته ،ولا يزال ينتقل من زوجة إلى أخرى مادام في بدنه قوة ، وفي ماله سعة .وكان العرب ينكحون النساء بالاسترقاق ولكن لا يستكثرون من ذلك ، بل كان الرجل يأخذ السبايا فيختار منهن واحدة ثم يوزع على رجاله مابقي واحدة واحدة .ولم يعرف أن أحداً منهم اختار لنفسه عدة منهن أو وهب لاحد رجاله كذلك دفعة واحدة

السؤال الثاني

على أي صورة كان الناس يعملون بهذه العادة في بلاد العرب خاصة ؟

(ج) كان عملهم على النحو الذي ذكرته: إما بالتزوج واحدة بعد واحدة أو بالتسري وأخذ سرّية بعد أخرى أو جمع سرية إلى زوجة أو زوجة إلى سرّية ،ولم يكن النساء الا متاعا للشهوة لا يرعى فيهن حق ،ولا يؤخذ فيهن بعدل ،حتى جاء الاسلام فشرع لهن الحقوق وفرض فيهن العدل

السؤال الثالث

كيف أصلح نبينا صلى الله عليه وسلم هذه العادة وكيف كان يفهمها؟

جاء ﷺ وحال الرجال مع النساء كما ذكرنا لافرق بين متزوجة وسرية في المعاملة ،ولا حد لما ينبغي الرجل من الزوجات ،فأراد الله أن يجعل في شرعه ﷺ رحمة بالنساء وتقريراً لحقوقهن ، وحكما عدلا يرتفع به شأنهن ، وليس الامر كما يقول كتبة الاوربيين أن ما كان عند العرب عادة جعله الاسلام دينا ،وانما أخذ الافرنج ماذهبوا اليه من سوء استعمال المسلمين لدينهم وليس له مأخذ صحيح منه

حكم تعدد الزوجات جاء في قوله تعالى في سورة النساء (وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم)

كان الرجل من العرب يكفل اليتيمة فيعجبه جمالها ومالها فان كانت تحل له تزوجها وأعطاها من المهر دون ماتستحق وأساء صحبتها وقتر في الانفاق عليها وأكل مالها ،فنهى الله المؤمنين عن ذلك وشدد عليهم في الامتناع عنه ، وأمرهم أن يؤتوا اليتامى أموالهم ،وحذرهم من أن يأكلوا أموالهم الى أموالهم، ثم قال لهم ان كان ضعف اليتيمات يجركم الى ظلمهن وخفتم أن لا تقسطوا فيهن اذا تزوجتموهن وأن يطغى فيكم سلطان الزوجية فتأكلوا أموالهن وتستذلوهن ، فدونكم النساء سواهن فانكحوا مايطيب لكم منهن من ذوات جمال ومال من واحدة الى أربع . ولكن ذلك على شرط أن تعدلوا بينهن فلا يباح لاحد من المسلمين أن يزيد في الزوجات على واحدة الا اذا وثق بأن يراعي حق كل واحدة منهن ويقوم

بينهن بالقسط .ولا يفضل احداهن على الأخرى في أي أمر حسن يتعلق بحقوق الزوجية التي تجب مراعاتها. فاذا ظن أنه اذا تزوج فوق الواحدة لا يستطيع العدل وجب عليه أن يكتفي بواحدة فقط .فتراه قد جاء في أمر تعدد الزوجات بعبارة تدل على مجرد الاباحة على شرط العدل ،فان ظن الجور منعت الزيادة على الواحدة ،وليس في ذلك ترغيب في التعدد بل فيه تبغيض له ،وقد قال في الآية الاخرى(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما) فاذا كان العدل غير مستطاع والخوف من عدم العدل يوجب الاقتصار على الواحدة فما أعظم الحرج في الزيادة عليها! فالاسلام قد خفف الاكثار من الزوجات ووقف عند الاربعة ثم انه شدد الامر على المكثرين الى حد لو عقلوه لما زاد واحد منهم على الواحدة

وأما المملوكات من النساء فقد جاء حكمهن في قوله تعالى(أو ما ملكت أيمانكم) وهو إباحة الجمع بينهن وإن لم يكن من الرجل عدل فيهن لان المملوكة لاحق لها ،ولمالكها أن يتركها للخدمة ولا يضاجعها البتة وقد اتفق المسلمون على أنه يجوز للرجل أن يأخذ من الجواري ما يشاء بدون حصر ،ولكن يمكن لقائل أن يفهم من الآية غير ذلك ،فان الكلام جاء مرتبطا باباحة العدد إلى الاربعة فقط وأن الشرط في الاباحة التحقق من العدل ،فيكون المعنى أنه إذا خيف الجور وجب الاقتصار على الواحدة من الزوجات ،أو أخذ العدد المذكور مما ملكت الايمان ،فلا يباح من النساء مافوق الاربع على كل حال ،ويباح الاربع بدون مراعاة للعدل في المملوكات دون الزوجات ،لأن المملوكات ليس لهن حقوق في العشرة

على ساداتهن ، إلا ما كان من حقوق العبد على سيده. وحق العبد على سيده أن يطعمه ويكسوه وأن لا يكلفه من العمل في الخدمة مالا يطيق، أما ان ان يمتعه بما تتمتع به الزوجات فلا (١)

وقد ساء استعمال المسلمين لما جاء في دينهم من هذه الاحكام الجليلة فأفرطوا في الاستزادة من عدد الجواري، وأفسدوا بذلك عقولهم وعقول ذراريهم بمقدار ما اتسعت لذلك ثروتهم

أما الاسرى اللاتي يصح نكاحهن فهن أسرى الحرب الشرعية التي قصد بها المدافعة عن الدين القويم أو الدعوة اليه بشروطها ولا يكن عند الاسر إلا غير مسلمات ، ثم يجوز بيعهن بعد ذلك وإن كن مسلمات ، وأما مامضى المسلمون على اعتياده من الرق وجرى عليه عملهم في الازمان الاخيرة فليس من الدين في شيء فما يشترونه من بنات الجراكسة المسلمين اللاتي يبيعهن أباؤهن وأقاربهن طلبا للرزق ، أو من السودانيات اللاتي يتخطفهن الاشقياء السلبة المعروفون بالاسيرجية فهو ليس بمشروع ولا معروف في دين الاسلام وإنما هو من عادات الجاهلية لكن لا جاهلية العرب بل جاهلية السودان والجركس

وأما جواز إبطال هذه العادة أي عادة تعدد الزوجات فلا ريب فيه

السؤال الرابع

هل يجوز تعدد الزوجات إذا غلبت مفسدته «٢»

«١» هذا هو المنصوص في فقه المذاهب المشهورة . ولكن قالوا بأن مايجب للزوجة يستحب للسرية وفي كتب الحنابلة قول بانه يجب على السيد ان يحصن مملوكه ومملوكته بالزواج بشرطه (٢) ذكر السؤال الرابع ليس من الاصل الذي عندنا بل زدناه للايضاح وكونه مقصودا لذاته

أما (أولا) فلأن شرط التعدد هو التحقق من العدل وهذا الشرط مفقود حتما فان وجد في واحد من المليون فلا يصح أن يتخذ قاعدة، ومتى غلب الفساد على النفوس وصار من المرجح أن لا يعدل الرجال في زوجاتهم جاز للحاكم أو للعالم [1] أن يمنع التعدد مطلقا مراعاة للاغلب

(وثانيا) قد غلب سوء معاملة الرجال لزوجاتهم عند التعدد وحرمانهن من حقوقهن في النفقة والراحة ولهذا يجوز للحاكم وللقائم على الشرع أن يمنع التعدد دفعا للفساد الغالب

(وثالثا) قد ظهر أن منشأ الفساد والعداوة بين الاولاد هو اختلاف أمهاتهم فان كل واحد منهم يتربى على بغض الآخر وكراهته فلا يبلغ الاولاد أشدهم إلا وقد صار كل منهم من أشد الاعداء للآخر ويستمر النزاع بينهم إلى أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي الظالمين، ولهذا يجوز للحاكم أو لصاحب الدين أن يمنع تعدد الزوجات والجواري معا صيانة للبيوت عن الفساد .

نعم ليس من العدل أن يمنع رجل لم تأت زوجته منه باولاد أن يتزوج أخرى ليأتي منها بذرية فان الغرض من الزواج التناسل فاذا كانت الزوجة عاقراً فليس من الحق أن يمنع زوجها من أن يضم اليها أخرى

وبالجملة فيجوز الحجر على الازواج عموما أن يتزوجوا غير واحدة الا لضرورة تثبت لدى القاضي ولا مانع من ذلك في الدين البتة وإنما الذي يمنع ذلك هو العادة فقط اه

(المنار) هذا نص الفتوى وهي مبنية على قاعدة جواز منع كل مباح ثبت

---

(١) المنار : اي جاز للحاكم حكما وللعالم افتاء

ضرر استعماله لدى أولي الامر ، ومنه منع حكومة مصر لصيد بعض الطيور التي تأكل حشرات الزرع فيسلم من الهلاك ، ومنع ذبح عجول البقر أحياناً للحاجة إليها في الزراعة مع قاعدة اعطا الفـ ـاد الغالب حكم العام. ثم استثنى من منع تعدد الزوجات ماكان لغرض شرعي صحيح وهو طلب النسل، أقول ومثله ماكان لضرورة اخرى تثبت لدى الحاكم الشرعي ، وهذه الضرورات لا يسهل حصرها في عدد معين . ومن أظهرها أن تصاب لزوجة الاولى بمرض يحول دون الاستمتاع الذي يحصل به الاحصان ، ومنها وصولها الى سن اليأس مع امكان النسل منه ، فالاحصان المانع من العنت ـ أي اندفاع الطبع الى الزنا ـ من اغراض الزواج الشرعية ، ومفاسد الزنا ومضاره أكبر من مفاسد تعدد الزوجات ومضاره فانه يولد الامراض ويقلل النسل ويوقع العداوة بين الازواج ، ويفسد نظام البيوت ويضيع الثروة . وانما أباح الاسلام التعدد المعين بشرط ارادة العدل والقدرة على النفقة لدفع مفاسد وتقرير مصالح متعددة جعلته من الضرورات الاجتماعية في أمة ذات دولة وسلطان فرض عليها تنفيذ شريعتها ، وحماية بيضتها ، وتدين الله بالفضيلة فهي تحرم الزنا ، وهي عرضة لان يقل فيها الرجال ويكثر النساء بالحروب وغيرها حتى يكون من مصلحتهن أن يكفل الرجل اثنتين أو أكثر منهن.

وما ذكره رحمه الله من مفاسد التعدد ليس سببه التعدد وحده لذاته بل يضم اليه فساد الاخلاق وضعف الدين وقد كان يعرف من ذلك مايقل أن يعرفه غيره من أهل البصيرة والخبرة لشدة غيرته وعنايته بالاصلاح ، وهو الذي كان يؤلم قلبه ويذهله عما لهذه الضرورة الاجتماعية من الفوائد التي أشرنا الى أهمها . ولعمري إن ما عرفناه نحن هنا من قلة احترام ميثاق الزوجية ومن كثرة تعدد الزوجات وكثرة مفاسده لا نعرف له نظيرا في غير هذه البلاد المصرية من بلاد الاسلام . وقد فصلنا القول في هذه المسئلة في تفسير آية النساء بعد أن أوردنا ما قاله شيخنا في تفسيرها في درسه فليراجعه في الجزء الرابع من التفسير من شاء أن يزداد بيانا في المسألة

﴿ حكمة تعدد أزواج النبي ﷺ ﴾

جاءنا السؤال الآتي من الباحثة الفاضلة صاحبة الامضاء من طنطا مع كتاب قالت فيه انها عرضته على الاستاذ الشيخ محمود الغراب المحامي فأجابها بجواب ارتاحت له بعض الارتياح وتود ان تزداد علماً وبصيرة في موضوعه فأرسلته الينا مع الجواب لننشره في المنار ونعلق عليه بما عندنا في موضوعه وهذا نص السؤال ويليه الجواب:

سيدي الاستاذ

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد لما كان أساس ديننا القويم اليقين فقد أباح لنا البحث والسؤال ، بل وحثنا عليهما ، ولما أعرفه عنكم من وافر العلم وسعة الاطلاع أتقدم إلى فضيلتكم بسؤال أرجو التكرم بالاجابة عليه ليرتاح ضميري ولكم مني وافر الشكر ومن الله عظيم الاجر ، أما السؤال فهو

ماهي الحكمة في أن الله تعالى أباح للنبي عليه السلام التزوج بأكثر من أربع ؟ إن عللنا ذلك بكثرة النسل فانه لم يرزق من بعضهن بولد ، وإن عللناه بأن الله أراد أن يمتعه (ولا مؤاخذة) قلنا أن مقام النبوة أرفع من ذلك . إني أعرف سبب زواجه بواحدة كانت زوج شخص تبناه إذ جاء ذكر زواجها في القرآن الكريم (زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) ألخ . وأما غيرها فلا أعرف سبب زواجه بهنّ وحكمته وأني لمثلي أن تدركه ، وهذا النوع من البحث لايدركه إلا العلماء والباحثون فلعلكم مجيبون ببيان واف ولفضيلتكم عظيم احترامي

بهيجه ضيا

﴿ جواب الاستاذ الشيخ محمود الغراب ﴾

سيدتي المحترمة

سألت عن مسألة كثر فيها الكلام وزلت فيها أقدام وهي بين قائل بأنه عليه الصلاة والسلام خص من الله باباحة الزيادة على أربع في الزوجات وأن ذلك ثبت له إلى وفاته . وبين مستنكر لذلك قائلا إن محمداً شرع للناس مالم يعمل به في خاصة نفسه .

ولكني ياسيدتي مؤمن على كل حال بأن هذا الرسول الذي قال فيه الكبير المتعال (وإنك لعلى خلق عظيم) والذي قال فيه (ماضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) كل عمل يصدر منه لايكون إلا عن حكمة علمناها أوعجزنا عن ادراكها ، إلا أن طبيعة الانسان تأبى إلا أن يتعرف سر الكائنات، فمنهم من يصل ومنهم من يعجز ، وهذا الفريق منه المسلم بعجزه، ومنه من يلقي تبعة جهله على غيره ، وليس في البحث لقصد العلم مايعد غضاضة على النفس . ولكن نفوساً دأبها الشك حتى في أسمى المقامات ، وأعلى طبقات المخلوقات ، فتلك لايريحها بيان ، ولا يقنعها إنسان ، فمن العبث الاسترسال معها في جدل . وأنت بحمد الله ذات نفس مطمئنة فما وصلت إلى تعرف أسراره كان لك أجر اجتهاده . ومالم تصلي اليه وسلمت فيه بالعجز كان لك حسن الاعتقاد أكبر شفيع :

هذه المسألة ياسيدتي كل ماأعلمه فيها عمن تعرض لهذا البحث أنها من خصوصياته عليه السلام ، بمعنى أنه عليه السلام بعدأن شرع قصر الرجال على أربع من النساء كان يحل له التزوج من غير أن يتقيد بهذا العدد . ولكن ياسيدتي من تتبع أصل التشريع في ذلك يرى أن النبي عليه السلام كان مضيقاً عليه في هذا أكثر من أمته ، ولم يكن له تشريع خاص لقصد التوسعة عليه في هذا الأمر

إذ من المعلوم أنه قبل أن يشرع تحديد عدد الزوجات بأربع كان يحل لكل رجل أن يجمع في عصمته من النساء ماشاء من العدد ، لافرق بين نبي وغيره ، بل الكل كان في ذلك سواء . فلما جاء التشريع الخاص بالعدد أمر النبي من عنده زيادة على أربع أن يمسك أربعاً ويفارق الباقي ، وشرع الطلاق وحل استبدال المرأة بغيرها ، أما بالنسبة للنبي عليه السلام فجاء التخيير من الله تعالى لزوجاته (ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) فاخترن الطرف الثاني فأكرمن بأن اعتبرن أمهات المؤمنين ، وقصر عليه السلام عليهن فقط من بين نساء المؤمنين

كزوجات ، وحرم عليه طلاقهن ومنع من استبدالهن بغيرهن ، وفي ذلك تضييق شديد بالنسبة لما أجيز لأمته ، وفي ذلك يقول الله تعالى (يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي * لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ماملكت يمينك)

وكان في عصمته إذ ذاك تسع من النساء بقين في عصمته إلى أن لحق بالرفيق الاعلى . ولم يمسك النبي عليه السلام أربعاً ويفارق من عداهن كما أمر غيره بذلك لحكمة ظاهرة. هي أن الله اعتبرهن أمهات المؤمنين فحرم على الغير . فلو جاز طلاقهن وصرن لا إلى أزواج لكان في ذلك حرج شديد يأباه الشرع ، ولأنهن لما خيرن واخترن الله ورسوله حرم طلاقهن ، ولو أن احداهن أو كلهن اخترن فراقه عليه السلام لوجب عليه فراقها قبل أن يشرع في حقهن هـذا التشريع الخاص بهن فالخصوصية في الحقيقة إنما كانت لأزواجه عليه السلام لا له ، لما قدمناه من الحكمة .

فالحقيقة أن النبي لم يكن له أن يتزوج بأكثر من أربع بعد التشريع الخاص بذلك ولم يكن عليه السلام ممن يرغبون في الاكثار من الزوجات لغرض الرجل من المرأة ، يدلك على ذلك أنه اقترن بالسيدة خديجة أولى زوجاته وكانت ممن ولد مثله عليه السلام لمثلها ، وقضى معها زهرة شبابه حتى شغل بأمر الوحي والتبليغ وكان زواجه بها عن رغبة منها هي ولو أراد غيرها لكان .

ولكن ظروف الدعوة إلى الدين قضت بأن يصاهر كثيراً وبالاخص كان أصحابه يعرضون عليه بناتهم كأبي بكر لغرض أن ينال بمصاهرته أكبر شرف وكان النسب والمصاهرة عند العرب من دواعي النصرة والحماية ، ولم يكن ذلك محظوراً فلم ير مانعاً من أن يحقق هذه الرغبات حتى جاء التشريع الخاص بذلك فكان هو في حالة لاتعتبر تيسيراً بالنسبة لمن عداه .

هذا هو رأيي ياسيدي أقدمه بكل احترام وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما بحثت والسلام ؟

محمود الغراب

(المنار) سبق لنا بيان لحكمة تعدد أزواجه (ص) بالاجمال والتفصيل وسنعود الى تلخيصه مع زيادة بعض الفوائد في جزء تال ان شاء الله تعالى

﴿ استقلال مملكة ابن السعود ﴾

(س١) من صاحب الامضاء في (بونس ايرس) عاصمة الارجنتين

جناب حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا الافخم

من بعد التحية والسلام : أرجو الافادة على سؤالي الآتي ولكم منا مزيد الثناء بذلك : هل مملكة ابن سعود مستقلة استقلالا تاما مطلقاً في كل شؤونها الداخلية والخارجية أم لا ؟ وإذا لم كانت من هي الدولة الوصية عليها والسلام

الداعي سعيد يوسف مراد

من شركة مراد اخوان

(ج) إن مملكة ابن السعود مستقلة استقلالا تاما مطلقاً لا وصاية عليها للدولة من الدول وليس فيها موظف أجنبي إلا بعض قناصل للدول التي لها رعايا من المسلمين في جدة من عهد حكم الترك اه وقد سئلت مجلة المقتطف هذا السؤال فأجابت بمثل هذا الجواب ، ومن الادلة على فسخ الاتفاق القديم مع الانكليز الخاص بنجد أنه أخذ بلاد الحجاز بالسيف وعقد معاهدة سابقة مع السيد الادريسي ثم معاهدة أخرى جعلت بلاد الادريسي كلها تحت حمايته

﴿ البناء على القبور ومن استثنى من تحريمه قبور الانبياء والصالحين ﴾

(س٢) لصاحب الامضاء في (أوغانده)

إلى حضرة جلالة (؟) الاستاذ الكامل الشيخ الفاضل محمد رشيد رضا حفظه الله تعالى . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فهذا سؤال موجهاً لحضرتكم الشريفة عن البناء على القبور من كتاب تنوير القلوب لصاحبه محمد أمين الكردي

نسباً النقشبندي مذهباً بصحيفة ٢١٣ مانصه (ويحرم البناء على المقبرة الموقوفة إلا لنبي أو شهيد أو عالم أو صالح) هل المراد من فحوى كلامه هنا الحوش المستدير على قبر النبي أو الشهيد أو العالم أو الصالح كما يفيده استثناؤه أو نفس البناء عليه بالجص والاجر وعلى كلا الحالين لأي شيء يحل له ويحرم لما عداه ؟ وهل يحل أيضاً لما عدا قبر غير النبي أو العالم فيما اذا كانت المقبرة غير موقوفة أليس منع البناء على المقابر مطلقاً كما علم بالضرورة ومع هذا إنكم صرحتم بعدم الجواز في عدة مواضع بمجلتكم الغراء أفيدونا بالجواب ولكم الاجر والثواب والسلام

مقبل فاضل

أوغانده مبالي

(ج) إن كلام هذا الكردي شرع لم يأذن به الله ، ولا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فليس لنا أن نبحث عن مراده منه بل هو مردود عليه ، وأنتم في غنى عنه بما نشرناه في المنار مراراً من الاحاديث الصحيحة في تحريم البناء على قبور الانبياء والصالحين ، ويؤخذ منها أن قبورهم هي المقصودة بالحظر أولا وبالذات ، لافتتان الاولين والآخرين بها وعبادتها بالتعظيم والطواف والدعاء وغير ذلك كالحديث المتفق عليه في أهل الكتاب « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ... أولئك شرار الخلق عند الله » وعند ابن سعد « إن من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وسواء فيما بني على قبر النبي أو الصالح أكان مسجداً أم غير مسجد فان مقصد الشارع سد ذريعة تعظيم قبورهم أو تعظيمهم بما لا يبيحه الشرع من الدعاء والنذر وأمثال ذلك مما هو خاص بالله تعالى كالحلف أو خاص ببيته كالطواف . وما ذكره الفقهاء من تحريم البناء في المقبرة المسبلة فله مدرك آخر يشمل الصالح والطالح وهو تصرف الانسان في الوقف بغير ماوقف عليه ومثله التصرف في ملك غيره كما هو ظاهر

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

مذهب عثمان (رض) في قصر الصلاة

وأما إتمام عثمان فالذى ينبغي أن يحمل حاله على ما كان يقول لا على مالم يثبت عنه فقوله انه بلغني أن قوما يخرجون إما لتجارة وإما لجباية وإما لجريم يقصرون الصلاة وإنما يقصر الصلاة من كان شاخصا أو بحضرة عدو ، وقوله بين فيه مذهبه وهو أنه لا يقصر الصلاة من كان نازلا في قرية أو مصر إلا إذا كان خائفا بحضرة عدو وإنما يقصر من كان شاخصا أي مسافراً وهو الحامل للزاد والمزاد أي للطعام والشراب، والمزاد وعاء الماء ، يقول إذا كان نازلا مكانا فيه الطعام والشراب كان مترفها بمنزلة المقيم فلا يقصر لان القصر إنما جعل للمشقة التي تلحق الانسان وهذا لا تلحقه مشقة .فالقصر عنده للمسافر الذي يحمل الزاد والمزاد وللخائف ولما عمرت منى وصار بها زاد ومزاد لم ير القصر بها لا لنفسه ولا لمن معه من الحاج ، وقوله في تلك الرواية : ولكن حدث العام. لم يذكر فيها ماحدث فقد يكون هذا هو الحادث ، وان كان قد جاءت الجهال من الاعراب وغيرهم يظنون أن الصلاة أربع فقد خاف عليهم أن يظنوا أنها تفعل في مكان فيه الزاد والمزاد أربعا وهذا عنده لا يجوز ،وان كان قد

تأهل بمكة فيكون هذا أيضا موافقا فانه إنما تأهل بمكان فيه الزاد والمزاد وهو لا يرى القصر لمن كان نازلا باهله في مكان فيه الزاد والمزاد. وعلى هذا فجميع ما ثبت في هذا الباب من عذره يصدق بعضه بعضا

وأما ما اعتذر به الطحاوي من أن مكة كانت على عهد النبي ﷺ اعمر من منى في زمن عثمان فجواب عثمان له ان النبي ﷺ في عمرة القضية ثم في غزوة الفتح ثم في عمرة الجعرانة كان خائفا من العدو وعثمان يجوز القصر لمن كان خائفا وان كا نازلا في مكان فيه الزاد والمزاد فانه يجوزه للمسافر ومن كان بحضرة العدو، واما في حجة الوداع فقد كان النبي ﷺ آمنا لكنه لم يكن نازلا بمكة وإنما كان نازلا بالابطح خارج مكة هو وأصحابه فلم يكونوا نازلين بدار إقامة ولا بمكان فيه الزاد والمزاد. وقد قال أسامة أين تنزل غدا هل تنزل بدارك بمكة؟ فقال «وهل ترك لنا عقيل من دار أو منزل» يخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر وهذا المنزل بالابطح بين المقابر ومنى

وكذلك عائشة رضي الله عنها اخبرت عن نفسها أنها انما تتم لان القصر لاجل المشقة وان الاتمام لا يشق عليها، والسلف والخلف تنازعوا في سفر القصر في جنسه وفي قدره فكان قول عثمان وعائشة أحد أقوالهم فيها.

وللناس في جنس سفر القصر أقوال أخر مع ان عثمان قد خالفه علي وابن مسعود وعمران بن الحصين وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابن عباس وغيرهم من علماء الصحابة فروى سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن ابيه قال احتل عثمان وهو بمنى فاتى علي فقيل له صل بالناس فقال إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله ﷺ ركعتين قالوا لا الا صلاة

امير المؤمنين يعنون اربعا ، فأبى وفي الصحيحين عن ابن مسعود [1]

الخلاف في جواز اتمام الرباعية في السفر

وقد تنازع الناس في الاربع في السفر على أقوال (أحدها) أن ذلك بمنزلة صلاة الصبح أربعا وهذا مذهب طائفة من السلف والخلف وهو مذهب أبي حنيفة وابن حزم وغيره من أهل الظاهر . ثم عند أبي حنيفة اذا جلس مقدار التشهد تمت صلاته والمفعول بعد ذلك كصلاة منفصلة قد تطوع بها ، وإن لم يقعد مقدار التشهد بطلت صلاته ، ومذهب ابن حزم وغيره أن صلاته باطلة كما لو صلى عندهم الفجر أربعا

وقد روى سعيد في سننه عن الضحاك بن مزاحم قال : قال ابن عباس من صلى في السفر أربعا كمن صلى في الحضر ركعتين . قال ابن حزم : وروينا عن عمر بن عبد العزيز وقد ذكر له الاتمام في السفر لمن شاء فقال: لا ، الصلاة في السفر ركعتان حتمان لا يصح غيرهما ، وحجة هؤلاء أنه قد ثبت أن الله انما فرض في السفر ركعتين والزيادة على ذلك لم يأت بها كتاب ولا سنة ، وكل ماروي عن النبي ﷺ من أنه صلى أربعا أو أقر من صلى أربعا فانه كذب

وأما فعل عثمان وعائشة فتأويل منهما أن القصر انما يكون في بعض

«١» المنار: ههنا بياض بالاصل والمروي فيهما عنه بهذه المسألة أنه قيل له في منى إن عثمان صلى بالناس أربعاً فاسترجع وقال : صليت مع رسول الله (ص) بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر الصديق (رض) بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان

الاسفار دون بعض كما تأول غيرهما أنه لا يكون إلا في حج أو عمرة أو جهاد ثم قد خالفهما أئمة الصحابة وأنكروا ذلك . قالوا : لان النبي ﷺ قال « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » فأمر بقبولها والامر يقتضي الوجوب . ومن قال يجوز الامران فعمدتهم قوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قالوا وهذه العبارة انما تستعمل في المباح لا في الواجب كقوله (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) وقوله (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) ونحو ذلك ، واحتجوا من السنة بما تقدم من أن النبي ﷺ حسن لعائشة اتمامها وبما روي من أنه فعل ذلك واحتجوا بأن عثمان اتم الصلاة بمنى بمحضر الصحابة فأتموا خلفه وهذه كلها حجج ضعيفة .

أما الآية فنقول قد علم بالتواتر أن النبي ﷺ انما كان يصلي في السفر ركعتين وكذلك أبو بكر وعمر بعده وهذا يدل على أن الركعتين أفضل كما عليه جماهير العلماء ، واذا كان القصر طاعة لله ورسوله وهو أفضل من غيره لم يجز أن يحتج بنفي الجناح على أنه مباح لا فضيلة فيه ، ثم ما كان عذرهم عن كونه مستحباً هو عذر لغيرهم عن كونه مأموراً به أمر إيجاب ، وقد قال تعالى في السعي (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما) والطواف بين الصفا والمروة هو السعي المشروع باتفاق المسلمين وذلك إما ركن وإما واجب وإما سنة ، وأيضاً فالقصر وإن كان رخصة استباحة المحظور فقد تكون واجبة كأكل الميت للمضطر والتيمم

لمن عدم الماء ونحو ذلك ، هذا إن سلم ان المراد به قصر العدد ، فان الناس في الآية ثلاثة أقوال : قيل المراد به قصر العدد فقط وعلى هذا فيكون التخصيص بالخوف غير مفيد (والثاني) أن المراد به قصر الاعمال فان صلاة الخوف تقصر عن صلاة الامن والخوف يبيح ذلك ، وهذا يرد عليه أن صلاة الخوف جائزة حضراً وسفراً والآية أفادت القصر في السفر (والقول الثالث) وهو الاصح أن الآية أفادت قصر العدد وقصر العمل جميعاً ولهذا علق ذلك بالسفر والخوف فاذا اجتمع الضرب في الارض والخوف أبيح القصر الجامع لهذا ولهذا ، واذا انفرد السفر فانما يبيح قصر العدد ، واذا انفرد الخوف فانما يفيد قصر العمل

ومن قال إن الفرض في الخوف والسفر ركعة كأحد القولين في مذهب احمد وهو مذهب ابن حزم فمراده اذا كان خوف وسفر فيكون السفر والخوف قد أفادا القصر إلى ركعة كما روى أبو داود الطيالسي ثنا المسعودي هو عبد الرحمن بن عبدالله عن يزيد الفقير قال سألت جابر بن عبدالله عن الركعتين في السفر أقصرهما ، قال جابر لا : فان الركعتين في السفر ليستا بقصر انما القصر ركعة عند القتال

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة . قال ابن حزم : ورويناه أيضا من طريق حذيفة وجابر وزيد بن ثابت وأبي هريرة وابن عمر عن النبي ﷺ بأسانيد في غاية الصحة . قال ابن حزم : وبهذه الآية قلنا إن صلاة الخوف في السفر ان شاء ركعة وإن شاء ركعتين لانه جاء في القرآن بلفظ (لا جناح) لا بلفظ الامر والايجاب وصلاها الناس مع النبي

ﷺ مرة ركعة فقط ومرة ركعتين فكان ذلك على الاختيار كما قال جابر

وأما صلاة عثمان فقد عرف انكار أئمة الصحابة عليه ومع هذا فكانوا يصلون خلفه ، بل كان ابن مسعود يصلي أربعا وان انفرد ويقول الخلاف شر وكان ابن عمر اذا انفرد صلى ركعتين . وهذا دليل على أن صلاة السفر أربعا مكروهة عندهم ومخالفة للسنة ومع ذلك فلا اعادة على من فعلها واذا فعلها الامام اتبع فيها ، وهذا لان صلاة المسافر ليست كصلاة الفجر ، بل هي من جنس الجمعة والعيدين ، ولهذا قرن عمر بن الخطاب في السنة التي نقلها بين الاربع فقال : صلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة المسافر ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افترى . رواه احمد والنسائي من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : قال عمر ، ورواه يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن زبيد الايامي(١) عن عبد الرحمن فهذه الاربعة ليست من جنس الفجر

ومعلوم أنه يوم الجمعة يصلي ركعتين تارة ويصلي أربعا أخرى ومن فاتته الجمعة انما يصلي أربعا لا يصلي ركعتين وكذلك من لم يدرك منها ركعة عند الصحابة وجمهور العلماء كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدركها » واذا حصلت شروط الجمعة خطب خطبتين وصلى ركعتين فلو قدر انه خطب وصلى الظهر أربعا لكان تاركا للسنة ومع هذا فليسوا كمن صلى الفجر أربعا ولهذا يجوز

(١) كذا والصواب اليامي ، قال في تقريب التهذيب : زبيد بموحدة مصغر ابن الحارث أبو عبد الله الكريم بن عمرو بن كعب اليامي بالتحتانية ، أبو عبد الرحمن الكوفي ثقة ثبت عابد من السادسة مات سنة ثنتين وعشرين أو بعدها .

المريض والمسافر والمرأة وغيرهم ممن لا تجب عليهم الجمعة أن يصلي الظهر أربعا ان يأتم به في الجمعة فيصلي ركعتين فكذلك المسافر له أن يصلي ركعتين وله أن يأتم بمقيم فيصلي خلفه أربعا فان قيل الجمعة يشترط لها الجماعة فلهذا كان حكم المنفرد فيها خلاف حكم المؤتم

وهذا الفرق ذكره أصحاب الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد قيل لهم اشتراط الجماعة في الصلوات الخمس فيه نزاع في مذهب أحمد وغيره والأقوى انه شرط مع القدرة وحينئذ المسافر لما ائتم بالمقيم دخل في الجماعة الواجبة فلزمه اتباع الامام كما في الجمعة ، وان قيل فللمسافرين أن يصلوا جماعة قيل ولهم أن يصلوا يوم الجمعة جماعة ويصلوا أربعا ، وصلاة العيد قد ثبت عن علي انه استخلف من صلى بالناس في المسجد أربعا ركعتين للسنة وركعتين لكونهم لم يخرجوا إلى الصحراء ، فصلاة الظهر يوم الجمعة وصلاة العيدين تفعل تارة ثنتين وتارة أربعا كصلاة المسافر بخلاف صلاة الفجر ، وعلى هذا تدل آثار الصحابة فانهم كانوا يكرهون من الامام أن يصلي أربعا ويصلون خلفه كما في حديث سلمان وحديث ابن مسعود وغيره مع عثمان ولو كان ذلك عندهم كمن يصلي الفجر أربعا لما استجازوا أن يصلوا أربعا كما لا يستجيز مسلم أن يصلي الفجر أربعا

ومن قال انهم لما قعدوا قدر التشهد أدوا الفرض والباقي تطوع قيل له : من المعلوم انه لم ينقل عن أحدهم انه قال نوينا التطوع بالركعتين وأيضا فان ذلك ليس بمشروع فليس لأحد أن يصلي بعد الفجر ركعتين بل قد أنكر النبي ﷺ على من صلى بعد الاقامة السنة وقال الصبح أربعا وقد صلى قبل الامام فكيف إذا وصل الصلاة بصلاة وقد ثبت في

الصحيح ان النبي ﷺ نهى أن توصل صلاة بصلاة حتى يفصل بينهما بكلام أو قيام

وقد كان الصحابة ينكرون على من يصلي الجمعة وغيرها بصلاة تطوع فكيف يسوغون ان يصلي الركعتين في السفر ان كان لا يجوز الا ركعتان بصلاة تطوع ، وأيضا فلماذا وجب على المقيم خلف المسافر أن يصلي أربعا كما ثبت ذلك عن الصحابة وقد وافق عليه أبو حنيفة وأيضا فيجوز أن يصلي المقيم أربعا خلف المسافر ركعتين كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه يفعلون ذلك ويقولون أتموا صلاتكم فانا قوم سفر

وهذا مما يبين ان صلاة المسافر من جنس صلاة المقيم فانه قد سلم جماهير العلماء أن يصلي هذا خلف هذا كما يصلي الظهر خلف من يصلي الجمعة وليس هذا كمن صلى الظهر قضاء خلف من يصلي الفجر

وأما من قال ان المسافر فرضه أربع وله أن يسقط ركعتين بالقصر فقوله مخالف للنصوص واجماع السلف والاصول وهو قول متناقض فان هاتين الركعتين يملك المسافر اسقاطهما لا الى بدل ولا الى نظيره وهذا يناقض الوجوب فانه يمتنع أن يكون الشيء واجبا على العبد ومع هذا لا يلزمه فعله ولا فعل بدله ولا نظيره فعلم بذلك أن الفرض على المسافر الركعتان فقط ، وهذا الذي يدل عليه كلام أحمد وقدماء الصحابة فانه لم يشترط في القصر نية وقال لا يعجبني الأربع وتوقف في إجزاء الأربع ولم ينقل أحد عن أحمد انه قال لا يقصر الا بنية وانما هذا من قول الخرقي ومن اتبعه ونصوص أحمد وأجوبته كلها مطلقة في ذلك كما قاله جماهير العلماء وهو اختيار أبي بكر موافقة لقدماء الأصحاب كالخلال وغيره

بل والاثرم وأبي داود وابراهيم الحربي وغيرهم فانهم لم يشترطوا النية لا في قصر ولا في جمع، واذا كان فرضه ركعتين فاذا أتى بهما أجزأه ذلك سواء نوى القصر أو لم ينوه وهذا قول الجماهير كمالك وأبي حنيفة وعامة السلف. وما علمت أحداً من الصحابة والتابعين لهم باحسان اشترط نية لا في قصر ولا في جمع ولو نوى المسافر الاتمام كانت السنة في حقه الركعتين. ولو صلى أربعا كان ذلك مكروها كما لم ينوه

ولم ينقل قط أحد عن النبي ﷺ انه أمر أصحابه لا بنية قصر ولا نية جمع ولا كان خلفاؤه وأصحابه يأمرون بذلك من يصلي خلفهم مع ان المأمومين أو أكثرهم لا يعرفون ما يفعله الامام فان النبي ﷺ لما خرج في حجته صلى بهم الظهر بالمدينة أربعا، وصلى بهم العصر بذي الحليفة ركعتين وخلفه أمم لا يحصي عددهم الا الله كلهم خرجوا معه يحجون معه وكثير منهم لا يعرفون صلاة السفر اما لحدوث عهده بالاسلام واما لكونه لم يسافر بعد لا سيما النساء الذين صلوا معه ولم يأمرهم بنية القصر وكذلك جمع بهم بعرفة ولم يقل لهم اني أريد أن أصلي العصر بعد الظهر حتى صلاها. (للكلام بقية)

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

يشابه مشرق القطر الاسلامي ومغربه فيما فشا فيهما من الجهل والبدع والخرافات التي أضعفت جميع شعوب الامة ، ويتشابهان أيضا فيما يشعر به العقلاء السليمو الفطرة من الحاجة إلى الاصلاح الديني الذي يتوقف عليه الاصلاح الاجتماعي والسياسي مع بقاء هداية الاسلام جامعة لهذه الشعوب مميزة لها كالفصل المنطقي المميز للنوع دون أنواع جنسه القريب .

ولدينا من مواد المجلد الثامن والعشرين من المنار رسالتان طويلتان في موضوع الاصلاح في المغرب الاقصى احداهما لاستاذ من شيوخه والاخرى لسائح تغلغل في تلك البلاد وهما ممن يرجع بهداية الذين إلى مذهب السلف الصالح في العصر الاول ويعول في المدنية وعزة الامة على أحدث فنون العصر ونظمه الملائمة لتلك الهداية وانا ننشرهما بالتدريج للتعاون بين الملوين ، وتبادل الشعور الذي تخفق له قلوب الامة في الخافقين . ونبدأ بالاولى وهي:

نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم

لصاحب الفضيلة الشيخ بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً (*

بسم الله الرحمن الرحيم

مني المسلمون في جميع بقاع الارض بفئة ضالة تقمصت الاسلام على ظهرها وأما قلوبها فقد ملئت عليه حقداً وحسداً حملاها على النكاية به ، والعمل على نقضه من أساسه ، ولولا أن الاسلام قوي بنفسه وبتعاليمه ، ولولا أنه نور من نور الله لاينطفيء أبداً ولو كره الملحدون الحاقدون ، لكانت المصيبة أدهى وأمر ولكن العاقبة للمسلمين. قال الله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال ﷺ «لا يزال

(*) لصاحب الامضاء الرمزي

طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة في كتاب الاعتصام في (باب قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم)

وقد اختارت هذه الفئة الضالة في كل عصر من أول الاسلام إلى يومنا هذا أقواما لنشر دعوتها من أعظم الابالسة وأبلغ الخطباء المصاقيع وأجرئهم على ذلك فلبسوا لبوس الاسلام ، ولابسوا قادة المسلمين من ملوك وعلماء ، وتظاهروا بالزهد ومحبة الاسلام والغيرة عليه وعلى أهله ، وصاروا يزيدون فيه ماليس منه ، ويستظهرون على ذلك برواية أحاديث بعضها صحيح ليستدرجوا الناس إلى قبول الموضوع ، ويتظاهرون بأن ذلك من تعظيم الاسلام ، فاستحوذوا بذلك على قلوب العامة لأنهم تبع للخاصة ، حتى كاد زمام العامة يصير في يدهم ، فصارت لهم بذلك مكانة ومنزلة عند الملوك وكبار الدولة وصاروا يتداخلون في كل شيء حتى في نصب الوزراء والقضاة وما أدراك ماهذه المكيدة ، وصاروا يحلون ويحرمون للملوك ويفتونهم بما فيه ضررهم وضرر الاسلام ، كل ذلك تحت ستار الزهد والتقشف ومكيدة مايشيعه أتباعهم من الكرامات الكاذبة الباردة الخ . وطوائف منهم خالطت عامة الناس ودونت لهم أقاويل وأوراقا كلها مشعوذة وتقوّل على الدين ومحاربة له وهدم لبنيانه ، وما قصة الحلاج بمجهولة

وبعد خراب البصرة ، استفاق العلماء من الغفلة وتجردوا للرد عليهم ، كابن حزم والغزالي وأبي بكر بن العربي المعافري وابن تيمية وابن القيم والامام محمد بن عبد الوهاب في نجد وغيرهم ، إلى أن قذف الله بنور من عنده بنابغة الدهر (السيد) جمال الدين الافغاني فنبه الامة الاسلامية من رقادها الطويل ، وصدع فيهم بأمر القرآن كأنه المعني بقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) وجاهد في الله حق جهاده ، ونشر علومه وهديه في الهند والفرس والافغان ومصر والاستانه (* وخلف رحمه الله تلاميذ

(*) المنار كان جل ماخدم به السيد امته بيان الخطر الاستعماري الذي ذهب بأكثر ممالكها ، واسباب ضعفها وما يقابله من بيان اسباب درء هذا الخطر بنهضة اسلامية ، ووحدة ملية ، يكون روحهما القرآن وصحيح الآثر ، والاتفاق

نبغاء في هذه الاقطار أعظمهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والعلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار وسعد زغلول باشا وغيرهم كثير

فقامت هذه الفئة القليلة بنشر محاسن الاسلام وبيان أصوله وسهولته وموافقته لكل زمان ومكان، وبالرد على المبتدعة والملحدة والجاحدة، فغلبت فئات كثيرة باذن الله لانها صبرت والله مع الصابرين ، قال جل علاه (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وما مناظرة جمال الدين الافغاني لرينان ببعيدة ، وأقرب منها رد الشيخ محمد عبده على هانوتو وردود صاحب المنار على الجامدين والملحدين في كل عدد من أعداد المنار معروفة ، وفي مقالات سعد باشا وخطبه وردوده — القاهرة على دهاقين السياسة أكبر شاهد على ماقلنا

في تلك الايام المحلولكة كان علماء الدين في الازهر وأياصوفيا والجامع الاموي والزيتونة ملازمين لظلهم يخافون من خياله رغماً عما نفخ فيهم الشيخ محمد عبده من كهرباء روحه الطاهرة ، وعما قرعهم به ووعظهم بالحجج الساطعة ، والآيات القاطعة ، إلى أن قام صاحب كتاب الاسلام وأصول والحكم فضرب على وجهه صفيحة من نحاس . . . . . .

. . . . . .

ولم يشهد التاريخ لها شيئاً في العالمين فغضب لذلك أسد الاسلام ومؤسس مناره السيد رشيد رضا وصفعه صفعة قضت على أمثاله ، ونبه مشيخة الازهر لعمل الواجب ضد ضلاله ، واذا غضب رشيد رضا رأيت العلماء العاملين كلهم غضاباً فقام حينئذ علماء الازهر بالامر خير قيام وأسقطوه من زمرة علماء المسلمين

حينئذ تنبه الازهريون فرأوا أنفسهم مسوقين بحبال الملحدين إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم ، فتحفزوا للوثوب إلى الميدان وبرزوا للمعركة أسوداً شم العرانين منشدين :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

الوطني في كل قطر مشترك ، كما هو مشروح في العروة الوثقى . فجل عمله في الشرق الاسلامي سياسي . وفي مصر وحدها سياسي وعلمي

وأول من برز للميدان وبز ، وحاز قصب السبق وأحرز ، الاستاذ الشيخ محمد بخيت دام بقاؤه ، فقد شحذ سيفه البتار ﴿ حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾ وضرب الملحدين ضربة قاضية أسقطتهم من صياصيهم التي كانت موضوعة على شفا جرف هار من آراء الضالين الاباحيين الذين يستدرجون الامة الاسلامية ليزيغوها عن دينها الذي هو أعظم حصن واقف للضالين بالمرصاد، فاذا أزاحوها عنه ، وتقمصت عقائد الاباحيين وفرطت في أثمن سلوة لها ، وابتليت بالاباحة المطلقة ، واستحلت الربا والخمر والزنا ، ورفعت الحجاب عن فتياتها ، واختلط الحابل بالنابل ، هنالك يجد الماليون مفاتيح الاستيلاء على المسلمين واستهواء قلوبهم ، زيادة على ملك رقابهم وأموالهم ، وهناك يصبح المسلمون لامفر لهم من الاستخذاء للماليين واستخدامهم في المعامل الجهنمية وجر الاثقال ومزاولة الاشغال الشاقة ليلا ونهاراً بأجور زهيدة لايستطيعون معها أن يأكلوا الخبز والزيت ، ولا يستطيعون أن يلبسوا إلا مايفضل عن الاوروباويين من صدار وقميص وسراويل وسخة متلاشية ، ونعال بالية متعفنة ، تكسو أكثر لابسيها أمراضاً متنوعة تذهب بأكثرهم إلى القبور ، دع عنك الحفاة والعراة والجائعين الذين هم أزيد من خمسين في المائة

هنالك تغلق المدارس والمعاهد الدينية ، وتملأ السجون والمارستانات ، هناك هناك ألخ هذه نتيجة مايدعو اليه الملحدون في مصر وغيرها

فكان الواجب على قادة الملحدين أن يختبروا مقاصد سادتهم ومسخريهم وإلى أي هوة يسوقونهم ، وفي أي مجزرة يذبحونهم

كان عليهم أن يتبينوا أحوال المسلمين في المستعمرات ويبحثوا عن معايشهم ومكاسبهم ومدارسهم ومصانعهم وصنائعهم ومتاجرهم ، ثم بعد الدرس العميق والبحث المتوالي يحكمون فاذا وجدوا الماليين يعاملونهم معاملة جميلة ويعلمونهم ويسهرون على مصالحهم كما يدعون فلا بأس حينئذ بالميل اليهم كما يريد بعض المتهاونين بالوطن

أما والحالة على النقيض وليس هناك إلا الفقر والجهل والاهانة والحرمان

والبؤس والشقاء ، فيظهر باديء بدء أن دعوة الملحدين لمواطنيهم إلى ماذكر غش وتدليس وخيانة فتجب مقاومتهم بكل مايمكن ويجب الاستعداد لمحاربتهم استعداداً هائلا تستحضر عدده من معامل الازهر والمعاهد الدينية

لذلك جاء كتاب حقيقة الاسلام في أشد أوقات الحاجة اليه فأشبه النجدة الى المحارب الذي كاد ينهزم في المعركة النهائية الفاصلة فانتصر به إلى غاية الانتصار وهزم جيوش الملحدين هزيمة شنعاء لاتقوم لهم بعدها قائمة

وقد حوى حقائق الاسلام وبين أهم مايحتاج اليه منها بعبارة واضحة ليس فيها تكلف ولا غموض ، جلب المؤلف فيها الآيات والاحاديث النبوية ونصوص الاصوليين المعتمدة ، مذيلا ذلك بنقول المؤرخين وأهل السير وآراء فلاسفة المسلمين ، ولكون ذلك معروفا عند المسلمين ومؤلفات الاسلام فيه كثيرة جاءت عبارة الكتاب منسجمة غاية الانسجام كأنما المؤلف يغرف من بحر فطلع منه بدرر نفيسة ينبغي بل يتحتم على كل مفكر أن يزين مكتبته به ، ويتعين على كل كاتب أو عالم أو فيلسوف أن ينير أفكاره بآرائه وآياته اللامعة

(من مراكش) (مسلم غيور)

(الرسالة بقية وفيها تعقب لكتاب حقيقة الاسلام)

سياسة الانكليز في الشرق وزعماء العرب

مذهبان في سياسة بريطانية في الشرق الأوسط — قرارات لجنة لويد جورج — انجلترة وابن السعود — تصرفات الملك حسين — الادريسي وبريطانية — شكاوي الحجاج الى الدول الاوربية — الجزيرة العربية تهم العالم الاسلامي اجمع

ان العلائق الودية بين الحكومة البريطانية والسلطان ابن السعود التي انتجتها مفاوضات السير جلبرت كلايتن في بحرا والمعاهدات السلمية التي ارتبط بها امام اليمن يحي مع نفس الحكومة لابد أن يكون لها أثر حميد في تحسين سياسة بريطانية العظمى في الشرق الأوسط ، اذ إن هذه السياسة كانت ولا تزال حتى يومنا هذا متقلبة لايعرف لها قرار نهائي . واتفاقات بحرا هذه ليست في عالم السياسة بأمور

غير معتادة ، اتفق عليها لتحسين العلائق بين انكلترة والبلاد العربية . الا أن أنصار العرب في « دوننغ ستريت » جعلوها نصب أعينهم لما رأوا لها من الأهمية وكانت مدار حديثهم في المدة الأخيرة مع السر جلبرت كلايتن السكرتير المدني السابق لحكومة فلسطين الذي لم يكن مسئولا الا عن ايصال المفاوضات الأخيرة على علاتها الى حكومته ، وغير خاف أن معاهدات ذات تأثير في حركة الاستقلال العربي وفي توحيد السياسة الانكليزية في الشرق الأوسط هي ولا شك من الوجهة التاريخية ذات بال واي ذات بال ولذا يجدر بنا أن نبحث في شأنها بعض البحث :

لما حملت انكلترا على عاتقها مسئولية ادارة شئون امبراطورية الشرق الأوسط تضاربت الآراء العامة وآراء الساسة الحذاق خاصة فيما تؤول اليه نتيجة هذا الامر ووقف في المضمار فريقان فأما الفريق الاول فكان من المحافظين أرباب الفلسفة السياسية ، وكان الكولونيل (لورنس) والمس (جزترود يل) ألسنتهم الناطقة . فهؤلاء احتجوا بأن سياسة الالحاق السرية أو الجهرية لا توافق ولا بوجه من الوجوه روح الحماية أو ما تمليه سياسة الانكليز الحق . وأخذوا يبثون آراءهم بكل الوسائل ويطلبون استقلالا تاما للممالك والامارات العربية التي أسست حديثا . وكانوا يعدون أنفسهم مسئولين بذواتهم عما كان يحدث في البلاد العربية على يد بريطانية العظمى ويؤنبون أولي الأيدي التي كانت عاملة آنئذ على سحب العهود التي قطعوها للامة العربية . وأما الفريق الثاني — وكان جله من الاحرار — فاعتبروا ضمانة أية حماية من غير ضم البلاد المحمية رأسا أو بالواسطة الى الامبراطورية البريطانية إنما هو تفريط في غير محله وما هو إلا زيادة عبء ثقيل الى العبء البريطاني في آونة كان العالم فيها يئن من نتائج الحرب العظمى . وظني أن كثيراً من المسائل الجوهرية البريطانية المدفونة في السجلات السرية في وزارة الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات لم يطلع عليها الشعب ولن يطلع عليها إلا بعد أجيال عديدة إذ يظهرها المؤرخون . وهذه المعجزة الانكليزية التي تتعلق بالشئون العربية لا يسأل عنها إلا أنصار العرب من الانكليز ذوي الضمائر الحرة . واستدعي المفاوضون من العرب المرة تلو الأخرى ولكن لم يكن هنالك مفاوضات حقيقية . ولا تزال قصة استدعاء الدكتور ناجي الاصيل السياسي السوري الذي مثل الملك حسيناً في بلاط سنت جيمس تخدش مخيلة من يهمهم هذا الامر . فالعرب البسطاء هم الذين أوقعوا أنفسهم في أيدي من لا يعرفون للعهود معنى . ولما اعترف بسلالة الشريف حسين

كالعائلة الوحيدة المالكة في عموم الاقطار العربية قامت الضجات والصرخات. وأصبح بعض الانكليز يقولون إن دولتهم جازفت بأن راهنت على الحصان الذي لا يكسب الرهان. ولما انتخب فيصل أنجب افراد هذه السلالة للاستواء على عرش العراق رميت وزارة الخارجية البريطانية بقصر النظر والتحزب، ولما أشار السير أوستين تشمبرلن على الملك حسين الشيخ ان يغادر البلاد العربية إلى قبرص أيضا هطلت الشكاوي لتى يناقض بعضها البعض مدراراً .

دعنا الآن نعير التفاتة نحو الحقائق العارية من كل شائبة لنرى - إن أمكننا - نتيجة الخطط التي رسمها رجال السياسة الذين يسمون أنفسهم احراراً :

في سنة ١٩٢١ قررت وزارة لويد جورج تشكيل لجنة وزارية « لتتعهد بتأسيس دائرة جديدة تحت مراقبة وزارة الخارجية لتقوم بشئون الحمايات وغيرها من الاقطار التي للانكليز علاقة بها في الشرق الادنى » وهذه اللجنة التي كان يساعدها قواد القوات البحرية والحربية اتيح لها درس الحالة الادارية والسياسية في هذه البقاع ، وكانت تستعين بنصائح من كان يحكم البلاد من العمال الانكليز ، وأعني بهم مندوبي فلسطين والعراق — السير هربرت صموئيل والسير برسي كوكس — ومعتمدي عدن والبحرين . واستطاعت هذه اللجنة بعد البحث الطويل، ان تصل إلى نتائج قدمتها بصورة تقرير لوزارة الخارجية . ولكن مع الاسف لم تر الشمس هذا التقرير حتى وقتنا هذا ، بل خبيء في ظلمات صناديق الوزارة ، مع انه بلا شك أهم الاوراق السياسية التي تبين مجرى الامور في الشرق في الوقت الحاضر.

وهذه اللجنة عينت لجانا ثانوية ، وليس غرضنا هنا تعديد هذه اللجان، وعلى كل فكان غرض احداها - وهي التي كان يرأسها سكرتير وزارة الخارجية وكان يتألف أعضاؤها من ونستون تشرتشل والسير برسي كوكس والكولونل لورنس والجنرال سكوت - ان تضع على بساط البحث أموراً تتعلق بالسياسة البريطانية الشرقية وخصوصاً بما يتعلق بأمراء العرب وملوكهم المسيطرين في شبه الجزيرة العربية وأول ما نظرت فيه هذه اللجنة هو مسئلة التقدمات المالية التي كانت تدفع لهؤلاء الزعماء استناداً على اسس واهية

هذه اللجنة قررت بعد البحث والتدقيق ما يأتي :

١ — ان تدفع الامبراطورية البريطانية لابن السعود مئة الف ليرا سنويا .

٢ — أن يدفع لفهد بك الهذال مئتان وأربعون ألف روبية

٣ — ان يدفع للملك حسين مئة الف ليرا انكليزية سنويا

٤ — ان يدفع للادريسي اثنتا عشرة الف ليرا سنويا

وبنت اللجنة حكمها على الامور الآتية : —

ابن السعود اعظم يد عاملة في السياسة العربية وذو الشخصية البارزة والذكاء المفرط ، عقد معاهدة مع الدولة البريطانية ولم يخطر له يوما ما ان يحل عقد العلائق الودية بينه وبينها ، مع انه قادر على ذلك . وفي استطاعته ان يعرقل مساعي الدولة البريطانية ولا يكلفه ذلك أكثر من ان يأمر اتباعه بشن الغارة على الجنوب الغربي من بلاد مابين النهرين ، كما انه يمكنه أن يهاجم بخيله ورجله الكويت وجبل شمر ان أوحت اليه ارادته بذلك. والاخوان ـ الفريق المجاهد من اتباعه ـ دوما يحثونه على مهاجمة جيرانه المسلمين وقد حدثت مؤخرا اربع غزوات من هذا القبيل. ولابن السعود تأثير في نفوس اتباعه الاخوان. وقد تمكن من ان يردهم عن مهاجمة جيرانهم مرارا وذلك بفضل تصرفه بحكمة في التقدمة المالية التي تساوي ماتجمعه حكومته من الضرائب

وقبيل أن تضمن هذه التقدمة المالية لابن السعود يجب عليه أن يوافق على الشروط الآتية:

١ — ان لايهاجم العراق ولا يسمح لقواته باجتياز حدوده

٢ — ان لايهاجم الكويت ولا يسمح لقواته باجتياز حدوده أيضاً .

٣ — ان لايهاجم الحجاز ولا يرسل حملات من اتباعه لمهاجمته .

وكانت التقدمة الاساسية لابن السعود ستين الف ليرا انكليزية واما الآن(١) فازدادت حتى بلغت مئة الف ليرا انكليزية في السنة ، ظنا من اللجنة ان هذه الزيادة المالية تقوي نفوذ ابن السعود وتمكنه من أعناق اتباعه، وبذلك يتسنى له ان يعمل على موافقة الادارة البريطانية . وحثت اللجنة ابن السعود على ابقاء حبل المودة متصلا بينه وبين فيصل من جهة، وبينه وبين الملك حسين من جهة اخرى.

زد على ذلك أن اللجنة اعترفت بابن السعود سلطانا على نجد واوصت من لهم علاقة بالامر ان يعترفوا به .

وفهد بك الهذال زعيم عشائر غنزة ـ التي على حدود مابين النهرين الى الجهة الغربية من بغداد وكربلاء وعلى ضفة الفرات الغربية ـ اعتادت حكومة الهند أن تدفع له مقابل خدماته لها مئتين وأربعين الف روبية وغير خاف أن الطريق الجوية الحاضرة التي تؤدي الى فلسطين تمر بمنطقته مسافة مئتي ميل ، ولذا فلا مشاحة في أن مساعدته أمر لا بد منه ، ان ارادت الحكومة البريطانية ان تحافظ على سلامة

(١) يعني عند وضع هذا التقرير بدليل أن من شروطها عدم الاعتداء على العراق والحجاز

سفنها البرية التي تمر بهذه المنطقة . لهذا قررت اللجنة ابقاء ماكان علي ماكان اي الاستمرار بدفع التقدمة المالية البالغة مئتين واربعين الف روبية للزعيم المذكور.

اما الملك حسين فمع انه اضعف من ابن السعود من الوجهة العسكرية ، فهو ولا شك حامي البلاد المقدسة. فمن مصلحة بريطانية ان تحافظ على ولائه وخصوصاً للعقيدة التي اظهرها للملأ تجاه ماقرر الحلفاء بشأن المقاطعات العربية ان هو لم يذعن لقرار الحلفاء الجديد والآن فلا جدال انه سيكون ثورة فتن وقلاقل في الحجاز ينتشر منها شرر يشعل نيران ثورات في المناطق العربية التي تحت الحماية. ويعتقد العالم الاسلامي ان لندن هي التي خلقته من العدم، فلذا تكون بريطانية العظمى هي الملومة بل المسئولة ان اصبحت حالة الحجاج اسوأ مما كانت يوم كان بيد الاتراك عصا السيادة في البلاد العربية.

وأما الشروط التي عرضت على الملك حسين مقابل ضمان هذه التقدمة له فتتلخص فيما يلي:

١ — أن يصادق على معاهدة فرسايل ويصادق على المعاهدة التركية ويوقعها

٢ — أن يعترف بالمعاهدات البريطانية مع ابن السعود والادريسي ويحترمها ويمتنع من عمل كل مايمس حقوق المذكورين، كما انه يتعهد بأن لا يعتدي عليهما

٣ — أن يحسن حالة الحج. وخصوصاً ان يحافظ على الامن العام ويحترم حقوق الحجاج ويعتني اعتناء خاصاً بالامور الصحية ويعيد تأسيس المستشفيات في جدة كما انه يتعهد بتحسين موارد المياه

٤ — ان يعترف بحقوق الرعايا الانكليز في الحجاز ويحافظ على مصالحهم

٥ — أن يرحب بتمثيل انكليزي ووكيل في جدة وان أبى ذلك فيرحب على الاقل بوكيل بريطاني مسلم

٦ — أن يطهر البلاد المقدسة من الذين يسعون ضد المصالح الانكليزية وينشرون الدعوة للجامعة الاسلامية « Pan-Islamic Infrique »

٧ — ان يمنع عائلة الشرفاء من الاتيان باية حركة تهدد مصالح الفرنسيين او بكلمة أخرى أن يكبح جماح أتباعه من القبائل التي تقطن سورية عن القيام بأية مظاهرة تمس مصالح البريطانيين ومصالح حلفائهم

وكان المتوقع ان انشاء حكومتي العراق وشرقي الاردن سوف ينال استحسان الملك حسين ويغريه بقبول نصائح البريطانيين كما فعل سابقاً . ولكن الواقع ونفس الامر كان خلاف ذلك فلذا أنقصت التقدمة المالية حين رجعت المياه الى مجاريها وتوافد الحجاج الى البلاد المقدسة من كل فج عميق . غير أن هذا لم يحجر

الحجاز عن أن يقع في هاوية الافلاس مرة أخرى

وأما الادريسي فكان أول حاكم عربي انضم إلى بريطانية العظمى أثناء الحرب العالمية الكبرى وبمعاهدة سنة ١٩١٧ تعهدت له بريطانية بمده بكل مايلزمه من عدد حربية وأسلحة نارية أثناء الحرب وبعدها ، وكذلك تعهدت له بان تؤويه إلى بلادها وتحميه إن حدث له أمر يضطره إلى الجلاء عن وطنه ، بل تعهدت له أيضاً أن تبذل جهدها لارجاعه الى مركزه الاول دون أن تدخل في أحكام بلاده . ومقابل هذه الضمانات ضمن الادريسي للدولة حليفته امتيازات في بلاده ، وهكذا استطاعت بريطانية أن تمنع تدخل غيرها من الدول في بلاد عسير

وكان الادريسي على وفاق تام مع ابن السعود مع انه كانت هناك أمور كادت تقطع حبل المودة بينهما لولا أن تداركاها بحكمة عجيبة . وفي ذلك الوقت كان الادريسي عدو إمام صنعاء وخصمه الألد . وامام صنعاء هذا هو أمير يماني كان خاضعا للواء التركي ولكنه في هذه الاونة أعلن انفصاله عن الباب العالي واستقلاله عن كل يد أجنبية . فاخذت الايدي البريطانية تسعى لتكسب وده ولكن غناه وقف عثرة في سبيل اغرائه بالمال. غير أن الدسائس الانكليزية لم تقف عند حدها بل أخذت تقدم له مبلغ ألفي ليرا انكليزية في الشهر إلا أن هذ الاموال لم تؤثر إلا بعض التأثير. ولم تأخذ من نفس الامام ما أخذت من نفس ابن السعود .

ولما تيقنت الايدي البريطانية من ثبات الامام على عقيدته نحو الامم الاجنبية رأت أن محافظتها على ولاء الادريسي هي أقوى العوامل التي يمكنها الحصول عليها لنشر سياستها في أنحاء الجزيرة ولهذا قررت دفع الف ليرا انكليزية شهرية للادريسي لتعزز مركزه المالي على شرط محافظته على الولاء لانكلترا وعلى شرط أن لا يضمن امتيازات في بلاده لغيرها من الدول .

نعم ان حسينا نجح في تمثيل دوره لمدة ليست بالقليلة وكان للنصائح الانكليزية والاموال البريطانية اليد الطولى في رفع مستوى شهرته . ولكن مع الاسف اقول ان تلك الشهرة لم تك الا طائفية فهو لم يكتف بان حسب نفسه رأس الامة العربية وخليفة المسلمين فقط ، بل تعدى ذلك الى أن زعم انه أكبر يد عاملة في العالم الاسلامي أجمع .

وقد جرب ان يجعل الناس يعتقدون بانه يحكم بحق إلهي لا يستطيع غير العزيز الحكيم ان يسلبه اياه

ولم يكن بعد نظر اللجنة في شأن الحجاج المسلمين الا ليزيد التعاسة شقاء فهم

وكلوا أمرهم إلى الحسين وتركوا إليه أمر الاهتمام باصلاح شئونهم. ويحزنني ان اقول انه هو وحكومته تصرفوا في حجاج بيت الله الحرام من المسلمين كما يتصرف المرء بأملاكه. بل ان الملك حسينا نفسه عد الاماكن الاسلامية المقدسة ملكه الموروث عن آبائه وأجداده. فهو مطلق التصرف فيه وليس على وجه الارض من ينازعه

ولما تواردت التقارير التي تنذر بسوء طالع الحجاج المسلمين على رؤساء الوزارات الاوربية من وكلائهم في جدة اهتم هؤلاء الوكلاء بهذا الامر وأخذوا يسعون لتحسين الاحوال متحدين. ورسائل المستر بولارد المعتمد السياسي البريطاني في جدة مثلت شعور كل الدول الاوربية تجاه معاملة الملك للحجاج — اذا استثنينا حكومة السوفيت الروسية التي كان لها معتمد بخاري مسلم في مكة، وهذا كان يتخابر مع دولته رأسا — ولم تكن معاملة الملك حسين للبلاد الاسلامية التي تجاوره أحسن من معاملته للحجاج فكان يتغطرس عليهم ويحتقرهم معتمداً على مركزه مدلا بلقب حامي بيت الله الحرام متكلا على أمواله الوافرة. ويقال ان الملك حسيناً جمع من الضرائب ما ينيف على مليون ليرا ذهبية هذا عدا الاراضي التي على الساحل الافريقي بالبحر الاحمر. ولذا أخذ بغضه لفرنسا ولنجد يزداد شيئا فشيئا وكان من حين الى آخر يسرد على اعوانه قصة اخراج ابنه فيصل من الشام وينهي القصة بقوله: ان هذه عدواة تاريخية لا أنساها ولن انسى اليوم الذي احتل فيه جنود الجنرال غورو عاصمة ولدي. وأما موقفه تجاه ابن السعود فكان موقف امرىء يغار على مصالح العراق وشرقي الاردن لما آرب في نفسه ولان ولديه كانا ولا يزالان في هذين القطرين. ولقد أبدى الملك حسين عاطفة شريفة نحو فلسطين.

بينا نرى الملك حسينا على هذه الحالة نرى ان قدم ابن السعود اصبحت تزداد رسوخا يوما بعد يوم. فأسس في البلاد انظمة لجباية الضرائب وساعده في توطيد احواله المالية مستشارون بعضهم انكليز والبعض الآخر فرنسيون (١) وكان جراب دراهم السلطان هو خزينة الامة النجدية — بخلاف الملك الهاشمي — وكان ابن السعود يسير بخطى واسعة نحو ادخال الاصلاحات متحاشيا في ذلك كل ما من شأنه أن يمس المذهب الوهابي خيفة ان يثور عليه الرأي العام. فهذه الاصلاحات

(١) هذا لم نقرأه في صحيفة ولا سمعنا به قبل هذه المقالة ولا يمكن ان يراد به انه كان عنده بنجد مستشارون موظفون بل المراد ان صح الخبر انه استشار بنفسه او بواسطة بعض رجاله اناساً من هؤلاء ومن غيرهم وسنبحث عن حقيقة ذلك

وسوء سمعة الملك حسين اشتغلت جنبا الى جنب في بث الدعوة لابن السعود في البلاد الاسلامية، ولم يبق له من المعارضين الا النزر القليل من سكان البلاد الاسلامية البعيدة . ولما اخذ عدد الوهابيين يزداد شعر حماة البلاد المجاورة من الاوربيين بالخطر المحدق وخافوا انتشار سطوة ابن السعود ، وخوفاً من ان تسري الدعوة الوهابية الى جوف سورية وفلسطين اتخذت التدابير التي من شأنها منع انتشار الدعوة الوهابية وحظر على الوهابيين دخول هذه الاقطار (١) .

ولا شك أن احد العوامل التي قضت على آمال الهاشميين في البلاد العربية كان احتلال الوهابيين للبلدين الاسلاميين المقدسين وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة. وعدا هذا فان سقوط هذين البلدين في ايدي القوات الوهابية فتح المجال لابن السعود ليسعى في تحسين احوال الحجاج والبت في امر الخلافة ـ فدعا الى مؤتمر اسلامي عام ـ ولفت نظر ابن السعود امور داخلية كثيرة لم يكن ملك الحجاز السابق ليأبه لها، ولم يبق لدى ابن السعود وقت يصرفه للاهتمام بتوسيع منطقته الى ماوراء الصحراء العربية . زد على هذا أن السعي في ترميم ماخربته الحرب النجدية الحجازية منع الوهابيين من الانشغال باشعال نار أية حرب مع جيرانهم .

ان هذا التاريخ هو ماسجله مؤرخو العرب انفسهم عن انفسهم ولم يك أي مجال للايدي الاوربية للتلاعب فيه ، وما هو الا تاريخ عدواة بين اشد القبائل العربية تأثيراً . وقصارى القول ان تأثير احدى هذه القبائل انتشر انتشاراً كبيراً ولكن لم تمض مدة زهيدة الا وقد انكمشت القضية واخذت ثقة الملايين من المسلمين تضعف وهذا لايستلزم ان لاعلاقة لانكلترا في وضع هذه القبيلة واعلاء شأن الاخرى فهي التي تظاهرت باعلان حيادها احتراما لمعاهداتها مع الطرفين ، وكانت تختلس النظر من وراء حجاب متغاضية عما لايمس حقوقها. وتاركة الامور تأخذ مجراها الطبيعي في البلاد العربية. وسرعان ماأوحت الى الملك حسين أن يغادر البلاد العربية حينما تيقنت أن لاتأثير باقباله في العالم العربي والاسلامي على السواء .

واستناداً على ماتقدم ليست المعاهدات الحديثة بين انكلترا وابن السعود الا صدى صوت لم يك بد من سماعه ، ونتيجة درس تعلمه من له علاقة بالامر في المدرسة الانكليزية الحجازية خلال تسع سنوات مرون. فان انكلترا عاضدت الفئة

«١» ليتأمل القراء هذا وليعلموا سبب استعمال الانكليز عبد الله بن حسين على شرق الاردن

الغالبة ، وهي غير غافلة عن مصالحها . ولا شك أننا سنرى من نتائجها اما صلاح الخطط التي يتبعها الآن ابن السعود أو فسادها . وعما قريب سوف نرى الحد الذي تنتهي اليه اصلاحاته . ولكن ليس هنالك مجال للشك في شرف مقصد ابن السعود وحسن نيته نحو العرب . هذا ان تذكرنا أننا انما نبحث في شأن بلاد بل عالم لم يحلم احد بانه رأي في صفحات تاريخه روح اللاحزبية يظهرها للملأ حكامه.

ولم تعد بعد الآن مسئلة الجزيرة العربية والاماكن المقدسة مسئلة تهم الدول الاوربية فقط، بل انها اصبحت مسئلة هي مدار البحث الاسلامي اجمع . ولا شك ان انكلترا التي ترفرف رايتها فوق رءوس القسم الاكبر من الذين يعتنقون الديانة الاسلامية هي اول من يهمه هذا الامر كيما تظهر لرعاياها من المسلمين اهتمامها بشئونهم ، فهي لا تتخلى بعد اليوم عن الجزيرة العربية أيا كان حكامها . وأما الدول الاوربية الاخرى بما فيها ايتاليا التي لها مصالح كثيرة على الساحل الافريقي المجاور للبلاد العربية - فلديها من القلاقل في مستعمراتها ما يردعها عن أن تجازف بالخوض في البحث في شئون غير بلادها ، أو بطلب الاستيلاء على مستعمرات جديدة

فأمل انكلترا وطيد بأن نفوذها سينتشر يوما ما في كل أنحاء البلاد العربية وذلك لان الدول الاوربية الاخري لا تنازعها هذا ، ولانها تخلق مشاغل لاتباعها من المسلمين فتجعلهم بذلك يغفلون عما تنويه للبلاد العربية التي فيها قبلتهم

جامعة بيروت الاميركية تعريب محمد يونس الحسيني

عن مجلة (foreign affairs)

(المنار) هذه المقالة من أهم ما كتب أحرار الانكليز في المسألة العربية والشؤون الاسلامية تحقيقاً وتمحيصاً للتاريخ ، وإنما كتبت لانارة الرأي العام الانكليزي لا الرأي العام العربي أو الاسلامي ، وإنما العرب والمسلمون في شغل عن الاستفادة بهذه الحقائق بالنظريات الوهمية كنظرية شوكت علي ومحمد علي من ساسة الهند بانشاء جمهورية إسلامية في الحجاز يدير نظامها أفراد ينتخبون من جميع الاقطار الاسلامية

ألا فليعتبر المسلمون الصادقون بما قرره صاحب هذه المقالة من قوة ابن السعود وقومه ووجل المستعمرين والطامعين منها ، فمن عقل هذا علم انه يجب على العالم الاسلامي تأييد هذا الرجل بالمال والرجال ، والألسنة والاقلام ، فان عقد الف مؤتمر وتأليف الف جمعية لا تعطي المسلمين من القوة والاصلاح ما سخره الله تعالى لهذا الرجل واستعمله فيه (وما يتذكر إلا اولوا الألباب)

اثبات شهر رمضان

وبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب

مازلنا منذ بلغنا سن الرشد إلى أن أدركنا سن الشيخوخة نسمع المسلمين يتألمون من الاضطراب والاختلاف الذي يحدث في إثبات أول شهر رمضان لأجل الصيام الواجب ، وإثبات أول شوال لأجل الفطر الواجب في يوم العيد ، وكذا هلال ذي الحجة لاجل وقوف عرفة . وقد سبق لنا الكتابة في هذه المسألة في بعض المجلدات السابقة ، وقد عرض لنا في هذا اليوم (الجمعة ٣٠ شعبان) أن سمعنا قبيل ذرور قرن الشمس دوي المدافع تنفجر من قلعة القاهرة إعلاناً لاثبات شهر رمضان . وكان الحاسبون من الفلكيين قد نشروا في جميع الجرائد تذكيراً بما دون في جميع التقاويم (النتائج) لهذه السنة الهجرية من أن أول رمضان فيها ليلة السبت ٥ مارس (آذار) لأن هلاله ولد في ليلة الجمعة بعد ثلاث ساعات ونصف ساعة ودقيقة واحدة من غروب الشمس فرؤيته مستحيلة قطعاً في ليلة الجمعة وممكنة لكل معتدل البصر في ليلة السبت . وما كان من الممكن إثبات رمضان باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما كدأبهم في حال عدم الرؤية لان يوم الجمعة هو اليوم الثلاثون من شعبان بحسب التقاويم ولم يثبت خلافه بحكم شرعي فكان الناس موقنين بأن أول رمضان يوم السبت ، وإن أعلنت الحكومة أن رجال القضاء يجتمعون ليلة الجمعة في المحكمة الشرعية لأجل سماع شهادة من عساه يشهد أنه رأى الهلال كعادتهم

وقد تساءلنا كيف كان إثبات الشهر فعلمنا أن برقية جاءت من العريش بأن قاضيها الشرعي قد حكم بأن يوم الخميس (أمس) الموافق لليوم الثالث من شهر مارس هو الثلاثون من شهر شعبان . وهذا مبني على أنه قد ثبت عنده أن أول شعبان كان يوم الاربعاء الموافق ٢ فبراير (شباط) وأنه صدر بذلك حكم شرعي ، وهم لا يعتدون برؤية الهلال وإثبات الشهور إلا بصدور حكم شرعي به ، ولأجل ذلك يلفقون دعوى صورية يتوسلون بها إلى هذا الحكم . وهي طريقة مبتدعة ومنتقدة غرضهم منها إزالة الخلاف في إثبات الشهر وصيام

بعض الناس وإفطار بعض في القطر الواحد وفي البلد الواحد أيضاً ، ولكن هذا لم يرفع الخلاف بين الاقطار البعيدة ولا القريبة التي لاتختلف مطالع الهلال فيها

فما زال هذا الاثبات بهذه الطريقة يتخذ في كل محكمة شرعية من المحاكم فتختلف أحكامها فيه ويتعذر إبلاغ أسبقها حكماً وأحقها بالتقديم إلى سائر البلاد فلهذا تقرأ في الجرائد كل عام أن أهل الشام صاموا يوم كذا، وأهل مصر يوم كذا، وأهل مكة يوم كذا الخ يتفقون تارة يختلفون أخرى ولا يرجعون إلى امام واحد يتبعون حكمه

وأهل القطر المصري وملحقاته هم الذين يصومون ويفطرون في يوم واحد بأن محاكمهم تعمل بخبر البرق كما حدث لنا اليوم، وقد تبرم الناس بهذا الاثبات اليوم لأن جميع أهل المعرفة منهم يعتقدون أن هذا اليوم من شعبان ، فان ماأثبته الحاسبون من اليقينيات القطعية وهو أصح وأثبت من تحديدهم لوقت طلوع الفجر من كل يوم الذي نعمل به في صيام كل يوم وصلاة فجره ، والشهادة برؤية الهلال اذا انحصرت في واحد أو اثنين أو ثلاثة لاتفيد إلا الظن لكثرة مايقع فيها من الاشتباه .وقد وقع لي في بعض السنين وانا في سورية أن رأيت الشمس غربت كاسفة في اليوم التاسع والعشرين من شعبان ثم شهد شاهدان ذواعدل بعد غروبها بساعة زمانية أنهما رأيا الهلال فحكم القاضي الشرعي باثبات الشهر بالرؤية، ومن المعلوم باليقين أن رؤية الهلال كانت من المحال لأنه غرب مع الشمس فلا يمكن إن يكون عاد ورآياه ،وأنا أعتقد أن ذينك الشاهدين لم يتعمدا الكذب فهما من أهل التقوى والعلم ،ولكنهما تخيلا الهلال تخيلا ، ولاجل مثل هذا الاشتباه قال المحققون من الفقهاء في هذه المسألة ان الشهادة برؤية الهلال في أيام الصحو لاتثبت إلا برؤية جمع كثير ،وينبغي تقييد هذا بما اذا تراءى الهلال كثيرون كما هي العادة وذلك أن العبرة في الرؤية رؤية معتدل البصر لا أمثال زرقاء اليمامة في حدة البصر

وأما إكمال عدة الشهر ثلاثين فهو أضعف من شهادة الآحاد برؤية الهلال لأن الاشهر القمرية (وإن كان بعضها ٢٩ وبعضها ٣٠ كما هو معروف في الحساب ويشير اليه حديث « الشهر هكذا وهكذا » وأشار ﷺ بالعقد إلى عددي ٣٠ و٢٩ وهو في الصحيحين) قد يتتابع شهران منها تامين وشهران ناقصين ، والعمل

باكمال العدة في حال عدم رؤية الهلال ، مقيدة في الحديث بما اذا غم علينا الهلال

والاصل في المسألة حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم — وللبخاري غبي — عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » هذا لفظ البخاري ولم يذكر مسلم والجمهور لفظ شعبان، وقال بعضهم انه تفسير من شيخ البخاري لا مرفوع، وفي رواية لأحمد والنسائي زيادة « وانسكوا لها » وزيادة « فان شهد شاهدان مسلمان فصوموا وافطروا » وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي وغيرهما « فان حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا عدة شعبان ولا تستقبلوا الشهر استقبالا ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان » وهو حديث صحيح وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال « لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فاقدروا له » وروي بلفظ آخر بمعناه . فهذه الاحاديث ومافي معناها تقيد العمل باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما بما اذا غم الهلال وغبي على الناس بأن حال دونه سحاب، ولم يكن أمس في السماء قزعة من سحاب ، دع علم أهل العلم بأن الهلال لا يمكن أن يرى ،

وقد اختلف علماء السلف والخلف بما يجب عمله اذا لم ير الهلال فقد روى الامام احمد عن عبدالله بن عمر راوي الحديث الاخير أنه كان اذا مضى من شعبان ٢٩ يوما يبعث من ينظر فان رأى فذاك ، وإن لم ير ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتر أصبح مفطراً ، وإن حال أصبح صائما . وروى عنه الثوري في جامعه أنه قال : لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه . وقال عمار بن ياسر : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ، ذكره البخاري تعليقا ورواه اصحاب السنن ماعدا ابن ماجه وغيرهم موصولا . وهو صريح في تحريم النبي (ص) له فهو مرفوع في المعنى.

وجمهور السلف من علماء الصحابة والتابعين وأئمة الامصار على عدم صيام الثلاثين من شعبان إذا لم ير الهلال مع عدم المانع من رؤيته كالغيم والقتر وقد صرحت به الاحاديث الصحيحة ، وكان بعضهم يصومه احتياطا وهو منهي عنه في الاحاديث المتفق عليها بل المروي بعضها عند الجماعة كلهم كما سيأتي ، فعدم رؤية الهلال في حال الصحو دليل على عدم وجوده وفي هذه الحالة لا نؤمر باكمال

شعبان ٣٠ يوما وانما نؤمر بذلك إذا وجد المانع من الرؤية كالغيم والضباب

وقال الحافظ في شرح حديث «لا تصوموا حتى تروا الهلال» الخ : وهو ظاهر في النهي عن صوم رمضان قبل رؤية الهلال فيدخل فيه صورة الغيم وغيرها. ولو وقع الاقتصار على هذه الجملة لكفى بذلك لمن تمسك به لكن اللفظ الذي رواه اكثر الرواة اوقع للمخالف شبهة وهو قوله «فان غم عليكم فاقدروا له» فاحتمل ان يكون المراد التفرقة بين حكم الصحو والغيم فيكون التعليق على الرؤية متعلقا بالصحو واما الغيم فله حكم آخر ويحتمل عدم التفرقة ويكون الثاني مؤكدا للاول والى الاول ذهب أكثر الحنابلة والى الثاني ذهب الجمهور اه

وقد ذكر المحقق ابن القيم في الهدي النبوي جملة الاحاديث الواردة في رؤية الهلال أو اكمال شعبان اذا حال دون رؤيته سحاب أو قتر ، والاحاديث في النهي عن صيام يوم الشك أو آخر يوم من شعبان في غير الحالتين المنصوصتين آنفا ، ثم ذكر اختلاف عمل السلف في هذه الاحوال ومداركهم التي ظاهرها اختلاف النصوص إذ كان بعضهم يصوم آخر يوم من شعبان مع عدم تحقق إحدى الحالتين لأجل الاحتياط ولكن النهي يشمل الاحتياط كما سيأتي ثم قال في آخر البحث :

« فهذه الآثار (أي في ترك الصوم) إن قدر أنها معارضة لتلك الآثار التي رويت عنهم في الصوم — فهذه أولى لموافقتها النصوص المرفوعة لفظا ومعنى ، وإن قدر أنها لا تعارض بينها فهنا طريقان من الجمع (أحدهما) حملها على غير صورة الاغمام أو على الاغمام في آخر الشهر كما فعله الموجبون للصوم (والثاني) حمل آثار الصوم عنهم على التحري والاحتياط استحبابا لا وجوبا . وهذه الآثار صريحة في نفي الوجوب . وهذه الطريقة أقرب إلى موافقة النصوص وقواعد الشرع » اهـ

وقال الحافظ في الكلام على حديث ابن عمر « لا تصوموا حتى تروا الهلال» الخ من الفتح ما نصه : قال ابن الجوزي في التحقيق : لا خلاف في هذه المسألة — وهي ما اذا حال دون مطلع الهلال غيم أو قتر ليلة الثلاثين من شعبان — ثلاثة أقوال (أحدها) يجب صومه على أنه من رمضان (ثانيها) لا يجوز فرضا ولا نفلا مطلقا ، بل قضاء وكفارة ونذرا ونفلا يوافق عادة وبه قال الشافعي ، وقال مالك

وأبو حنيفة : لايجوز عن رمضان ويجوز عما سوى ذلك (ثالثها) المرجع إلى رأي الامام في الصوم والفطر . اه وذكر بعد ذلك أن عمل راوي الحديث يؤيد الاول وقد تقدم ماذكره عنه وهو لايؤيد القول الاول مطلقاً بل في حال الاغمام.

والراجح من هذه الاقوال الثاني وأضعفها الاول

وأما الاحاديث في النهي عن صيام آخر يوم من شعبان فأشهرها قوله ﷺ « لايتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صوما فليصم ذلك الصوم » رواه الجماعة من حديث أبي هريرة وفي بعض ألفاظه عند بعضهم : لاتقدموا بين يدي رمضان بصوم — ولا تقدموا صوم رمضان بصوم — ولا تقدموا شهر رمضان بصيام قبله . قال الحافظ في شرحه للحديث من الفتح : قال العلماء معنى الحديث لاتستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان . قال الترمذي لما أخرجه : العمل على هذا عند أهل العلم كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان اه واعتمد الحافظ مماقيل في حكمة هذا النهي قول من قال إن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم .

أقول فعلم مماذكرنا أن الحكم باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما مقيد بما اذا غم الهلال وحال دون رؤيته مانع ، وفي هذه الحال يقبل في اثبات الرؤية اخبار رجل عدل واحد ، لاحتمال أنه لم يظهر من خلال السحاب الا لحظة رآه فيها دون غيره . وخلاصة القول أن إثبات أول رمضاننا هذا ليس عملا بنص حديث الرؤية وإنما هو عمل بقول تقليدي ، يقابله قول من قال من الفقهاء بالعمل بالحساب واعتبار اختلاف المطالع ، ولنا كلمة فيه

إن حكمة نوط الشارع أوقات العبادة من صلاة وصيام وحج بالرؤية معروفة لاتنكر ، وحسنها لايجحد ، وذلك أن الاسلام دين عام للبشر ، من بدو وحضر ، ليس فيه رياسة دينية تقيد العبادات برجالها ، وتخضع الدهماء لارادتهم (أو هو دين دمقراطي كما يقال في عرف هذا العصر) وناهيك بأنه ظهر أولا في أمة أمية كما ورد في الحديث الصحيح — فمن اليسر والاستقلال الشخصي فيه وعدم الاختلاف

أن تكون أوقات العبادات فيه مما يسهل على كل فرد من أهله أن يعرف طرفيها بنفسه، بدون توقف على شيء من العلوم والفنون التي لا يعرفها الا بعض الناس في المدائن وامصار الحضارة ، او على رياسة رجال يتحكمون في العبادة بأهوائهم

فأول وقت الفجر يعرف برؤية النور المستطير المنتشر من موضع طلوع الشمس من المشرق وبه يدخل الصائم في صيامه ويصلي الفجر، وينتهي بغروب الشمس الذي تجب به صلاة المغرب وينتهي وقتها بغيبة الشفق الاحمر ، وكذلك أول وقت وقتي الظهر والعصر ، كل ذلك يعرف برؤية البصر وبذلك تكون الامة متفقة متحدة لا تختلف مواقيت عباداتها لله تعالى لافي حال الانفراد ولافي حال الاجتماع. الا مايكون من اختلاف الاقطار باختلاف الرؤية فيها ، فليل اناس نهار عند آخرين وكذلك تختلف مطالع الاهلة

مباحث العمل بالحساب في مواقيت العبادة

قال الحافظ في شرح الحديث المتفق عليه « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا : يعني مرة ٢٩ ومرة ٣٠ » من فتح الباري مانصه : والمراد هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً (اي كالكتابة) الا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك. بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلا . ويوضحه قوله في الحديث الماضي « فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ولم يقل فسلوا أهل الحساب . والحكمة فيه كون العدد عند الاغماء يستوي فيه المكلفون فيرتفع الخلاف والنزاع عنهم اهـ

ثم ذكر أن الروافض وبعض الفقهاء قالوا بالرجوع إلى أهل التسيير في ذلك ورده بما ورد من النهي عن علم النجوم (قال) « لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب مع أنه لو ارتبط الامر بها لضاق إذ لا يعرفها إلا قليل »

وأقول إن ماذكره من حكمة التشريع صحيح الأصل فالاتفاق مطلوب شرعا ، وكون أوقات العبادة منوطة بما يعرفه كل الناس والحساب الفلكي لا يعرفه إلا قليل منهم — صحيح أيضاً . ولكن المسلمين على زعمهم أنهم يعملون بنصوص هذه

الاحاديث مختلفون غير متفقين فهم في حال الصحو التام الذي يمكن أن يرى الهلال فيه السواد الاعظم من الناس إن كان موجوداً يستهلون أي يتراءون الهلال فرادى وجماعات في مواضع كثيرة من كل بلد فلا يراه أحد ، وبعد انصرافهم يشهد واحد أو اثنان برؤيته فيحكم الحاكم بهذه الشهادة الظاهر خطؤها بعدم رؤية الجماهير ، أو يكملون عدة شعبان ثلاثين يوما بعد العلم بعدم وجود الهلال إذ لو كان موجوداً لرآه الجمهور والعبرة برؤية معتدلي البصر لأنه هو الذي يشترك فيه الناس ويرتفع به الخلاف ولا عبرة برؤية حديد البصر وحده لأنه أندر من العالم بالحساب ، فلا يكون مناطاً عاما ولا يمكن معه اتفاق ، وليس فيه قطع ولا ظن غالب إلا في حالة الاغمام مع عدالة الشهود وعدم مخالفة شهادتهم للعلم القطعي

وقوله « إن ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلا » الخ غلط ظاهر ، وماذكر من توضيحه بالأمر باكمال العدة دون الامر بسؤال أهل الحساب غير واضح ، بل خلاف المتبادر من منطوق الحديث وهو أن الامة أمية لا تعرف الحساب (وهذا بيان لما كانت عليه وهو قد بعث لاخراجها منه بنص القرآن) فكيف تؤمر بما لا تعرف ؟ ومفهومه الظاهر أنه لو وجد الحاسبون لصح الرجوع اليهم ، وما احتج به من النهي عن الخوض في علم النجوم لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب — لايرد على الحساب الذي نعنيه فان علم النجوم الذي ذكره هو استنباط أخبار الغيب من حركاتها وتنقلاتها ومقارنة بعضها لبعض ، وليس منه حساب البروج والمنازل للشمس والقمر الثابتة باليقين القطعي ، والمشروع العمل بها في قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) مع قوله (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فهو صريح في إثبات هذا النوع من الحساب وإفادته للعلم بضبط السنين والشهور ، ولهذا قال بعض العلماء في حديث « فان غم عليكم فاقدروا له » فاقدروه بحساب المنازل . قال الحافظ قاله العباس بن سريج من الشافعية ، ومطرف بن عبدالله من التابعين ، وقتيبة من المحدثين ، نقله الحافظ عنهم وذكر أن ابن عبدالبر لم يعبأ بقولهم (ثم قال) ونقل ابن العربي عن ابن سريج أن قوله (ص) « فاقدروا له » خطاب لمن خصه الله بهذا العلم ،

وأن قوله « فأكملوا العدة » خطاب للعامة ، فصار وجوب رمضان عنده مختلف الحال يجب على قوم بحساب الشمس والقمر ، وعلى آخرين بحساب العدد (قال) وهـذا بعيد عن النبلاء أهـ . واقول إنه يمكن حمل اختلاف الحالين على اختلاف الاوقات ، فاذا وجد الحاسبون عمل بقولهم لانه علم يقيني قطعي ، وإن لم يوجدوا أكملت عدة الشهر ثلاثين بشرطه ، إذ لا يمكن الاتفاق على غيره

ومثل ماذكر من الاستدلال على منع العمل بالحساب بأنه لا يفيد علما ولا ظنا غالبا ماذكره الحافظ عن ابن بطال قال في شرحه للحديث المذكور : في الحديث رفع لمراعاة النجوم بقانون التعديل وانما المعول عليه رؤية الاهلة وقد نهينا عن التكليف ولا ريب ان ما غمض حتى لا يدرك الا بالظنون غاية التكلف اهـ من الفتح وهو رد لا يرد على الحساب الذي نقول به لان هذا لا تكلف فيه ولا غموض ، وهو يدرك باليقين لا بالظنون . بل أقول ان حساب التعديل الذى اشار اليه صحيح في نفسه وانما التكلف في حفظ قواعده والنظر في الزيج والاصطرلاب ، وقد استغني عن ذلك في هذا الزمان .

وقد اختلف فقهاء الشافعية في العمل بالحساب على أقوال (١) يجوز ولا يجزيء عن الفرض (٢) يجوز ويجزيء (٣) يجوز للحاسب ويجزئه لا المنجم (٤) يجوز لهما ، ولغيرهما تقليد الحاسب دون المنجم (٥) يجوز لهما ولغيرهما مطلقا . ذكر هذه الاقوال الحافظ في الفتح وقال بعدها : وقال الصباغ : أما بالحساب فلا يلزمه بلا خلاف بين أصحابنا (قلت) ونقل ابن المنذر قبله الاجماع على ذلك فقال في (الاشراف) صوم يوم الثلاثين من شعبان اذا لم ير الهلال مع الصحو لا يجب باجماع الامة ، وقد صح عن أكثر الصحابة والتابعين كراهته . هكذا أطلق ولم يفصل بين حاسب وغيره ، فمن فرق بينهم كان محجوجا بالاجماع قبله اهـ

وظاهر هذا القول الذي اعتمد عليه الحافظ في الاجماع بل نص منطوقه أنه لا يجوز إكمال عدة شعبان ثلاثين في حال الصحو مطلقا ولا يعتد بقول أحد يجيزه كائنا من كان لأنه محجوج بالاجماع قبله ، فاثبات رمضان هذا العام في هذا اليوم (الجمعة) مخالف للاجماع فهو باطل ويجب إبطال هذا النوع من إثباته

وأما الحساب فيظهر أنه لم يكن في عهد السلف الذين أجمعوا على ماذكر قد

وصل إلى الدرجة المعهودة عندنا في هذا العصر من العلم اليقيني ، والصورة التي أجمعوا عليها لايمكن أن تخالف الحساب — أعني أنه لايمكن أن لايرى الهلال في مساء اليوم الذي يثبت الفلكيون الحاسبون إمكان رؤيته فيه عند انتفاء المانع ، فهم يبينون وقت ولادة الهلال أي مفارقته للشمس في آخر الشهر بالساعات والدقائق ، ومنه يعلم إمكان رؤيته لمعتدلي البصر وعدم إمكانها ، فاذا كان من الدقة بحيث لايرى لايثبتون الشهر الشرعي بولادته - واذا كان بحيث يرى قطعاً عند انتفاء المانع من غيم أو قتر يثبتون الشهر — فهنا يقال إن الشهر قد ثبت برؤية الهلال حقيقة أو حكماً . وذلك أنهم اذا تراءوه رأوه قطعاً ، فلا يكون إثبات وجوب الصيام بقول الفلكيين الحاسبين بل بوجود الهلال ، وانما هم يبينون للناس متى يرى ، وقد ظهر باختبار السنين صدقهم لكل من يرى تقاويمهم ، ونحن في أشد الحاجة إلى علمهم في حال وجود المانع من رؤية الهلال لانه علم يقيني كرؤية الهلال ، وإكمال عدة الشهر كثيراً ماتكون خطأ كما تقدم بيانه ،وهي تبنى في كل شهر على رؤية هلاله وإلا كانت مسألة حسابية ، وقد تمر في بعض الاقطار التي تكثر فيها الامطار عدة أشهر لايرى فيها هلال فكيف يمكن العمل فيها باكمال عدة الشهر ثلاثين ومن المعلوم حسابا وشرعا أن الشهر يكون تارة ٣٠ وتارة ٢٩ ؟

اذا تمهد هذا فنحن نلخص الكلام في هذا الموضوع في مسائل

(١) أن إثبات أول شهر رمضان وأول شهر شوال هو كاثبات أوقات الصلوات الخمس قد ناطها الشارع كلها بما يسهل العلم به على البدو والحضر لما تقدم من بيان حكمة ذلك .وغرض الشارع من ذلك العلم بهذه الاوقات لا التعبد برؤية الهلال ولا بتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر أي انفصال كل من الآخر برؤية ضوء الفجر المستطير من جهة المشرق — ولا التعبد برؤية ظل الزوال وقت الظهر ، وصيرورة ظل الشيء مثله وقت العصر — ولا برؤية غروب الشمس وغيبة الشفق لوقتي العشائين ، فغرض الشارع من مواقيت العبادة معرفتها وما ذكره (ص) من نوط اثبات الشهر برؤية الهلال أو اكمال العدة بشرطه قد علله بكون الامة في عهده كانت أمية ومن

مقاصد بعثته إخراجهامن الامية لا إبقاؤهافيها،قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم،ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)وفي معناه ماذكره من دعوة ابراهيم (ص) بذلك في سورة البقرة ويؤخذ منه ان لعلم الكتابة والحكمة حكما غير حكم الامية

(٢) أن من مقاصد الشارع اتفاق الامة في عباداتها ماأمكن الاتفاق وسيلة ومقصدا ، فاما أن تتفق كلها أو أهل كل قطر منها على العمل بظواهر نصوص الشرع وعمل النبي ﷺ وأصحابه في الصدر الاول في مواقيت الصلاة والصيام والحج من رؤية الفجر والظل والغروب والشفق والهلال عند الامكان ، وبالتقدير أو رؤية العلامات عند عدم الامكان ، وفي هذه الحالة لايجوز لمؤذن الفجر ان يؤذن الا اذا رأى ضوءه معترضا في جهة المشرق وهو يختلف باختلاف الليالى ففى النصف الثاني من الشهر ولاسيما أواخره يرى متأخرا عن الوقت الذى يرى فيه ليالي النصف الاول المظلمة بقدر تأثير نور القمر في جهة المشرق . وقد قال ﷺ في رمضان « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا آذان ابن ام مكتوم » قال بعض رواته وكان رجلا أعمى لايؤذن حتي يقال له : اصبحت اصبحت » رواه الشيخان وغيرهما — وإما أن تعمل بالحساب والمراصد عند ثبوت إفادتها العلم القطعي بهذه المواقيت التي جرى عليها العمل في جميع بلاد الحضارة الاسلامية في الصلاة مع المحافظة على الاستهلال ورؤية الهلال في حال عدم المانع من رؤيته للجمع بين ظاهر النص والمراد منه . ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة عماد الدين فهي أفضل من الصوم وأعم ، وفي غير حالة الصحو وعدم المانع من رؤية الهلال يكون إثبات الشهر باكمال العدة ثلاثين ظنياً أو دون الظني، ومن قواعد الشريعة المتفق عليها أن العلم مقدم على الظن فلا يعمل بالظن مع إمكان العلم ، فمن أمكنة رؤية الكعبة لايجوز له أن يجتهد في التوجه اليها ويعمل بظنه الذي يؤديه اليه الاجتهاد

(٣) اذا قيل إن إفادة الحساب للعلم القطعي بوجود الهلال وإمكان رؤيته خاص بالفلكي الحاسب وقد اختلف العلماء في العلم به كما ذكرتم ولا يكون علمهم

حجة على غيرهم (قلنا) إن الذين لم يبيحوا العمل بالحساب قد علموه بأنه ظن وتخمين لا يفيد علماً ولا ظناً كما نقلناه عن شرح البخاري للحافظ ابن حجر آنفا ، والحساب المعروف في عصرنا هذا يفيد العلم القطعي كما تقدم ويمكن لأئمة المسلمين وأمرائهم الذين ثبت ذلك عندهم أن يصدروا حكماً بالعمل به فيصير حجة على الجمهور ، وهذا أصح من الحكم بإثبات الشهر باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما مع عدم رؤية الهلال ليلة الثلاثين والسماء صحو ليس فيها قتر ولا سحاب يمنع الرؤية ، فان هذا مخالف لنصوص الاحاديث الصحيحة كما تقدم في هذا المقام فهو حكم باطل

(٤) يؤيد هذا الوجه الاخير القول الثالث للامام احمد فيما يجب العمل به اذا غم على الناس رؤية الهلال وهو أن يرجعوا إلى رأي الامام (أي السلطان ولي الامر الشرعي) في الصوم والفطر وقد تقدم مع القولين الآخرين

(٥) اذا تقرر لدى أولي الامر بالعمل بالتقاويم الفلكية في مواقيت شهري الصيام والحج كمواقيت الصلاة وصيام كل يوم من الفجر إلى الليل امتنع التفرق والاختلاف بين المسلمين في كل قطر أو في البلاد التي تتفق مطالعها ، وهذه لاضرر في الاختلاف في صيامها كما أنه لاضرر في الاختلاف في صلواتها

وجملة القول أننا بين أمرين: اما ان نعمل بالرؤية في جميع مواقيت العبادات أخذا بظواهر النصوص وحسبانها تعبدية، وحينئذ يجب على كل مؤذن ان لا يؤذن حتى يرى نور الفجر الصادق مستطيرا منتشرا في الافق ، وحتى يرى الزوال والغروب الخ ، وإما أن نعمل بالحساب المقطوع به لانه اقرب الى مقصد الشارع وهو العلم القطعي بالمواقيت وعدم الاختلاف فيها، وحينئذ يمكن وضع تقويم عام تبين فيه الاوقات التي يرى فيها هلال كل شهر في كل قطر عند عدم المانع من الرؤية وتوزع في العالم ، فاذا زادوا عليها استهلال جماعة في كل مكان فان رأوه كان ذلك نوراً على نور ، وأما هذا الاختلاف وترك النصوص في جميع المواقيت عملا بالحساب ماعدا مسألة الهلال فلا وجه ولا دليل عليه ولم يقل به امام مجتهد بل هو من قبيل (أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) والله أعلم وأحكم

أنباء العالم الإسلامي

﴿ الحجاز ونجد ﴾ هما خير الاقطار الاسلامية في هذا العصر أماناً في الانفس والآفاق ، وعدلا في الاحكام ، وطاعة للامام ، وقد شرعت حكومة الحجاز السعودية في رصف الحجارة في المسعى بين الصفا والمروة لمنع الغبار وتسهيل فريضة السعي على الحجاج ، وهو عمل قد فضلت به هذه الحكومة جميع ماقبلها من حكومات الاسلام . وشرعت أيضاً في نشر التعليم فناطت إدارة المعارف العامة بصديقنا الاستاذ الشيخ محمد كامل قصاب الشهير فأنشأ المعهد السعودي العلمي الجامع للتعليم الديني والدنيوي وبعض اللغات الاجنبية ، وناط إدارته بصديقنا الأستاذ الشيخ محمد بهجت البيطار فأحسن الاختيار ، وانشأ مدارس جديدة وسنبين تفصيل ذلك في باب التربية والتعليم من جزء آخر ، وإدارة الصحة هنالك مجدة في عملها

وقد انتشر صيت الامام السعودي في بلاد الغرب وزار ثغر جدة بعض الأوربيين والاميركانيين فأثنوا عليه وعلى إدارته وأحكامه الاسلامية ثناء لم يكن يتصوره أحد حتى شبهه كاتب ألماني يراسل كثيراً من صحف بلاده بالبرنس بسمارك أعظم ساسة أوربة في عصره ، مع الشهادة بالعقل عن جميع قناصل الدول بصراحته وصدقه ، وأثنى عليه وعلى حكمه الاسلامي المستر كراين سفير الولايات المتحدة في الصين من قبل ، فقال لو رجع النبي محمد (ص) إلى الدنيا لما رأى دينه الذي جاء به من النور والهدى إلا في بلاده (نجد) وقد نشر ثناؤهما في أشهر الجرائد المصرية

﴿ اليمن ﴾ يسوءنا من أخبارها رسوخ اقدام الدولة الايطالية فيها يوما بعد يوم باقدام رجلها الطماع الطماح الضاري باستعمار البلاد العربية السنيور موسوليني الجريء ، وما تلا تدخل هذه الدولة من استعداد الامام يحيى للحرب والكفاح ، ولا مجال للحرب هنالك إلا قتال جيرانه من العرب والمسلمين ، ويقال إن موعد زحف جيوشه على جاره السيد الادريسي شهر شوال الآتي ، أعاذ الله العرب والمسلمين من هذه الفتنة التي أجمعوا على كراهتها ، والخوف من سوء عاقبتها ، ولا نزال

نستبعد على حكمة الامام يحيى إيقاد نارها ، بما نعهد من بصيرته واخلاقه وقد شرحنا ذلك في الجزء الماضي من المنار

﴿ مصر ﴾ يعمل برلمانها عمله بهدوء واتفاق ، وتسير حكومتها سيرها في إدارة البلاد مؤيدة بتضامن الاحزاب ، وهي تتمتع فيها باستقلال إداري تام ، ولكنه مقيد بالامتيازات الاجنبية ، والمراقبة البريطانية ، وقد رزئت البلاد بعسرة مالية ، كانت عثرة في سبيل الغلو الفاحش في الاسراف والزينة ، وانتشر وباء الالحاد وفساد الاخلاق وتهتك النساء وفشو المسكرات والمخدرات ، فهو يفتك بالارواح والاجساد ، ويجرف ثروة البلاد ، وقد أبت النيابة محاكمة داعية هذا الالحاد ولوازمه القاتلة الدكتور طه حسين ، وابت وزارة المعارف إخراجه من مدرسة الجامعة ، فنيابة الجامعة المصرية الجديدة خطر عظيم على مصر

﴿ العراق ﴾ تسير حكومته كما تحب الدولة البريطانية وترضى في الظاهر ، والشعب مضطرب الباطن ، وأداء فريضة الحج ممنوع إرضاء للملك فيصل وأخيه وتغليباً لأهواء متعصبي الشيعة ، وقد حدثت في بغداد ثورة مدرسية فصحفية أيدها أحرار البلاد بسبب اضطهاد وزير المعارف الشيعي لاستاذ سوري ألف كتابا في التاريخ يفضل به خلافة معاوية على خلافة أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله وجهه ، وذكر رأيه هذا في المدرسة للطلبة فهاجت التلاميذ من الشيعة فعزله الوزير وعزل سائر المدرسين السوريين وأخرجتهم الحكومة من البلاد العراقية ، وعزلت بعض المدرسين البغداديين أيضاً ، وطردت بعض الطلبة المتظاهرين لحرية العلم على الوزارة طرداً ، هكذا بلغتنا الحادثة ولم نر الكتاب المذكور

﴿ سورية ﴾ تنتظر البلاد السورية ماعسى أن يكون من دراسة المندوب السامي الاخير (موسيو بونسو) لأحوالها ، وسماعه لآراء كبرائها وأحزابها ، وزعماء الثورة ينتظرون مع الامة آخر أمل لهم في وحدة البلاد وحريتها واستقلالها ، فلذلك هدأت الثورة ولكن لم تنطفىء جذوتها

﴿ فلسطين ﴾ اسوأ مايسوء من حوادثها تخاذل المسلمين بعد اتحاد كان مثار الاعجاب ، ومضي المستعمرين في عملهم بمنتهى النجاح ، ودخول الصهيونيين لأربهم

الاسمى من كل باب ، وقيام الامير عبد الله (الحسينعلي) بخدمته لمستعمليه على شرق الاردن بمنتهى الاجتهاد ، فقد قضى على استقلالها ، وجعلها ملحقة بفلسطين في « انتدابها » ، واقتطع بالتواطؤ مع أخيه (علي) الذي كان مملكا في جدة قطعة من أثمن أرض الحجاز المقدسة فألصقها بها ، ومكن بها الاجانب مقاتلها ، بل مقاتل الحجاز أيضاً وألقى الشقاق بين أعرابها وبين جيرانهم من أهل نجد والحجاز الخ « وكل الصيد في جوف الفرا »

﴿ جاوه ﴾ مسلمو جاوه يسيرون في نشر العلم والاصلاح في بلادهم سيراً حسناً ، ولم تؤثر في بلادهم دعاية الرفض والشقاق شيئا ، ولكن حدث في بلادهم ثورة بلشفية لم تكن منتظرة منهم ، لأن هداية الاسلام أقوى من نزغات التفرنج فيهم ، وقد نكلت حكومتهم الهولندية بكثير من رجال الثورة والمتهمين بها ، فنحن ننصح لرجال الدين أن يبينوا للشعب مابين البلشفية والاسلام من الخلاف والتباين ، وننصح للحكومة الهولندية أن تكف من غلواء دعاة النصرانية في هذه البلاد فانه لاشيء يبغضها إلى المسلمين ويعدهم لقبول الثورات البلشفية وغيرها من الفتن إلا الطعن في دينهم واضطهادهم فيه . وليعلم أحرار هذه الامة أن نقل شعب مسلم من أفق التوحيد إلى حظيرة التثليث غاية لاتدرك ، وأكبر مافعله دعاة النصرانية في البلاد الاسلامية تشكيك بعض المسلمين في دينهم وفي كل دين بالاولى ، ومتى ضاع دين المسلم صار قابلا لجميع الآراء والافكار العصرية ، التي هي أشد خطراً على الدول الاستعمارية ... مما حدث في الشرق من اليقظة العامة والجرأة التامة ،

﴿ الهند ﴾ كان مسلمو الهند في السنين التي تلت الحرب أحسن حالا مما كانوا قبلها في اتفاقهم مع الوثنيين من أهل وطنهم على الحكومة الانكليزية كما كانوا أحسن حالا في شؤونهم الاسلامية الخاصة بهم ، فساء الحالان كلاهما في هذا العام ، واشتد الشقاق والخصام ، ومما ينتقد على أهل الهند في مسألتهم الوطنية إن أكبر مثار للشقاق بين المسلمين والهندوس هو إصرار المسلمين على ذبح البقر على مرأى من الهندوس وأكلها ، ومرور هؤلاء بمعازفهم على مساجد أولئك

للتهويش عليهم في أثناء صلواتهم ، ولو ترك كل من الفريقين مايسوء الآخر من هذين الأمرين لم يكن آثما في حكم دينه ، والأولى بالأثم من يعمل عملا مباحا في الدين وهو يعلم انه يفضي الى شقاق وقتال تسفك فيه الدماء . إن الله تعالى أحل للمسلمين أكل البقر ولم يفرضه عليهم ، وإن أكثر المسلمين الذين عرفنا بلادهم لا يأكلون لحم البقر ولا يحرمونه

وأما الشقاق بين المسلمين أنفسهم فقد بدأ باثارته غلاة التعصب من الشيعة واستخدموا جمعية خدام الحرمين في (لكهنو) ولكن تأثير هؤلاء بدعاية مملكي مكة الشريف حسين وولده الشريف علي كان ككيد الشيطان ضعيفا ، فنفخ في ناره الزعيمان السياسيان شوكت علي ومحمد علي بتحولهما عن سياستهما السابقة في تأييد ابن السعود الى سياسة الاسراف والافراط في عداوته لأنه لم ينفذ لهما رأيهما في جعل حكومة الحجاز جمهورية بالشكل الذي يقترحانه، وهو مالا يوافقهما عليه العالم الاسلامي وانما يوافقهم عليه الشيعة وبعض المقلدين لهما من عوام الهنود ، وسنبين ذلك بالتفصيل في رحلتنا الحجازية إن شاء الله تعالى

ونقول هنا انه لايوجد شيء أضر على الأمم والشعوب من الخلاف والشقاق. فان فرضنا أن رأي الزعيمين الكبيرين حسن في نفسه ، فان مساوي الوسيلة التي يتوسلان بها إليه تزيد على حسنه أضعافا كثيرة ، وهذه المساوي دينية وسياسية ، من أقبحها تجديد النزاع والتباغض بين أهل السنة والشيعة بعد أن خبت نارهما بسعي العقلاء المصلحين بدعوة حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني ومريديه من الفريقين — ولعلنا أشدهم اجتهاداً في ذلك — ومنها الدعوة الى ترك أداء فريضة الحج مادام ابن سعود مستولياً على الحجاز ، ومن استحل هذا يرتد عن الاسلام باجماع أهل السنة والشيعة . وقد كان من مفاسد هذا الشقاق سعي بعض الهنود لدى الدولة البريطانية بقتال ابن السعود في حرم الله ورسوله وإخراجها إياه منه . وزعيم هذه الجناية على الاسلام والمسلمين زعيم الشيعة محمد علي راجامحمود آباد — فهل يجهل أجهل مسلم في الدنيا أن خصوم ابن السعود أعدي أعداء الاسلام ؟؟

تقريظ المطبوعات . مجلات جديدة

﴿ لغة العرب ﴾ « مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية — بيد الآباء الكرمليين المرسلين . صاحب امتيازها الاب أنستاس ماري الكرملي »

أنشئت هذه المجلة ببغداد سنة ١٣٢٩ الموافقة سنة ١٩١١ وصدر الجزء الاول في منتصف هذه السنة الميلادية وقرظناها في الجزء الثامن من المجلد الرابع عشر واستمرت ثلاث سنين ثم حجبت في سنة ١٩١٤ ميلادية بسبب الحرب العظمى ونكباتها . وقد استؤنف اصدارها في منتصف السنة الماضية (١٩٢٦) وهي تصدر في بغداد كل شهر « وبدل اشتراكها في بغداد ١٢ ربية (هندية) وفي الديار العربية اللسان ١٣ ربيه ، وفي الديار الاجنبية ١٥ ربية تدفع كلها سلفاً » فعسى أن تلقى في جميع البلاد العربية وعند أهل العلم والادب العربي في كل قطر ماتستحقه من الرواج ، ويكفي عناية صاحب امتيازها المدقق بهذه اللغة الجليلة

﴿ الجامعة ﴾ مجلة علمية تاريخية فلسفية أدبية تصدر في بغداد من قبل المدرسة العالية التي أنشئت في ضواحي بغداد باسم (جامعة آل البيت) وفي طرتها أنها مختصة بمحاضرات الاساتذة ومقالات المنتمين إلى الجامعة ، وأنه يقوم بطبعها طلبة الجامعة ، وأنها تصدر في الشهر مرة أو مرتين وأن بدل الاشتراك فيها عن اثني عشر عدداً ١٥ ربية (هندية) وقد صدر العدد الأول منها في ٣٠ شعبان سنة ١٣٤٤ الموافق ١٥ آذار (مارس) سنة ١٩٢٦ وصفحاته ٩٦ من القطع الكامل — وصدر العدد الثاني في ٥ صفر سنة ١٣٤٥ الموافق ١٥ آب (أغسطس) ولم نطلع على غير هذين العددين

جامعة آل البيت هذه أثر الملك فيصل يحفظه له التاريخ فهو الذي اقترحها وينفذ اقتراحه بالتدريج وسنتكلم عنها في فرصة أخرى بعد الوقوف على مايجب من شؤونها وفي المجلة جل المباحث العلمية منه وان لنا العودة اليها ان شاء الله تعالى

﴿ الوحي ﴾ مجلة شهرية تبحث في الادب والدين لمنشئيها محمود عثمان وزاكي عثمان » تصدر في مدينة (حماه) وقيمة اشتراكها في حماه وسورية ٤٠ قرشاً ذهبياً

وفي بقية الاقطار ٣٠ قرشا مصريا وبخمس ربع القيمة لمعلمي المدارس وتلاميذها. والجزء منها مؤلف أربع كراريس (ملازم) من القطع الوسط (أي ٣٢ صفحة)

﴿ مرآة المحمدية ﴾ « مجلة اجتماعية أخلاقية تصدر مرة في كل شهر أصدرها مؤلفات نكتب للجمعية المحمدية » في (جكجاكرتا - جاوه) باللغة العربية في هذا العام فصدر العدد الاول منها في عاشر ربيع الاول منه. ومحررها السيد (محمد علي قدس) ومديرها المالي السيد (محمد سليم بن زين الدين) « وهي ترسل لكل من يطلبها مجانا لأن اشتراكها على ريحية المحسنين » فبارك الله بمحسني الجاويين

وأما الجمعية المحمدية نفسها فقد ألفت منذ بضع عشرة سنة بإرشاد داعية الاصلاح الحاج احمد دحلان رحمه الله تعالى ونجحت نجاحا عظيما، ولها في مركزها العام مكتبة مفتوحة للطالعين فيها المختارات النافعة من المطبوعات العربية والجاوية. وقد انشأت جماعة النساء المنتسبات الى الجمعية مسجدا خاصا بهن يصلين فيه الصلوات. وللجمعية أيضا فرقة كشافة تتولى تربيتها على الاساليب الحديثة زادها الله نجاحا وتوفيقا

﴿ التمدن الاسلامي ﴾ مجلة تبحث في الدين والأدب وشؤون الاجتماع، شعارها (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أنشأها في طرابلس الشام كل من عبد الحليم بك مراد صاحب الامتياز بها والمدير المسؤول عنها - وعبد الله افندي الشامي رئيس تحريرها. وهي تصدر في كل شهر قمري مرتين كل جزء منها عشرون صفحة كبيرة وقيمة الاشتراك فيها مدة سنة كاملة ثلاثون قرشا سوريا ذهبا في سورية وخمسون قرشا في خارجها. وقد رأينا فيما صدر منها مقالات في أهم المسائل الاسلامية التي تهم مسلمي هذا العصر. لعلها، طرابلس وأدبائها، تبشر بأمدادهم إياها وعنايتهم بها، فنتمنى لها سعة الانتشار والتوفيق

﴿ الكشاف ﴾ مجلة علمية أدبية مصورة « غايتها الاجتماعي عن طريق التربية والتهذيب » يصدرها في بيروت مقر الكشاف العام. مديرها المسئول محمود افندي أحمد عيتاني، ومدير شؤونها بهاء الدين أفندي الطباع. واشتراكها السنوي في البلاد السورية ٧٥ قرشا ذهبيا وفي الخارج عشرون شلنا (جنيه انكليزي)

وللكشافة في سورية ٦٠ قرشا وفي الخارج ١٧ شلنا . وقد صدر الجزء الأول منها في رجب الماضي في ٦٤ صفحة حافلة بالفوائد – والرجاء في ثباتها والانتفاع بها قوي بهمة الكشافة واستعداد الشعب

﴿ اللطائف العصرية ﴾ «مجلة علمية أدبية روائية فكاهية تصدر في بيروت مرتين في الشهر – لصاحبها عبد الرحمن افندي عكاوي مديرها المسؤول وعزت افندى الطيان – واشتراكها السنوى ٤٠ قرشاً ذهبا في سورية ولبنان وفي الخارج ٧٥ قرشا أو مايعادلها قروشا سورية مع خصم ١٥ بالمائة لطلبة المدارس ومعلميها»

كان صدر منها بضعة أجزاء ثم حجبت عن قرائها ثم عادت الى الظهور وبين يدينا الآن الجزآن ٨ و ٩ وينتهيان بالصفحة ٢٨٨ وقد صدرا فى جمادى الآخرة من هذا العام

﴿ غابر الأندلس وحاضرها ﴾ تاريخ وجيز للأستاذ محمد كرد علي أفندي رئيس المجمع العلمي في دمشق أودعه خلاصة تاريخية جامعة مفيدة مما طالعه في الكتب العربية والافرنجية في ذلك التاريخ العربي الذهبي في بدايته الناري في نهايته ومما أطلع عليه واستفاده في سياحته. وقد طبع سنة ١٣٤١ بالمطبعة الرحمانية بمصر وثمن النسخة منه خمسة قروش

﴿ مجلة كلية الحقوق ﴾ «للمباحث القانونية والاقتصادية» يصدرها في مصر جماعة من كبار رجال القوانين وطلبة كلية الحقوق ورئيس تحريرها الاستاذ حسني عبده الشنتناوي وقد صدر الجزآن الأولان منها وفي صدورهما مقالان لصديقنا الاستاذ الشيخ أحمد ابراهيم مدرس الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق أفقه فقهاء مصر في هذا العصر فهو من محرري هذه المجلة – وهي تطبع على ورق جيد ، من القطع الكامل ومن الغريب الشاذ أن الارقام العددية لصحائفها غير متسلسلة في أجزائها بل جعل للجزء الثاني أرقام مستأنفة كأنه كتاب مستقل

﴿ البلاغ الجزائرى ﴾ جريدة علمية إرشادية دفاعية يصدرها في مدينة الجزائر مديرها وصاحب امتيازها السيد حدوني محمد بن محيي الدين في ورقة ذات صفحتين ، وهي تنوه بالصوفية وتدافع عن مشايخ الطرق الذين قامت عليهم قيامة أهل هذا العصر من المسلمين . وقيمة اشتراكها في الجزائر ٣٠ فرنكا وفي بقية الاقطار ٣٥ فرنكا

﴿ الجزء الثاني ﴾ ١٣٤٥ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بخـتم الادارة الخاص وموقعا عليـه بتوقيـع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

المنار
١٣١٥

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (مصر ـ ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل ﴾

فهرست الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين من المنار

التفسير - فيه نفي الرسول عن نفسه ملك النفع والضر وعلم الغيب وان ذلك مختص بالله تعالى وان مقامه أعلى مراتب العبودية ودون الربوبية وحصر وظيفة الرسالة في التبليغ وشبهة الشرك العامة في مشركي جميع الامم وان الشرك خفي وجلي وتنزه الله تعالى عن شرك المشركين وبطلان ماروي في اسناد الشرك الى آدم وحواء وان لافرق في اتخاذ الشريك كائنا ما كان ، وفيه بحث خلق الناس من نفس واحدة وخلق الزوجة من نفس زوجها ٨١ — ١٠٠

انموذج من تفسير الجزء الأول وفيه زيادات عما كتب ونشر أولا في المنار من تحقيق وجوه الاعجاز بالاسلوب ونظم الكلام وصورة تأليفه والبلاغة وتعريفها والتأثير بالقلوب والعقول والاخبار بالغيب وسلامته من الاختلاف وما فيه من العلوم وبعجز الزمان عن إبطال شيء منه وبحكمه على الكتب التي قبله ١٠١-١١٢

الفتاوى - فتوى في حكمة تعدد زواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيها تحريم الزواج والطلاق عليه بعد اختيار نسائه له وبيان أسباب تزوجه بهن واحدة واحدة.

فتوى في مال الزكاة لاعانة المدارس الخيرية . فتوى في سماع القرآن والغناء من الفونغراف ١١٣ - ١٢٠

الاحكام الفقهية — تابع ما قبله من أحكام السفر والاقامة لابن تيمية ١٢١-١٢٨

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى ونظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم تابع لما قبله ١٢٨ — ١٣١

محاضرة المستر كراين عن جزيرة العرب في جمعية الرابطة الشرقية ١٣٢ - ١٣٩

مشروع بريطاني جديد لتنصير جزيرة العرب ١٤٠ - ١٤٤

تحول الكنيسة الانكليزية عن التقاليد النصرانية ١٤٤ - ١٤٩

خطبة الشيخ عبد العزيز الخولي في افتتاح جامع في شبرا ١٥٠-١٥٢

قانون الاحوال الشخصية بين الملاحدة والمتفقهة ١٥٣ — ١٥٨

انباء العالم الاسلامي ١٥٩

موسم الحج في هذا العام ١٦٠

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

سلخ رمضان سنة ١٣٤٥ه ١٢ برج الحمل سنة ١٣٠٦ه ش ٢ ابريل سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

(١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

هذه الآية من أعظم أصول الدين وقواعد عقائده ببيانها لحقيقة الرسالة والفصل بينها وبين الربوبية والالوهية، وهدمها لقواعد الشرك ومباني الوثنية من أساسها. ومناسبتها لما قبلها أن الله تعالى أمر خاتم رسله فيما قبلها أن يجيب السائلين له عن الساعة بأن علمها عند الله تعالى وحده وأمرها بيده وحده — وأمره في هذه أن يبين للناس أن كل الامور بيد الله تعالى وحده، وأن علم الغيب كله عنده، وأن ينفي كلا منهما عن نفسه ﷺ وذلك أن الذين كانوا يسألونه (ص) عن الساعة من المسلمين كانوا يظنون أن منصب الرسالة قد يقتضي علم الساعة وغيرها من علم الغيب

وربما كان يظن بعض حديثي العهد بالاسلام أن الرسول قد يقدر على مالا يصل اليه كسب البشر من جلب النفع ومنع الضر عن نفسه وعمن يحب أو يشاء، أو منع النفع وإحداث الضر بمن يكره أو بمن يشاء. فأمره الله تعالى أن يبين للناس أن منصب الرسالة لا يقتضي ذلك، وأنما وظيفة الرسول التعليم والارشاد، لا الخلق والايجاد، وأنه لا يعلم من الغيب إلا ما يتعلق بذلك مما علمه الله بوحيه، وأنه فيما عدا تبليغ الوحي عن الله تعالى بشر كسائر الناس (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ) قال عز وجل:

﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾ أي قل أيها الرسول للناس فيما تبلغه من أمر دينهم إنني لا أملك لنفسي — أي ولا لغيري بالاولى — جلب نفع مافي وقت ما، ولا دفع ضرر مافي وقت ما، فوقوع كلمتي النفع والضر نكرتين منفيتين يفيد العموم حسب القاعدة المعروفة، ونفي عموم الفعل يقتضي نفي عموم الاوقات له. ولكن هذا العموم مشكل بما هو معلوم بالضرورة من تمكن كل انسان سليم الاعضاء من نفع نفسه وغيره في بعض الامور الكسبية ودفع بعض الضرر عنهما، ولذلك حرمت الشريعة الضرر والضرار

ويجاب عن هذا الاشكال من وجهين (أحدهما) أن الرسول ﷺ لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً مستقلا بقدرته وإنما يملك مايملكه من ذلك بتمليك الرب

الخالق جلت قدرته وهو المراد بالاستثناء أي لا أملك منهما ﴿إلا ماشاء الله﴾ من نفع أقدرني على جلبه وضر اقدرني على منعه وسخر لي أسبابهما، أو الا وقت مشيئته سبحانه أن يمكنني من ذلك. فالمعنى المراد على هذا هو بيان عجز المخلوق الذاتي وكون كل شيء أوتيه فهو بمشيئة الله تعالى لا يستقل العبد بشيء منه استقلالا مطلقا ولا هو يملكه بذاته لذاته، بل بمشيئة الله تعالى، فالاستثناء على هذا متصل بما قبله مخصص لعمومه مقيد لاطلاقه

(الثاني) أنه ﷺ لا يملك بمقتضى منصب الرسالة نفعاً ولا ضراً لنفسه بمنطوق الجملة ولا لغيره بمفهومها الاولى مما يعجز عنه غيره بمقتضى بشريته وما أقدره الله تعالى عليه بمقتضى سنته في عالم الاسباب والمسببات، كما أنه لا يملك شيئاً من

علم الغيب الذي هو شأن الخالق دون المخلوق كما يأتي بيانه في تفسير الجملة التالية. والاستثناء على هـذا منفصل عما قبله مؤكد لعمومه ، أي لكن ماشاء الله تعالى من ذلك كان، فهو كقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى * إلا ماشاء الله) وقوله حكاية عن خليله ابراهيم عليه السلام (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) وقوله في خطاب كليمه موسى عليه السلام (إني لايخاف لدي المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعـد سوء) الآية .

وهذا الوجه هو المختار عندنا لأن الناس قد فتنوا منذ قوم نوح بمن اصطفاهم الله ووفقهم لطاعته وولايته من الانبياء ومن دون الانبياء من الصالحين فجعلوهم شركاء لله تعالى فيما يرجوه عباده من نفع يسوقه اليهم، وما يخشونه من شر يمسهم فيدعونه ليكشفه عنهم ، وصاروا يدعونهم كما يدعونه لذلك إما استقلالا ، وإما إشراكا ، إذ منهم من يظن أنه تعالى قد أعطاهم القدرة على التصرف في خلقه بما هو فوق الاسباب التي منحها الله تعالى لسائر الناس فصاروا يستقلون بالنفع والضر منحا ومنعاً، وإيجابا وسلباً ، ومنهم من يعتقد أن التصرف الغيبي الاعلى الذي هو فوق الاسباب الكسبية الممنوحة للبشر خاص بربهم لايقدر عليه غيره ولكنهم يظنون مع هذا أن هؤلاء الانبياء والاولياء عند الله تعالى كوزراء الملوك وحجابهم وبطانتهم، وسطاء بينهم وبين من لم يصل إلى رتبتهم، فالملك المستبد بسلطانه يعطي هذا ويعفو عن ذنب هذا بوساطة هؤلاء الوزراء والحجاب المقربين عنده ، وكذلك رب العالمين يعطي ويمنع ويغفر ويرحم وينتقم بوساطة أنبيائه وأوليائه بزعمهم، فهم شفعاء للناس عنده تعالى يقربونهم اليه زلفى كما حكاه التنزيل عن المشركين، وبيناه في مواضع من هذا التفسير (١)

وفي مثل هـذا التشبيه الوثني وتمثيل تصرف الرب العظيم الغني عن عباده بتصرف الملوك المستبدين الجاهلين الذين يحتاجون إلى وزرائهم وبطانتهم في حمله على ماينبغي له فيهم ـ قال الله تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) وبين في هـذه الآية وأمثالها أن رسل الله تعالى وهم صفوة خلقه لايشاركون الله تعالى في صفة من صفاته ، ولا تأثير لاحد منهم في علمه ولا في مشيئته ، لانها كاملة أزلية

(١) يراجع لفظ الشفاعة والشفعاء في فهارس أجزاء التفسير كلها

لا يطرأ عليها تغير ، وأن الرسالة التي اختصهم الله تعالى بها لا يدخل في معناها إقدارهم على النفع والضر بسلطان فوق الاسباب المسخرة لسائر البشر ولا منحهم علم الغيب وإنما هي تبليغ وحي الله تعالى وبيانه للناس بالقول والفعل والحكم

ودليلنا على اختيار هذا الوجه أن مدار العبودية على توجه العباد إلى المعبود فيما يرجون من نفع ويخافون من ضر ، فاستعمل اللفظان في التنزيل في بيان أن الرب المستحق للعبادة هو من يملك الضر والنفع غير خاضع ولا مقيد بالاسباب العادية كقوله تعالى (٥ : ٧٦ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً) وقوله في عجل بني اسرائيل (٢٠ : ٨٩ أفلا يرون ألاّ يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) وقوله (٤٨ : ١١ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً ؟) وقوله (١٣ : ١٧ قل من رب السموات والارض ؟ قل الله ، قل أفاتخذتم من دون الله أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ؟) وقوله (٢٥ : ٣ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً) الآية

فلما كان ملك الضر والنفع بهذا الاطلاق خاصاً برب العباد وخالقهم ، وكان طلب النفع أو كشف الضر عبادة لا يجوز أن يوجه إلى غيره من عباده مهما يكن فضله تعالى عظيما عليهم - أمر الله رسوله ﷺ أن يصرح بالبلاغ عنه أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، وقد تكرر هذا الأمر له في القرآن مبالغة في تقريره وتوكيده فقال تعالى في سورة يونس (١٠ : ٤٩ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) الآية ، وقال في سورة الجن (٧٢ : ٢٠ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) وهذه الآية أبلغ وأشمل مما في معناها بما فيها من إيجاز واحتباك بحذف ما يقابل الضر والرشد المذكورين وهما ضدهما بدلالتهما عليهما والتقدير : لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ، ولا رشداً ولا غواية — فهذه الآيات بمعنى ما هنا تؤيد اختيارنا

ثم أمره تعالى أن ينفي عن نفسه علم الغيب مستدلا عليه بانتفاء اظهر منافعه القريبة فقال

﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ الخير مايرغب الناس فيه من المنافع المادية والمعنوية كالمال والعلم ، والسوء مايرغبون عنه

مما يسوءهم ويضرهم ، ويراد بهما هنا الجنس الذي يصدق ببعض أفراده وهو الخير الذي يمكن تداركه وتحصيله، والسوء الذي يمكن الاستعداد لدفعه بعلم ما يأتي به الغد . والجملة استدلال على نفي علم النبي ﷺ الغيب كأنه يقول لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا أعلم الغيب ، ولو كنت أعلم الغيب - وأقربه ما يقع في مستقبل أيامي في الدنيا - لاستكثرت من الخير كالمال وأعمال البر التي تتوقف على معرفة ما يكون في المستقبل من عسرة وغلاء مثلا وتغير الاحوال، ولما مسني السوء الذي يمكن الاحتياط لدفعه بعلم الغيب كشدة الحاجة مثلا ، ومن امثلته في العبادة قوله ﷺ في حجة الوداع « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا ان معي الهدي لأحللت » رواه الشيخان وغيرهما - يعني لو انه علم ﷺ ما يحصل من انفراده دون أصحابه بسوقه الهدي إلى الحرم من مشقة فسخهم الحج إلى عمرة دونه إذ لا يباح الفسخ والتحلل بالعمرة لمن معه الهدي لما ساق الهدي ليوافق الجمهور في تمتعهم بالعمرة إلى الحج . ومن أمثلته في الادارة وسياسة الحرب ما عاتبه الله تعالى عليه من الاعراض عن الأعمى والتصدي للاغنياء ومن أخذ الفداء من أسرى بدر ، ومن الاذن بتخلف المنافقين في غزوة تبوك سنة العسرة ، ولم أر أحداً نبه على هذا النوع من المفسرين .

وفيه وجه آخر انه مستأنف غير معطوف على ماقبله ، ومعناه وما مسني الجنون كما زعم الجاهلون ، فيكون حاصل معنى الآية نفي رفعه إلى رتبة الربوبية الذي افتتن بمثله الغلاة ، ونفي وضعه في ادنى مرتبة البشرية الذي زعمته الغواة العتاة . وبيان حقيقة امره ، وما رفع الله تعالى من قدره ، بجعله فوق جميع البشر بوحيه ، ووساطته بينه وبين خلقه ، لكن في التبليغ والارشاد ، لا في الخلق والايجاد ، ولا في تدبير أمور العباد ، فان هذا شأن الربوبية ، وانما هو صلوات الله عليه وسلامه في أعلى مقام العبودية ،

ومن نكت البلاغة في القرآن بتقديم اللفظ على ما يقابله في آية وتأخيره في أخرى تقديم النفع على الضر في هذه الآية وتأخيره وتقديم الضر عليه في آية سورة يونس المذكورة آنفا . والفرق المحسن لذلك ان آية الاعراف جاءت بعد

السؤال عن الساعة أيان مرساها، وأكبر فوائد العلم بالساعة وهو من علم الغيب الاستعداد لها بالعمل الصالح واتقاء أسباب العقاب فيها، فاقتضى ذلك البدء بنفي ملك النفع لنفسه بمثل هذا الاستعداد وتأخير ملك الضر المراد به ملك دفعه واتقاء وقوعه، وأن يستدل على ذلك بما ذكر من انه لو كان يعلم الغيب حتى فيما دون الساعة زمنا وعظم شأن لاستكثر من الخير الذي يتعلق بالاستعداد للمستقبل واتقى أسباب ما يمسه من السوء فيه كالامثلة التي ذكرناها

وأما آية سورة يونس فقد وردت في سياق تماري الكفار فيما أوعدهم الله من العقاب على التكذيب بما جاءهم به رسوله من البينات والهدى واستعجالهم إياه تهكما ومبالغة في الجحود، فناسب أن يذكر في جوابهم أنه لا يملك لنفسه ولا لهم ضراً كتعجيل العذاب الذي يكذبون به ولا نفعاً كالنصر الذي يترتب على تعجيل العذاب لهم في الدنيا، فقد أمره الله تعالى ان يبلغهم ان أمر عذابهم تعجيلا أو تأخيرا لله تعالى وحده كما أمره أن ينفي عن نفسه القدرة على ما اقترحوه من الآيات، ومن ذلك ماذكره تعالى من مقترحاتهم في سورة الاسراء من تفجير ينبوع في مكة وايجاد جنة تتفجر الانهار خلالها تفجيرا - أو إسقاط السماء عليهم كسفا (وهو من العذاب) الخ ومن أمره تعالى لرسوله ﷺ أن يجيبهم عن ذلك بقوله (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) وقال تعالى في هذه السورة ايضا (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم، وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي موكلا بأمر ثوابهم وعقابهم منفذا له، وقال تعالى في سورة الرعد (وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

وهاك ماورد في التفسير المأثور في الآية نقلا عن تفسير الحافظ ابن كثير قال:

«أمره الله تعالى أن يفوض الامور اليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا ما أطلعه الله عليه كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) الآية، وقوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) قال لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملا صالحاً،

وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال مثله ابن جريج ، وفيه نظر لأن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ديمة ، وفي رواية كان اذا عمل عملا أثبته فجميع عمله كان على منوال واحد ، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك والله أعلم

«والاحسن في هذا ماروا ه الضحاك عن ابن عباس (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) أي من المال ، وفي رواية لعلمت اذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر . وقال ابن جرير وقال آخرون: معنى ذلك لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ، ولوقت الغلاء من الرخص . وقال عبد الله بن زيد بن أسلم (ومامسني السوء) قال لاجتنبت مايكون من الشر قبل أن يكون واتقيته . » إه وما قلناه أعم وأصح

هذا وإننا قد بينا في تفسير (٦ : ٥ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ، إن أتبع إلا مايوحى إليّ) أن الغيب قسمان حقيقي لايعلمه إلا الله تعالى وإضافي يعلمه بعض الخلق دون بعض ، وأن هذه الآية تنفي قدرة الرسول على التصرف في خلق الله تعالى بما هو فوق كسب البشر ، وتنفي عنه علم الغيب بهذا المعنى ، إلا ماأعلمه الله تعالى به بوحيه لتعلقه بوظيفة الرسالة كالملائكة والحساب والثواب والعقاب — وأن مايطلع الله عليه الرسل من ذلك لايكون من علمهم الكسبي ، بل يدخل في معنى الاجماع على أن النبوة غير مكتسبة. وأوردنا هنالك قوله تعالى في ذلك من سورة الجن(٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول — إلى قوله — ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) الآية . واستطردنا إلى تفنيد مايدعيه بعض مشايخ طرق الصوفية أو يدعى لهم من علم الغيب والتصرف في ملك الله أحياءاً وأمواتاً بما أغنى عن اعادته هنا [1] ثم أطلنا البحث في علم الغيب في تفسير (٦ : ٥٩ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) الآية وتكلمنا فيه عن الكشف وغير ذلك من معرفة بعض الامور المستقبلة المتعلقة بمسألة الغيب الاضافي أو التي لا يصح تسمى

(١) راجع ص٤٢١ ج ٧ تفسير

غيبا لأن لها أسبابا فطرية[1] - وفي الكلام على اشراط الساعة الذي مر بك قريبا بحث فيما أطلع عليه رسوله بما دون الوحي من بعض الحوادث المستقبلة كتمثل الاشياء له تمثلا متفاوتا في الوضوح، وهو لا يعارض هذه الآية كما علمت

﴿ إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ هذا بيان مستأنف لتعليل لما تقدم من نفي امتيازه (ص) على البشر بملك النفع والضر من غير طرق الاسباب وسنن الله في الخلق — ونفي امتيازه عليهم بعلم الغيب ، عللهما ببيان حصر امتيازه عليهم بالتبليغ عن الله عز وجل ، والتبليغ قسمان : قسم مقترن بالتخويف من العقاب على على الكفر والمعاصي وهو الانذار ، وقسم مقترن بالترغيب في الثواب على الايمان والطاعة وهو البشارة أو التبشير . وكل منهما يوجه إلى جميع أمة الدعوة على الاطلاق والآيات فيه كثيرة ، ويوجه أيضا إلى من يؤمن وإلى من يصر على كفره واجرامه مطلقا ، واذا ذكر الفريقان جميعا في سياق واحد يخص الكافرون بالانذار والمؤمنون الصالحون بالتبشير ، وقد ذكر في أول سورة الكهف الانذار المطلق بالقرآن ثم تبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات وإنذار متخذي الولد لله تعالى من الكافرين . ومن المقابلة بين الفريقين قوله تعالى في آخر سورة مريم (لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) وفي معناهما آيات أخرى في المقابلة كما ترى في أوائل سورتي البقرة والاسراء ، ولكن بدون ذكر لفظ الانذار . والتبشير لا يوجه إلى الكافرين والمجرمين بلقبهم إلا باسلوب التهكم كقوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) على القول المشهور الذي عليه الجمهور ، وأما الانذار فقد يوجه إلى المؤمنين المتقين على معنى أنهم هم الذين ينتفعون به كقوله في سورة فاطر (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) وقوله في سورة يس (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم)

بناء على هذا قال بعض المفسرين إن قوله تعالى (لقوم يؤمنون) متعلق بالوصفين على معنى أن المؤمنين هم الذين ينتفعون بانذاره فيزيدهم خشية الله واتقاء لما يسخطه، وبتبشيره فيزدادون شكرا له بعبادته وإقامة سننه. وقال بعضهم إنه متعلق بالثاني

«١» راجع ص ٤٥٦ - ٤٦٩ منه

المتصل به ويدل على حذف مقابله فيما قبله. والتقدير: ما أنا إلا نذير للكافرين وبشير للمؤمنين، ووجه أن المقام مقام التبليغ، وهنالك وجه ثالث وهو أن البشارة للمؤمنين خاصة لاتصالها بهم، والانذار عام لهم ولغيرهم، وقد عرف وجه مما فصلناه

وقد ورد في مثل هذا من حصر وظيفة الرسول بالانذار والتبشير بلفظيهما معاً أو بأحدهما وبلفظ التبليغ الجامع لهما آيات كثيرة بعضها بالاثبات بعد النفي كما هنا وبعضها بانما، والحصر بكل منهما أقوى النصوص القطعية الدلالة، ومع هذا التكرار والتوكيد كله يأبى غلاة الاطراء للرسل ولمن دون الرسل من الصالحين حقيقة أو توهما إلا أن يشركوهم مع الله سبحانه وتعالى في صفات ربوبيته وأفعاله

قال تعالى في سورة سبأ (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون) وقال في سورتي الاسراء والفرقان (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) وقال في سورتي الانعام والكهف (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) وقال في سورة النحل (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وفي سورة يس حكاية عن الرسل (وما علينا الا البلاغ المبين) وفي سورتي النور والعنكبوت (وما على الرسول الا البلاغ المبين)

(فان قيل) إن الحصر في هذه الآيات وأمثالها إضافي فان من وظائف الرسل بيان الوحي والحكم بين الناس كما قال تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقال عز وجل (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) والبيان يكون بالافعال كالاقوال بل الافعال أقوى دلالة وأعصى على تأويل المحرفين. وكما قد امر تعالى بتحكيم رسوله ﷺ والخضوع لحكمه، امر بالتأسي به في هديه وسنته (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)

(قلنا) ان هذا لاينافي الحصر الحقيقي لان التبليغ لدين الله وشرعه لايتم الا بالعمل والحكم به وتنفيذ أحكامه فهو داخل في التبليغ وبيان الوحي

وجملة القول ان الرسل عليهم الصلاة والسلام عبيد لله تعالى مكرمون، لايشاركونه في صفاته ولا في افعاله، ولا سلطان لهم على التأثير في علمه ولا في تدبيره، وهم بشر

كسائر الناس لا يمتازون على البشر في خلقهم وصفاتهم وغرائزهم ، وانما يمتازون باختصاص الله تعالى اياهم بوحيه ، واصطفائهم لتبليغ رسالاته لعباده ، وبما زكاهم وعصمهم فأهلهم لان يكونوا اسوة حسنة وقدوة صالحة للناس في العمل بما جاؤا به عن الله تعالى من الصلاح والتقوى ومكارم الاخلاق .

(١٨٩) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٩٠) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩١) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩٢) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٣) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ، سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ

افتتحت هذه السورة بدعوة القرآن إلى دين التوحيد والأمر باتباع ما أنزل الله ، والنهي عن اتباع أولياء من دونه ، وتلاه التذكير بنشأة الانسان الاولى في الخلق والتكوين ، والعداوة بينه وبين الشيطان ، ثم اختتمت بهذه المعاني ، وهو التذكير بالنشأة الاولى والنهي عن الشرك واتباع وسوسة الشيطان ، والامر بالتوحيد واتباع القرآن ، قال تعالى

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ أي خلقكم من جنس واحد أو حقيقة واحدة صورها بشراً سويا ، ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن اليها ﴾ سكونا زوجيا ، أي جعل لها زوجا من جنسها فكانا زوجين ذكراً وأنثى كما قال تعالى (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) كما انه خلق من كل جنس وكل نوع من الاحياء زوجين اثنين قال عز وجل (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) واننا نشاهد ان كل خلية من الخلايا التي ينمي بها الجسم الحي تنطوي على نويتين

ذكر وأنثى يقترنان فيولد بينهما خلية أخرى ، وهلم جراً ، ونعلم أيضاً كيف يتكون في الارحام كل من الزوجين كما قال تعالى (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى* من نطفة إذا تمنى) ولكننا لا ندري كيف ازدوجت النفس الاولى بعد وحدتها فكانت ذكراً وأنثى ، قال تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) وفي التوراة التي عند أهل الكتاب ان حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم وقد أمرنا نبينا ﷺ أن لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم أي فيما لا نص فيه عندنا لاحتماله، فنحن نعمل بأمره ﷺ في هذا الخبر وان حمل عليه بعض المفسرين وغيرهم حديث «استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج شيء في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » رواه الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا ، فان المتبادر منه الذي اعتمده الشراح في تفسيره ان المراد بخلقها منه أنها ذات اعوجاج وشذوذ تخالف به الرجل كما يشير اليه مارواه ابن حبان عن أبي هريرة« ان المرأة خلقت من ضلع أعوج » فهو على حد قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) وقال الحافظ في شرحه من الفتح : قيل فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير أخرجه ابن اسحاق وزاد: اليسرى من قبل أن يدخل الجنة وجعل مكانه لحم ، ومعنى خلقت أي أخرجت كما تخرج النخلة من النواة اه فتأمل لجعل الحافظ المسألة من باب الاشارة وحكايته لها بصيغة التضعيف ، وما ذكره من تفسيرها الغريب بتشبيه خلق الانسان بخلق النبات ، وظاهره انه لم يطلع على سعة حفظه على قول لمن يعتد بأقوالهم من علماء السلف ومحققي الخلف في المسألة ، ونذكر أن الله تعالى خاطب الناس في عصر التنزيل بمثل ماحكاه لهم في هذه الآية عن نشأة جنسهم في كونه تعالى خلق لهم أزواجا من أنفسهم فقال في بيان آياته من سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فهذا المعنى عام لا خاص بالانسان الأول عبر التنزيل عن ميل الزوج الجنسي إلى زوجه هنا وفي سورة الروم بالسكون وذلك ان المرء إذا بلغ سن الحياة الزوجية يجد في نفسه اضطرابا خاصا لا يسكن

إلا إذا اقترن بزوج من جنسه واتحدا ذلك الاقتران والاتحاد الذي لا تكمل حياتهما الجنسية المنتجة إلا به ، ولذلك قال بعده ﴿ فلما تغشاها ﴾ الخ الغشاء غطاء الشيء الذي يستره من فوقه ، والغاشية الظلة تظله من سحابة وغيرها (والليل إذا يغشى) أي يحجب الاشياء ويسترها بظلامه ، وتغشاها اتاها كغشيها ويزيد ماتعطيه صيغة التفعل من جهد ، وهو كناية نزيهة عن أداء وظيفة الزوجية تشير إلى أن مقتضى الفطرة وأدب الشريعة فيها الستر ، ولفظ النفس مؤنث فأنث في أول الآية ، ولفظ الزوج يطلق على الذكر والانثى ولهذا ذكّر هنا فاعل التغشي وأنث مفعوله . أي فلما تغشى الزوج الذي هو الذكر الزوج التي هي الانثى ﴿ حملت حملا خفيفا ﴾ أي علقت منه وهو الحبل ، والحمل بالفتح يطلق على المصدر وعلى المحمول والمشهور انه خاص بما كان في بطن أو على شجرة وان ماحمل على ظهر ونحوه يسمى حملا بكسر الحاء . والحمل هاهنا يحتمل المعنيين وهو يكون في أول العهد خفيفا لاتكاد المرأة تشعر به ، وقد تستدل عليه بارتفاع حيضتها ﴿ فمرت به ﴾ أي فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق كما قاله الزمخشري أو استمرت في اعمالها وقضاء حاجتها من غير مشقة ولا استثقال ﴿ فلما أثقلت ﴾ اي حان وقت ثقل حملها وقرب وضعها ﴿ دعوا الله ربهما : لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ﴾ اي توجها إلى الله تعالى ربهما يدعوانه فيما انحصر همهما فيه بعد تمام الحمل على سلامة بأن يعطيهما ولدا صالحا اي سويا تام الخلق يصلح للقيام بالاعمال البشرية النافعة ـ ولا ينبغي أن يدعو العبد غير ربه ، فيما لا يملك هو ولا غيره من العبيد أسبابه ، دعواه مخلصين مقسمين له على ما وطنا عليه انفسهما من الشكر له على هذه النعمة قائلين لئن اعطيتنا ولدا صالحا لنكونن من القائمين لك بحق الشكر قولا وعملا واعتقادا واخلاصا ، كما يدل عليه الوصف المعرّف ﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ اي فلما اعطاهما ولدا صالحا لانقص في خلقه ، ولافساد في تركيبه ، جعلا له شركاء في إعطائه أو فيما اعطاه بأن كان سببا لوقوع الشرك منهما أو ظهور ماهو راسخ في أنفسهما منه ، وسنبين معناه

وقرأ نافع وأبو بكر (جعلا له شِركاً) أي شركة أو ذوي شرك، فالمعنى واحد

﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ اي تعالى شأنه عن شركهم، فانه هو معطي النسل بما خلقه لكل من الزوجين من اعضاء، وقدر لهما في العلوق والوضع من اسباب، لا فعل لغيره في ذلك البتة. وجمع الضمير هنا بعد تثنيته الافعال قبله لان المراد فيه بالزوجين الجنس لافردين معينين: وقال الزمخشري: ان الضمير في (آتيتنا) و (لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما. والآية على كل من القولين بيان لحال البشر فيما طرأ عليهم من نزغات الشرك الخفي والجلي في هذا الشأن وأمثاله، والجنس يصدق ببعض انواعه وببعض افراده

فمثال الشرك الخفي في انعام الله عليهم بالنسل ما يسندونه إلى الاسباب في سلامة الحامل من الامراض في أثناء الحمل أو في حالة الوضع، وفي سلامة الطفل عند الوضع وعقبه وفيما بعد ذلك من الموت أو التشويه أو الامراض، كقولهم: لولا ان فعلنا كذا لكان كذا، ولولا فلان أو فلانة من طبيب أو مرشد أو قابلة لهلك الولد أو لاجهضت أمه إجهاضا، أو جاءت بسقط لم يستهل، أو لمات عقب اسقاطه لعدم استعداده للحياة. وينسون في هذه الاحوال فضل الله تعالى عليهم بما منَّ به من العافية والتوفيق وتسخير الاسباب من البشر وغيرهم، وان كانوا ممن يذكرونها ولا ينكرونها إذا ذكروا بها - ذلك شأن كثير من الناس في كل نعمة تمسهم، أو نقمة يدفعها الله تعالى عنهم، وهذا الشرك ليس خروجا من الملة، ولكنه نقص في شكر المنعم، ويحتمل أن يكون المراد بالشرك هنا ترجيح حب الاولاد على حب الله تعالى وشغلهم للوالدين عن ذكره وشكره، وإيثارهم لهم على طاعته والتزام ماشرعه من أحكام الحلال والحرام، وهو كسابقه نقص في التوحيد لا نقض له، وغفلة عنه لا جحد به

ومثال الشرك الجلي إسناد هذه النعم إلى غيره تعالى ممن يدعونهم من دونه او معه من الاولياء والقديسين، أو الانبياء والمرسلين، أو مايذكر بهم او يمثلهم من القبور او الاصنام والتماثيل، يقولون: لولا سيدي فلان ولولا مولانا علان لما كان كذا مما نحب، أو لكان كذا وكذا مما نكره، يعتقدون ان لهم فيما كان

من نفع ومنع ضر، تأثيراً غيبياً يستقلون به هو فوق تاثير الاسباب المذكورة عن القسم الاول كما تقدم شرحه مرارا أقربها ما في تفسير الآية السابقة

﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ أي وارتفع مجده ،وتعالى جده، تنزهاعن شرك هؤلاء الاغبياء أوعن شركائهم أن يكون لهم تصرف في خلقه ،اوتأثير في صفاته وأفعاله

كنت قرأت منذ سنين جل ماقال المفسرون في تفسير هذه الآيات من كتبهم التي بين أيدينا من مأثور وغيره ، وما أوردوه فيها من الاشكال، وما لهم في الجواب عنه والتفصي منه من اقوال ، ولما أردت كتابة تفسيرها الآن لم أجد مما في ذهني منه شيئاً مرضياً يطمئن به قلبي ، فتوجهت إلى الله تعالى وفكرت في معناها الذي يعطيه الاسلوب العربي وينطبق على سنة الله في البشر، وفي بيان كتابه لحقائق أحوالهم، فكرت في ذلك قبل النوم وأنا في فراشي، ثم كتبت ماتقدم في آخر النهار، ثم بحثت فيما عندي من كتب التفسير لأكتب خلاصة ماقيل فيها ، وانظر فيما عساه يؤيده ، وأجيب عما ربما يفنده ، فاذا أنا بصاحب الانتصاف يقول بعد ذكر مانقلناه آنفاً من كلمة الزمخشري في ضميري الجمع مانصه : وأسلم من هذين التفسيرين أن يكون المراد جنسي الذكر والانثى لايقصد فيه إلى معين ، وكان المعنى والله أعلم : خلقكم جنساً واحداً وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا اليهن، فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الانثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت . وانما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم الموحدون لأن المشركين منهم كقوله تعالى (ويقول الانسان أإذا مامت لسوف أخرج حياً * قتل الانسان ماأكفره * إن الانسان لفي خسر) اهـ

وأما الاشكال الذي أشرنا اليه فهو ماروي عن بعض الصحابة والتابعين وفي حديث مرفوع أيضاً من أن الآية في آدم وحواء فقد أخرج احمد والترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وغيرهم من حديث سمرة بن جندب مرفوعا قال « لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبدالحارث فانه يعيش ،فسمته عبدالحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان » وهو على كثرة مخرجيه غريب وضعيف كما سيأتي، وقد جاءت الآثار في هذا المعنى

مفصلة ومطولة وفيها زيادات خرافية، تشهد عليها بأنها من الدسائس الاسرائيلية، وهذه الآثار يعدها بعض العلماء من قبيل الاحاديث المرفوعة لانها لاتقال بالرأي، والذي نعتقده وجرينا عليه في التفسير أن كل ماهو منها مظنة للاسرائيليات المتلقاة عن مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه فهي لايوثق بها، فان كانت مع ذلك مشتملة على ماينكره الدين أو العلم الصحيح قطعنا ببطلانها وكونها دسيسة اسرائيلية، ومنها مانحن فيه لأن فيه طعناً صريحاً في آدم وحواء عليهما السلام ورمياً لهما بالشرك، ولذلك رفضها بعض المفسرين وتكلف آخرون في تأويلها بما تنكره اللغة. وقد اعتمد بعض المتأخرين كصاحب فتح البيان وصاحب روح المعاني الاخذ بحديث سمرة دون آثار الصحابة والتابعين التي فيها ماليس فيه من رمي آدم بالشرك الصريح، وظنا أنه حجة ووصفاه تبعاً للترمذي والحاكم بالحسن وبالصحيح، وماهو بحسن ولا صحيح، على أنه لم يرد تفسيراً للآية كتلك الآثار.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في الاية لقريش وأن المراد فيها بالنفس الواحدة قصي جدهم، وأن المراد بجعل زوجها منها أنها قرشية أو عربية لما روي أنها من خزاعة لامن قريش، وأن المراد بشركهما تسمية أبنائهما الاربعة عبد مناف وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار — يعني دار الندوة — وفيه نظر من وجوه ذكرها بعض المفسرين لانضيع الوقت بذكرها. وانما الذي يصح أن يذكر ويبين بطلانه فهو الروايات التي انخدع بها ولا يزال ينخدع بها الكثيرون، وعمدتنا في تمحيصها وبيان علتها الحافظ ابن كثير فقد قال في تفسيره مانصه:

« ذكر المفسرون ههنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأبين مافيها ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة. قال الامام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال « لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حديث حسن غريب

لانعرفه إلا من حديث عمر بن ابراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ورواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم به مرفوعا ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن ابراهيم به مرفوعا (قلت) وشاذ هو هلال وشاذ لقبه ، والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه (أحدها) أن عمر بن ابراهيم هذا هو المصري وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لايحتج به[1] ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فالله أعلم (الثاني) أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبدالله عن سليمان التيمي عن عبد الاعلى بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه عبد الحارث (الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه . قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن (جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم ، وحدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال : قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده ، يعني جعلا له شركاء فيما آتاهما ، وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا . وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ماحملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره لاسيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه

«١» وقال أحمد وابن عدي وابن حبان أنه يروي عن قتادة أحاديث منكرة لا يوافق عليها وقال الدارقطني ويترك حديثه وقال البزار ليس بالحافظ

وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله ألا انما برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم

«فأما الآثار فقال محمد بن اسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبّدهم لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت ، فأتاهما إبليس فقال : إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش ، قال فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه أنزل الله يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة — إلى قوله — جعلا له شركاء فيما آتاهما) إلى آخر الآية : وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم (هو الذي خلقكم من نفس واحدة — إلى قوله — فمرت به) شكت أحملت أم لا ؟ (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين) فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان مايولد لكما أم هل تدريان مايكون أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما الباطل انه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الاول فسمياولدهما عبد الحارث فذلك قول الله (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية . وقال عبدالله ابن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال : قال الله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها، فلما تغشاها) آدم حملت فأتاهما إبليس لعنه الله فقال اني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيّل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن — يخوفهما — فسمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت الثانية فأتاهما أيضاً فقال: أنا صاحبكما الذي فعلت مافعلت لتفعلن أو لأفعلن — يخوفهما — فأبيا أن يطيعا فخرج ميتاً ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبدالحارث فذلك قوله تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم

«وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لايحصون كثرة، وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من

أهل الكتاب فان ابن عباس رواه عن أبيّ بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهير حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها أتطيعيني ويسلم لك ولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات ، ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل، ثم حملت الثالثة فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فانه يكون بهيمة . فهيبهما فأطاعا

« وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ثم أخبارهم على ثلاثة فمنها ماعلمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ماعلمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ، ومنها ماهو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » وهو الذي لايصدق ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث ؟ فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فانه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وانما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، ولهذا قال الله (فتعالى الله عما يشركون) ثم قال فذكره آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها ، وانما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسه ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم . إه سياق ابن كثير وقد أصاب كنه الحقيقة في قوله ان هذه الآثار مأخوذة من الاسرائيليات ، ومما كانت طعنا في عقيدة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام بما تبطله عقائد الاسلام، وجب الجزم ببطلانها وتكذيبهم فيها.

ثم بيّن تعالى سخافة عقولهم وأفن آرائهم بهذا الشرك فقال ﴿ أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يُخلقون ﴾ الاستفهام للانكار والتجهيل ، أي يشركون به

سبحانه وتعالى وهو الخالق لهم ولأولادهم ولكل شيء ما لا يخلق شيئا من الأشياء مهما يكن حقيراً كقوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) وليس قصارى أمرهم أن الخلق لا يقع منهم، بل هو يقع عليهم، فهم يُخلقون آنا بعد آن ، ولا يليق بسليم العقل أن يجعل المخلوق العاجز، شريكا للخالق القادر ؟ والآية وما بعدها حكاية لشرك عباد الاصنام والتماثيل كافة ، ومنهم مشركو مكة وأمثالهم ممن نزل القرآن في عهدهم ومن يجيء بعدهم ، فقوله (مالا يخلق شيئا) يراد به أصنامهم لأن « ما » لما لا يعقل ولفظها مفرد وهو من صيغ العموم فأفرد الضمير في « يخلق » مراعاة للفظ ثم جمع في «يخلقون» مراعاة للمعنى، وجعله ضمير العقلاء من قبيل الحكاية لاعتقادهم، والتعبير بفعل المضارع « يخلقون » لتصوير حدوث خلقهم، وكون مثله مما يتجدد فيهم وفي أمثالهم من المشركين ، وهذا أسوأ فضائحهم في الشرك

﴿ ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ أي وهم على كونهم مخلوقين غير خالقين لشيء لا يستطيعون لعابديهم نصراً على أعدائهم، ولا يستطيعون لأنفسهم نصراً على من يعتدي عليها بإهانتها، أو أخذ شيء من طيبها أو حليها ، كما قال (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) أي فهم يحتاجون اليكم في تكريمهم وانتم لا تحتاجون اليهم ، بل أنتم الذين تدفعون عنهم وتنصرونهم بالنضال دونهم ، ﴿ وان تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم ﴾ قرأ نافع « لا يتْبعوكم » بالتخفيف والباقون بالتشديد أي وان تدعوهم إلى ماهو الهدى والرشاد في نفسه لا يتبعوكم ، فلا هم ينفعونكم ولا هم ينتفعون منكم، أو المعنى وان تدعوهم إلى إفادتكم لا يستجيبون لكم ﴿ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴾ أي مستوٍ عندكم دعاؤكم إياهم وبقاؤكم على صمتكم ، ولعله لم يقل: صمتم ، أو تصمتون ، لأن إشراكهم بهم كان قد وهن بحيث لم يكونوا يدعونهم عند الاضطرار وكوارث الخطوب بل يدعون الله وحده ، وانما كانوا يتحدثون بتقاليدهم الوثنية فيهم والرجاء بشفاعتهم في أوقات الرخاء ، التي لا يشعر

فيها الانسان بالحاجة إلى الدعاء (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) ومنه الدعاء بالولد الصالح عند قرب وضع الحامل، والشرك بعد وجود الولد الصالح ، فالتعبير بالوصف « صامتون » لافادة كون إحداث الدعاء واستصحاب الحال الثابتة قبله واستمرارها سواء، وهي تصدق بنفي شعورهم بالحاجة الى دعائهم وعدم خطورهم بالبال عند الشدائد ، والشعور بحاجة المخلوق الى الرب الخالق ، ولو قال: « أم صمتم » أو « أم انتم تصمتون » لما كانت المقابلة بين وجود وعدم ، وايجاب وسلب ، لأنه يصدق بتكلف الصمت وكف النفس عن دعائهم ولو للتجربة مع الشعور بالحاجة الى الدعاء . والاول أبلغ في المراد من كون وجود هذه الأصنام وعدمها سواء ، ومن كون دعائها مساويا لترك الدعاء ، ولو مع انصراف القلب عنها، ولو كانت وسائل تشفع عند الله وتقرب اليه زلفى كما كان يقول أولو الوثنية الكاسية الحالية، أو تنفع وتضر بنفسها أو بما أعطاها الله تعالى من التصرف في الكون باستقلالها كما يعتقد أصحاب الوثنية العارية العاطلة — لكان الاعراض عن دعائها ضاراً بهم، أو مضيعا بعض المنافع عليهم

وقد يظن من أشرك بعض الأولياء مع الله تعالى هذا النوع من الاشراك ان هذا التوبيخ لا يوجه اليهم، وان هذه الحجة لا تقوم عليهم ، لان أولئك كانوا يدعون جماداً أو شجراً لا يعقل ، وهم يدعو أولياء وصلحاء ، لأموا تهم حكم الشهداء في الحياة ، وهم يقصدون قبورهم ويعظمونها، لان لأرواحهم اتصالا بها، وانما جاءت هذه التفرقة من جهلهم بأن اكثر هذه الاصنام لم تنصب إلا للتذكير بأناس من الاولياء الصالحين كما رواه البخاري عن ابن عباس في اصنام قوم نوح التي انتقلت الى العرب ، وقد كانت اللات صخرة لرجل يلت عليها السويق ويطعمه الناس. فالاصنام والتماثيل والقبور التي تعظم تعظيما دينيا لم يأذن به الله كلها سواء في كونها وضعت للتذكير باناس عرفوا بالصلاح ، وكانوا هم المقصودين بالدعاء لما تخيلوا فيه من التأثير في إرادة الله ، أو التصرف الغيبي في ملك الله ، وهو أفحش الشرك بالله، على أنه لافرق في المسألة بين اشراك الصنم والوثن، واشراك الولي أو النبي أو الملك فاقرأ الآيات في اتخاذ الولد لله من الملائكة والمسيح في سورة الانبياء (٢١: ٢٦-٢٩)

﴿ نموذج من تفسير الجزء الاول ﴾

وهو مما زدته في تفسير قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) عما كنت كتبته في عهد الاستاذ الامام ونشر في المنار

﴿ تحقيق وجوه الاعجاز ، بمنتهى الاختصار والايجاز ﴾

إعجاز القرآن قد ثبت بالفعل ، وتواتر فيه النقل ، وحسبك منه وجود ما لايحصى من المصاحف في جميع الاقطار التي يسكنها المسلمون وكذا في غيرها ووجود الالوف من حفاظه في مشارق الارض ومغاربها وهي تحكي لنا هذه الآيات في التحدي باعجاز ، ولو وجد له معارض أتى بسورة مثله لتوفرت الدواعي على نقلها بالتواتر أيضا ، بل لكانت فتنة ارتد بها المسلمون على أدبارهم

ولما كان اعجازه لمزايا فيه تعلو قدرة المخلوق علما وحكما وبيانا للعلم والحكمة حار العلماء في تحديد وجه الاعجاز بعد ثبوته بالعلم اليقيني الذي بلغ حد الضرورة في ظهوره ، حتى قال بعض علماء المعتزله أن إعجازه بالصرفة ، يعنون أن الله تعالى صرف قدرة بلغاء العرب الخلص في عصر التنزيل عن التوجه لمعارضته فلم يهتدوا اليها سبيلا، ثم تسلسل ذلك في غيرهم واستمر إلى عصرنا هذا. وهذا رأي كسول أحب ان يريح نفسه من عناء البحث، وإجالة قدح الفكر في هذا الامر ، وللباحثين فيه أقوال ، كتبت فيها فصول وألفت فيها رسائل وكتب، وقد عقدت هذا الفصل عند طبع هذا الجزء من التفسير لبيانها وإيضاحها، لما علمت من شدة حاجة المسلمين أنفسهم اليها ، دع أمر دعوة غيرهم أو الاحتجاج عليهم بها

إعجاز القرآن باسلوبه ونظمه

(الوجه الاول) اشتماله على النظم الغريب ، والوزن العجيب ، والاسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعه. هذه عبارتهم وأوردوا عليها شبهتين وأجابوا عنهما ، وحصروا نظم الكلام منثوره مرسلا وسجعا ، ومنظومه قصيداً ورجزاً ، في أربعة أنواع لايمكن عد نظم القرآن وأسلوبه

واحداً منها ، كما يدل عليه كلام الوليد بن المغيرة من أكبر بلغاء قريش الذين عاندوا النبي ﷺ وعادوه استكباراً ، وجاحدوه استعلاء واستنكاراً . أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس قال . ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال ياعمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض لما قِبله ، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، قال وماذا أقول ؟ فوالله مافيكم رجل أعلم بالشعر مني ، لا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله ان لقوله الذي يقول لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله (١) وانه ليعلو وما يعلى ، وانه ليحطم ماتحته . قال والله ما يرضي قومك حتى تقول فيه . قال فدعني أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره . وكان هذا سبب نزول قوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيداً) الآيات

ولعمري ان مسألة النظم والاسلوب لاحدى الكبر ، وأعجب العجائب لمن فكر وأبصر ، ولم يوفها أحد حقها ، على كثرة ما أبدوا وأعادوا فيها ، وما هو بنظم واحد ولا بأسلوب واحد ، وإنما هو مائة أو اكثر : القرآن مائة وأربع عشرة سورة متفاوته في الطول والقصر : من السبع الطوال التي تزيد السورة فيه على المائة وعلى المائتين من الآيات — الى السور المئين — الى الوسطي من المفصل إلى ما دونها من العشرات فالآحاد كالثلاث الآيات فما فوقها ، وكل سورة منها تقرأ بالترتيل المشبه للتلحين ، المعين على الفهم المفيد للتأثير ، على اختلافها في الفواصل وتفاوت آياتها في الطول والقصر ، فمنها المؤلف من كلمة واحدة ومن كلمتين ومن ثلاث ، ومنها المؤلف من سطر أو سطرين أو بضعة أسطر ، ومنها المتفق في اكثر الفواصل أو كلها ، ومنها المختلف في السورة الواحدة منها ، وهي على ما فيها متشابه وغير متشابه في النظم ، متشابهة كلها في مزج المعاني العالية بعضها ببعض ، من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى ، وآياته في الانفس والآفاق ، والحكم والمواعظ والامثال ،

(١) وفي رواية : وإن أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق الخ

وبيان البعث والمآل ، ودار الابرار ودار الفجار ، والاعتبار بقصص الرسل والاقوام ، وأحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام

يقول قائل ان أساليب جميع الفصحاء والبلغاء متفاوته كذلك ، لايشبه أسلوب منها أسلوباً، ولا يستويان منظوماً ولامنثورا ، فمجرد اختلاف الاسلوب والنظم لايصح ان يعد معجزاً، (ونقول) من قال هذا فقد أبعد النجعة ، وأوغل في مهامه الغفلة ، فهما تختلف منظومات الشعراء فلن تعدو بحور الشعر المنقولة عن المتقدمين ، والتوشيحات والازجال المعروفة عند المولدين ، ومهما تختلف خطب الخطباء والمترسلين من الكتاب ، والمؤلفين في العلوم والشرائع والآداب، فلن تعدو أنواع الكلام الاربعة التي بدأنا القول بها ، ولايشبه شيء من هذه ولا تلك نظم سورة من سور القرآن ولا أكثرها ولكل منهم نظم واسلوب خاص

فان شئت أن تشعر سمعك وذوقك بالفرق بين نظم الكلام البشري ونظم الكلام الالهي فاءت بقاريء حسن الصوت يسمعك بعض أشعار المفلقين ، وخطب المصاقع المفوّهين ، من المتقدمين والمتأخرين ، بكل ما يستطيع من نغم وتحسين ، ثم ليتل عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والأسلوب كسورة النجم وسورة الرحمن وسورة الواقعة وسورة الحديد (مثلا) ثم حكم ذوقك ووجدانك في الفرق بينها في أنفسها . ثم في الفرق بين كل منها وبين كلام البشر في كل اسلوب من أساليب بلغائهم ، وتأثير كل من الكلامين في نفسك ، بعد اختلاف وقعه في سمعك

بل تأمل المعنى الواحد من المعاني المكررة في القرآن ، لاجل تقريرها في الانفس ونقشها في الاذهان ، كالاعتبار بأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم من مختصر ومطول ، وافطن لاختلاف النظم والأساليب فيها . فمن المختصر ما في سور الذاريات والنجم والقمر والفجر، ومن المطول مافي سور الاعراف والشعراء وطه، لعلك ان تدبرت هذا تشعر بالبون الشاسع بين كلام المخلوقين وكلام الخالق، وتحكم بهذا الضرب من الاعجاز حكما ضروريا وجدانيا لاتستطيع أن تدفعه عن نفسك ، وان عجزت عن بيانه بقولك

ومن اللطائف البديعة التي يخالف بها نظم القرآن نظم كلام العرب من شعر ونثر ، أنك ترى السور ذات النظم الخاص والفواصل المقفاة تأتي في بعضها فواصل غير مقفاة فتزيدها حسنا وجمالا وتأثيراً في القلب ، وتأتي في بعض آخر آيات مخالفة لسائر آياتها في فواصلها وزنا وقافية ، فترفع قدرها وتكسوها جلالة وتكسبها روعة وعظمة ، وتجدد من نشاط القاري، وترهف من سمع المستمع ، وكان ينبغي للخطباء والمترسلين أن يحاكوا هذا النوع من محاسنه ، وإن كانوا يعجزون عن معارضة السورة في جملتها ، أو الصعود إلى أفق بلاغتها ، ومن أعجب هذه السور أوائل سور المفصل بل المفصل كله . قال شيخنا الاستاذ الامام : كان المعقول أن يحدث القرآن في هذه اللغة من البلاغة في البيان فوق ما أحدثه بدرجات

إعجاز القرآن ببلاغته

(الوجه الثاني) بلاغته التي تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله وفي عصر تنزيله وفيما بعده ، ولم يختلف أحد من أهل البيان في هذا ، وإنما أورد بعض المخالفين بعض الشبه على كون بلاغة كل سورة من قصار سوره بلغت حد الاعجاز فيه، والقائلون به لا يحصرون اعجاز كل سورة فيه ، ويتحقق التحدي عندهم باعجاز بعض السور القصيرة بغيره . كاخبار الغيب في سورة الكوثر التي هي أقصر سُوره، على ان مسيلمة تصدى لمعارضتها بمحاكاة فواصلها، فجاء بخزي كان حجة على عجزه وصحة اعجازها.

ومن الناس من لا يفقه سر هذه البلاغة ويماري فيما كتب علماء المعاني والبيان من قواعدها ، زاعمين أنه يمكن حمل كل كلام عليها ، وان الاحالة على الذوق فيها إحالة على مجهول ، لا تقوم به حجة ولا يثبت به مدلول ، لان الذوق المعنوي كالحسي خاص بصاحبه « من ذاق عرف » وسبب هذا جهلهم اللغة العربية الفصحى نفسها ، فقد مرت القرون في اثر القرون على ترك الناس لمدارسة الكلام البليغ منها واستظهاره واستعماله ، واقتصار مدارس الامصار على قراءة كتب من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع هي أدنى ما وضع في فنونها فصاحة وبيانا ، وأشدها عجمة وتعقيداً ، وهي الكتب التي اقتصر مؤلفوها على سرد القواعد بعبارة فنية دقيقة بعيدة عن فصاحة أهل اللغة وعن بيان المتقدمين

الواضعين لهذه الفنون ومن بعدهم إلى القرن الخامس كالخليل وسيبويه وأبي علي وابن جني وعبد القاهر الجرجاني ، حتى صار أوسع الناس علماً بهذه الفنون أجهل قراء هذه اللغة بها . وأعجزهم عن فهم الكلام البليغ منها ، بله الاتيان بمثله ، فمن لم يقرأ من كتب البلاغة إلا مثل السمرقندية وشرحي جوهر المكنون وعقود الجمان فشرحي التلخيص للسعد التفتازاني وحواشيهما لا يرجى أن يذوق للبلاغة طعما ، أو يقيم للبيان وزناً ، فأنى يهتدي إلى الاعجاز بهما سبيلا ، أو ينصب عليه دليلا ؟ وانما يرجى هذا الذوق لمن يقرأ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز للامام عبد القاهر فانهما هما الكتابان اللذان يحيلانك في قوانين البلاغة على وجدانك ، وما تجد من اثر الكلام في قلبك وجنانك فترى أن علمي البيان شعبة من علم النفس ، وأن قواعدهما يشهد لها الشعور والحس ، ولكن لا بد مع ذلك من قراءة الكثير من منظوم الكلام البليغ ومنثوره واستظهار بعضه مع فهمه ، كما قرر حكيمنا ابن خلدون في الكلام على علم البيان من مقدمته

فهذا هو الاصل في تحصيل ملكة البلاغة فهماً وأداء ، والقوانين الموضوعة لها مستنبطة من الكلام البليغ وليس هو مستنبطاً منها ، وقد عكست القضية منذ القرون الوسطى حتى ساغ لمستقل الفكر أن يقول في الكتب التي أشرنا اليها وهي التي تقرأ في مدرسة الجامع الازهر وأمثالها : إن قواعدها تقليدية لا يمكن أن يعلم بها تفاضل الكلام إذ يمكن حمل كل كلام عليها ، ولذلك كان أكثر الناس مزاولة لها أضعفهم بياناً ، وأشدهم عياً وفهاهة

فمعرفة مكانة القرآن من البلاغة لا يحكمها من الجهة الفنية والذوقية إلا من أوتي حظاً عظيما من مختار كلام البلغاء المنظوم والمنثور ، من مرسل ومسجوع ، حتى صار ملكة له وذوقا ، واستعان على فهم فلسفته بمثل كتابي عبد القاهر والصناعتين لأبي هلال العسكري والخصائص لابن جني ، وأساس البلاغة للزمخشري ، ومغني اللبيب لابن هشام . هذه مقدمات البلاغة ونتيجتها الملكة ولها غاية يمكن العلم بها من التاريخ ، وهي ما كان للقرآن من التأثير في الامة العربية ، ثم فيمن حذقها من الاعاجم أيضا

الحد الصحيح للبلاغة في الكلام هي أن يبلغ به المتكلم ما يريد من نفس السامع باصابة

موضع الاقناع من العقل ، والوجدان من النفس (وقد يعبر عنهما بالقلب) ولم يعرف في تاريخ البشر أن كلاما قرب القرآن في قوة تأثيره في العقول والقلوب، فهو الذي قلب طباع الامة العربية وحولها عن عقائدها وتقاليدها، وصرفها عن عاداتها وعداواتها ، وصدف بها عن اثرتها وثاراتها، وبدلها بأميتها حكمة وعلما، وبجاهليتها أدبا رائعا وحلما ، وألف من قبائلها المتفرقة أمة واحدة سادت العالم بعقائدها وفضائلها ، وعدلها وحضارتها ، وعلومها وفنونها

اهتدى إلى هذا النوع من الاعجاز بعض حكماء أوربة مستنبطا له من هذه الغاية التاريخية وبينه في الرد على من زعم من دعاة النصرانية أن محمداً ﷺ لم يؤت مثل ما أوتي موسى وعيسى من الآيات المعجزة فقال ما معناه : إن محمداً كان يتلو القرآن مولهاً مدلهاً، خاشعا متصدعا[1] فيفعل في جذب القلوب إلى الايمان به ، فوق ما كانت تفعل جميع آيات الانبياء من قبله .

وقد رأينا وروينا عن بعض أدباء هذه اللغة من غير المسلمين أنهم يذهبون في بعض ليالي رمضان إلى بعض بيوت معارفهم من المسلمين ليسمعوا القرآن ويتمتعوا ذوقهم العربي وشعورهم الروحاني الادبي بسماع آياته المعجزة، وقد شهد له أهل العلم والانصاف منهم بهذا الاعجاز في النظم والاسلوب ، والبلاغة يغوص تأثيرها في أعماق القلوب، ولكنهم لم يفقهوا دلالة ذلك على أنه من عند الله عزوجل، وسنبينه في آخر هذا البحث

ولو شئت أن أورد الشواهد على هذا الوجه، لخرجت عن الاختصار الذي التزمته في هذا الفصل ، وانك لتجد من التنبيه على عجائبها في كل جزء من هذا التفسير ما لا تجده في غيره حتى الدقة في معاني مفرداته ، وتحديد الحقائق في جمله ، ومزج المعاني الكثيرة في أسلوبه ، ولطف التناسب بين آياته وبين سوره . ومن أعجبها ضروب ايجازه التي انفرد بها، وكثرة تكراره للمعنى الواحد بعبارات لا يملها قاريء ولا سامع وقد نبهنا في هذا التفسير للكثير منها. ومن العجب غفلة أكثر طلاب البلاغة عنها

«١» قوله موله الخ ترجمة لكلمة افرنسية معناها في حال يؤثر فيها الكلام في نفسه وفي نفس سامعه تأثيراً يملك عليهما أمرهما أي فيكون في قراءته فاعلا منفعلا، وهاديا مهديا

إعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب

(الوجه الثالث) اشتماله على الاخبار بالغيب من ماض كقصص الرسل مع أقوامهم وقد تقدم بعض الكلام فيه ، ومن حاضر في عصر تنزيله كقوله تعالى (غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) الآية وفيها خبران عن الغيب ظهر صدقهما بعد بضع سنين من نزول الآية ، وكان الصديق « رض » راهن بعض المشركين على صدق الخبر فربح الرهان ، وكقوله تعالى (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها : ذرونا نتبعكم) الآية ، وقوله (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقوله (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون) وهذه الثلاثة في سورة الفتح وفيها غيرها أيضاً ، وفي سورة التوبة أمثالها من الاخبار عما في قلوب المنافقين وعما سيقولون في بعض المسائل ، ومن أظهر هذه الاخبار وعده تعالى بحفظ القرآن من النسيان والتغيير والتبديل في قوله (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ووعده بحفظ الرسول في قوله (والله يعصمك من الناس) دع ما تكرر في عدة سور من وعد الله لرسوله وللمؤمنين ، ومن وعيده للكافرين ، كقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئاً) وكان الاستاذ الامام يقول ان الله تعالى لما ينجز لنا وعده هذا كله بل بعضه ولا بد من إتمامه بسيادة الاسلام في العالم كله حتى أوربة المعادية له . وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) الآية أنه قال انها نبأ غيبي عمن يأتي بعد ، بل ورد هذا المعنى في حديث مرفوع إلى النبي ﷺ أيضا . وتجد بيان ذلك في تفسيرها من سورة الانعام ، ومنه ظهور مصداقها في حرب الامم الكبرى الاخيرة .

فهذه الاخبار الكثيرة بالغيب دليل واضح على نبوة نبينا وكون القرآن من

عند الله تعالى إذ لا يعلم الغيب غيره سبحانه، ولا يمكن معارضتها بما يصح بالمصادفة أو القرائن أحياناً من أقوال الكهان والعرافين والمنجمين، فان كذب هؤلاء أكثر من صدقهم، ان صح تسمية ما يتفق لهم صدقا منهم، ولكن الناس لا يحصون عليهم أقوالهم، ولا يبحثون عن حيلهم وتلبيساتهم فيها، وانما يذكرون بعض ذلك اذا اقتضته الحال كتشنيع أبي تمام على المنجمين في زعمهم أن عمورية لا تفتح إلا عند نضج التين والعنب، في قصيدته المشهورة التي مطلعها *السيف أصدق أنباء من الكتب*

ويقول فيها:

سبعون ألفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب

وقد قتل في عصرنا وزير من وزراء مصر فوجد الناس في تقويم (نتيجة) تلك السنة لأحد المنجمين نبأ عن قتله ومن شأن هذا التقويم أن يكون طبع قبيل دخول السنة التي قتل فيها، وقد بحث بعض المدققين في ذلك فتبين له ان صاحب هذا التقويم قد طبع الورقة التي ذكر فيها هذا النبأ بعد وقوع القتل ووضعها فيه موضع ورقة أخرى أخرجها منه فأحرقها، ولكن كان قد بيع بعض النسخ من التقويم فوجد المدقق المشار اليه بعضها، على ان دأب هؤلاء المنجمين أن يعبروا عما يتوقعون من أنباء المستقبل بآرائهم وبقرائن الاحوال وأخبار الصحف الدورية برموز وكنايات واشارات يفسرون بها الوقائع باهوائهم، فان لم يجدوها تحتمل شيئاً منها كتموها، وتعذر على غيرهم تكذيبهم فيها، وأما ما يعرفه الفلكيون بالحساب كالخسوف والكسوف ومطالع الكواكب ومغاربها فليس من التنجيم ولا من علم الغيب في شيء

إعجاز القرآن بسلامته من الاختلاف

﴿الوجه الرابع﴾ سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف خلافاً لجميع كلام البشر وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) وإننا نجد كبار العلماء في كل عصر يصنفون الكتاب فيسودون، ثم يصححون ويبيضون، ثم يطبعون وينشرون، ثم يظهر لهم ولغيرهم كثير من التعارض والاختلاف والاغلاط اللفظية والمعنوية ولاسيما اذا طال الزمان، وهذا أمر مشهور في جميع الامم

(فان قيل) إن غير المؤمنين بالقرآن قد استخرجوا منه بعض الاختلاف والتعارض فاضطر علماء المسلمين إلى الجواب عنها بما يزعمون أنه دفع الايراد، وتظهر بطلان الانتقاد، وإن المسلم يقبل ذلك منهم تقليداً، وان لم يكن في نفسه سديداً. (قلت) إذا كانت عين الرضى مثهمة فعين السخط أولى بالتهمة، وإننا إذا لم نلتفت إلى كلام أعداء القرآن الذين يخترعون التهم أو يزينونها بخلابة القول — ولا إلى المقلدين من المسلمين، وعرضنا ماذكر من ظواهر الاختلاف على فريق المستدلين المستقلين من الفريقين نرى أنه ليس في القرآن تعارض حقيقي معنوي يعد مطعنا صحيحاً فيه ، ويرى الناظر في تفسيرنا هذا وفي مجلتنا (المنار) بيان كل ماعلمناه من ذلك مع الجواب المنقول عنه، ولكن هذا النوع من الاعجاز انما يظهر في جملة القرآن وفي السور الطويلة منه لا في كل سورة، فان سلامة السورة القصيرة من ذلك لا يعد أمراً معجزا يتحدى به

إعجاز القرآن بالعلوم الدينية والتشريع

(الوجه الخامس) اشتماله على العلوم الالهية ، وأصول العقائد الدينية ، وأحكام العبادات ، وقوانين الفضائل والآداب ، وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي، الموافقة لكل زمان ومكان، وبذلك يفضل كل ماسبقه من الكتب السماوية، ومن الشرائع الوضعية ، ومن الآداب الفلسفية ، كما يشهد بذلك أهل العلم المنصفون من جميع الامم الشرقية والغربية ، من آمن منهم بكونه من عند الله تعالى أنزله على رسوله الامي ، ومن لم يؤمن بذلك ، حتى كبراء السياسيين من خصوم الدول الاسلامية كلورد كرومر عميد الدولة البريطانية بمصر فانه شهد في تقريره السنوي الاخير عن مصر بنجاح الاسلام الباهر في التشريع الديني دون التشريع الاجتماعي والسياسي. وعلل الاخير بأن ماوضع منذ أكثر من الف سنة لا يمكن أن يوافق مصالح جميع الناس الآن وفي كل آن ، فكتبت اليه يومئذ كتابا سألته فيه هل يعني بأحكام الشريعة الكتاب والسنة أم الفقه الذي وضعه العلماء ومزجوا فيه آراءهم بما يأخذونه عنها وخالف فيه بعضهم بعضاً ؟ وانه ان كان يعني الكتاب والسنة فأنا مستعد لاظهار خطئه له. فكتب إلي كتابا قال فيه: «انني عنيت بما كتبت مجموع القوانين

الاسلامية التي تسمونها الفقه لأنها هي التي تجري عليها الاحكام ولم أعن الدين الاسلامي نفسه . » الخ

ولا شك ان هذا الوجه من أظهر وجوه الاعجاز فان علوم العقائد الالهية والغيبية والآداب والتشريع الديني والمدني والسياسي هي أعلى العلوم، وقلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين الطوال إلا الافراد القليلون ، فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع أن يأتي بمثل ما في القرآن منها تحقيقاً وكمالا ، ويؤيده بالحجج والبراهين بعد أن قضى ثلثي عمره لا يعرف شيئاً منها ، ولم ينطق بقاعدة ولا أصل من أصولها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون ذلك وحياً من الله تعالى؟

إعجاز القرآن بعجز الزمان عن إبطال شيء منه

(الوجه السادس) ان القرآن يشتمل على بيان كثير من آيات الله تعالى في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والانسان ويصف خلق السموات وشمسها وقمرها ودراريها ونجومها والارض والهواء والسحاب والماء من بحار وأنهار وعيون وينابيع ، وفيه تفصيل لكثير من أخبار الامم ، وبيان لطريق التشريع السوي الأمم ، وقد حفظ ذلك كله فيه بكلمه وحروفه منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف ، ثم عجزت هذه القرون ، التي ارتقت فيها جميع العلوم والفنون ، ان تنقض بناء آية من آياته ، أو تبطل حكماً من أحكامه ، أو تكذب خبراً من أخباره ، وهي التي جعلت فلسفة اليونان دكا ، ونسخت شرائع الامم نسخا ، وتركت سائر علوم الاوائل قاعاً صفصفا، ووضعت لأخبار التاريخ قواعد فلسفية، ورجعت في تحقيقها إلى ما عثر عليه المنقبون من الآثار العادية، وحكمت فيها أصول العمران ، وما يسمونه سنن الاجتماع، بحيث لم يبق لعلماء الاوائل كتاباً غير مدعثر الاعضاد ، ساقط العماد

وهذا النوع من أنواع الاعجاز، غير ما تقدم من سلامته من التعارض والاختلاف ، فتلك في الماضي ، وهذه في الحاضر والمستقبل، ذاك الاختلاف يقع من الناس بقلة العرفان، وبضعف البيان، أو بما يطرأ على صاحبه من الذهول والنسيان ، يريد بيان شيء فيخونه قلمه ولسانه، ويعوزه ان يحيط بأطرافه ، وأن يجليه تمام التجلي لقاريء كلامه أو سامعه،

ثم يقول فيه قولا آخر على علم فتواتيه العبارة فيؤدي المراد، فيختلف ما أبرأ منه، أو يقول القول ثم ينساه، فيأتي بما يخالفه في معناه، أو يتكلم بما لا يعلم، فيهرف بما لا يعرف، وذلك عيب في الكلام وضعف في المتكلم هو من شأن البشر

ان ما يأخذه الناس من المسائل العلمية والفلسفية بالتسليم في زمانهم ثم يظهر ما يبطل تلك المسلمات، وينقض ما بنيت عليه من النظريات، لا يعد عيبا في قائله، ولا ضعفا في بيانه، وان كان موضوعه بيان تلك المسائل نفسها، لانه مما لا يسلم منه البشر، وأما من يتكلم في بعض مسائل الموجودات لبيان العبرة فيها، أو الحث على الاستفادة منها، لا لبيان حقيقتها في نفسها، أو صفاتها الفنية عند أهل فنها، فهو لا يكلف أن يبين تلك الحقيقة أو تلك الصفات التي لا تتعلق بغرضه من الكلام بالاصطلاحات العلمية والفنية، وقد ينتقد منه هذا إذا كان مما يصرف السامع عن مراده منه، أو يوجب نقصا في استفادته منه، كما هو شأن الذين يعظون دهماء الناس من جميع الطبقات ويضربون لهم الامثال بآيات الله تعالى ونعمه فيما سخر لهم من المخلوقات، فاذا كان هذا النوع من الكلام الذي لا يعاب فيه مخالفته للمسائل الفنية - وقد يعاب فيه تكلف موافقتها - جاء مع ذلك إما موافقا وإما غير مخالف لمعارف أهل العصر الذي خوطب أهله به، ثم تبين ان بعض هذه المعارف كانت جهلا، وظهر أنه هو موافق لما تجدد من العلم الحق والتشريع العدل او غير مخالف له؛ فلا شك في ان هذه تعد له مزية خارقة للمعتاد في البشر، وقد ثبت هذا للقرآن وحده، فهو كتاب مشتمل على كثير من امور العالم الكونية والاجتماعية مرت العصور وتقلبت أحوال البشر في العلوم والاعمال ولم يظهر فيه خطأ قطعي في شيء منها، لهذا صح ان تجعل سلامته من هذا الخطأ ضربا من ضروب إعجازه للبشر، وان لم يكن هذا مما تحدى به الرسول ﷺ من عجز البشر عن مثله، لانه لم يكن ليظهر إلا من بعده، فاذا خر ليكون حجة على أهله

(فان قيل) ان الطاعنين في الاسلام من الملاحدة ودعاة النصرانية يزعمون ان العلوم والفنون العصرية، من طبيعية وفلكية وتاريخية، قد نقضت بعض آيات القرآن في موضوعها، وان التشريع العصري أقرب إلى مصالح البشر من تشريعه

﴿قلت﴾ اننا قد اطلعنا على أقوالهم في ذلك فألفينا ان بعضها جاء من سوء فهمهم

أو فهم بعض المفسرين، ومن جمود الفقهاء المقلدين، وبعضها من التحريف والتضليل. وقد رددنا نحن وغيرنا ما وقفنا عليه منها. وإنما العبرة بالنقض الذي لا يمكن لأحد أن يماري فيه مراء ظاهراً مقبولا، ولو وجد شيء من هذا في القرآن لاضطرب العالم له اضطراباً عظيماً، كما أن العبرة في التشريع بما جمع بين المصلحة العامة والفضيلة والرحمة، والتشريع الاسلامي يفضل التشريع الاوربي المادي بهذا ويسبقه الى الشورى والمساواة

﴿فان قيل﴾ إن كهنة أهل الكتاب يدعون مثلكم أن كتبهم المقدسة سالمة من التعارض والتناقض ومخالفة حقائق الوجود الثابتة ويتكلفون مثلكم لرد ما يورده عليهم علماء الكون والمؤرخون مخالفا لتلك الكتب

(قلت) ان هذا النوع من مخالفه كلام الخالق لكلام الخلق يجب أن يكون مشتركا بين القرآن وغيره من الكتب الالهية كالتوراة والانجيل، لو بقيت كما أنزلت من غير تحريف ولا تبديل، ومن المعلوم من التاريخ بالقطع عندنا وعندهم أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ووضعها في التابوت (صندوق العهد) واخذ الميثاق على بني اسرائيل بحفظها كما هو منصوص في آخر سفر (تثنية الاشتراع) قد فقدت من الوجود عند ما أغار البابليون على اليهود وأحرقوا هيكل بيت المقدس، والتوراة الموجودة الآن يرجع أصلها إلى ما كتبه عزرا الكاهن بأمر ارتحشستا ملك فارس الذي أذن لبني إسرائيل بالعودة إلى أورشليم وأذن له أن يكتب لهم كتابا من شريعة الرب وشريعة الملك، ولذلك تكثر فيها الالفاظ البابلية كثرة فاحشة، وقد بينا تحقيق ذلك في تفسير أول سورة آل عمران وبعض آيات من سورة النساء والمائدة. كما بينا ان انجيل المسيح عليه السلام لم يدون في عصره ولم ينقل عنه وعن الحواريين كما نقل القرآن تواتراً بالحفظ والكتابة، ولا كنقل الحديث بالاسانيد المتصلة. وانما ظهرت هذه الاناجيل التي هي قصص مختصرة له واشتهرت بعد ثلاثة قرون كما ظهر عشرات غيرها فاعتمد أربعة منها رؤساء الكنيسة التي أسسها قسطنطين ملك الروم الذي تنصر تنصراً سياسياً وأدخل النصرانية في دور جديد ممزوج بالوثنية ورفضوا الباقي كما بيناه مفصلا في الآيات التي أشرنا اليها آنفا في الكلام على التوراة

(للبحث بقية)

فتاوى المنار

حكمة تعدد أزواج النبي (ص)

(وهي الفتوى الثالثة الخاصة بنا في هذا المجلد)

نشرنا في الجزء الماضي سؤالا عن حكمة تعدد أزواج النبي ﷺ بامضاء الباحثة الفاضلة (بهيجه ضيا) من طنطا كان أجابها عنه الاستاذ الشيخ محمود غراب وأرسلت الينا جوابه لنبين رأينا فيه ، فنشرناه ووعدنا بالعود إلى ابداء رأينا فيه بعد ماسبق لنا من بيان ذلك في المنار والتفسير فنقول :

إن ماأجاب به الاستاذ المذكور حسن ولكن يتوقف تحقيقه من كل وجه على العلم بتاريخ نزول آية حصر تعدد الازواج في أربع وآية تخيير الرسول ﷺ لأزواجه .

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح إن التخيير كان سنة تسع من الهجرة ، ولم نقف على تاريخ نزول آية سورة النساء في التعدد ، إلا أن المذكور في كتب المصاحف أن سورة الاحزاب المشتملة على آية التخيير قد نزلت قبل سورة النساء ، فلو كانت سورة الاحزاب نزلت دفعة واحدة لكان التخيير وقع قبل تقييد التعدد بالأربع . وقد ورد أن غيلان بن سلمة الثقفي لما أسلم كان عنده عشر نسوة فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعا ، وكان اسلامه عند فتح الطائف بلده سنة ثمان من الهجرة ، وروي أن قيس بن الحارث أسلم وله ثمان نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعا منهن أيضا ، ولكننا لانعرف سنة اسلامه ، وكان آخر زواج له ﷺ هو زواج ميمونة في أواخر سنة سبع وذلك بعد نزول سورة النساء فيما يظهر .

وقد اتفق العلماء على خصائصه ﷺ وأن منها عدم التقييد بالاربع وذهب بعضهم إلى نسخ تحريم النساء عليه بعد اختيار أزواجه التسع له ، ولكن هذا ضعيف بالرغم من ترجيح بعض المتأخرين له ، والتحقيق المختار أنها محكمة وأن الله تعالى حرم عليه أن يتزوج على نسائه التسع اللاتي خيرهن فاخترن الله ورسوله

أو أن يستبدل بهن غيرهن بالطلاق كما يباح لغيره . وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والحسن البصري وابن سيرين وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن زيد وابن جرير . قاله في فتح البيان ورجح غيره

ومن أدلة الاول مارواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن شداد (رض) في قوله تعالى (ولا ان تبدل بهن من أزواج) قال ذلك لو طلقهن لم يحل له أن يستبدل ، وقد كان ينكح بعد ما نزلت هذه الآية ماشاء (قال) ونزلت وتحته تسع نسوة ثم تزوج بعد أم حبيبة (رض) بنت ابي سفيان وجويرية بنت الحارث أه

وأقول أن هذا غلط والرواية ملفقة فيما يظهر لأن التخيير كان سنة تسع من الهجرة كما تقدم آنفا ، وكان تزوجه بجويرية بنت الحارث سنة خمس وبأم حبيبة سنة ست وقيل سبع وهما من التسع اللاتي خيرهن كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة والحسن (قالا) وكان تحته تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصه وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية . وأما الاربع الباقيات فهي صفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق (قالا أو قال قتادة) وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ فتتابعن كلهن على ذلك ، فلما خيرهن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة شكرهن الله على ذلك أن قال (لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فقصره الله عليهن وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله أه وخبر التخيير والبدء بعائشة في الصحاح وذكره البخاري في عدة مواضع

وأما الشق الثاني من سؤال الباحثة الفاضلة (بهيجه ضيا) وهو السبب أو الحكمة في تزوجه ﷺ بغير السيدة زينب بنت جحش المعروف سبب زواجها بالنص وهو مالم يقل فيه الشيخ محمود الغراب شيئا فقد سبق لنا بيانه في المجلد الخامس من المنار ثم في تفسير آية النساء من جزء التفسير الرابع فنعيده مع زيادة في الفائدة فنقول

ان أول امرأة تزوجها ﷺ بعد خديجة هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية ، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار ، وهي من المؤمنات السابقات إلى الايمان المهاجرات الهاجرات لأهليهن خوف الفتنة في دينها ، توفي زوجها وهو ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، ولو رجعت إلى أهلها لعذبوها ليفتنوها عن الاسلام كغيرها فاختار ﷺ كفالتها وتزوج بها في مكة عام الهجرة ، وفي هذا الاختيار تأليف لبني عبد شمس أعدائه وأعداء بني هاشم كلهم من قبله ، وتشريف لبني النجار أخوال عترته الهاشمية وأكرم أنصاره ، وقد هاجر على أثر بنائه بها إلى المدينة . روى عنها ابن عباس وغيره

وفي السنة الثانية من الهجرة تزوج بعائشة بنت أبي بكر الصديق الاكبر وأول من آمن به من الرجال ، وفداه بالنفس والمال ، وصاحبه في الغار ، ورفيقه الوحيد في الهجرة من الدار ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت من أذكى البشر عقلا ، وأزكاهم نفساً ، وهي أكثر أمهات المؤمنين وغيرهن رواية وفقهاً في الدين.

وفي السنة الثالثة وقيل الثانية تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب وزيره الثاني بعد أبي بكر وأعز صحبه ومظهر دينه ، وكان عمر عرضها بعد وفاة زوجها الاول على أبي بكر (رضي الله عنهما) فعلم بذلك النبي ﷺ فاختارها لنفسه ليساوي بين وزيريه في تشريفهما بمصاهرته ، ولم يكن من الممكن أن يكافئهما في هذه الحياة الدنيا بأكبر من هذا الشرف . ويقابل ذلك اكرامه لعثمان وعلي (رضي الله تعالى عنهما) بتزويجهما ببناته . وهؤلاء الاربعة أعظم أصحابه في حياته وخلفاؤه في اقامة دينه ونشر دعوته بعد وفاته. روى عن حفصة أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية وكثيرون

وفي السنة الثالثة وقيل الخامسة تزوج زينب بنت جحش الاسدية وهي ابنة عمته أميمة بعد أن زوجها بمولاه (عتيقه) زيد بن حارثة الذي كان تبناه في الجاهلية فلما حرم الله التبني في الاسلام ، وأبطل كل ما كان يتعلق به من أحكام ، ومن أهمها تحريم زوجة الدعيّ على متبنيه كحرمتها على والده — وكان العمل بإلغاء

هذه الاحكام شاقا على الانفس لا يسهل على الجمهور إلا إذا بدأ به من يشرف كل كبير وصغير بالاقتداء به فلا يعيره أحد — أمر الله نبيه ﷺ أن يزوج زيداً بزينب هذه لعلمه تعالى بأنهما لا يثبتان على هذه الزوجية لأنها بطبعها ونسبها تترفع عليه وتسيء عشرته — ففعل فاشتد الشقاق بينهما فطلقها فأنزل الله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية . ولشيخنا مقال طويل في هذه المسألة ولنا مقال وضحناه فيه . وهما منشوران في المجلد الرابع من المنار ومع تفسير سورة الفاتحة الذي طبع مراراً

وفي سنة أربع تزوج بهند أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية وكان أبوها من أجواد العرب المشهورين ، وتزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وكان من السابقين الاولين الى الاسلام أسلم بعد عشرة أنفس وهو ابن عمة رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، وكان أول من هاجر إلى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة في أثناء ذلك . ثم عاد إلى مكة ولما أراد الهجرة بها إلى المدينة صدها قومها وانتزعوها منه هي وابنها سلمة ، ثم انتزع بنو عبد الاسد آل زوجها ابنها سلمة من آلها بالقوة حتى خلعوا يده ، فكانت كل يوم تخرج الى الابطح تبكي حتى شفع فيها شافع من قومها فأعطوها ولدها فرحلت بعيراً ووضعت ابنها في حجرها وهاجرت عليه فكانت أول امرأة هاجرت إلى الحبشة ثم كانت أول ظعينة هاجرت إلى المدينة . وكانت تجل زوجها أيما إجلال حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل ، وعزاها النبي ﷺ عنه بقوله « سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً » فقالت : ومن يكون خيراً من أبي سلمة ؟ فلم ير لها صلوات الله تعالى عليه وعلى آله عزاء ولا كافلا لها ولأولادها ترضاه غيره ، ولما خطبها لنفسه اعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام وذات غيرة فأجاب ﷺ بأنه أكبر منها سنا وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى وبأن الايتام الى الله ورسوله. فالنسب الشريف والسبق إلى الاسلام والمتانة فيه وعلو الاخلاق وكفالة الايتام لمثل هذا البيت كل منها سبب صحيح لاختيار صاحب الخلق العظيم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق لهذه المرأة الفضلى ، على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي

جودة الفكر وصحة الرأي ، وحسبك من الشواهد على هذا استشارة النبي ﷺ لها في أهم ماحزنه وأهمه من أمر المسلمين في مدة البعثة وما أشارت به عليه . ذاك أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد ساءهم صلح الحديبية الذي عقده ﷺ مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين بالشروط المعلومة التي تدل في ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون ولم يكونوا بمغلوبين وانما حبه (ص) للسلم ولاختلاط المسلمين بالمشركين وكان دونه خرط القتاد . كان من أثر هذا الاستياء أنه ﷺ أمرهم بالتحلل من عمرتهم بالحلق أو التقصير والعود إلى المدينة فلم يمتثل أمره أحد فلما استشارها رضي الله عنه في ذلك وقال « هلك الناس » هونت عليه الامر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحلق رأسه ، وجزمت بأنهم لا يلبثون أن يقتدوا به ، وكذلك كان وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهي تلي عائشة في كثرة الرواية

وفي سنة خمس تزوج برة بنت الحارث سيد بني المصطلق وسماها جويرية وكان أبوها هو وقومه قد ساعدوا المشركين على المؤمنين في غزوة أحد سنة أربع ثم بلغ النبي ﷺ أنه يجمع الجموع لقتاله فخرج له فالتقى الجمعان في المريسيع وهو ماء لخزاعة فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة منهم وكانت برة بنت سيدهم في الاسرى فكاتب عليها من وقعت في سهمه فجاءت النبي ﷺ فتعرفت اليه بأنها بنت سيد قومها وذكرت بلاياها واستعانته على كتابتها لتحرير نفسها فقال «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» قالت نعم ففعل ، فقال المسلمون أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا جميع الاسرى والسبايا فأسلموا كلهم فكانت أعظم امرأة بركة على قومها ، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها . وروي أن أباها جاء النبي ﷺ فقال ان بنتي لا يسبى مثلها فخل سبيلها ، فأمره ﷺ أن يخيرها فسر بذلك فخيرها فاختارت الله ورسوله . وكانت من أعبد أمهات المؤمنين وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد بن السباق وابن أختها الطفيل وغيرهم

وفي سنة ست تزوج صفية بنت حيي بن أخطب الاسرائيلية من ذرية نبي الله هارون أخي موسى عليهما السلام ، كانت من بني النضير ، وأسرت بعد قتل زوجها

في غزوة خيبر فأخذها دحية في سهمه فقال أهل الرأي من الصحابة يارسول الله انها سيدة بني قريظة والنضير لاتصلح إلا لك فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراه دونها فاصطفاها وأعتقها وتزوجها، كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل سببه ببني اسرائيل لعله يخفف مما كان من عدواتهم له. وكان بلال قد مر بها وبابنة عم لها على قتلى اليهود فصكت ابنة عمها وجهها وحثت عليه التراب وهي تصيح وتبكي. فقال النبي ﷺ «أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما؟» رواه ابن اسحاق وفي حديث الترمذي ان صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله منها. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «ألا قلت وكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟» روى عنها ابن أخيها ومولياها علي بن الحسين بن علي وغيرهم

وفي سنة ست أو سبع تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموي أشد أعدائه تأليبا عليه وحربا له ﷺ وكانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر زوجها هنالك وفارقها فأرسل النبي ﷺ الى النجاشي فخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة ولما عادت الى المدينة بنى بها ولما بلغ أباسفيان الخبر قال: هو الفحل لايقدح انفه. فهو لم ينكر كفاءته ﷺ بل افتخر به ولكنه مازال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه (ص) له ان قال يوم الفتح «من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» روى عنها ابنتها وأخواها وابن أخيها وابن أختها ومولياها وآخرون

وفي أواخر سنة سبع تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان اسمها برة فسماها ميمونة وكان ذلك في إبان عمرة القضاء وهي آخر أزواجه أمهات المؤمنين زواجا وموتا كما في بعض الروايات. وقد قالت فيها عائشة: أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم. ولم أقف على سبب ولا حكمة لتزوجه بها ولكن ورد أن عمه العباس رغبه فيها وهي أخت زوجه لبابة الكبرى أم الفضل وهو الذي عقد له عليها باذنها. روى عنها أبناء أخواتها ومواليهم وآخرون أجلهم ابن عباس هذا واني قلت في أواخر الفتوى الاولى (سنة ١٣٢٠) مانصه: وجملة الحكمة في الجواب

انه ﷺ راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع والتأديب فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن ، والعدل بينهن ، وقرر الاحكام بذلك ، وترك من بعده تسع أمهات المؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام ما يليق بهن مما ينبغي ان يتعلمنه من النساء دون الرجال ، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الامة غناء التسع . ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج مايريده الملوك والامراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الابكار على اولئك الثيبات المكتهلات (منهن) كما قال لمن اختار ثيباً «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » وفي رواية زيادة « وتضاحكها وتضاحكك » وهو من حديث جابر في الصحيحين اه وأذكر القارىء بأن تعدد الزوجات في ذلك العصر كان من الضروريات لكثرة القتلى من الرجال وحاجة نسائهم الى من يكفلهن لان أكثر أهلهن من المشركين

﴿ مال الزكاة لاعانة المدارس الخيرية الاسلامية ﴾

(س ٤) من صاحب الامضاء في بلدة (الشيخ سعيد ـ عدن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ماتقول السادة العلماء أئمة الدين المقتدى بهم رضي الله عنهم فيمن دفع شيئاً من زكاة ماله المفروضة لاعانة مدرسة خيرية تعلم أولاد الفقراء العاجزين عن أجرة تعليم القرآن والكتابة والنحو والصرف والحساب والفقه وغيره من العلوم الشرعية هل تجزيء الدافع وتسقط عنه الفرضية لمشروعنا المذكور أم لا ؟ أفيدونا زادكم الله علماً وهدى

السائل عبدالله بن عمر مدحج

ناظر الادارة الخيرية والمدرسة الاسلامية في بلدة الشيخ عثمان من ملحقات عدن

(ج) الجمهور على أن الانفاق على المدارس ليس مصارف الزكاة الثمانية وهنالك قول بأن قوله تعالى (في سبيل الله) عام يشمل مايرضي الله تعالى من أعمال البر ويدخل فيه التعليم المشروع واختاره شيخنا الاستاذ الامام . ومن يقلد الجمهور يمكنه أن يعطي مايريد إنفاقه على تعليم أولاد فقراء المسلمين لاوليائهم إن كانوا قاصرين لينفقوه على تعليمهم ولهم أنفسهم إن كانوا راشدين والله أعلم وأحكم

(سماع الغناء والتلاوة من آلة الفونغراف)

(س٥) من صاحب الامضاء في دنقلا (السودان)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة، الاستاذ الجليل، العلامة السيد محمد رشيد رضا، حفظه سرمدا، وجعله مناراً للانام ومرشداً، وبعد أريد أن أوجه لفضيلتكم سؤالا لارشادنا بالاجابة عنه للوقوف على الحقيقة وهاهو السؤال ورجو نشره في مجلتكم المنار الغراء

ماقولكم دام فضلكم في الغناء بالآلة المسماة بالفونوغراف، هل هو محرم أو مكروه؟ وان كان فما نوع الكراهة وما حكم قراءة القرآن به؟ هل يترتب عليها مايترتب على القارىء من نحو سجود التلاوة أو الموانع التي تترتب على منع القارىء من القراءة — وهل يجوز استعماله ان كان لا يمنع صاحبه من أداء الفرائض في أوقاتها كالصلاة ونحوها — مع حفظ مجلسه من استعمال المحرمات فيه كالخمر وما شاكله، وانما يقصد مسمعه منه ترويح النفس من عناء الاعمال، وإدخال السرور على المستمعين له من الاصدقاء والاحباب والاهل والعشيرة، أفيدونا الجواب، ولكم الاجر والثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم في حفظه تعالى

للمخلص «محمود حسين الحكم طالب علم بدنقلا»

(ج) سبق لنا فتوى في سماع القرآن من الفونغراف وما يتعلق من الاحكام نشرت في (ج٦: م١٠ من المنار سنة ١٣٢٥) ذكرت فيها ان بعض أصحاب العمائم تجرأ على القول باباحته مطلقا، وان شيخنا الاستاذ الامام كان يتأثم من ذلك مطلقا، وان الاقرب أن يكون ذلك تابعاً لقصد المستعمل للآلة فاذا قصد بذلك الاتعاظ والاعتبار بسماع القرآن فلا وجه لحظره، وإذا قصد به التلهي وهو ماعليه الجماهير في كل مايسمعونه من الفونغراف فلا وجه لاستباحته، وأخشى أن يدخل صاحبه في عداد الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وذكرت بعض الآيات في هذا المعنى، وأنه يترتب على ماذكر كل مايتعلق به من وجوب احترام الالواح التي تنقش فيها آيات القرآن وسجود التلاوة وغير ذلك. هذا وانني لا تطيب نفسي لاستعمال الفونغراف في تلاوة القرآن، ولكن تحريمه على من يمكن أن يتعظ به ويستفيد ليس بالامر السهل.

وأما سماع الغناء والشعر من هذه الآلة فحكمه حكم السماع من مغن ليس في غنائه فتنة ولا تحريض على معصية ولا شغل عن واجب وهو في هذه الحال التي تسألون عنها مباح. ومن العلماء من شدد في السماع ولا سيما للمعازف تشديداً عظيما وقد محصنا المسألة في المجلد التاسع من المنار بذكر أدلة الحظر والاباحة كلها وترجيح الحق فيها. وهو الاباحة

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

فصل

الخلاف في السفر الشرعي وحكمه

السفر في كتاب الله وسنة رسوله فى القصر والفطر مطلق ثم قد تنازع الناس في جنس السفر وقدره أما جنسه فاختلفوا في نوعين (أحدهما) حكمه فمنهم من قال لا تقصر الا في حج أو عمرة أو غزو وهذا قول داود وأصحابه الا ابن حزم ، قال ابن حزم وهو قول جماعة من السلف كما روينا من طريق ابن أبي عدي حدثنا جرير عن الاعمش عن عمارة ابن عمير عن الاسود عن ابن مسعود قال لا يقصر الصلاة الا حاج أو مجاهد. وعن طاوس أنه كان يسأل عن قصر الصلاة فيقول إذا خرجنا حجاجا أو عمارا صلينا ركعتين وعن ابراهيم التيمي أنه كان لا يرى القصر الا في حج أو عمرة أو جهاد ، وحجة هؤلاء أنه ليس معنا نص يوجب عموم القصر للمسافر فان القرآن ليس فيه الا قصر المسافر إذا خاف أن يفتنه الذين كفروا وهذا سفر الجهاد وأما السنة فان النبي ﷺ قصر في حجه وعمره وغزواته فثبت جواز هذا والاصل في الصلاة الاتمام فلا تسقط الا حيث أسقطتها السنة

ومنهم من قال لا يقصر الا في سفر يكون طاعة فلا يقصر في مباح كسفر التجارة وهذا يذكر رواية عن أحمد. والجمهور يجوزون القصر في السفر الذي يجوز فيه الفطر وهو الصواب لان النبي ﷺ قال «ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة» رواه عنه انس بن مالك الكعبي وقد رواه احمد وغيره باسناد جيد. وأيضا فقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن يعلى بن أمية انه قال لعمر بن الخطاب (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» وهذا يبين ان سفر الامن يجوز فيه قصر العدد وان كان ذلك صدقة من الله علينا أمرنا بقبولها

وقد قال طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ان شئنا قبلناها وان شئنا لم نقبلها فان قبول الصدقة لا يجب، ليدفعوا بذلك الامر بالركعتين وهذا غلط فان النبي ﷺ أمرنا أن نقبل صدقة الله علينا والامر للايجاب وكل احسانه الينا صدقة علينا فان لم نقبل ذلك هلكنا وأيضا فقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افترى، كما قال صلاة الجمعة ركعتان وصلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان، وهذا نقل عن النبي ﷺ أنه سن للمسلمين الصلاة في جنس السفر ركعتين كما سن الجمعة والعيدين ولم يخص ذلك بسفر نسك أو جهاد وأيضا فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أنها قالت فرضت الصلاة ركعتين فزيد في صلاة

الحضر وأقرت صلاة السفر وهـذا يبين أن المسافر لم يؤمر بأربع قط وحينئذ فما أوجب الله على المسافر أن يصلي أربعا وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله لفظ يدل على أن المسافر فرض عليه أربع، وحينئذ فمن أوجب على مسافر أربعا فقد أوجب مالم يوجبه الله ورسوله .

فان قيل قوله وضع يقتضي أنه كان واجبا قبل هذا كما قال أنه وضع عنه الصوم ومعلوم أنه لم يجب على المسافر صوم رمضان قط لكن لما انعقد سبب الوجوب فأخرج المسافر من ذلك سمي وضعا ولانه كان واجبا في المقام فلما سافر وضع بالسفر كما يقال من أسلم وضعت عنه الجزية مع أنها لاتجب على مسلم بحال ، وأيضا فقد قال صفوان بن محرز قلت لابن عمر حدثني عن صلاة السفر ، قال أخشى أن يكذب علي قلت لا ؟ قال ركعتان من خالف السنة كفر، وهذا معروف رواه أبو التياح عن مورق العجل عنه وهو مشهور في كتب الآثار. وفي لفظ صلاة السفر ركعتان ومن خالف السنة كفر وبعضهم رفعه إلى النبي ﷺ ؛ فبين ان صلاة السفر ركعتان وان ذلك من السنة التي من خالفها فاعتقد خلافها فقد كفر . وهذه الادلة دليل على أن من قال انه لا يقصر الا في سفر واجب فقوله ضعيف

ومنهم من قال لا يقصر في السفر المكروه ولا المحرم ويقصر في المباح وهذا أيضا رواية عن أحمد وهل يقصر في سفر النزهة فيه ؟ عن أحمد روايتان : وأما السفر المحرم فمذهب الثلاثة مالك والشافعي واحمد لايقصر فيه وأما أبو حنيفة وطوائف من السلف والخلف فقالوا يقصر في جنس الاسفار وهو قول ابن حزم وغيره ؛ وابو حنيفة وابن حزم وغيرهما يوجبون القصر في كل سفر وان كان محرما كما يوجب الجميع

التيمم إذا عدم الماء في السفر المحرم ، وابن عقيل رجح في بعض المواضع القصر والفطر في السفر المحرم

والحجة مع من جعل القصر والفطر مشروعا في جنس السفر ولم يخص سفراً من سفر وهذا القول هو الصحيح فان الكتاب والسنة قد أطلقا السفر قال تعالى (فمن كان مريضا أو على سفر فعدة أيام أخر) كما قال في آية التيمم (وان كنتم مرضى أو على سفر) الآية وكما تقدمت النصوص الدالة على أن المسافر يصلي ركعتين . ولم ينقل قط أحد عن النبي ﷺ أنه خص سفرا من سفر مع علمه بان السفر يكون حراما ومباحا ولو كان هذا مما يختص بنوع من السفر لكان بيان هذا من الواجبات ولو بين ذلك لنقلته الامة وماعلمت عن الصحابة في ذلك شيئا. وقد علق الله ورسوله أحكاما بالسفر كقوله تعالى في التيمم (وان كنتم مرضى أو على سفر) وقوله في الصوم (فمن كان مريضا أو على سفر) وقوله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقول النبي ﷺ « يمسح المسافر ثلاثة أيام ولياليهن » وقوله « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع زوج أو ذي محرم » وقوله « ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة » ولم يذكر قط في شيء من نصوص الكتاب والسنة تقييد السفر بنوع دون نوع ، فكيف يجوز أن يكون الحكم معلقا باحد نوعي السفر ولا يبين الله ورسوله ذلك ؟ بل يكون بيان الله ورسوله متناولا للنوعين ، وهكذا في تقسيم السفر إلى طويل وقصير وتقسيم الطلاق بعد الدخول إلى بائن ورجعي ، وتقسيم الايمان إلى يمين مكفرة

وغير مكفرة وأمثال ذلك مما علق الله ورسوله الحكم فيه بالجنس المشترك العام فجعله بعض الناس نوعين نوعا يتعلق به ذلك الحكم ونوعا لا يتعلق من غير دلالة على ذلك من كتاب ولا سنة لا نصاً ولا استنباطاً

والذين قالوا لا يثبت ذلك في السفر المحرم عمدتهم قوله تعالى في الميتة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) وقد ذهب طائفة من المفسرين إلى أن الباغي هو الباغي على الامام الذي يجوز قتاله والعادي هو العادي على المسلمين وهم المحاربون قطاع الطريق . قالوا فاذا ثبت أن الميتة لا تحل لهم فسائر الرخص أولى ، وقالوا إذا اضطر العاصي بسفره أمرناه أن يتوب ويأكل ولا نبيح له اتلاف نفسه ، وهذا القول معروف عن أصحاب الشافعي وأحمد ، وأما أحمد ومالك فجوزا له أكل الميتة دون القصر والفطر ، قالوا ولان السفر المحرم معصية والرخص للمسافر إعانة على ذلك فلا تجوز الاعانة على المعصية

وهذه حجج ضعيفة أما الآية فأكثر المفسرين قالوا المراد بالباغي الذي يبغي المحرم من الطعام مع قدرته على الحلال والعادي الذي يتعدى القدر الذي يحتاج اليه ، وهذا التفسير هو الصواب دون الأول ، لأن الله أنزل هذا في السور المكية الانعام والنحل وفي المدنية ، ليبين ما يحل وما يحرم من الاكل والضرورة لا تختص بسفر ، ولو كانت في سفر فليس السفر المحرم مختصا بقطع الطريق ، والخروج على الامام ، ولم يكن على عهد النبي ﷺ امام يخرج عليه ولا من شرط الخارج أن يكون مسافراً والبغاة الذين أمر الله بقتالهم في القرآن لا يشترط فيهم أن يكونوا مسافرين ، ولا كان الذين نزلت الآية فيهم أولا مسافرين بل كانوا من أهل العوالي

مقيمين واقتتلوا بالنعال والجريد فكيف يجوز أن يفسر الآية بما لا تختص بالسفر وليس فيها كل سفر محرم فالمذكور في الآية لو كان كما قيل لم يكن مطابقا للسفر المحرم فانه قد يكون بلا سفر وقد يكون السفر المحرم بدونه ، وأيضا فقوله (غير باغ) حال من (اضطر) فيجب أن يكون حال اضطراره وأكله الذي يأكل فيه غير باغ ولا عاد فانه قال (فلا اثم عليه) ومعلوم أن الاثم انما ينفى عن الأكل الذي هو الفعل لا عن نفس الحاجة اليه فمعنى الآية فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد ، وهذا يبين أن المقصود أنه لا يبغي في أكله ولا يتعدى ، والله تعالى يقرن بين البغي والعدوان فالبغي ماجنسه ظلم والعدوان مجاوزة القدر المباح كما قرن بين الاثم والعدوان في قوله (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) فالاثم جنس الشر والعدوان مجاوزة القدر المباح ، فالبغي من جنس الاثم ، قال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه) فالاثم جنس لظلم الورثة إذا كان مع العمد ، وأما الجنف فهو الجنف عليهم بعمد وبغير عمد لكن قال كثير من المفسرين الجنف الخطأ والاثم العمد لانه لما خص الاثم بالذكر وهو العمد بقي الداخل في الجنف الخطأ ، ولفظ العدوان من باب تعدي الحدود كما قال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) ونحو ذلك ، ومما يشبه هذا قوله (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا) والاسراف مجاوزة الحد في المباح ، وأما الذنوب فما كان جنسه شر وإثم

وأما قولهم ان هذا اعانة على المعصية فغلط لان المسافر مأمور بأن يصلي

ركعتين كما هو مأمور أن يصلي بالتيمم وإذا عدم الماء في السفر المحرم كان عليه أن يتيمم ويصلي وما زاد على الركعتين ليست طاعة ولا مأمورا بها أحد من المسافرين وإذا فعلها المسافر كان قد فعل منهيا عنه فصار صلاة الركعتين مثل أن يصلي المسافر الجمعة خلف مستوطن فهل يصليها الا ركعتين وان كان عاصيا بسفره وان كان إذا صلى وحده صلى أربعا، وكذلك صومه في السفر ليس براً ولا مأمورا به فان النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال «ليس من البر الصيام في السفر» وصومه اذا كان مقيما أحب الى الله من صيامه في سفر محرم ولو أراد أن يتطوع على الراحلة في السفر المحرم لم يمنع من ذلك، واذا اشتبهت عليه القبلة أما كان يتحرى ويصلي؟ ولو أخذت ثيابه أما كان يصلي عريانا؟ فان قيل هذا لا يمكنه الا هذا قيل والمسافر لم يؤمر الا بركعتين والمشروع في حقه أن لا يصوم، وقد اختلف الناس لو صام هل يسقط الفرض عنه؟ واتفقوا على أنه اذا صام بعد رمضان أجزأه، وهذه المسئلة ليس فيها احتياط، فان طائفة يقولون من صلى أربعا أو صام رمضان في السفر المحرم لم يجزئه ذلك كما لو فعل ذلك في السفر المباح عندهم

وطائفة يقولون لا يجزيه الا صلاة أربع وصوم رمضان، وكذلك أكل الميتة واجب على المضطر سواء كان في السفر أو الحضر وسواء كانت ضرورية بسبب مباح أو محرم فلو ألقى ماله في البحر واضطر الى أكل الميتة كان عليه أن يأكلها، ولو سافر سفرا محرما فأتعبه حتى عجز عن القيام صلى قاعدا، ولو قاتل قتالا محرما حتى أعجزته الجراح عن القيام صلى قاعدا، فان قيل فلو قاتل قتالا محرما هل يصلي صلاة الخوف؟

قيل يجب عليه أن يصلي ولا يقاتل فان كان لا يدع القتال المحرم فلا نبيح له ترك الصلاة بل اذا صلى صلاة خائف كان خيرا من ترك الصلاة بالكلية، ثم هل يعيد ؟ هذا فيه نزاع، ثم ان أمكن فعلها بدون هذه الافعال المبطلة في الوقت وجب ذلك عليه لانه مأمور بها ، وأما ان خرج الوقت ولم يفعل ذلك ، ففي صحتها وقبولها بعد ذلك نزاع . (للكلام بقية)

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقا (*)

(٢)

ولكن هذا العمل من الجهة التي اشتمل عليها لا تمنع من ملاحظتنا على بعض جمل من ملاخظة لا تمس جوهر الموضوع الذي خرج لماعا لمعان الشمس برزت تختال بعد احتجابها أياما فوق سحب كثيفة انهملت أمطارا وسيولا أنطقت شاعر البداوة أن يقول

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا

جاء في صفحة ١٣ نقلا عن ابن خلدون « واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة الخ ، نقول ونحن لا نشك ولا نرتاب أبداً في نزاهة الصحابة وحسن نيتهم وسلامة طويتهم كما هو معلوم من ضروريات الدين كما نعلم وجوب محبتهم على المسلمين لقوله ﷺ « فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم »

(*) لصاحب الامضاء الرمزي

ولكن لا بأس أن يلاحظ المسلم الباحث الغيور أنهم رضي الله عنهم كانوا مخطئين في السكوت كما أخطأ سيدنا عثمان في استسلامه للثوار وكف جماعة من الصحابة عن نصرته والدفاع عنه ، لأن حق الخلافة وفائدتها غير مقصورة على الخليفة وحده ، بل الدفاع عنه ونصرته وحفظه حفظ للاسلام والمسلمين (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)

وقد فسدت أمور المسلمين فعلا باستسلامه وعدم الدفاع عنه ونشأت عن ذلك فتن لاتزال آثارها ماثلة للعيان فكان مقتضى الشريعة أن يقوم رضي الله عنه لحماية الخلافة التي هي حماية للاسلام والمسلمين ويقابل الثوار ويستنصر عليهم بكل مايمكن إن كانوا محاربين كما هو الواقع الذي أيدته الاخبار الصحيحة ، أو يعتزل الخلافة إن كانت معهم شبهة حق أو عجز عن حماية بيضة الاسلام فهو راع للأمة يجب أن ينظر لها بما فيه صلاحها ، فقد أخرج البخاري في كتاب الاحكام من صحيحه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته » الحديث

فأنت ترى استسلامه رضي الله عنه كيف جرّ على المسلمين رزايا متسلسلة إلى الآن لازلنا نرزح من شدة ثقلها

وقد دافع الامام أبو بكر بن العربي المعافري في كتابه العواصم والقواصم عن استسلام سيدنا عثمان دفاعاً مجيداً بقلمه السيال وبلاغته النادرة مستنداً في دفاعه هو وغيره على ما جاء في الحديث الصحيح في البخاري وغيره بأن النبي ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وهي الشهادة الخ ونقول أنه ﷺ لم يأمره بالاستسلام بل غاية الأمر أنه بشره بالشهادة ولو دافع عن نفسه وقاتل الثوار المحاربين واستشهد في قتالهم لحصلت النتيجة لأنها غير متوقفة على الاستسلام فهو رضي الله عنه وأجزل مثوبته مجتهد « مخطىء » في استسلامه

وأما سكوت الصحابة رضي الله عنهم فهم مخطئون فيه أيضاً لأن الله جلت عظمته بين لنا مانفعل في مثل هذه الازمة في قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين

اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ثم أكد ذلك بقوله (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وفي صحيح مسلم عن عرفجة عنه عليه الصلاة والسلام قال «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»

فكان الواجب كما هو صريح الآية والحديث أن يدافعوا عنه بقوة السيف أو بحكمة السياسة والموعظة الحسنة ، ولا يساعدوه في الاستسلام لأن الدفاع عنه كما قلنا دفاع عن الاسلام والمسلمين ، فظهر بذلك أنهم مخطئون في سكوتهم والله أعلم بغيبه

واننا نحمد الله على أن المسلمين ابتدأوا يفهمون سر هذه الآية ويعملون بها ، فمن ذلك ما حصل من اجتماع قادة الاحزاب المؤتلفة في مصر السعديون والوطنيون والدستوريون فلو لم يوفقوا لذلك الاتفاق المحبوب ويسقطوا الاتحاديين أو الاحتلاليين لكانت حركة مصر الناهضة ذاهبة إلى الشلل والانحلال أدام الله وفاقهم وتوفيقهم . ومن ذلك مقيل ولا نظنه إلا صادقاً من اتفاق السلطان عبدالعزيز بن السعود والامام يحيى صاحب اليمن فقد انشرحت الصدور لهذا الاتفاق المتين الذي سيكون بمثابة سياج لجزيرة العرب حقق الله الآمال ومن ذلك ماشاع من تأسيس عصبة أسيوية في بلاد آسيا تضاهي عصبة الامم الغربية في جنيف لربط أواصر الشرقيين واحياء الحضارة الاسيوية من الوجهتين العقلية والمادية الخ .

وفي صفحة ١٥ نقلا عن ابن خلدون أيضاً « وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك ونسيان عوائده حذراً من التباسها بالباطل ، فلما استحضر رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر على الصلاة إذ هي أهم أمور الدين ، وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكافة على أحكام الشريعة ، ولم يجر للملك ذكر الخ »

(نقول) ان قوله ولم يجر للملك ذكر الخ إن كان المراد به الملك الطبيعي الذي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة فقد كان يذكره دائما بالذم والتنفير منه . ومحاربته للملك الطبيعي المبني على القسوة معروفة في غير ما حديث ، ومن ذلك مكاتبته لقيصر وكسرى وغيرهما يدعوهم (إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد

إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) الخ ، وإن كان المراد به الملك السياسي المندرج في الخلافة فقد جرى ذكره في أحاديث كثيرة لو امتثل المسلمون ماجاء فيها لما أصيبوا بشيء مما أصيبوا به ، فقد أخرج البخاري في باب الامراء من قريش عن معاوية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الامر (أمر الخلافة) في قريش لايعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وأخرج في باب الاستخلاف عن عائشة عن النبي ﷺ قال من حديث جاء في آخره « لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون » قال القسطلاني قوله فأعهد أو أوصي بالخلافة لأبي بكر كراهة أن يقول القائلون الخلافة لفلان أو لفلان ، أو يتمنى المتمنون الخلافة ، فأعينه قطعا للنزاع . وقد أراد الله أن لايعهد ليؤجر المسلمون على الاجتهاد

وجاءت أحاديث كثيرة في هذا الباب فأنت تراه كما اعتنى بالخلافة جداً واهتم بها في حال صحته وفي مرضه وأوصى بالخليفة ممن يكون ، وأوجب طاعته وشرط فيها وفي ولايته إقامة الدين وهو قوله « ما أقاموا الدين » أوصى بذلك وكرر الوصاية بالخلافة في مناسبات كثيرة ، وفي أحاديث شهيرة ، بلغت بمجموعها حد التواتر

(من مراكش) (مسلم غيور)

(المنار) الظاهر ان عثمان (رض) كان يحسن الظن بالذين ثاروا عليه كما أحسن الظن بعترته من بني معيط المفتونين بحب الرياسة والملك ، ولذلك كان يرى ان اقناع الثائرين بما يجب اتباعه ممكن ، وكان جمهور الصحابة مخالفين له في ظنه ورأيه فوقعوا في الحيرة : لايمكنهم القتال بدون أمره لما فيه من سن الخروج والافتيات على ولي الامر وهي أم المفاسد ، ولا يسهل عليهم خلعه اجابة لمطالب الثوار لأنهم مفسدون ، ولان بني أمية يقاتلون دونه ، كما فعلوا في القتال بعده لمن هو دونه . وما فعله المصريون ألجأتهم اليه الضرورة ، وليس من العمل بالآية . وأما الامامان يحيى وعبد العزيز فيحبان الاتساق دينا وسياسة ، ولكن المفسدين من الاجانب والروافض ومفسدي الهنود يغرون الاول بقتال الثاني وعسى الله ان يسلمه من وسواسهم وخناسهم

محاضرة مستر كراين(*)

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

لأسباب عديدة قمت في هذا الشتاء برحلة في البحر الاحمر وقد سبق لي أن زرت قبل هذه المرة (جدة) وأعجبت كثيراً بمناظر البحر ، واني طفت معظم بحار العالم فلم أر له مثيلا بينها ، فبينما ترى فيه الزرقة القاتمة تراها تخضر ثم تحمر وتميل إلى لون الذهب ، وترى شاطئاً رملياً أصفر ومن ورائه سلاسل طويلة من الجبال الوردية القمراء .

إن طراز الحياة في موانى البحر الاحمر الصغيرة لايزال كما كان عليه منذ قرون عديدة ، ففي عرض هذا البحر تمخر السفن العظيمة بين السويس وعدن دون أن تحدث أثراً في هذه الموانى القديمة التي مازالت تحتفظ بعاداتها الاولى لعلاقاتها بالحج والحجاج .

اني مولع برؤية الحياة الاسلامية القديمة التي شاهدتها في مصر والشام

(*) مستر تشارلس كراين من اكارم رجال الامة الاميركية وتولى مناصب عالية فى دولتها نعرف منها انه كان سفيراً للولايات المتحدة في الصين، وعهدت اليه رياسة اللجنة الاميركية التي أرسلت لاستفتاء أهل سورية وغيرهم في مصير بلادهم بعد الحرب بناء على مبادىء صديقه مستر ولسن الذي كان رئيس جمهورية حكومته وكان صاحب الكلمة العليا لدى دول الحلف البريطاني اللاتيني لانه هو الذي أنقذ هذه الدول من بطشة المانية الكبرى . ومستر كراين قد طاف اقطار الشرق واختبر المسلمين فأحبهم وعرف فضل دينهم وعرف به كما يعلم من محاضرته هذه وقد آلمت بعض من سمعها من متعصبي أبناء جلدته واخوان ملتهم وقد حضرها في نادي جمعية الرابطة الشرقية جمهور منهم ومن المصريين والسوريين وغيرهم وكان يترجم كلامه بالعربية جعفر ولي باشا المشهور جملة جملة . وما ننشره هنا هو ترجمة ما كان كتبه لالقائه ، ولكنه زاد في اثناء الإلقاء مسائل وايضاحات اخرى فنشير الى بعضها في الحواشي

والقسطنطينية عند ما أتيت هذه البلاد منذ خمسين عاما، ولكن هذه البلاد الآن أضاعت رونقها القديم، وتغير فيها طراز الحياة تغيراً محسوساً، ويقال إن (بخارى) أيضاً أضاعت سابق أسواقها الجميلة القديمة، ولذلك سررت كثيراً منذ أربعة أعوام لما رأيت أن جدة لاتزال محتفظة ببهائها الاسلامي القديم، وبحجاجها المحرمين، وبوسائط نقليتها القديمة ألا وهي الجمل والفرس والأتان، وأن أسواقها المعوجة الضغيرة لاتزال ملأى بالتجار الشرقيين يروحون ويغدون فيها، وتنحصر تجارتهم في بعض الاشياء الضرورية وبعض المصنوعات اليدوية

إن شبه جزيرة العرب هي مهد الانبياء ومهبط الوحي، ولما كنت أهتم كثيراً بهذه الشؤون شئت أن أتقرب بقدر الامكان إلى حياة هذه الجزيرة التي كانت تنجب الانبياء آونة بعد أخرى، ومن البديهي أن البلاد المتمدنة لاتنجب أنبياء

ومن أهم الاشياء في الجزيرة الآن الحركة الوهابية التي ترمي إلى الرجوع لحياة التقشف كما كانت عليه الحال أيام النبي محمد. نحن في الغرب نقول إن التاريخ لا يعيد نفسه، ولكن لهذه القاعدة شواذ في الصحراء، فالحياة فيها دائما تعيد نفسها.

يقال ان الدين في العالم منشؤه بعض الشخصيات البارزة التي تضيء كالانوار مثل بوذا [1] والمسيح ومحمد، وهذه الشخصيات لها حياة خاصة وتعاليم خاصة وأتباع خاصة، ولكنها عند ماتختفي يقوم بعدها بعض الاتباع الذين كانوا مقربين اليها كثيراً ويفسرون أعمالها وينشرون أخبارها، وهم المعروفون بالتلاميذ أو الصحابة، ولكن النور الاصلي يضعف عندما ينتقل اليهم، ومن بعدهم تقوم الهيئات الدينية وتنشر أعمال تلك الشخصيات حسب ما يتراءى لها، وبذلك يزداد ضعف النور، ولا شك أن بودا لو بعث حياً الآن لا يوافق على أن الصينيين واليابانيين يتبعون حياته وتعاليمه وخصوصاً متى شاهد البون الشاسع بين تعاليمه الصحيحة وبين تعاليم كهنوت اللاميين [2] وأنه لايمكن للمسيح أن يعترف بأن أوربا

١) هو زعيم الدين الذي ينتمي اليه مئات الملايين في الهند والشرق الاقصى، والظاهر انه كان من الانبياء الذين ضاعت كتبهم فتمكنت الوثنية من أتباعهم

(٢) هم أهل التبت نسبة الى اللام وهو لقب رئيسهم الديني

الحديثة المعروفة بمسيحيتها والتي يقال انها تتبع حياته وتعاليمه هي حقيقة مسيحية(١)

لقد أدرك محمد شيئا من أمر هذا التحريف الذي لعب دوراً مهماً في تاريخ الديانات القديمة على ممر الايام ولذلك حدد أقواله بحديثه وأظهر بصورة واضحة علاقة المسلم مع خالقه ، ولم يترك ميداناً واسعاً لتدخل الهيئات الدينية من بعده ومع هذا كله رأينا أن الدين الاسلامي عند ما ابتعد عن مركزه الاصلي في الصحراء وأخذ يتزاحم مع غيره من الديانات والمدنيات في العجم والصين مثلا خرج عن الصراط المستقيم ، وأضاع شيئاً كثيراً من بساطته وبهائه .

ولما كانت الحياة في نجد بعيدة عن مثل هذا الضغط وبعيدة عن المدنية الحاضرة فلا شك أن هذه البلاد هي المكان الوحيد المعد لحفظ علاقة المسلم الحقيقية بخالقه بصفة لا تشوبها شائبة ، وقد ظهر الآن أشياء عديدة تثبت جميعها أن القاعدة الاساسية في الدين الاسلامي والمسيحي واليهودي هي علاقة الانسان بخالقه وأصبح الاعتراف بهذه الحقيقة أمراً لازباً لأن البولشفيك ينظمون دعاية ضد جميع الديانات وقد وجهوا سهامهم إلى قلب هذه الحقيقة الظاهرة ألا وهي وجود الخالق وتدبيره لهذا الكون ، وقد أدرك العالم المسيحي هذا الخطر وأصبح ميالا إلى ترك الجزئيات والتمسك بالكليات ، ويوجد في الغرب أناس كثيرون يعتقدون أن في الامكان التأليف بين العالم المسيحي وغيره من البشر ممن يعتقدون بوجود الخالق ويسعون لطاعته . ولا شك أن العالم لم يشهد منذ أول التاريخ إلى عهدنا هذا ثورة شديدة على الدين كالثورة التي يديرها البولشفيك .

يوجد بين المسيحيين طائفة صغيرة تقول بالتوحيد وتشابه عقائد هذه الطائفة من وجوه عديدة العقائد الاسلامية القديمة ، وقد ظهر بين أفرادها كثير من

---

(١) قد خص بالذكر سوء حال اوربة بعد الحرب الكبرى اذ صار البعد بينها وبين تعاليم المسيح اشد مما كان قبلها كما انه صرح بأنه رأى في هذا العهد ان الاسلام قد ضعف وضؤل نوره في مصر والشام والآستانة عما كان عهده من عشرات السنين في هذه الامصار . وقوله هذا يؤيده قوله تعالى في المسلمين (ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

العظماء الذين أفادوا العالم فائدة تذكر فتشكر ، ففي النمسا مثلا ظهر بعض أفراد منها للعالم ، وشغلوا وظائف سامية ، وكانوا موضع اعجاب جميع من عرفهم ، وفي أمريكا ظهر أيضاً بعض أتباع هـذا المذهب المحترم وكان في مقدمتهم الرئيس (ايليوت) الذي بقي مدة أربعين سنة رئيساً لأعظم جامعة أميريكية ألا وهي جامعة (هارفرد) وقد توفي في السنة الماضية عن عمر جاوز اثنين وتسعين عاما ولا شك أنه كان أحد رجال أمريكا العظام[1] وقد كان يهتم كثيراً برحلاتي إلى البلاد الاسلامية ، وشعر أنه من الواجب أن يحصل تعارف بين الموحدين المسيحيين وبين المسلمين ، وكنت دائما عند عودتي أزوره وأطلعه على جميع اختباراتي الحديثة . إنه بقي محافظاً على قواه العقلية إلى آخر دقيقة من حياته ، وكان لصوته أعظم وقع على الاميركيين كما أنه كان الخادم الامين لحفظ الضمير الاميركي الحي ، وعند ماكان يتكلم في موضوع سياسي أو تهذيبي أو اجتماعي كان يتكلم دون خجل أو وجل .

وقبلما أنشبت المنون أظفارها فيه شعر بدنو أجله فقلت له اسمع هذه الصلاة الاسلامية الجميلة وقرأت له (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد أعجب بهذه الصلاة الوجيزة كثيراً وكانت هي آخر العهد بيننا ، وكان صديقي هذا دائما يتمنى الحج إلى شواطيء البحر الاحمر والتقرب من الحركة الوهابية لأنه هو نفسه كان يعيش عيشة بسيطة ويعتقد بعظم فائدة الصلاة وتأثيرها في العالم . ولكنه كان بعيداً عن الظواهر الدينية الميكانيكية[2] وسأرسل اليكم عند ما أعود إلى أمريكا جميع ماقاله عظماء الاميركيين بشأن هذا الرجل الجليل عند وفاته .

إن بوذا والمسيح عاشا عيشة روحية ولم يكونا يوما من الايام إداريين ولا

«١» زاد في الالقاء هنا : ورؤساء المدارس عندنا أجل من رؤساء الجمهورية لانهم الذين يربون رؤساء الجمهوريات وسائر الرجال العظام «٢» يعني بهذا تقاليد الكنيسة النصرانية ، وكل من عرف دين الفطرة بعد عن دين الصنعة

فكرا أن ينظما الحياة الدينية ، وأما محمد فكان نبياً واداريا عظيما ، وقد مدّ الله في أجله إلى أن تمكن من تنظيم الحياة الاجتماعية على أسس دينية ، وهاهوذا ابن سعود ينسج اليوم على منواله ، ويتبع سننه في كل خطوة بحزم وعزم ، وهو يسعى لان يوفق بين الحياة الاجتماعية وبين الشريعة الغراء . ولست مغاليا اذا قلت لكم انه لاجنايات في مملكة ابن سعود، وأن البدو الذين مازالوا منذ الازل يضربون في بلاد الله الواسعة ويغزو بعضهم بعضاً أخذوا في عبده يبنون البيوت الثابتة ، ويشتغلون بالاشغال النافعة . ولا شك أن الامن في الطرقات أصبح مستتباً ، والتجارة في البلاد محمية ، ومال الحاج مضموناً ، وأسعار الحاجيات محددة .

فليحي ابن سعود

إن الحماسة التي تدعم حركة كحركة ابن سعود الوهابية والتي ترمي إلى ارجاع الدين الحنيف كما كان عليه قديماً تتعارض في بعض الاحيان مع العادات الاسلامية الحاضرة ، وليس بالعجيب أن نرى (الاخوان) في حماستهم قد هدموا أشياء كثيرة ذات قيمة تاريخية ومعنى ديني للحجاج الذين يحجون إلى هذه البلاد المقدسة وقد قتلوا أثناء حماستهم بضعة آلاف حاج من حجاج اليمن بينما كانوا قادمين الى مكة بقصد الحج ، واعتذروا عن عملهم بأن نيتهم كانت سيئة نحو الاخوان [1] ومع ذلك لاشك أن الاحوال الآن أحسن من ذي قبل ، واذا مدّ الله في عمر ابن سعود فالحالة تزداد تقدما، والروح الاجتماعية تنتشر أكثر فأكثر بين العرب مستمدة نشاطها من بعد ابن سعود من روحه .

نزلت بجدة في دار السيد محمد نصيف وهي كأنها مجمع علمي يحتوي على مكتبة عامرة يؤمه جميع أقطاب جدة وأشرافها والسيد محمد نصيف عالم محقق

(١) السبب الصحيح لهذه الحادثة ان الملك حسينا كان قد أثار فتنة في العسير لانتزاعها من ابن السعود والادريسي وفي أثناء القتال بين ثواره وبين الاخوان وصل حجاج اليمن فظن الاخوان أنهم مدد من الملك حسين لابن عايض الذي أثاره لحربهم فأصلوهم نارا حامية ، ثم حزنوا لما علموا انهم من اليمن واعتذر ابن السعود للامام يحيى ورد اليه جميع ما كان قد أخذه الاخوان من جماعته

ورجل شريف يزوره جميع من يمر بجدة من العلماء والنبلاء قبل ذهابهم إلى مكة ، وقد اجتمعت عنده بأناس كثيرين وتكلمت معهم بصراحة زائدة ، وكانوا جميعهم عنوان اللطف بي والعطف علي ، وأفهموني حقيقة سير الحياة بالحجاز في هذه الايام ، وبعد وصولي الى جدة جاء سمو الامير فيصل من مكة ورحب بي وتأكد بنفسه أن راحتي مضمونة وقال لي : إن كل شيء في جدة تحت أمري

في الليل كنت أدعو الكثيرين ليسمعوني الأناشيد الوطنية والغناء العربي القديم والحديث . وكان بين هؤلاء المنشدين شيخان ضريران يترددان دائما على دار السيد محمد نصيف ، وقد أسمعاني مراراً ترتيل القرآن، والحق يقال أن ترتيلهما كان في غاية الابداع . لايسمح الوهابيون لاحد أن يغني غناء عاديا ولا أن يستعمل معازف موسيقية، وقد منعوا الحجاج المصريين من جلب المحمل التي كانت العادة أن يجلبوه معموسيقي الحج[1] ولكنهم لايتعرضون لترتيل القرآن، وقد تسامحوا معي في بعض الشؤون ولم يمنعوني من دعوة بعض البدو الى داري وسماع أناشيدهم ، وقد اسمعني أحد اصحاب القوافل بعض الاناشيد التي ينشدها الحداة من رجال القافلة أثناء سيرهم في البادية

كان ابن سعود يوم زرت جدة في طرف البادية [2] ولم أتمكن من مقابلته ، ولكنه تلطف وارسل لي عدة برقيات تنم جميعها عن عطفه علي ، وقبل سفري ببضعة ساعات أخذت وأنا على ظهر الباخرة برقية منه أعرب لي فيها كثرة أشغاله ، وأفصح عن اسفه الشديد لعدم تمكنه من مقابلتي ، وتمنى لي

(١) الصواب أنهم منعوا حرس المحمل من استصحاب معازف الموسيقى العسكرية فتركوها في جدة وأعادوها معهم إلى مصر عند عودة المحمل (٢) الصواب انه كان في المدينة المنورة

سفراً سعيداً[1]. والحق يقال ان ابن السعود كالامام يحيى لا يوجد حوله رجال عاملون يساعدونه في إدارة دفة الحكم فهو يعتمد على نفسه في كل شيء . وقد مضى عليه ثلاث سنوات ولم يزر في خلالها أرض نجد ، ولذلك ذهب هذه السنة ليزورها ، ولينظر في شؤون الاخوان وتنظيم أعمالهم

السيد احمد السنوسي

كان من جملة الاسباب التى حملتني على القيام برحلتي هذه رغبتي في مقابلة صديقي القديم السيد احمد السنوسي الطائر الصيت الذي تعرفت اليه في بورصة في

«١» جاء في البلاغ ٣١٠ من بلاغات مكتب الاستعلامات السورى الذى صدر في ٢٠ يناير سنة ١٩٢٧ نص البرقيتين اللتين تبودلتا بين مستر كراين وملك الحجاز ابن السعود في رسالته للمكتب من جدة مؤرخة في ١٠ يناير وهذا نصها :

برقية المستر كراين

اسمح لي ياصاحب الجلالة قبل ان ابرح بلادكم ان اقدم لجلالتكم عظيم الامتنان لما لاقيته من الحفاوة من قبل نجلكم الكريم ومن قبل رجال حكومتكم الموقرة ولا سيما السيد محمد نصيف وانني اضرع اليه تعالى ان يوفقكم لتوحيد صفوف شعبكم خاصة والمسلمين عامة ؟

وعساكم تعطفون على جميع الذين يعملون على اطاعة الله ويراقبون اعمالكم المجيدة باهتمام زائد والذين يعرفون ان لشعبكم الكريم المعتصم من مفاسد العالم بصحرائه الشاسعة خدمات جليلة مقدسة في هذه الدنيا ألا وهي حفظ كيان الدين الصحيح ونشره بين العالم خاليا من كل شائبة وتفضلوا في الختام بقبول فائق الاحترام ؟

جواب جلالة الملك على برقية المستر كراين

أشكركم على حسن ظنكم بنا وأحي فيكم هذه العاطفة الشريفة نحو أمتنا ورغبتكم في نجاحها وهذا أكبر دليل على طيب سريرتكم وسمو مبادئكم فالله أسأل أن يعلي الحق ويؤيده ، واني آسف ان الظروف لم تمكننا من مقابلتكم فأتمنى لكم سفراً سعيداً ؟

صيف سنة ١٩١٩ وكانت تلك الرحلة التي تعرفت اليه في خلالها من أهم الرحلات التي قمت بها في هذا العالم

قلت اني قمت برحلات عديدة في هذه الارض وكنت دائما ادرس نفسية البشر في اطرافها ، وقد أعجبت مراراً ببعض العقول التي لم تبلغها أيدي التهذيب وقابلت كثيراً من أصحاب هذه العقول ولا غروان مقابلتهم ساعة عملهم كانت نهاية الابداع وهذه العقول لا تنمو الا بين اصحاب الفيافي والقفار وكل ذرة لا بل كل خلية من خلايا دماغ هؤلاء الاشخاص حي حية في ذاتها ، وحساسة لكل عارض يعرض لها ، وسريعة في تنفيذ احكامها ، وحكيمة في استنتاجاتها . واحمد السنوسي هو احد اصحاب هذه العقول النيرة ، ودليلي على ذلك انه تمكن في برهة وجيزة من ايجاد مملكة تحيط بها القفار من كل الاطراف . منع الحلفاء عامة والطليان خاصة هذا الزعيم الكبير من العودة الى بلاده وأهله بعد الحرب العظمى فاضطر أن يذهب من تركية الى سورية فالصحراء ولا يزال الى يومنا هذا هائما على وجهه من بلاد الى بلاد بعيداً عن أهله وعائلته [1] ومع الاسف الشديد لم يهتم به أحد وهو اليوم في العسير وقد أرسل احد عماله الى جدة ليفاوض ابن سعود فرأيت أن اراه لأطلع منه على أخبار السنوسي لاني قلت سابقاً ان من جملة الأسباب التي حملتني على هذه الرحلة هي مقابلة هذا الرجل العظيم ولكن لم يؤذن لي أن أقابل ذلك الرسول . وياحبذا لو اهتمت بعض الحكومات الاسلامية بشأن هذا الرجل العظيم مادام شعبه قد حرم من زعامته وحرم هو من بلاده

﴿للمحاضرة بقية﴾

«١» « المنار » كان قد ألقى رحله بمكة المكرمة فأكرم الملك عبد العزيز مثواه ثم سافر الى عسير حيث آل الادريسي من ذوي القربى وهو الذي وضع اساس معاهدة مكة المكرمة التي جعلت بلاد عسير وامرائها تحت حماية ابن السعود

مشروع بريطاني جديد لتنصير جزيرة العرب

(هذه ترجمة المنشور الذي أذاعته جمعية لندن كما نشروها في فلسطين وغيرها)

يسوع المسيح لبلاد العرب الآن

« ها أناذا صانع أمراً جديداً ، الآن ينبت . الا تعرفونه ، أجعل في البرية طريقا في القفر أنهاراً » (أشعيا ٤٣ — ١٩)

﴿ صلوا من أجل العرب ﴾

بلاد العرب تبلغ مساحتها مليون ميل مربع ، لم يدخلها التنصير بعد ، وفيها من السكان من أربعة ملايين الى اثنى عشر مليونا [١] ، يموتون ميتة وثنية لم تبلغهم دعوة الانجيل بعد ، بلاد العرب هي مهد الاسلام ومنبعهم ، وفيها مكة التي هي القبلة زهاء [٢] مائتين وعشرين مليونا من المسلمين يتوجهون نحوها [باغراء الشيطان ليصلوا صلاة كاذبة كل يوم] . صلوا من أجل العرب كي ينجيهم الله . [هم مخدوعون من الشيطان الذي اخترع لهم كتابا مزيفا هو القرآن الذي] حل محل (كلمة الله الحية) الكلمة القادرة على تخليص نفوسهم . فمن يحمل كلمة الدعوة إلى العرب ؟ فمن يخرج ويبكي ويزرع زرعا جيداً يعود فرحا ويقطف ثمار زرعه جنيا . ويسوع المسيح يأمر بما يلي .

١ — وها أنا أرسل اليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الاعالي . (لوقا ٢٤ — ٤٩) .

٢ — وقال لهم اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها [مرقص ١٦ — ١٥] .

(١) المنار نبشر هؤلاء المبشرين بأنهم يزيدون على ضعف هذا العدد فليضاعفوا مبشريهم ونفقاتهم (٢) في الاصل حوالي . وأصل هذه الشهادة انفراد

٣ — فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس [متى ٢٨ — ١٩ — ٢٠] وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا ذا معكم كل الايام لانقضاء الدهر .

[قدرتنا على طاعة أمره] : فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع الي كل سلطان في السماء وعلى الارض وأنا معكم لانقضاء الدهر [متى ٢٨ — ١٨] .

[استعدادنا لذلك] : وها أنا معكم كل الايام لانقضاء الدهر [متى ٢٨ — ٢٠] .

أن كلمة [و] وكلمات [الى انقضاء الدهر] تبين أن كلمات المسيح موجهة الى كل تلاميذه خلال كل العصور وهي تعنينا ايانا ، المسيح مات فدية عن الجميع ثم قام من الموت ، هو مات عنكم وعني وعن العرب . فمن يطيع أمر المسيح فيذهب الى العرب بهذه الرسالة .

ان حجاجا لايحصيهم عد يقطعون فلوات الجزيرة ليحجوا الى مكة ، [وفيها ولد النبي] . . . [1] وليزوروا المدينة ، وفيها قبره . فمن يذهب الى هناك أيضا من حجاج المسيح ويهدي أولئك الحجاج الذين لايحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده[2] فاذا نحن شاركنا المسيح في تحمل العذاب فاننا سنشاركه أيضا في الملكوت . وقال الله للابن عرشك باق الى الابد . ياحجاج المسيح هبّوا . فلنذهب ولنأت بالملك .

(١) هنا كلمة أثيمة وصفت بها هذه الجمعية البذيئة خاتم الانبياء وإمام المرسلين بضد أظهر صفاته ولا عجب فهم الذين يكذبون على الله بقولهم أنه اتخذ ولدا (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) كذبتم أيها السفهاء بل هو اصدق الخلق الذي برأ الله على لسانه مريم ام المسيح من تهمة الزنا وبرأ المسيح نفسه من الكذب على الله فمن كذبه فقد صدق اليهود في الطعن فيهما

(٢) المسلمون يحجون لله وحده لا لمحمد ولا للمسيح فهم الموحدون وهذا المسيحي الكذاب يريد ان يجعلهم وثنيين يحجون للمخلوق ابن الانسان

(٣) لا يؤمن بربوبية الخاروف الا الخرافيون ولله در المعري حيث يقول

أعباد المسيح يخاف صحبي * ونحن عبيد من خلق المسيحا

هؤلاء سيحاربون الخاروف (؟) والخاروف يغلبهم لانه رب الارباب [٣] وملك الملوك ، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون [رؤيا ١٧ — ١٤] .

والـه السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم ، نعمة ربنا يسوع المسيح معكم [روميا ١٦ — ٢٠]

قل الى ابناء اسرائيل [١] أن يتقدموا الى الامام — الى بلاد العرب — الى كل العالم. لانـ ... لأن أمر الملك كان معجلا [صموئيل الاول ٢١ — ٨] .

مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيى في . فما أحياه الآن في الجسد فانما احياه في الايمان ايمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لاجلي وأحرقوا المدينة بالنار . [يشوع ٦ — ٤] .

ان الحاجة شديدة الا ن الى مائة مبشر: يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملة التي لم تبلغها الدعوة بعد . هناك نحو مائة قبيلة في بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم يسكنون بلاداً غـير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهنـد ، وهم يعيشون في الخيام كما كان يعيش ابراهيم من قبل [٢] . احدى هذه القبائل هي (الصليبية) المنتيمة الى أهل الصليب حصـل لها زيارة مرتين وهي تريد أن تزار أكثر من ذلك . إن رجال هذه القبيلة هم من نسل الصليبيين القدماء الذين أسرهم العرب، وهم لايزالون الى اليوم يستعملون بضع كلمات انكليزية مثل (غو) أي اذهب. ان العاملين قلال العدد . أيجوز ترك هذه القبائل فتفنى؟ الا يليق بكنيسة الله التي اشتراها بدمه أن تلبي نداء الله ؟ فمن أرسل (اشعيا ٦ — ٨) فماذا يكون جوابك أيها القاريء . أتريد أن تسقط في الخجل وتحتقر احتقاراً مؤبداً؟ أو تبادر الى أن تعمل

«١» ان ابناء اسرائيل هم اعدى اعداء المسيح عليه السلام ومكذبيه والطاعنين في عرضه ورسالته وانتم ايها الانجليز عبيدلهم استخدموكم بل اشتروكم . بأموالهم. فبعتم دينكم بدنياكم لاعادة ملكهم ، والعرب وسائر المسلمين عبيد الله واصـدقاء المسيح عليه السلام وأصدق المؤمنين به

(٢) نعم وهم الذين حفظوا من دونكم ما كان عليـه ابراهيم من توحيد الله تعالى وعبادته وحده

عملا مجيداً يرضي الذي أحبنا وفدى نفسه عنا وهو غسلنا بدمه من خطايانا .

أتريد أن يقال عنك وعن الآخرين من الآن الى الابد انك أنت واخوانك قد غسلتم من خطاياكم بأثمن دماء المسيح ، وقد اطلعتم على أوامره ، وقد عرفتم الحاجة ، وقد سمعتم نداء الله . وقد اتخذتم من المسيح قوة وكفاية ، وبعد كل هذا لاتذهبون .

أرجو منك أن تصلي من أجل العرب . اذهب أنت نفسك الى بلاد العرب . ارسل غيرك أيضا الى بلاد العرب . احمل الكتاب المقدس الى العرب ، لاتقطع صلاتك لاجل بلاد العرب والعرب . ادع بلاد العرب والعرب الي المسيح ، ادع الـ ٢٢٠ مليونا من المسلمين ليتدينوا بديانة المسيح ، صل من أجل مائة مبشر ، الحاجة شديدة اليهم ليذهبوا الي بلاد العرب وليسدوا ما العرب بحاجة اليه . صل اكي يصل الكتاب المقدس الى بلاد العرب وصل أن يبارك الله المائة مبشر يقول المسيح سآتي بسرعة آمين .

(عنوان الجمعية ناشرة هذه الدعاية)

الجمعية العالمية الصليبية للتنصير في العالم وبلاد العرب

١٩ — هيلندرود — أبر نورود لندن ١٩

الرئيس — المراقب

مستر استد — القس باركلين

(المنار) قد بذلت هذه الجمعية وأمثالها مئات الملايين من الدنانير الذهبية لتنصير المسلمين فما استطاعوا أن ينصّروا شعبا من شعوبهم ولا مدينة من مدنهم ، ولا قرية من قراهم ، وانما لجأ اليهم في بعض البلاد افراد من تحوت الفقراء الجياع الذين لايعرفون من الاسلام إلا بعض مايسمعونه ويرونه في الطرقات من التقاليد التي مزج فيها بعض تعاليم الاسلام بنزغات الخرافات النصرانية التي يتبرأ منها المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقد دخل في الاسلام من كرام الشعب الانكليزي أضعاف من تنصر من هؤلاء التحوت الجائعين ، وأرى أن من حماقة هذه الجمعية أنها تريد أن تبدأ عملها بالدعوة الى النصرانية في الحرمين الشريفين

المحميين بجند الله النجديين الموحدين ، أليس من الحكمة والاناة الانكليزية أن يصبروا ليروا ما يفعل دعاتهم في عرب العراق وفلسطين بحماية صنيعتي دولتهم الملك فيصل والامير عبد الله نجلي الملك حسين بن علي ؟ إن المعاهدة البريطانية العراقية قد ضمنت لدعاة النصرانية الحرية المطلقة ، ولن يمضي لهم الاماء عبد العزيز بن السعود ملك الحجاز ونجد معاهدة مثلها كما أمضى الملك فيصل ابن حسين ، بل لا يأذن لمبشر واحد أن يدخل بلاده . فكان من العقل أن لا يعجلوا بتنبيهه وتنبيه أهل القطرين الخاضعين له الى سوء نيتهم

هذا وانا نعلم أن هذا العمل عمل سياسي وتجاري لاديني ، ونعلم أن تعاليم الاسلام تنشر في بلاد الانكليز وأبناء عمهم الاميركان نفسها بطبيعة البحث الحر الذي ينتهي بأصحابه إما الى عقيدة القرآن ، وكما ترى في محاضرة مستر كراين في هذا الجزء — واما الى الكفر وانكار الوحي كما يعلم من المقال الآتي

تحول الكنيسة الانكليزية

﴿ عن التقاليد النصرانية ﴾

جاء في جريدة الديلي اكسبريس التي صدرت في لندن بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ تحت هذا العنوان ما ترجمته

القسيس انج ينكر المعجزات

﴿ قنبلة مصوبة إلى قلب الكنيسة ﴾

« اتركوا التضليل »

« اعتقاد التلاميذ (الحواريين) : أن المسيح نزل في جوف الارض ثم قام من قبره في اليوم الثالث وصعد إلى السماء بجسده »

قال القسيس انج :

أليس من اللائق بالكنيسة أن تفكر في هذه المشكلة التي ظلت نحواً من ٤٠٠ سنة وهي ترغم الناس على الاعتقاد بها

من الراجح أن ماأحدثه أكبر مناقشة دينية منذ أيام (بوسي) و(ينومان) هو كتاب جديد اسمه (العلم والدين والحقيقة) يصوب بهصاحبه القس (انج) قنبلة تصيب شظاياها جميع الكنائس المسيحية

ويطالب هذا القس الكنيسة بأن تدع التضليل جانباً ، وأن تنبذ كثيراً من تعاليمها التقليدية القديمة كما يطالب بترك فكرة وجود سماوات بالمعنى الذي اصطلح عليه الجغرافيون . ويبني على ذلك عدم الاعتقاد بصعود جسم المسيح كما يرى أن هذه المسألة مرتبطة ارتباطا تاما بمسألة البعث نفسها وهو يوافق العلماء (نسبة إلى قسم علمي) في رفضهم للمعجزات كأنها إيقاف لقانون دنيء بقانون أرقى منه ، ومع أنه يتجنب البحث في مسألة مولد المسيح فان قراء كتابه قد يصلون إلى أن القس يرفض الاعتراف بهذا الامر كما ينكر الصعود أيضاً . وهو فوق ذلك يقترح الابتعاد التام عن نسبة صفات البشر الى الله .

وكتابه هذا (الذي تقوم بنشره مطبعة شلدون) يتكون من ثماني مقالات بقلم أساتذة مشهورين في موضوعات وأبحاث علمية ودينية وله مقدمة بقلم اللورد بلفور ، ويتلو ذلك ملخص مؤلف من ٤٠ صفحة شائقة بقلمه هو .

ويقول اللورد بلفور بأنه ليس بين القراء من يعتقد أن الكتاب المقدس ليس إلا كتابا تاريخياً ومرجعاً للعلوم الكونية لايمتاز عن غيره إلا بأنه موحى به وبذلك يكون منزهاً عن الخطأ ، ويضيف إلى ذلك أن القس انج يسلم بأنه موحى به . وأما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة

ويعلن القس انج في صراحة تامة وبلا أدنى خوف أن هناك معركة اشتد وطيسها بين العلم والدين ، وأن أصل هذه المعركة يرجع في الحقيقة إلى اكتشاف أن الارض تدور حول الشمس ، وفي الاربعة القرون التالية لذلك الاكتشاف وصفت الكنيسة البحث في المشاكل الدينية التي أثارها هذا الاكتشاف جانباً ، فلم يبذل أي مجهود لتخفيف العبء عن كاهل العالم المسيحي الذي أثقل عقله وضميره وحقيقة مايقصده (انج) أن بعض العقائد المسيحية أصبحت لايمكن التصديق

بها علمياً، فلا يمكن التصديق بها دينياً ، وهو يقول:

إن هؤلاء القساوسة الذين يصرون على أنه ليس ثمة تناقض بين العلم والدين إما أن يكونوا ذوي عقول ضيقة أو متعامين عن الحقيقة . والحق الواقع أن هناك صراعا عنيفاً بين العلم والدين لا يرجع تاريخه إلى أيام داروين ، ولكنه يرجع إلى عهد كوبرنيكوس وغاليليو

﴿ الخريطة المسيحية ﴾

ويقول : إن التوصل إلى معرفة أن الارض ماهي إلا كوكب يدور حول الشمس التي هي نفسها واحدة من ملايين الاجرام السماوية . ذلك الاكتشاف قد مزق النظرية المسيحية التي تقول بأن الارض هي مركز العالم وأنها كطبق يحدده غطاؤه

وإلى ذلك الوقت كان الناس سواء منهم العالم والجاهل يصورون العالم كبناء ذي ثلاث طبقات أعلاها السماء مسكن الآلهة والملائكة والارواح الطاهرة ، وبتلو هذه الطبقة الارض التي نسكنها والطبقة السفلى مسكن الشيطان وأتباعه ، وحيث تتعذب الارواح الشريرة في سجنها . وكان للجنة والنار في عرفهم حقيقة جغرافية

وتؤكد العقائد الدينية مسألة نزول المسيح إلى الجحيم ثم صعوده إلى السماء ومن الواضح الجلي أن مسألة بعث المسيح بجسده مرتبطة تماما بمسألة صعوده بجسده أيضاً ، وعلى ذلك فقد مست العلوم الكونية بالعقائد الدينية مساساً عظيما

ويزيد على ذلك أن الكنيسة انما بشرت بهذه التعاليم لأنها نقلتها حرفياً عن نصوص الانجيل ، ويستدل على ذلك بالنص الانجيلي القائل (ان المسيح قد صعد إلى السماء حيث هو الآن بلحمه وعظامه وكافة الاشياء المتعلقة بالكيان الانساني البشري الطبيعي

ونظرية أن للمسيح ناسوتا ولاهوتا ، والتي تقول بأن جسد المسيح في السماء ينكرها تناقضها مع القانون القائل باستحالة وجود الجسم الطبيعي في أكثر من مكان واحد في وقت واحد

كما أن نظرية كوبرنيك الفلكية وكافة معلوماتنا عن السماء التي بنيت على هذه النظرية لاتدع مجالا للقول بوجود سماء جغرافية

وهو يقول : يخيل إليَّ أن الفراغ السماوي لانهائي ، ولا يمكنني أن أتصور أنه قد وقع الاختيار على أحد هذه النجوم والسدم والكواكب المنتثرة بلا نظام في رقعة السماء لتكون مقراً للخالق ، ومكاناً لأورشليم السماوية

ويضيف إلى ذلك قوله « أما القول بوجود مكان سفلي مخصص للتعذيب فقد اندثر وانمحى بدون أن يكلف العلم مشقة الاجهاز عليه »

وهناك مشكلات أخرى في مسألة الزمن ، ولكن الذين يقولون بحيوية هذه المسألة قليلون ، وإن المسيحي الذي رفض الاعتقاد بنظرية الوحي اللفظي لايجد صعوبة في تصديق نظرية النشوء والارتقاء

على أن النظرية القديمة لاتزال مضطربة فقد قرأت منذ زمن يسير كتابا يعتبر من أهم كتابنا اللاهوتيين فوجدت فيه هذه الجملة « إن المسيحيين لم يعودوا يعتقدون بوجود سماء محلية فوق رءوسنا » وقد رحبت بهذا الاعتراض على وجود سماء جغرافية لصدوره من رجل يعتبر من أئمة الارثوذكسية ودعائمها

ولشد ماعجبت عند ماعلمت أن الكاتب قد ادعى أني ألحقت به وبسمعته ضرراً عظيما لحذفي بعض كلماته ، ولكني لاأنكر أنه قال بأنه يعتقد بوجود سماء محلية «ولكنها ليست فوق رءوسنا» (ولكن غاب عنه أن الارض تدور)

وقد قال امام آخر في الامور اللاهوتية في معرض حديثه عن صعود المسيح (إن كلمة — إلى السماء — قد يمكن أن تحمل على المجاز ، ولكن يلزم أن نعتقد أن جسد المسيح الطبيعي قد رفع إلى مسافة شاسعة البعد عنا)

واني لأتساءل بكل جد واخلاص : هل من الممكن احتمال مثل هذا التحكك بالالفاظ بعد ؟

أوليس من الضروري أن تواجه الكنيسة هذه المسألة التي ظلت حوالي ٤٠٠ سنة وهي تجبر الناس على التسليم بها وتقهرهم على التصديق بها ؟؟

هل للمسيحي أن يعتقد بتلك النظريات والتعديلات التي أدخلها رجال

الكنيسة على الاساطير الدينية وفرضوا عليه الايمان بها ؟ أم عليه أن يصدق تلك النظريات الفلكيـة المبنيـة على أسس مدعمة ثابتة ؟ ألا أن التحكك بالالفاظ لم يعد يرضي أحداً

واستطرد القس انج فقال انه ليس أمام المسيحيين إلا احدى ثلاث طرق

(١) أن يحكموا على العلوم الفلـكية بالتحريف والزيغ والـكفر

(٢) أن نعتبر أن هذه الاساطير الدينية لاتتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن حقائق أزلية

(٣) أن نعترف أن كل التعاليم اللاهوتية المؤسسة على النظرية التي تقول بأن الارض هي مركـز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع النتائج العلمية الصحيحة

وأضاف الى ذلك قوله

ولا إخالني جاهلا مافي هـذه الخطوة من الخطورة ولا غافلا عما يعترض الاخذ بها من المصاعب ، ولكني أعتقد أن القيام بأي عمل كائنة ماكانت العقبات التي تقف في سبيل تنفيذه خير من محاولة سترقرحة تنغص علينا حلاوة الاعتقاد والايمان

على أننا اذا أخذنا بالوجه الثالث فاننا نكون مساقين الى عدم تشبيه الاله بالانسان واسناد خصائص الانسان له ، كما نفكر في السماء بأنها أقرب الى الروحية منها الى المادية أي انها حالة لا مكان. حالة أعمق في معنى الخلود من أن تحدد بتعاقب الايام وكر السنين

ويظهر أنه ليس للمعجزات نصيب في فلسفة إنج لانه يقول :

اذا كان كل شيء في العالم قد وضع لغرض فانني لاأستطيع أن أفهم أو أن أنتظر نشوء نتائج خاصة من حالات معينة

إن قوانين الطبيعة الموافقة لهذه النظرية هي كغيرها قوانين صحيحة ذات غرض معين وهي قائمة بوظيفتها تماما . واذا كانت من صنع الـه قدير عالم فانا لانتظر منها الا أن تؤدي وظيفتها بنجاح وانتظام على وتيرة واحدة

ان الآلة التي تحتاج الى اصلاحها لهي آلة فاسدة وأما تلك التي لم تصنعها يد

حكيمة فمن الصعب أن نطلق عليها اسم آلة على الاطلاق. على أن كل ما عمله العلم ليثبت أن للعالم نظاما مطردا واحداً يدل أصدق دلالة على أن هنالك قوة خالقة واحدة .

واما فيما يتعلق بنظرية تعدد الآلهة ، أو وجود قوتين قوة للخير وقوة للشر تتنازعان الغلبة باسلحة متساوية ، فانه يقول :

ان الرجال العلميين وأولئك الذين لا يستطيعون أن يلقبوا أنفسهم بهذا اللقب انما يحتجون على ذلك الصراع بين إلـه الخير وإلـه الشر وعلى نظرية تعدد الآلهة عند ما يرفضون الاعتراف بالمعجزات كانها ايقاف لقانون دنيء بقانون أرقى منه لانهم لا يجدون دليلا صحيحاً على هذا الايقاف ولكنهم في الوقت نفسه يعتقدون أن تقسيم الاشياء والحوادث الى طبيعية وغير طبيعية يبعد النظام الطبيعي عن دائرة النفوذ الالهية المباشرة اه

(المنار) لا مخرج للفسيس انج وغيره من الذين تطالبهم فطرتهم وعقولهم بدين يتآخى فيه العقل والقلب ، ويؤيده المنطق والعلم ، الا باتباع دين القرآن ، المبني على أساس الحجة والبرهان ، وياليته يطلع على ما كتبناه من وجوه إعجازه ، وإذاً لا يرى بداً من أن يكون من دعاته

آثار المساجد في اصلاح الامة

الخطبة المنبرية

(خطبة منبرية ألقاها صديقنا الاستاذ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي في افتتاح معالي وزير الاوقاف لجامع الخازندار ه بشبرا بمصر في يوم الجمعة ٨ شعبان سنه ١٣٤٥ هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٧ م ويعد ذلك الجامع من أهم جوامع القاهرة نظاما وموقعا واتساعا)

الحمد لله يجزي كل امرىء بما عمل فمن عمل صالحا فله جزاءاً الحسنى ، ومن عمل سيئا فله سوء العقبى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

أشهد أن لا إله الا الله يعلم نفوسا طيبة طاهرة مخلصة صادقة أنفقت مالها في سبيل دينه واظهار شعائره واعلاء كلمته (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) ويعلم نفوسا أخرى غرتها زخارف الدنيا حتى ألهتها عن الاخرى ، فأنفقت مالها في سبيل المظاهر الكاذبة والدعاية الباطلة (أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أسوتنا في مكارم الاخلاق ، قدوتنا في صالح الاعمال ، سباقنا الى الخيرات . فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين رووا من علمه ، واستنوا به في عمله (جزاهم الله أحسن ما كانوا يعملون)

﴿أما بعد﴾ فان من أبر الاعمال وأعظمها منزلة عند الله بناء المساجد وتعمير بيوت (أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) . كيف لاتكون المساجد خير مايبنى وفيها تقام الصلاة التي هي عماد الدين ؟ من أقامها أقام ومن هدمها هدمه ، الصلاة التي حسب

الجاهلون أنها حركات رياضية لاصلة لها بالاخلاق وسياسة الكون ، وما دروا أن بالصلاة توثيق العلاقات بين أهل السماء وأهل الارض ، وتوثيق العلاقات بين المخلوقين وأحكم الحاكمين ، إن مصر لتسعى جهدها في توثيق العلاقات بينها وبين الدول الاجنبية لتأمن شرها وتستجلب خيرها ، فهل تملك الدول أعظم خطراً وأعز جنداً من دولة السماء التي على رأسها رب العالمين ، وأعدل الحاكمين ، الذي له جنود السموات والارض ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، الذي اذا أراد أمراً فانما يقول له كن فيكون ؟ فاذا كنا ننفق الكثير من أموالنا في سبيل توثيق العلاقات واقامة المؤتمرات ، فهلا ننفق القليل من وقتنا في القيام بصلوات نوثق بها الروابط بيننا وبين ربنا وخالقنا فيمدنا بجنده الذي لا يغلب وجيشه الذي لا يقهر (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

ان الرسول ﷺ لما أن آذاه قومه في سبيل الدعوة ، ولم ير في مكة جواً صالحا لتتم له الكلمة هاجر منها الى المدينة حيث الانصار الذين (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فلما أن وصل الى قباء أول ضاحية من ضواحي المدينة مكانتها من المدينة مكانة شبرا من القاهرة كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء الذي يقول الله فيه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وكان ﷺ يعمل فيه بنفسه ولما أتمه تحول الى المدينة فتلقاه أهلها فرحين مستبشرين وخرجت ذوات الخدور يقلن

أشرق البدر علينا واختفت منه البدور
مثل حسنك ما رأينا قط ياوجه السرور

وكان أول ماعمله ان شرع في اقامة مسجده المعروف وكان مكانه لغلامين يتيمين فاشتراه منهما بخمسة جنيهات ثم أخذ يبني فيه مع أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الطوب والحجارة ويقول : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة * فاغفر للانصار والمهاجرة » فأنتم ترون أن أول أعمال الرسول

صلى الله عليه وسلم في المدينة اقامة مسجدين فلم يبدأ بفتح المدارس أو اقامة المستشفيات ، استغفر الله بل فتح المساجد وأقام المدارس وبنى المستشفيات. هل المساجد الامدارس تكون فيها الاخلاق وتهذب الارواح وتلقى فيها الدروس العلمية والعملية ؟ ألست في المساجد تسمع آيات الله تتلى ، وتسمع الحكم العالية ، والنصائح الغالية من كلام خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وان ذلك شفاء لما في الصدور ؟ وهل مداواة الاجسام خير أم مداواة الارواح . إن المساجد بحق بيوت للعبادة ، مدارس للتعليم الصحيح ، مستشفيات لأمراض النفوس

ان المدارس الاولية التي تسعى الحكومة في نشرها جهد الطاقة انما تعلم الصبيان ، وإن المساجد يعلم فيها الصبيان والشباب والشيوخ ، بل يعلم فيها النساء والرجال ، وإن أنواع المدارس الاخرى انما تعلم بالاجر ، والمساجد فتحت أبوابها لكم لاتتقاضى منكم على التعليم أجرا ولا ثمنا

فالمساجد في الامة تؤدي خدمة عظيمة لاتماثلها خدمة أخرى لو أن القائمين فيها ممن عرفوا الدين حق معرفته ، ودرسوا أصليه كتاب الله والسنة ، لو أنهم ممن خبروا الحياة وعرفوا شؤونها ، وكان لهم بجانب ذلك أرواح طاهرة وعقول نيرة وحكمة بالغة ، وعسى أن يكون ذلك قريبا (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا)

روى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة»

قانون الاحوال الشخصية في مصر

والنزاع بين جمود الفقهاء المقلدين ، والحاد زنادقة المتفرنجين

(١)

لقد بينا في مقالات كثيرة من مجلدات المنار منذ سنته الاولى الى الآن ما كان من تقصير علماء المسلمين فيما يجب عليهم للاسلام وأهله، واشتراكهم مع الحكام والمتصوفة في أسباب اضعافه واضاعة ملكه ، وبينا في مقالات أخرى مفاسد ملاحدة المتفرنجين من المسلمين، وإضاعتهم بقايا تراث الاسلام في شعوبهم من أدب وفضيلة وملك ودين ، وكنا نبين في أثناء بعض هذه المقالات وفي مقالات مستقلة شدة حاجة المسلمين الى حزب إصلاحي معتدل يعرف أهله حقيقة الاسلام الصحيح الخالي من الخرافات والبدع ، الداعي الى الصلاح والاصلاح والسعادة والسيادة والملك، ويعرفون مايتوقف عليه الجمع بين هذين الامرين في هذا العصر من علوم وفنون ونظام ، ليكونوا هم أهل الحل والعقد في شعوب الاسلام ، ثم فصلنا القول في هذه الاحزاب الثلاثة في كتاب (الخلافة أو الامامة العظمى) الذي كتبناه ونشرناه عند شروع الترك في هدم خلافة آل عثمان الصورية ، لبيان ما يجب على المسلمين في هذه الحال

كان الفقهاء المقلدون أعوان الملوك والسلاطين المستبدين والحكام المفسدين، وكان هؤلاء انصارهم ورافعي شأنهم، وكان الغبن في ذلك على الشعوب الاسلامية التي ابتليت برياسة الفريقين ثم اشترك مع الفقهاء في هذه المكانة من الامراء والملوك وأعوانهم شيوخ طرق الصوفية بعد أن صارت رياسة للعوام ، في الاحتفالات البدعية ومآدب الطعام، ليس فيها شيء من التصوف ولا من هداية الاسلام ، فلولا الملوك الجاهلون وأوقافهم لما تفرق المسلمون شيعا وأحزابا باسم المذاهب ، بل كانوا يستقيمون على هدي السلف الصالح ، أمة واحدة متحدة في دينها ودنياها ، تستفيد من علم كل نابغ مجتهد فيها ، من غير تعصب ولا تحزب لأفراد من العلماء يرجح كل حزب منهم ظن امامه على نصوص الشارع، بل جعلوا

أقوال شيوخهم المتأخرين ، من مقلدي مقلدي المقلدين ، كنصوص القرآن فيما يشبه التعبد بألفاظها ، وعدم الخروج عن معانيها ، وان خالفت نصوص الكتاب والسنة، ونافت جميع مصالح الامة ،حتى ضاق من الحكام بهم كل ذرع ، واضطروا الى مخالفة ماتعارفوا على أنه هوالشرع ، الى أن انقلب ذلك الوضع ، وصار الحكام على هؤلاء الجامدين ضداً ، بعد ان كانوا ردءا لهم ورفدا

فأماالترك فقدتركوا الشرع كله،ونبذوا فرعه واصله،وألغوا محاكمه ومدارسه الشرعية ،واستبدلوا به تشريع الغرب وقوانينه الوضعية

وأما مصر فقد سبقت الترك الى أخذالقوانين المدنية والجزائية عن الافرنج، ثم جهر ملاحدتها في أثناء وضع القانون الاساسي للحكومة الدستورية وفي أثناء وضع مشروع قانون الاحوال الشخصية الاول بأنهم يطلبون حكومة لادينية ، وقانونا مدنيا للاحوال الشخصية ، يكون عاما نافذاً على جميع المصريين ، من ملاحدة ودينيين، مسلمين وغير مسلمين ، ثم نشرت جريدتهم (السياسة) مقالات كثيرة إلحادية بقلم تحريرها وبأقلام أنصارها من غيرهم ، ونصروا كتاب الشيخ علي عبدالرزاق - وهو من أركان حزبهم - نصراً مؤزراً لجحده التشريع الاسلامي وزعمه ان الاسلام ليس له دولة ولا حكومة ولا تشريع لانه دين روحاني محض ، ومن ذلك الحين طفق كتاب جريدة السياسة يطعنون في جميع علماء الدين ويحقرونهم ، وكان الدكتور طه حسين أول طاعن في الاسلام والمسلمين من أركان محرري السياسة، ومنهم محمود افندي عزمي أول من كتب في الجرائد مقترحا ان تكون الحكومة المصرية لادينية والاحكام الشخصية فيها مدنية،وهو الآن إمام هذه الدعاية من محرري السياسة

ثم نجم قرن الالحاد في مجلس البرلمان في دورته السابقة ثم في دورته الحاضرة من أفراد من الاعضاء لم يجدوا لهم مفندا، بل وجدوا مؤيداً: طلب بعض المسلمين منهم في الدورة الماضية فرصة لصلاة المغرب وتخصيص مكان يصلون فيه كما كانت تفعل الدولة العثمانية فقال بعض الاعضاء اننا لانريد صلاة أو ماهذا معناه فنفذ قوله .

وفي الدورة الحاضرة طرحت مسألة تكذيب الدكتور طه حسين للقرآن وطعنه في الاسلام في مجلس النواب الحاضر فأنحى بعض الاعضاء باللائمة على الحكومة لتركها إياه

معلما لأولاد الامة في أعلى مدارسها (الجامعة المصرية) وعدم عقابه على الطعن في دينها الرسمي فتصدى للرد عليهم صاحب الدولة رئيس الوزارة عدلي باشا يكن ولكن شايعهم في إدارة نظام المفاوضات صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس المجلس حتى كاد يلجي رئيس الوزارة إلى الاستقالة فتلافى ذلك بعض النواب وأجلوا البحث إلى ان اجتمع الرئيسان واتفقا على ترك هذه المسألة للقضاء ثم لم يفعل القضاء شيئا. وبقي الدكتور طه حسين يلقن نابتة الامة التشكيك في الدين ويجرئهم على الالحاد فيه

وصاح عضو من أعضاء مجلس النواب في إحدى جلساته بأنه يجب القضاء على الدين الذي يبيح تعدد الزوجات - يعني دين الاسلام - وقال آخر ان مصطفى كمال باشا لم يفعل إلا إزالة تكايا أهل الطريق الخرافيين فلم ينكر عليهما المسلمون منهم ومعناهما واحد ولكن قال قائل في هذا المجلس «إنني بصفتي مسلما» أقول كذا — في مسألة اسلامية خاصة بالمسلمين فصاح بعضهم في وجهه : لا تقل انني مسلم ليس ههنا إلا مصري يمثل جميع المصريين - أو ماهذا معناه، فلم ينكر هذا أحد على قائله بأن تمثيل النائب لجميع المصريين يحرم على المسلم أن يصرح بدينه. فههنا مسألة غفل عنها هؤلاء المتفرنجون وهي أن هذا المجلس يضع قوانين شرعية اسلامية خاصة بالمسلمين وهي موضوع مقالنا هذا فيجب أن يعلم المسلمون بأي صفة أو بأي حق يشترعونها

ثم إن المعاهد الدينية الأزهرية كانت قد نالت من الحكومة المصرية مطالب كانت تعدها ثمرة لاشتراكها في الاعمال الوطنية التي قامت بها الامة منذ ثورة سنة ١٩١٩ فسلبتها إياها الحكومة الائتلافية الدستورية الحاضرة فثار طلاب الازهر وملحقاته باغراء بعض المدرسين ثورة شؤمى سددوا فيها سهامهم الى الدستور والبرلمان المصري والحكومة باغراء بعض أهل الأهواء السياسية المناوئة للدستور، على مايعتقد الجمهور، فنصح لهم العقلاء من أساتذتهم بترك هذا التهور والاعراض عمن أغراهم به ، فغرتهم كثرتهم وشقشقة ألسنتهم فلم تغنيا عنهم شيئاً ، كبحت الحكومة كل ماكان لهم من جماح ، وقصصت كل ما كان لهم من جناح ، فأصبحوا في معاهدهم جاثمين ، وانطلقت ألسنة الجرائد في أعراضهم ، وطفقت النيابة العامة تبحث عن موجبات العقاب القانوني من أقوالهم ، وتدعو الى دور القضاء المتهمين

من طلابهم وأساتذتهم ، ثم حكمت على بعضهم، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، ولم يكونوا في ثورتهم ولا في سكوتهم بمهتدين

ثم نقب بعض النواب عما أخذ الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر من وزارة الاوقاف من المال الذي انفق في سبيل مؤتمر الخلافة الذي تولى مع هيئة كبار العلماء الدعوة اليه، فجاءهم وزير الاوقاف ببيانه وقدره ٢٥٠٠ جنيه فهاجت الاحزاب الائتلافية الساخطة على شيخ الازهر وعلى العلماء العاملين في مؤتمر الخلافة، وأنشأت جرائدها تشايع من بالغ من النواب في إنكار هذا العمل وكان لذلك سببان سياسي وإلحادي:

(السبب الاول) ان الاحزاب البرلمانية المؤتلفة التي تمثلها الحكومة الحاضرة تعد شيخ الجامع الازهر وكبار علمائه من أنصار حزب الاتحاد الذي كان يؤيد الوزارة التي تولت أمر الحكومة في عهد تعطيل الدستور بقوة الاحتلال القاهرة، إذ كان يعد نفسه ويعدونه هم حزب (السراي) العامرة، وكان حسن نشأت باشا وكيل وزارة الاوقاف ورئيس الديوان الملكي بالنيابة ، هو المرجع لشيخ الازهر والسكرتير العام للمعاهد الدينية في أمر الدعوة الى تأليف مؤتمر الخلافة، ولذلك كان حزب الاتحاد وحده هو المؤيد لهذا المؤتمر وهو الذي لا يزال يدافع عنه وعن أهله في جريدته الى اليوم كما بلغنا . وكانت الجرائد الوفدية والدستورية تطعن فيه ، وهي التي أثارت مسألة نفقاته من بعد ، وألبسوها ثوبا من التدليس أو التزوير ، تولى كبره بزعمهم الاستاذ الاكبر ؛ وشاركه في وزره كل من أصابه شيء من المال للمساعدة على هذا العمل، ذلك بأنه وجد في الوثائق الرسمية ان الشيخ طلب من وزير الاوقاف مبلغا من أموال الاوقاف الخيرية لينفق على بعض «الاعمال السائرة» في المعاهد الدينية وهو «لا يدخل في ميزانيتها» فأعطاه وزير الاوقاف خمسمائة جنيه من فضل وقف يسمى وقف أم حسين عملا برأي لجنة الاوقاف الاستشارية ، ثم طلب مبلغا بعد مبلغ فكان جملة ما أخذه ٢٥٠٠ جنيها أنفقها في هذه السبيل، وهو زهاء

(السبب الثاني) أن حزب الملاحدة افترص هذه الحملة وما ألبسته من ثوبي زور للانتقام من رجال الدين وتحقيرهم ، وابطال ثقة العامة بدينهم وعلمهم؛ فطفق كتابه يحبرون المقالات في إثر المقالات ، ويوالون الصيحات والهيعات: أيها

المسلمون ، انظروا مافعل علماؤكم الدينيون ، أكلوا أموال الفقراء والمساكين ، واستحلوا ماحرم رب العالمين ، فأثبتوا لكم أنه لاذمة لهم ولا دين ، واننا نحن الذين ينبزوننا بألقاب الالحاد والزندقة ، والاباحة المطلقة ، نغار على دينكم وأوقافكم ، ونضرب على أصابعهم أن تستدر أخلافكم ، الاوقاف الاوقاف ، ذهبت الاوقاف ، هلك مستحقو الاوقاف ، فعاقبوا شيخ الازهر ، على مادلس وزوّر ، . . .

هل يصدق احد من علماء الدين ، أو رجل مستقل الفكر ولو من غير المسلمين ، أن أحداً من هؤلاء الصائحين النائحين ، يغار على الاقاف أو يدافع عن الفقراء والمساكين ، وهم يعلمون ان عشرات الالوف من الجنيهات تصرف منها كل عام في غير مصارفها الشرعية ، ولا يرون جريدة تقول كلمة فى ذلك ؟ أم يعتقد عاقل أن شيخ الأزهر خدع وزير الاوقاف العالم القانوني وغشه بايهامه إياه أن ماطلبه من المال لبعض الاعمال السائرة في المعاهد الدينية كان يريد انفاقه على العلم والتعليم بشرط أن لايدخل ميزانيـة المعاهد ؟ أيجهل أحد من رجال الحكومة وأصحاب الصحف ومحرريها أو من الواقفين على الشؤون العامة من أعضاء البرلمان وغيرهم أن وزير الاوقاف ووكيـل وزارته ولجنة الشورى فيه كانوا يعلمون أن شيخ الازهر قد طلب المال لأجل النفقة على مؤتمر الخلافة الذي شرع في دعوة العالم الاسلامي اليه ؟ كلا انهم يعلمون ذلك ولكنهم يغشون من لا يعلم من النواب والعوام . فان كان في الطلب تزوير فالمسئول الاول عنه وزير الاوقاف لاشيخ الجامع لازهر

والحق أن شيخ الازهر طلب مايعتقد أنه حق مشروع وأنفقه في سبيله ، وإن أساءت السكرتارية في تفصيله ، فان مسألة الخلافة من أهم المسائل الاسلامية التي يجوز الانفاق في سبيلها من أموال الاوقاف الخيرية العامة وأما الشكل الذي أبرز الطلب فيه وبني الدفع عليه فالظاهر أنه أمر شكلي وضعته لجنة الاستشارة فى الاوقاف

كان مجموع ماأجملناه من حوادث مصادمة الدين وتحقير رجاله موسعاً لمسافة الخلف وسوء الظن بين رجال الدين وبين دعاة الالحاد الذين صرحوا في مقالات عديدة نشرت في جريدة السياسة بأن ثقافة التفرنج الجديدة التي ترفع أركانها مدرسة الجامعة المصرية ستقضي على الثقافة الاسلامية التي كان ينبوعها الجامع الازهر

في أثناء هذا التنازع والتصارع بين الاسلام والالحاد قامت الحكومة بمشروع قانون الاحكام الشخصية الذي نصَّ فيه على منع عقد المسلم التزوج على زوج ثانية إلا بشروط فوض الامر فيها إلى القاضي وعلى أحكام أخرى مخالفة المذاهب الاربعة التي تدرس في الازهر وأمثاله من مدارس أهل السنة . فأوجس جمهور علماء الازهر وغيرهم خيفة منه، وعدوه خطوة أو خطوات في الطريق التي سبقت اليها الحكومة التركية من تحديد سن الزواج في كل من الزوجين الذى تبعتها فيه الحكومة المصرية ومن وضع (قانون العائلة) الذي هي بصدد أتباعها فيه ، وأخوف مايخيفهم منه هو جعل هذه الاحكام قانونا ، وجعل الشارع له البرلمان المصري المؤلف من المسلمين وغير المسلمين ، وبناء تنفيذه على هذا الاعلى كون الشارع له هو الله ورسوله

ومن سوء حظ الازهر أن الجامدين على التعصب لكتب معينة في فقه المذاهب الاربعة ليسوا أصحاب حجة ولا برهان ، ولا يقدرون على الدفاع عن الدين بالسلاح العلمي القاطع في هذا الزمان ، بل يريدون أن يكونوا على ماعهدوا في الزمن الماضي من التسليم لهم بما يقولون انه حكم الله ، وهم يفتون في مسائل حادثة لم تكن في عصر التنزيل ، ولافى عصور الاجتهاد المطلق أو المقيد أو التخريج أو التصحيح واجتهاد المجتهد ظن له لاحكم لله ، والتخريج عليه أبعد منه عن ذلك ، والتصحيح لأحد قولين مخرجين على نصوص المجتهد أو قواعده ، لا يرتقي صاحبه إلى درجة المخرج له ، ودون هذه الطبقة طبقة ناقلي التصحيح ، ومنهم أفقه فقهاء هذا العصر على حسب عرف هؤلاء المقلدين . فهم فى الدرجة الخامسة عند طائفة والسادسة عند أخرى ، وبينهم وبين معرفة حكم الله تعالى خمسة حجب أو ستة باعترافهم

ألا إن العالم يحتاج الى اصلاح ، ولن يستطيع شعب اسلامي أن يتحمل أثقال تقليد هؤلاء المقلدين لمذهب واحد ، ولا أن يجعلوا مصالحهم الزوجية والمنزلية والمالية منوطة بفهمهم لكتب مذهب واحد في عسره ويسره ، وقد آن للمستقلين في فهم الدين ، أن يبينوا يسر الشرع الالهي المسلمين ، فقد زالت دولة هؤلاء الجامدين المشددين ، ويخشى أن يدال منها الملاحدة المتفرنجين ، وفي الازهر وغيره من المعاهد الدينية أنصار لهذا الاصلاح سيجدون أعوانا لهم من جميع الطبقات (الموضوع تتمة)

أنباء العالم الإسلامي

دعاة الشقاق للحرب بين الامامين يحيى وعبد العزيز

لاتزال اشاعات الشر عن استعداد الامام يحيى لايقاد نار الحرب تطوف الاقطار فتشغل الصحف وقراءها، ويتردد في بعض المجالس الخاصة ماهو شر مما تنشر الصحف منها. ومن هذا النوع ماورد في مكتوبات خاصة من عدن وغيرها من أن محاضي، الفتنة من روافض الاعاجم وأنصارهم من الهنود السياسيين قد أرسلوا الى الامام يحيى وفداً يعرض عليه امداده بألف ألف جنيه مساعدة له على قتال الملك ابن السعود لاخراجه من الحجاز، ويقال إن مع العضو الايراني من هذا الوفد عضواً أفغانيا فياليت شعري هل هو عضو ملفق في الهند أم استطاع شاه إيران استمالة أمير الافغان السني المصلح المدني ليساعده على هدم السنة ومعاداة أنصارها؟ الراجح عندنا أن الوفد كله ملفق باغواء أعداء الاسلام والعرب راجا محمود آباد وأعوانه الساعين في منع الحج ولهؤلاء حزب في بعض بلاد الشرق

وفي سورابايا (جاوه) جريدة عربية لهذا الحزب، تجهر بالدعوة إلى هذه الحرب، وهي التي كان قد أسسها بعض غلاة الرفض من علوية الحضارم لدعايته في تلك البلاد التي ينتمي جميع أهلها إلى مذهب الامام الشافعي من أئمة السنة فأحدثوا بينهم من الشقاق ماالشتهر أمره، وكان سببا لتأليف عدة جمعيات تطعن في العلويين أقبح الطعن بعد ما كان من الاجماع على تعظيمهم وتكريمهم، وفاء لأسلافهم الذين نشروا الاسلام ومذهب الشافعي هنالك

تعظم هذه الجريدة أمر الامام يحيى حميد الدين وتكبر قوته وتغلو في استعداده الحربي وتحبذ ماعقده من الاتفاق مع الدولة الايطالية، وتطعن في الامام عبد العزيز ابن السعود وتهون أمره وتحقر قوته، ولا عجب فقد سمع بعض علماء مصر وفضلائها من زعيم من أشهر رجال هذا الحزب أنه يفضل استيلاء دولة أوربية على الحجاز ويراه أضعف ضرراً من استيلاء ابن سعود عليه، ولكن الامام يحيى أعلم من هؤلاء المتهورين بحقيقة قوته وقوة ملك الحجاز ونجد، وأعلم منهم بمصلحته

ومصلحة بلاده ، وسيرى العالم منتهى شوطهم في اغرائه وتوريطه

وأما نحن فاننا نرى أن السياسة المثلى التي يجب أن يتبعها الامامان في الجزيرة العربية هي سياسة التآلف والتحالف والتعاون على حفظ استقلال مهد الاسلام أن تمتد اليه يد الاستعمار ونفوذ الاجانب، ونرى أن من يوقد نار الحرب منهما على الآخر هو أكبر المجرمين ولا يقبل له عذر من الاعذار ، ونرى مع هذا أن الخطر على اليمن أقوى وأقرب من الخطر على الحجاز ونجد، ولعل الامام يحيي قد شعر بزلته في الاتفاق مع إيطالية، وإذ آلا يختار لنفسه الدخول في مأزق يضطره الى تمكينها من قياده، ورسوخ قدمها في بلاده

الحج في هذا العام

نحمد الله تعالى أن أرى حزب الجريدة (الحضرموتية) بوادر خذلانه في الدعوة إلى هدم ركن الاسلام الركين (الحج) في البلاد التي ينفث سمومه الرفضية فيها وهي جزائر جاوه وما جاورها ، فان المسلمين قد لبوا دعوة الله تعالى على لسان رسوله وخليله ابراهيم ولسان رسوله وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهما إلى حج بيته الحرام الوفا وراء ألوف وداسوا بأرجلهم دعوة هذا الحزب الذي كان يرفض السنة فانتهى إلى رفض الفرض ، كما خذل أمثالهم في الهند الانكليزية أيضاً بالرغم من أنف المتجرين بالدين في سوق السياسة شوكت علي ومحمد علي، والمرجو أن لا يقل حجاج هذا العام من البحر عن مائة وخمسين ألف ،

وقد بلغنا أن حكومة العراق لم تمنع الحج رسمياً ، ولكن بعض الزعماء من أعداء السنة ومن أصدقاء الملك هم الذين يصدون عنه صدوداً ، فانحصر المنع الرسمي لاداء هذه الفريضة في الدولة الايرانية ، فأين علماء الشيعة في بلادها وفي الهند والعراق وجبل عامل ؟ كيف يسكتون عنها في هذا العام، بعد أن ثبت بالتواتر بطلان ما بنت عليه المنع في العام الماضي من عدم الثقة بالأمن ، ودعوى إلزام الناس أن يؤدوا المناسك على مذهب الحاكم دون مذاهبهم ؟ ونحن نطلب من علماء النجف وكربلاء وجبل عامل إصدار بيان ينشر في الصحف بأركان الحج وشروط وجوبه لنعلم هل لحكومة إيران عذر في المذهب الجعفري أو الاثنى عشري في منع المسلمين من إقامة هذا الركن من أركان الدين ، بنص قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

﴿الجزء الثالث﴾ ١٣٤٥ ﴿المجلد الثامن والعشرون﴾

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

المنار
١٣١٥

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة او عن نصف سنة

عدد المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران

لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي «المنار بمصر»﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة
سنة ١٣٢٠ وهي

﴿إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو﴾
﴿أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر، ولا يزال ذلك﴾
﴿الميل في الاغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا،﴾
﴿ولكن ذلك لا يضعف الامل، في نجاح العمل﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين من المنار ﴾

التفسير : وفيه ان الدعاء أعظم أركان العبادة ودعاء غير الله وكون الاصنام دون عابديها وعجزها عن نصرهم وولاية الله لرسوله والصالحين وتمييز أهل البصيرة بين الصادق وغيره وآية أصول الآداب والتشريع وتفسير العفو والعرف وكونهما من أصول التشريع وكون الامر بالمعروف من صفات المسلمين والامر بالاعراض عن الجاهلين ١٦١ — ١٧٣

نموذج من تفسير الجزء الاول وفيه مسائل العلوم العصرية وحكم القرآن في حقيقة التوراة والانجيل ورجوع محققي النصارى الى قول القرآن بالمسيح ونقض شبهة على قصص القرآن والايمان بالنبوة ١٧٤ — ١٨١

فتاوى المنار : حكم بناء فنادق المسافرين واجارتها لغير المسلمين ١٨١ — ١٨٥

أحكام السفر والاقامة ١٨٦ — ١٩٥

نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ١٩٦ — ٢٠٢

محاضرة المستر كراين عن جزيرة العرب ٢٠٢ — ٢٠٨

نساء العرب السياسيات : من كتاب سيرة السيدة خديجة أم المؤمنين للمرحوم الزهراوي ٢٠٨ — ٢١٣

خطبة اسعاف النشاشيبي في حفلة تكريم شوقي ٢١٣ — ٢٢٤

البيت الحرام وسدنته بنو شيبة وحقوقهم ، والهدايا له ولهم ٢٢٥

دعوة مفسدي الرافضة يحيى الى قتال ابن السعود ٢٣٨

موسم الحج في هذا العام ٢٣٩

قتل صاحب المنار ٢٤٠

اعلان

من ادارة المنار

كثيراً ما تتلقى الادارة طلبات من الراغبين بالاشتراك في المنار فالادارة تلفت نظر حضراتهم الى أن كل طلب غير مصحوب بقيمة الاشتراك لا يلتفت اليه

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ شوال سنة ١٣٤٥ هـ ١١ برج الثور سنة ١٣٠٦ هـ ش ٢ مايو سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

(١٩٤) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٥) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٦) إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٧) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٨) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

هذه الآيات تتمة لما قبلها من آيات التوحيد مقررة ومؤكدة لمضمونها، لان توحيد العبادة ونفي الشرك فيها هو أس الاسلام، ولا يتقرر في الاذهان، ويثبت في الجنان، ويكمل بالوجدان، إلا بتكرار الآيات فيه نفياً وإثباتا لمضمون كلمة (لا إله إلا الله)

﴿ ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ الدعاء مخ العبادة وركنها الاعظم فلا يصح توحيد أحد لله إلا بدعائه وحده وعدم دعاء أحد معه كما قال (فلا تدعوا مع الله أحداً) والمفسرون يقولون ان الدعاء في مثل هذه الآيات معناه العبادة من باب تسمية الكل باسم الجزء فصاروا يفسرون « تدعون » بتعبدون فضلّ بعض العوام من القارئين وغيرهم في هذا التعبير وظنوا ان المرء لا يكون عابداً لغير الله تعالى إلا إذا كان يصلي له الصلاة المعروفة ويصوم لأجله ، وانه لا ينافي توحيد الله تعالى أن يدعى غيره معه أو يدعى من دونه بقصد التوسل اليه والاستشفاع لديه ، إذا كان لا يصلي ولا يصوم له . وقال بعضهم : ان الدعاء هنا بمعنى التسمية فيكون الانكار فيه خاصاً بتسميتهم لأصنامهم وغيرهم من معبوداتهم آلهة . وكل من هذا وذاك ضرب من ضروب الاحتمالات اللفظية التي يتعلق بها من أشرك بالله جاهلا بمعنى الشرك ممن يدعون الموتى من الصالحين لدفع الضر عنهم أو جلب الخير لهم ، من غير طريق الاسباب التي هي من تناول كسبهم وسعيهم ، ولكنهم لا يسمونهم آلهة . وهذا هو الشرك الاكبر الذي نهي على المشركين من قبلهم لا مجرد التسمية التي لا تكون بدونه صحيحة

والحق الذي لا معدل عنه أن الدعاء هنا هو النداء لدفع الضر أو جلب النفع الموجه إلى من يعتقد الداعي أن له سلطانا يمكنه به أن يجيبه إلى ماطلبه بذاته أو بحمله للرب الخالق على ذلك بحيث يجيب دعاء الداعي لأجله

يقول تعالى ان الذين تدعونهم من دون الله هم عباد لله أمثالكم في كونهم مخلوقين لله تعالى خاضعين لسننه في خلقه ، وإذا كانوا أمثالكم امتنع عقلا أن تطلبوا منهم ما لا تستطيعون نيله بأنفسكم ولا بمساعدة أمثالكم لكم فيما يتوقف على التعاون في اتخاذ الاسباب له . وانما يدعى لما وراء الاسباب المشتركة بين الخلق الربّ الخالق

المسخر للاسباب الذي تخضع لارادته الاسباب وهو لا يخضع لها ، ولا لارادة أحد يحمله على ما لا يشاؤه منها

وهذه المماثلة انما تظهر فيمن يدعى من دون الله تعالى من الملائكة أو الانبياء أو الصلحاء ، دون ما اتخذ لهم تذكيرا بهم من التماثيل أو القبور أو الاصنام، وقد صار بعض هذه المذكرات يقصد لذاته ، جهلا بما كانت اتخذت لاجله ، وفي هذه الحالة تدخل في المماثلة بطريقة تنزيلها منزلة ما وضعت لاجله ، كأنه يقول ان قصارى أمرها أن تكون من الاحياء العقلاء أمثالكم، فكيف ترفعونها عن هذه المثلية، إلى مقام الربوبية ؟

﴿ فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ أي إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم يقدرون على ما لا تقدرون عليه بتواكم البشرية من نفع أو ضر بذواتهم فادعوهم فليستجيبوا لكم بأنفسهم ، أو ليحملوا الرب تبارك وتعالى على إعطائكم ما تطلبون منهم ان كنتم صادقين في قولكم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقولكم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ثم بيّن لهم أنهم أحط رتبة منهم لا أمثالا لهم، فقال

﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها؟ ﴾ هذا تقريع موجه الى الوجدان ، في إثر احتجاج وجه قبله الى الجنان، والاستفهام فيه للانكار، وهو خاص بالاصنام والاوثان، ومعناه أنهم لفقدهم لجوارح الكسب، التي يناط بها في عالم الاسباب النفع والضر، قد هبطوا عن درجة مماثلتكم من كل وجه ، فليس لهم أرجل يسعون بها الى دفع ضر أو جلب نفع ، وليس لهم أيد يبطشون بها فيما ترجون منهم من خير أو تخافون من شر، وليس لهم أعين يبصرون بها حالكم ، وليس لهم آذان يسمعون بها أقوالكم ، ويعرفون بها مطالبكم ، فأنتم تفضلونهم في الصفات والقوى التي أودعها الله في الخلق ، فلماذا ترفعونهم عن مماثلتكم ، وهم بدليل المشاهدة والاختبار دونكم ؟ وها أنتم أولاء تستكبرون عن قبول الهدى والرشاد من الرسول وتعللون ذلك بأنه بشر مثلكم ، فيقول بعضكم

لبعض (ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) أفتأبون قبول الحق والخير من مثلكم، وقد فضله الله بالعلم والهدى عليكم ، وهو لا يستذلكم بادعاء انه ربكم أو إلهكم ، ثم ترفعون مادونه ودونكم إلى مقام الالوهية، مع انحطاطه وتسفله عن هذه المثلية ؟

﴿ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ أي قل أيها الرسول لهؤلاء المرزوئين بعقولهم ،المحتقرين لنعم الله تعالى عليهم ، نادوا شركاءكم الذين اتخذتموهم أولياء، وزعمتم أنهم فيكم شفعاء، ثم تعاونوا على كيدي جميعاً، واجمعوا مكركم الخفي لايقاع الضر بي سريعاً ، فلا تنظرون أي لاتؤخروني ساعة من نهار ، بعد إحكام المكر الكبار . وحكمة مطالبتهم بهذا ان العقائد والتقاليد الموروثة تتغلغل في أعماق الوجدان ، حتى يتضاءل دونها كل برهان ، ويظل صاحبها مع ظهور الدليل على بطلانها يتوهم انها تضر وتنفع، وتقرب من الله وتشفع، فطالبهم بأمر عملي يستل هذا الوهم من أعماق قلوبهم ، ويمتلخ الشعور به من خبايا صدورهم ، وهو أن ينادوا هؤلاء الشركاء نداء استغاثة واستنجاد لابطال دعوة الداعي الى الكفر بها ، واثباته العجز لها ، وبذل الجهد فيما ينسبون اليها من التأثير الباطن ، والتدبير الكامن ، الذي هو عندهم أمر غيبي ، يدخل في معنى الكيد الخفي . فان كان لهاشيء ما من السلطان الغيبي في أنفسها أو عند الله تعالى فهذا وقت ظهوره ، فان لم يظهر لابطال عبادتها وتعظيمها ، ونصر عابديها ومعظمي شأنها ، فمتى يظهر وينتفعون به ؟ وهم منكرون للبعث ، وكل مايرجونه أو يخافونه منها فهو خاص بما يكون في هذه الارض ؟

﴿ ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ هذا تعليل لجزمه ﷺ بما ذكر من عجز هذه المعبودات وتحقير أمرها وأمر عابديها على ما كان من ضعفه بمكة عند نزول هذه السورة . يقول ان ناصري ومتولي أمري هو الله الذي نزل عليّ هذا الكتاب الناطق بوحدانيته في ربوبيته ،وبما يجب من عبادته ودعائه في المهمات والملمات وحده ، وبأن عبادة غيره باطلة ،وان دعاء هذه الاوثان هزؤ

باطل ، وسخف لا يرضاه لنفسه إلا جاهل سافل ، وهو يتولى نصر الصالحين من عباده ، وهم الذين صلحت أنفسهم بالعقائد الصحيحة السالمة من الخرافات والاوهام ، والاعمال التي تصلح بها الافراد وشؤون الجماعات ، فينصرهم على الخرافيين الفاسدي العقائد والمفسدين في الاعمال (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

﴿ والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ أي وأما الذين تدعونهم لنصركم ولغير النصر من منافعكم ودفع الضر عنكم ، فهم عاجزون لا يستطيعون أن ينصروكم ، ولا أن ينصروا أنفسهم على من يحقر أمرهم ، أو يسلبهم شيئا مما وضع من الطيب أو الحلي عليهم ، وقد كسر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الاصنام فجعلهم جذاذاً فما استطاعوا أن يدفعوه عن أنفسهم ، ولا أن ينتقموا منه لها . وروي عن معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل (رض) وكانا شابين من الانصار قد أسلما لما قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة انهما كانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتخذانها حطباً للارامل ليعتبر قومها بذلك ، وكان لعمرو بن الجموح وكان سيد قومه صنم يعبده فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة فيجيء فيرى ماصنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا ويقول له انتصر حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه بحبل في بئر فلما رآه كذلك علم بطلان عبادته وأسلم وفيه يقول

تالله لو كنت إلها مستدن لم تك والكلب جميعا في قرن

وبعد أن نفى قدرتهم على النصر ، نفى عليه بنفي قدرتهم على الارشاد اليه فقال

﴿ وان تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا ﴾ أي وان تدعوهم الى أن يهدوكم إلى ما تنتصرون به من أسباب خفية أو جلية لا يسمعوا دعاءكم مطلقا ، فكيف يستجيبون لكم ؟ على انهم لو سمعوا لما استجابوا لعجزهم عن الفعل ، كفقدهم للسمع ،

﴿ وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾ أي وهم فاقدون لحاسة البصر كفقدهم لحاسة السمع ، وتراهم أيها المخاطب ينظرون اليك بما وضع لهم من الاعين

الصناعية، والحدق الزجاجية أو الجوهرية، وجعلها موجهة الى الداخل عليها كأنها تنظر اليه، وهم لا يبصرون بها لان الابصار لا يحصل بالصناعة، بل هو من خواص الحياة التي استأثر الله سبحانه بها، وإذا كانوا لا يسمعون دعاءولا نداء من عابديهم ولا من غيره، ولا يبصرون حاله وحال خصمه، فأنى يرجى منهم نصره وشد أزره؟

وفي الآية وجه آخر ذهب اليه بعضهم وهو أن الخطاب فيها للمؤمنين والرسول في مقدمتهم بناء على ان الكلام في الاصنام قد تم فيما قبلها وعاد الكلام في عابديها، أي وان تدعوا أيها المؤمنون هؤلاء الاغبياء من المشركين، الذين لم يعقلوا هذه الحجج والبراهين، الى هدى الله وهو التوحيد والاسلام لا يسمعوا دعوتكم سماع فهم واعتبار، وتراهم أيها الرسول ينظرون اليك وهم لا يبصرون ما أوتيت من سمت الجلال والوقار، الذي يميز به صاحب البصيرة بين أولي الجد والعزم، والصدق في القول والفعل، وبين أهل العبث والهزل. ولقد كان بعض ذوي الفطرة السليمة ينظر الى النبي ﷺ فيعرف من شمائله وسيماه في وجهه، أنه حر صادق، غير مخادع ولا ماذق، فيقول والله ماهذا الوجه وجه كاذب

ومازال من المعهود بين الناس ان أصحاب البصيرة والفضيلة من الناس يعرف بعضهم بعضاً بذلك من أول العهد بالتلاقي بما يتوسمون من ملامح الوجه ومعارفه ثم من موضوع الحديث وتأثيره في نفس المتكلم والسامع ثم يكمل ذلك بالمعاشرة. كما يعرفون حال الاشرار والمنافقين بذلك (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) بهذه البصيرة النيرة عرفت السيدة خديجة فضلى عقائل قريش فضائل محمد بن عبد الله قبل بعثته، فاستمالته وخطبته لنفسها على غناها وفقره، بعد ان رفضت أناساً من كبراء قريش خطبوها بعد موت زوجها الاول، ثم كانت أول من جزم برسالته عند ما حدثها بأول ما رآه من بدء الوحي وخاف على نفسه منه، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول رجل دعاه الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى الاسلام بحسن فراسته فيه فلم يتوقف ولم يتمكث ولم يتريث أن اجاب الدعوة منشرح الصدر قرير العين، لأنه كان أجدر الناس بمعرفة حقيتها وحقيقة من دعا اليها. وامثلة هذا كثيرة في كل زمان. وكان أظهرها في قرننا هذا تعلق الشيخ محمد عبده بالسيد جمال الدين الأفغاني

من أول ليلة رآه فيها ولزامه الى أن فارق هذه الديار، فلم يعرفه حق المعرفة غيره على كثرة المكبرين له والمعجبين به ، وقد كان الكثيرون من أهل الازهر يفرون منه ويصدون عنه ، فأين هم وأين آثارهم في العلم أو الدين ؟ فبأمثال هذه العبر الواقعة تفهم معنى قوله تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) على الوجه الاخير في تفسيرها ، لا بمجرد تسمية هذا التعبير استعارة شبه فيها كذا بكذا. ثم اقرأ في معناه قوله تعالى (١٠ : ٤٢ ومنهم من يستمعون اليك فانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر اليك فانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون)

(١٩٩) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

هذه الآية بيان لأصول الفضائل الأدبية وأساس التشريع ، وهي التي تلي في المرتبة أصول العقيدة المبنية على التوحيد ، الذي تقرر فيما قبلها من الآيات بابلغ التوكيد ، فقوله تعالى ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ يأمر فيه بثلاثة أشياء هي أصول كلية للقواعد الشرعية والآداب النفسية والأحكام العملية (الاصل الأول) العفو وهو يطلق في اللغة على خالص الشيء وجيده، وعلى الفضل الزائد فيه أو منه ، وعلى السهل الذي كلفة فيه ، وعلى ما يأتي بدون طلب أو بدون احفاء ومبالغة في الطلب ، وهذه المعاني متقاربة وهي وجودية ، ومن معانيه السلبية إزالة الشيء كعفت الرياح الديار والآثار ، أو إزالة أثره كالعفو عن الذنب وهو منع ما يترتب عليه من العقاب ، فمعاني العفو الوجودية والعدمية أو الموجبة والسالبة كلها احسان ورفق ، وقد ورد عن مفسري السلف في تفسير العفو هنا أقوال كلها ترجع الى هذه المعاني، فرواية العوفي عن ابن عباس في تفسير (خذ العفو) خذ ما عفا لك من أموالهم – أي ما فضل وما أتوك به من شيء . وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها، وبذلك قال السدي وزعم أنها نسخت بآية الزكاة – وفي رواية الضحاك عنه : أنفق الفضل ، ومثلها عن سعيد بن جبير . وفي عدة روايات عن هشام ابن عروة بن الزبير عن أبيه عن عمه عبد الله ابن الزبير أن معناها خذ العفو

من أخلاق الناس ومثله وفي رواية لهشام عن عروة عن خالته عائشة أم المؤمنين مثل ذلك وبه قال مجاهد . وروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن العفو هنا الصفح عن المشركين وكان عشر سنين فنسخ بآية السيف ، وهذا ضعيف لان العفو بهذا المعنى لا يعبر عنه بالأخذ لأنه أمر عدمي هو بالاعطاء أشبه ، ولا بالقبول لأنه لم يطلب . وأحسن الزمخشري ما شاء في تصويره معنى العفو بما تعطيه اللغة فقال: العفو ضد الجهد أي خذ ماعفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ، ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى ينفروا كقوله ﷺ « يسروا ولا تعسروا » قال

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم ، وذلك قبل نزول آية الزكاة . فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها اه نقول وبقيت الآية محكمة في صدقة التطوع

والمختار عندنا أن العفو يشمل هذا وذاك فالمراد به أن من أصول آداب هذا الدين وقواعد شرعه اليسر وتجنب الحرج وما يشق على الناس وقد تقدم تفصيل القول في ذلك في تفسير آية الوضوء من سورة المائدة [1] وقد خالف هذه القاعدة الاساسية أهل الفقه المقلوب فجعلوا العسر والحرج من أهم قواعد الدين واصول الشرع فعلا لا تسمية وقد صح في الاحاديث ان النبي ﷺ ماخُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، وترى هؤلاء لا يخير احدهم بين أمرين إلا اختار أعسرهما ، ولا سيما العسر على الامة بأسرها ، وأما فتاوى الافراد فقد قال بعض المصنفين منهم في المسألة فيها قولان مصححان : نحن مع الدراهم قلة وكثرة !! يعني في الفتوى بأحدهما

(الاصل الثاني) الامر بالعرف وهو ما تعارفه الناس من الخير وفسروه بالمعروف وفي اللسان المعروف ضد المنكر والعرف ضد النكر (قال) والعرف والعارفة والمعروف واحد ضد النكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتبسأ به [2] وتطمئن اليه (قال) وقد تكرر ذكر المعروف

(١) راجع ص ٢٦٩ ج ٦ تفسير (٢) بسأ به وبسيء: أنس وارتاح

في الحديث وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ماندب اليه ونهي عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لاينكرونه ، والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم ، والمنكر ضد ذلك جميعه اه

والقول الجامع ان العرب تطلق المعروف على ضد المنكر وعلى ضد المجهول ، والمنكر هو المستقبح عند الناس الذي ينفرون منه لقبحه أو ضرره ويذمونه ويذمون أهله. والامر به في هذه السورة المكية التي نزلت في أصول الدين وكليات التشريع تثبت لنا ان العرف أو المعروف أحد هذه الأركان للآداب الدينية والتشريع الاسلامي وهو مبني على اعتبار عادات الامة الحسنة وما تتواطأ عليه من الامور النافعة في مصالحها حتى ان كتاب الله عز وجل قد قيد طاعة رسوله ﷺ بالمعروف في عقد مبايعته ﷺ للنساء قال عز وجل في سورة الممتحنة (١٢:٦٠ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) ومن المعلوم ان عقد المبايعة أعظم العقود في الامم والدول فتقييد طاعة الرسول ﷺ فيه بالمعروف دليل على ان التزام المعروف من أعظم أركان هذا الدين وشرعه ومن المعلوم في السنة ان مبايعته ﷺ للرجال كانت مبنية على أصل مبايعته للنساء المنصوص في هذه الآية . وقال ﷺ « إنما الطاعة في المعروف» وهو في مواضع من الصحيح

وقد تقدم من هذه السورة (الاعراف) وصف النبي ﷺ في بشارة التوراة والانجيل بأنه « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وورد ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما حكاه تعالى من وصية لقمان في السورة المسماة باسمه وهي مكية كالاعراف ثم تكرر ذكر المعروف في السور المدنية وأكثرها في بيان الاحكام الشرعية العملية وذلك في عشرات من الآيات بعضها في صفة الامة الاسلامية وحكومتها وأكثرها في الاحكام الزوجية والمالية . فمن النوع الاول قوله تعالى في تعليل الاذن

للمسلمين بالقتال من سورة الحج فذكر من صفات المأذون لهم به أنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق لا جل توحيد الله تعالى ثم قال (٢٢ : ٤١ الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران (٣ : ١٠٣ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقوله بعدها (١٠٩ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله عز وجل في سورة التوبة (٩ : ٧١ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية ثم قوله في صفاتهم بعدها (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) فهذه الآيات أصول لا مندوحة للامة عن التزامها في آدابها وتشريعها

ومن النوع الثاني وهو ما ورد في الاحكام الفرعية قوله تعالى في الحقوق الزوجية من سورة البقرة (٢ : ٢٢٨ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وهذه الآية ركن من أركان الحقوق الزوجية يفضل به الاسلام جميع الشرائع والقوانين في العدل والمصلحة ولم ينل النساء مثله في أمة من الامم . ومنها قوله في أحكام الطلاق (٢٢٩ فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقوله بعده (٢٣١ فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) ومثلها في سورة الطلاق ـ وقوله بعدها في المطلقات الرجعيات (٢٣٢ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) وقوله بعدها فيهن إذا كن مرضعات (٢٣٣ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ـ الى قوله فيهن اذا أراد الزوجان الفصال عن تراض منهما وتشاور ـ وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) وقوله في الآية التي بعدها في معتدات الوفاة (٢٣٤ فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) وقوله بعد آية أخرى في مطلقات (٢٣٦ ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) وقوله بعد أربع آيات أخرى (٢٤١ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) وكقوله في

معاشرة الازواج من سورة النساء (٤:١٩ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا) وهنالك آيات اخرى في العفو عن القصاص وفي الوصية للوالدين والاقربين وفي أكل الوصي من مال اليتيم قيدت بالمعروف

فأنت ترى ان المعروف في هذه الآيات معتبر في هذه الاحكام المهمة وان المعروف فيها هو المعهود بين الناس في المعاملات والعادات ، ومن المعلوم بالضرورة انه يختلف باختلاف الشعوب والبيوت والبلاد والاوقات ، فتحديده وتعيينه باجتهاد بعض الفقهاء بدون مراعاة عرف الناس مخالف لنص كتاب الله تعالى . ولشيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من فقهاء الحديث والحنابلة أقوال حكيمة في المعروف منها انه يجب على كل من الزوجين من أعمال البيت والاسرة ماجرى العرف به ، وأنه اذا كان من المعروف عن بعض البيوت انهن لايزوجن بناتهن لمن يتزوج عليهن ويضارهن كان هذا كالشرط فلا يجوز للرجل أن يتزوج على المرأة منهن

فان قلت ان بعض العلماء قالوا ان المراد بالعرف والمعروف في الآيات هو المنصوص في الشرع كقول صاحب لباب التأويل في قوله (وامر بالعرف): وامر بكل ما أمرك الله به وعرفته بالوحي. فالجواب ان مثل هذا القول مخالف لما ذكرنا ومالم نذكر من أقوال السلف والخلف ولا يمكن أن يراد من كل آية ولا من مجموع لآيات المتقدمة ، وما يحتمله منها كآيات الامر والنهي المدنية لابد أن يكون اللفظ فيها عاما يشمل المعروف في الشرع وفي العادات والمعاملات ولا يظهر هذا في آية الاعراف التي هي الأصل الأول لانها الأولى في الموضوع ، ولم يكن قد نزل قبلها أحكام يفسر بها العرف ويحال عليها فيه — فما قاله صاحب لباب التأويل هو من قشره لا من لبابه ، وأول مايرد عليه انه اذا كان المراد من العرف المعروف بالوحي يقال فيه انه لم يكن قبل الامر به معروفا وبعد الامر به صار من قبيل تحصيل الحاصل

نعم ان مايتقرر بنص الشرع يصير من جملة المعروف الذي هو ضد المجهول كما انه يكون بالضرورة من المعروف الذي هو ضد المنكر . ويبقى تحكيم العرف والمعروف بالمعنى اللغوي العام معتبراً فيما لا نص فيه بخصوصه وثلاثة فيه عرف

غير معارض بنص ، ولا يستقيم نظام الامة على أساس ثابت إذا كان أمر العرف والمعروف فيها فوضى وغير مقيد بأصول وأحكام وفضائل ثابتة، فلا بد من شيء ثابت وهو مالا تختلف فيه المصالح والمنافع باختلاف الزمان والمكان وأحوال المعيشة، ولا بد من شيء يحكم فيه العرف وهو مايقابله ، ولذلك جاء الشرع الحكيم بهما معاً ، ولا يضر مع هذا اختلاف الناس فيما يعرفون وينكرون فليكن المعروف كما قال الجصاص من أئمة الحنفية: مايستحسن في العقل فعله ولا تنكره العقول الصحيحة. ويكفي المسلمين المحافظة على النصوص الثابتة إذ لا يمكن أن يستنكر المؤمن ماجاء عن الله ورسوله نصاً حتما لا اجتهاد فيه ، وليكن للجماعة بعده رأي فيما يعرفون وينكرون ، ويستحسنون ويستهجنون ، يكون عمدتهم فيه جمهور العقلاء والعلماء وأهل الادب والفضيلة في كل عصر

(الامر الثالث) الاعراض عن الجاهلين وهم السفهاء بترك معاشرتهم وعدم مماراتهم ، ولا علاج أوقى لاذاهم من الاعراض عنهم ، وشرهم في هذا العصر مرتزقة صحف الاخبار المنشرة ، فان سفهاءها هم شر من سفهاء الشعراء في العصور السابقة ، وقد قل سفه الشعراء في عصرنا هذا فلا أعرف لشاعر مشهور من القذع والبذاء في الهجو شيئاً مما نعهد في الصحف التي يعبرون عنها بالساقطة، وكم من صحيفة قائمة ناهضة بالثروة شر من ساقطة بالقلة. وانما يجب الاعراض عن السفهاء لأنهم لا يطلبون الحق اذا فقدوه ، ولا يأخذون فيما يخالف أهواءهم اذا وجدوه ، ولا يرعون عهداً ، ولا يحفظون وداً ، ولا يشكرون من النعمة إلا ما اتصل مدده ، فاذا انقطع عاد الشكر كفراً ، واستحال المدح ذما

أكثر ما كتب المفسرون في هذه الآية مادلت عليه من الآداب ، وأقله ما اشتملت عليه من أصول الاحكام، وروي عن جدنا الامام جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها ، ووجهوه بأن الاخلاق ثلاثة بحسب القوى الانسانية ، عقلية وشهوية وغضبية ، فالعقلية الحكمة ومنها الامر بالمعروف ، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو ، والغضبية الشجاعة ومنها الاعراض عن الجاهلين. وروى الطبري مرسلا وابن مردويه موصولا من حديث

جابر وغيره لما نزلت (خذ العفو وامر بالعرف) سأل النبي ﷺ جبريل عنها فقال «لا أعلم حتى أسأل ثم رجع فقال إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك» اه من فتح الباري ومراد الامام أعلى وأشمل من ذلك وفهمه أبعد وأوسع من فهم من علله أو فسره كما علمت من تفسيرهما في الجملة

وذكر ابن كثير أن بعض الحكماء أخذ هذا المعنى فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال :

خذ العفو وامر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام، لكل الانام فمستحسن من ذوي الجاه لين

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن : قال علماؤنا هذه الآية من ثلاث كلمات ، قد تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات ، حتى لم يبق فيها حسنة إلا أوعتها ، ولا فضيلة إلا شرحتها ، ولا أكرومة إلا افتتحتها ، وأخذت الكلمات الثلاث أقسام الاسلام الثلاثة : فقوله (خذ العفو) تولى بالبيان جانب اللين ، ونفي الحرج في الاخذ والاعطاء والتكليف ، وقوله (وامر بالعرف) تناول جميع المأمورات والمنهيات ، وأنهما ماعرف حكمه ، واستقر في الشريعة موضعه ، واتفقت القلوب على علمه ، وقوله (وأعرض عن الجاهلين) تناول جانب الصفح بالصبر الذي يتأتى للعبد به كل مراد في نفسه وغيره . ولو شرحنا ذلك على التفصيل لكان اسفاراً . اه. ومن مباحث البلاغة في الآية أن ماجمعته هذه الكلمات الثلاث من المعاني العالية هو من اعجاز إيجاز القرآن ، الذي لا مطمع في مثله لانس ولا جان . والله أعلم

﴿نموذج من تفسير الجزء الاول﴾

(٢)

وهو مما زدته في تفسير قوله تعالى ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ عما كنت كتبته في عهد الأستاذ الامام ونشر في المنار

إعجاز القرآن بتحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر

(الوجه السابع) اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق، وهذه مرتبة فوق ماذكرناه في الوجه السادس من عدم نقض تقدم العلوم لشيء مما فيه ، ولا تدخل في المراد من أخبار الغيب المبينة في الوجه الخامس وان كان لبعضها اتصال بقصص الرسل عليهم السلام ونحن ننبه على كل ماعلمناه من هذا النوع في محله من تفسيرنا هذا، ونشير هنا الى بعضه فمن ذلك قوله تعالى (١٥: ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح) كانوا يقولون فيه إنه تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب بما يكون سبباً لنزول المطر بتلقيح ذكور الحيوان لاناثه ، ولما اهتدى علماء أوربة إلى هذا وزعموا انه مما لم يسبقوا اليه من العلم صرح بعض المطلعين على القرآن منهم بسبق العرب اليه . قال مستر (اجنيري) المستشرق الذي كان أستاذ اللغة العربية في مدرسة اكسفورد في القرن الماضي: ان أصحاب الابل قد عرفوا ان الريح تلقح الاشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربة بثلاثة عشر قرنا .اه نعم ان أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى اناثها ولكنهم لم يكونوا يعلمون ان الرياح تفعل ذلك ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز

ومنه قوله تعالى (٢١: ٣٠ أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أي أكذب الذين كفروا بآياتنا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا مادة واحدة ففتقناهما وخلقنا منها هذه الاجرام السماوية التي تظلهم ، وهذه الارض التي تقلهم ، وهذه المادة هي

المبينة في قوله تعالى (٤١ : ١١ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) الخ وهذا شيء لم يكن يعرفه العرب ولا غيرهم من أهل الارض . وكذلك خلق كل الاشياء من الماء وهو أصرح في الآية مما قبله

ومنه قوله تعالى (٥١ : ٤٩ ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين) وقوله (١٣ : ٣ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وهذه السنة الالهية في النبات أصل لسنة التلقيح المذكورة آنفا فان المراد بها ان الريح تنقل مادة اللقاح من الذكر إلى الانثى كما تقدم ، وفي هذا المعنى عدة آيات أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى (٣٦ : ٣٦ سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)

ومنه قوله تعالى (١٥ : ١٨ والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) ان هذه الآية هي أكبر مثار للعجب بهذا التعبير (موزون) فان علماء الكون الاخصائيين في علوم الكيميا والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدرة من اعشار الغرام والمليغرام وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات ، أعني ان هذا التعبير بلفظ « كل » المضاف إلى لفظ « شيء » الذي هو أعم الألفاظ العربية الموصوف بالموزون - تحقيق لمسائل علمية فنية لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر ، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا بتصنيف كتاب مستقل

ومنه قوله تعالى (٣٩ : ٥ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) تقول العرب كار العمامة على رأسه إذا أدارها ولفها ، وكورها بالتشديد صيغة مبالغة وتكثير ، فالتكوير في اللغة إدارة الشيء على الجسم المستدير كالرأس ، فتكوير الليل على النهار نص صريح في كروية الارض وفي بيان حقيقة الليل والنهار على الوجه المعروف في الجغرافية الطبيعية عند أهلها . ومثله قوله تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا)

ومنه قوله تعالى (٣٦ : ٣٨ والشمس تجري لمستقر لها - الى قوله - وكل في فلك يسبحون) فهو موافق لما ثبت في الهيئة الفلكية مخالفا لما كان يقوله المتقدمون

ومنه الآيات المتعددة الواردة في خراب العالم عند قيام الساعة وكون ذلك

يحصل بقارعة تقرع الارض قرعاء، وتصخها فتر جهارجاء، وتبس جبالها بساً، فتكون هباء منبثا ، وحينئذ تتناثر الكواكب، لبطلان ما بينها من سنة التجاذب، والآيات في هذا وفيما قبله تدل دلالة صريحة على بطلان ما كان يقوله علماء اليونان ومقلدتهم من علماء العرب في الافلاك والكواكب والنجوم، وعلى اثبات ما تقرر في الهيئة الفلكية العصرية في ذلك وفي نظام الجاذبية العامة ، ويجد القاري ء تفصيل هذا في عدة مواضع من هذا التفسير

فهذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر في الغالب حتى ان المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن ظواهرها لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد ، أو من نظريات العلوم والفنون الباطلة ـ فاظهار ترقي العلم لحقيقتها المبينة فيه مما يدل على انها موحى بها من الله تعالى .

هذه أمثلة من مسائل العلوم الكونية والفنون الطبيعية التي خطرت بالبال عند الكتابة من غير تفكر ولا مراجعة الا لاعداد الآيات والسور ولا بدّ من تعزيزها ببعض الامثلة الخاصة بالتاريخ ، وليس التاريخ من حيث هو تاريخ أحد العلوم التي تطلب من الكتاب الالهي ، ولم يذكر فيه شيء منه بقصد سرد حوادث التاريخ ، وانما جاء ماجاء فيه من ذكر أمم الرسل للعظة والاعتبار ، وبيان سنن الله تعالى في الامم والاقوام ، وتثبيت قلب خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، كما أن ذكر السموات والارض وما بينهما وما في الارض من المواليد الثلاثة لم يذكر شيء منه لبيان حقائق الموجودات في أنفسها ، وانما ذكرت في سياق آيات الله تعالى الدالة على علمه وقدرته وحكمته ورحمته وفضله على عباده الخ وقد تضمن كل من هذا وذاك بدقة التعبير واعجاز البيان ، آيات أخرى تظهر آنا بعد آن ، دالة على أنواع من اعجاز القرآن ، وكونه وحياً من الرحمن ، فكتابه تعالى مظهر لقوله (كل يوم هو في شان)

أكتفي من هـذا النوع الذي له علاقة بالتاريخ بمسألة عظيمة الشأن تشتمل على شواهد كثيرة منـه وهي حكم القرآن الحق على التوراة والانجيل اللذين كان يدين الله تعالى بهما أعظم شعوب الارض مكانة في العالم وأوسعهم علماً وحضارة ولا يزال الكثيرون منهم يقدسونهما ، مع بيان بعضهم لما نقض العلم منهما، وكذا سائر

الكتب التي يعبرون عن مجموعها بالعهدين القديم والجديد .

ماهذا الحكم الذي صدر من عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، على لسان عبده ورسوله النبي الامي الذي لم يقرأ في حياته سفراً ، ولم يكتب سطراً ، ولم يحط بشيء من أخبار التاريخ خبراً ؟ ملخص هذا الحكم أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أوتوا نصيباً منه ونسوا نصيباً وحظاً منه، فلم يحفظوه كله، ولم يضيعوه كله، وأنهم حرفوا ما أوتوه عن مواضعه تحريفاً لفظياً ومعنوياً كما يفيده الاطلاق [1] وأنهم غلوا في دينهم فزادوا فيه مالم يأذن به الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، يحلون لهم ويحرمون عليهم مالم يشرعه الله ، وأنهم قصروا في إقامته من جهة أخرى فعملوا بما يوافق أهواءهم منه وتركوا ما يخالفها كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وأن اليهود قالوا على مريم بهتاناً مبيناً ، والنصارى غلوا فيها غلواً عظيماً ، فقالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقالوا ثالث ثلاثة (وما من إله إلا إله واحد) الخ مانطقت به الآيات التي يجد القاريء تفصيلها مع تفسيرها الحق المؤيد بالتاريخ الصحيح الذي حققه علماء أوربة وغيرهم بعد الاسلام، المصدق للقرآن الحكيم في حكمه الذي كان مجهولا بتفصيله عند جميع الناس [2] وقد قام في هذه السنين بعض كبار رجال الدين في بلاد الانكليز يكتبون في الجرائد ماقرروه في جمعيات الكنائس من أن الانجيل لا يثبت ألوهية المسيح وقد نشرنا بعض ما اطلعنا عليه في الجرائد الانكليزية من هذه التحقيقات وسننشر غيره في مجلتنا الاسلامية (المنار)

وقد ثبت عندنا أن مستقلي الفكر من أهل أوربة بين مؤمن بما جاء به القرآن من حقيقة أمر المسيح وهو أنه بشر ممتاز بروح قدسية من الله ونبي له ولكن أكثرهم

«١» راجع تفسير الآية الثالثة من السورة الثالثة في الجزء الثالث من التفسير (ص١٥٦—١٥٩) وراجع تفسير الآية ٤٤ من السورة ٤ (ص١٣٦ من الجزء الرابع) والآية ١٥ من السورة ٥ (ص ٢٨٢ من الجزء ٦)

«٢» راجع تفسير سورة المائدة وانظر في فهرس الجزء السادس من التفسير كلمات أهل الكتاب والتوراة والانجيل

لا يعلمون انه مما جاء به القرآن ـ وبين كافر به ـ وأما عقيدة الكنيسة بربوبيته وألوهيته فهي محصورة في رجالها وعامة المقلدين لهم ، وقد أخبرني قسيس كبير من الكاثوليك حرمته الكنيسة وأخرجته من طغمة كهنتها ان كبار علمائها موحدون كالمسلمين ولولا خشية ارتداد العوام لصرحوا به وبنفي التثليث كبعض قسوس البروتستنت ولا يزال الموحدون يكثرون في أوربة والولايات المتحدة الاميركانية عاما بعد عام ، ويقربون من الايمان بالقرآن (الله أكبر الله أكبر ، انهم سوف يفعلون)

فمن أين جاءت هذه الحقائق لمحمد بن عبدالله الأمي بعد ثلاث وأربعين سنة عاش معظمها في عزلة عن العالم وعلومه ، ورعى في أوائلها الغنم في جبال مكة وشعابها ، واتجر في أثنائها سنين قليلة قلما كان يعاشر فيها أحداً ، وهي التي ظل المسلمون يجهلون مراد القرآن منها بالتحقيق والتفصيل حتى بعد فتحهم للعالم واطلاعهم على علومه وتواريخه إلى أن وصل علم التاريخ وغيره إلى الدرجة المعروفة

كان بعض أهل الكتاب والملاحدة من غيرهم يرون أن أكبر الشبهات على مافي القرآن من قصص الرسل وأقوامهم حسبانها مقتبسة من هذه الكتب المقدسة عند القوم ومما كانوا عليه من التقاليد والمذاهب ، باحتمال أنه ﷺ سمعها من بعضهم في أثناء سفره بالتجارة إلى الشام . وكانوا يعدون ماخالف تلك الكتب من آيات القرآن خطأ سببه عدم جودة الحفظ أو خطأ من سمع النبي ﷺ ذلك منهم أو تعمداً منهم لغشه كما غش بعض اليهود الذين ادعوا الاسلام خداعا بعض الصحابة والتابعين بأخبار كثيرة أدخلوها في تفسير القرآن وكتب الوعظ والرقائق

وكان من الادلة على دحض هذه الشبهة أنه لا يعقل أن يكون محمد ﷺ تلقى كل هذه القصص عن بعض أهل الكتاب في رحلته إلى الشام مع عمه أبي طالب وهو ابن تسع سنين أو ١٢ سنة ، ولا في رحلته مع ميسرة مولى خديجة (رض) وهو وإن كان في هذه الرحلة شابا له ٢٥ سنة إلا أنه لم ينفرد دون ميسرة وسائر تجار قريش لدراسة ولا غيرها ، بل لم يلبثوا إلا أياما في بلدة (بصرى) باعوا واشتروا وعادوا ، ولا يعقل أن يكون سمع فيها أخبار جميع الرسل سراً أو جهراً ، وحفظها من هذه الكتب حفظا ، ثم لخصها بعد عشرين سنة تقريباً في هذه السور — ولم

يجد أهل مكة عليه شبهة في هذا الباب إلا وقوفه أحياناً على قين (حداد صانع للسيوف) رومي كان بمكة فقالوا : انه هو الذي يعلمه ، وهو لم يكن يحسن العربية وفيه نزل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر : لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقد تقدم في مسألة اشتمال القرآن على أخبار الغيب الماضية من هذا البحث تصريح الآيات بأنه ﷺ لم يكن يعلم ما قصته السور منها ولا قومه ، ولم يمكن لأحد من خصومه المشركين أن يكذب أو يماري في ذلك

هذا وإن ما لخصناه هنا من حكم القرآن عليها يثبت أنه حكم علي نزل من فوق السموات العلى: حكم العليم الحكيم الحكم العدل المهيمن ، وأن تحقيق المحققين من مؤرخي الامم وتحقيق العقلاء من البشر قد أثبت ما أثبته هذا الحكم ، وقد نفى ما نفاه ، أليس هذا أنصع برهان على كونه حكم الله ، لا حكم عبده محمد بن عبدالله ؟ بلى والله ، ثم بلى والله ، ثم بلى والله ، لا يماري في ذلك إلا متعصب أضله الله

ومن قرأ التوراة والانجيل ثم قرأ ما في القرآن من أخبار الرسل يرى أمراً آخر ، يرى أن القرآن بين صفوة ما فيهما من صحة عقيدة ، ومن أدب وفضيلة ، ومن عبرة وموعظة ، ومن أسوة بالاخبار حسنة ، وسكت عن كل ما فيهما مما ينافي ذلك ويخل به ، أو يجعل أفضل البشر قدوة سيئة ، وصرح بنقض ما طرأ على أهل الكتاب من نزغات الشرك والوثنية . فان فرضنا تنزلا أن هذا من صنع محمد بن عبدالله الامي ، أفلا يكون برهاناً على أنه هو في شخصه أرقى من جميع الانبياء والمرسلين علماً وعقلا وهداية وارشاداً ؟ بلى ولكن كيف يعقل حينئذ أن يكونوا أنبياء مرسلين ، وموحى اليهم من الله أو ملهمين ؟ الحق أن نفي نبوته ﷺ يقتضي نفي النبوة وابطال الرسالة من أصلها ، لانها هي التي تعقل لذاتها ، وانما يظهر ثبوت غيرها بالتبع لثبوتها ، واننا رأينا بعض الكافرين بالوحي ، من الباحثين المستقلي الفكر ، يفضلون محمداً ﷺ على جميع الخلق ، ومنهم الدكتور شبلي شميل السوري المشهور فقد صرح بذلك قولا وكتابة ، وأثبته نظما ونثرا ،

وقد آن أن نبين وجه دلالة القرآن على نبوته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، ومن آمن به وشاركهم في الاهتداء بهديه من بعده إلى يوم القيامة

وجه دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ

(تمهيد) الايمان بالنبوة والرسالة، يبنى على الايمان بالربوبية والالهية، فلا يخاطب باثباتها والدليل عليها إلا من يؤمن بالله تعالى وصفاته من العلم والحكمة والمشيئة والقدرة وتدبير أمر العالم، وأكثر البشر يؤمنون بوجود الخالق المدبر صاحب السلطان الغيبي لأنه مما أودع في الفطرة البشرية، ولا يعقل هذا النظام المشاهد في العالم بدونه، كما هو مقرر في مواضعه، ولكن الكثيرين يخطئون في فهم صفاته والكلام في تدبيره وتقديره، لاختلاف انظارهم وتقاليدهم في ذلك. والذين حرموا هذا الايمان قسمان: همج من سكان الغابات الوحشية، وأصحاب شبهات طارئة، ومثل الاول مثل الخداج الذي يولد ناقصاً. ومثل الثاني مثل من يصاب ببعض مشاعره أو أعضائه، ومراكز الادراك في المخ يصاب بعضها بالمرض أو الضعف دون بعض، فلا يغترن أحد من المتقين بكفر بعض المتقنين لبعض العلوم والفنون، الذين شغلتهم الصنعة عن الصانع، كما شغل حب ليلى مجنون بني عامر عن شخصها، حتى قيل انها زارته فلم يحفل بها.

وأكثر الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بالرسل الذين خصهم الله بنوع من العلم والهدى بغير تعلم ولا كسب، وأيدهم بآيات منه دانت لها عقول المستعدين للهداية وخضعت قلوبهم فآمنوا واهتدوا، وكانت حالهم البشرية بعد الايمان والهدى خيراً مما كانوا عليه هم وآباؤهم قبل ذلك صلاحا، وقد بعث الله تعالى رسلا إلى جميع الامم دعوها إلى أصول الدين الثلاثة المبينة في قوله تعالى (٢:٦٢ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين: من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)

فالرسل عليهم السلام كانوا متفقين في الدعوة الى الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، وانما كانوا يختلفون في تفصيل الاعمال الصالحة والشرائع المصلحة بحسب اختلاف استعداد امهم، وقد طرأت على اتباعهم من بعدهم بدع وثنية وخرافية وضاعت أكثر تعاليمهم من الامم القديمة، وانما بقيت بقية صالحة منها عند المتأخرين من اليهود والنصارى فيها من الشوائب ما أشرنا اليه آنفاً، وكذلك بقيت في جميع

الاديان القديمة آثار تاريخية تدل على توحيد الله تعالى كما نراه في تاريخ قدماء المصريين ووثني الهند واليابان والصين

ومما حفظ من اخبار أنبياء بني اسرائيل أن الله تعالى أيدهم بالاخبار عن بعض المغيبات ،وايد المرسلين منهم كموسى وعيسى عليهم السلام اجمعين بآيات أخرى من خوارق العادات، فقامت بها حجتهم على الناس فآمن بها المستعدون ، وكابرها المعاندون المتكبرون ،واعرض عنها المقلدون الجامدون .

(للبحث بقية)

فتاوى المنار

حكم بناء فنادق المسافرين ، واجارتها لغير المسلمين

(س٥) جاءنا من عمر بك الداعوق أحد أعضاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية العاملين في بيروت كتابا يتضمن الاستفتاء في بناء فندق للجمعية كفنادق مصر الكبرى وتأجيره . . . فأجبناه بالجواب الآتي المتضمن للسؤال :

من محمد رشيد رضا إلى حضرة الوطني العمراني العامل عمر بك الداعوق .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد كتبت إليَّ بأن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت قد طلب منها إنشاء فندق على الطراز الحديث كفنادق القطر المصري الكبرى لاستثماره بالاجارة ، وصرف أجرته السنوية في تعليم أولاد فقراء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة

وسألتني هل في تأجير الفندق محذور شرعي يحرمه ؟ ولم تذكر لي ماعرض لك من الشبهة على تحريمه فكانت سبب السؤال ، وما تأجير الفندق إلا كتأجير دور السكنى للأفراد وأهل بيوتهم وحوانيت التجارة ومخازنها ، وأنا أعلم أن

للجمعية شيئاً من ذلك تؤجره كما أن لبعض أعضائها مثل ذلك ، فما بالكم تؤجرون هذه المباني ولا تستفتون في تأجيرها لان الاجارة من العقود المعلوم حلها من الدين بالضرورة ، وخصصتم إجارة الفندق بالاستفتاء والحال ان المراد صرف أجرته في أشرف الاعمال وأفضلها ويتسامح في المصالح العامة ما لا يتسامح في المنافع الخاصة ؟

فاذا كانت الشبهة على هذا ان بعض المسافرين الذين ينزلون في هذه الفنادق قد يشربون الخمر فيها ، والمستأجر يعدها لهم ويبيعهم اياها ، فسكان البيوت والدور وغيرها وتجار الحوانيت منهم من يشربون الخمر ويفعلون غير ذلك من المعاصي كالبيوع الباطلة أو الفاسدة والغش ، ولا نعلم ان أحداً من أئمة الفقه اشترط في صحة اجارة الدار أن يكون المستأجر مسلما من الصالحين المتقين لئلا يرتكب فيها محرما . فالتأجير لغير المسلم وللمسلم الفاسق جائز بلاجماع ، واننا نرى وزارة الأوقاف بمصر ونظار الاوقاف الخاصة في هذه البلاد وغيرها من بلاد الاسلام يؤجرون الدور الموقوفة للمسلمين وغير المسلمين ولا يبحثون عن عقائدهم ولاعن أعمالهم . وأوقاف المساجد والاعمال الخيرية في ذلك سواء . والفنادق الكبرى في مصر يستأجرها ويدير نظامها أناس ليسوا من المسلمين ولا من دار لاسلام . وقد نص الفقهاء على ان غير المسلم لايكلف مراعاة الشريعة الاسلامية في الحلال والحرام كالعبادات ، كما أن المسلم نفسه لايكلف مراعاة الاحكام الشرعية الاسلامية المدنية في غير دار الاسلام ، كشروط البيع والاجارة والشركات ، وكذلك يكون فندق جمعيتكم في بيروت غالبا وان كان فيها فنادق أخرى صغيرة محلية يتولى ادارتها بعض المسلمين .

وأنتم تعلمون ان بيروت وسائر سورية الآن ليست دار اسلام أي ان الاحكام المدنيه فيها ليست على الشريعة الاسلامية ، والسلطة فيها ليست في أيدي المسلمين ، هذا وان أكثر أحكام المعاملات المدنية في الشريعة الاسلامية اجتهادية مبنية على ضبط المعاملات التي تدور على حفظ المصالح ودرء المفاسد ، وقد أفتى الفقهاء بحل جميع أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها ،

فما كان برضاهم أو عقودهم فهو حلال لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح ؛ ويجري على هذا مسلمو بعض الأقطار كالصين وكذا بعض بلاد الهند فيما بلغنا . ومن أفظع الجهل بأحكام شريعتنا وحكمها أن نجعلها وهي الحنيفية السمحة التي غايتها سعادة الدارين سببا لشقاء المسلمين وفقرهم واستيلاء غيرهم على ثروتهم في دارهم وغير دارهم ، وهم يعلمون ان جميع الاحكام المالية حتى الدينية منها كالزكاة لم تشرع الا بعد ان صار للمسلمين دار تنفذ فيها احكامها بعد الهجرة النبوية

فان قلت : هل يحل للمسلم ان يبني معبداً ليؤجره لأهل ملة يعبدون فيه غير الله تعالى او حانة للخمر او ماخوراً للفسق يؤجرهما لغير المسلمين لينتفع بمالهم ؟ قلت لايحل له ذلك لانه يبني لاجل الشرك بالله ونشر الفسق الذي حرمه الله ابتداء وقصداً لذلك . والفندق ليس كذلك اذ لا يبنى لأجل الشرك ولا لأجل الفسق ولا يؤجر لأجلهما مباشرة وقصداً ، بل القصد منه ايواء المسافرين فهو كالدور التي يسكنها الافراد والاسر ، والمستشفيات التي تعد لمداواة المرضى ، وفي كل من الدور والمستشفيات قد يقع بعض المحرمات من شرب الخمر وغيره من المكلفين بفروع الشريعة وغيرهم ، ولكن الدار لم تبن ولم تؤجر لاجل هذه المحرمات التي قلما يخلو منها مكان في هذا العصر ، وكذلك المستشفى

وههنا مدرك آخر للنازلة المسؤل عنها وهي مراعاة حال العصر التي يعبر عنها الفقهاء بعموم البلوى فمن المعلوم ان مدينة بيروت أكثر أهلها من غير المسلمين وان المسلمين فيها قد فشت فيهم ضروب من الفسق كشرب الخمر والزنا من الكبائر ، والظهور على عورات النساء المحارم وغير المحارم من الصغائر التي هي ذرائع الكبائر ، والكثير من دورها وحوانيتها أو أكثرها للمسلمين ، فاذا لم يبح لهم اجارة دورهم وحوانيتهم إلا لمسلم صالح تقي يرجح المستأجر انه لا يرتكب فيها محرما — فان أكثرها يصير معطلا خاليا لا ينتفع به بل يسرع اليه الخراب ، كما يسرع الى أهله الفقر والفناء ، لان المسلم الصالح التقي المأمون فسقه قليل وربما يكون مالك البيت يسكنه

وهذا حجة الاسلام الغزالي من اكبر فقهاء الشافعية وصوفية المسلمين الورعين قد أفتى بأن المال اذا حرم كله في بلد أو قطر حل كله . وقال هو وغيره ان البلاد

التي يغلب أو يعم فيها المال الحرام بالمعاملات الباطلة والفاسدة لا يؤخذ فيه بقول من قال انه يتعدى بل يكفي المسلم الورع فيه ان يأخذ المال من طريق حلال وان كان أصله حراما

فاذا راعينا مع هذا قاعدة امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى في كون العبادات يؤخذ فيها بظواهر النصوص من الكتاب والسنة وكون مدار أحكام المعاملات على المصلحة وان النصوص ترد اليها ، وتذكرنا مع هذا انه ليس لدينا نص من الكتاب ولا من السنة في تحريم بناء الفنادق ولا تحريم اجارتها يعارض أصل الاباحة أو يعارض المصلحة المعلومة بالقطع لم يبق لديك احتياج الى دليل آخر على الحل الذي لاتشوبه شبهة

وفوق هذا كله خطر تحريم مالم يحرمه الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله بنص قطعي لا شبهة فيه . هذا الخطر اكبر وأشد وأعظم من خطر اتقاء شبهة في عمل حلال في الاصل كالشبهة التي فرضناها في نازلتنا

يقول علماء الاصول ان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، فأين هذا الخطاب في مسألتنا ؟ قد أنزل الله تعالى في أم الخبائث وأضر الرذائل قوله لرسوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) وما كان ضرره أكبر من نفعه والمفسدة فيه أكبر من المصلحة بتجارب الناس فهو محرم عند جميع فقهائنا ، ولكن رسول الله ﷺ لم يحرم الخمر والقمار على جميع المسلمين بهذه الآية التي أخبر فيها رب العالمين المحيط بكل شيء علما بان اثمهما أكبر من نفعهما ، فعلم منه أن هذا لايقتضي ترك جميع الناس لهما اقتضاء قطعياً جازما ، اذ بقي فيه مجال لاجتهاد الافراد في الموازنة بين النفع والضرر والذلك ترك الخمر والميسر بعض الصحابة لأنهم فهموا منها التحريم ، وظل بعضهم يشرب الخمر ويأكل مال الميسر ، وظل عمر بن الخطاب (ض) يقول : اللهم بين لنا في الخمر بياناً - حتى اذا مانزلت آيات سورة المائدة آمرة باجتنابها أمراً صريحاً قطعيا لايحتمل التأويل مؤكدة له ببيان علته وبقوله تعالى (فهل أنتم

منتهون)؟ قال جميع المسلمين قد انتهينا ياربنا . وصار كل من عنده خمر يهرقها حتى سالت بها شوارع المدينة كأودية السيل

إن التحريم الديني على العباد حق الله وحده وقد قال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال في بيان أصول الكفر والمعاصي الكلية (قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) قال بعض المحققين إن هذه المحرمات قد ذكرت على طريقة الترقي في الغلظة والشدة كل نوع أغلظ مما قبله، وذلك أن كلا من المعاصي والشرك والكفر قسمان قاصر على فاعله ، ومتعد إلى غيره ، فمعصية البغي على الناس أشد من الفاحشة والاثم القاصر على فاعله ، والشرك بالقول على الله تعالى بغير علم أغلظ من الشرك القاصر على فاعله . وقد صرح الكتاب العزيز بأن القول في الشرع بغير وحي من الله تعالى شرك به في قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسرها النبي ﷺ نفسه في حديث عدي بن حاتم بانهم كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم ، فهذا معنى اتخاذهم أربابا . ويراجع النص في التفسير المأثور من شاء

أكتفي بهذا في بيان دحض شبهة تحريم بناء الفندق وتحريم إجارته (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿تابع لما قبله﴾

﴿النوع الثاني﴾ من موارد النزاع ان عثمان كان لا يرى مسافرا الا من حمل الزاد والمزاد دون من كان نازلا فكان لا يحتاج فيه الى ذلك كالتاجر والتاني (١) والجابي الذين يكونون في موضع لا يحتاجون فيه إلى ذلك ولم يقدر عثمان للسفر قدرا بل هذا الجنس عنده ليس بمسافر وكذلك قيل إنه لم ير نفسه والذين معه مسافرين بمنى لما صارت منى معمورة. وذكر ابن أبي شيبة عن ابن سيرين أنه قال كانوا يقولون السفر الذي تقصر فيه الصلاة الذي يحمل فيه الزاد والمزاد ومأخذ هذا القول والله أعلم أن القصر انما كان في السفر لا في المقام والرجل اذا كان مقيما في مكان يجد فيه الطعام والشراب لم يكن مسافرا بل مقيما بخلاف المسافر الذي يحتاج أن يحمل الطعام والشراب فان هذا يلحقه من المشقة ما يلحق المسافر من مشقة السفر وصاحب هذا القول كأنه رأى الرخصة انما تكون للمشقة والمشقة انما تكون لمن يحتاج الى حمل الطعام والشراب ، وقد نقل عن غيره كلام يفرق فيه بين جنس وجنس روى ابن ابى شيبة عن علي بن مسهر عن ابى اسحاق الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال لا يغرنكم سوادكم هذا من صلاتكم فانه من

(١) كذا بالأصل

مصركم فقوله من مصركم يدل على انه جعل السواد بمنزلة المصر لما كان تابعاله وروى عبدالرزاق عن معمر عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنت مع حذيفة بالمدائن فاستأذنته أن آتي اهلي بالكوفة فأذن لي وشرط عليّ ان لا افطر ولا اصلي ركعتين حتى ارجع اليه وبينهما نيف وستون ميلا وعن حذيفة ان لا يقصر الى السواد وبين الكوفة والسواد تسعون ميلا وعن معاذ بن جبل وعقبة بن عامر لا يطأ احدكم بماشية احداب الجبال أو بطون الاودية وتزعمون انكم سفر لاولا كرامة انما التقصير في السفر من البآءآت(١) من الافق إلى الافق

(قلت) هؤلاء لم يذكروا مسافة محدودة للقصر لا بالزمان ولا بالمكان لكن جعلوا هذا الجنس من السير ليس سفرا كما جعل عثمان السفر ما كان فيه حمل زاد ومزاد فان كانوا قصدوا ماقصده عثمان من ان هذا لا يزال يسير في مكان يحمل فيه الزاد والمزاد فهو كالمقيم فقد وافقوا عثمان لكن ابن مسعود خالف عثمان في اتمامه بمنى ، وان كان قصدهم ان اعمال البلد تبع له كالسواد مع الكوفة وانما المسافر من خرج من عمل الى عمل كما في حديث معاذ من افق الى افق فهذا هو الظاهر ولهذا قال ابن مسعود عن السواد فانه من مصركم وهذا كما ان ماحول المصر من البساتين والمزارع تابعة له فهم يجعلون ذلك كذلك وان طال ولا يجدون فيه مسافة وهذا كما ان المخاليف وهي الامكنة التي يستخلف فيها من هو خليفة عن الامير العام بالمصر الكبير . وفي حديث معاذ من خرج من مخلاف الى مخلاف يدل على ذلك مارواه محمد بن بشار

«١» كذا بالأصل

حدثنا ابو عامر العقدي حدثنا شعبة سمعت قيس بن عمران بن عمير يحدث عن ابيه عن جده انه خرج مع عبد الله ابن مسعود وهو رديفه على بغلة له مسيرة اربعة فراسخ فصلى الظهر ركعتين، قال شعبة اخبرني بهذا قيس بن عمران وابوه عمران بن عمير شاهد وعمير مولى ابن مسعود، فهذا يدل على ان ابن مسعود لم يحد السفر بمسافة طويلة ولكن اعتبر امراً آخر كالاعمال وهذا أمر لا يحد بمسافة ولا زمان لكن بعموم الولايات وخصوصها مثل من كان بدمشق فاذا سافر الى ماهو خارج عن اعمالها كان مسافراً. واصحاب هذه الاقوال كأنهم رأوا ما رخص فيه للمسافر إنما رخص فيه للمشقة التي تلحقه في السفر، واحتياجه إلى الرخصة، وعلموا أن المنتقل في المصر الواحد من مكان إلى مكان ليس بمسافر، وكذلك الخارج إلى ما حول المصر كما كان النبي ﷺ يخرج إلى قباكل سبت راكبا وماشيا، ولم يكن يقصر وكذلك المسلمون كانوا يتمون الجمعة من العوالي ولم يكونوا يقصرون فكان المنتقل في العمل الواحد بهذه المثابة عندهم

وهؤلاء يحتج عليهم بقصر أهل مكة مع النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة ومنى، مع ان هذه تابعة لمكة ومضافة إليها وهي أكثر تبعا لها من السواد للكوفة وأقرب اليها منها فان بين باب بني شيبة وموقف الامام بعرفة عند الصخرات التي في أسفل جبل الرحمة بريد بهذه المسافة وهذا السير وهم مسافرون واذا قيل المكان الذي يسافرون اليه ليس بموضع مقام قيل بل كان هناك قرية نمرة والنبي ﷺ لم يزل بها وكان بها أسواق وقريب منها عرنة التي تصل واديها بعرفة ولانه لا فرق بين السفر الى بلد تقام فيه وبلد لا تقام فيه اذا لم يقصد الاقامة فان النبي ﷺ والمسلمين سافروا الى مكة وهي بلد يمكن

الاقامة فيه وما زالوا مسافرين في غزوهم وحجهم وعمرتهم وقد قصر النبي ﷺ الصلاة في جوف مكة عام الفتح وقال «يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر» وكذلك عمر بعده فعل ذلك رواه مالك باسناد صحيح ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر بمنى[1] ومن نقل ذلك عنهم فقد غلط وهذا بخلاف خروج النبي ﷺ الى قبا كل سبت راكبا وماشيا وخروجه الى الصلاة على الشهداء فانه قبل أن يموت بقليل صلى عليهم وبخلاف ذهابه الى البقيع وبخلاف قصد أهل العوالي المدينة ليجمعوا[2] بها فان هذا كله ليس بسفر فان اسم المدينة متناول لهذا كله وانما الناس قسمان الاعراب وأهل المدينة ولان الواحد منهم يذهب ويرجع الي أهله في يومه من غير أن يتاهب لذلك اهبة السفر فلا يحمل زاد ولا مزادا لا في طريقه ولا في المنزل الذي يصل اليه ولهذا لا يسمى من ذهب الي ربض مدينته مسافرا ولهذا تجب الجمعة على من حول المصر عند أكثر العلماء وهو يقدر بسماع النداء وبفرسخ ولو كان ذلك سفرا لم تجب الجمعة على من ينشىء لها سفرا فان الجمعة لا تجب على مسافر فكيف يجب أن يسافر لها

وعلى هذا فالمسافر لم يكن مسافرا لقطعه مسافة محدودة ولا لقطعه أياما محدودة بل كان مسافرا لجنس العمل الذي هو سفر وقد يكون مسافرا من مسافة قريبة ولا يكون مسافرا من أبعد منها مثل أن يركب فرسا سابقا ويسير مسافة بريد ثم يرجع من ساعة الى بلده فهذا ليس مسافرا وان قطع هذه المسافة في يوم وليلة ويحتاج في ذلك الى حمل

(١) اي لم يأمروا اهل مكة بالاتمام لانهم يعدون في منى مسافرين
(٢) اي ليصلوا الجمعة

زاد ومزاد فكان مسافرا كما كان سفر أهل مكة الي عرفة ولو ركب رجل فرسا سابقا الى عرفة ثم رجع من يومه الي مكة لم يكن مسافرا يدل على ذلك أن النبي ﷺ لما قال « يمسح المسافر ثلاثة أيام ولياليهن- والمقيم يوما وليلة » فلو قطع بريدا في ثلاثة أيام كان مسافرا ثلاثة أيام ولياليهن فيجب أن يمسح مسح سفر ولو قطع البريد في نصف يوم لم يكن مسافرا فالنبي ﷺ انما اعتبر أن يسافر ثلاثة أيام سواء كان سفره حثيثا أو بطيئا سواء كانت الايام طوالا أو قصارا ومن قدره ثلاثة أيام أو يومين جعلوا ذلك بسير الابل والاقدام وجعلوا المسافة الواحدة حدا يشترك فيه جميع الناس حتى لو قطعها في يوم جعلوه مسافرا ولو قطع ما دونها في عشرة أيام لم يجعلوه مسافرا وهذا مخالف لكلام النبي ﷺ

وايضا فالنبي ﷺ في ذهابه الى قبا والعوالي واحد ومجيء اصحابه من تلك المواضع الى المدينة انما كانوا يسيرون في عمران بين الابنية والحوائط التي هي النخيل وتلك مواضع الاقامة لا مواضع السفر ، والمسافر لابد ان يسفر اي يخرج الى الصحراء فان لفظ السفر يدل على ذلك يقال سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته فاذا لم يبرز الى الصحراء التي ينكشف فيها من بين المساكن لايكون مسافرا قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق) وقال تعالى (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) فجعل الناس قسمين اهل المدينة والاعراب .والاعراب هم اهل العمود واهل المدينة هم اهل المدر ، فجميع من كان ساكنا في مدر كان من اهل المدينة ولم

يكن للمدينة سور ينهز به داخلها من خارجها بل كانت محال، محال، وتسمى المحلة دارا، والمحلة القرية الصغيرة فيها المساكن وحولها النخل والمقابر ليست ابنية متصلة، فبنو مالك بن النجار في قريتهم حوالي دورهم اموالهم ونخيلهم، وبنو عدي بن النجار دارهم كذلك، وبنو مازن بن النجار كذلك، وبنو سالم كذلك وبنو ساعدة كذلك، وبنو الحارث بن الخزرج كذلك، وبنو عمرو بن عوف كذلك وبنو عبد الاشهل كذلك، وسائر بطون الانصار كذلك، كما قال النبي ﷺ «خير دور الانصار دار بني النجار ثم دار بني عبد الاشهل ثم دار بني الحارث ثم دار بني ساعدة وفي كل دور الانصار خير» وكان النبي ﷺ قد نزل في بني مالك بن النجار وهناك بنى مسجده وكان حائطا لبعض بني النجار فيه نخل وخرب وقبور فأمر بالنخل فقطعت وبالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبنى مسجده هناك وكانت سائر دور الانصار حول ذلك قال ابن حزم ولم يكن هناك مصر قال وهذا امر لا يجهله احد بل هو نقل الكوافي عن الكوافي وذلك كله مدينة واحدة كما جعل الله الناس نوعين اهل المدينة ومن حولهم من الاعراب، فمن ليس من الاعراب فهو من اهل المدينة، لم يجعل المدينة داخلا وخارجا وسورا وربضا كما يقال مثل ذلك في المدائن المسورة، وقد جعل النبي ﷺ حرم المدينة بريدا في بريد والمدينة بين لابتين، واللابة الارض التي ترابها حجارة سود وقال «ما بين لابتيها حرم» فما بين لابتيها كله من المدينة وهو حرم فهذا بريد لا يكون الضارب فيه مسافرا. وان كان المكي اذا خرج الى عرفات مسافرا فعرفة ومزدلفة ومنى صحاري خارجة عن مكة ليست كالعوالي من المدينة وهذا ايضا

مما يبين انه لا اعتبار بمسافة محدودة فان المسافر في المصر الكبير لو سافر يومين او ثلاثة لم يكن مسافرا والمسافر عن القرية الصغيرة اذا سافر مثل ذلك كان مسافرا فعلم انه لا بد ان يقصد بقعة يسافر من مكان الى مكان فاذا كان مابين المكانين صحراء لا مساكن فيها يحمل فيها الزاد والمزاد فهو مسافر وان وجد الزاد والمزاد بالمكان الذى يقصده ،

وكان عثمان جعل حكم المكان الذي يقصده حكم طريقه فلا بد ان يعدم فيه الزاد والمزاد وخالفه اكثر علماء الصحابة وقولهم ارجح فان النبي ﷺ قصر بمكة عام فتح مكة وفيها الزاد والمزاد واذا كانت منى قرية فيها زاد ومزاد فبينها وبين مكة صحراء يكون مسافرا من يقطعها كما كان بين مكة وغيرها ولكن عثمان قد تأول في قصر النبي ﷺ بمكة انه كان خائفا لانه لما فتح مكة والكفار كثيرون وكان قد بلغه ان هوازن جمعت له وعثمان يجوز القصر لمن كان بحضرة عدو وهذا كما يحكى عن عثمان انه يعني النبي ﷺ انما امرهم بالمتعة لانهم كانوا خائفين وخالفه علي وعمران بن حصين وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة وقولهم هو الراجح فان النبي ﷺ في حجة الوادع كان آمنا لايخاف الا الله وقد أمر اصحابه بفسخ الحج الى العمرة والقصر وقصر العدد انما هو معلق بالسفر ولكن اذا اجتمع الخوف والسفر ابيح قصر العدد وقصر الركعات وقد قال النبي ﷺ هو وعمر بعده لما صليا بمكة « ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » بين أن الواجب لصلاتهم ركعتين مجرد كونهم سفرا فلهذا الحكم تعلق بالسفر ولم يعلقه بالخوف

فعلم ان قصر العدد لايشترط فيه خوف بحال وكلام الصحابة او

اكثرهم من هذا الباب يدل على انهم لم يجعلوا السفر قطع مسافة محدودة او زمان محدود يشترط فيه جميع الناس بل كانوا يجيبون بحسب حال السائل فمن رأوه مسافراً اثبتوا له حكم السفر والا فلا

ولهذا اختلف كلامهم في مقدار الزمان والمكان فروى وكيع عن الثوري عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس قال اذا سافرت بوما الى العشاء فان زدت فقصر ورواه الحجاج بن منهال ثنا ابو عوانة عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس قال لا يقصر المسافر في مسيرة يوم إلى العتمة الا في اكثر من ذلك وروى وكيع عن شعبة عن شبيل عن أبي جمرة الضبعى قال قلت لابن عباس اقصر الى الايلة ؟ قال تذهب وتجيء في يوم ؟ قلت نعم قال لا الا يوم متاح . فهنا قد نهى ان يقصر اذا رجع الى اهله في يوم هذه مسيرة بريد واذن في يوم وفي الاول نهاه ان يقصر الا في اكثر من يوم وقد روي نحو الاول عن عكرمة مولاه قال اذا خرجت من عند اهلك فاقصر فاذا أتيت أهلك فأتم وعن الاوزاعى لا تقصر الا في يوم تام وروى وكيع عن هشام بن ربيعة بن الغاز الجرشي عن عطاء بن ابى رباح قلت لابن عباس افصر الى عرفة؟ قال لا ولكن الى الطائف وعسفان فذلك ثمانية واربعون ميلا، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء قلت لابن عباس اقصر الى منى او عرفة ؟ قال لا ولكن الى الطائف او جدة او عسفان فاذا وردت على ماشية لك أو اهل فأتم الصلاة وهذا الاثر قد اعتمده احمد والشافعى. قال ابن حزم من عسفان الي مكة بسير الخلفاء الراشدين اثنان وثلاثون ميلا قال واخبرنا الثقاة ان من جدة الى مكة اربعين ميلا (قلت) نهيه عن

القصر الى منى وعرفة قد يكون لمن يقصد ذلك لحاجة ويرجع من يومه الى مكة حتى يوافق ذلك ماتقدم من الروايات عنه ويؤيد ذلك ان ابن عباس لا يخفى عليه ان اهل مكة كانوا يقصرون خلف النبي ﷺ وابي بكر وعمر في الحج اذا خرجوا الى عرفة ومزدلفة ومنى وابن عباس من اعلم الناس بالسنة فلا يخفى عليه مثل ذلك واصحابه المكيون كانوا يقصرون في الحج الى عرفة ومزدلفة كطاوس وغيره وابن عيينة نفسه الذي روى هذا الاثر عن ابن عباس كان يقصر الى عرفة في الحج وكان اصحاب ابن عباس كطاوس يقول احدهم أترى الناس يعني أهل مكة صلوا في الموسم خلاف صلاة رسول الله ﷺ وهذه حجة قاطعة فانه من المعلوم ان اهل مكة لما حجوا معه كانوا خلقا كثيرا وقد خرجوا معه الى منى يصلون خلفه وانما صلى بمنى ايام منى قصرا والناس كلهم يصلون خلفه اهل مكة وسائر المسلمين لم يأمر احدا منهم ان يتم صلاته ولم ينقل ذلك احد لا باسناد صحيح ولا ضعيف ثم ابو بكر وعمر بعده كانا يصليان في الموسم باهل مكة وغيرهم كذلك ولا يأمران احدا باتمام مع انه قد صح عن عمر بن الخطاب انه لما صلى بمكة قال يا أهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر وهذا ايضا مروي عن النبي ﷺ في اهل مكة عام الفتح لا في حجة الوادع فانه في حجة الوادع لم يكن يصلي بمكة بل كان يصلي بمنزله وقد رواه ابو داود وغيره وفي اسناده مقال

والمقصود ان من تدبر صلاة النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة ومنى باهل مكة وغيرهم وانه لم ينقل مسلم قط عنه أنه امرهم باتمام علم قطعا انهم كانوا يقصرون خلفه وهذا من العلم العام الذي لا يخفى على ابن عباس ولا غيره

ولهذا لم يعلم احد من الصحابة امر اهل مكة ان يتموا خلف الامام اذا صلى ركعتين فدل هذا على ان ابن عباس انما اجاب به من سأله اذا سافر الى منى او عرفة سفرا لاينزل فيه بمنى وعرفة بل يرجع من يومه فهذا لا يقصر عنده لانه قد بين ان من ذهب ورجع من يومه لا يقصر وانما يقصر من سافر يوما ولم يقل مسيرة يوم بل اعتبر أن يكون السفر يوما وقد استفاض عنه جواز القصر الى عسفان وقد ذكر ابن حزم أنها اثنان وثلاثون ميلا وغيره يقول اربعة برد ثمانية واربعون ميلا والذين حدوها ثمانية واربعين ميلا عمدتهم قول ابن عباس وابن عمر. وأكثر الروايات عنهم تخالف ذلك فلو لم يكن الا قولهما لم يجز ان ياخذ ببعض اقوالهما دون بعض بل اما ان يجمع بينهما واما ان يطلب دليل آخر فكيف والآثار عن الصحابة أنواع اخر ولهذا كان المحددون بستة عشر فرسخا من اصحاب مالك والشافعي واحمد انما لهم طريقان بعضهم يقول لم اجد احدا قال باقل من القصر فيما دون هذا فيكون هذا اجماعا وهذه طريقة الشافعي وهذا ايضا منقول عن الليث بن سعد فهذان الامامان بينا عذرهما انهما لم يعلما من قال بأقل من ذلك وغيرهما قد علم من قال بأقل من ذلك

(للكلام بقية)

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

﴿ نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً (*)

(٣)

وفي صفحة ١٦ وكان أبو موسى الاشعري يتجافى عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ الخ ، نقول وكذلك كان ﷺ يتجافى عن أكل المباح الذي لم يتعوده كما في قصة الضب الخ . ففي الموطأ عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة زوج النبي ﷺ فأتي بضب محنوذ فأهوى اليه رسول الله ﷺ بيده ، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل منه ، فقيل هو ضب يارسول الله فرفع يده ، فقلت أحرام هو يارسول الله ؟ فقال « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر اه فانظر إلى هذه الوطنية (١) الصادقة حيث يقول ﷺ « لم يكن بأرض قومي » وإلى امتناع أبي موسى الاشعري عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب الخ

ومن الغريب أن يتجافى الرسول وأصحابه عن أكل طعام مباح لعدم اعتياده فقط بينما نرى كثيراً من المسلمين وبعض فقهائهم وزعمائهم يتساقطون على قصاع الخنزير وماكولات الافرنج ، ويتغالون في شراء علب المربيات والسمك والضفادع والحشرات رغماً عما يرد يوميا في الكتب والمجلات الطبية من النهي عن أكلها والتحذير من قربانها لتعفنها من جهة ولغشها بخلطها بمواد أخرى الله أعلم من أين يؤتى بها .

وفي صفحة ١٦ فانظر تجد أن النكبة انما جاءت على المسلمين من مخالفتهم ماتقتضيه الخلافة الخ ، نقول وعليه فيجب على جميع العلماء في العالم الاسلامي

(*) لصاحب الامضاء الرمزي «١» عيافة النفس طبيعية لا وطنية

السعي العظيم لارجاع الخلافة وبذل أعظم المجهودات لجمع مؤتمر الخلافة ثانيا وتنظيمه لانتخاب الخليفة ومحاربة الملك الطبيعي أين وجد

وفي صفحة ٤٨ « وحكم مثل هذا الاجماع أن يكون المجمع عليه عقيدة ويكون منكره كافراً [1] الخ ، نقول إن ذلك صار عقيدة راسخة عند المسلمين اهتم العلماء بها وبحثوها في مؤلفاتهم الدينية في الحديث والاصول والكلام وأودعوها حتى في التآليف التعليمية والاراجيز الابتدائيـة التي تؤلف المبتدئين قديماً وحديثا لتنشئتهم على العلم بأنها من المعتقدات الدينية قال في الجوهرة :

وواجب نصب امام عدل بالشرع فاعلم لابحكم العقل

فالى متى يعتذر عن هـذا الاصم المتخرج من الازهر الذي يحارب الدين بالبهتان والسفسطة (إن شر الدواب عند الله الصم البكم)

وفي صفحة ٦٥ « وإن لم يكن إلا ما كان في القرآن من سياسة وإلا ما في كتب الفقه من سياسة وتقسيمه الاحكام الى مغلظة وغير مغلظة الخ » نزيد على ذلك أن كتب الحديث الستة والموطأ قد استقصت أكثر الاحكام السياسية الشرعية المدنية والجنائية ، ففي صحيح البخاري ماينا هز ٤٠٠٠ ترجمة بعضها في العبادات الايمان والتوحيد والطهارة — والصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثرها في الاحكام السياسية الشرعية المدنية والجنائية

ففي كتاب العلم نحو ٥٥ ترجمة ، وفي كتاب الزكاة نحو ٨٠ ترجمة ، وفي كتاب البيوع وما شاكلها كالصرف والمرابحة والسلم والشفعة والاجارة وأجور العملة ، والسماسرة ، وأهل الحرف اليدوية وشبهها ، والكراء ، والجعل والحوالات نحو ١٧٠ ترجمة

وفي المعاملات وما ألحق بها كالوكالة والشركة والمزارعة والمساقاة ، والقرض والقراض ، وأداء الديون ، والحجر ، والتفليس ، والخصومات ، والصلح ، والاصلاح ، والرهن ، والضمان ، والاقرار ، والاستلحاق ، والوديعة ، والعارية والغصب ، والاستحقاق ، والمظالم ، والكتابة ، والعتق ، والهبة ، والشهادات ، والشروط أي التوثيق نحو ٣٩٠ ترجمة ، وفي كتاب الوصايا والاوقاف نحو ٤٠

(١) هذا الإطلاق ممنوع وفي المسألة تفصيل

ترجمة ، وفي كتاب النكاح والطلاق والنفقات نحو ١٩٥ ترجمة ، وفي كتاب الاطعمة والاشربة والذبائح والصيد نحو ١٣٠ ترجمة ، وفي كتاب المرضى والطب نحو ٨٠ ترجمة ، وفي كتاب اللباس نحو ١٠٠ ترجمة ، وفي كتاب الآداب العامة كصلة الرحم والاستئذان ، وآداب الزيارة والضيافة ، والصحبة والمعاشرة ، وحفظ السر وافشاء السلام ، والتوادد والايثار على النفس ، والتواصي بالصبر والمرحمة نحو ١٨٠ ترجمة ، وفي كتاب الجهاد وأحكامه نحو ٢٤٠ ترجمة ، وفي كتاب النكاح الخ وفي كتاب الحدود والديات والعفو عنها نحو ٩٥ ترجمة ، وفي كتاب الحيل والخداع في البيوع والمعاملات نحو ١٥ ترجمة ، وفي كتاب الاحكام والخلافة والاستخلاف نحو ٥٥ ترجمة

﴿ هذه نبذة مما اشتمل عليه صحيح البخاري رحمه الله ﴾

وقد اشتمل كتاب الموطأ على أزيد من ٦٠٠ ترجمة
وصحيح مسلم على أزيد من ١٠٠٠ ترجمة
وسنن الترمذي على ماينا هز ٢٠٠٠ ترجمة
وسنن أبي داود على ماينا هز ٢٠٠ ترجمة
وسنن النسائي على ماينا هز ١٠٠٠ ترجمة
وسنن ابن ماجه على زهاء ٢٠٠ ترجمة

هذه أمهات كتب الحديث الصحيحة المعترف بها المسلمة عند جميع أهل السنة ، أما غيرها من كتب الحديث فلا تحصى ، وكذلك كتب الاصول ومدونات الفقه لاحصر لها ، فهل مع هذا ينادى الملحدون وأذنابهم على اصرارهم وقولهم إن حظ العلوم السياسية عند المسلمين كان سيئا ، وإن وجودها بينهم كان أضعف وجوداً ، وإنهم لم يجدوا المسلمين مؤلفا في السياسة ، ولا يعرفون لهم بحثا في شيء من أنظمة الحكم فماذا بعد الحق إلا الضلال

واذا لم يتفق للماجور علي عبد الرازق هو وأربابه الملحدون أن يطالعوا

مؤلفات الاسلام وأمهات الدين ، أفلم يقف على كتاب كشف الظنون وفهارس دار الكتب السلطانية وخزائن الازهر وغيره ، والخزانتين التيمورية والزكية ، واذا كان لم ير شيئا من ذلك فكيف ساغ له أن يهاجم حصون الاسلام المنيعة وهو خاوي الوفاض من كل شيء إلا سلاح الالحاد والقحة (ألا ساء ما يحكمون)

وفي صفحة ١٠٠ « والذي دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد انما هو مراعاة المصلحة الخ » نقول هذا الرأي هو الرأي السديد الذي أنتجته قرائح المفكرين من جهابذة العلماء فيتحتم قبوله واعتقاده[1] ، وأما مافي بعض كتب التاريخ والادب من أن معاوية أغرى بعض قادة الامة ورؤساءها بأن يسألوه في المجلس العمومي أن يوصي بولاية العهد إلى ابنه يزيد كما يقع اليوم بين رؤساء الوزارات وبين أقطاب الاحزاب في أوربا وأميركا في المسائل الهامة كالانتخابات وابرام المعاهدات أو نقضها فذلك كله من الروايات المدخولة ، وآت فقط من خصوم معاوية غير النزيهين ومن أعداء الامويين كذلك فلا يوثق بها أصلا

فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من الفراسة بمكان لايلحق ، وكان يعلم من حال معاوية أكثر مما يعرفه غيره ، فلو كان يظن به الهوادة في أدنى شيء لما ولاه أعظم قطر وهو الشام بعد موت أخيه يزيد وقد تركه في منصبه بقية حياته أي حياة عمر التي تزيد على أربع سنين

وناهيك بشدة عمر على عماله وما كان يعاملهم به من المراقبة الشديدة ومحاسبتهم على النقير والقطمير وكثرة عزلهم من وظائفهم لأقل سبب ، وقد ولى معاوية مع وجود أساطين الصحابة السابقين للاسلام والمهاجرين من أجله أفلا يكون ذلك منه أعظم تزكية لمعاوية وأعظم شهادة له على حسن سيرته[2] وفي الاستيعاب عن عبدالله بن عمر قال : مارأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية ، فقيل له : فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقال : كانوا والله خيراً من معاوية وكان معاوية أسود منهم

(١) لايتحتم على احد اعتقاد ما انتجت قريحة غيره

(٢) حقق الحافظ بن حجر في شرحه للبخاري ان عمر كان يختار للولاية القادرين عليها ويقدمهم على من هم افضل منهم علماً ودينا وضرب المثل لذلك بتقديم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة على علماء المهاجرين وصلحائهم

وفي صفحة ١١٤ « وأن عصر النبي لم يخل أصلا من مخايل الملك الخ » نقول إن المخايل التي عناها الشيخ بحيث وسطرها لم يخل منها عصر النبوة نعم إنه خلا من المخايل التي يريدها أهل الغطرسة من بناء القصور الشامخة واشتمالها على الفرش الوثيرة ، والرياش الثمين ، والاواني الفضيـة المزخرفة التي يظنهـا صغار الاحلام هي عنوان الملك

وقد خلا عصر النبوة أيضا من كثرة الخدم والحجاب ، والاعوان الظلمة بالباب، وحيلولتهم بين الراعي والرعية ، ومنعهم للمتظلمين من رفع ظلاماتهم للملك وخلا أيضا من اشتغالهم بسفاسف الامور ومصاريف دار الملك التي تأخذ أكبر قسط من الميزانية على عاتق الرعيـة ، ومن اشتغالهم بغصب أرزاق الناس من اللحوم والفواكه وأطايب الاطعمة بلا ود ولا حساب

خلا أيضا من الشرطة حملة الرماح والسيوف والبنادق أمام الملك لارهاب الرعية وتعويدها على الذلة والمسكنة أمام الولاة الجائرين مما لم يعهد في عصره ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين فذلك وما أشبهه من المخايل الكسروية التي جاء عليه السلام لمحاربتها والقضاء عليها قد خلا منه عصر النبي ﷺ وطهره الله من أرجاسه وهناته وقد صدق الشيخ علي عبدالرازق في هذه فقط وقد يصدق الكذوب

الملاحدة بين امرين :

فظهر مما تقدم أن الملاحدة واقعون بين أمرين

(أحدهما) أن يكونوا عارفين حقيقة الاسلام وما أتى به من المنافع الدنيوية والاخروية وأنه صالح لكل زمان ومكان وأنه دين الفطرة الذي تنشـده الانسانية وتصبو اليه

إلا أن ماجاء به من بعض التكاليف الخفيفـة التي تربي الناس على الثبات والشجاعة وما أوجبه من ترك المنكرات التي تخدش وجه الهيئة الاجتماعية قد ثقل حمله على عاتقهم وجبنوا عن معاناته فحملهم ذلك على الانسلاخ منه والانحلال ، والفرار من اداء الواجبات القليلة في مقابلة مامنحهـم من الحقوق العامة ، والحرية الطاهرة النظيفة

فالتكاليف الخفيفة مثل الطهارة التي لا يغيب عن أحد مالها من المزايا العظيمة وأهمها المحافظة على الصحة التي هي رأس مال الحياة

(٢) ومثل الصلاة التي أخبر سبحانه أنها شاقة على الملاحدة المبعدين فقال (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) الآية ، ولو لم يكن فيها إلا تعويد الناس على الثبات وضبط الوقت واطراح الكسل الذي هو علة الفشل لكفى

(٣) ومثل الصوم الذي فيه تعويد الناس على الصبر وتذكيرهم بما يكابده الفقراء من آلام الجوع عند اشتداد الازمات خصوصا عند انحباس الامطار وفي أوقات البرد الشديد التي يحتاج الناس فيها للأكل أكثر من أيام الحر فجوع الصائم يحمله على رحمة الضعفاء واعانتهم على مكاره الحياة ويفتح قلبه لولوج نسمات الرحمة والرأفة بالمحتاجين

(٤) أما الزكاة فقد حسدنا عليها عقلاء الاوربا ويين وفلاسفتهم حتى قال لي أحدهم لو كانت مشروعة عندهم لما سمعت بالاشتراكية والشيوعية أبداً ولما وقعوا في مصائب الاعتصابات المتوالية

ولو أخرجت لما هي عليه لم يبق الفقر المدقع معروفا عند المسلمين ولا نعدم الحقد والحسد أو خفت وطأتهما على الاقل

(٥) وأما الحج ففوائده بارزة تكاد تلمس باليد فالاسفار عند الافرنجيين لا تنقطع صيفاً وشتاء وهي التي اكسبتهم ماهم فيه من الرخاء ـ وبسطة العيش زيادة على مايكتسبه المسافر من الارباح ان كان تاجراً والعلوم ان كان مفكراً وباحثا وزيادة على ما ينعم به من الصحة التامة والنزهة البهجة

هذه بعض فوائد التكاليف الاسلامية التي عمي الملحدون عن ادراكها وعجزوا عن احتمالها لضعفهم وجبنهم وقد عد الغزالي كثيرا من أسرارها في كتابه الاحياء

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

(٢)

مدينة سواكن

زرت بعض الموانى الواقعة على الشاطىء الغربي من البحر الاحمر وكان القصد من هـذه الزيارة مشاهدة مدينة (سواكن) القديمة التى اعتاد الحجاج أن يأتوا اليها من قلب افريقية ليبحروا منها الى مـكة وكانت قديماً بلدة تجارية عظيمة ولكنها اليوم خالية خاوية . ولا تمر بعض السـنين عليها حتى تنعق فيها البوم والغربان ، وذلك بسبب مزاحمة بور سودان ومصوع لهـا ، ويوجد في ضاحيتها قريتان من القش واصل سكانهما من الحجاج الذين انقطعوا في الطريق ولم يصلوا لا الى مكة ولا الى بلادهم ، وكانت علامات الفقر الشديد بادية عليهم فلا زراعة ولا صناعة لهم ولاهم يتقنون كاهل الساحل صيد الاسماك .

﴿ الكلام على اليمن ﴾

من الحديدة إلى صنعاء

ذهبت من مصوع الى الحديدة ميناء صنعاء وقد أعد لي الامام جميع أسباب الراحة واستقبلني حاكم الحديدة أحسن استقبال . وهذه البلاد اليمانية الاسلامية العجيبة منزوية عن العالم أكثر من القطب الشمالي ولايزال طراز الحياة فيها كما كان عليه قبل مئات السنين ولكنه يختلف كثيراً عنه في نجد .

لوجود جبال عالية بين صنعاء والحديدة ركبنا في رحلتنا البغال لان البغال تسلك حيث لاتسلك الخيل ولا الجمال . وبعد ما انقضى على سفرنا من الحديدة يومان ابتدأنا نشاهد هندسة البناء في اليمن تختلف اختلافا كليا عن هندسة البناء

في الحجاز وقد شاهدنا في طريقنا حقول شجر البن في بطون الجبال والوديان . إن هندسة البناء في جدة ومكة والمدينة متقنة وجميلة ، وتدل نوافذها الكثيرة الواسعة وأبوابها الكبيرة التي تفتح وتغلق بسهولة على حب القوم للضيافة ، وعلى عراقتهم في المدنية وميلهم إلى ضبط الامن ، بعكس اليمن التي تدل عزلة قراها وانفرادها في الاماكن العالية الوعرة التي لا يصل الانسان اليها إلا بصعوبة على خوف اليمانيين من غزو بعضهم بعضا وعلى عدم استتباب الامن (١) وتشبه ابنية هذه القرى القلاع الحصينة والدور الأول منها يخصص للحيوانات والدور الثاني للحبوب والذخيرة ولا يوجد في هذين الدورين منافذ للنور ولا الهواء وأما الادوار البانية وهي عادة اثنان فما فوق فتخصص للسكن ونوافذها صغيرة جداً لا يكاد يدخل منها الهواء ولا النور وجميع هذه الاعمال تدل أن تلك الابنية بنيت على هذا الشكل قصد الدفاع عن النفس .

ومن المعلوم أن القطرين اليمن والحجاز يختلف بعضهما عن بعض اختلافا عظيما ففي الحجاز سهول واسعة وصحار مقفرة وأما اليمن ففيه الجبال المرتفعة والوديان المنخفضة (٢) وتختلف الحياة الاجتماعية فيهما اختلافا عظيما فالحجاز المقدس بنظر المسلمين تأتيه الحجاج من جميع أطراف المعمورة سنويا لقضاء مناسك الحج ولذلك ترى أهل الحجاز مضطرين بحكم الضرورة الى ضمان راحة الملايين من المسلمين بعكس البلاد اليمانية التي كانت ومازالت مغلقة في وجه جميع سكان الارض وقلما يأتيها الزوار أو السياح وأهلها يخشى بعضهم من بعض ويخشون الدسائس التي يدسها لهم جيرانهم فلذلك تراهم معتادين شظف العيش ومعتصمين بالقلاع في رؤس الجبال .

على أن الامام أعد لي جميع وسائل السفر وكنت أينما حللت بالمساء أجد غرفة معدة لنزولي بها ولكنني اضطررت أحيانا الى النزول في بعض الخانات القديمة الواقعة على طريق القوافل بين عدن والقدس . ولهذه الخانات أبواب ولكن

(١) المنار: إنما كان اكثر خوف اهل اليمن من الترك الذين ظلوا يغزونهم اربع قرون

(٢) في الحجاز من الجبال والوديان مثل ما في اليمن وإنما الفرق بين القطرين ان اليمن قطر كثير النبات والشجر خلاف الحجاز

لانوافذ لها وفيها ممر طويل وغرفة واسعة خصص قسم منها بالحيوانات والقسم الآخر بالعائلة صاحبة الخان وبديهي أن كثيراً من الاولاد يولدن في هذه الخانات وقد خطر لي عند مارأيتها أن المسيح ولد في مزود خان كهذه الخانات .

إن المناظر الطبيعية بين الحديدة وصنعاء جميلة للغاية وقد مررنا بطرقات تعلو تسعة آلاف قدم عن سطح البحر ونزلنا في وديان عميقة حارة وقد وصلنا الى صنعاء في الليل على حين غرة ولما كانت الشوارع لاتضاء بالأنوار وصلنا الى الدار المعدة لسكنانا بصعوبة شديدة على ماكان من معونة أنوار الجند لنا . وأما الدار التي نزلنا بها فهي مؤلفة من دورين مبنيين بناء حديثا جيداً وفيها حديقة تبلغ مساحتها أكثر من فدان أرض وقيل لنا إن هذه الدار بيعت منذ بضعة أشهر بمبلغ (١٥٠) ريال أميركي أي ثلاثين جنيها مصريا . وقد أخبرنا بعض الجنود الذين رافقونا في الطريق أن الجندي منهم يتناول راتباً يبلغ ريالين ونصف أميركيين في الشهر ويتناول ثلاثة أرغفة من الخبز لايبلغ وزنها تسعمائة غرام ولا يأكل الجند تقريبا غير الخبز ولكن بعضهم يشتركون مع بعض أحيانا ويبتاعون شيئا من اللحم ويطبخونه لانفسهم مرة أو مرتين في الاسبوع ومن العجب العجاب أن يرى الانسان هذه الجنود رغم تناولها المقادير القليلة من الغذاء تحمل البنادق الثقيلة وتتمنطق بالعتاد الكثير وتركض على أرجلها مسافات شاسعة غير مبالية بالتعب أو شاعرة بالجوع .

زارنا ذات يوم أحد أمناء سر الامام المدعو محمد راغب بك وهو تركي الاصل ولد في القسطنطينية وترعرع في ضواحي البوسفور قرب المدارس الاميركية التي لي بها علاقات منذ زمن بعيد وقد حدثني عنها حديثا طويلا ومما قاله إن بعض أقربائه درسوا فيها وهذا كان لحسن حظي إذ أدخلني الى حالة الوئام مع حضرة الامام وكان باستطاعته أن يتوسط بيننا بطريق حكيمة .

وفي اليوم الثاني قابلنا الامام على انفراد في غاية الحفاوة والاكرام فقال لي إنه يؤذن لي أن أذهب حيث شئت بتمام الحرية وأن آخذ رسم ماأريد أيا كان ماعدا رسم شخصه . وأنه لم يسمح لأحد غيري قدر ماسمح لي من الحرية في صنعاء .

إن الامام في أوائل العقد الخامس من عمره قوي البنية نشيط الحركة ولما كانت ولاية حكمه ضيقة الرقعة كان شديد الرغبة في أن يتولى ادارة شؤونها كلها بيده من جليلها الى حقيرها . فهو يجلس كل صباح في مجلس يقصده فيه من يشاء ليسأل ما يشاء ويعرض مالديه من أنواع الشكاوي والدعاوي . وعلاوة على ذلك فانه يذهب يوميا الى أحد الاماكن العامة دون حارس ولا تابع من الجند فيصرف فيه نحو ساعة وقد يكون منفرداً تحت أشعة الشمس ولا يرافقه إلا رجل بمظلة الشمسية حيث يستمع الدعاوي وينظر في المعروضات المرفوعة اليه فهو بذلك جامع في شخصه بين مقامي السلطان والخليفة معا مستمداً قوة نفوذه من أنه سلالة الامام علي الصحيح الخلافة .

وأما ساعة ذهابه الى المسجد يوم الجمعة فتلك ساعة خطيرة الشأن جلالا وبهاء يشترك في اقامة معالمها الناس أجمعون ، لانه يوم المهرجان كل أسبوع . وعندما يمر راكبا في العربة عائداً من الصلاة فلأقل إشارة يبديها أحد الشعب يقف المركبة ليتقبل أي معروض أو يعني بأي أمر يرى الناس فيه على أتم استعداد لقبوله والخضوع له .

وفي المملكة اليمانية جيش نظامي وجند من المتطوعة وكثيراً ما يشتركان بالانشاد العسكري يضجان فيه بأصوات خشنة وهو يتضمن أبياتا يرنمون بها بما أعطوا من قوة وحماسة ويقال انها أنشودة قديمة العهد :

ثم إن الامام وإن أبدى لي حين مقابلته مزيد المجاملة وأباح لي الحديث على غاية الاخلاص ـ لم ير من الحكمة أن يظهر فرط العناية بي أمام الجمهور ، إذ كان من الضروري له أن يحتفظ بمقام الاستقلال العظيم بل بشيء من الاستخفاف بالاجانب مراعاة القبائل الحربية المتعصبين في الحدود الشرقية من البلاد . فان سلطانه وأحكامه نافذة في مملكته نظير ابن السعود لحيئها عن طريق الدين وعليها مسحة من الشدة فيه كأنه يتخذ في السلطة نوع الحكم المتحد المزدوج . لانه مع كونه زيدي المذهب شخصيا ومدار أحكامه على هذه القاعدة ، فان ثلث

شعبه [1] على جانب البحر الاحمر من أهل السنة ومنهم عدد معين يشغل بعض المقامات الصغرى في حكومته .

الضرائب

أهل اليمن من ذوي الفقر والبؤس الشديد ، ولكنهم لانزوائهم في بقعتهم وانحباسهم عن العالم الخارجي لا يشعرون بهذه الحال . وإن المرء ليأخذه العجب كيف يستطاع في هذه الفاقة أن تفرض الضرائب على اليمنيين وتجبى الى الحدّ المؤذن باقامة حكومة ولا سيما في تجهيز جيش في تلك المملكة كبير . ذلك لاريب عائد الى حذق من الامام فريد . والظاهر أن معظم واردات الحكومة هو من ضريبة العشر المفروضة على الحاصلات في عامة أنواعها ، على أن الناس باحوا لي أن العشر قد يترقى بعصرهم والتضييق عليهم الى الربع ! وانهم لذلك متألمون ناقمون

المباني

قل أن ترى في مباني اليمن مايقل عن ست من الطباق (أو الادوار) وأما البناء فعلى درجة عظيمة من مخالفات الجمال ولم أر إلا القليل مما يدل على حسن الذوق سواء أكان في هيئة البناء أو مواده أم في ملابس الناس وغنائهم . وإنما يستثنى من ذلك بناء الجوامع . فان منها عدداً يبدو فيه شيء من الجمال النسبي على ما فيه من بساطة الهندسة والرسم خلافا لبناء المنازل . وبعض تلك الجوامع يرجع تاريخ تشييدها الى عدة قرون وقد ظننت لاول الامر ان البنائين أتوا من القسطنطينية لهندستها وبنائها ، ولكنهم أكدوا لي أن كلا الامرين من صنع أهل البلاد أنفسهم

تعرفي الى الناس

لم يكد يستقر بي المقام في صنعاء حتى بادر الى زيارتي الجم الغفير من أهلها . وكلما أردت أن ادرس وجهاً من وجوه حياة اليمن كان أمري ينتشر بين الطبقات فكان يوافيني واحد أو جماعة من أهل ذلك الشأن : فقابلت الرؤساء للبنائين

(١) المنار : كذا في نسخة الترجمة التي اخذناها من الرابطة الشرقية والصواب الاكثرية الساحقة من سكان تلك السواحل شافعيون وينذر وجود الزيدية فيها

والتجار ورجال العسكرية ولا سيما العلماء وفيهم القاضي الكبير الذي يحمل سمة المسلم التاريخي القديم وبلغ بيننا التعارف مبلغه حتى أقبل لزيارتي المرار العديدة . ولقب (القاضي) في اليمن له معنى خاص فانه يطلق عادة على طائفة ممتازة من جميع طلاب العلم كما أن كلمة (شيخ) تستعمل كذلك في الشمال

سبأ وسد مأرب

كنت شديد الرغبة في الرحلة الى سبأ وعلى الخصوص لمشاهدة السد القديم الذي كان مصدر خصبها وزهوها . ان مؤسس هذه المدينة هو (عبد شمس) الذي ابتدع عبادة البعل أو الشمس ثم أضاف اليها القمر وخمسة كواكب سيارة أخرى فتم بذلك عددها أي السيارات السبع فكان هذا العدد أصل تلك المدينة (سبأ) وقد بنى أيضاً سداً عظيما بين جبلين بحيث ينشأ بهخزان من الماء يحيي المدينة وماحولها من الارجاء ويهب لها الخصب والنماء

ثم بعد ١٥٠٠ عام تصدعت جوانب السد فطغى الماء على المدينة وماجاورها من البلاد ودمر كثيراً من القرى ولعل هذه الكارثة كانت أصلا لحديث (الطوفان)

وأما الامام فمع أنه شديد الحرص على إعطائي كل ما أطلب الا انه قال لي في شأن هذه الامنية إن هذه الرحلة من المستحيلات ومع أن سبأ لا تبعد عن صنعاء اكثر من ٧٥ ميلا فهو لم يتمكن من الذهاب اليها الا بعد أن اتخذ اشد الاحتياط لما أن قبائل تلك الناحية على أعظم جانب من التعصب «الذميم» يعدون ذواتهم حراس الكنز العظيم المقدس الباقي من آثار تلك العاصمة القديمة فلا يأذنون لاجنبي أن تطأها قدمه أو يقترب منها ومما قال لي الامام إن بعثة ألمانية ذهبت للبحث في تلك الناحية قبل الحرب العالمية فلم يبق البدو على أحد من رجالها

حفلة استقبال لرجوع ابن الامام من سفره

لم ينقض على نزولي صنعاء عدة أيام حتى ورد نبأ بمجيء ابن الامام ولي عهد امامته بعد يوم واحد . وكان غائبا عنها ثلاث سنين على رأس فرقة من الجند في القسم الشمالي من البلاد أي (صعدة) حيث يتشعب الطريق شعبتين إحداهما تتجه الى مكة والاخرى الى نجد ، فكانت عودته بالطبع حادثة ذات شأن. فخرجت

الى بعد خمسة أميال من المدينة مع اكثر الاهالي ولاسيما الجيش ووقفوا لاستقبال القادم الكريم على احسن مايقال في الاجلال والاحتفال مما يدل على سمو مكانة ذلك الشاب عند عامة الشعب ذلك أن الامام انما يرتقي سدة الامامة والحكم بانتخاب العظماء من شيوخ البلاد في اجتماع خاص . ولما كان ولي عهده في الحكم احد بنيه الاحياء حق له هذا الاحتفاء والاكرام

وبعد قدوم ذلك الامير الخطير بايام زرته فتوسمت فيه مخايل الحزم والعزم ودلائل الجد في الأعمال على شخصية جذابة ولكنها على صورة أضعف من شخصية والده العظيم (للكلام بقية)

نساء العرب السياسيات

مقتبس من كتاب سيرة السيدة (خديجة أم المؤمنين)(*)

للشهيد الشهير السيد عبد الحميد الزهراوي (رحمه الله تعالى)

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والامور العمومية وناهيك أن الحرب التي ظلت مستعرة نحواً من اربعين سنة بين بني ذبيان وبني عبس لم يتفكر فى اطفاء نارها الا امرأة ولم تتمكن من اطفائها الا بما لها من المكانة وحسن الرأي وذلك ان بيهسة بنت أوس ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابو هامن الحارث بن عوف المري وأراد ان يدخل عليها قالت اتتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا ـ تعني بني عبس وبني ذبيان ـ فقال لها ماذا تقولين؟ قالت «اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع اليّ» فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فمشيا بالصلح ودفعا الديات من أموالهم

(*) هذه السيرة خير ما كتب فقيدنا الشهيد انشاء وابتكاراً وبياناً لفضائل العرب بالتبع لفضائل فضلى نسائهم بل نساء العالمين مع ابنتها سليلة الرسول ومريم البتول ـ وهي تطبع للمرة الثانية

وحسبك من اشتهرن من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية، وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وام سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن رواحة، ودارمية الحجونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سراقة البارقي . واروى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة على معاوية بعد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر ؟ قالت بخير يا امير المؤمنين . قال لها : آنت القائلة لأخيك ؟

شمّر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد (١) ... علمُ الهدى ومنارة الايمان
فقُد الجيوش وسر أمام لوائه ... قدما بأبيض صارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس ، وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ماقد نسي » فقال «هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى» قالت «صدقت والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وبالله اسألك يا امير المؤمنين اعفائي مما استعفيته » قال قد فعلت فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد ، ولأمورهم

(١) اخوة الدين

مقلّد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن ارطاة قدم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولو لا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإما عزلته فشكرناك ، وإما لا فعرفناك » فقال معاوية « اياي تهددين بقومك ؟ والله لقد هممت ان أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك » فسكتت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى : قال ما أرى عليك منه أثراً قالت : بلى أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائماً فانتقل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك » ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ) اذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام » قال معاوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة أم لقومي عامة ؟ فقال ما انت وغيرك ؟ قالت : هي والله الفحشاء واللؤم ، ان كان عدلا شاملا وإلا

يسعني مايسع قومي . قال اكتبوا لها بحاجتها

ووفدت بكارة الهلالية أيضا على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه وكان بحضرته عمرو بن العاص ومروان وسعيد بن العاص فجعلوا يذكرونه بأقوالها التي قالتها في مشايعة علي ومعاداة معاوية فقالت أنا والله قائلة ماقالوا وما خفي عنك مني أكثر :فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك

وكتب معاوية الى عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال مرحبا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ؟ فقالت بخير ياأمير المؤمنين ثم قال لها ألست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك؟ قالت ياأمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، ولا يعود ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر .قال لها اتحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت لا والله لا احفظه قال لكني أحفظه وتلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه قالت احسن الله بشارتك وأدام سلامتك ؟ فمثلك يبشر بخير ويسر جليسه ، قال أو يسرك ذلك ؟ قالت نعم والله ، فقال والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم له في حياته ، اذكري حاجتك فقالت ياأمير المؤمنين آليت على نفسي ان لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا . ومثلك من أعطى من غير مسألة .وجاد عن غير طلبة. قال صدقت وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز

ووفدت عليه أيضا أم سنان بنت جشمة وعكرشة بنت الاطرش ،

ولما حج سأل عن دارمية الحجونية فجيء بها اليه فقال لها بعثت اليك لاسألك علام أحببت عليا وابغضتني، ووليته وعاديتني؟ فاستعفته فلم يفعل فقالت له احببت عليا على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر، وطلبتك ماليس لك بالحق، ووليت عليا على حبه المساكين، وإعظامه لاهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى. ثم قال لها: ياهذه هل رأيت عليا؟ قالت إي والله قال فكيف رأيته؟ قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك. قال فهل سمعت كلامه؟ قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست. قال صدقت فهل لك من حاجة؟ قالت نعم تعطيني مائة ناقة حمراء، قال ماذا تصنعين بها؟ قالت أغذو بألبانها الصغار، وأستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر، قال فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب؟ قالت سبحان الله أو دونه، فقال أما والله لو كان علي حيا ما أعطاك منها شيئا قالت لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما معه حديث من مثل ماتقدم

فهكذا كان مقام المرأة العربية، من أخوات سيدتنا القرشية، وهكذا كان حظهن من الفصاحة والحصافة، ومبلغهن من المشاركة في الامور العمومية والاخذ بالاسباب، والمشايعة لبعض الاحزاب، وما أتينا الا باليسير توطئة لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها

خطبة الأستاذ أسعاف أفندي النشاشيبي

مفتش معارف فلسطين وعضو المجمع العلمي العربي في الشام

القيت في دار الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة

العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي بك

ليست دار العربية رمال الدهناء أو هضبات نجد أو الحجاز أو اقليم الشام أو أرض العراق بل دارها كل مكان ينطق بالضاد أهله ، ويتلو فيه كتاب محمد (صلوات الله عليه) قراؤه . وأقوى القوم عربية بل العرب العرباء أعرفهم بأدب العربية . فأهل مصر إذاً هم القبيل المقدم في العربية وهم سادات العرب

وليست اللغة العربية يأيها الراجع من لندن أو من برلين أو من باريس وقد لبث في تلك المدائن حينا فقتنته مدنية المغاربة السحرة ليست اللغة العربية بلغة بدوية ، بلغة صحراوية ، حتى تعرض عنها إعراضك هذا وحتى تؤثر عليها غيرها حين جهلتها ، ولكنها لغة سامية سامية (ان كان ثمة سام) قد نشأت من قبل في جنات النعيم عند دجلة ولم تنبت في القفر فتظمأ وتضحى ، وقد جاورت كل ذات مدنية « وإن العلا تعدي » كما قال أبو تمام ، وقد سطر أيوب الصابر بها في ذلك الزمان سفره أو قصيدته (كما قال فولتير في المعجم الفلسفي) وسفر أيوب أجمل سفر في التوراة ، وأيوب العربي كهوميرهو من أكبر شعراء العالم

ثم جاءت هذه اللغة مواطن الحجاز (وكم في الهجرات من خيرات) فنشأها الدهر هنا أفضل تنشئة وهذبها خير تهذيب . وإن البيئة التي أخرجت في الدنيا عظيمها هي التي جلت لغته ولن تكون لغة ذلك العظيم لغة محمد إلا عظيمة . على أن قد تخبث البيئة بعد طيبها وصلاحها فلا تقذف إلا خبثا « والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » كما قال الله

ليست العربية بلغة بدوية صحراوية (كما قالوا لك) بل هي اللغة الحضرية كل الحضرية بل هي (إن استكثرت هذا النعت) لغة الاناسية الكملة الألى سوف يخلفون هذا الانسان بعد ازمان كما خلف هو قدما الذين هم أدنى منه من جماعة الرابيح المحاكية

ولقد دعا العربية من قبل قرآنها(وهو القرآن هو القرآن)لتكتب معجزاته فما وهنت ولا عجزت ولا ضاقت بل اتسعت وهذا الكتاب وهذه آياته وهذه ألفاظ في المصاحف تتكلم وهذه معاني الكتاب، الكتاب العبقري، كتاب الدهر، قد تجسدت وتجسمت وعهدنا بالمعاني معنوية لاتتجسم . فلن تعجز لغة كتب بها الله[1] كتابه عن أن يكتب بها البشر

ولقد دعا العربية في الزمان الاول كل علم وكل فن — ولا كتاب علم واحداً عند القوم في ذاك الوقت — فلباهما منها خير ندب وخير ظهير ، وشهد الاقوام في برهة من الدهر أكداسا من الكتب مكدسة بل اجبالا . قال غستاف لوبون في فاتحة كتابه مدنية العرب : (إذا بحث الباحث عن آثار العرب في العلم وعما ابتدعوه علم ان ليس هناك أمة ضارعتهم فجاءت في الزمن القصير بمثل صنعهم الكبير)

فلو لم يك عند العربية غير ما كر من الثروة في اللفظ والاسلوب ما أنفقت هذا الانفاق على علوم أصحابها وعلوم سواهم والفقير المسكين في الدنيا (ياصاحب) لايقدر أن يعول نفسه بله أن يمون الناس

وقد أغرق التتر طوائف من تلكم الكتب في النهر وحرق الاسبان نفائس منها بالنار لكن الباقي (والحمد لله) كثير . وجلت العرب عن أن تجرم إجرام ذينك الجيلين . وكذاب أي كذاب من قال انا حرقنا دار كتب في الاسكندرية. وكيف يقرفنا القارفون بهذا ظلماً وماندب الناس إلى العلم كمثل كتابكم كتاب ؛ ولا دعا إلى التفكير وحب الدنيا كزعيمكم محمد زعيم

وآوى إلى هذه العربية في آونة كثيرات كل أديب وكل عالم وكل شاعر وكل كاتب فبوأت معانيهم في أكرم مبوأ وألبستها أفتن ثوب وقرتها (وهي المضيافة وهي الكريمة بنت الكرام) خير قرى فاجتلى الناس من تلكم المعاني السماويات، في هذى الحلل العدنيات، حوراً عينا رضوانيات

فاذا لاقيتم في عصور المولدين أو في عصور المتأخرين قبحا في القول بغض الأذن أن تسمعه وتقتحمه العين إما أبصرته

(١) في الاصل إله

وإذا ألفيتم كلاما بهرجا قد وهت أعضاده وتشوه تركيبه وفقد ذاك الرونق

وإذا وجدتم شعراً سخيفا قد عمّيت معانيه ، وقد استعجم على تاليه

وإذا سمعتم سجعا غير طبيعي مرتجا زحافا متدحرجا قد لعنته العربية

إذا وجدتم ذلك فلا تلومن العربية ولا تنتقصنها، ولوموا أمة ضعفت فضعف قولها، وذلت فذل شعرها، وحارت في دنياها فاستحار كلامها

لاتلوموا العربية ولوموا أمة ركضت إلى الدعة (قبح الله الدعة) ثم قعدت

ليس المروءة أن تبيت منعما وتظل معتكفا على الاقداح

ما للرجال وللتنعم إنما خلقوا ليوم عظيمة وكفاح

« والحركة (كما قالوا) ولود والسكون عاقر » وقد قال أبيقور : أي معنى للكون بالسلم لفقدان الحركة ولام هذا الحكيم (المظلوم والله بتلك التهمة) هومير حين سأل الآلهة أن تصطلح كي تزول الحروب

اذ المرء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

وفريد ريك نتشه ، يرى أن عمل الرجال إنما هو القتال وعمل النساء هو تمريض الجرحى ولاعمل لهما غير هذا .

وليس القصد يابني أن تغلب أو أن تغلب بل القصد أن تكون حرب ، أن تكون حركة

ألا أيها الباغي البراز تقربن أساقك بالموت الذعاف المقشبا

فما في تساقي الموت في الحرب سبة على شاربيه فاسقني منه واشربا

لاتلوموا العربية ولوموا أمة تعبدها حاكمها وتفرعن عليها و « استجار كيدها وعدا مصالحها » كما قال ذاك الشيخ فلم تغضب ولم تمش اليه بالسيف . وقد علم أوائلها التلميذ الثاني لشائد الوحدة العربية طريقة تقويم الملوك

لاتلوموا العربية ولوموا أمة صغرت هممها وتضاءلت عزائمها وتهزعت (تكسرت) أخلاقها (يا أسفى على صوادق الاخلاق يا أسفى على الاخلاق الجيدة) وكان ابن الخطاب يقول لها : « ولا تصغرن همكم فاني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم » وكان معاوية كاتب وحي النبي يقول . « ياقوم إن الله قد اختاركم من الناس وصفا صكم من الامم كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها فصونوا

أخلاقكم ولا تدنسوا أعراضكم فان الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبيح منكم أقبح لبعدكم عنه »

لا تلوموا العربيـة ولوموا أمة اجتزأت بالقليل وقنعت من دهرها بالدون وأنامها (قتلها) هذا القول الحبيث الافيوني الـكوكيني « القناعة كنز لا يفنى » وكانت ماترضى قبل من شيء الـكثير ، وكانت ماتقبل حالا وسطا ، لاشيء أو كل شيء كما يريد نقشه

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

* * *

وقالوا : عليك وسيط الامور فقلت لهم أكره الأوسطا

وكان دستورها في دنياها « القناعة من طباع البهائم » و « عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة » أي بجسام الامور . وصاحب هذا القول الـكريم هو ابن مصر صاحب رسول الله سيدنا عمرو بن العاص (سلام الله عليه ورضوانه)

وقد راع تقهقر هذه الأمة وتدهورها حين تقهقرت ، وتدهورت شاعريها الا كبرين في عهد انحطاطها فأنكرا الحال واستفظعاها وراح ابن الحسين يقول :

أحق عاف بدمعـك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم
وإنمـا النـاس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عنـدهم ولا حسب ولا عهود لهـم ولا ذمم
في كل أرض وطئتها أمم ترعى بعبـد كأنها غنم

وقعد رهين المحبسين في كسر بيته :

يكفيك حزنا ذهاب الصالحين معاً وأننا بعدهم في الارض قطان
ان العراق وإن الشام مذ زمن صفران مابهما (للعدل) سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة في كل قطر من الوالين شيطان
من ليس يحمل خمص الناس كلهم إن بات يشرب خمراً وهو مبطان
متى يقوم (زعيم) يستقيد لنا فتعرف العدل أجبال وغيطان

صلوا بحيث أردتم فالبلاد أذى كانما كلها للابل أعطان

فليست اللغة العربية (والحالة في تلكم العصور كما سمعتم عنها) بمستأهلة أن تلام أو أن تعاب فانها لابست ضعفاء فلبست كساء ضعف ، وعاشرت وضعاء فارتدت شعار ضعة ، وما الضعف وما الضعة (والله) من خلائقها

ولو استمرت تلك القوة ولو استمرت تلك المدنية ولو لم يكن ما كتب في اللوح أن يكون لملأت بدائع العربية الدنيا، فانها لمعدن البدائع، ومنجم كل عبقري رائع

على أن لغة العلم في العربية (وللعلم لغة وللأدب لغة) لم تضم ضيم أختها . وما المقاصد والمواقف وشرحاهما وأقوال ابن الخطيب ومقدمة ابن خلدون (على مغربيتها) وكلها في العصور المتأخرة بالتي تذم (في أسلوب اللغة العلمي) جملتها

ويخيل الي أن نفوس الحكماء العلماء تكون في أحايين الضعف أقوى من نفوس الادباء ، فلا تهن وهنها، ولا تهون هوانها ، أو كأن العلماء في الدنيا ، وليسوا في الدنيا ومن الناس وليسوا من الناس . وقد يلاقي هؤلاء القوم المساءين ربهم ولا أثر لحوادث دهرهم فيهم ، وقد يتقحمون ميادين الحياة فيتأخرون ولا يتقدمون وكل منهم ينشد متحسراً :

وأخرني دهري وقدم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعلم

يئست من اكتساب الخير لما رأيت الخير وقّر للشرار

وربما لبسوا التبان للمصارعة فيصرعون . وقد نازل أمس صاحبنا (ولسن) ذينك العفريتين لويد جورج وكامنصو فعقلاه عقلة في السياسة شغزبية[1] فصرعاه سريعا (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) كما قال الله . وأضحى عند جميع الناس ضحكة ثم قضى كمداً

أين الامم المحررة يا ولسن ؟

ليست العربية ياسادة بالمقصرة ولا العاجزة وليس الضعف وليس العجز وليس القبح من طبائعها

(١) الشغزبية بالراء وبالزاي اعتقال المصارع رجله برجل خصمه وصرعه إياه بذلك

وقد كانت تنشد في هذا الدهر الاطول في ارجاء الارض كافة همما بعيدات، ونفوساسريات أبيات، وارتقاء في أمة عربية وعلاء، كيما تتجلى في الدنيا تجليها، وكي تضيء كعادتها إضاءتها، فلما الفت في أرض مصر مرغبها، لما وجدت (محمداً ومحموداً) ظهرت بل اثتلقت بل قد تحاقر عند ضياها نور الشمس فكان (يوم التجلي) كما يقول اخواننا النصارى وكان عيده . وأصبحت الدنيا وقد علت كلمة العربية وأعلن الدهر سلطانها

وغدا محمود سامي يحمل علم الشعر ويبشر الحال برسول في الفريض يأتي من بعد محمود اسمه (أحمد) ولا تسأل يا هذا قوة سامي الشعرية أن تعطيك أكثر مما أعطتك فبحسبك ما أخذت وحسب الرجل ماجاء منه

ولاتجود يد إلا بما تجد

وغدا الشيخ محمد عبده يحمل علم التثويد جمال الدين عند محمد وعند العربية وعند مصر وعند المشرق لاتكفر

فاذكر في الكتاب جمال الدين

وأثن عليه بالذي هو أهله ولاتكفرنه لا فلاح لكافر

إن جمال الدين لم يك شخصا فذاً ، إن جمال الدين كان أمة . وانه لم ينبه من أمم الشرق في ذاك الوقت الا أمتان لاثالثة معهما الاولى هي الامة اليابانية والامة الثانية هي جمال الدين . فجمال الدين أمة وحده

وقد أراد ابن الحريري في البدء أن يقتل الامام فنجاه كتاب الله وحديث رسول الله منه . فارجع يا فتى إلى أسلوب القرون الثلاثة الاولى — إلى الاسلوب الطبيعي العربي — الى الأسلوب الباريسي — إلى أسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين ، وانبذ انبذ مقامات الحريري ومقامات الهمذاني وما شاكلها ، ولا تتصفحنها إما ابتغيت تعرفها ، إلا خائفا ، وحذاريك أن يستعبدك متقدم في الزمان أو متأخر ، وإياك وأن تقلد في القول أحداً ، فالمقلد عبدولا يرضى بالعبودية حر ، والعاقل لا يهب كينونته لسواه ، وإن ساواه أوعلاه ، وبعضهم لايهبها لله (عزوجل) والتقليد عدم ، والاستقلال كون ، فلا يؤثر على الثاني الاول الا أحمق

وقد دارت حول الاستاذ الامام « العبارات الفقهية والقوانين العلمية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة » كما يقول ابن خلدون فما استطاعت لبلاغته إضراراً « ولا خدشت لمكنته وجها »

ولا يضر الفقهاء وأهل العلوم تقصيرهم في هذا النمط من البلاغة فللعلم (كما ذكرت آنفاً) لغة وللادب لغة . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة الفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها » وقال أيضاً : « استهجنا تبديل الفاظهم وتغيير عبارتهم فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم ومن دخل ظفار حمر »[1]

وقد كتب الاستاذ في العلم بلغة الادب (كدأب هنري برگسن فيلسوف فرنسة وكفلامريون العالم في الفلك) فراحت رسالته في التوحيد في هذا العصر معجزة .

ظهر محمد وظهر محمد فنقوت العربية بعد أن تضعضها الخصوم وتعززت بعد إذلال فغدا الدهر عند ذلك يعبد لنابغة يطلع على الدنيا طريقه

ومن سنن الله ومن دساتير الطبيعة ألا يفاجيء نابغة أو عظيم فيما قدر له أن ينبغ أو يعظم فيه قومه مفاجأة دون ان يستعدوا له إذ النابغة في شيء ما إنما هو جوهر أمته ولا يلخص خير الا من خير وما حدث كون عن عدم . وقد أشار الى مثل هذا واضع علم الاجتماع ابن خلدون حين ذكر أمر البعثة المقدسة

غدا الدهر يعبد لنابغة في القريض يطلع على الدنيا طريقة ، وغدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يسمى شعر النبوغ قد عدموه مند عصور ولم يجيء من بعد القرون الثلاثة الاولى ومن بعد الذي يقول :

وما تسع الأيام علمي بأمرها وما تحسن الايام تكتب ما أملي
الا مقصدات معدودات والا مقطعات قليلات وأبيات نوادر

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يشع مثل الماس إشعاعا ويزهر كالدراري المتوهجة زهوراً بل يضيء كما تضيء الشمس وقد جمل بل قد تجسم من الجمال وقد نوره القرآن فبان بيانا

(١) حمر بتشديد الميم تكلم بالحميرية وظفار بلد باليمن

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً هو فوق الشعر وكلاما هو فوق الكلام كان ابن نباتة السعدي وقد سمع مثله من شعر احمد بن الحسين فقال : « نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول» شعراً متنبياً غوتيا شكسبيريا يعلق به الخلود اذا قيل وينشده الدهر الناقد إذ سمعه

انتظرت الامم العربية برهة هذا الشعر النابغ وخروج هذا الشاعر والاقوام كلهم أجمعون متطاولون والاعناق مشرئبة والوجوه الناضرة كما قال الله: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » والعيون ناظرة شاخصة والقلوب في الصدور راقصة والدهر الذي قد ضن امس وجاد اليوم يبتسم فتبلج (وقد تفتحت أبواب السماء بالدعاء) نور

أحمد

يملأ الدنيا وطلع على اهلها « شوقي»

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتنّ فيك الناظرون فأصبح يوما اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تكفر

وظهرت معه أمه اللغة العربية آخذة بيمينه وقد انحدرت من مقلتيها دمعتان «ومن السرور بكاء » كما قال المتنبي

جاء (أحمد شوقي) وقد أضاء عصر الكهرباء وخرج هؤلاء العفاريت من الافرنج يسحرون الناس بالذي يأتونه . وإن أعمالهم (والله) لساحرة ، وان مبتدعاتهم (كظلمهم العبقري) عبقرية باهرة ، وأقبلت هذه المدنية الغربية ناسخة المدنيات ، وصاحبة المعجزات المجنانات

وماهو الا أن تراها (بدارها) فتبهت لا عرف لديك ولا نكر

مدنية عجيبة مدهشة قد حار في أمرها القائلون فما يقولون ، وقد اعجزت شعراءها فما عادوا يبدعون وقل أو اضمحل فيهم في الشعر النابغون ، فلم يعزز شكسبير وغوتي في الغرب بثالث

جاء ذلك وجاء أحمد شوقي فما فر من أمام ما شهد فرار الجبان، ولا أفحم إفحام العاجز، بل مشى مشية الليث (كمشي ذلك الحماسي) ونادى لغته العربية فاجابته، وأهاب بقوته الشعرية فلبته

هما عتادى الكافياني فقد ما أعددته فليناً عني من نأى

فجاء في الشعر بهذا السحر الذي رأيتموه، وقال ذلك القول الذي سمعتموه، وقذف بالشطر بنصف البيت قد اجتافه تاريخ أمة[1]

وسير البيت يعرض فيه للناظرين السامعين دولة

وابتدأ القصيدة في شأن فهاج قبيلا، أو اهدأ قبيلا أو نشط لما يعلي أو ثبط عما يدني فذهبت تلك القصيدة في الناس دستوراً

وغاص وحلق «فاتى (كما قال ابن الاثير في حق حبيب) بكل معنى مبتكر، لم يمش فيه على أثر»

وعرف الشرق وعرف الغرب وعرف العصر (وقد جهل غيره عصره) واكتنه سر التأخر والتقدم فاعطي الحقيقة في الشعر، وهدى بالكلم الطيب ذي الحكمة الى الطريق الاقوم

فكن كشوقي ياشاعراً في هذا العصر فشيع المجاز بالحقيقه (على أن ليست حقيقة هذا الكون — والله — الامجازا) واعلم أن علم الاقدمين دينهم، ودين المعاصرين خاصتهم علمهم، و(لكل أجل كتاب) كما قال الله، واز الدهر دهر حقائق بل لا تثبت الحقيقة فيه الا في دار الاختبار بالشهود العدول، وان الحال كما قال ذاك الشيخ ذاك الشاك

فنلنا للهزبر أأنت ليث فشك وقال عليّ أو كأني

فحلق حين التحليق في طيارة، وغص عند الغوص في غواصة، وناج حبيبك بالمسرة اللاسلكية[2] أو (بالرادي) فانهما اسرع من خاطرك

---

١) إجتافه دخل في جوفه (٢) المسرة بكسر الميم وتشديد الراء آلة المسارة والمراد بها التلفون وقد قلت في آخر قصيدتي الشرقية التي نظمتها وأنا تلميذ بطرابلس الشام منذ ثلث قرن.

تتلى فيطرب من بالضاد ينطق من أرجاء فاس إلى القطر العماني
كأنما أنا أشدو بالمسرة أو أملي على رب سلك كهربائي

ورب معان يهيم بها الزمان همهمة ولا يفصح ، وتختلج في الصدور ولا تبدو ويجهلها العالم وهي منه مقتربة ، وتغيب عن الالمعي وهي لم تبعد عنه ، قد اجتذبتها قوة شوقي الشعرية وبينتها أي التبيين للعالمين ، فعجب الناس بل ما كادوا يقضون العجب

وقد حالف قصيد ابي علي[1] الفن محالفة صدق فاتضح اتضاحا وتآخت أبياته تآخيا ، فهي بنو اعيان لا بنو علات ولا اخياف ولا ابناء عم ، وتعانقت معانيه عناق العاشقين وتجلت مقاصده وصرحت صراحة الوطي ذي الاخلاص

وقد جمله وقواه وخلده ، عربيته ، متانته ، لغته ، ديباجته ، وان لهذا كما للمعنى لقدراً ، وان له لبهجة وان له في النفوس لاثراً . وانما المعنى واللفظ شيء واحد فهما كالجسم والنفس ، والنفس والجسم ، كائن فرد لا كائنان متباينان

واللفظ والمعنى كمادة الكون وقوته فليس هناك مادة قد انفرقت عن القوة ، وليس هناك قوة قد زايلت المادة ، كما يقول (كنت) وغير (كنت) من المثنويين أو الاثنيين (les dualistes)

عمدتم لرأي اثنوية بعد ما جرت لذة التوحيد في اللهوات

ليس ثمة مفترقان ، ان هناك الا اتصال ، ان هناك الا الوحدة ، كما يقول محيي الدين وسبنوزة وارنست هيكل

اذا تبدى حبيبي بأي عين أراه
بعينه أم بعيني[2] فما يراه سواه

بل ليس هذان المعدودان اثنين (أي اللفظ والمعنى) الا صاحبهما يتجلى فيهما ومن أجل ذلك يضعف قول أو يقوى ، ويقبح أو يجمل ، ويصغر أو يكبر ، ويلتبس أو يتضح . وانك أقوال الامم العربية في كل عصر تنبئك بأحوالها فاحوالها المتغيرة ذات الضعف وذات القوة هي في اقوالها فاعرف أقوالها تعرف احوالها

وإذا لم يتجل ذو القول في قوله فليس بذي كينونة وانه لسواء والعدم وما قوله قولا . واذا تشاكس ذات مرة لفظ قول ومعناه فما هو الا مخلوق شائن نعوذ بالله من مرآه .

---

(١) المنار : هو احمد شوقي نفسه (٢) الرواية التي نحفظها « : لا بعيني » وهي التي تطابق * فما يراه سواه * وان كانت العين واحدة على مذهب الوحدة

وإني أقسم بالقرآن وبلاغته وإعجازه وعبقريته وعجائبه التي لن تحصى أن لولم يكرم لفظ شوقي في الشعر كما كرم معناه ولو لم تشرق هذه الديباجة الشوقية المليحة ذات الحفاة ذلك الاشراق ما كان احمد شوقي شاعر العربية الاكبر وما كان ملك الشعر وما كنتم اظفرتموه بهذا اليوم. ولكنه عاقل حكيم عرف كيف يقول وكيف يبني قصيده ويشيد أهرامه ليخلد فيها ، وقد قلت قدما. «مايقي المعاني من الدثور الامتانة ألفاظها، ومايخدمها الدهور الا تحقيق كلامها» والدهر أثبت ما كنت قد قلته

وما التجدد ياقوم بصاد صاحبه عن الاحتفال في اللغة الادبية بديباجة القول وإحكامه وصيانته من كل خلل ، وتجليه أنيقا ذا نضارة بديعا عربيا، بل التجدد يحدو على ذلك لان التجدد اخو التقدم وخصيم التأخر

ومن التجدد أن تهيم بالفن وهذا فن

ومن التجدد أن تقول القول الجيد المضبوط ليفهم الناس ما تقول

ومن التجدد أن تختار خير طريق في الانشاء والتقريض فتسير فيها مستقلا لتبلغ وتبلغ قومك من الارتقاء ما يجب بلوغه

ومن التجدد أن تشيد الامة المتنبهة بنيانها على الاساس القوي لئلا ينهار

ومن التجدد أن تتقن ياهذا ماتعمل وترصن ماتعلم وأن تعد لكل أمر عدته وللكتابة والشعر عدد ، فقل لي هل أعددتها ؟

ومن التجدد أن يعلم أنه لايجيء من الضعف والانحطاط الا الضعف والانحطاط ولايجيء من القوة والتقدم الا القوة والتقدم ، والمتجدد الاريب انما يريد أن يزداد قوة وتقدما

ومن التجدد أن يعرف من يروم تغييراً كيف يغير فلا يدع الحسن المجمع على حسنه . الى قبيح لاريب في قبحه

ولقد أبهج كل أديب عربي أن عرف المجددون في مصر كيف يجددون وأي دين في التجدد يتبعون

* * *

ان لم تكن القاهرة حاضرة الامم العربية السياسية و (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان القاهرة حاضرة الامم العربية اللغوية ، ملك الشعر فيها

« شوقي » والاقاليم العربية في المشرق والمغرب قاطبة من اعمالها ، وادباؤها عماله ، واهلها رعية إحسانه . وان لهذا الملك علينا السمع ، وان لنا عليه الاجادة في القول ، وقد (والله) أجاد ، وقد سمعنا واطعنا ، وجئت احتفى به (يوم تكريمه) في المحتفين وأعترف بقدرته المتعالية في القريض مع المعترفين

* * *

جاء محمد[١] وجا خليفته[٢] وجاء محمود[٣] وخرج نابغة الشعر العربي «احمد شوقي» وكان المقتطف[٤] وجاءت هذه الدولة الادبية العربية المصرية ومن رجالها الكاتب الاكبر ، والشاعر الاكبر ، والمفكر الاكبر ، والاديب الاكبر ، والخطيب الاكبر والنقاد الاكبر ، والباحث الاكبر ، والفقيه الاكبر ، والمتفنن الاكبر ، والعالم الاكبر ، وكل كبير في علمه ، وفنه فصات في أرجاء الكون هذا الصوت

الا إن محمدا [٥]

وذكر محمد

وقرآن محمد

ولغة محمد

وعربية محمد

وأدب محمد

كل ذلك لن يزول ، كل ذلك ان يبيد وفي الدنيا — مصر

(اسعاف النشاشيبي)

---

(١) يعني الاستاذ الامام (٢) عندما قال الخطيب هذا أشار بيده الى صاحب المنار وكان في الصف الأول جهة موقفه اليمنى (٣) يعني محمود سامي البارودي (٤) أي ووجد المقتطف. كل هؤلاء مصريون بيئة واستيطانا قديماً أو حديثاً وليس فيهم أحد قبطي النسب قطعاً فالنهضة المصرية الحاضرة ليست قبطية ولا فرعونية بل عربية وللقبط أنفسهم حظ عربي منها لا ينكر (٥) لعل المراد من كلمة (محمداً) الاولى هذه الاسم لأن خبرها مع ما عطفت عليه قوله بعدها — « كل ذلك ان يزول » وهذا يمنع ارادة المسمى وقوله بعدها وذكر محمد يراد به ذكر مناقبه وشمائله وسننه

علاوة باب الفتاوى

البيت الحرام وسدنته بنو شيبة وحقوقهم والهدايا له ولهم

(س ٧—١٠) جاءتنا الاسئلة الآتية من صاحب الفضيلة الشيخ عبدالقادر الشيبي رئيس سدنة البيت الحرام بمكة المكرمة فرأينا وقد تم باب الفتوى من هذا الجزء أن ننشرها هنا مع الاجوبة عنها هنا ليطلع عليها حجاج هذا العام

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

صاحب السماحة مولانا العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا دام فضله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) إن ما نتناوله من الصلة والاكرام من زوار بيت الله الحرام بطلب وبغير طلب بدون جبر هل يجوز لنا نحن سدنة بيت الله أخذه أم لا أفتونا مأجورين ولكم الثواب من رب العباد

(ج) يحل ما يعطى عن طيب نفس بغير طلب اجماعا ، وأما الطلب وسؤال ماليس بحق للسائل فهو مذموم لغير المضطر . وسنفصل القول في ذلك فيما نجيب به عن السؤال الرابع وهو فتاوى بعض مفتي مكة المكرمة في المسألة

(٢) هل من يتناولنا بالتشنيع والتنقيد في وظيفتنا لتقديم ناس وتأخير ناس آخرين في دخول البيت المشرف كما تقتضيه الحالة وفيما يصلنا من الزوار ـ هل على ولاة الامر منع المتعرضين والمنتقدين لما رواه يونس عن الزهري عن بلال وعثمان ابن طلحة عن النبي ﷺ قال « إن لله بيتاً فاحترموه واحترموا سدنته » أفتونا مأجورين ولكم الثواب

(ج) التشنيع والانتقاد على سبيل الاهانة من الغيبة المحرمة بالاجماع فلا حاجة إلى الاستدلال عليها بمثل هذا الحديث الذي ليس من الاحاديث التي تقوم بها الحجة في الرواية وإن كان معناه صحيحاً بل لم أره في شيء من كتب السنة وصيغة الاحترام لم ترد فيها ولا في القرآن وقد استعملها الفقهاء وأراها مولدة ويجب على ولاة الامور منع من يعتدي عليهم ويؤذيهم عند الامكان

(٣) ماقولكم دام فضلكم فيمن يصل إلى بيوت السدنة لبيت الله الحرام ويطلب منهم ورقة تتضمن الفسح (الاذن) لدخول البيت المعظم وتبين الوقت الذي يفتح فيه وعند دخوله تؤخذ منه الورقة التي أعطيت له هل يجوز ذلك أم لا أفتونا لازلتم مأجورين

(ج) إن هذا العمل يقصد به النظام وعدم الازدحام المخل به فيما يظهر فهو بهذا القصد حسن لا بأس به في كل حال وقد يكون ضروريا في حال الازدحام

(٤) ولانا أقدم إلى مقامكم طي هذه صورة فتاوي من أسلافكم مفتي مكة المكرمة وعلمائها الاعلام وهي من قديم الاعوام ونحن متمسكون بما احتوت عليه من الاحكام والنصوص الشرعية في سدانتنا وفي أعمالنا واجراء وظيفتنا نسترحم اطلاعكم عليها والتصديق على ماحتوت عليه من الحق والصواب الذي نرجوكم أن ترشدونا اليه ليكون عملنا عليه . ولكم الثواب

(وهذا نصها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

صورة سؤال قدم لمفتي مكة المكرمة

ماقول العلماء الاعلام في ولاية الكعبة المعظمة وخدمتها وما يوجد فيها ، وما يهدى لها وما تكسى به خارجها وداخلها ، وفتحها واغلاقها ، وما يأخذونه من النذور وزوارها والهدايا ونحو ذلك هل يجوز لبني شيبة أخذه ولا يشاركهم أحد في خدمتها أم لا أفتونا مأجورين

فأجاب حضرة العلامة السيد عبدالله المرغني مفتي مكة المكرمة بقوله

الحمد لله رب العالمين ، رب زدني علما ، اللهم يامن لاهادي لنا سواك ، أنطقنا بما فيه رضاك ، فليعلم السائل أرشدنا الله وإياه للصواب ، ووفقنا لماجاءت به السنة ونطق به الكتاب ، أنه يختص بما ذكر بنو شيبة الموجودون الآن وإلى يوم القيامة لما أرشد اليه الكتاب من الخطاب وأورده من السنة أجلاء الاصحاب والفقهاء الاعلام ، ومفاتي بلد الله الحرام ، فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر

المنازعة فيه ، ولا معارضة من قام منهم بما عليه بما يؤذيه ، فمن فعل شيئاً من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم ، بصريح قول المصطفى ﷺ ، ويجب على ولاة الامر تأييدهم وردع من يتصدى لذلك اقتداء به ﷺ لينالوا بركة اتباعه ويكونوا ممن أحبهم الله لقوله تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد ذكر العلامة أبو السعود في تفسيره كغيره من المفسرين عند قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) بعد أن ذكر أنه خطاب يعم المكلفين قاطبة مانصه ورد في شأن عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذكر القصة إلى آخرها والله سبحانه وتعالى أعلم كتبه المفتقر عبدالله بن محمد المرغني

مفتي مكة المكرمة كان الله لهما حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً

وأفتى في عين هذا السؤال حضرة العلامة الشيخ جمال الحنفي مفتي مكة المكرمة بقوله : سدانة البيت الشريف خدمته وتولي أمره وفتح بابه وغلقه ، فسدنتها هم خدمتها ، ومن يتولى أمرها الشيبيون العبدريون الثابت نسبهم مابقي الزمان ، وتوالى الملوان ، المتصل نسبهم إلى ابن أبي طلحة وأبو طلحة اسمه عبدالله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري الثابتة لهم هذه المباشرة الشريفة جاهلية واسلاما كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة ، وقد صح أن النبي ﷺ حين أخذ المفتاح من عثمان يوم فتح مكة حتى ظن عثمان أن النبي ﷺ لا يدفعه اليه . وقال العباس بن عبد المطلب : بأبي أنت وأمي يارسول الله أعطنا المفتاح مع السقاية فأنزل الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) قال عمر رضي الله عنه : فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن أبي طلحة ودفع اليه المفتاح وقال « غيبوه » ثم قال « خذوها خالدة تالدة يابني أبي طلحة بأمانة الله واعملوا فيها بالمعروف ، فلا ينزعها منكم إلا ظالم » وروى الفاكهي عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما ناول المفتاح إلى عثمان قال « غيبوه » قال الزهري فلذلك يغيب المفتاح ، وانما استوردت هذه الاحاديث ليستنبط منها أحكام الشيبيين وما به جرت عادتهم القديمة منها هذه

الولاية لهم من الله ورسوله جاهلية واسلاما فيالها من مزية ، لاتضاهيها قضية

ومنها ان لهم تغييب المفتاح وعلى ولاة الامر الحلم عليهم والصفح عن زلاتهم اقتداء به عليه الصلاة والسلام ، وأخذا من قوله ﷺ « كلوا بالمعروف » ان مايهدى اليهم من الصلات والاحسان على وجه التبرع يحل لهم أخذه وهو من الاكل بالمعروف كما وضحه في البحر العميق [1] وكذا مارث من كل ما أبدل وعمر فيها كما جرت به العادة القديمة لهم بالاخذ . ومما يؤيد ذلك ويدل عليه ما ذكره الفاكهي أنه لما حج الناصر محمد بن قلاون في سنة سبعمائة وثلاث وثلاثين أمر بقلع باب البيت المعظم فاخذه الحجبة . ثم قال الفاكهي يؤخذ من هذا ان ما أزيل من البيت الشريف من المؤن وعمل بدله يكون لبني شيبة لايشاركهم فيه غيرهم قد شاهدناهم على مثل هذا ، وانهم يصرحون بأن هذا حقنا بالقواعد القديمة.

وقد أجاب خاتمة المفتين ببلد الله الامين حضرة السيد عبدالله المرغني في عين هذا السؤال وقد رفع اليه في ضمن كلام طويل بما لفظه : فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر المنازعة فيه، ولا معارضة من قام منهم بما عليه بما يؤذيه، فمن فعل شيئا من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم والله أعلم ،

أمر برقمه راجي لطف ربه الخفي جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي
مفتي مكة المكرمة كان الله لهما حامداً مصليا مسلما

وافتى في عين هذه المسألة حضرة الشيخ عبد الله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة بقوله: الحمد لله على نعمة الايجاد والامداد ، والصلاة والسلام على من حث على حفظ امانة العباد . بنو شيبة الصحابي هم سدنة الكعبة المعظمة الى يومنا والى يوم القيامة لما صرحت به السنة وليس لأحد مشاركتهم في فتحها واغلاقها وخدمتها لقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وذكر أكثر المفسرين والامام احمد في تفسيره الكبير عند قوله تعالى (ان

(١) المنار : (البحر العميق . في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق) لأبي البقاء المكي العمري الحنفي من فقهاء القرن التاسع

الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) أنها نزلت في عثمان بن أبي طلحة الحجبي سادن الكعبة المعظمة وروى جبير بن مطعم قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ «مادام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في أولاد عثمان ابن أبي طلحة الى يوم القيامة» وروى بشر بن السري في المناسك عن نافع الحجبي وعن أبيه عبد الرحمن أن اباه حدثه ان الامام ابا حنيفة لما حج ودخل البيت الشريف وصلى فيه واعطاه[1] الف دينار وقال بنو شيبة هم سدنة البيت الى يوم القيامة لايشاركهم أحد في خدمتها . وأعظم الامام مالك أن لايشرك[2] مع الحجبة أحد في الخزانة لانها ولاية من النبي ﷺ اذ دفع المفتاح لعثمان. قال القاضي عياض الخزانة أمانة البيت وما ينذر مايأخذونه من الزوار فلهم أخذه لانه من الاكل بالمعروف كما اوضحه في البحر العميق . واما مارث من كسوتها وجدد فيها فهو لهم وقول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ ما بال بابه مرتفعا قال « فعل ذلك قومك ليمنعوا من شاؤا» وقولها يارسول الله كل زوجاتك دخل الكعبة غيري فقال «إذهبي لقرابتك شيبة يدخلك »فذهبت له فاتى الى النبي ﷺ وقال يارسول الله إنها لم تفتح ليلا في جاهلية ولا في اسلام فان امرتني فتحتها فاخذها وأمرها أن تصلي في الحجر رواه البخاري في صحيحه ، واما تغييب مفتاح الكعبه فلهم تغييبه كما رواه الفاكهي عن جبير بن مطعم ان رسول الله ﷺ لما ناول المفتاح الى عثمان قال «غيبوه» قال الزهري فلذلك يغيب المفتاح .ولا يجوز عزل صاحب المفتاح ولو كان غير مرضي الحال كما صرح به مفاتي مكة المشرفة لانها وظيفة من الله ورسوله فيالها من مزية لاتقاس بوظيفة او قضية والله أعلم

قال بفمه وأمر برقمه خادم الشريعة والمناهج عبدالله سراج الحنفي

وافتى بما يؤيد ذلك ابنه العلامة الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة المكرمة بقوله قد اطلعت على ما أجاب به والدي عبدالله سراج الحنفي وما أجاب به شيخي الشيخ جمال بن عبدالله مفتي الاحناف بمكة والعلامة السيد عبدالله المرغني فوجدته هو الحق والصواب ولا يعول على سواه وجوابي كما أجابوا والله سبحانه وتعالى أعلم

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب « أعطاه » (٢) كذا في الأصل المرسل الينا

كتبه خادم الشريعة والمنهاج عبدالرحمن بن عبدالله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة كان الله لها حامدا مصليا مسلما

﴿ تلاوة لهذه الفتوى من مرسلها فيما يظهر ﴾

اخرج الترمذي عن أبي أيوب الانصاري قال قال رسول الله ﷺ الانصار وزينة وجهينة وغفار واشجع ومن كان من بني [illegible] الدار موالي ليس لهم مولى دون الله والله ورسوله مولاهم » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وما أشار اليه العلامة الشيخ عبدالله سراج في فتواه السابقة الى قول المحقق مفتي مكة المكرمة في القرن العاشر العلامة ابن ظهيرة في فتواه ما نصه بلفظه اذا اختلف حجبة البيت بما جرت به العادة هل يقضى لهم بتقديم اكبرهم وربما كان غير مرضي الحال ؟ يقضي للاكبر وان كان غير مرضي الحال وانما يجعل منهم مشرفا منهم واقضاء بما جرت به العادة تشهد له بمسائل كثيرة لا تقاس بوظيفة مما قوله ﷺ « اني لم أدفعها لكم ولكن الله دفعها لكم » صح وقوله ﷺ « كل مأثرة تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت » ولما رواه يونس عن الزهري عن سالم عن أبيه قال أخبرني بلال وعثمان بن طلحة أن النبي ﷺ قال « ان لله بيتا فاحترموه واحترموا السدنة » وأيضا أخرج الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عند دخول النبي ﷺ من اعلا مكة : روى ابن عابد من طريق بن جريج أن عليا قال للنبي ﷺ اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » وفي طريق علي بن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال « يا بني شيبة كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » قال الامام فخر الرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٢٣٨) قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الى أن قال الامام بعد أن ذكر القصة يوم الفتح وطلب ﷺ المفتاح واخذه من عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار وطلب العباس له ورده الى عثمان وقال « ياعثمان خذ المفتاح على أن للعباس نصيبا معك » فانزل الله هذه الآية فقال النبي ﷺ لعثمان (خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم) اه

(تعليق المنار على ماتقدم)

إن في بعض عبارات هذه الفتاوي ما يؤخذ على أصحابه كاطلاق بعضهم فيمن ينازع بني شيبة أو يعارضهم بما يؤذيهم في عملهم قوله «فمن فعل شيئاً من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم » فهذا غلو وجرأة في أمر لا يمكن أن يعلم إلا بنص عن الله ورسوله ، وما كل من ظلم أحداً بقول أو فعل يطرده الله من رحمته ويبعده كما طرد ابليس وأبعده ، أو يخزيه وينكل به ، كما يفعل بالمشركين به، فان من الظلم ماهو من الصغائر ومنها ماهو من الكبائر كما هو معلوم وقد شرح في المنار من قبل (وفيها) تساهل في ايراد بعض الروايات بعدم بيان مخرجيها من أهلها وعدم بيان المسند المرفوع من غيره ، والصحيح من غيره، كما هي عادة المفتين منذ القرون الوسطى ينقلون من كل كتاب يقع في أيديهم من غير تمحيص (وفيها) ابهام لبعض المسائل كتغييب مفتاح البيت المعظم ومسألة تعليل رفع بابه من عهد الجاهلية ، هذه المسائل باختصار فنقول :

﴿ أما السدانة ﴾ فهي حق بني شيبة بلا نزاع وقد ثبت ذلك بالعمل المتواتر ، وقد شذ في بعض القرون بعض أمراء مكة بأخذ مفتاح البيت الحرام من الشيخ الشيبي فكان ذلك في نظر الناس أمراً إمراً ، وشيئاً نكراً ، ولم يطل الامد على ذلك حتى ردت الامانة إلى أهلها . وقد فصلت هذه المسألة في الرحلة الحجازية الأولى وذكرت بعض الاحاديث الواردة فيها معزوة إلى مخرجيها وهي في (ص ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ من المجلد العشرين من المنار) وفيها أن لأهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها لهم الله ورسوله الخ ، أي ليس في الناس أهل بيت لهم مثل المزية ومثل هذه الوظيفة الثابتة حكماً وفعلا وقد حفظ بها نسبهم مع كرامة حسبهم ، وقد فاتني أن أسأل كبيرهم الشيخ محمد صالح رحمه الله في ايام رحلتي الاولى والشيخ عبد القادر صاحب الاستفتاء في الرحلة الثانية عن نسبهم وعددهم ، فانا لا نعلم شيئا عن حفظ نسبهم الذي اضطرهم اليه هذه الوظيفة ، فان كانوا قد كثروا كما كثر العلويون على ممر القرون

فكيف ضبطوا أنسابهم ليعلم أكبرهم سنا فيكون صاحب المفتاح ورئيس الحجاب لبيت الله تعالى وأين يقيمون ؟ وإن كانوا قليلين فما سبب ذلك ؟ اننا نرجع إلى كبيرهم في طلب البيان ولعله يجيبنا على ذلك كتابة بالاختصار

﴿ وأما هدايا الكعبة والنذور لها ﴾ فهي تختلف باختلاف ماتهدى وتنذر له وبالعرف وأطلق بعضهم القول بأنها خاصة بها تحفظ لينفق منها على عمارتها عند الحاجة وصرحوا بأنه لايجوز انفاق شيء منها على الفقراء ولا في المصالح . وروى البخاري واللفظ له وأبو داود وابن ماجه عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر (رض) فقال : لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته . قلت ان صاحبيك لم يفعلا . قال : هما المرآن اقتدى بهما . وفي بعض الروايات عن شيبة أنه قال لعمر : ما أنت بفاعل . قال ولم ذاك ؟ قلت لأن رسول الله ﷺ قد رأى مكانه وأبو بكر وهما احوج إلى المال منك فلم يحركاه

والمراد بهذا الكنز الذي كان فيها مما يهدى إليها وكان في صندوق في البيت . وروى مسلم من حديث عائشة (رض) عنها في بناء الكعبة « لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله » فظاهر هذا التعليل أن الامتناع من انفاق الكنز كالامتناع من نقض بناء الكعبة وإقامتها على أساس ابراهيم ﷺ وإلصاق بابها بالارض وفتح باب آخر في مقابله فقد علل ذلك ﷺ في كلامه مع عائشة بحداثة عهد قومها بالكفر وبالجاهلية وخوف انكار قلوبهم ذلك ، وفي رواية خشية انكسار قلوبهم والروايات عنها في هذا ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، وهذا التعليل قد زال بتمكن الاسلام وهو يدل على عدم امتناع انفاق كنزها في سبيل الله لذاته فما بال الفقهاء حرموا ذلك ؟ وقد يقال إن ذلك الكنز كان من أموال المشركين في الجاهلية وما ذكروه من الهدايا والنذور في عهد الاسلام يخالفه في حكمه فيجب صرفه فيما وقف أو نذر له وهو مصالح البيت وحدها . وقد روى الازرقي في تاريخ مكة أن النبي ﷺ وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت فقال له علي (رض) يارسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه

وفي هذه المسألة فروع ذكروا فيها أن لحجبة البيت (وهم آل شيبة) أن يتصرفوا ببعض النذور التي جرى بها العرف ننقل الفروع الثلاثة الآتية منها عن كتاب (الجامع اللطيف، في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) للشيخ جمال الدين محمد جاد الله القريشي المحزومي الحنفي من علماء مكة في القرن العاشر قال: فروع

(الاول) تختص الكعبة الشريفة بما يهدى اليها وما ينذر لها من الاموال وامتناع صرف شيء منها إلى الفقراء والمصالح إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه وإلا فلا يغير شيء عن وجهه نبه عليه الزركشي من الشافعية

(الثاني) اذا نذر شمعاً يشعله فيها أو زيتاً ونحوه وضعه في مصابيحها وإن كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها صرح به الماوردي

(الثالث) نقل الجد في منسكه مسألة تعم بها البلوى فقال شخص نذر أن يوقد شمعاً على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلا فجاء الحجبة فأخذوه ومنعوا استمرار وقوده وقالوا هذه عادتنا مع كل أحد وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد إيقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه أو ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال

(الجواب) الناذر خلص من عهدة المنذور ببلوغه محله وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه، وإن كان على الحجبة ابقاؤه موقوداً إلى نفاده ولا خفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك، ومحل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هناك أو غيره وإلا فان كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة ومقتضى كلام النووي عدم الصحة وصرح به الاذرعي وتبعه الزركشي انتهى

(أقول) مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع إلى المحل، بل ولا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فأكثر، وأما الحجبة فلهم أخذه بغير اذن المرسل إذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه نص عليه في القنية من كتب المذهب انتهى بحروفه

﴿تنبيه﴾ ان الشمع الذي يوقد الآن على باب الكعبة لا ينتفع به أحد لان الحرم

كله بضاء بقناديل الكهرباء وقناديل أخرى غازية ، وبوضعه على عتبة الباب يستقبله المصلون واستقبال النار في الصلاة محظور لما فيه من شبه المجوس كما صرحوا به . ولعلهم تساهلوا فيه لان المراد به تعظيم الكعبة مع كون شبه المجوس نسي فلا يخطر بالبال

﴿وأما كسوة الكعبة المعظمة﴾ فالاصل فيها أن أمرها إلى الامام الاعظم ولذلك كان عمر (رض) يقسمها على الحجاج كما يأتي ، ثم ترك الائمة والامراء أمرها إلى بني شيبة حجبة الكعبة . قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح حديث عمر في كنز الكعبة الذي تقدم آنفا نقلا عن ابن المنير : والذي يظهر جواز قسمة الكسوة العتيقة إذ في بقائها تعريض لاتلافها ولا جمال في كسوة عتيقة مطوية (قال) ويؤخذ من رأي عمر أن صرف المال في المصالح آكد من صرفه في كسوة الكعبة لكن الكسوة في هذه الازمنة أهم (قال) واستدلال ابن بطال بالترك (أي ترك عمر لكنز الكعبة اتباعا) على إيجاب بقاء الاحباس (أي الاوقاف) لا يتم إلا إن كان القصد بمال الكعبة اقامتها وحفظ أصولها اذا احتيج إلى ذلك . ويحتمل أن يكون القصد منه منفعة أهل الكعبة وسدنتها ، أو ارصاده لمصالح الحرم أو لأعم من ذلك ، وعلى كل تقدير فهو تحبيس (أي وقف) لا نظير له فلا يقاس عليه انتهى

(ثم قال الحافظ) عقب نقل هذا : ولم أر في شيء من طريق حديث شيبة (أي مع عمر) هذا ما يتعلق بالكسوة إلا أن الفاكهي روى في كتاب مكة من طريق علقمة ابن أبي علقمة عن أمه عن عائشة (رض) قالت : دخل علي شيبة الحجبي فقال يا أم المؤمنين إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فننزعها ونحفر بئاراً فنعمقها وندفنها لكي لا تلبسها الحائض والجنب . قالت بئسما صنعت ، ولكن بعها فاجعل ثمنها في سبيل الله وفي المساكين فانها اذا نزعت عنها لم يضر من لبسها من حائض أو جنب . فكان شيبة يبعث بها إلى اليمن فتباع فيضعها حيث أمرته . وأخرجه البيهقي من هذا الوجه لكن في اسناده راو ضعيف وأسناد الفاكهي سالم منه . وأخرج الفاكهي أيضاً من طريق ابن خيثم حدثني رجل من بني شيبة قال : رأيت شيبة ابن عثمان يقسم ما سقط من كسوة الكعبة على المساكين . وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه أن عمر كان ينزع كسوة الكعبة كل سنة فيقسمها على الحاج اه

وقد نقل القسطلاني في شرحه لهذا الحديث أقوالا للشافعية في الكسوة ختمها بنقله عن (المهمات) للاسنوي التفصيل الآتي :

واعلم أن للمسألة أحوالا (أحدها) أن توقف على الكعبة وحكمها مامر ، وخطأه غيره بأن الذي مر محله اذا كساها الامام من بيت المال ، أما اذا وقفت فلا يتعقل عالم جواز صرفها في مصالح غير الكعبة (ثانيها) أن يملكها مالكها للكعبة فلقيّمها أن يفعل فيها مايراه من تعليقها عليها أو بيعها وصرف ثمنها إلى مصالحها (ثالثها) أن يوقف شيء على أن يؤخذ ريعه وتكسى به الكعبة كما في عصرنا فان الامام قد وقف على ذلك بلاداً

(قال) وقد تلخص لي في هذه المسألة أنه إن شرط الواقف شيئاً من بيع واعطاء لأحد أو غير ذلك فلا كلام ، وإن لم يشترط شيئاً إن لم يقف الناظر تلك فله بيعها وصرف ثمنها في كسوة أخرى وإن وقفها فيأتي فيه مامرّ من الخلاف في البيع . نعم بقي قسم آخر وهو الواقع اليوم في هذا الوقف وهو أن الواقف لم يشرط شيئاً من ذلك ، وشرط تجديدها كل سنة مع علمه بأن بني شيبة كانوا يأخذونها كل سنة لما كانت تستكسى من بيت المال — فهل يجوز لهم أخذها الآن أو تباع ويصرف ثمنها إلى كسوة أخرى ؟ فيه نظر والمتجه الاول أه

أقول ذكرت هذا التفصيل لان المطلعين على كتب الفقه يرون فيها أقوالا مختلفة في المسألة سببها اختلاف التاريخ والاحوال والحالة الاخيرة التي ذكرها القسطلاني هنا هي الثابتة إلى الآن ، وهي أن الملك الصالح اسماعيل بن الناصر ابن قلاوون صاحب مصر وقف قرية بيسوس (ويقال الآن بسوس) من نواحي القاهرة على كسوة الكعبة سنة ٧٤٣ ومن ذلك العهد تصنع الكسوة في مصر في كل عام ، وهل العبارة في القسطلاني له وهو قد توفي في سنة ٩٢٣ أم للاسنوي وهو قد توفي سنة ٧٧٢ ؟ الاظهر الاول ، والحالة واحدة

وفي الجامع اللطيف : نقل الفاسي رحمه الله أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها أو ستة آلاف درهم كاملية عوضا عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مقاس لما ولي

أمر مكة سنة ٧٨٨ وتبعه أمراء مكة في الغالب . ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديها لمن يريد من الملوك وغيرهم انتهى (أي كلام الفاسي) وقد استمر الامر كذلك من أمراء مكة إلى يومنا هذا (أي سنة ٩٥٠) اه

وأقول ان أمراء مكة صاروا يأخذون لكسوة العتيقة كل سنة ويتصرفون فيها إلى عهد الملك حسين بن علي ثم ردها الملك عبد العزيز بن السعود إلى الشيبي

ثم أورد صاحب الجامع اللطيف فروعا في المسألة أولها في مسألتنا وهو :

« يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا اذا استغنت عنه ، وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ويجوز الشراء من بني شيبة لأن الامر مفوض اليهم من قبل الامام نص عليه الطرسوسي من أصحابنا في شرح منظومته ، ووافقه السبكي من الشافعية ثم قال وعليه عمل الناس ، والمنقول عن ابن الصلاح أن الامر فيها إلى الامام يصرفها في بعض مصارف بيت المال بيعا واعطاء ، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي قواعد صلاح الدين خليل بن كيكلدي أنه لا يتردد في جواز ذلك الآن لأجل وقف الامام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها في كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها ، واستحسن النووي الجواز أيضاً . قال الجد رحمه الله : هذا في الستور الظاهرة ، وأما الستور الداخلة فلا تزال ، بل تبقى على ماهي عليه لأن الكلام انما هو في الستور التي جرت العادة أن تغير في كل عام ، فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك في الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة انتهى

﴿ وأما مسألة ارتفاع باب الكعبة ﴾ فقد كان من استبداد قريش وترفعهم وأثرتهم على الناس ، وانما ذكره النبي ﷺ لعائشة منكراً له لا مجيزاً أو ليذكر في السؤال ولا في الفتاوى المسئول عنها نص الحديث كله في ذلك وهو في الصحيحين ولفظه في البخاري عنها سألت النبي ﷺ عن الجدر (هو بالفتح الجدار بالكسر والمراد به الحجر ، وقد ورد الحديث في غيرهما بهذين اللفظين) أمن البيت هو ؟ قال « نعم » قلت

فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال « إن قومك قصرت بهم النفقة [1] » قلت فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال « فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق بابه بالارض » زاد مسلم « لنظرت أن أدخل » أي أن أفعل ذلك ، كما زاد عند قوله ويمنعوا من شاؤا « فكان الرجل اذا أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى اذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط »

وفي حديث آخر للبخاري أنه ﷺ قال لها « ياعائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالارض وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس ابراهيم » (قال) فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه الخ

وأقول ان عبدالله بن الزبير فعل كل ما كان النبي ﷺ يحب أن يفعله فأعاده إلى أساس ابراهيم ورأى ذلك الاساس المتين ورآه الناس وجعل له بابين، ولكن الحجاج هدم ما بناه وأعاده كما كان . ونقلوا ان عبدالملك بن مروان ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعنه ، وكان اتهم ابن الزبير بالكذب على عائشة فأخبره الحارث ابن عبدالله بن أبي ربيعة انه سمع ذلك منها فندم ، وأراد بعض خلفاء بني عباس أن يعيدها إلى بناء ابن الزبير فناشده الامام مالك أن لا يفعل لئلا تصير ملعبة للملوك فلهذا بقيت على وضعها إلى الآن

﴿ وأما تغييب المفتاح ﴾ فلا أذكر أن أحداً بحث في سببه أو حكمته فأراجع قوله وكان الذي يسبق الى فهمي كلما قرأت ذلك ان سببه مطالبة كل من العباس وعلي (رض) له بجعله لبني هاشم فحسب ﷺ أنه ربما يراه أحد من بني هاشم مع طلحة فينتزعه منه لعدم علمه بتخصيصه به هو وآله من بعده فتكون فتنة وقد زال هذا السبب منذ العصر الاول ولم يبق لتغييب المفتاح معنى الا ابقاء الباب مقفلا في معظم الاوقات وفتحه في أقلها وهو خلاف ما كان يريده ﷺ من فتح بابين لها

[1] قال الحافظ في الفتح أي الطيبة التي أخرجوها لذلك وذكر أنهم لم يدخلوا في النفقة على بنائها شيئا من كسب بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس

مساويين للارض ليدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، والظاهر ان أئمة الحكم وأئمة العلم رأوا ان المصلحة العامة التي منعت النبي ﷺ ثم الخلفاء الراشدين من تنفيذ ذلك وبقاء الحال على ما كانت عليه من علو الباب ووحدته لاتزال تقتضي ذلك في كل زمان وان اختلفت العلة ، فلو جعل الباب الآن مفتوحاً في كل وقت لامتهن البيت وقل احترامه وحدثت فيه بدع ومنازعات عند الازدحام ففتحه في بعض الاوقات وتخصيص بعض الناس بدخوله دون بعض يقي من ذلك كله مع مراعاة الشيبيين للحكمة ومداراة الناس في ذلك

وجملة القول ان السدانة ثابتة لبني شيبة بالتواتر والله أعلم

دعوة مفسدي الرافضة يحيى الى قتال ابن السعود

(وأهل الحجاز الى الثورة)

ننشر هذه الابيات الآتية من قصيدة نشرتها جريدة حضرموت بامضاء ابن زمزم ليعلم حزبها اننا نعلم انه لاقيمة له ولا تأثير لفتنته عند الامام يحيى ولا عند غيره بالأولى ، فلم يبق لهم ملجأ بعد خذلان أبي الاشبال لهم الا أن يتضرعوا الاخوانهم في ايران فيقيموا لهم ملكا كالملك الذي أقاموه لأئمة آل البيت من قبلهم ! قال الناظم الاحمق :

يانفس ذوبي وياقلب اتقد ألما ... وامطري الدم ياعيني منسجما
وياقضاء إلهي لاتذر أبداً ... في القوم من ناطق بعد الذي دهما
دهى الجزيرة خطب لاحدود له ... أعيا النهى وأثار الشر والنقما
خطب يعيد بلاد العرب أندلسا ... أخرى ويرمي على طول المدى حمما
فلست مستصرخا بالمسلمين وهم ... يرون مافاض في بيت الهدى وطمى
وما أصيب به دين النبي ضحى ... والامر لله يجريه بما حكما
لكنني [1] سوف أدعو من اذا كشفت ... عن ساقها الحرب كان الصارم الخذما
ومن نحدر من بيت محانده . ... ان أجدب الناس كانوا فيهمو ديما
ومن أتى جده الهادي وعترته ... من بعده مابقوا بين الورى نعما

(١) مفهوم هذا الاستدراك أن الامام الذي يدعوه وجماعته ليسوا من المسلمين !!

نفسي الفداء لأهل البيت لا بقيت نفس اذا لم تسر في حبهم قدما
يا ملجئي وأمير المؤمنين ومن نلقي عليه من الآمال ماعظما
يا راعي اليمن الخضراء يملؤها تقى وعدلا وإيمانا بها اعتصما
يا تاج يعرب والاسلام قاطبة يا من يجير الحمى والدين والذمما
ويا شديد العرى في كل نائبة أدعوك مولاي للأمر الذي قصما
« يا ابن النبي وأنت اليوم وارثه » حتام يهدم في الاسلام من هدما
حتام يعبث في قلب الجزيرة ؟.. لا خوف من الله لا صدق ولا شمما
سكت المعتدي يستن مندفعا كيما يكون هو البادي الذي ظلما

ثم قال يحث أهل الحجاز على الثورة تمهيداً للزحف الموهوم

فلن يحل لكم دار الحجاز — وقد قنعتموا بالردى لاعزم لاهما
بالله موتوا فقد ماتت شمائلكم ولا حياة لجسم يفقد الشيما
أولا فأحيوا زمانا كنتمو شهبا فيه وثوروا سراعا واحملوا العلما
كأنكم بأبي الاشبال سيدنا يحيي الامام يقود البحر ملتطما
كأنكم بحميد الدين يهتف في أكناف مكة: زال البؤس منتقما
من خلفه ضيغم الفتيان احمد قد خاض العجاج ففز الخصم وانهزما
وخلص البيت مما قد أحاط به ورد للعرب والاسلام ماعدما

﴿ حجاج الشيعة الايرانيين ومصر ﴾

تعددت الاخبار من سورية بأن كثيراً من حجاج الشيعة الايرانيين قد وفدوا عليها في طريقهم إلى الحجاز عصيانا لحكومتهم في طاعة الله تعالى. وذلك ان هؤلاء الحجاج قد رأوا ان الاراجيف التي نشرت في العام الماضي لمنع الشيعة من الحج كانت كاذبة خاطئة، فالوها بيون لم يسألوا احداً من الحجاج عن مذهبه ولا عن حجه ولا كلفوا احداً اتباع مذهبهم والبلاد كلها آمنة مطمئنة فلا عذر لمسلم في ترك الفريضة مع القدرة اتباعا لهوى حكومته وقد روى الشيخان وأبو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه مرفوعا الى النبي (ص) «لا طاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف» ولكن بعض الملاحدة في مصر يدسون الدسائس لاقناع حكومة مصر باتباع حكومة ايران في منع الحج وتحبيذ عملها، والمسلمون لا يثقون بأقوالهم في امر الدين لانهم خصومه

لا بد من

قتل صاحب المنار

بلغنا أن الكاتب المغرور محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير جريدة السياسة الغرور لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة قد قرر لمرؤسيه محرري جريدة السياسة لا بد من قتل صاحب المنار فوافقوه ، وهم يعنون بهذا القتل ما يكون بأسنة أقلامهم الطعانة. فالمتبادر أنهم يعنون القتل المعنوي أو مايسمونه الأدبي ، وإن كانوا لا يدخرون وسعاً اذا قدروا على إيذائه بغير ذلك كما فعلت السياسة حين اتهمته من قبل بأنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمي (الخديوي السابق) ولولا أن كذبت الحكومة هذه التهمة تكذيباً رسمياً عقب إذاعة جريدة السياسة لها لانتزع صاحب المنار من بين أهله وولده ووضع في غيابة السجن رهن التحقيق فكان ذلك أطرب لرئيس تحرير السياسة من الصبوح والغبوق ، وبلوغ العيوق

كان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة يومئذ إنكاره على علامتها المحقق الشيخ علي عبد الرازق كتابه الذي أنكر فيه التشريع الاسلامي من أساسه ...

وقد تضاعفت ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالمرصاد لجميع أنواع الدعاية الالحادية التي تبثها جريدة لسياسة باسم التجديد والثقافة العصرية التي تزعم أن مصر بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاسلام التي مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها ، ويتبعها في ذلك سائر العرب بزعمها

يظن مغرور السياسة أن الذي يطلق لسانه وقلمه من كل قيد من قيود الحق والصدق والأدب يستطيع اذا كان ذا خلابة أن يجعل الحق باطلا والنور ظلاما والشرف خسة والفضيلة رذيلة ، ويظنون أنهم فعلوا بخلابتهم بسعد ووفده مالم يفعله جيش الاحتلال ، وفعلوا لحزبهم مالا يسمح لنا ببيانه المجال ... هذا وان سعداً قد بلغ من ارتفاع المكانة في مصر مالم يبلغه أحد يعرفه التاريخ فماذا يكون رشيد رضا الغريب السوري الضعيف ؟ يقولون إذا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه في مسألة مؤتمر الخلافة ، كما قتلنا الازهر نفسه فهو الآن مثخن جراحا وسنقضي عليه ببضع مقالات أخرى

غرور كبير ما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم ، وسنقضي بحول الله وقوته على اباطيلهم ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ولكم الويل مما تصفون ﴾

﴿الجزء الرابع﴾ ١٣٤٥ ﴿المجلد الثامن والعشرون﴾

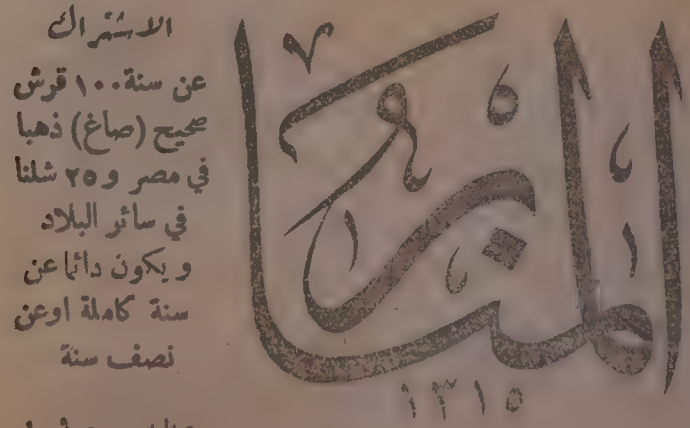

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

﴿عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر »﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو﴾
﴿أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك﴾
﴿الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ،﴾
﴿ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل﴾

فهرس الجزء الرابع من المجلد ٢٨ من المنار

تفسير القرآن الحكيم - وفيه بحث نزغ الشيطان ومسه واتقاء شر وسوسته بالاستعاذة بالله تعالى وذكره وكونه لا سلطان له على المتقين الذين لا تطول غفلتهم عن ذكر الله تعالى وافساده للغافلين الفاسقين ولاسيما المنكرين للشياطين . وفيه تشبيه استعداد النفوس والارواح لنزغات الشياطين باستعداد الاجساد بقسم ميكروبات الامراض، وكون الحصانة الروحية من إغواء الشيطان كالمناعة الجسدية من الامراض وضرب أمثلة واقعية في ذلك، ومساعدة شياطين الجن لشياطين الانس ص ٢٤١ وفيه اقتراح للمشركين الآيات على الرسول وكونه متبعاً لما يوحى اليه لا يقدر على الآيات القرآنية ولا الآيات الكونية ص ٢٥٣ وفيه وجوب الاستماع والانصات للقرآن وذكر الله النفسي واللساني وصفتهما وتأثير هذا وذاك في اصلاح البشر

﴿ باب الفتاوي ﴾

فيه استفتاء طويل في فتوى من الهند في كون تأويل آيات الصفات لا ينافي كون المتأول لها من أهل السنة والجماعة لا من أهل البدع وتقرير أي المنار فيها من ٢٦١

﴿ نشر الصفحات المطوية ﴾ قاعدة جليلة في أحكام السفر والاقامة لابن تيمية ٢٧٢

﴿ المقالات ﴾ (الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى) نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ٢٨٥

محاضرة مستر كراين عن الحجاز واليمن ٢٨٩

السعي لمنع الحج ومفاسد البدع ٢٩٣

بلاغ رسمي (للحكومة المصرية في مسألة المحمل والحج ٢٩٥

بلاغ الحكومة الحجازية (في مسألة المحمل والحج) ٢٩٦

الحج ومسائل الخلاف بين حكومتي مصر والحجاز ٢٩٩

كسوة الكعبة المعظمة ٣٠٩

قانون الاحوال الشخصية بمصر - والتنازع بين جمود الفقهاء المقلدين ، والحاد زنادقة المتفرنجين

مشروع مرسوم بقانون خاص ببعض الاحكام الشخصية ٣١١

باب الاخبار والآراء : الاحتفال بتكريم أمير الشعراء احمد شوقي بك ٣١٣-٣١٤

مسألة نفقات مؤتمر الخلافة في مجلس النواب ص ٣١٥ - ٣١٩

صاحب المنار وجريدة السياسة ٣١٩

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ ١١ برج الجوزاء سنة ١٣٠٦ هـ ش ٣١ مايو سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

(٢٠٠) وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (٢٠١) إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (٢٠٢) وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

بين الله تعالى في الآية التي قبل هذه الآيات أفضل ما يعامل البشر به بعضهم بعضا من الوصايا الثلاث التي لا يمكن شرح التعامل بها تفصيلا إلا بسفر كبير، ولو عمل الناس بهذه الوصايا لصلحت أحوالهم ولم يجد الفساد اليهم سبيلا - ثم قفى عليها بهذه الثلاث الآيات في الوصية باتقاء إفساد الشيطان أي جنسه لجنس البشر، والمراد هنا شياطين الجن المستترة، فالتناسب القريب بينهن وبين ماقبلهن المقابلة بين معاملة البشر ومعاملة الجن، ومن فروعه التناسب بين الجاهلين أي السفهاء

الذين أمرت الآية السابقة بالاعراض عنهم اتقاء لشرهم، وبين الشياطين التي أمرت هذه الآيات بالاستعاذة بالله منهم اتقاء لشرهم، وبعبارة أخرى: اتقاء شر شياطين الانس وشياطين الجن، فان الشيطان هو الشرير المفسد من الفريقين كما تقدم في سورة الانعام، ومن فسر آيات (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) الخ بما مر من أن شرك الابوين فيما آتاهما الله من الولد الصالح كان باغواء الشيطان يرجعون إليه في التناسب بين الآيات، يقولون إن الآية بينت لنا أن وسوسة الشيطان لأبوينا كانت سبب ماوقع لهما من الشرك فيما آتاهما من الولد - والأولى ارجاع التناسب في هذه المسألة الى مابين في أوائل السورة من خلق آدم وحواء ووسوسة الشيطان لهما - ومابين في خواتيمها من الارشاد الى اتقاء نزغ الشيطان ومسه - وهو ما أشرنا اليه في بدء سياق هذه الخاتمة

قوله تعالى ﴿ وإمّا ينزغنك الشيطان نزغ ﴾ قال الراغب النزغ دخول في أمر لافساده. واستشهد له بقول يوسف عليه السلام (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي). وفي الأساس: نزغه مثل نسغه اذا طعنه ونخسه. ومن المجاز: نزغه الشيطان - كأنه ينخسه ليحثه على المعاصي. و نزغ بين الناس - أفسد بينهم بالحث على الشر اه فالنزغ كالنسغ والنخس والنخز والنغز والنكز والوكز والهمز ألفاظ متقاربة المعنى وأصله إصابة الجسد برأس شيء محدد كالابرة والمهماز والرمح أومايشبه المحدد كالاصبع والمراد من نزغ الشيطان إثارته داعية الشر والفساد في النفس بداعية غضب أوشهوة حيوانية أومعنوية بحيث تتقحم صاحبها الى العمل بتأثيرها كما تنخس الدابة بالمهماز لتسرع وغلب استعماله في الشر فقط، وانما قال ينزغنك نزغ والمراد نازغ لأن اسناد الفعل الى المصدر أبلغ. والشيطان تقدم الكلام فيه وفي الجن مراراً أوسعها ماورد في تفسير قوله تعالى (٦ : ٦٨ وإما ينسينك الشيطان) الآية [1] وتفسير قوله تعالى (٦ : ٧١ كالذي استهوته الشياطين في الأرض) الآية [2] من سورة الانعام وتفسير قصة آدم من هذه السورة والذي يناسب منها ماهنا وهو اغواء الناس بالوسوسة قوله تعالى حكاية عن الشيطان (٨:١٥ قال

(١) راجع ص ٥٠٧ - ٥١٦ ج ٧ تفسير (٢) ص ٥٢٤ - ٥٦٩ منه

فبما أغويتني) الخ[1] وقوله تعالى (٢٦:٨ يابني آدم لا يفتننكم الشيطان) الخ[2]

وملخص مايجب اعتقاده أنه ثبت في وحي الله تعالى الى رسله أن في عالم الغيب خلقاً خفياً اسمه الشيطان لاندركه حواسنا له أثر في أنفسنا فهو يتصل بها ويقوي داعية الشر فيها بما سماه الوحي وسواساً ونزغاً ومساً، ونحن نجد أثر ذلك في أنفسنا وإن لم ندرك مصدره ، وقد شبهنا تأثير هذه الشياطين الخفية في الارواح بتأثير النسم الخفية المادية المسماة بالبكتيريا وبالميكروبات في الاجساد ، فقد مرت القرون التي لا يحصيها إلا رب العالمين والناس يجهلون هذه النسم الخفية ويجهلون فعلها لعجز الابصار عن ادراكها بنفسها وعن رؤية فعلها لدقتها وتناهيها في اللطف والصغر الى أن اخترعت في هذا العصر المرايا أو النظارات المكبرة التي ترى الجسم أضعاف أضعاف جرمه فبها رؤيت وعلم مايحدث بسببها في المواد السائلة والرخوة وكل ذات رطوبة من التحول والتغير كالاختمار والفساد وغيرهما ومن الامراض المعدية في الانسان والحيوان كما فصلناه من قبل

وحكمة إخبار الله تعالى إيانا على ألسنة رسله عليهم السلام بهذا العالم الغيبي المعادي لنا الضار بأرواحنا كضرر نسم الامراض بأجسادنا أن نراقب أفكارنا وخواطرنا ولا نغفل عنها ، كما نراقب مايحدث في أجسادنا من تغير في المزاج ، وخروج الصحة عن الاعتدال، فنبادر الى علاجه ـ فمتى فطنا بميل من أنفسنا الى الشر أو الباطل عالجناه بما وصفه الله تعالى لنا من العلاج في هذه الآية وهو قوله

عز رجل ﴿فاستعذ بالله انه سميع عليم﴾ أي فالجأ الى الله وتوجه اليه ليعيذك من شر هذا النزغ ، فلا يحملنك على مايزعجك اليه من الشر ، الجأ الى الله بقلبك ، وعبر عن ذلك بلسانك ، فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : انه تعالى سميع لما تقول عليم بما تتوجه اليه ، فهو يصرف عنك تأثير نزغه بتزيين الشر . ومن المجرب ان الالتجاء الى الله تعالى وذكره بالقلب واللسان ، يصرف عن القلب وسوسة الشيطان ،

---

(١) راجع ص ٣٣٧ ـ ٣٤٤ ج ٨ تفسير (٢) ص ٣٦١ ـ ٣٧٢ ـ منه

والخطاب في هذه الآية وأمثالها من آيات التشريع والتأديب موجه الى كل مكلف يبلغه وأولهم الرسول ﷺ ، ومن المفسرين من يقول انه للنبي ﷺ والمراد أمته . وقد تقدم الخلاف في ذلك في تفسير (٦ : ٦٨ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان) الآية فقد اختلف مفسروها في ترجيح توجيه الخطاب فيها. وذكرناهنالك آية الاعراف هذه وان ظاهر السياق فيها ان الخطاب للنبي ﷺ وإن كان يأتي فيه الوجوه الأخرى في مثلها ، ولكن نزغ الشيطان أقوى من انسائه ، ومن مسه المبين في الآية التالية فالمختار عندي الآن عصمته (ص) منه وذكرت في الكلام هنالك حديث عائشة وابن مسعود في صحيح مسلم « مامنكم أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ـ قالوا وإياك يارسول ؟ قال ـ وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم » وهو سياق طويل يراجع هنالك

وقد ورد في سورة حم السجدة (فصلت) مثل هذه الآية بعد آية في معنى قوله (واعرض عن الجاهلين) في آخر الآية التي قبلها ولكن بتعريف السميع العليم وقال صاحب الدرة في الفرق بينهما مانصه :

قوله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال في سورة حم السجدة (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) للسائل أن يسأل فيقول لأي معنى جاء في الآية من سورة الاعراف سميع عليم على لفظ النكرة وفي سورة حم السجدة معرفتين بالألف واللام مؤكدتين بهو ؟ (والجواب) أن يقال ان الاول وقع في فاصلة ماقبلها من الفواصل أفعال جماعة أو أسماء مأخوذة من الافعال من نحو قوله (فتعالى الله عما يشركون) وبعده يخلقون ، وينصرون ، ويبصرون ، والجاهلين ، فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الاسماء المؤدية معنى الفعل أعني النكرة وكأن المعنى استعذ بالله انه يسمع استعاذتك ويعلم استجارتك ، والتي في سورة حم السجدة قبلها فواصل يسلك بها طريق الاسماء وهي مافي قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فقوله (ولي حميم) ليس من الاسماء التي يراد بها الافعال وكذلك

قوله (انه لذو حظ عظيم) ليس في لفظ معنى فعل ، فأخرج (سميع عليم) بعد الفواصل التي هي على سنن الاسماء على لفظ يبعد عن اللفظ الذي يؤدى معنى الفعل فكأنه قال انه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم فليس القصد الاخبار عن الفعل كما كان في الأولى انه يسمع الدعاء ويعلم لاخلاص فهذا فرق ما بين المكانين إه فتأمله فانه دقيق جداً . ثم بين تعالى وجه سلامة من يستعيذ من وسوسة الشيطان لازالة جهل من لم يعلمه أو من يفقهه فقال

﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾

الطوف والطواف والطيف بالشيء الاستدارة به أو حوله. فهو واوي يائي يقال طاف يطوف ويطيف بالشيء (كقال وباع) وطاف الخيال يطيف طيفا : جاء في النوم . وطيف الخيال ما يرى في النوم من مثال الشخص وأصله طيف بالتشديد كميت وميت . وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب هنا « اذا مسهم طيف » والباقون « اذا مسهم طائف » والمعنى واحد ورسمه في المصحف الامام (طـف) كرسم (مـلك) في سورة الفاتحة فتؤدَّى قراءة وزن فاعل من الكلمتين بمد الحرف الاول . والمس في أصل اللغة كاللمس ومما يفترقان فيه ان المس يقال في كل ماينال الانسان من شر وأذى بخلاف اللمس ، فقد ذكر في التنزيل مس الضر والضراء والبأساء والسوء والشر والعذاب والكبر والقرح واللغوب والشيطان وطائف الشيطان ، ولم يذكر فيه مس الخير والنفع إلا في قوله في سورة المعارج (إن الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين) فقد ذكر الخير هنا في مقابلة الشر ولكن المقام مقام منع الخير لا فعله . واستعمل المس والمسيس بمعنى الوقاع وهو مجاز مشهور كاستعماله في الجنون مجازا

ومعنى الآية « ان الذين اتقوا » وهم خيار المؤمنين الذين وصفوا في أول سورة البقرة « اذا مسهم » أي ألمّ أو اتصل بهم طيف أو « طائف من الشيطان » ليحملهم بوسوسته على المعصية ، أو ينزغ بينهم لايقاع البغضاء والتفرقة ، « تذكروا » ان هذا من عدوهم الشيطان وإغوائه ، وما أمر الله تعالى به في هذه الحال من الاستعاذة به والالتجاء اليه في الحفظ منه ، وقال بعضهم تذكروا ما أمر الله تعالى

به ونهى عنا ، وقال آخرون: تذكروا عقاب الله لمن أطاع الشيطان وعصى الرحمن، وجزيل ثوابه لمن عصى الشيطان وأطاع الرحمن، وقال بعضهم : تذكروا وعده ووعيده - ومآل الاقوال كلها واحد وهو يعمها - كما تفيده قاعدة حذف المفعول - « فاذا هم مبصرون » أي فاذا هم أولوا بصيرة وعلم برأ أنفسهم أن تطيع الشيطان، فهو انما أخذ وسوسته الغافلين عن أنفسهم لا يحاسبونها على خواطرها الغافلين عن ربهم لا يراقبونه في أهوائها واعمالها، ولا شيء أقوى على طرد الشيطان من ذكر الله تعالى بالقلب، ومراقبته في السر والجهر، فذكر الله تعالى بأي نوع من أنواعه يقوى في النفس حب الحق ودواعي الخير، ويضعف فيها الميل الى الباطل والشر، حتى لا يكون للشيطان مدخل اليها، فهو إنما يزين لها الباطل والشر بقدر استعدادها لأي نوع منهما . فان وجد بالغفلة مدخلا الى قلب المؤمن المتقي لا يلبث أن يشعر به لانه غريب عن نفسه، ومتى شعر ذكر فأبصر فخنس الشيطان وابتعد عنه

فمثل المؤمن المتقي في عدم تمكن الشيطان من اغوائه وان تمكن من مسه كمثل المرء الصحيح المزاج القوي الجسم النظيف الثوب والبدن والمكان لا تجد جنة الامراض المفسدة للصحة استعدادا لافساد مزاجه واصابته بالامراض فهي تظل بعيدة عنه فان مسه شيء منها بدخوله في معدته أو دمه فتكت بها باسم الصحة والعافية فحالت دون فتكها به - وهو ما يسمى في عرف الطب المناعة - وكذلك يكون قوي الروح بالايمان والتقوى غير مستعد لتأثير الشيطان في نفسه، فهو يطوف بها يراقب غفلتها وعروض بعض الاهواء النفسية لها من شهوة أو غضب أو داعية حسد أو انتقام، فمتى عرضت افترصها، فلابس النفس وقواها فيها، كما تلابس الحشرات القذرة أو جنة الامراض الخفية ما يعرض من القذر للنظيف والضعف للقوي، فاذا أهملها بالغفلة عنها فعلت فعلها، وإذا تداركها نجا من ضررها، ويحسن أن يعبر عن هذا بالحصانة، فيقال مناعة جسدية وحصانة نفسية او روحية.

ذكرنا في الكلام على الشيطان من أوائل سورة البقرة أن الانسان يشعر بقدر علمه بتنازع دواعي الخير والشر والحق والباطل في نفسه، وأن لداعية الحق والخير ملكا يقويها، ولداعية الباطل والشر شيطانا يقويها، وان النبي

(ص) بين هذا بقوله «ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان » ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) رواه الترمذي والنسائي في الكبير وابن حبان عن ابن مسعود وعلم عليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة ، ولكن الترمذي قال حسن غريب لا نعلمه مرفوعا الا من حديث أبي الاحوص . وذكرنا هنالك بعض كلام الامام الغزالي في هذا المقام وله فيه تفصيل حسن طويل في كتاب شرح عجائب القلب وغيره من الاحياء والمحقق ابن القيم كتاب خاص في ذلك اسمه (إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان) فمن قرأ أمثال هذه الكتب ، كان من وسوسة الشيطان على حذر

وما زال الصالحون المتقون يراقبون خواطرهم ويجاهدون الوسواس الذي يلم بها ولهم حكايات في ذلك غريبة . حدثني الشيخ عبد الغني الرافعي الفقيه الصوفي انه دخل في أيام سلوكه وهو في ميعة شبابه بستانا في طرابلس يعمل فيه نساء من نصارى لبنان فاذا بشابة جميلة منهن في مكان خلو فنزغ الشيطان بينه وبينها حتى همّ بمباشرتها فتذكر قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فتردد وانكمش ثم صاورته ثورة الغلمة تهون له الأمر ، ولج به الوسواس : همّ همّ ، فقوي سلطان الآية في قلبه حتى صار قلبه يتلو بصوت يسمعه بأذنيه (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) قال فجعلت أقول بيدي فوق صدري هكذا - يعني يمسحه كمن ينحي عنه شيئا - أحاول اسكات قلبي فلم استطع إسكاته فتوليت عن المرأة وحفظني الله بذكر الآية من الفاحشة وله الحمد.

وأقول تحدثا بنعمة الله تعالى ان الشيطان لم يبلغ مني غرة يدعوني فيها الى الفاحشة قط فما ذكرته في مقصورتي في سياق حادثة امتحان امتحنني الله تعالى بها ، وقد استمر بفضل الله تعالى من سن الشباب الى سن الشيخوخة ، وأسأله بفضله حسن الخاتمة. وذلك قولي في فتاة بارعة الجمال طلبت مني أن أضع يدي على صدرها أرقيه

ورب ملداء خميصة الحشا بهنانة ترنو بألحاظ اللأى
رقراقة شف زجاج وجهها عن ذوب ياقوت وراه جرى
خاشعة اللحاظ والطرف أتت تلتمس الدعاء مني والرُّقى
أواه يامولاي صدري ضاق عن قلبي وما يفيض عنه من جوى (١)
فضع عليه يدك التي بما بارك فيها الله تبرىء الضنى
أتت فتى خاف مقام ربه مازال ينهى نفسه عن الهوى
لم يقترف فاحشة قط ولم يعزم ولا همّ بها ولا نوى
بغرة منها وحسن نية في معزل تُشهيه أقصى ما اشتهى
مما يمنيه به شيطانه من حيث لا يطمع منه في خنا
لكنه استعصم راويا لها ما أمر الله به وما نهى

(وما أبرىء نفسي) مما دون كبائر الاثم والفواحش وهو اللمم (إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) ولا أعد من اللمم حضور المراقص النسائية وملاهيها، فأحمد الله تعالى أن نفسي لم تطالبني بحضورها يوما ما، ولم يجد شيطان الجن من نفسي ميلا اليها فيزينها لي بوسوسته، ولكن دعاني اليها بعض شياطين الجن لاجل اختبارها والنهي عنها على معرفة فأبيت وقلت للداعي حسبك من شر سماعه، على انني رأيت نموذجا من أهونها عرضا لا قصداً اليها، وذلك في بعض ملاهي تمثيل القصص التاريخية أو الوصفية في ليلة خيرية، ولم أكن أعلم باستحداث ذلك فيها، وأحمد الله تعالى انني مقتها على غرابة الصنعة والزينة فيها، وخرجت من المكان وآليت أن لا أعود اليه، فقد صارت هذه الاماكن بؤر فساد، وكان فيها شيء من الادب والعبرة وتمرين العوام على اللغة العربية الصحيحة التي تقرب من الفصيحة في الجملة، ولم يكن يرى الناس فيها من منكرات الزي أكثر مما يرى في الاسواق والشوارع، فأصبحت كالخمر إثمها أكبر من نفعها

قد يقول من يظنون أن يوسف الصديق عليه السلام هم بالفاحشة : انك قد فضلت نفسك عليه بزعمك أنك لم تهم وهو قد هم، وأقول انه وإن اختلفت الحال والداعية،

(١) هذا البيت وما بعده حكاية لمعنى قول الفتاة

فانه عليه السلام لم يهم بالفاحشة ، وانما همت امرأة العزيز وهم هو بالانتقام ، وهو بطشها به بالقتل أو الضرب ، ودفاعه عن نفسه بالفعل ، وهذا هو المعتاد في مثل هذه الحال بمقتضى الطبع البشري وشواهده تقع دائما ، والعبارة تدل عليه دون الاول ، فانه لا يقال همَّ بالشخص في مقام الخلاف والمغاضبة الا اذا أريد الهم بالضرب أو ماهو مثله أو فوقه من الايذاء ، ولا يقال ان المرأة همت بالرجل بالمعنى الآخر لأن الهم يتعلق بالعمل دون الشخص وهي في المباشرة مواتية لا عمل لها ، وما استبقا الباب إلا وهو فار من ثورة غضبها وهي مواثبة له تريد البطش به لاهانته إياها بمخالفتها وهو غلامها ، بعد أن ابتذلت نفسها ببذلها له . وما معنى قوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) إلا عصمته من البطش بها دفاعا عن نفسه وهو السوء ، وعصمته مما دعته اليه وهو الفحشاء ، ولولا الروايات الاسرائيلية في القصة لما خطر ببال المفسرين الراسخين في ذوق اللغة العربية غير هذا المعنى ، وكم لفتتهم تلك الروايات عما هو أوضح منها ، فتأولوا وتكلفوا لتصحيح حمل الكلام عليها ؟ وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه

الشيطان يزين لكل أحد من الناس ماهو مستعد له وقريب من أخلاقه وآرائه التي تربى عليها ، ومناسب لحاله وشعوره الذي يكون عليه ، فاذا أراد الصلاة في الليل وهو في حال نعاس أو فتور زين له النوم وترك الصلاة الى وقت اليقظة والنشاط لأجل اقامتها كما يرضى الله تعالى !! فاذا خالفه وشرع في الصلاة زين له بوسوسته العجلة والاختصار ، وقراءة السور القصار ، أو قراءة السورة من متوسط المفصل في ركعتين أو أكثر ، واذا وجد منه جداً ونشاطا فيها فقد يزين له المبالغة في التطويل ليسرع اليه الملل ، و « أحب الاعمال الى الله أدومها وإن قل » كما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث عائشة . واذا كانت تربيته الدينية منفرة من الكبائر ، أغراه بمقدماتها ووسائلها من الصغائر ، وربما أفتاه بقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدخلا كريما) وليس المراد بهذا أن يحتقر الانسان الصغائر ويتعمدها ويواظب عليها كالمستحل لها ، فان مثل هذا قلما يسلم من التدرج منها الى الكبائر . ولكن المراد به اللمم وهو مايلم به المرء

اذا ماعرض له ولا يتعمق فيه ولا يصر عليه ، بل يلوم نفسه عليه ويتوب منه ، (وقد بينت هذا المعنى في الكلام على التوبة من تفسير سورة النساء ـ ج ٤) فاذا تاب تنتقل نفسه به من دركة (النفس الامارة بالسوء) الى درجة (النفس اللوامة) ولا يزال يجاهدها في مثله الى أن يرتقي الى درجة (النفس المطمئنة) فاذا هو أطاع النفس الأمارة بالسوء فانها تهبط به الى دركة الفحش والفجور ، وربما تهوي به الى استحلال المعاصي وهو من الكفر ، كمن يتتبع النظر بشهوة الى بعض الحسان فينتقل من النظر الى المغازلة ، ومن المغازلة الى المهازلة ، ومن المهازلة الى الملاعبة والمباعلة ، ومنها الى المفاعلة . قال الشاعر العربي

فلما رأتني رأرأت ثم أقبلت تهازلني والهزل داعية العهر

وقال شاعر مصر في التنقل من كل حالة الى مابعدها

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وقد استفتاني شاب مصري افتتن بفتاة شغفته حباً فكان يخلو بها ـ لما في مصر في هذا العهد من إباحة ذلك ـ فيتداعبان حتى يخشى على نفسه الفضيحة الكبرى ثم يتفارقان فيندم ويتوب ، ويعزم أن لايعود ، حتى اذا مازارته نقض العزم ثم يفارقها فيبرمه ويؤكده باليمين ، ثم تغلبه على أمره فينكث ما أبرم ، ويحنث بما أقسم ، حتى قال أخيراً : لئن عدت لأكونن بريئاً من دين الاسلام ، ولكنه عاد مغلوبا على أمره ، لايملك تجاه سحر فاتنته شيئاً من قوة ارادته ، فعظم هذا الحنث العظيم عليه ، وجاءني مستفتياً فيما وقع فيه وما يجب عليه ، فوعظته وأرشدته بما ألهمني الله تعالى ولم يعد إلي بعد ذلك ، فلا أدري كيف انتهت فتنته ، وقد حدث هذا منذ بضع عشرة سنة هبطت بها البلاد المصرية الى الدركات السفلى من الاباحة

الراجح أن هذا الشاب من احد البيوت التي لاتزال فيها بقية من التربية الدينية ، وأخلاق العفة والحياء الموروثة ، وهذه التربية وهذه الاخلاق التي كان بها الشعب ذا وجود ممتاز مستقل في نفسه ، فطفق دعاة الالحاد والزندقة وإباحة الشهوات يهدمونها باسم التجديد المدني ، والتقليد الأوربي ، ومنه وجوب السفور الذي يعنون به إباحة اختلاط النساء بالرجال ، ومعاشرة الفتيان للفتيات بحجة التمهيد للزواج عن تعارف وحب واختبار . . . وقد تفاقمت استباحة التهتك والفجور

في هـذه السنين الى حد ينذر بهلاك هذه الأمة ، فالنساء يرقصن مع الرجال كاسيات عاريات، ويسبحن معهن في شواطيء البحار، وقلما تعاشر الفتاة العذراء شابا ولو بقصد الزواج عن تعارف وحب واختبار ، إلا وينتهي هـذا الاختبار بفضيحة الافتراع ، ثم لايكون الزواج مضمونا، واذا وقع لايكون الوفاق غالبا، ولا حب شهوة الصبا دائما ، بل يصير الاختبار لكل منهما عادة من العادات ، والتنقل من حبيب الى آخر من أفتن اللذات ، وان الله يبغض الذواقين والذواقات

وقد استفتاني رجل في امرأة مسلمة متزوجة تختلف الى بيت رجل غير مسلم ولا وطني تزوره بعد العصر في شهر رمضان ثلاثة أيام في الاسبوع فتمكث معه الى قرب المغرب : هل يجوز له أو يجب عليه إيذان بعلها بذلك ؟ وذكر ان سبب افتتان هذه المرأة الخبيثة بهذا الرجل الخبيث انها عرفته عاملا في صيدلية قصدتها مرة لشراء دواء منها فتصباها حتى صارت تختلف الى الصيدلية لأدنى حاجة ثم لغير حاجة الخ

فسدت العقائد والاخلاق وتركت العبادات، وأبيحت الأعراض واستبيحت المحرمات ، وعبد الشيطان في معصية الرحمن ، وتوجد جمعيات من الرجال ومن النساء يزينون للناس كل هذه الفضائح والقبائح باسم التجديد والتمدن، ولهم جرائد تنشر دعاية الالحاد والزندقة ، والاباحة المطلقـة ، إلا من بعض قيود قانون العقوبات في الظاهر دون الباطن. واذا أنذرهم منذر ، وحذرهم من طاعة الشيطان محذر ، قالوا : وما الشيطان؟ وما الدليل على وجود الشيطان؟ فان قلت لهم ان أطباء الارواح ، واساة أمراض الاجتماع ، قد حذرونا بأمر الله خالق مايرى ومالا يرى من نزغ الشيطان ، وتزيينه للفسوق والعصيان ، كما يحذرنا أطباء الاجساد من «ميكروبات» الأمراض ، فهل من مقتضى العقل أن نرد كلام هؤلاء الاطباء بحجة أننا لم نر تلك الميكروبات المرضية، وأن لانقبل كلامهم ولا نستعمل أدويتهم إلا بعد رؤية ما رأوا ، واختبار ما اختبروا ؟ ألم يقم الدليـل على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام في التبليغ عن وحي الله عز وجل ، بلى وقد ثبت بالتجربة والاختبار ان من اتبعوهم صحت عقائدهم، واستقامت أخلاقهم ، وصلحت أعمالهم،

وحفظت صحتهم وأعراضهم وأموالهم، فتجربة معالجتهم لأمراض الأنفس والارواح، أثبت من تجربة معالجة الاطباء لامراض الاجساد . وقد ثبت بالمشاهدة والاختبار أيضاً ان هؤلاء الماديين المنكرين لوجود الشياطين هم أشد فساداً وإفساداً منهم : سكيرون مقامرون ، زناة لوطيون ، كذابون منافقون ، مرتشون سراقون ، (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون * ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون)

وفي مثل هؤلاء يقول الله تعالى في هذا السياق ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ الغي الفساد . والمدّ والامداد الزيادة في الشيء من جنسه ، وقد قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد والجمهور بفتح الياء وضم الميم من المدّ وقري، في الشواذ يمادّونهم بصيغة المشاركة، والمد يستعمل في القرآن في الخلق والتكوين كقوله تعالى (وهو الذي مدّ الارض * ألم تر الى ربك كيف مد الظل * والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) وفي مد الناس فيما يذم ويضر كقوله (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا * ونمد له من العذاب مدا * ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وأما الامداد ففيما يحمد وينفع كقوله تعالى (أمدكم بأنعام وبنين * وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) ومنه امداد النبي (ص) والمؤمنين بالملائكة يثبتون قلوبهم في غزوة بدر ، وحملت قراءة نافع هنا على التهكم . والاقصار التقصير وأقصر عن الأمر تركه وكف عنه وهو قادر عليه

والمعنى مع سابقه أن شأن المؤمنين المتقين اذا مسهم طائف من الشيطان لحلمهم على محاكاة الجاهلين والخوض معهم وعلى غير ذلك من المعاصي والفساد تذكروا فأبصروا فحذروا وسلموا ، وان زلوا تابوا وأنابوا وأن اخوان الشياطين وهم الجاهلون غير المتقين يتمكن الشياطين من اهوائهم فيمدونهم في غيهم وفسادهم لانهم لا يذكرون الله تعالى اذا شعروا في أنفسهم بالنزوع الى الشر والباطل والفساد في الارض ولا يستعيذون به سبحانه من نزغ الشيطان ومسه فيبصروا ويتقوا — إما لانهم لا يؤمنون بالله ،

وإما لأنهم لا يؤمنون بأن للانسان شيطانا من الجن يوسوس اليه ويغريه بالشر — ثم لا يقصرون ولا يكفون عن اغوائهم وافسادهم ، فلذلك يصرون على الشرور والفساد لفقد الوازع النفسي والواعظ القلبي . وفي هذا التفسير عود الضمير الى الشيطان بالجمع لأن المراد به الجنس لا الشخص كما تقدم وهو استعمال عربي معروف ومنه (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) . وقيل ان الضمير يعود الى الجاهلين ، أي واخوان أولئك الجاهلين من الانس وهم شياطينهم يمدونهم في غيهم وفسادهم ، فيكونون أعوانا لشياطين الجن في ذلك كما بيناه في تفسير الآية التي قبل هذه

(٢٠٣) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

الاجتباء افتعال واختصاص من الجباية . يقال جبى العامل المال يجبيه وجباه يجبوه اذا جمعه للسلطان القيم على بيت مال الامة . و : اجتباه اذا جمعه واصطفاه لنفسه أو احتازه لها ، وفي الكشاف اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه — أو جبي إليه فاجتباه أي أخذه ، كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها اه والآية هنا آية القرآن كما روي عن ابن عباس أو المعجزة المقترحة من قبل المشركين كما روي عن مجاهد وقتادة

والمعنى واذا لم تأتهم أيها الرسول بآية قرآنية بأن تراخى نزول الوحي زمنا ما قالوا لولا افتعلت نظمها وتأليفها واخترعتها من تلقاء نفسك : أو اذا لم تأتهم بآية مما اقترحوا عليك قالوا : هلا جباها الله لك بأن مكنك منها فاجتبيتها وأبرزتها لنا ﴿ قل إنما أتبع مايوحى إليّ من من ربي ﴾ فما أنا بمبتدع ولا مجتب لشيء من آيات القرآن بعلمي وبلاغتي بل أنا عاجز عن مثله كعجزكم وعجز سائر الانس والجن وفي معناه (١٠ : ١٥ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا : إئت بقرآن غير هذا أو بدله — قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا مايوحى إليّ) — أو ما أنا بقادر على ايجاد الآية الكونية ولا بممتنعات على الله في طلبها وانما أنا متبع

لما يوحى إليّ فضلا من ربي عليّ أن جعلني المبلغ عنه - وما عليّ إلا البلاغ المبين ، ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ أي هذا القرآن الذي أوحاه إليّ بصائر وحجج ناهضة من ربكم يعود من تأملها وعقلها بصير العقل بما تدل عليه من الحق إذ هي أدل عليه مما تطلبون من الآيات الكونية لانها تدل عليه مباشرة[1] . وقد سبق في سورة الانعام تفسير قوله تعالى (١٠٤:٦ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) فيراجع لزيادة البيان[2] ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أي وهو هدى كامل يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ، ورحمة في الدنيا والآخرة للذين يؤمنون به ، كما قال تعالى في سورة الانعام أيضا (١٥٤:٦ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥) أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين (١٥٦) أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) الآية[3] قيل ان قوله تعالى لقوم يؤمنون متعلق بالثلاثة وقيل بالهدى والرحمة لان البصيرة قد يتأملها العاقل فيؤمن

---

(٢٠٤) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
(٢٠٤) وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (١٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ

هذه دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن ، والحصانة من نزغ الشيطان ، وهي الاستماع له اذا قرئ ، والانصات مدة القراءة . والاستماع أبلغ من السمع لانه إنما يكون بقصد ونية وتوجيه الحاسة الى الكلام لادراكه ، والسمع ما يحصل ولو بغير قصد ، والانصات السكوت لأجل الاستماع حتى لا يكون شاغلا عن الاحاطة بكل

«١» ص ٣٨٨ ج ٧ تفسير «٢» ص ٦٥٧ منه «٣» راجع ص ٢٠٤ وكذا ٢٧٥ منه

ما يقرأ . فمن استمع وانصت كان جديراً بان يفهم ويتدبر ، وهو الذي يرجى أن يرحم . والآية تدل على وجوب الاستماع والانصات للقرآن إذا قرئ قبل مطلقا سواء كانت القراءة في الصلاة أو خارجها ، وهو مروي عن الحسن البصري وعليه أهل الظاهر ، وخصه الجمهور بقراءة الرسول ﷺ في عهده وبقراءة الصلاة والخطبة من بعده ، وزعم بعضهم أن الآية نزلت في خطبة الجمعة وهو غلط فان الآية مكية وصلاة الجمعة شرعت بعد الهجرة وقال بعضهم ان الامر للندب لا للوجوب ولكن روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فحرم بنزولها الكلام فيها

وحكى ابن المنذر الاجماع على عدم وجوب الاستماع والانصات في غير الصلاة والخطبة . وذلك أن ايجابهما على كل من يسمع أحداً يقرأ فيه حرج عظيم لأنه يقتضي أن يترك له المشتغل بالعلم علمه ، والمشتغل بالحكم حكمه ، والمتباعان مساومتهما ، وتعاقدهما وكل ذي شغل شغله . فأما قراءة النبي (ص) فكان بعضها تبليغاً للتنزيل وبعضها وعظا وإرشادا فلا يسع أحداً من المسلمين يسمعه يقرأ أن يعرض عن الاستماع أو يتكلم بما يشغله أو يشغل غيره عنه ، وهذا شأن المصلي مع إمامه وخطيبه ، إذ هو موضوع الصلاة والواجب فيها ، ولهذا استدلوا بالآية على امتناع القراءة خلف الامام في الصلاة الجهرية واستثنى بعضهم الفاتحة لما ورد من الأحاديث الصحيحة بأن الصلاة لا تجزيء بدونها جمعاً بين النصوص . وورد في السنة سكوت الامام بقدر ما يقرأ المأموم الفاتحة . على انه اذا قرأ الفاتحة مع الامام أو بعده آية آية لا يعد غير مستمع للقرآن ولا غير منصت ، وقد بينا تحقيق الحق في قراءة الفاتحة للمأموم كغيره في متممات تفسيرها من الجزء الأول

ومن فروع طلب الاستماع والانصات ان القاريء لا يطلب منه ترك قراءته للاستماع لقاريء آخر بل يختار لنفسه ما يراه خيراً لها من الأمرين ، فقد يخشع بعض الناس بقراءة نفسه ، ويخشع آخر بالاستماع من غيره ، أو من بعض القراء دون بعض ، واذا تعدد القراء في مكان استمع كل حاضر لمن كان أقرب اليه أو لمن يرى قراءته أشد تأثيراً في نفسه . وما يفعله جماهير الناس في المحافل التي يقرأ فيها القرآن بمصر كالمآتم وغيرها من ترك الاستماع والاشتغال بالأحاديث

المختلفة مكروه كراهة شديدة ، وتكون على أشدها لمن كانوا على مقربة من التالي. وأما تعمد الاعراض عن السماع للقرآن فلا يكاد يفعله مؤمن به ، وكذلك رفع الصوت بالكلام على صوت القاري، عمداً ، فاذا كان الله تعالى قد أدب المؤمنين مع رسوله (ص) بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) فرفع أصواتهم على صوت التالي لكلامه عز وجل أولى بأن ينهى عنه ، والأدب معه فوق الادب مع كلام النبي (ص) بالضرورة . وقد كان الصحابة وغيرهم من فصحاء العرب يعبرون عن سماع القرآن بقولهم : سمعت الله تعالى يقول كذا .

ولا يجوز لقاري، أن يقرأ على قوم لا يستمعون له ، فان كان في المجلس كثير من الناس يستمعون وينصتون ، فشذ بعضهم بمناجاة صاحبه بالجنب من غير تهويش على القاري، ولا على المستمعين كان الخطب في هذا هينا لا يقتضي ترك القراءة ولا ينافي الاستماع

ويجب على كل مؤمن بالقرآن أن يحرص على استماعه عند قراءته كما يحرص على تلاوته، وأن يتأدب في مجلس التلاوة، وملاك هذا الأدب للقاري، أن لا يكون منه ولا من غيره ولا من حال المكان ما يعد في اعتقاده أو في عرف الناس منافيا للأدب ، وقد ذكر الفقهاء في المسألة آدابا وأحكاما قد يختلف بعضها باختلاف الاعتقاد والعرف، وصرحوا بقراءة القرآن في كل حال من قيام وقعود واضطجاع ومشي وركوب فلا تكره في الطريق نصاً ولا مع حدث أصغر ونجاسة بدن وثوب، ولكن يمسك عن القراءة في حال الحدث ، ويستحب الوضوء لها استحبابا ، ولا سيما للقاري، في المصحف وتكره مع الجنابة جهراً لأنه بادعة ،وفي المواضع القذرة بأن يجلس فيها للقراءة وأما من مر بمكان منها وهو يقرأ فلا يطلب منه ترك القراءة وكذلك من عرض له الجلوس في بعض الملاعي غير المباحة لا يكره له التلاوة سراً وصرحوا بأنه لا يكره له أن يتلو في بيته اذا كانت زوجه غير مستورة عورة الصلاة .

وتستحب القراءة بالترتيل والتغني بالنغم المفيد للتأثير والخشوع من غير تكلف صناعي. وفي حديث أبي هريرة مرفوعا « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي

حسن الصوت يتغنى بالقرآن - زاد غيره في رواية - يجهر به » رواه الشيخان وأذن هنا بمعنى استمع أو سمع . ومصدره بفتحتين وروى أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي عن فضالة بن عبيد مرفوعا « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » والقينة الأمة المغنية ، وروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعا : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ويستحب البكاء مع القراءة والخشوع وإلا فالتباكي والتخشع ، وأن يستعيذ بالله قبلها ويدعو الله في أثنائها بحسب معاني الآيات كسؤال الرحمة عند ذكرها والاستعاذة من العذاب عند ذكره . وكان أنس (رض) يجمع أهله وولده عند ختم القرآن فاستحبوا الاقتداء به

واعلم أن قوة الدين وكمال الايمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه . فالايمان الاذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمي وتترتب عليه آثاره من الاعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن ، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره ، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه ، ولا فتحوا الاقطار ، ومصر والامصار ، واتسع عمرانهم ، وعظم سلطانهم ، إلا بتأثير هدايته ، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبي ويصدونه عن تبليغ دعوة ربه إلا بمنعه من قراءة القرآن على الناس ، (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وما ضعف الاسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبر القرآن ، وجعله كالرقى والتعاويذ التي تتخذ للتبرك أو لشفاء أمراض الابدان ، وجل فائدة الصلاة عماد الدين بتلاوة القرآن مع التدبر والتخشع ، فاذا زال منها هذا صارت عادة قليلة الفائدة . والآيات الدالة على ذلك فيه كثيرة تقدم بعضها مع تفسيرها فمن التطويل في غير محله إيراد شيء منها هنا

وإنني أختم هذا البحث بأول حديث عائشة (رض) الطويل في الهجرة من رواية صحيح البخاري للاستشهاد به على ما كان من تأثير سماع القرآن عند مشركي العرب قال :

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب اخبرني عروة ابن الزبير أن عائشة (رض) زوج النبي (ص) قالت لم أعقل أبوَيَّ قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برْك الغماد لقيه ابن الدغنة [1] وهو سيد القارة، فقال أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج: انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌ، ارجعْ واعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف [2] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن. وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا

(١) تعني بابتلاء المسلمين اضطهاد المشركين لهم لارجاعهم عن الاسلام بالقوة والقهر. ولفظ الدغنة يضبطه المحدثون بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون وتشديدها واللغويون بضمهما وتشديد النون

(٢) وفي رواية يتقصف والمراد يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض حتى كان كل أحد يقذف غيره وتقاذف الركاب تراميها وقد أخطأ من قال أن هذه الرواية لا معنى لها فالقذف هنا أظهر من القصف وهو الكسر — وكأنما يقصف بعضهم بعضا. وفي الاساس: وتقصف القوم: لجوا في خصومة أو وعيد

أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليّ ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له ، فقال أبوبكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل اه المراد منه

بعد الامر بالاستماع والاصغاء لتلاوة القرآن ، في سياق حصانة الانفس من مس الشيطان ، أمرنا تعالى بالذكر العام الشامل للقرآن تلاوة وتدبرا وغيره فان كل نوع من أنواع ذكره تعالى حصن للنفس وتزكية لها فقال

﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول ﴾ قال ابن جرير إن الأمر بالذكر هنا موجه إلى مستمع القرآن أمر بأن يتدبر في نفسه مايسمع ، وقال عطية العوفي إن المراد بالذكر هنا الدعاء ـ والجمهور على أنه أمر عام كما تقدم وأن الخطاب فيه للنبي ﷺ ومن اتبعه . والتضرع إظهار الضراعة وهي الذلة والضعف والخضوع بكثرة وشدة عناية . والخيفة حالة الخوف والخشية ـ أي واذكر ربك الذي خلقك وربك بنعمه في نفسك بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وآياته وآلائه وفضله عليك وحاجتك اليه متضرعاً له خائفا منه ، راجياً نعمه ـ واذكره بلسانك مع ذكره في نفسك ذكراً دون الجهر برفع الصوت من القول ، وفوق التخافت والسر ، بل ذكراً قصدا وسطاً ـ كما قال في آخر سورة الاسراء (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ولا تحصل فائدة الذكر باللسان إلا مع ذكر القلب وهو ملاحظة معاني القول ، وكأي من ذي ورد يذكر الله ذكراً كثيرا يعد بالسبحة منه المئين أو الألوف ثم لا يفيده كل ذلك معرفة بالله ولا مراقبة له ، بل هو عادة تقارنها عادات أخرى منكرة شرعا . وما ذلك إلا انه ذكر لساني محض لا حظ فيه للقلب . ذكر النفس نفسه ينفع دائما ،

وذكر اللسان وحده قلما ينفع وقد يكون في بعض الاحوال ذنبا . والأكمل الجمع بين ذكر اللسان والقلب .

وبعد أن بين تعالى صفة الذكر والذاكر بين وقته فقال ﴿ بالغدو والآصال ﴾ الغدو مصدر غدا يغدو - كعلا يعلو علوا - أي ذهب غدوة وهو اول النهار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس، ثم توسع فيه حتى استعمل بمعنى الذهاب مطلقا - ويقابله الرواح وهو الرجوع - ومنه (غدوها شهر ورواحها شهر) والآصال جمع أصيل وهو العشي من وقت العصر الى غروب الشمس فهو كقوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣ . ٤١ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله في سورة الدهر أو الانسان ٧٦ : ٢٥ (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وقوله في سورة آل عمران ٣ : ٤١ (وسبح بالعشي والابكار) وخص هذان الوقتان بالذكر لانهما طرفا النهار ومن افتتح نهاره بذكر الله واختتمه به كان جديراً بأن يراقبه تعالى ولا ينساه فيما بينهما واهم الذكر فيهما صلاتا الفجر والعصر اللتين تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار ويشهدان عند الله تعالى بما وجدا عليه العبد كما ورد في الصحيح

﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ عن ذكره تعالى في سائر الاوقات وانما يسامح بقلة الذكر فيما بين البكرة والاصيل لانه وقت العمل للمعاش

ثم عزز عز وجل هذا الامر وهذا النهي بما يعد خير أسوة للانسان ، وهو التشبه والمشاركة للملائكة الرحمن، فقال ﴿ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ﴾ أي ان ملائكة الله المقربين الذين هم عنده كحملة عرشه والحافين به ومن شاء تقدس وتعالى بهذه العندية الشريفة التي لا يعلمها سواه وهم أعلى مقاما من الموكلين بالمخلوقات وتدبير نظامها كالسحاب والمطر والريح والجنة والنار - ان هؤلاء المقربين العالين عنده لا يستكبرون عن عبادته كما يستكبر عنها هؤلاء المشركون الذين عد بعضهم السجود لله تعالى حطة وضعة لا تحتمل ﴿ ويسبحونه ﴾ أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه وجلاله وجماله من اتخاذ الند والشريك والظهير والمساعد على الخلق والتدبير ، كما يفعل الذين اتخذوا من دونه شفعاء لله يحبونهم كحب الله ويعبدونهم مع الله ﴿ وله يسجدون ﴾ أي وله وحده يصلون

ويسجدون فلا يشركون معه أحدا ، فيجب أن يكون لكل مؤمن أسوة حسنة بخواص ملائكته وأقرب المقربين عنده ، تبارك اسمه وتعالى جده .

وقد شرع الله تعالى لنا السجود عند تلاوة هذه الآية أوسماعها إرغاما للمشركين ، واقتداء بالملائكة العالين، في آيات اخرى بمعناها في الجملة ، وهذه هي الاولى في ترتيب المصحف . ونسأله تعالى أن يجعلنا من خير الذاكرين له ، لنعمه ، المسبحين بحمده ، الساجدين له دون سائر خلقه ، وأن يوفقنا لاتمام تفسير كتابه ، إنه على كل شيء قدير

فتاوى المنار

استفتاء في فتوى وطلب اقرارها وتصحيحها

(س ٦) من صاحب الامضاء في (أمرتسر — الهند)

ماقولكم سادة العلماء الكرام (كثر الله سوادكم) في رجل فسر آية الاستواء وغيرها من آيات الصفات على طريق المتكلمين هل هو من أهل السنة أو أهل الكفر أو أهل البدع ؟ بينوا الحق والصواب تؤجروا من الله الوهاب يوم الحساب

﴿ أقول الجواب طالبا من الله توفيق الصواب ﴾

إن مسئلة الصفات الالهية عقدة عجز عن حلها بنان العقول ، وحقيقة تحير في إدراكها أذهان الفحول ، قال الامام الرازي

نهاية اقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وكان يقول أعلم خلق الله بالله ﷺ في دعائه « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فلأجل إشكال الامر وصعوبة الخطب سلك علماء السنة وأئمة الامة مسلكين التفويض والتأويل ، لا يكفر صاحب أحدهما الآخر ولا يبدعه اذ مطمح نظر كلا الفريقين تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة المحدثات ، وعن أن يكون ذاتا مجردة عن الصفات ، وكلا المسلكين منقول عن جماعة من

الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الأئمة المتبوعين، كما قال القاضي الشوكاني :

«واذا عرفت معنى الظاهر [1] فاعلم أن النص ينقسم إلى قسمين (أحدهما) يقبل التأويل وهو قسم من النص مرادف للظاهر ، والقسم (الثاني) لا يقبله وهو النص الصريح . ثم أخذ بعد ذلك في تفصيل ما يقبل التأويل فقال .

(الفصل الثاني) فيما يدخله التأويل وهو قسمان (أحدهما) أغلب الفروع ولا خلاف في ذلك (والثاني) الاصول كالعقائد وأصول الديانات وصفات الباري عز وجل وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب (الاول) أنه لا دخل للتأويل فيها ، بل يجرى على ظاهرها ولا يؤول شيء منها . وهذا قول المشبهة (والثاني) أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) قال ابن برهان وهذا قول السلف، ثم قال بعد ذلك (والمذهب الثالث) أنها مؤولة قال ابن برهان والاول من هذه المذاهب باطل والآخران منقولان عن الصحابة ونقل هذا المذهب الثالث عن علي وابن مسعود وابن عباس وام سلمة (ارشاد الفحول صفحة ١٦٤)

ثم قال رحمه الله وقال ابن دقيق العيد: والذي نقوله في الالفاظ المشكلة إنها حق وصدق على الوجه الذي أراده الله، ومن أول شيئا منها فان كان تاويله قريبا على ما يقتضيه لسان العرب تفهمه في مخاطباتهم لم ننكر عليه ولم نبدعه، وان كان تأويله بعيداً توقفنا عليه واستبعدناه ورجعنا إلى القاعدة في الايمان بمعناه مع التنزيه وقد تقدمه الى مثل هذا ابن عبد السلام كما حكاه عنهما الزركشي في البحر (صفحة ١٦٥ ارشاد)

ثم ذكر الشوكاني شروط التأويل ليبين المقبول من التأويل مما هو مردود فقال (الفصل الثالث) في شروط التأويل (الاول) أن يكون موافقا لوضع اللغة أو عرف الاستعمال أو عادة صاحب الشرع وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح ، ثم قال : والتأويل في نفسه ينقسم الى ثلاثة أقسام ، قد يكون قريبا فيترجح بادنى مرجح ، وقد يكون بعيداً فلا يترجح الا بمرجح قوي ولا يترجح

«١» المنار : يعني معنى كلمة الظاهر في مصطلح اصول الفقه

بما ليس بقوي وقد يكون متعذراً لا يحتمله اللفظ فيكون مردودا لا مقبولا (ارشاد صفحة ١٦٥) وقال خاتمة الحفاظ في الفتح

«قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم اذا كان تأويله سائغا في لسان العرب وكان له وجه في العلم (جزء ٢٨[1] باب ماجاء في المتأولين) وقال مولانا حكيم الامة واستاذ الهند في الحجة[2]: وقال الحافظ ابن حجر لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك يعني المتشابهات ولا المنع من ذكره الخ (جلد أول صفحة ٦٢) وذكر حكيم الامة قبل ذلك كلاما رصينا جامعاً يحل معضلات الباب ومشكلات الخطاب في آيات الصفات مانصه :

واعلم أن الحق تعالى أجل من أن يقاس بمعقول أو محسوس أو يحل فيه صفات كحلول الاعراض في محالها، أو تعالجه العقول العامية ، أو تتناوله الالفاظ العرفية ، ولا بد من تعريفه الى الناس ليكلموا كالهم الممكن لهم ، فوجب أن تستعمل الصفات بمعنى وجود غاياتها لا بمعنى وجود مباديها ، فمعنى الرحمة افاضة النعم لا انعطاف القلب والرقة. وأن تستعار ألفاظ تدل على تسخير الملك لمدينة لتسخيره لجميع الموجودات اذ لا عبارة في هذا المعنى أفصح من هذه، وأن تستعمل تشبيهات بشرط أن لا يقصد الى أنفسها بل الى معان مناسبة لها في العرف فيراد ببسط اليد الجود مثلا وبشرط أن لا يوهم المخاطبين إيهاما صريحا أنه في ألواث البهيمية (حجة الله باب الايمان بصفات الله تعالى صفحة ٦٢)

أيها الناظر ان كان لك مسكة من علم الكلام أو ملكة في بلوغ المرام فتدبر عبارة حكيم الأمة كيف سلك مسلك التأويل وأيد مذهب المتكلمين في فهم المراد من الالفاظ الدالة على صفات الله عز وجل — فلله دره حيث أفاد وأجاد .

فظهر بفضل الله مما ذكر ظهوراً بينا أن علماء السنة لا ينكرون التأويل مطلقا بل هم (أنار الله براهينهم) يميزون الصحيح من الفاسد ، والرائج من الكاسد، كيف ولم يزل العلماء بعد الصحابة يؤولون بعض آيات الصفات والاحاديث الى ومنا هذا

«١» يعني ٢٨ من أجزاء الطبعة الهندية لفتح الباري «٢» يعني كتاب حجة الله البالغة للشيخ ولي الله الدهلوي وهو الذي يلقبه بحكيم الامة بحق

كما تشهد به النقول الآتية والله ولي الهداية، وقد أطنب الامام الحافظ أبو محمد بن حزم الظاهري وكفى به قدوة في كتاب الفصل له والمحدث الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات له ونحن نلتقط لك نبذاً من كلامهما وشيئاً يسيراً من كلام غيرهما.

(١) قوله عز وجل (فاينما تولوا فثم وجه الله) انما معناه فثم الله بعلمه وقبوله لمن توجه اليه [كتاب الفصل ص ١٦٦ جلد ٢] وقال البيهقي: وأما قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) فقد حكى المزني عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية يعني والله أعلم فثم وجه الله الذي وجهكم الله اليه [كتاب الاسماء والصفات ص ٢٢٧] وقال البيهقي عن مجاهد في قوله عز وجل (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله) يعني ما ضيعت من أمر الله [ص ٢٦١]

(٢) وقال ابن حزم (رض) في حديث النزول: وصح عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن الله ينزل كل ليلة إذا بقي ثلث الليل الى السماء الدنيا (قال أبو محمد) وهذا إنما هو فعل يفعله الله في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وإن تلك الساعة من مظان القبول والاجابة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين الخ [ص ١٧٢ ج ٢] ثم ذكر أدلة صحة هذا التأويل واستشهد بالعقل والنقل ثم قال. فهذا كله على ما بينا من أن المجيء والاتيان يوم القيامة فعل يفعله الله تعالى في ذلك اليوم يسمى ذلك الفعل مجيئاً وإتيانا، وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال (وجاء ربك) إنما معناه وجاء أمر ربك [ص ١٧٣ ج ٢] وقال البيهقي وأما الاقتراب والاتيان المذكوران في الخبر فانما يعني بهما إخباراً عن سرعة الاجابة والمغفرة كما رويناه عن قتادة [ص ٢١٢] وقال الشهيد الدهلوي في العبقات [عبقة ٢٤] من التجليات المثالية الشهودية تجلى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا وهو ظهور للتجلي الخ (ذكر الاشارة في التجليات ص ٨٨)

(٣) وقال الامام أبو محمد بن حزم في القول في المكان والاستواء (قال أبو محمد) ذهبت المعتزلة الى أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان واحتجوا بقول الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وقوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون)- [قال

أبو محمد] وقد تأول المسلمون في هذه الآية آية الاستواء أربعا (والقول الرابع) في معنى الاستواء هو أن معنى قوله تعالى (على العرش استوى) أنه فعل فعله في العرش وهو انتهاء خلقه اليه فليس بعد العرش شيء ويبين ذلك أن رسول الله ﷺ ذكر الجنات وقال «فاسألوا الله الفردوس الاعلى فانه وسط الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن» فصح أنه ليس وراء العرش خلق وأنه نهاية جرم المخلوقات الذي ليس خلفه خلاء ولا ملاء ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق بقول الدهرية وفارق الاسلام، والاستواء في اللغة يقع على الانتهاء قال الله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما) (القصص) أي فلما انتهى الى القوة والخير وقال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) أي إن خلقه وفعله انتهى الى السماء بعد أن رتب الارض على ماهي عليه وبالله التوفيق وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه (ص ١٢٥ ج ٢)

وقد أطنب وأطال الحافظ المحدث أبو بكر البيهقي في مسألة الاستواء وسرد أقوال السلف ثم قال، والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله عنه واليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي وذهب ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري الى أن الله تعالى جل ثناؤه فعل في العرش فعلا سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا أو نعمة أو غيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله (ثم استوى على العرش) وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وأفعال الله تعالى توجد بلامباشرة منه إياها ولاحركة (ص ٢٩٢ كتاب الاسماء] ثم قال الامام البيهقي بعد ذلك بأسطر ما نصه: وفيما كتب الي الاستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيراً من متأخري أصحابنا ذهبوا الى أن الاستواء هو القهر والغلبة ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره وفائدته الاخبار عن قهره لمملوكاته وأنها لم تقهره وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المملوكات فنبه بالاعلى على الادنى قال والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع في اللغة كما يقال استوى

فلان على الناحية إذا غلب أهلها وقال الشاعر في بشر بن مروان

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

يريد انه غلب أهله من غير محاربة قال وليس ذلك في الآية بمعنى الاستيلاء لان الاستيلاء غلبة مع توقع ضعف قال ومما يؤيد ما قلناه قوله عز وجل [ثم استوى الى السماء وهي دخان] والاستواء الى السماء هو القصد الى خلق السماء فلما جاز أن يكون القصد الى السماء استواء جاز أن تكون القدرة على العرش استواء [ص ٢٩٣ كتاب الاسماء والصفات]

وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية الحراني رحمه الله في المنهاج مانصه - ثم إن جمهور أهل السنة يقولون إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن اسحاق ابن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما ونقلوه عن احمد بن حنبل في رسالته[1] إلى أبي مدر وهم متفقون على أن الله ليس كمثله شيء وأنه لا يعلم كيف ينزل ولا تمثل صفاته بصفات خلقه ، وقد تنازعوا في النزول هل هو فعل منفصل عن الرب في المخلوق أو فعل يقوم به على قولين معروفين لاهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أهل الحديث والتصوف ، وكذلك تنازعهم في الاستواء على العرش هل هو بفعل منفصل عنه يفعله بالعرش كتقريبه اليه أو فعل يقوم بذاته على قولين (والاول) قول ابن كلاب والاشعري والقاضي أبي يعلى وأبي الحسن التميمي وأهل بيته وأبي سليمان الخطابي وأبي بكر البيهقي وابن الزاغوني وابن عقيل وغيرهم ممن يقول إنه لا يقوم بذاته مايتعلق بمشيئته وقدرته (والثاني) قول أئمة أهل الحديث وجمهورهم كابن المبارك وحماد بن زيد والاوزاعي والبخاري وحرب الكرماني وابن خزيمة ويحيى ابن عمار السجستاني وعثمان بن سعيد الدارمي وابن حامد وأبي بكر عبد العزيز وأبي عبدالله بن منده وأبي اسماعيل الانصاري وغيرهم [ص ٢٦٢ ج ٢]

(تنبيه) لعلك تفطنت مما نقلنا ان منشأ الاختلاف في مسئلة الاستواء أن الاستواء على العرش هل هو من جنس صفة الذات أو من صفة الفعل

فالمفوضون حسبوه من صفة الذات فوكلوا الكيفية الى علم الله مثل قولهم

(١) قال مصحح النسخة المصرية قوله أبي مدر كذا في الاصل وليحرر ١٢ منه

في سائر صفات الذات، والذين أولوا وعينوا المراد به جعلوه من صفة الفعل وحجتهم أن العرش عند الفريقين مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن فالاستواء عليه لايكون من صفات الذات، وهذا لايحتاج الى البيان وأن الله ذكر الاستواء بحرف ثم وهي للتراخي والتراخي إنما يكون في الافعال فالاستواء من صفات الفعل.

وهذا الطريق قد جعله شيخ الاسلام طريق بعض أئمة أهل السنة كما ترى في عبارته وإن كان مختاره طريق التفويض فكيف تظن بالذين جعلوه من صفة الفعل فاولوه انهم أهل البدع ؟والحال أن منهم الامام أبا سليمان الخطابي والامام أبابكر البيهقي وهما محدثان كبيران وإمامان جليلان لايسأل عن مثلهما ولا ينكر سعة علمهما ولا صحة فهمهما وسلامة عقيدتهما ورعايتهما للسنة واجتنابهما عن البدعة،

وكفاك في جواز مسلك التأويل الصحيح أن علماء أهل السنة قد اجتمعوا أو كادوا أن يجتمعوا على أن المراد من المعية في آيات المعية إنما هو العلم والقدرة والعون والنصرة قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ثم قال تعالى مخبراً عن احاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضا مع ذلك يكتبون ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب)وقال تعالى(أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ولهذا حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك، ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لايغيب عنه من أمورهم شيء (جلد ٩ صفحة ٤١٢) وقال الامام البغوي في تفسير الآية الا هو رابعهم بالعلم وقال في سورة الواقعة (ونحن أقرب اليه منكم) بالعلم والقدرة والرؤية ـ وقال في سورة ق (ونحن أقرب اليه)أعلم به ـ والبغوي وابن كثير محدثان معظمان من أصحاب العلم والفهم،

وأنت خبير بان التأويل لو كان فاسداً مطلقاً ماأول أئمة السنة آيات المعية

بالعلم والقدرة والاحاطة ، والجزئي لابد أن يكون مندرجا تحت كلي يشمله وغيره ذهنا أو خارجا مفهوما أو عينا كيفما كان

وقال حامل لواء التوحيد في الهند الشهيد الدهلوي : نعم له نحو آخر من القرب وهو اقرب بالتجليات فيوصف بحسب ذلك بانه على العرش وبانه يحول بين المرء ونفسه وبانه بين المصلي وقبلته (عبقات صفحة ٣٦ عبقة ٢٥)

فلاح لك واتضح مثل ضحوة النهار مما نقلنا أن التأويل الصحيح مسلك سلكها أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم فهل يجتري أحد أن يكفر أو يبدع مثل هؤلاء الاعلام ؟ فوالله الذي تقوم السماء باذنه لا ، فلا يكفر أو يبدع أحد بمجرد التأويل ، والمتكلمون اختاروا مسلك التأويل لصيانة الدين من الطعن لا لفساد العقيدة كما توهم . قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله : الاصل الثامن العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله بالاستواء وليس ذلك إلا بالقهر والغلبة كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

(احياء العلوم جلد أول ص ٧٩ هندي) وقال الشيخ ابن الهمام : أما كون المراد به أي استوائه استيلاءه على العرش كما جرى عليه بعض الخلف وقد اقتصر حجة الاسلام (الغزالي) في هذا الاصل فأمر جائز الارادة (المسامرة صفحة ٣٢) قال المفسر البيضاوي استوى أمره أو استولى (سورة اعراف) قال الشيخ عمر النسفي صاحب التفسير (المدارك) استوى استولى (اعراف) قال سليمان الجمل طريقة الخلف التأويل فيؤولون الاستواء بالاستيلاء أي التمكن والتصرف بطريق الاختيار حاشية على الجلالين (سورة اعراف) وقال الامام الرازي قال القفال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه أي انتقض ملكه واذا استقام ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى عرشه واستوى على سريره هذا ماقاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب (تفسير الرازي منقول في الخازن (الاعراف) وقال صاحب السراج المنير : استواء يليق به تعالى لم تعهدوا مثله وهو أنه تعالى أخذ في تدبير ماحوله بنفسه لاشريك

له ولا نائب فيه ولا وزير (الم سجدة) وقال العارف الشعراني بعد ذكر آيات الاستواء المعنى في هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أي استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيئا (اليواقيت والجواهر جلد أول صفحة ٩٢)

فالقول الفصل أن الرجل المسئول عنه مؤمن من أهل السنة لا يصير بمجرد التأويل من أهل الكفر ولا من أهل البدعة فمن كفره أو بدعه فقد أخطأ عفا الله عنا وعنه وعن سائر المسلمين ووفقنا لنصح المؤمنين والله ولي الهداية ومنه البداية واليه النهاية وصلى الله على حبيبه محمد وآله وأصحابه أجمعين غدوة وعشية.

شهر رجب سنة ١٣٤٥ ﻫ المجيب

أنا العبد الاثيم محمد ابراهيم مير السيالكوتي الهندي

حضرة لاستاذ ! السلام عليكم المرجو من حضرتكم تصحيح هذه الفتوى منكم ومن أصحابكم بالعجلة . إن الله يحب المحسنين .

عنوان الارسال : — عطاء الله رضاء الله من بلدة أمرت سر (هند) كتره بهائي سنت سنكه

(تعليق المنار على هذه الفتوى)

الحق أن من فسر آيات الاستواء وغيرها من آيات الصفات على طريقة المتكلمين لا يعد من أهل الكفر، وأما كونه يعد من أهل السنة أولا ففيه نظر فمن يقول ان أهل السنة هم الذين يستمسكون بظواهر نصوص الكتاب والسنة في مسائل العقائد ويتبعون السلف الصالح من علماء الصحابة والتابعين وأئمة الامصار في الحديث والفقه كالفقهاء الاربعة المتبعين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وأقرانهم كالاوزاعي والثوري والبخاري ومسلم الخ في الامساك عن الخوض في صفات الله تعالى بالرأي والتأويل المخرج للنصوص عن المتبادر من معانيها اللغوية حقيقتها ومجازها — من يقول أن هؤلاء هم أهل السنة — لا يعدون من يتأول جميع آيات الصفات على طريقة المتكلمين من أهل السنة ، وأما من

يتأول بعضها دون بعض كآيات الاستواء على العرش وحدها دون ما هو في معناها من الآيات والاحاديث الصحيحة في علو الله على خلقه وغير ذلك ـ فلا يأبى أن يعده من أهل السنة اذا كان يتبع جمهور السلف في سائر صفات الله تعالى أو أكثرها ولا سيما صفات الذات ، وهو الذى يوافق مانقله أخونا الاستاذ محمد ابراهيم مير السيالكوتي الهندي من تأويل بعض علماء السلف لبعض الصفات دون أكثرها ، على أن بعض تلك التأويلات التي كثر القائلون بها من الخلف الناصرين للسنة المحاربين للبدع ظاهرة البطلان ، كتأويلهم للرحمة الالهية بما اتخذوا منه قاعدة لتأويل أمثالها وهو قولهم إن الصفات التي تدل على انفعالات في المبدأ وافعال في الغاية تفسر بغايتها لا بمبدئها كتفسير الرحمة بالاحسان ، فهذا تحكم في صفات الله تعالى . وبعض ماذكره من النقول لا قيمة له ولا لقائليه

وسبب هذا التحكم الملجيء لهم الى التأويل هو أنهم أرادوا التفصي من تشبيه الله تعالى بخلقه ، وظنوا أنه يلزمهم هذا في مثل صفات الرحمة والغضب والمحبة والبغض ففسروها بحسب غاياتها فصارت معانيها معطلة أو متداخلة فالرأفة والرحمة والمحبة والرضاء والفرح ومافي معناها لامدلول لها عندهم إلا الاحسان والاثابة مثلا ـ كما ظنوا أنه لايلزمهم في صفات العلم والقدرة والارادة ، والحق أن معاني هذه في أصل اللغة محدث تجل عنه صفات الله تعالى فان لم تكن انفعالات فينا فهي على مقربة منها ، بل العلم البشري إنما يحصل بانطباع صور المعلومات في ذهن الانسان فهو نوع من الانفعال

وانما الطريقة المثلى في الجمع بين العقل والنقل في الصفات أن يقال إنه قد ثبت بهما أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، وثبت عقلا أن خالق العالم لابد أن يكون متصفاً بصفات الكمال ، وثبت نقلا عن الوحي الذي جاء به الرسل وصفه تعالى بالعلم والقدرة والرحمة والمحبة والعلو فوق الخلق كله والاستواء على العرش وتدبير أمر العالم كله — فنحن نتخذ قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) قاعدة ومرآة لفهم جميع ماوصف به تعالى نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ وهو أنه ليس كمثله شيء وأنه سميع بسمع ليس كمثل اسماع المخلوقين ، وبصير ببصر

ليس كبصرهم ، وعليم بعلم ليس كعلمهم ، ورحيم برحمة ليست كرحمتهم ، ويحب بمحبة ليست كمحبتهم ، ومستو على عرشه استواء ليس كاستواء ملوكهم على عروشهم ، ويدبر أمورهم تدبيراً ليس كتدبير ملوكهم ورؤسائهم ودهمائهم لما يدبرونه الخ

هذا مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان عليه أهل الصدر الاول وهو لاينافى كون بعض النصوص في الصفات ولا سيما صفات الافعال ورد بطريق المجاز كتأويل الامام أحمد لآيات المعية ، فمن قال بذلك في بعضها مع التزامه هذه القاعدة في جملتها لأنه رأى أسلوب اللغة يقتضي ذلك لم يكن به خارجا عن مذهب السنة وهدي السلف ، وإن اخطأ في ذلك فهو مغفور له إن شاء الله تعالى

وكيف يكون من يلتزم طريقة المتكلمين في تأويل جميع الصفات كما هو ظاهر عبارة السؤال « آية الاستواء وغيرها » من أهل السنة والكلام في جملته بدعة وقد قال أبو حامد الغزالي من أكبر نظار المتكلمين أنه ليس من الدين وانما اضطر اليه لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة لحماية العقيدة فهو كحرس الحاج عند وجود قطاع الطريق ليس من أركان الحج ولا من واجباته بل تلجيء اليه الضرورة من الخارج . ولكن المتوغلين في علم الكلام كانوا وما زالوا يفتتنون بها ولكن فحولهم رجعوا في أواخر أعمارهم إلى طريقة السلف وهي السنة الصحيحة كما ثبت عن أبي الحسن الاشعري وأبي المعالي امام الحرمين وأبي حامد الغزالي والفخر الرازي وغيرهم رحمهم الله تعالى

وهنالك اصطلاح آخر وهو أن أهل السنة فريقان : سلف وخلف ، فالسلف من يتبعون في آيات الصفات التفويض ، والخلف من يتبعون التأويل ، ولكن مع حصر الخلف الداخل في مذهب أهل السنة في بعض المتكلمين وهم الاشاعرة والماتريدية دون المعتزلة والخوارج والشيعة . فعلى هذا الاصطلاح قد يعد المسؤل عنه من أهل السنة اذا كان يستثنى من التأويل صفات المعاني التي لا يتأولها هؤلاء مثلا — وهو الذي جرى عليه المفتي السيالكوتي ولا مشاحة في الاصطلاح

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ والطريقة الثانية ﴾ أن يقولوا هذا قول ابن عمر وابن عباس ولا مخالف لهما من الصحابة فصار إجماعاً . وهذا باطل فانه نقل عنهما هذا وغيره وقد ثبت عن غيرهما من الصحابة مايخالف ذلك .

وثم طريقة ثالثة سلكها بعض أصحاب الشافعي واحمد وهي أن هذا التحديد مأثور عن النبي ﷺ كما رواه ابن خزيمة في مختصر المختصر عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال « ياأهل مكة لاتقصروا في أقل من أربعة برد من مكة الى عسفان » وهذا مايعلم أهل المعرفة بالحديث انه كذب على النبي ﷺ ولكن هو من كلام ابن عباس ، أفترى رسول الله ﷺ انما حد مسافة القصر لأهل مكة دون أهل المدينة التي هي دار السنة والهجرة والنصرة ودون سائر المسلمين ، وكيف يقول هذا وقد تواتر عنه أن أهل مكة صلوا خلفه بعرفة ومزدلفة ومنى ، ولم يحد النبي ﷺ قط السفر لا بمسافة لا بريد ولا غير بريد ولا حدها بزمان . ومالك قد نقل عنه أربعة برد كقول الليث والشافعي وأحمد وهو المشهور عنه . قال فان كانت أرض لا أميال فيها فلا يقصرون في أقل من يوم وليلة للثقل قال وهذا أحب ما تقصر فيه الصلاة الي . وقد ذكر عنه لاقصر إلا في خمسة وأربعين ميلا فصاعدا وروي عنه لاقصر إلا في اثنين وأربعين ميلا فصاعدا

وروي عنه لا قصر إلا في أربعين ميلا فصاعدا وروى عنه إسماعيل بن أبي أويس لا قصر إلا في ستة وأربعين ميلا قصدا . ذكر هذه الروايات القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه المبسوط ورأى لأهل مكة خاصة أن يقصروا الصلاة في الحج خاصة الى مني فما فوقها وهي أربعة أميال وروى عنه ابن القاسم انه قال فيمن خرج ثلاثة أميال كالرعاء وغيرهم فتأول فأفطر في رمضان : لا شيء عليه إلا القضاء فقط ، وروي عن الشافعي انه لا قصر في أقل من ستة وأربعين ميلا بالهاشمي

والآثار عن ابن عمر أنواع فروى محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سفيان الثوري سمعت جبلة بن سحيم يقول سمعت ابن عمر يقول لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة . وروى ابن أبي شيبة حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن محارب بن زياد سمعت ابن عمر يقول اني لأسافر الساعة من النهار فأقصر يعني الصلاة . محارب قاضي الكوفة من خيار التابعين أحد الأئمة ومسعر أحد الأئمة . وروي ابن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي إسحاق الشيباني عن محمد بن زيد بن خليدة عن ابن عمر قال تقصر الصلاة في مسيرة ثلاثة أميال . قال ابن حزم : محمد بن زيد هو طائي ولاه محمد بن أبي طالب القضاء بالكوفة مشهور من كبار التابعين . وروى مالك عن نافع عن ابن عمر انه قصر الى ذات النصب قال وكنت أسافر مع ابن عمر البريد فلا يقصر قال عبد الرزاق ذات النصب من المدينة على ثمانية عشر ميلا فهذا نافع يخبر عنه أنه قصر في ستة فراسخ وانه كان يسافر بريداً وهو أربعة فراسخ فلا يقصر وكذلك روى عنه ماذكره غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص

بن عاصم بن عمر بن الخطاب قال خرجت مع عبد الله بن عمر بن الخطاب الى ذات النصب وهي من المدينة على ثمانية عشر ميلا فلما أتاها قصر الصلاة ، وروى معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر انه كان يقصر الصلاة في مسيرة أربعة برد

وماتقدم من الروايات يدل على انه كان يقصر في هذا وفي ماهو أقل منه وروي وكيع عن سعيد بن عبيد الطائي عن علي بن ربيعة الوالبي الاسدي قال سألت ابن عمر عن تقصير الصلاة قال حاج أو معتمر أو غاز ؟ فقلت لا ولكن أحدنا يكون له الضيعة في السواد ، فقال تعرف السويداء ؟ فقلت سمعت بها ولم أرها قال فانها ثلاث وليلتان وليلة للمسرع اذا خرجنا اليها قصرنا قال ابن حزم من المدينة الى السويداء اثنان وسبعون ميلا أربعة وعشرون فرسخا

(قلت) فهذا مع ماتقدم يبين أن ابن عمر لم يذكر ذلك تحديداً لكن بين بهذا جواز القصر في مثل هذا لأنه كان قد بلغه أن أهل الكوفة لا يقصرون في السواد فأجابه ابن عمر بجواز القصر

وأما ماروي[1] من طريق ابن جريج أخبرني نافع أن ابن عمر كان أدنى مايقصر الصلاة اليه مال له بخيبر وهي مسيرة ثلاث قواصد لم يقصر فيما دونه ، وكذلك مارواه حماد بن سلمة عن أيوب بن حميد كلاهما عن نافع عن ابن عمر انه كان يقصر الصلاة فيما بين المدينة وخيبر وهي بقدر الاهواز من البصرة لا يقصر فيما دون ذلك — قال ابن حزم بين المدينة وخيبر كما بين البصرة والاهواز وهي مائة ميل غير أربعة أميال قال

«١» ينظر أين جواب أما ؟

وهذا مما اختلف فيه على ابن عمر ثم على نافع أيضا عن ابن عمر

(قلت) هذا النفي وهو انه لم يقصر فيما دون ذلك غلط قطعاً ليس هذا حكاية عن قوله حتى يقال انه اختلف اجتهاده بل نفي لقصره فيما دون ذلك وقد ثبت عنه بالرواية الصحيحة من طريق نافع وغيره انه قصر فيما دون ذلك فهذا قد يكون غلطا فمن روى عن أيوب ان قدر أن نافعا روى هذا فيكون حين حدث بهذا قد نسي أن ابن عمر قصر فيما دون ذلك فانه قد ثبت عن نافع عنه انه قصر فيما دون ذلك

وروى حماد بن زيد حدثنا أنس بن سيرين قال خرجت مع أنس بن مالك الى أرضه وهي على رأس خمسة فراسخ فصلى بنا العصر في سفينة وهي تجري بنا في دجلة قاعداً على بساط ركعتين ثم سلم ثم صلى بنا ركعتين ثم سلم . وهذا فيه انه انما خرج الى أرضه المذكورة ولم يكن سفره الى غيرها حتى يقال كانت من طريقه فقصر في خمسة فراسخ وهي بريد وربع وفي صحيح مسلم حدثنا ابن أبي شيبة وابن بشار كلاهما عن غندر عن شعبة عن يحيى يزيد الهنائي سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال كان رسول الله ﷺ اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ ـ شعبة شك ـ صلى ركعتين ولم ير أنس أن يقطع من المسافة الطويلة هذا لأن السائل سأله عن قصر الصلاة وهو سؤال عما يقصر فيه ليس سؤالا عن أول صلاة يقصرها ثم انه لم يقل أحد إن أول صلاة لا يقصرها الا في ثلاثة أميال أو أكثر من ذلك فليس في هذا جواب لو كان المراد ذلك ولم يقل ذلك أحد فدل على أن أنساً أراد انه من سافر هذه المسافة قصر ، ثم ما أخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل

من النبي ﷺ لم يبين هل كان ذلك الخروج هو السفر أو كان ذلك هو الذي قطعه من السفر فان كان اراد به ان ذلك كان سفره فهو نص ، وان كان ذلك الذى قطعه من السفر فانس بن مالك استدل بذلك على انه يقصر اليه اذا كان هو السفر يقول انه لا يقصر الا في السفر فلولا ان قطع هذه المسافة سفر لما قصر

وهذا يوافق قول من يقول لا يقصر حتى يقطع مسافة تكون سفراً لا يكتفي مجرد قصده المسافة التي هي سفر وهذا قول ابن حزم وداود وأصحابه ، وابن حزم يحد مسافة القصر بميل لكن داود وأصحابه يقولون لا يقصر إلا في حج أو عمرة أو غزو ، وابن حزم يقول إنه يقصر في كل سفر ، وابن حزم عنده انه لا يفطر الا في هذه المسافة وأصحابه يقولون إنه يفطر في كل سفر بخلاف القصر لان القصر ليس عندهم فيه نص عام عن الشارع وانما فيه فعله انه قصر في السفر ولم يجدوا أحداً قصر فيما دون ميل ، ووجدوا الميل منقولا عن ابن عمر . وابن حزم يقول السفر هو البروز عن محلة الاقامة ، لكن قد علم أن النبي ﷺ خرج الى البقيع لدفن الموتى وخرج الى الفضاء للغائط والناس معه فلم يقصروا ولم يفطروا فخرج هذا عن أن يكون سفراً ولم يجدوا أقل من ميل يسمى سفراً فان ابن عمر قال لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة فلما ثبت أن هذه المسافة جعلها سفراً ولم نجد أعلا منها يسمى سفراً جعلنا هذا هو الحد ، قال وما دون الميل من آخر بيوت قريته له حكم الحضر فلا يقصر فيه ولا يفطر ، واذا بلغ الميل فحينئذ صار له سفر يقصر فيه الصلاة ويفطر فيه فمن حينئذ يقصر ويفطر وكذلك اذا رجع

فكان على أقل من ميل فانه يتم ليس في سفر يقصر فيه

(قلت) جعل هؤلاء السفر محدوداً في اللغة قالوا : وأقل ماسمعنا أنه يسمى سفراً هو الميل وأولئك جعلوه محدوداً بالشرع وكلا القولين ضعيف ، أما الشارع فلم يحده ، وكذلك أهل اللغة لم ينقل أحد عنهم أنهم قالوا : الفرق بين مايسمى سفراً وما لايسمى سفراً هو مسافة محدودة ، بل نفس تحديد السفر بالمسافة داخل في الشرع واللغة ، ثم لو كان محدوداً بمسافة ميل ، فان أريد أن الميل يكون من حدود القرية المختصة به فقد كان النبي ﷺ يخرج أكثر من ميل من محله في الحجاز ولا يقصر ولا يفطر ، وإن أراد من المكان المجتمع الذي يشمله اسم مدينة ميلا قيل له فلا حجة لك في خروجه إلى المقابر والغائط لان تلك لم تكن خارجا عن آخر حد المدينة . ففي الجملة كان يخرج إلى العوالي وإلى أحد كما كان يخرج إلى المقابر والغائط وفي ذلك ماهو أبعد من ميل ، وكان النبي صلى الله عليه سلم وأصحابه يخرجون من المدينة إلى أكثر من ميل ويأتون اليها أبعد من ميل ولا يقصرون كخروجهم إلى قبا والعوالي وأحد ، ودخولهم للجمعة وغيرها من هذه الاماكن

وكان كثير من مساكن المدينة من مسجده أبعد من ميل فان حرم المدينة بريد في بريد حتى كان الرجلان من أصحابه لبعد المكان يتناوبان الدخول يدخل هذا يوما وهذا يوما . كما كان عمر بن الخطاب وصاحبه الانصاري يدخل هذا يوما وهذا يوما ، وقول ابن عمر لو خرجت ميلا قصرت الصلاة هو كقوله اني لاسافر الساعة من النهار فأقصر ، وهذا إما أن يريد به مايقطعه من المسافة التي يقصدها فيكون قصده اني لا أؤخر

القصر إلى أن أقطع مسافة طويلة وهذا قول جماهير العلماء إلا من يقول اذا سافر نهاراً لم يقصر إلى الليل

وقد احتج العلماء على هؤلاء بأن النبي صلى الله عليه صلى الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ، وقد يحمل حديث أنس على هذا لكن فعله يدل على المعنى الاول ، أو يكون مراد ابن عمر من سافر قصر ، ولو كان قصده هذه المسافة اذا كان في صحراء بحيث يكون مسافراً لا يكون متنقلا بين المساكن فان هذا ليس بمسافر باتفاق الناس ، واذا قدر أن هذا مسافر فلو قدر أنه مسافر أقل من الميل بعشرة أذرع فهو أيضاً مسافر ، فالتحديد بالمسافة لا أصل له فى شرع ولا لغة ، ولا عرف ولا عقل ، ولا يعرف عموم الناس مساحة الارض فلا يجعل مايحتاج اليه عموم المسلمين معلقا بشيء لا يعرفونه ، ولم يمسح أحد الارض على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا قدر النبي صلى الله عليه وسلم الارض لا بأميال ولا فراسخ والرجل قد يخرج من القرية إلى صحراء لحطب يأتي به فيغيب اليومين والثلاثة فيكون مسافراً وإن كانت المسافة أقل من ميل ، بخلاف من يذهب ويرجع من يومه فانه لا يكون في ذلك مسافراً فان الاول يأخذ الزاد والمزاد بخلاف الثاني فالمسافة القريبة في المدة الطويلة تكون سفراً ، والمسافة البعيدة في المدة القليلة لا تكون سفراً فالسفر يكون بالعمل الذي سمي سفراً لاجله . والعمل لا يكون إلا في زمان فاذا طال العمل وزمانه فاحتاج إلى مايحتاج اليه المسافر من الزاد والمزاد سمي مسافراً وإن لم تكن المسافة بعيدة ، واذا قصر العمل والزمان بحيث لا يحتاج إلى زاد ومزاد لم يسم سفراً ، وإن بعدت المسافة فالاصل هو

العمل الذي يسمى سفراً ، ولا يكون العمل إلا في زمان فيعتبر العمل الذي هو سفر ولا يكون ذلك إلا في مكان يسفر عن الاماكن وهذا مما يعرفه الناس بعاداتهم ليس له حد في الشرع ولا اللغة ، بل ماسموه سفراً فهو سفر .

فصل

وأما الاقامة فهي خلاف السفر فالناس رجلان مقيم ومسافر ، ولهذا كانت أحكام الناس في الكتاب والسنة أحد هذين الحكمين إما حكم مقيم وإما حكم مسافر ، وقد قال تعالى (يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) فجعل للناس يوم ظعن ويوم اقامة ، والله تعالى أوجب الصوم وقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فمن ليس مريضاً ولا على سفر فهو الصحيح المقيم ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة » فمن لم يوضع عنه الصوم وشطر الصلاة فهو المقيم

وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم في حجته بمكة أربعة أيام ثم ستة أيام بمنى ومزدلفة وعرفة يقصر الصلاة هو وأصحابه فدل على أنهم كانوا مسافرين ، وأقام في غزوة الفتح تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ، وأقام بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة ، ومعلوم بالعادة أن ماكان يفعل بمكة وتبوك لم يكن ينقضي في ثلاثة أيام ولا أربعة حتى يقال إنه كان يقول اليوم أسافر غداً أسافر ، بل فتح مكة وأهلها وما حولها كفار محاربون له وهي أعظم مدينة فتحها وبفتحها ذلت الاعداء ، وأسلمت العرب ، وسرّى السرايا إلى النواحي ينتظر قدومهم ، ومثل هذه الامور مما يعلم أنها

لاتنقضي في أربعة أيام ، فعلم أنه أقام لامور يعلم أنها لاتنقضي في أربعة وكذلك في تبوك

وأيضاً فمن جعل للمقام حداً من الايام إما ثلاثة وإما أربعة ، واما عشرة ، واما اثنى عشر ، واما خمسة عشر ، فانه قال قولا لادليل عليه من جهة الشرع وهي تقديرات متقابلة . فقد تضمنت هذه الاقوال تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام : إلى مسافر والى مقيم مستوطن وهو الذي ينوي المقام في المكان ، وهذا هو الذي تنعقد به الجمعة وتجب عليه ، وهذا يجب عليه اتمام الصلاة بلا نزاع فانه المقيم المقابل للمسافر (والثالث) مقيم غير مستوطن أوجبوا عليه اتمام الصلاة والصيام ، وأوجبوا عليه الجمعة وقالوا لاتنعقد به الجمعة ، وقالوا انما تنعقد الجمعة بمستوطن

وهذا التقسيم وهو تقسيم المقيم الى مستوطن وغير مستوطن تقسيم لادليل عليه من جهة الشرع ، ولا دليل على أنها تجب على من لا تنعقد به ، بل من وجبت عليه انعقدت به ، وهذا انما قلوه لما أثبتوا مقيما يجب عليه الاتمام والصيام ووجدوه غير مستوطن فلم يمكن أن يقولوا تنعقد به الجمعة فان الجمعة إنما تنعقد بالمستوطن ، لكن ايجاب الجمعة على هذا ، وايجاب الصيام والاتمام على هذا هو الذي يقال إنه لادليل عليه ، بل هو مخالف للشرع ، فان هذه حال النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في غزوة الفتح وفي حجة الوداع وحاله بتبوك ، بل وهذه حال جميع الحجيج الذين يقدمون مكة ليقضوا مناسكهم ثم يرجعوا ، وقد يقدم الرجل بمكة رابع ذي الحجة وقد يقدم قبل ذلك بيوم أو أيام ، وقد يقدم بعد ذلك ، وهم كلهم مسافرون لا تجب عليهم جمعة ولا اتمام ، والنبي ﷺ قدم صبح رابعة من ذي الحجة

وكان يصلي ركعتين لكن من اين لهم انه لو قدم صبح ثالثة وثانية كان يتم ويامر اصحابه بالاتمام ؟ ليس في قوله وعمله ما يدل على ذلك ولو كان هذا حدا فاصلا بين المقيم والمسافر لبينه للمسلمين كما قال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) والتمييز بين المقيم والمسافر بنية ايام معدودة يقيمها ليس هو امراً معلوما لا بشرع ولا لغة ولا عرف وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم للمهاجر ان يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا والقصر في هذا جائز عند الجماعة وقد سماه اقامة ورخص للمهاجر ان يقيمها فلو اراد المهاجر ان يقيم اكثر من ذلك بعد قضاء النسك لم يكن له ذلك وليس في هذا ما يدل على ان هذه المدة فرق بين المسافر والمقيم بل المهاجر ممنوع ان يقيم بمكة اكثر من ثلاث بعد قضاء المناسك ان الثلاث مقدار يرخص فيه فيما كان محظور الجنس قال صلى الله عليه وسلم «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج» وقال «لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث» وجعل ما تحرم المرأة بعده من الطلاق ثلاثا فاذا طلقها ثلاث مرات حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره لان الطلاق في الاصل مكروه فابيح منه للحاجة ما تدعو اليه الحاجة وحرمت عليه بعد ذلك الى الغاية المذكورة ؛ ثم المهاجر لو قدم مكة قبل الموسم بشهر اقام الى الموسم فان كان لم يبح له الا فيما يكون سفراً كانت اقامته الى الموسم سفراً فتقصر فيه الصلاة وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قدموا صبح رابعة من ذي الحجة فلو اقاموا بمكة بعد قضاء النسك ثلاثا كان لهم ذلك ولو اقاموا اكثر من ثلاث لم يجز لهم

ذلك وجاز لغيرهم ان يقيم اكثر من ذلك ، وقد اقام المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح قريبا من عشرين يوما بمكة ولم يكونوا بذلك مقيمين اقامة خرجوا بها عن السفر ولا كانوا ممنوعين لانهم كانوا مقيمين لاجل تمام الجهاد وخرجوا منها الى غزوة حنين وهذا بخلاف من لا يقدم الا للنسك فانه لا يحتاج الى اكثر من ثلاث

فعلم ان هذا التحديد لا يتعلق بالقصر ولا بتحديد السفر والذين حدوا ذلك باربعة منهم من احتج باقامة المهاجر وجعل يوم الدخول والخروج غير محسوب ومنهم من بنى ذلك على ان الاصل في كل من قدم المصر ان يكون مقيما يتم الصلاة لكن ثبتت الاربعة باقامة النبي ﷺ في حجته فانه اقامها وقصر وقالوا في غزوة الفتح وتبوك انه لم يكن عزم على اقامة مدة لانه كان يريد عام الفتح غزو حنين وهذا الدليل مبني على انه من قدم المصر فقد خرج عن حد السفر وهو ممنوع بل هو مخالف للنص والاجماع والعرف ، فان التاجر الذى يقدم ليشترى سلعة او يبيعها ويذهب هو مسافر عند الناس وقد يشترى السلعة ويبيعها في عدة ايام ولا يحد الناس في ذلك حدا

والذين قالوا يقصر الى خمسة عشر قالوا هذا غاية ما قيل وما زاد على ذلك فهو مقيم بالاجماع ، وليس الامر كما قالوه واحمد امر بالاتمام فيما زاد على الاربعة احتياطا واختلفت الرواية عنه اذا نوى اقامة احدى وعشرين هل يتم او يقصر لتردد الاجتهاد في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الرابع فان كان صلى الفجر بمبيته وهو ذوطوى فانما صلى بمكة عشرين صلاة وان كان صلى الصبح بمكة فقد صلى بها احدى

وعشرين صلاة والصحيح انه انما صلى الصبح يومئذ بذي طوى ودخل مكة ضحى كذلك جاء مصرحا به في احاديث ، قال احمد في رواية الاثرم اذا عزم على ان يقيم اكثر من ذلك اتم واحتج بان النبي ﷺ قدم لصبح رابعة قال فاقام اليوم الرابع والخامس والسادس والسابع وصلى الفجر بالابطح يوم الثامن وكان يقصر الصلاة في هذه الايام وقد اجمع على اقامتها، فاذا أجمع ان يقيم كما اقام النبي صلى الله عليه وسلم قصر فاذا اجمع على اكثر من ذلك اتم. قال الاثرم قلت له فلم لم يقصر على مازاد من ذلك؟ قال لانهم اختلفوا فيأخذ بالاحوط فيتم. قال قيل لابي عبدالله يقول أخرج اليوم أخرج غداً ايقصر؟ فقال هذا شيء آخر هذا لم يعزم. فاحمد لم يذكر دليلا على وجوب الاتمام انما اخذ بالاحتياط وهذا لا يقتضي الوجوب وايضا فانه معارض بقول من يوجب القصر ويجعله عزيمة في الزيادة ، وقد روى الاثرم حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا مسعر عن حبيب ابن ابي ثابت عن عبد الرحمن ابن المسور قال اقمنا مع سعد بعمان او بعمان شهرين فكان يصلي ركعتين ونصلي اربعا فذكرنا ذلك له فقال نحن اعلم قال الاثرم حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا حماد عن ايوب عن نافع ان ابن عمر أقام باذربيجان ستة اشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول قال بعضهم والثلج الذي يتفق في هذه المدة يعلم انه لا يذوب في اربعة ايام فقد اجمع اقامة اكثر من اربع قال الاثرم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام حدثنا يحي عن حفص بن عبيد الله ان انس ابن مالك اقام بالشام سنتين يقصر الصلاة. قال الاثرم حدثنا الفضل بن دكين حدثنا هشام حدثنا ابن شهاب عن سالم قال كان ابن عمر اذا اقام بمكة قصر الصلاة الا ان يصلي مع الامام

وان اقام شهرين الا ان يجمع الاقامة وابن عمر كان يقدم قبل الموسم بمدة طويلة حتى انه كان احيانا يحرم باحج من هلال ذي الحجة وهو كان من المهاجرين فما كان يحل له المقام بعد قضاء نسكه اكثر من ثلاث ولهذا اوصى لما مات ان يدفن بسرف لكونها من الحل حتى لا يدفن في الارض التي هاجر منها ؛ وقال الاثرم حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ايوب عن نافع قال ما كان ابن عمر يصلي بمكة الا ركعتين الا ان يرفع المقام ولهذا اقام مرة ثنتي عشر يصلي ركعتين وهو يريد الخروج وهذا يبين انه كان يصلي قبل الموسم ركعتين مع انه نوى الاقامة الى الموسم وكان ابن عمر كثير الحج وكان كثيراً ما ياتي مكة قبل الموسم بمدة طويلة قال الاثرم حدثنا بن الضباع حدثنا القاسم بن موسى الفقير عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن ابن محيريز ان ابا ايوب الانصاري وابا صرمة الانصاري وعتبة بن عامر شتوا بارض الروم فصاموا رمضان وقاموه واتموا الصلاة ؛ قال الاثرم حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن منصور عن ابي وائل قال خرج مسروق الى السلسلة فقصر الصلاة فاقام سنين يقصر حتى رجع وهو يقصر قيل يا ابا عائشة ما يحملك على هذا ؛ قال اتباع السنة

للكلام بقية

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

﴿ نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

(٤)

أقل الشيء الذي لم يطيقوه وعجزوا عن معاناته عجزاً تاما فهو مافي الاسلام من محاربة الاستبداد والاحتكار والغش والقمار والربا والبغاء والخمر أمهات الرذائل والجرائم الاجتماعية التي أنّت منها الانسانية

فهم يريدون الانحلال من هذه التكاليف للمسارعة خفافا وثقالا إلى الانهماك في الآثام والشرور، وملازمة الحانات والمواخير، وليعيشوا عيشة البهائم والكلاب يسكرون ويتسافدون على قارعة الطريق، ويرابون ويقامرون جهاراً كما يقامر الماليون ويرابون في البنوك والبورصة ويحتكرون الارزاق والاقوات ويستبدون بها وبأسعارها إلى ما لا يحصى من الموبقات والمحاكم الاباحية تؤيدهم بحرابها وجنودها

وثانيهما ان يكونوا جاهلين حقيقة الاسلام رمزا إياه إلا ما يعرفونه مما كتبه عنه الاستعماريون المعطلون والرهبان المتنطعون الحاقدون فاذا كانوا كذلك وهو ما تدل عليه كتاباتهم المشوشة وخطبهم المعقدة فينبغي تعليمهم من جديد ان كانوا حسني النية وارشادهم الى الكتب النافعة وجدالهم بالتي هي أحسن حتى يرجعوا الى طريق الهدى فان الحق يعلو ولا يعلى عليه (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

لذلك استسبنا ان نختم هذه الملاحظات على كتاب حقيقة الاسلام بلاحقة أو نداء عام للأزهريين وسنتابع ملاحظتنا على الكتاب حتى تمامه متى ساعدتنا الفرصة

لاحقة

أو نداء عام لعلماء الازهر والمعاهد الدينية

ليسمح لنا مشايخ الازهر وقرهم الله وأبد حرمتهم ان ننبههم لبعض الواجبات المتعين عليهم القيام بها عملا بالحديث الذي أخرجه مسلم عن تميم الداري ان النبي (ص) قال « الدين النصيحة » قلنا لمن ؟ قال « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » فنقترح على ساداتنا الازهريين اقتراحين :

﴿ أحدهما ﴾ إحداث جمعيات من علماء الازهر والمعاهد الدينية في القطر المصري كله تكون وظائفها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالا لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة

يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وذلك بانشاء جرائد ومجلات ومنشورات دورية توزعها بأرخص ثمن والبعض مجانا وباذاعة ذلك على لسان التلاميذ في المعاهد والمدارس وبتبليغ التلاميذ لأوليائهم وأقاربهم وجيرانهم وجلسائهم وبالقاء الخطب والمسامرات في المساجد والمدارس والمنتديات والاحتفالات

وأول وظائفها حض الحكومة على ازالة المنكرات والمحرمات وإرشاد مشايخ الطرق لتبديل تعاليمهم لتابعيهم بأن يعلموهم قواعد الاسلام الخمس ومحاسن الاخلاق وأن يحضوهم على التعلم والتعليم ومزاولة الصنائع النافعة فذلك خير من الشطح والرقص وتضييع الوقت بتلاوة أوراد ما أنزل الله بها من سلطان أكثرها لا يفهم ولا معنى له

وقد أحسن المصلح الكبير السلطان عبد العزيز بن السعود أعانه الله في سبيله العالم الاسلامي إلى هذه المنقبة الجليلة فأصدر أمره بتأسيس جماعات للقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(وثانيهما) إحداث جمعيات تشتغل بالسياسة العامة لتظهر للعالم أجمع ان الاسلام دين ودولة وذلك باحضار المعدات اللازمة لذلك من كل وجه وأهمها إصدار الجرائد والمجلات على نفقة الجمعيات يومية وأسبوعية وشهرية ودخول معترك الحياة السياسية بسلاح متين واذا قلنا السياسة فمرادنا بها السياسة الشرعية المنزهة عن التدجيل والتضليل وقلب الحقائق والكذب والبهتان وقول الانسان مايعتقد بطلانه أو تكذيب وإبطال مايعتقده حقا وصوابا فهذه السياسة سياسة الختل والمراوغة لا يعرفها الاسلام

وأول مايتحتم عليهم دخول الحياة النيابية فان أعظم وظائف مجلس النواب هو التشريع ومراقبة الحكومة وذلك معنى «الاسلام دين ودولة» فاذا لم تكن قوانين المجلس مرتكزة على آراء علماء الدين فتكون قوانين مبتورة ومجحفة معا

وإذا تقاعستم يا شموس الازهر أو جبتم فانكم تضيعون نفوسكم ومكانتكم ووجودكم زيادة عن ضياع الدين الذي أنتم حراسه وحماته

فلو أنكم كنتم دخلتم هذا المعترك في أيام سعيد واسماعيل لكان مرجع التشريع اليوم كله أو جله اليكم ولكنكم فرطتم تفريطا أضاع عليكم أكبر وظيف كان من أول واجباتكم فيجب أن تتداركوا ذلك ما أمكن مادام رجل الاسلام وأبو المصريين سعد باشا معكم ومادام هو روح مصر وشمسها المنيرة مساعداً ومظاهراً لما يعتقد أنه الواجب

بقي أن يقال أين المال اللازم لتأسيس هذه الاعمال فنقول ان في علماء مصر أغنياء كثيرين بحمد الله فيجب أن يتنازلوا عن بعض أموالهم لذلك اقتداءاً بكرام الصحابة رضي الله عنهم فأبو بكر تنازل عن أمواله كلها لمصلحة الاسلام وكان

من أغنياء قريش وعمر تنازل عن أكثر أمواله وعثمان تنازل عن أموال كثيرة جداً وجهز جيش العسرة وكان كل واحد من الصحابة يتنازل عن المال اختياراً رغبة لارهبة فاذا لم يتنازل أغنياء العلماء فيكونون مقصرين ويسوغ للوطني الغيور أن يظنهم أو يعدهم جبناء خائنين

إذا تنازل بعض أغنياء العلماء في مصر فان الامور تسهل جداً فانكم ستجدون من بقية العلماء ومن جمهور المصريين أناساً صدقوا ماعاهدوا الله عليه يناصرون مشروعكم ويؤيدونكم ان صبرتم وأحسنتم النية فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون أمامكم وأمام أنصاركم ومريديكم عقبات لاتزال الا بتضحيات ، والمشاريع النافعة العامة لاتقام إلا على تضحيات في أول الامر وقد قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)

لايهولنكم الامر فانه سهل مع الثبات والصبر فان الشاب الكامل مصطفى كامل رحمه الله أسس الحزب الوطني وجرائده في القطر المصري من شبان أكثرهم ليسوا بأغنياء ثم دارت الايام دورتها حتى صار الحزب الوطني في أيامه وأيام المرحوم محمد فريد بك هو قلب مصر النابض ، وقبض على زمام الرأي العام يأتمر بأمره وينتهي بنهيه

لافائدة في المال إذا لم يثمر مجداً خالداً أو عزاً أبديا فهذا جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده قد أنفقا مالهما وروحهما لاحياء مجد الاسلام وماتا ولم يخلفا درهما وإنما خلفا من ميراث رسول الله (ص) العلم والهدى والارشاد ولو توجّها للمال لخلفا الملايين

وهذا أسد الاسلام السيد رشيد رضا صاحب المنار لايملك داراً للسكنى التي يقول الفقهاء فيها انها أول مايشترى وآخر ما يباع وقد أنفق ماله وراحته وحياته أطالها الله في الدفاع عن الاسلام ونشره وتأييده ولو توجّه للمال لكان من أصحاب الاملاك والاطيان والاموال الكثيرة

فالبدار البدار ياعلماء الازهر قبل الفوت واستعدوا كما أمركم الله بقوله (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) الخ (وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا)

وأول مايلزمكم في الحال أن تطهروا أنفسكم من تعاطي مايخل بالمروءة مهما كان فيه من وفور المال فقد اضحكني وأبكاني مانشره فكري أباظه في رده على الشيخ أبو العيون الذي امتثل ماأمره الله به ورفع لائحة للحكومة يأمرها بالغاء البغاء الرسمي . جاء في آخر الرد تشنيع على العلماء بأن بعضهم يتعامل بالربا وبعضهم يأكل اموال المحاجير واليتامى الخ فهؤلاء إذا ثبت عليهم ذلك يجب التشهير بهم والتشنيع عليهم بخصوصهم ومحاسبتهم بما اكلوه

ونقول لفكري اباظه ان ذلك لا يكون لك حجة في إبقاء البغاء وإذا كان بعض العلماء يتعاطى بعض المحرمات فهم بشر وليسوا معصومين ولأمثالهم وغيرهم من الحكام الجائرين شرعت الحسبة والمراقبة وأسست مجالس الشورى والنواب فلا يكون تلطخهم بتلك الهنات مسوغ لاهمال النزيهين للامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل انهم اذا أخلوا بذلك يكونون آثمين وتكون رواتبهم التي يتقاضونها من الاوقاف ومن الامة سحتاً

وعجيب من فكري أباظه كيف ينعي على الشيخ ابى العيون قيامه بواجب النهي عن منكر البغاء الذي نهت عنه جميع الشرائع مع انه يمتدح تؤدة الشعب الانكليزي وتعقله لدى اصدار القوانين التشريعية ومراعاة حكومته لاميال المتدينين منهم فقد عُلم انها لما اكتشف تلقيح الجدري سنت حكومة الانكليز قانوناً للعمل به على وجه الالزام فقاومها الذين رأوا تحريمه ديناً ولم يسكن الاضطراب حتى اضيف للقانون مادة خاصة باعفاء من يعتقدون حرمته من الزامهم به ولا يزال هذا الاعفاء مستمراً الى الآن

ثما يقوله فكري أباظه لو قام أبو العيون أو غيره وقاوم تلقيح الجدري الذي كاد الاطباء يتفقون على فائدته العظمى ونفعه العام إذاً لطبق السموات والارضين بالعويل والصريخ هو وزملاؤه ورموا الدين الاسلامي بأعظم المفتريات والمفتي بالبله والجنون.

ثم نقول لفكري اباظه أخيراً يظهر ان جنابكم من جماعة الاحتلاليين لان حكومة الاحتلال هي التي سنت هذه السنة السيئة المشئومة فالمؤيد لأعمالها محبذ للاحتلال وأذنابه وبالتالي يكون خائناً لدينه ووطنه

وفي الختام أرجو بالحاح من مشايخ الازهر الكرام ان يسارعوا إلى إعداد المعدات ويتداركوا ما فاتهم وليتشبهوا بالرسل أولي العزم ويتدبروا قوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) وليستعينوا بالله فهو نعم المولى ونعم النصير

مسلم غيور

(المنار) أنه ليحزننا أن نضطر إلى اخبار أخينا المصلح المراكشي أن علماء الأزهر أضعف منة وإرادة من أن يقوموا بمثل مادعاهم اليه وأن سعد باشا ليس معهم وليسوا معه وان الحزب الوطني لم يكن كما تصور في نفسه فصور بقلمه، وان الخديو هو الذي كان يستخدم المرحوم مصطفى كامل بماله ونفوذه ونخبره أيضاً بأن فكري بك أباظه ليس احتلالياً كما ظن ولا يتسع هذا التعليق لبيان الحقيقة فيما أنكره عليه . وسيرى في المنار ما يجب على المسلمين لحفظ الاسلام في هذا العهد

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

(٣)

يهود اليمن

ان مما يذكر من أهالي صنعاء يهود وهم يسكنون في حي خاص بهم ويقولون انهم غريبين مضيا كان يؤذن لهم بالسكن فيها حيث أرادوا . ولكن الحاكم في ذلك الحين أمر بذلك الفصل . وانهم مع السماح لهم بالطواف أين شاؤا لقضاء الاعمال لم يكن يؤذن لهم بركوب غير الحمير من الدواب

وقد زرت حي اليهود هناك مراراً عديدة وقابلت ربانيهم ومعابدهم فرأيتهم كسائر مواطنيهم من أهل الفاقة ولكنهم بفضل ما أوتوا من الحذق والقبض على أزمة الحرف يراهم أرقى شيئاً من اخوانهم مما ينيلهم شيئا من عطف الحكام مع ما بينهم وبين المسلمين من بلوى التفرقة المذهبية . وقد تعسر عليك التفرقة بين اليهودي والمسلم العربي ولا فرق من الشعر يتحتم عليه اتخاذه شعاراً له

ان هناك مسألة تاريخية تتعلق باليهود ولاسيما أول ظهورهم في اليمن . قال لي الامام والشيوخ ان اليهود كانوا في اليمن منذ فجر التاريخ ويروى ان (يارم) يعرب الملك الذي ملك قبل المسيح بألفي سنة فصل العبرية عن العربية على ان الربانيين يقولون ان اليهود أتوا إلى اليمن من أورشليم سنة ٢٠٠ قبل المسيح تقريباً

وكنت حيث أذهب في اليمن نحو الجنوب أجد يهوداً حتى في أحقر القرى وأفقرها وقد كان من بواعث دهشتي اني لمحت في قرية عالية في الفقر مبنية من الفتن يهودي مر عليه فيها ثلاث سنين في حالة لا بأس بها يشتغل فيها صائغاً فلم يكن ينجلي لي كيف يمكن وجود سوق للصياغة في مثل تلك القرية من بلاد الدنيا ولكني فطنت للامر لما علمت ان اليمنيين مولعون بزينة واحدة تستهوي أفئدتهم وهي الخناجر المنحنية ذات المقابض والاغماد المزينة أو المموهة بصنع الصياغ

أعمال الامام العمرانية

لقد وضح ان همّ الامام الاعظم هو جيشه العزيز . ومع ذلك فهو يقول انه كثير العناية والاهتمام بأمر التعليم — والحق ان ذلك على قياس ضئيل محدود — وباصلاح الطرق ايضاً . فقال لي انه أصدر الاوامر لكل حاكم مدينة أن يقوم بشغل معين كل سنة يتعلق باصلاح الطرق التي في نطاق حكمه ويظهر ان بعض الحكام اتوا شيئاً من هذا الاصلاح مع بناء الجسور (الكباري) وكنا في طريقنا إلى عدن نسلك في الاحايين آثاراً من طرق قديمة لابد أن تكون قد بنيت بحذق وحسن نظر قبل الاسلام بنحو ألفي سنة على ما قيل . وفي سفرنا نحو الجنوب وعلى إحدى طرق القوافل المستغرقة في القدم الآتية من عدن إلى أورشليم كان من بواعث دهشتنا كثرة ما وجدنا من آثار التجارة فكثيراً ما كنا نمر وسط قافلة صغيرة من الجمال أو الحمير او البغال وهي تسير بغاية المشقة بسبب رداءة الطرق فكان مشيها شديد الايلام والتعسر وهي تتسلق المسالك العالية الوعرة . والظاهر أن من اسباب تلك التعسيرات في الطرق هو ان يجعلوها صعبة السلوك على الاجانب الذين يقصدن تلك الجهات

من كلامي في وداع الامام

في حديثي الاخير مع الامام قبل الوداع تكلمنا في كثير من الشؤون المتعلقة ببلاده عسى ان اجد شيئاً أستطيع فيه خدمة مّا له ، فذكر انه يوجد في اليمن قدر وافر من المعادن الثمينة وانه يرغب في الحصول على اهل العلم الواسع في المعدنيات ليقوموا بدرس الموجود فيها

انه يعسر جداً على هؤلاء الفقراء أن يزيدوا كثيراً على ما عندهم من أدوات الزينة . وكل ما يأتونه من الجهود العقيمة في هذا السبيل يؤسف له ويرثى . فان الجندي هناك شديد الولوع بأن يشكل في وعاء رأسه عذقا صغيراً أخضر اللون ، وأما الرجال والنساء فلرغبتهم في زيادة التجمل كثيراً ما يلجأون إلى النيلة وما تجديهم إلا قليلا

ان حاكم (صعدة) السابق المؤتلف الآن مع الامام أنبأنا ان في (صعدة) وحولها اعتاد الناس من قرون ان يرقصوا نوعين من الرقص يشترك فيها الرجال والنساء يشبهان نوعين آخرين من رقص أهل الغرب

يوجد في اليمن جنسان آخران من الشعوب أو القبائل غير اليهود (احدهما) يزعم انه من سلالة قحطان او (يقطن) وهو من أخاص الاجناس البشرية : حسن البنية والشكل، وقوي البأس، عادم اللحية ، ربعة القوام عريض الجبهة ، يميل جلده إلى اللون النحاسي على اختلاف في المقدار . وآحاد هذه القبيلة يفلون من الملابس بحكم البيئة حتى ان شيوخهم ومقدميهم الذين يذهبون إلى عدن يضطرون اضطراراً إلى زيادة شيء من الملابس المصنوعة لهذا الغرض . وأما الجنس الثاني فانسانه أطول قامة وعليه مسحة من الجمال وتراه على الغالب كامل اللحية كثير الملابس . ولما كانت درجة الحرارة الجوية واحدة في كل من البقعتين نرى ان مذهب الفيلسوف هربرت سنسر تتجلى حقيقته في حال هذا الشعب « وهو ان الزينة تسبق الاكتساء » وأما أصل هذا الجنس الثاني فيقال انه من ذرية اسماعيل وانه أتى من الشمال وان دمه ودم اليهود مشتركان

همة اليمني في العمل

ان اليمني بما يتيسر له من عدة العمل الحاضرة يمكنه زيادة انتاجه بكده وكدحه في العمل الذي يمتد من شروق الشمس إلى غروبها حالة كون الاميركي بما له من تفوق العدة والادوات تقدر قوته قوة أربعين حصانا أو مايعادل ٢٥٠ من قوة اليمني وتكون نتاج عمله على هذه النسبة . وان من اعتاد حياة الغرب ليحار في هذا السؤال وهو : كيف يتأتى لشعب كأهل اليمن أن يعيشوا في بيئة كبيئته حيث أحوال الحياة تكاد تكون واحدة للانسان والحيوان ، وكيف يستطيعون تحمل مشاقها وشظفها ؟ لكننا بالرغم من ذلك كله نراهم عائشين مع قلة وسائل العيشة والراحة ونصب العمل دون ان تبدو منهم أمارات الشكوى المؤلمة . ولقد انقضى على سكان اليمن القرون وهم في هذه الحالة من بؤس العيش وخلوهم من مادة البقاء لايدرون شيئاً من حالة غيرهم في أمور المعيشة ومع ذلك نراهم على الجملة قانعين راضين يحمون أرضهم وحكومتهم التي منها وعن يدها تنتج لهم هذه الاحوال. أما بلاد الغرب فهي مع وجود اسباب الراحة والهناء حتى لأقول معدات اللذات والمسرات نرى الناس لا ينقطعون عن التشكي والتبرم من أحوالهم وهم أبداً على قدم الانفجار والقيام بايقاد نيران الثورات كلما أتاحت لهم الفرصة وأباحت لهم الاقدار ذلك

ان سكان الجبال في جميع الارض معروفون بحب الاستقلال وإيثاره على كل ماسواه من أمور الحياة مشهورون بقوة البدن وشدة البأس على نسبة يبتهم وشظف حياتها

ومما يحسن ذكره ووضعه على الخواطر اني لقيت رجلين يمنيين أحدهما يهودي والآخر مسلم زارا أميركا وبعد ان أقاما فيها مدة أعوام غلبهما الحنين إلى تلك الجبال اليمنية التي ولدا فيها ورضعا لبانها وغذيا بهوائها ومائها وإذ جد بهما الوجد واستحكم الهيام عادا أخيراً إلى تلك الربوع ليقضيا فيها ما كتب لهما من بقية العمر

ثم ان اليمنيين لم يكونوا يطيقون حكم الأتراك بحال ولا بوجه من الوجوه فلم يحولوا عن الاعتقاد بأن امامهم هو الخليفة الحقيقي وان لا خليفة إلا من تحدر من ذرية النبي . على ان هنالك من ذراريه قوماً يدعون بالاسياد « على ما تعلمون »

الطب والعلاج في اليمن

ليس في اليمن شيء يسمى دواء وطباً حتى أن أحقر عشبة من أعشاب الارض التي يتداوى بها احياناً غير معروفة . فاذا أصيب أحدهم بألم لم يجد مفراً من تحمله . وإذا غلبته عادية الداء قضى نحبه بحكم الطبع بلا علاج ولا دواء . على أن هنالك عشبة يغلب استعمالها عندهم هي (القات) — فقد أتي بها من بلاد الحبشة أيام أتي بشجرة القهوة أيضاً . وعلى مقربة من ساحل البحر مدينة اشتهر فيها شجرتان غرستا فيها في بادىء الأمر وهما شجرة «القات» وشجرة «القهوة» . وقد تمكنت في اليمنيين عادة كعادة الانكليز وهي أنهم في نحو الساعة الرابعة من ظهر كل يوم يجلسون جماعات لتناول «القات» إذ يعدونه ممضوغاً منهماً ويزيدونه بهجة ولذة بتعاطي أقداح الحديث كما يتعاطى الندامى كؤوس المدام . ومع ما في هذا النبات من أذى اضعاف الأعصاب فان كل يمني حتى الجندي العادي على أجره الذي لا يستحق الذكر يجهد في اقتصاد شيء ما في سبيل تناول «القات» . وكأن ذلك يذكرنا بعادة الكوكايين عند أهل الغرب .

عند ولادة الاولاد

ان طريقة ولادة الام في اليمن شديدة القسوة . فالأمر الوحيد المساعد لها حينئذ هو الاتيان بمن ترقص على بطن المتألمة البائسة مدة المخاض ومع كثرة النسل فان متوسط الوفيات منهم وافر جداً . وقد قال لي أحد حكام المدن الكبيرة إنه قد فقد ٢٢ صبياً وهو عدد يستحق الذكر ويستلفت الانظار حتى في أسرة عادية أمريكية . ومع ذلك فقد أبقت له العناية ثمانية أولاد على حالة حسنة من الصحة .

السعي لمنع الحج و مفاسد البدع

ان استيلاء امام السنة في هـذا العصر عبد العزيز السعود على الحجاز وشروعه في تطهير الحرمين الشريفين من بدع الضلالة وقيامه بتجديد السنة قد كشف لاهل البصيرة من المسلمين ان ما كان من تساهل القرون الوسطى في مقاومة أهل البدع قد جر على الاسلام وأهله من الارزاء والفساد ما هو شر من تلك البدع نفسها حتى أن طوائف من المسلمين الجغرافيين صاروا يفضلون بعض تلك البدع على أركان الاسلام ويحاولون تعليق أداء فريضة الحج وهو ركن الاسلام الجامع لشعوبه على بعض تلك البدع بحيث تترك الفريضة ويهدم الركن الاسلامي إذا لم يسمح ملك الحجاز باقامة تلك البدع

بدأ هذا الامام منذ تم له السلطان على الحجاز بابطال بدع القبور والمباني التي افتتن عامة المسلمين بصبغها بصبغة الاسلام التعبدية الذي كان بعمل سلاطين الاعاجم وأمرائهم فقامت عليه قيامة الشيعة أو أعاجمهم وبعض زعماء الاهواء السياسية في الهند والخرافيين عبدة القبور وطلاب الحياة من الموتى فمنعت حكومة إيران رعاياها من أداء فريضـة الحج وبثت الدعاية في الهند لذلك وتولى الانفاق على الدعاية غني من أكبر أغنياء الشيعة هو محمد علي راجا محمود آباد ونصره في عمله في هذا العام السياسيان الزعيمان شوكت علي ومحمد علي ورئيس جمعية خدام الحرمين وبعض أعضائها الخرافيين المأجورين ـ وقد بلغ من طغيان هذه الفئة أن طلبت باسم زعيمها من الحكومة الانكليزية التدخل في أمر الحجاز بالقوة لازالة الحكومة السعودية منه — وهم يعلمون أن هـذا لا يتم إلا بمحاربة هذه الدولة النصرانية له في حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ ولـكن اتباع الهوى ونصر البدعة أركسهم بما كسبوا فاستحلوا أكبر الكبائر من صد المسلمين عن فريضة الحج إلى دعوة خصوم الاسلام لانتهاك أعظم حرمات الاسلام ـ واستحلال ذلك كفر بالاجماع ـ ولـكن الله تعالى خذلهم ونصر دينه وسنة رسوله على عداوتهم لها وأقبل الالوف من أهل الهند وكذا أهل إيران على بيت الله تعالى لاقامة ركن الاسلام .. واعترفت

الدولة البريطانية بملكية ابن السعود على الحجاز ونجد واستقلاله المطلق رسمياً

بعد هذا كله حدث في مصر مالم يكن ينتظره مسلم ولا عاقل من السعي لمنع أداء فريضة الحج بأراجيف اختلقها حزب الالحاد والزندقة وبحجة الانتصار لبدعة المحمل والاصرار عليها . وكان قد ظهر فضل مصر وسائر البلاد العربية على بلاد الاعاجم كلها بانه لم تظهر فيها معارضة ما لما قام به ملك الحجاز ونجد من إزالة البدع ونصر السنة على كثرة الخرافيين فيها من أهل الطرق وغيرهم بل أيده رؤساء العلماء على حكومتهم فيما طلب منعه من عزف الموسيقى في مشاعر النسك وفي شرب الدخان في مكة أو الحجاز كله .

بدأت بذلك جريدة السياسة المشهورة بدعايتها الالحادية ومحاربتها للازهر وسائر رجال الدين ، ونصرها للطاعنين في الاسلام كعلي عبد الرازق وطه حسين ، فزعمت أنه جاءها نبأ من « مقيم في جزيرة العرب » بأن رؤساء الوهابيين اجتمعوا في عاصمة نجد « في ٢٠ رجب » بحضرة الملك عبد العزيز بن السعود وأنكروا عليه في وجهه اخلاف وعده لهم باقامة شرع الله في الحجاز وتطهير البلاد ومما قالوه له بزعم الكاتب « ألم ترخص لصنم مصر المسمى بالمحمل بدخول الحجاز مع اولئك العسكر الكفار ؟ ألم تدافع عن أولئك الكفار حينما أردنا أن نقوم بالواجب الشرعي من إنكار المنكر ؟ الخ واستدلت جريدة السياسة بهذا الحديث على أن الوهابيين أخذوا يفلتون من سلطة الملك ابن السعود ورتبت عليه أنه يجب على الحكومة المصرية أن تأخذ « الضمانات اللازمة » للاطمئنان على أرواح الحجاج المصريين وعلى كرامة مصر من غير ابن السعود قبل أن تأذن بالحج في هذا العام تعني أنه يجب أخذ الضمانات من رؤساء الوهابيين الذين في نجد وهي تعلم أن هذا لاسبيل اليه — فالمراد دعوة الحكومة إلى منع الحج

وقد كتب اليها رئيس ديوان جلالة ملك الحجاز ونجد (محمد طيب الهزاز) الحجازي كتابا كذب فيه خبر ذلك الاجتماع تكذيبا رسمياً قال فيه انه في التاريخ الذي ذكرت اجتماع رؤساء النجديين فيه كان في خدمة جلالة الملك بنجد

ولو حصل ذلك الاجتماع لكان من أعلم الناس به فهو لم يحصل وأكد فيه أن طاعة رؤساء النجديين ودهمائهم لامامهم الملك على أكملها لانها عقيدة دينية فكتبت جريدة السياسة مقالا آخر أصرت فيه على دعوتها الاولى مرجحة النبأ الذي زعمت أنه جاءها من رجل مقيم في جزيرة العرب على هذا البلاغ الرسمي

ونحن على علمنا بان الذي كتب ذلك النبأ هو رجل مصري مقيم في القاهرة حانق على الحكومة الحجازية وله صديق كان في الكويت يوهم أنه هو الذي كتبه ـ قد كتبنا مقالا في الرد على جريدة السياسة نشرناه في جريدة كوكب الشرق تجاهلنا فيه ذلك وتكلمنا بلسان الشرع والعقل والمصلحة الاسلامية وذكرنا في آخره أننا نعلم أن المسلمين لا يبالون بما تنشره جريدة السياسة فلا نخشى أن يؤثر في أنفس مريدي الحج من المصريين فيصرفهم عنه ولكننا ننتظر لنرى تأثير كلامها في الحكومة المصرية ، وكانت جريدة السياسة ذكرت أن الحكومة المصرية عهدت إلى قنصلها في جدة أن يبلغ جلالة ملك الحجاز ونجد ما تشترطه لارسال المحمل وما يتعلق به في هذا العام وتنتظر جوابه

ثم لم تلبث الحكومة أن نشرت البلاغ الرسمي التالي الذي قرره مجلس الوزراء مجتمعاً ووافق عليه جلالة الملك :

بلاغ رسمي

وصل الى علم الحكومة المصرية أن حكومة الحجاز تشترط في حج هذا العام شروطاً معينة فخابرت وزارة الخارجية حضرة قنصل المملكة المصرية في جدة للاستيثاق من مبلغ هذا الخبر من الصحة وكلفته بمفاوضة جلالة الملك ابن السعود في ذلك شخصياً

وقد ورد الى الحكومة نبأ برقي من حضرة القنصل المذكور يفيد أن جلالة ملك الحجاز يشترط لحج هذا العام :

أولا — تجريد الحامية المصرية التي تصحب المحمل عادة من سلاحها تفاديا من حصول مصادمات بينها وبين الوهابيين

ثانياً — منع عرض المحمل بالحرم الشريف وكذلك تسيير المواكب المعتادة واشترط فوق ذلك شروطاً أخرى تغاير التقاليد المتبعة من قديم وتقيد حرية الحجاج .

وترى الحكومة مع هذه الاشتراطات أنه لا يمكن الاطمئنان على سلامة ركب المحمل والحجاج

ولما عرضت هذه المسألة على مجلس الوزراء قرر بجلسة ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ (١٢ مايو سنة ١٩٢٧) العدول عن إرسال المحمل في هذا العام وإعلان الحجاج المصريين بأنهم بسفرهم قد يستهدفون لبعض المخاطر وانهم اذا اذا رأوا مع ذلك السفر في هذه الظروف فان ذلك يكون تحت مسؤوليتهم » اه

وقد استغربنا من هذا البلاغ قول الحكومة إن الحجاج المصريين يستهدفون لبعض الاخطار في الحجاز إذ فيه تثبيط وصد عن اداء الفريضة بالايهام الذي لا دليل عليه ، ثم ازداد استغرابنا بما أجاب به رئيس الوزارة عبد الخالق ثروت باشا عن سؤال في مجلس النواب لماذا لم تمنع الحكومة المصريين من الحج وهي تعتقد أنهم يستهدفون فيه للخطر وحمايتهم واجبة عليها — فأجاب بأن سبب عدم المنع اعتبارات دينيه — يعني أن دعوى الحكومة الاستهداف للخطر لم يمكنها من أخذ فتوى شرعية بمنع الحج فلم تستطع حمل تبعة منع المسلمين من اداء فريضتهم!

وبعد ذلك نشرت وكالة المملكة الحجازية النجدية بمصر البلاغ الرسمي التالي

﴿ بلاغ الحكومة الحجازية ﴾

ننشر هذا البلاغ تنويراً للرأي العالم المصري الكريم ودحضاً لاقوال مثيري الضجة بمناسبة عدم سفر المحمل والبعثة الطبية والصدقات المراد ارسالها الى الحجاز فنقول : —

إن الحكومة المصرية كانت طلبت من حكومة الحجاز ونجد وملحقاتها أن يرافق أمين الحج أورطه كاملة بملحقاتها من طوبجية وسواري وهجانة وغيرها من المعدات . وأن ترافق القوة المذكورة المحمل في كل مكان وان تكون

دورة المحمل بالمراسم المعتادة كالمتبع سنويا بغير أي تعديل فقد كان جواب الحكومة الحجازية النجدية على هذه النقطة مايأتي : —

ان الحكومة الحجازية تحب أن تتأكد الحكومة المصرية رغبتها لأنها مستعدة لاجراء جميع التسهيلات الممكنة للمحمل وركبه . بل لسائر الحجاج على القواعد التي تحفظ الامن وتصون حرمة الدين الاسلامي المقدس الذي جاء به الكتاب المنزل على لسان النبي المرسل ﷺ وانها أي الحكومة الحجازية النجدية لايخامرها الريب في أنها ستجد في الامة المصرية الكريمة وعلى الاخص في علماء الدين أعظم منشط ومساعد على إقامة شرع الله في أقدس بلاد الله وانها مستعدة للعمل بما يقره الدين ويقرره علماء المسلمين وان ذلك سيكون مقبولا لديها ومرعيّ الحرمة . وبما أن جلالة الملك قد منع التجول بالسلاح في البلاد المقدسة لكائن من كان من أهل نجد وغيرهم وعلى الاخص أيام الحج ومنع أيضاً إتيان أي عمل لم يأذن الله به من الاعمال المخالفة للشرع والتي ينبغي أن يكون المرد فيها الى كتاب الله وسنة رسوله . فيمكن للمحمل وركبه شهود الحج هذا العام بعد مراعاة أمور ثلاثة دعت اليها العبر من حوادث العام الفائت وهي :

أولا — أن لايكون مع ركب المحمل سلاح ما أسوة بحجاج سائر بلاد الاسلام

ثانيا — أن لايعرض المحمل لأن يكون سببا في تبرك الناس به تبركا دينياً لم يأذن الله به ولا جاء في شرع الاسلام

ثالثاً — أن يكون سير المحمل في أيام الحج كسير الناس جميعا حفظاً لراحة سائر الحجاج :

وفيما عدا ذلك فسيلقى المحمل وركبه كل اكرم ورعاية من الحكومة المحلية وان الحكومة الحجازية النجدية تحب أن تتأكد الحكومة المصرية انها لم تشترط مراعاة هذه الامور إلا صيانة لراحة المصريين وراحة حجاج المسلمين من سائر بلاد الله .

وقد كان جواب الحكومة النجدية الحجازية على طلب الحكومة المصرية فيما يتعلق بالبعثات الطبية للاعتناء بحالة الحجاج الصحية وإسعافهم أثناء تادية الفريضة والزيارة انها ترحب بهم وحباً وكرامة بقدومهم

وكذلك أجابت الحكومة الحجازية طلب الحكومة المصرية بالموافقة على أن تشكل لجنة من مندوبين من قبل الحكومتين المصرية والحجازية لتوزيع المرتبات المخصصة للفقراء والمحتاجين بدون قيد ولا شرط

وعلاوة على ماسردناه أعلاه فاننا حبا في تطمين آل الحجاج وذويهم من المصريين الكرام وإزالة الوساوس والمخاوف التي علقت بأذهانهم ننشر خلاصة كتاب ورد الينا من جلالة الملك الحجاز ونجد وملحقاتها وهي : وبما أننا نرغب في اجراء التسهيلات اللازمة لجميع وفود بيت الله الحرام وعلى الاخص الحج المصري الذي تربطنا بأهله روابط عديدة فليكن المصريون واثقين بأن حجاجهم سيلقون الحفاوة التامة والرعاية الكاملة . والتسهيلات المطلوبة . نرجو الله أن يحسن العواقب في جميع الامور (فوزان السابق)

(المنار) في أثناء هذه المدة أسرفت جريدة السياسة في الطعن في الوهابيين لتقوية الاوهام في الانفس وإثارة المخاوف في القلوب لمنع الحج، ومن أشد مقالاتها اسرافا في البهتان مانشرته في ٢١ ذي القعدة (٢٣ مايو) من تصوير الوهابيين بصورة الحيوانات المفترسة التي تستحل افتراس كل من ليس بوهابي وأنه «لايمكن أن يردعها عن ذلك أحد مهما سما مقامه» - أي وان كان امامهم الديني وملكهم السياسي - حتى قال الكاتب في مسألة شرب الدخان «فكثيراً ما فقئت أعين وكسرت أذرع وهشمت رءوس بأيدي الاخوان على هذا المنكر وإن كان كثير منهم يرتكب هذا المنكر وأشد منه في الاثم!»

وخاضت جرائد أخرى في ذلك حتى أن جريدة الاهرام نشرت مقالا افتتاحيا زعمت فيه ان الخطر على البشر من البلشفية والوهابية بعد أن أفتت في مقال آخر بأن المحمل المصري أمر مشروع . . .

فوجدت من الواجب بيان حقائق جميع هذه المسائل فكتبت مقالا نشر في جريدتي الاخبار والبلاغ قطع به كل لسان يصد عن حج بيت الله الحرام ، وكسر كل قلم يخوض في ذلك بالباطل، فلم يستطع احد أن يرد كلمة حتى أن جريدة السياسة على استباحتها للافك والبهتان لم تستطع أن تقول فيه إلا أنه ضد على الحكومة المصرية والمصريين، وذلك أن مذهبها أن دين المصريين مجموع تقاليد عامتهم وحكوماتهم كالمحمل والموالد لا مايتدارسونه في الازهر وغيره من المعاهد الدينية - وهذا نصه:

الحج ومسائل الخلاف

بين حكومتي مصر والحجاز

اضطربت آراء الكتاب وأهواؤهم في مسألة الخلاف بين حكومتي مصر والحجاز في أمر المحمل وحرسه وموسيقاه وأمر اداء فريضة الحج وخدمة الحجاج، وأوقاف الحرمين والصدقات الثابتة في ميزانية المالية المصرية لأهل الحرمين وكسوة الكعبة المعظمة ومذهب النجديين وسيرتهم وسائر مذاهب أهل السنة — لم أر أحداً كتب في ذلك عن معرفة صحيحة وبيان للحقيقة الشرعية ولكنني أعتقد أن صاحب جريدة (الاخبار) كتب ما يعتقد أنه الحق بالاخلاص الذي لايمتري فيه أحد يعرفه واعتقد أن بعض الكتاب من علماء المسلمين قال الحق في مسألة المحمل وكونه بدعة، وأن بعض الكتاب من غير المسلمين خلط مايدري بما لايدري وغالط فيه بما يحدث الشقاق بين المسلمين أو يقويه، ولا أتعرض لبيان حال الدعاة الى ترك الحج من أدعياء المسلمين وانما أكتب ما أظن بل أعتقد أن الحق لاينجلي في هذه المسألة وفروعها بدونه من الوجهتين الحقوقية والشرعية، وما يحتف بهما من اختباراتي الشخصية، ووقوفي على الوقائع المهمة ملخصاً ذلك في المسائل الآتية :

١ — كان الحجاز ومصر تابعين لحكومة عدة من الخلفاء والدول من صدر الاسلام الى عهد الخلافة العثمانية وكانت مصر في بعض القرون الوسطى مستقلة وكان الحجاز تابعا لها ولما كانت مصر تحت سيادة الدولة العثمانية كان جيشها بعد جيشا عثمانيا يحدد عدده السلطان العثماني، وعلمه علم الجيش العثماني ورتبه عين رتبه

وقد صار الحجاز بعد الحرب العالمية الكبرى دولة ملكية مستقلة استقلالا دوليا تاما مطلقا من كل قيد على حين كانت مصر تحت الحماية البريطانية ثم اعترف لها باستقلال مقيد بقيود تجعله اسميا فقط

وقد تودد جلالة ملك الحجاز لجلالة ملك مصر وحكومته بما استطاع من من أنواع التودد ولكن الحكومة المصرية لم تعترف الآن بملكيته وحكومته ويقال

إنها بلغت مستشاره الشيخ حافظ وهبه[1] شفويا أن يبلغه أنها تشترط لاعترافها به شروطاً يعد قبولها منافيا لاستقلاله ويجعله كالتابع لها. وسواء أصح هذا أم لم يصح فملك الحجاز يرى أن استقلاله أتم من استقلال مصر وأن مملكة مصر دولة أجنبية ليس لها حق في أن تدخل في مملكته جيشا مسلحا ولا غير مسلح ، وأن تقاليد حرس المحمل قد بطلت بتغير شكل الحكومتين، وأن لافرق في هذه التقاليد بين المحمل المصري والمحمل الشامي فلو طلبت حكومة الشام منه الاذن لها بارسال محملها مع حرس شامي كالعادة السابقة وقد كان له المنزلة الاولى في الحجاز لما أذن لها مطلقا .

ولكن جلالة ملك الحجاز شديد الحرص على موادة مصر وموالاتها وارضاء جلالة ملكها وحكومتها وشعبها ، وشديد التقوى والحذر من وقوع أقل شقاق بينه وبينها . ولذلك أذن لها في الموسم الماضي بادخال حرس المحمل بسلاحه وأعلامه وباستعمال حريته في جميع أعماله العسكرية وهتافه به لملكه كما اعترف به أمير الحج شاكراً الا الموسيقى التي استفتت فيها الحكومة المصرية رؤساء الدين ـ شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ـ وعملت بفتواهما فيها وفي مسألة المجاهرة بشرب الدخان (فقبلت ماطلبه ملك الحجاز من منعهما)

حكم المحمل سياسة وشرعا

٢ — المحمل وما أدراكم ما المحمل ! ! نعني بالمحمل هذا الشيء الذي يوضع على الجمل كالمحفة أو الهودج أو الخيمة المجلل بالنسيج الحريري الموضون بالذهب الذي يتبرك به العوام ويعدونه من شعائر الاسلام ومشاعر الحج الى بيت الله الحرام، الذي يحمل الى مكة المكرمة فمنى فعرفات ثم من عرفات الى المزدلفة فمنى فالحرم الشريف بمكة فيطاف ، به في معاهد النسك كلها وآخرها الكعبة المشرفة

(١) ويظن المصريون أن لقب مستشار الذي تحلى به الشيخ حافظ هو بمعنى المستشار الامبراطوري الذي كان للامبراطورية الألمانية وأنه هو رئيس الحكومة الحجازية انجدية وليس الأمر كذلك ولا يزيد هذا اللقب في الحكومة السعودية على مايدل عليه معناه اللغوي ، وللامير فيصل رئيس الحكومة الحجازية عدة مستشارين

كأنه أحد الحجاج ثم يوضع قبالتها فيتبرك به العوام الجاهلون بأحكام الاسلام وشرعه كما كانت الجاهلية تتبرك بالاصنام المنصوبة حولها

هذا هو المحمل الذي نعنيه والذى هو محل الخلاف بين الحكومتين في هاتين السنتين دون غيره، هو بهذه الصفة بدعة دينية لانه عمل يشبه المشروع وما هو بمشروع، هو محدثة في مناسك الدين، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله كما كان الرسول الاعظم يقول في خطبه على المنبر ﷺ وانما البدعة التي تكون حسنة أو سيئة ويختلف فيها اجتهاد الناس باختلاف آرائهم في النفع والضر والحسن والقبح فهي البدعة في غير التعبدات التي تتوقف على نص الكتاب والسنة والا لما كان قوله ﷺ «وكل بدعة ضلالة» صحيحاً (راجع الصفحة ٢٠٦ من الفتاوى الحديثية للعلامة ابن حجر) وبناء على هذه القاعدة قال صاحب منهاج الفقه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . فاذا كانت الصلاة لله تعالى على وجه غير مشروع في توقيتها وما يقرأ بدعة قبيحة مذمومة وهي عبادة لله تعالى فكيف يكون حكم البدعة في عبادة غيره سبحانه ؟ وكل عمل يعمل تدينا ويقصد به القربة والثواب أو جلب نفع أو كشف ضر من غير طريق الاسباب فهو عبادة ، وقد حكى الله تعالى عن المشركين انهم كانوا يقولون في أصنامهم وأوثانهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الآية فكل من يتبرك بالمحمل تدينا وبعد ما ذكرنا في شأنه مشروعا فهو مثلهم

هذه مسألة لا يختلف فيها أحد يعرف أحكام الاسلام فيجب على المسلم أن يدع أقوال غير العارفين بها وأقوال غير المسلمين في ذلك بالاولى وأن يفرق بين الامور الدينية والامور الدولية والحكومية فلا يتعصب للمحمل لاجل حكومة مصر فلهذه الحكومة أمور كثيرة مخالفة للشرع لايجوز لمسلم أن يوافقها عليها بل يجب عليه دائما أن يطالبها بتركها فقد صار متمكنا من ذلك في عهد الدستور

سبب إذن ابن السعود بدخول المحمل

(٣) كان يجب على ملك الحجاز أن يمنع دخول المحمل في بلاد الحجاز البتة كما قال أمير لك الرافعي لانه يعتقد أنه بدعة وضلالة ، ولكنه خشى في

العام الماضي أن تمنع الحكومة المصريين من أداء فريضة الحج وتمنع مالأهل الحجاز من الغلال و لاموال المفرقة ويكون ذلك سبباً للتعادي بين الحكومتين والشعبين فاختار ما رآه بحسب القاعدة الشرعية ارتكاب أخف الضررين عند تعارضهما فاذن بدخول المحمل وحاول منع منكراته ، ولكن ترتب على ذلك ماترتب عليه من إنكار بعض النجديين الذين تربوا على انكار كل منكر في بلادهم عملا بحديث «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الايمان » رواه الامام احمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة ومن إطلاق حرس المحمل الرصاص والرشاشات وقتل كثير من المعتدين على المحمل وغيرهم . وهذه فتنة جديدة نشير إلى حكمها الشرعي بصرف النظر عن كونها فتنة بين حكومتين اسلاميتين يجب اتقاء الوقوع في مثلها

تحريم القتل والقتال وحمل السلاح بمكة

(٤) من المعلوم من دين الاسلام بالضرورة أن حرم مكة المعروف بحدوده والذي تدخل فيه « منى » التي وقعت فيها حادثة المحمل قد حرم الله تعالى فيه القتل والقتال بل حرم فيه الصيد وقتل الحيوانات والحشرات إلا ما استثنى من الفواسق الخمس بنص الحديث وما ألحق بها من الوحوش المفترسة — وكذا قطع الاشجار وقلع النبات إلا الاذخر الذي يضعونه على الموتى عند الدفن وفي سقوف البيوت

والاحاديث في تحريم القتال في حرم مكة مشهورة في الصحيحين والسنن منها قوله ﷺ يوم الفتح في خطبة له « ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا أن يعضد بها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم . وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب » . قال الماوردي في الاحكام السلطانية : من خصائص الحرم ألا يحارب أهله (أي من فيه لان الحرمة له) فان بغوا على أهل العدل (أي على حكومة الامام الاعظم) قال بعض الفقهاء يحرم قتالهم بل يضيق عليهم حتى

يرجعوا إلى الطاعة ويدخلوا في أحكام أهل العدل . وقال جمهور الفقهاء يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغي الا بالقتال . . الخ » فانظر إلى هذا القيد بل قال القفال من فقهاء الشافعية « حتى لو تحصن جماعة من الكفار فيها لم يجز لنا قتالهم فيها » . وغلطه النووي ثم قال : « وأما الجواب عن الاحاديث المذكورة هنا (أي في صحيح مسلم في إطلاق تحريم القتال) فهو ما أجاب به الشافعي في كتابه سير الواقدين ـ ان معناها تحريم نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم كالمنجنيق وغيره اذا أمكن اصلاح الحال بدون ذلك بخلاف ما اذا تحصن الكفار في بلد آخر فانه يجوز قتالهم على كل وجه وبكل شيء والله أعلم اه

فانظر إلى هذه القيود في قتال البغاة الخارجين على الخليفة وقتال الكفار في أرض الحرم وكيف منعه بعضهم مطلقا . ولا يخفى أن إطلاق الرشاشات والمدافع هي مما يعم كالمنجنيق لا كالسيف والرمح الذي لا يقتل به الا من قصد قتله بشخصه . ومنه تعلم ان إطلاق الرصاص الذي استعمل في حادثة المحمل من المحرم بالاجماع الذى لا يباح بحال ما ولا عذر ما

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر قال سمعت النبي (ص) يقول «لا يحل لا حدكم أن يحمل بمكة السلاح »

إذا كان هذا حكم الله في حرم مكة في كل حال فكيف يكون تأكيده في الشهر الحرام وفي حال الاحرام واداء المناسك ؟ وكيف يكون حكم حمل السلاح اذا كان يقصد به الاستعداد للقتال دفاعا عن بدعة المحمل ؟

منع النجديين والمصريين من حمل السلاح بمكة وحرمها

(٥) قد رأى جلالة ملك الحجاز الاحتياط لمنع هذه الجريمة العظمى المحرمة باجماع المسلمين لذاتها بصرف النظر عما يتبعها من العداوة بين الممالك الاسلامية ومن تعطيل إقامة ركن الدين العام بمنع حمل السلاح مطلقا : منع النجديين ومنع المصريين جميعا . فهل يرضي مسلما أو منصفا غير عدو المسلمين والحال على ما علمناه أن يمنع النجديين من ذلك وحدهم ويسمح به للمصريين مع العلم بأن الحكومة المصرية انما تطلب زيادة حرس المحمل وزيادة سلاحه وسير الموسيقى

معه لاجل التنكيل ممن يتعرض له من النجديين

أليس الواجب المحتم أن نتفادى من هذه الشرور والجنايات المحرمة بالاجماع بالاستغناء عن ارسال المحمل وارسال الجيش لاجله ! بلى وان ملك الحجاز كان يرجو أن تفعل الحكومة ذلك من تلقاء نفسها تكريما لها وحرصا على مودتها . وقد دفع في العام الماضي دية جميع قتلى النجديين من ماله ودفع لهم ثمن ما قتل لهم من الاباعر أيضا ولم يطالب الحكومة المصرية بشيء ولا كتب لها بذلك فيما نعلم

فيأيها المسلمون المعتصمون بعروة دينهم المخلصون لربهم افرضوا أن هودج المحمل ليس بدعة محرمة بالمعنى الذي تقدم وأنه من تقاليد الحكومة المباحة أيجوز لنا أن نتعصب لارساله للحجاز بالصفة التي ينتظر أن تثير الفتنة بيننا وبين النجديين وتتحول بها العبادة المفروضة الى جرائم سفك الدماء وانتهاك حرمات الله تعالى واهانة حرمة الدين الذي فرض علينا تعظيمه

هبوا أن النجديين مخطئون في الانكار على المحمل لقلة علمهم ولغلوهم في دينهم وأنه يجب على ملكهم أن يصحح لهم معلوماتهم في ذلك . ألستم تعلمون أن هذا عمل يتعذر في مدة قصيرة لو كان صحيحا وفي وسع الحكومة المصرية السياسية أن تترك هذا المظهر من تقاليدها كما تريد ترك تقليد الائمة الاربعة في بعض أحكام الامور الشخصية . والمصلحة في ترك تقليد ابتدعته امرأة كان حكمها لمصر غير صحيح شرعا أظهر من المصلحة فيما تريد من مخالفة الائمة الاربعة به . دع ما هي مخالفة فيه للكتاب والسنة والاجماع والقياس من إباحة البغاء وأمثاله

ابطال ايهام الخطر على الحجاج المصريين

(٦) أوهم كلام بعض الجرائد الداعية الى منع الحج ان على حجاج المصريين خطراً من تعدي النجديين عليهم أخذاً بثأر من قتل منهم في العام الماضي ومن الاسف أن جاء بلاغ الحكومة الرسمي يؤيد هذا الوهم وهو مدفوع من وجوه :

(أولها) ان أولياء الدم من النجديين طالبوا جلالة الملك بعد انتهاء أعمال الحج الماضي بالقود من قاتليهم فأجابهم بانه قتل خطأ لا قصاص فيه بل تجب فيه الدية فقط فطلبوا منه أن يجمع لهم علماءهم الخمسة الذين كانوا بمكة لاستفتائهم فجمعهم

فأفتوا بوجوب الدية فدفعها جلالته من ماله مع التعويض كما تقدم

(ثانيها) أن مسلمي نجد قد أبطلوا مسألة أخذ الثأر الجاهلية وهم خاضعون في ذلك لاحكام الشريعة وهي لا تبيح عقاب كل مصري بذنب أمير الحج وعسكره

(ثالثها) أنهم لا يخرجون عن أمر إمامهم لان علماءهم نشروا في جميع البلاد أن مذهب أهل السنة لا يجوز الخروج على الامام وان ظلم إلا اذا أعلن الكفر

(رابعها) أن المصريين اذا كانوا حجاجا غير مسلحين يتعذر التمييز بينهم وبين سائر الحجاج كما قال حضرة امين بك الرافعي في أخباره الاسلامية فكيف يعرفهم الوهابيون فينتقموا منهم؟

(خامسها) ان حرس المحمل لم يكن في العام الماضي حارساً للحجاج ولا كانوا هم ملازمين له وقد ذهب بعد أداء الحج كثير منهم الى المدينة المنورة ولم يذهب المحمل اليها ولم يتعرض أحد من النجديين ولا من غيرهم لهم بسوء

(سادسها) انه قد ثبت بالتواتر لدى شعوب العالم الاسلامي وغيره أنه لم يعرف في تاريخ الحجاز أن أحداً من حكامه السابقين كان أقدر من الملك عبد العزيز السعود على حفظ الامن فيه أو مثله أو على مقربة منه -- فهو إن عجز في هذا العام عما كان قادراً عليه فيما قبله فلن تستطيع الحكومة المصرية أن تغني غناءه بحرس محملها

(سابعها) أن الحكومة المصرية لم تقم دليلا على الخطر الموهوم الذي ادعته وقد طالبها حضرة أمين بك الرافعي ببيان ذلك فلم تجب مع أن المقرر في أصول الفقه الاسلامي عدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة

(ثامنها) أن الحكومة المصرية قالت في موسم سنة ١٣٤٣ إنه قد ثبت لديها أن طريق الحج غير آمن بسبب الحرب بين الشريف علي وابن السعود وأمكنها بتلك الشبهة أخذ فتوى شرعية رسمية بجواز تاخير الحج ثم ظهر للعالم كله أن طريق رابغ التي أعلن ابن السعود أنه كافل الأمن فيها كانت آمنة لم يصب أحد ممن سلكها إلى مكة المكرمة بسوء في نفسه ولا في ماله .

(تاسعها) جاء في رسالة من مكة المكرمة إلى جريدة المقطم أن جلالة ابن السعود عقد مؤتمراً كبيراً في نجد حضره زهاء ثلاثة آلاف رجل منهم جميع

قواد قواته الحربية وجددوا مبايعته على السمع والطاعة وأنه أمرهم بعدم حمل السلاح في الحجاز وان الاخوان قرروا بعد ذلك عدم الحج في هذا العام توسعة على حجاج البحار الكثيرين على أنه قلما يوجد منهم أحد يجب عليه الحج ولم يحج في هذه السنين التي استولى فيها أمامهم على الحجاز

(عاشرها) أن السواد الاعظم من الراغبين في الحج والمستعدين له لم يبالوا ببلاغ الحكومة ولا بارجاف جريدة السياسة فهم يتهافتون على البواخر التي تحملهم إلى الحجاز كما نطقت بذلك جميع الجرائد بلغهم الله السلامة

مكانة المصريين بالحجاز

(٧) أختم هذه المباحث بالشهادة لله تعالى إنني لم أر جلالة الملك عبدالعزيز ابن السعود أحرص على مودة شعب من الشعوب الاسلامية حرصه على مودة الشعب المصري ولا على مصافاة حكومة كمصافاته للحكومة المصرية ، إن القنصل المصري في جدة لأشد تعالياً في الحجاز من المندوب السامي البريطاني في مصر ، وإن ناظر التكية المصرية بمكة حاول الاحتفال بالمولد بتزيين الشارع العام أمام الحرم الشريف من جهة التكية وهنالك دار الحكومة الحجازية وهو يعلم أن هذه الاحتفالات المبتدعة بما لها من الصبغة الدينية ممنوعة في الحجاز ولما بلغت الحكومة جلالة الملك ذلك مستأمرة له بمنع الزينة تولى جلالته بنفسه مخاطبة حضرة الناظر بالتليفون يرجوه بأن يترك تزيين الشارع وأبواب الحرم ويفعل في التكية ماشاء فلن يعارضه أحد . أتعلمون بماذا قابل حضرة الناظر هذا التواضع واللطف من الملك ؟ قابله بعدم المبالاة به وعدم الكف عن تزيين الشارع فاضطر جلالته الى أمر ادارة الامن العام بازالة الزينة من الشارع فقط

وانما جرأ ناظر التكية على هذه المخالفة لكل شرع وقانون وأدب أنه رأى الحكومة الحجازية في موسم الحج الماضي تأمر بمنع سير الاتومبيلات في شوارع مكة لنفور الاباعر التي تحمل شقادف الحجاج من صوتها وحركتها ـ وضرر ذلك ظاهر ـ فامتثل جميع الناس الامر وفي مقدمتهم رجال الحكومة وأعضاء المؤتمر الاسلامي إلا أمير الحج المصري ورجاله فانهم ظلوا يغدون ويروحون بأتوموبيلاتهم ! !

وأنشئت في الحجاز شركة أوتوموبيلات مصرية بين جدة ومكة بشروط كلها في مصلحة المصريين والغبن على حكومة الحجاز وكان من تعزز الشركة بمصريتها انها لم تقم بالشروط الرسمية المفروضة عليها وأهمها اصلاح الطريق ومنه مواضع ضرورية فانذرتها الحكومة المحلية المرة بعد المرة بالغاء الامتياز إذا لم تفعل فلم تحفل بالانذار ، فألغته الحكومة بعد الانذار الثالث في جريدة أم القرى على ما تتذكر

مع هذا كله نرى جريدة مصرية[1] تتهم الحجاز وحكومة الحجاز وملك الحجاز بحرمان المصريين من الاشتراك في حكومة الحجاز وتفضيل السوريين عليهم ، ولم يخطر في بال حكومة الحجاز أمر التفاضل بين قطرين شقيقين في الجامعات الدينية واللغوية والجوار الا أن أحدهما في بحبوحة الثروة والامان والآخر منكوب تدمر مدائنه وقراه ومزارعه ويشرد خيار رجاله ويموت ضعفاؤه جوعا وعطشا وعرى. على أنني قد أرسلت في هذا العام عدة أساتذة من المصريين إلى مكة المكرمة وأوصيت بهم فمنهم المدرسون في المعهد السعودي الجديد وهو أعلى معاهد التعليم العصري في الحجاز وبعضهم مدرسون في الحرم الشريف

ومما يجب ذكره والتنويه به ان أحدهم يقرأ عقائد الاسلام لبعض النجديين الذين يتهمون بتكفير المصريين كافة عامة ، ومما يجب أن يذكر ان الامام الحنبلي النجدي في الحرم الشريف سافر فوكل هذا الاستاذ المصري بان ينوب عنه بالامامة

المصريون والنجديون

(٨) ان النجديين كانوا يعيشون في عزلة عن العالم كله إلا قليلا من مهاجري التجار في الهند والشام ومصر ، وقد فتح لهم باب آخر للتعارف مع سائر الشعوب الاسلامية باتحاد حكومتهم بحكومة الحجاز في السياسة العامة دون الادارة الخاصة، وصار من الضروري أن يسعى أهل الرأي والبصيرة لازالة ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين هذه الشعوب ولا سيما الشعب المصري

المعلوم عند أهل نجد بالاجمال أن الشعوب الاسلامية التي غلب عليها حكم الافرنج على حكم الاسلام قد فشت فيها حرية الكفر والفسق فكثر فيها التاركون

(١) هي جريدة السياسة التي تحاول نشر الثقافة المصرية اللادينية والالحاد في الحجاز

لأركان الاسلام والمستحلون لمحرماته المعلومة من الدين بالضرورة واستحلالها كفر باجماع المسلمين ، ناهيكم بما كثر فيها من البدع التي لا دخل للافرنج فيها حتى كثر فيها المرتدون والجاهلون بالدين الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح — فبهذا قلت ثقتهم بدين أهل هذه البلاد وصاروا يطعنون فيهم على الاطلاق إلا من ساح منهم في البلاد أو عاشر السائحين

وكان المشهور عن أهل نجد في مصر والشام والعراق والهند وغيرها من الاقطار انهم مبتدعة أصحاب مذهب خامس اخترعه لهم دجال يسمى محمد عبد الوهاب من أصوله تكفير جميع المسلمين الذين لا يتبعون مذهبهم ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، وتحريم جميع العلوم والفنون العمرانية . ومن أهل هذه الامصار من كان يزيد على ذلك بهتانا انهم يطعنون في الرسول الاعظم وينكرون شفاعته ويحرمون الصلاة والسلام عليه الخ وانما كان يعلم بطلان هذه الدعاوي والمطاعن فيهم المطلعون حق الاطلاع على التاريخ وأعلمهم بذلك المطلعون على كتبهم

قد زال في هاتين السنتين كثير من خطأ الفريقين والواجب السعي للاصلاح والتأليف التام والمصريون أجدر الناس بذلك لأنهم أعلم بوجه الحاجة اليه ، فان الاساس المحكم الذي وضع لاتحاد الشرقيين كافة والمسلمين خاصة إنما وضع بمصر بيد الحكيمين المصلحين الشهيرين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري وهما اللذان اذاعاه في العالم كله بجريدة العروة الوثقى التي نشراها في باريز ، وظلت دعوتها مستمرة في المؤيد فالمنار وغيرهما من الصحف . وقد ألفت في هذه السنين جمعية مصرية لاحياء الرابطة الشرقية — فانبذوا أيها المصريون المصلحون كل دعوة للشقاق وكل طعن في اخوانكم النجديين ، ولا توسعوا الخرق على الراقعين ، فالاتفاق خير لكم ولهم ، والتعادي شر للجميع ومصلحة لخصوم الجميع

قد اتفقت كلمة جميع الكتاب والباحثين على حسن نية جلالة ملك الحجاز ونجد عبد العزيز آل سعود وإخلاصه في خدمة الاسلام والمسلمين وقوة نفوذه في شعبه ، كما دلهم على ذلك مسلكه في أعماله كلها وفي المقاصد التي أعلنها في المؤتمر الاسلامي العام ، فعلينا أن نكل الى حكمته وحزمه وحلمه نشر ماينقص النجديين

من المعارف العصرية من طريق الدين وقد بدأ بذلك بما أسسه من المعهد السعودي للعلوم والفنون واللغات بمكة المكرمة ولا تهوشوا عليه في سعيه

أيها المسلمون لا يغرنكم كلمة من يقول إن الحجاز للمسلمين عامة فهي كلمة حق يراد بها باطل قد صرح به قائلوه وهو جعل حكومة الحجاز مؤلفة من هيئة اسلامية مؤلفة من جميع الممالك الاسلامية ، وأن يكون كل من ينتسب الى الاسلام حراً في رأيه وعمله وقوله فيه بحيث يصح لمثل الدكتور طه حسين أن يصرح في حرم الله تعالى أمام بيته بانكار مافي كتابه العزيز من إثبات بناء ابراهيم واسماعيل له الخ

ان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ مثابة لجميع المسلمين في أداء مناسك الحج والصلاة وزيارة مهد الاسلام وأفضل مساجده وقبر خاتم رسله ، ومن المستحب لمن وصل الى تلك البقاع زيارة قبور من دفن هنالك من الصحابة وغيرهم من السلف الصالح . ولكن ليس لأحد إحداث بدعة دينية فيه ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله وهدي السلف الصالح ، وليس لحكومة حق الاشتراك في حكم البلاد لأن ذلك مثار فتن لا أسوأ من عاقبتها . وحادثة المحمل في العام الماضي وفي هذا العام أظهر دليل على ذلك

لا خلاف بين المصريين والنجديين في شيء مما ذكر من أعمال الحج ومناسكه اذا كانوا يتبعون مافي كتب مذاهبهم دون البدع التي ينكرها جميع علمائهم اذا سئلوا عنها . وقد صرح الملك مراراً بأنه يخضع لكل ماثبت عن الأئمة الاربعة ، واذا كابر دعاة الفتنة في المسألتين فاننا نوضحها في مقال آخر ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح الحق على الهوى

كسوة الكعبة المعظمة

بعد أن قررت الحكومة المصرية منع إرسال المحمل إلى الحجاز فأحسنت صنعا ، وما أساءت إلا تعليلا وتأويلا ، قررت منع إرسال كسوة الكعبة فسئل رئيس الوزراء عن ذلك في مجلس النواب فقال ان الحكومة بعد أن قررت إرسالها لتصريح ملك الحجاز بقبولها عادت ففكرت أن الوهابيين ربما يعدونها بدعة فقررت عدم إرسالها ! فأساءت الحكومة بهذا عملا وتعليلا ، فنشرت مقالا طويلا في جريدة البلاغ في ذلك أودعته فصلا للحافظ ابن حجر في تاريخ كسوة الكعبة قبل الاسلام وبعده

قانون الاحوال الشخصية بمصر

والتنازع بين جمود الفقهاء المقلدين ، والحاد زنادقة المتفرنجين

— ٢ —

قد تضمن مقالنا الأول في هذه المسألة أن الذين يتكلمون في الامور الاسلامية العامة باسم الاسلام ثلاث جماعات (١) جماعة الفقهاء المقلدين للمذاهب الاسلامية المدونة التي جرى عليها العمل ولا يزال السواد الاعظم من عوام المسلمين يتبعونهم ويثقون بهم وأما الخواص من جميع الطبقات فهم يعرضون عنهم وينبذونهم عاماً بعد عام ، (٢) جماعة المتفرنجين ويكثر فيها الزنادقة ، ويقل المجاهرون بالالحاد والكفر قلة تتحول بالتدريج إلى كثرة ، وأقل منهم المسلمون الصادقون فيها ، وهذه الجماعة باصنافها الثلاثة الزنادقة المنافقون والملحدون المجاهرون والمسلمون الصادقون — هي الجماعة التي تتغلب على مصالح الحكومة وأعمالها يوماً بعد يوم، وينتصر فيها الالحاد على الاسلام في مسألة بعد مسألة ، كما ثبت في مسألة الدكتور طه حسين ، فقد امتنعت النيابة العامة من محاكمته مع تصريحها الرسمي بطعنه في الاسلام طعناً صريحاً لا يحتمل التأويل ، وامتنعت وزارة المعارف من عزله من وظيفة التدرس في الجامعة وإفساد عقائد النشء المصري . ونصره أحمد لطفي بك السيد مدير الجامعة نصراً مؤزراً

(٣) جماعة المستقلين في فهم الاسلام من كتابه وسنته وسيرة سلفه الصالح العارفين بمصلحة المسلمين في هذا العصر — وهذه الجماعة هي الوسطى المرجوة للوصل بين عقلاء المسلمين الصادقين من الطرفين الآخرين إلا من كان إلحاده وزندقته لا عن شبهة عارضة أو توهم تعارض بين الاسلام وبين حضارة القوة والعزة والثروة، فان الملاحدة ثلاثة أصناف: (١) أولو شبهات سببها الجهل بحقيقة الاسلام ورجوع هؤلاء إلى حظيرة الاسلام ولو بنصر آدابه وسياسته مرجوة (٢) مصطنعون لخدمة الأجانب وهم الذين يطعنون في الاسلام بترجمتهم لأقوال أعدائه فيه من المبشرين والسياسيين حتى إنهم لينصرون اليهود الصهيونيين على عرب فلسطين من المسلمين والنصارى — كما يراه المطلعون على جريدة السياسة المصرية فيها — وهم على إلحادهم وتعطيلهم مأجورون (٣) الذين يعلمون انهم بترك الامة للاسلام يكون لهم فيها مقام الزعماء

والرؤساء والحكماء على فسقهم وفجورهم الذي لا يمكنهم تركه - وأنهم بتجديد هداية الاسلام يكونون محتقرين لا قيمة لهم

بعد هذا الايضاح لحال الجماعات الثلاث نذكر نص مشروع القانون الجديد ثم نقفي عليه بوجهة نظر كل جماعة منهم — وهذا نصه :

مشروع مرسوم بقانون

خاص ببعض أحكام الاحوال الشخصية

١ (تعدد الزوجات)

(المادة ١) لا يجوز لمتزوج أن يعقد زواجه بأخرى ولا لأحد أن يتولى عقد هذا الزواج أو يسجله إلا باذن من القاضي الشرعي الذي في دائرة اختصاصه مكان الزوج

(المادة ٢) لا يأذن القاضي بزواج متزوج إلا بعد التحري وظهور القدرة على القيام بحسن المعاشرة والانفاق على اكثر ممن في عصمته ومن تجب نفقتهم عليه من أصوله وفروعه

(المادة ٣) لا تسمع عند الانكار أمام القضاء دعوى زوجية حدثت بعد العمل بهذا القانون إلا اذا كانت ثابتة بورقة رسمية

٢ (الطلاق)

(المادة ٤) لا يقع طلاق السكران والمكره

(المادة ٥) لا يقع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه

(المادة ٦) الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة لا يقع إلا واحدة

(المادة ٧) كنايات الطلاق وهي ما تحتمل الطلاق وغيره لا يقع بها الطلاق الا بائنا

(المادة ٨) كل طلاق يقع رجعياً الا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وما نص على كونه بائنا في هذا القانون او القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠

٣ (الفسخ باخلال الزوج بالشروط)

(المادة ٩) اذا اشترطت الزوجة في عقد الزواج شرطا على الزوج فيه منفعة لها ولا ينافي مقاصد العقد كألا يتزوج عليها أو أن يطلق ضرتها أو أن لا ينقلها الى بلدة أخرى صح الشرط ولزم وكان لها حق فسخ الزواج اذا لم يف لها بالشرط ولا يسقط حقها في الفسخ إلا اذا أسقطته أو رضيت بمخالفة الشرط

٤ ﴿ الشقاق بين الزوجين والتطليق للضرر ﴾

(المادة ١٠) اذا ادعت الزوجة اضرار الزوج بما لا يستطاع معه دوام العشرة عادة بين أمثالهما وطلبت التفريق طلقها القاضي طلقة بائنة إن ثبت الضرر وعجز عن الاصلاح بينهما وإن لم يثبت الضرر بعث القاضي حكمين وقضى بما يريانه على ماهو مبين بالمواد (١١ و ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦)

(المادة ١١) يشترط في الحكمين أن يكونا رجلين عدلين من أهل الزوجين إن أمكن وإلا فمن غيرهم ممن لهم خبرة بحالهما وقدرة على الاصلاح بينهما عالمين بأحكام النشوز ولو بتعليم القاضي .

(المادة ١٢) على الحكمين ان يتعرفا اسباب الشقاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما في الاصلاح فان امكن على طريقة معينة قرراها

(المادة ١٣) اذا عجز الحكمان عن الاصلاح وكانت الاساءة من الزوج او منهما او جهلا الحال قررا التفريق بلا عوض بطلقة بائنة

(المادة ١٤) اذا كانت الاساءة من الزوجة قررا الحكمان ما تعينت فيه المصلحة من بقاء الزوجة في عصمة زوجها واتمامه عليها او التفريق بينهما بعوض عليها بطلقة بائنة وعند عدم تعيين المصلحة يكون للحكمين الخيار في تقرير التفريق او البقاء ان لم يرد الزوج الطلاق فان اراد الطلاق قرراه بعوض عليها

(المادة ١٥) اذا اختلف الحكمان أمرهما القاضي بمعاودة البحث فان استمر الخلاف بينهما حكم غيرهما

(المادة ١٦) على الحكمين أن يرفعا الى القاضي مايقررانه في جميع الاحوال وعلى القاضي أن يمضيه

(المادة ١٧) اذا غاب الزوج سنة فأكثر كان لزوجته أن تطلب من القاضي أن يطلقها بائنا اذا تضررت من بعده عنها ولو ترك مالا تستطيع الانفاق منه

(المادة ١٨) ان أمكن وصول الرسائل الى الغائب ضرب له القاضي أجلا وأعذر اليه بأنه يطلقها عليه ان لم يحضر للاقامة معها أو ينقلها اليه أو يطلقها فاذا انقضى الأجل ولم يفعل فرق القاضي بينهما بتطليقة بائنة . وان لم يمكن وصول الرسائل الى الغائب طلق القاضي عليه بلا اعذار وضرب أجل

(المادة ١٩) لزوجة المحبوس المحكوم عليه نهائياً بعقوبة مقيدة للحرية مدة

ثلاث سنين فأكثر أن تطلب الى القاضي بعد مضي سنة من حبسه التطليق عليه باثنا للضرر ولو كان له مال تستطيع الانفاق منه

٥ ﴿ دعوى النسب ﴾

(المادة ٢٠) لاتسمع دعوى النسب لولد زوجة ثبت عدم التلاقي بينها وبين زوجها من حين العقد

(المادة ٢١) لاتسمع دعوى النسب لولد زوجة اتت به بعد سنة من غيبة الزوج عنها اذا ثبت عدم التلاقي بينهما في هذه المدة

(المادة ٢٢) لاتسمع دعوى النسب لولد المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا اتت به لاكثر من سنة من وقت الطلاق او الوفاة

٦ ﴿ النفقة ﴾

(المادة ٢٣) تقدر نفقة الزوجة على زوجها بحسب حال الزوج يسراً وعسرا مهما كانت حالة الزوجة .

(المادة ٢٤) لاتسمع الدعوى بنفقة عدة لمدة تزيد عن سنة من تاريخ الطلاق

٧ ﴿ سن الحضانة ﴾

(المادة ٢٥) للقاضي أن يأذن بحضانة النساء للصغير بعد سبع سنين الى تسع وللصغيرة بعد تسع سنين الى إحدى عشرة سنة اذا تبين له ان مصلحتهما في ذلك

(المنار) هـذا نص المشروع ونرجيء التعليق عليه إلى الجزء التالي

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

الاحتفال بتكريم أمير الشعراء أحمد شوقي بك

ومشروع مؤتمر أدبي عربي عام

دعا صديقنا صاحب السعادة أحمد شفيق باشا وكيل جمعيتنا (الرابطة الشرقية) رهطاً من أهل العلم والأدب للاجتماع في نادي الرابطة للتشاور في تكريم أحمد شوقي بك لنبوغه في الشعر فلبوا دعوته واستحسنوا اقتراحه وأنشؤا لجنة للسعي لتنفيذه اختاروه رئيساً لها، واختاروا أحمد حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق سكرتيراً عاما لها وقرروا نشر ذلك في الجرائد ، ولم يلبثوا بعد نشره أن أقبل عليهم المحبذون يطلبون الدخول في زمرتهم كالعادة ، حتى زاد عدد اللجنة على

الخمسين، وألفت منهم لجنة تنفيذية تولت نشر الدعوة، وقررت جعل هذا الاحتفال ذريعة لمؤتمر عام لترقية الأدب العربي واللغة . وقد أرسل إلى اللجنة كثير من القصائد والخطب في موضوع الاحتفال وخطب وأبحاث علمية أدبية (محاضرات) لأجل المؤتمر. وكان صاحب المنار عضواً في اللجنة التنفيذية ثم في اللجنة العلمية التي نظرت فيما أرسل فجعلته اقساما ثلاثة قسما يتلى في جلسات الاسبوع الذي سمي اسبوع شوقي وقسما ينشر في الكتاب الذي يؤلف في هذا الموضوع وقسما يطرح ويهمل

واشترك في هذا الاحتفال سورية وفلسطين ولبنان بارسال وفود منها، والناديان العربيان اللذان في جزيرة البحرين وثغر بمبي (الهند) بارسال هديتين نفيستين ، خيرهما نخلة من الذهب على أرض من حجر الكهرباء حملها خمسة عتاكيل بسرها من اللؤلؤ - وهي من نادي جزيرة البحرين وقد اعجب بها كل من رآها وأثنى على الذوق العربي والجود العربي . وجاءتنا خطبة نفيسة من أحد علماء المغرب الأقصى باسم أهل العلم والأدب في ذلك القطر، وقصائد من أقطار أخرى

وكان بدء الاحتفال يوم الجمعة ٢٧ شوال الموافق ٢٩ إبريل (نيسان) في دار الأوبرة الملكية برعاية جلالة الملك ورياسة الشرف لدولة سعد باشا زغلول فألقى صاحب المعالي محمد فتح الله باشا كلمة لدولته في شأن اشتراكه في الاحتفال واعتذاره بضعف البدن عن الحضور - وكان خطباء الحفلة ٣ رئيسها أحمد شفيق باشا والاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشق ووفده الرسمي والآنسة إحسان أحمد حفيدة المرحوم الشيخ علي الليثي الشهير وهي أول فتاة عربية مصرية برزت في محفل أدب للرجال وخطبت فيهم في هذا العصر. وكان شعراؤها شبلي بك ملاط شاعر لبنان ووفده ومحمد حافظ بك ابراهيم شاعر مصر وخليل بك مطران شاعر القطرين، وختمت الحفلة بقصيدة شكر لشوقي نفسه وتلاها حفلات أخرى في الجمعية الجغرافية الملكية وجمعية الاقتصاد السياسي والجامعة المصرية وجمعية الرابطة الشرقية ومسرح التمثيل العربي وكازينو الجزيرة وكرمة ابن هاني (اي دار احمد شوقي بك) وختمت هذه الحفلات بدعوة محمد شوقي بك الخطيب العضو في مجلس النواب لضيوف مصر في هذا الاحتفال واعضاء لجنته الى قصر المرحوم المنشاوي في بلدة القرشية وأعد لهم في جنينة المنشاوي الكبرى موائد الطعام والمثلوجات في ظلال تلك الاشجار، التي يجري من تحتها الانهار، وهنالك ألقيت الخطب والقصائد في الموضوع ، ثم انفض الجمع

مسألة نفقات مؤتمر الخلافة

في مجلس النواب

أسرف بعض النواب في تكبير أمر نفقات مؤتمر الخلافة بتأثير النزعة الالحادية في مصر وبما كان من انتماء بعض كبار شيوخ الازهر الى حزب الاتحاد الممقوت عند الاكثرية الساحقة في المجلس وغيره حتى طلب بعض النواب محاكمة الشيخ الأكبر رئيس الازهر والمعاهد الدينية بما أنفقه في مؤتمر الخلافة وتغريمه إياه . ولما عاد المجلس الى المناقشة في (الاستجواب) المقدم من النائب خليل بك ابراهيم أبو رحاب الى وزير الاوقاف بها أجاب الوزير بما ننقله عن جريدة السياسة التي هي أشد خصم في الموضوع لانه حجة عليها — مع عدم ثقتنا بتحريها الأمانة في النقل — وهذا نصه :

وزير الاوقاف — تقدمت في جلسة ماضية ببيان جميع الوقائع المتعلقة بهذا الموضوع من واقع المخاطبات الرسمية التي دارت بين فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ووزارة الاوقاف وليس عندي فيما يتعلق بهذه الوقائع ما أزيده على بياني السابق .

واذا كان لابد من بيان في هذا الصدد بعد ماسمعته من حضرة العضو المحترم المستجوب فانه يخيل لي أن من واجبي أن أشرح للمجلس وجهة نظر فضيلة شيخ الجامع الازهر في صرف المبلغ على النحو الذي صرفه به وبينه المجلس . وما كان يدور بخلدي قبل أن أحضر إلى هذه الجلسة انني سأكون في حاجة أو أنه سيكون هناك أي داع لأن أشرح للمجلس الموقر موقف شيخ الجامع

ولكن بعد ماسمعت من حضرة العضو المحترم وهو يتكلم عن هيئة مهما كان تصرف أحد المنتسبين اليها ومهما كان مركز ذلك الشخص كبيراً كان أو صغيراً فانها هيئة ندين لها جميعاً وأظن أن المجلس الموقر يشاركني في ذلك في وجوب...

فقاطعه الدكتور مادر — ندين بالا كاذيب

الوزير — فانها مهما قيل هيئة دينية . . .

أصوات — لا لا . مافيش هيئة دينية . دينية ايه

الوزير — هل لايزال المجلس في حاجة إلى وزير الاوقاف

احمد عبد الغفار — أيوه

الوزير — اذن أطلب من المجلس أن يفتح لي صدره: أقول انه ما كان يخطر ببالي قبل أن أتشرف بالوجود بينكم في هذه الجلسة أنني سأكون بحاجة إلى أن أبين وجهة نظر شيخ الجامع الازهر ولكني بعد ما سمعته من حضرة العضو المحترم وهو يتكلم عن شخص ينتسب إلى هيئة أرى من واجبي إن لم ير غيري أننا ندين لها بالاحترام أو نقف ازاءها موقف الاحترام ، أقول اني مضطر لان أسفر عن وجهة نظر شيخ الجامع وللمجلس الموقر حريته التامة في توجيه دفاعه . وليس معنى هذا أني أوافق أو لا أوافق على وجهة النظر هذه ، ولكن من حق المروءة ومن حق الانسانية أنه اذا مسّ شخص أو نوقش شخص في غيبته أن يقوم من يعرض وجهة نظره على الاقل . فان قمت بهذا الواجب فاني مدفوع فيه بعامل الانسانية والمروءة والشعور بأن من واجبي أن أقدم وجهة نظر شخص قوبل بألفاظ قاسية

والذي يؤخذ على فضيلة شيخ الجامع الازهر أنه طلب صرف المبالغ التي طلب صرفها على شؤون المعاهد الدينية في حين أنه تبين من الحساب الذي قدمه للوزارة أنه صرف تلك المبالغ على مؤتمر الخلافة فيؤخذ عليه وقد يكون ذلك (كذا في جريدة السياسة) أنه صرف المبالغ في وجه غير الوجه الذي أثبته في كتابه[1]

أصوات — يبقى معناه إيه ؟

أظن أن لي الحق بصفتي عضواً نائباً على الاقل في هذا المجلس أن ألقي رأيا لاني لم أقصد لهذا الموضوع قبل أن يستوفوا كلامهم ، بل هم الذين طلبوا مني الكلام قبلهم .

يرى فضيلة شيخ الجامع أنه لا تناقض بين تصرفه وبين صيغة طلبه يرى ذلك وقد يكون مخطئاً فيما يراه وقد أكون أول من يخطئه في ذلك لكن هذا لا يمنع من أن تعرفوا عقليته (أعضاء يضحكون) قبل أن تحكموا على هذا التصرف حكماً قاسياً:

(١) قد فات الوزير أن الذي كتبه الشيخ لوزارة الاوقاف هو أن المراد صرف المبلغ في بعض الشؤون « السائرة » في المعاهد ، وليس فيه انه يصرف على المعاهد نفسها بل فيه تصريح بعدم دخوله في ميزانيتها وهو ظاهر في أنه لا يصرف عليها

إنه يقول ان الخلافة الاسلامية كانت شاغرة وإنه كان يحسن بل يجب ملؤها فكان الواجب أن يتفاهم مع كبار رجال المسلمين في العالم. فهذا اذا كان أنفق مبالغ طلبها للمعاهد الدينية أنفقها للخلافة الاسلامية فانما قام بعمل هو في رأيه من أعمال المعاهد الدينية

فان أنتم دهشتم فاسمحوا لى ان أؤكد لكم انه أيضاً — ولا أدري اذا كان مخطئاً أو مصيباً — قد دهش عند ماسمع انه يتهم بأنه طلب مبالغ لعمل وأنه صرفها في عمل آخر. ولو كنت من شيخ الجامع (كذا في السياسة) لطلبت من وزارة الاوقاف المبلغ بعد أن أخبرها بوضوح وصراحة عن أبواب الصرف حتى لا يقع مثل هذا اللبس الذي نحن فيه الآن. على أن شيخ الجامع لا يكون هو المسئول الاول عن الكتب التي يمضيها وهو شيخ كما تعرفون في سنه وفي مشاغله العديدة وبحكم وظيفته

الدكتور ماهر — ماتطلعوه (المنار: أي أخرجوه من المشيخة)

الوزير — إن كانت صيغة الكتاب جاءت موجزة ايجازاً معيباً أو انها لم تعبر عن أفكار شيخ الجامع فأرجو أن تكتفوا بما شرحته لحضراتكم وأن تكون ماثلة أمام حضراتكم جميع الظروف التي أحاطت بالموضوع

وقبل أن أختم كلامي أصرح أني عند ما كنت عضواً بالوزارة السعدية لم يتصل بعلمي أن ذلك المبلغ كان له علاقة بمؤتمر الخلافة. كما أني أصرح بأني لم أجد في الوزارة مايدل على شيء من هذه العلاقة، ولذلك فان البيانات التى أدليت بها في الجلسة السابقة هي كل البيانات التي أستطيع تقديمها.

بعد ذلك لي كلمة أعتقد من واجبي أن أدلي بها أيضاً وهي خاصة بسؤال حضرة النائب المحترم عما اعتزمته وزارة الاوقاف إزاء شيخ الجامع. يطلب حضرة العضو المحترم مني وأنا وزير الاوقاف أن أحاكم شيخ الجامع على تصرفه، ولكني أنبه حضرته الى أن المعاهد الدينية ليست تابعة لوزارة الاوقاف: ولو سلمت جدلا قبل أي بحث بأن موقف أحد موظفي المعاهد يستوجب مؤاخذته فليس من شأني ولا من اختصاصي ولا في استطاعتي أن أحاكمه تأديبياً لانه ليس من موظفي وزارتي ولانه تابع لسلطة مستقلة. فهذا خارج عن سلطاني واختصاصي وتكليفي به هو تكليفي بالمستحيل؛

وأما فيما يختص بالمبلغ وهو الذي لوزارة الاوقاف شأن فيه فقد ثبت لحضراتكم أن وزارة الاوقاف قد تبرعت بهذا المبلغ الى المعاهد الدينية

فوزارة الاوقاف ترى أن صرف المبلغ في مؤتمر الخلافة مخالف لما طلب لأجله وشيخ الجامع يرى انه صرف للغرض الذي طلب من أجله . ولم أتبين وجهاً قانونيا يساعدني على مطالبة شيخ الجامع برد المبلغ مادام له وجهة النظر التي قدمتها .

أعضاء — يضجون

الوزير — افرضوا ان الوزارة اقتنعت ورفعنا الدعوى وجاء شيخ الجامع وقد ثبت أنه لم يصرف المبلغ في شؤونه الخاصة ولكن في موضوع مادي وجد فعلا هو مؤتمر الخلافة وعلى أي حال فأنا كشخص أعرف شيئا من القانون لا أرى أني في موقف يسمح لي بأن أرفع الدعوى في هذا الموضوع على شيخ الجامع وأن أكون مطمئنا على القضية. اه بيان الوزير في المسألة

(المنار) هذا ماصرح به وزير الاوقاف في مجلس النواب وهو من علماء الحقوق والقوانين فأثبت ان شيخ الازهر رئيس مؤتمر الخلافة لا يؤاخذ قانونا في انفاقه ما أخذه من الاوقاف الخيرية وأنفقه برأيه في شأن مؤتمر الخلافة ، وأن كل مافي الأمر من المؤاخذة خاص بصيغة الطلب وانه يراها لاتخل بغرضه منه، وكل من له إلمام بالمسألة يعلم ان إبهام الطلب وعدم التصريح به هو مما كان من التواطؤ بين وكيل وزارة الاوقاف السابق وبين السكرتير العام للأزهر ولمؤتمر الخلافة ، ولكن بعض النواب لا يعلمون الحقائق وبعضهم لا ينطقون بها . وممن كان يعرفها (الاستاذ الجنيدي) فقال في المجلس ان كتاب شيخ الجامع الأول صدّق عليه في اليوم الذي قدم فيه من وكيل الوزارة — وكان حسن نشأت باشا — فسأل عن وجود المبلغ فأجيب بأنه يوجد فجمع اللجنة الاستشارية فيه وعرض عليها الأمر فوافقت عليه وتقرر صرفه في الحال . . . . وكان هناك نائب حر أشار اليها فقال كلمة حق ننقلها عن جريدة السياسة وان جاءت بها ملخصة فاقدة لبعض قوتها وهي:

الاستاذ فكري أباظه — المسألة خطيرة . والمسألة تستدعي أن تعالج بشيء غير قليل من الصراحة. كلكم تعلمون انه في ذلك الوقت ظنت الحواشي — والحاشية

دائما تصدر منها المصائب ـ ظنت الحاشية ان ارادة سامية كانت ترد الخلافة ، ففي وزارة سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٥ كانت المبالغ تصرف بسرعة وبغير الاجراءات المتبعة في وزارة الاوقاف ، إذن بأي حق وعلى أي أساس من العدل والشريعة نصب جام غضبنا على الشيخ والرءوس باقية لايحاسبها أحد ؟ .

يقول الناس سيعاقبون شيخ الجامع وهم يعلمون أنه كان محركا بقوة لايمكن لمجلس النواب أن يمسها . فماذا فعلتم بالنسبة للوزراء السابقين وقد ارتكبوا من الجرائم ما ارتكبوا ؟ لم تستطيعوا أن تعملوا شيئا لانه لم يكن هناك قانون يسمح بعقابهم

يقول وزير الاوقاف انه بحث الموضوع وهو يرى كشخص يعرف القانون انه لايستطيع مقاضاته فلا تحصروا المسئولية في دائرة ضيقة وضعوا يدكم على المسئول الحقيقي . أنقذوا كرامة المجلس فالناس يعلمون كل التفاصيل إه

(المنار) وكان في الجلسة من عارفي الحقيقة النائب أحمد حافظ عوض بك فارتأى الاكتفاء ببيان معالى وزير الاوقاف ، وكذلك كان . وانتهت هذه الضجة التي كانت مما يحزن المسلمين ويسر الملحدين وأن باؤا بالخيبة وسو الخاتمة

﴿ صاحب المنار وجريدة السياسة ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما بلغنا من قول رئيس تحرير السياسة انه لابد من قتل صاحب المنار . ذكرناه تعجباً من غروره وتمهيداً لاثبات سوء نيته فيما سيكتبه ويعده قاتلا ، واذا به قد كتب مقالة في جريدة السياسة اليومية بقلمه ثم استكتب بعض أجرائه مقالا آخر في مرآة السياسة الاسبوعية صورت آدابهما أوضح تصوير وأدقه ، : قذع بأفحش الهجو الشعري وجرأة على البهتان الصريح وقلب الحقائق استغربهما الناس من السياسة بعد أن انتشرت وصارت تقرأ وقد بعد عهدهم بما سبق لها من هذا النحو أيام كانت تحمل أمثال هذه الحملات على الرئيس الجليل سعد باشا زغلول لامتهان الأمة لها ولحزبها الحر الدستوري المشاق له وللوفد المصري حتى إنه قلما كان يوجد من يقرؤها . ولكن حنق رئيس تحريرها وبعض مرءوسيه على صاحب المنار انما هو في شيء لا يمس أرزاقهم ولا رواج جريدتهم فما باله حملهم على قذع وبهتان أشد من كل ماعهد منهم ومن غيرهم من أصحاب الجرائد التي يلقبونها

بالساقطة ؟ حتى أجمع كل من اطلع عليه من العارفين ولاسيما رجال القانون اننا اذا حاكمنا الكاتبين عليه نحكم عليهما بالعقاب قطعاً لأنه لا يمكن أن يعتذر عنه بأنه خلاف علمي أو سياسي أو غير ذلك من أنواع الخلاف الذي يؤيد فيه كل فريق رأيه

ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وبين الوفد المصري وهو ان المنار داعية الدين الاسلامي والمدافع عنه، والسياسة تقوم بدعاية إلحادية تريد أن تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطتين الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتجديد، ولكن ليس في شيء من المقالتين نخطئة للمنار في شيء من رأيه في ذلك ولا دفاع عن ثقافتها وتجديدها، وانما كله بحث في مثالب شخصية مختلقة كزعمها ان صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة ولا مذهب فتارة يكون مسلماً سنياً أو شيعياً أو وهابياً وتارة بوذيا أو برهميا وتارة ملحداً !! وما أشبه هذا

لعل جريدة السياسة تريد أن تستدرجنا بهذا الى منازلتها في هذا الميدان الذي تعلم علم اليقين أننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المبرزين ينهزمون أمامها فيه، وقد سبق لنا أن قلنا في تفسير قوله تعالى (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) إن الجرائد البذيئة في هذا العصر قد بذت الشعراء الهجائين في العصور الخالية فيجب الاعراض عنها، واذا نحن عاتبنا أو عتبنا على أحد في هذا المقام فانما نعتب على الحزب الحر الدستوري الذي جعل أمثال هؤلاء الكتاب لسان حاله ومحررين لجريدته، فهو المسؤول عن قذعهم وبذاءتهم وعن إلحادهم أيضاً فان كنا لا نعرف رأى زعمائه كلهم أو أكثرهم في الأمر الثاني فاننا نجزم بنزاهتهم كلهم عن الأول، ومن يمتري في آداب عدلي باشا وثروت باشا والدكتور حافظ بك عفيفي الخ

نعم إن الأحزاب لابد لها من جرائد تنشر دعوتها وتحمي حماها ولو بالطعن الشخصي في خصومها كما كانت القبائل تختار لها شاعراً هجاءاً يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم، وكان خصوم القبيلة يهجونها في جملتها دون سفيهها عملا بقول الشاعر:

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل بلاء الناس من رابط الكلب

ونحن لم نكن من خصوم الحزب الدستوري ولا هجونا رجلا من زعمائه ولا من دهمائه وما كان الهجو والثلب من شأننا . ولو كانت السياسة ترد على ماننشره من تفنيد بعض نشرياتها الالحادية عملا بحرية الرأي والنشر الذى تدافع به عن الكتب الالحادية ككتب علي عبدالرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هذه الحرية لما شكوناها الى حزبها ولا لامها أحد فان هذا التباين بيننا لا يمكن السكوت عليه

﴿الجزء الخامس﴾ ١٣٤٥ ﴿المجلد الثامن والعشرون﴾

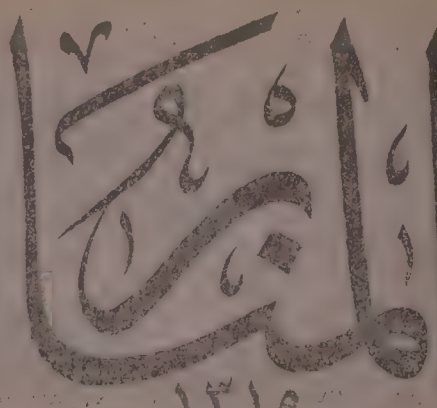

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بخـتم الادارة الخاص وموقعا عليـه بتوقيـع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين ومسائل الاجتماع والعمران

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

﴿عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر »﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو﴾
﴿أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك﴾
﴿الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ،﴾
﴿ولكن ذلك لا يضعف الامل في نجاح العمل﴾

﴿ فهرس الجزء الخامس من المنار م ٢٨ ﴾

صفحة		صفحة	
٣٢٢	نموذج من تفسير الجزء الاول — في اعجاز القرآن	٣٦٨	قرار النيابة العامة في قضية الدكتور طه حسين
٣٢٩	خاتمة البحث فيمن عارضوا القرآن	٣٨٠	ما يسمى النهضة النسائية بمصر
٣٣١	اعجاز سورة الكوثر	٣٨٦	الشيخ أحمد عباس الازهري — وفاته وترجمته
٣٣٣	انباء العجم الكاذبون		انباء العالم الاسلامي
٣٣٤	«قاعدة جليلة» فيما يتعلق بالسفر والاقامة	٣٩٦	مسلموا أمريكا يطلبون استاذا من الازهر
٣٤٩	مسألة القبور والمشاهد عند الشيعة	٣٩٧	المطبوعات الحديثة
	مناظرة بين عالم شيعي وعالم سني	٤٠٠	الحج في هذا العام
٣٥٠	رسالة العالم الشيعي في مسألة القبور		

خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الاسلامية وكليات الدين وحكمه

تأليف السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار

هذه الرسالة قليلة الالفاظ كثيرة المعاني لا تغني عنها الاسفار الكبيرة ولا يستغني مسلم في هذا العصر عن قراءتها خصوصا وقد صار أكثر المسلمين يجهلون اصول الاسلام الكلية ومقاصد الملة المحمدية وما امتازت به على سائر الملل وما خص به نبيها وآله وقومه من الفضائل بحيث اذا سألت احدهم: ما حكمة ظهور خاتم النبيين، الذي أكمل الله برسالته الدين، في الامة العربية؟ وبماذا اصطفى الله تعالى محمداً واصطفى آله وقومه على امم الفنون والحضارة المعاصرة لهم؟ وبم كان هذا الدين اصلاحا روحيا اجتماعيا مدنيا عاما ختمت به الاديان والشرائع؟ لو سألت أكثر افراد المسلمين هذه الاسئلة كلها او بعضها لما سمعت منهم جوابا مقنعا وانما تجد شيئا عند بعض الافراد من خواص الخواص وقد وضعت هذه الرسالة وافية بالغرض المطلوب باسلوب يسهل حفظه على طلاب المدارس وغيرهم فجاء عقيدة دينية، سيرة نبوية، دعاية اسلامية، وحجة علمية تاريخية، وثمن النسخة ٥ قروش مصرية من الورق الجيد و٤ قروش من الورق الاصفر غير اجرة البريد

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الثامن والعشرون — أغسطس ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ ١١ برج السرطان سنة ١٣٠٦ هـ ش ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

اكتفينا في هذا الجزء من التفسير بتتمة ما اقتبسناه من تفسير الجزء الاول في بحث اعجاز القران . وسننشر في الجزء التالي ملخص سورة الاعراف ان شاء الله تعالى

نموذج من تفسير الجزء الاول

٣

وهو مما زدته في تفسير قوله تعالى ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ عما كنت كتبته في عهد الاستاذ الامام ونشر في المنار

﴿المقصد﴾ قد اختلف علماء الكلام في وجه دلالة المعجزة على نبوة من ظهرت على يديه ورسالته — اي على كون مايدعو اليه من العقائد والفضائل والاعمال الصالحة وحياً من رب العالمين - فقال بعضهم انها دلالة عقلية، ورجح الاكثرون انها وضعية ، بمعنى أن تأييد الله تعالى إياه بعد التحدي بها في معنى قوله تعالى « صدق عبدي فيما يبلغ عني » ومن المعلوم الذي لا مراء فيه ان الذين آمنوا بالرسل في عصرهم وبعد عصرهم من العقلاء والاذكياء وجدوا في انفسهم اعتقاداً اضطراريا بأن ظهور مالا يقدر عليه غير الله تعالى على ايديهم عقب ادعائهم ما ادعوه وطلبهم من الله تعالى ان يصدقهم ويعطيهم آية تدل على تصديقه اياهم فيه - دليل على أنه هو الذي فعله لاجل تصديقهم ، فسم الدلالة عقلية أو سمها وضعية أو اجمع بين التسميتين إن شئت

وقال العلماء ان الله تعالى كان يعطي كل رسول من الآيات ما يناسب حال قومه وأهل عصره فلما كان قوم فرعون أهل علوم رياضية وطبيعية ، وأولي سحر وصناعة ، آتى رسوله موسى آيات كان العلماء والسحرة أعلم الناس بأنها من عند الله لا من كسب موسى ولا من صناعته ، ولما كان الرومانيون أولي السلطان في قوم عيسى والسيادة في بلادهم أهل علم واسع بالطب آتاه من الآيات إبراء الاكمه والابرص وإحياء الميت ، ولما كانت العرب قد ارتقت في لغتها فصاحة وبلاغة إلى درجة لم تتفق لغيرها ، لان أذكياءها قد وجهوا جميع قواهم العقلية والخيالية إلى إتقانها ، جعل الله تعالى آية محمد الكبرى اليهم كتابا معجزاً لهم ولسائر الخلق في نظمه وأسلوبه وفصاحته وبلاغته ، فقامت عليهم الحجة به بأقوى مما قامت آيات موسى

وعيسى على قومهما. وفي هـذا القول من التقصير في حجة القرآن ماعلمت

والحق الذي يقال في هـذا المقام: ان ما أيد الله تعـالى به رسله من الآيات الـكونية كان مناسباً لحال زمان كل منهم وأهله، وقامت الحجة على من شاهد تلك الآيات في عهده، ثم على من صدق المخبرين من بعده، وقد علم الله تعالى ان سلسلة النقل ستنقطع، وان ثقة بعض المتأخرين به ولا سيما بعد انقطاع سلسلته ستضعف، وان دلالتها على الرسالة ستنكر، — فجعل الآية الكبرى على اثبات رسالة خاتم النبيين علمية دائمة لاتنقطع، وهي هذا الكتاب المعجز للخلق بما فيه من أنواع الاعجاز السبعة التي ذكرناها، وبيّنا ان كل واحد منها آية بينة لمن ألقى السمع وهو شهيد، وكان مستقلا مطلقا من أسر النظريات المادية وقيود التقليد. اذ لا يتصور عاقل يؤمن برب العالمين أن يصدر هذا الكتاب المشتمل على هذا القدر السنيم[1] من المعاني، في هذا الاسلوب البديع والنظم المنيع من المباني، من رجل أمي ولا متعلم أيضـاً، الا ان يكون وحياً اختصه به الرب عز وجل، ناهيك به وقد جزم بعجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فهذا التحدي حجة مستقلة على نبوة محمد ﷺ بصرف النظر عن المتحـدى به ما هو، وكل نوع من تلك الانواع السبعة الثابتة للقرآن حجة مستقلة في نفسها، وحجة انهض وأقوى باعتبار أمية من جاء بها، فان أمكن تمحل المراء والجدل في بعض الوجوه التي ذكرنا لاعجازه فهل يمكن ذلك في جملتها أو في كل منها؟ كلا

سبق لنا أن ضربنا مثلا لنبوته ﷺ رجلا ادعى في بلاد كثرت فيها الامراض أنه طبيب وان دليله على ذلك انه ألف كتابا في علم الطب يداوي المرضى بما دوّنه فيه فيبرؤن، فاطلع عليه الاطباء البارعون فشهدوا بأنه خير الكتب في هذا العلم وما يتعلق به من عمل، ثم عرض عليـه من لا يحصى عدداً من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الادوية فبرؤا من علتهم وصاروا أحسن الناس صحة، فهل يمكن المراء في صحة هذه الدعوى مع هذين البرهانين العلمي والعملي؟ كلا. وإن العلم بطب الارواح، أعلى وأعز منالا من العلم بطب الاجساد، وان معالجة أمراض

«١» السنيم هو الجامع بين الطول والحسن من سنع سنوعا وسناعة

الاخلاق وأدواء الاجتماع ، أعسر من مداواة أعضاء الافراد ، ومن المعلوم بالضرورة ان القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة والآداب العالية وأصول التشريع الاجتماعي والمدني ، وان النبي (ص) عالج به أمة عريقة في الشقاق وحمية الجاهلية ، غريقة في الجهل والامية ورذائل الوثنيـة ، فشفيت واتحدت وتعلمت الكتاب والحكمة ، وسادت الامم ، من بدو وحضر ، مع انه كان أميا لم يتعلم شيئا من العلوم ، ولم يتمرس بسياسة الشعوب ،

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

لو استدل ذلك الطبيب الجسداني على صحة دعواه بعمل غريب غير مألوف للناس ولكن لاعلاقة له بالطب لأمكن المراء في صحة دعواه ـ كذلك شأن هذا النبي في ادعائه انه مرسل من الله لهداية البشر ، فان كتابه العلمي المؤيد بنجاح العمل به ، ادل على كونه وحيا أوحاه الله اليه من جعل عصاه حية أو احيائه ميتا لان هذين على غرابتهما ليسا من موضوع الارشاد والتعليم ، كما أنهما ليسا من موضوع الطب ، فهما ان دلا على صدق الرسول فدلالتهما ليست في أنفسهما ، والاتيان بعمل خارق المألوف في العادة من سنن الكون ، هو دون الاتيان بالعلوم العالية الالهية والتشريعية من غير تعليم ، فكيف بالاتيان بانباء الغيب الماضي والمستقبل ؟ فكيف بصلاح حال من عملوا بهذه العلوم دينا ودنيا ؟ فالقرآن اذاً برهان على ان ما فيه الطب الروحاني الاجتماعي وحي من الرب المدبر الحكيم لا يماري فيه إلا معاند مكابر ، أو مقلد جاهل

أما المكابرون الذين يجحدون الحق وهم يعلمون فأمثال رؤساء المشركين ورؤساء اليهود في زمن البعثة المحمدية الذين ثقل على طباعهم ترك رياستهم ، وصيرورتهم أتباعا مساوين لفقراء المسلمين وموالهم ، ولا يخلو هذا العصر من أناس منهم ، وأما المقلدون فعوام أهل الاديان والمذاهب في كل عصر الذين لا ينظرون في دليل ولو كان حسياً . وكذلك المفتونون ببعض شبهات الماديين من الفلاسفة وعلماء الطبيعة الذين قلدوهم في الكفر بالله تعالى كما قال الشاعر في أمثالهم :

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

فهؤلاء المنكرون لوجود الخالق لا كلام لنا معهم في مسألة النبوة والوحي

الا بعد أن نتكلم معهم أولا في اثبات وجود الخالق وصفات ربوبيته ، ولكن أكثر منكري النبوة يؤمنون بوجود الله تعالى وانما يستبعدون معنى الوحي ، وليس ببعيد في نظر العقل

الوحي في اللغة إعلام في خفاء . ووحي الله تعالى إلى أنبيائه علم يخصهم به من غير كسب منهم ولا تعلم من غيرهم ، بل هو شيء يجدونه في أنفسهم من غير تفكر ولا استنباط مقترنا بعلم وجداني ضروري بأن الذي ألقاه في قلوبهم هو الرب القادر على كل شيء ، وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم ، وقد يكون بغير وساطة ملك . قال تعالى (٢٦ : ١٩١ وانه لتنزيل رب العالمين ١٩٢ نزل به الروح الأمين ١٩٣ على قلبك لتكون من المنذرين) فأي استحالة أو بُعد في هذا عند من يؤمن برب العالمين ، وعلمه وحكمته وقدرته في المخلوقين؟

وعرفه شيخنا في رسالة التوحيد « بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة ، والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت .(قال) ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى مايطلب على غير شعور منها من اين أتى ، وهو اشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » ثم بيَّن إمكان هذا ووقوعه وأسباب شك بعض الناس فيه وتفنيد شبهاتهم عليه بما يراجع في الرسالة نفسها

وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم إنه ممكن في نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه . ونقول اليوم إن العلوم الكونية لم تبق شيئا من أخبار عالم الغيب غريباً ، الا وقربته الى العقل بل الى الحس تقريبا ، بل ظهر من الاختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ، ماكان يعد عند الجماهير محالا في نظر العقل ، لا غريبا فقط . فاذا كان الانسان الكيميائي يحلل الاجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها ، ويكثف العناصر اللطيفة فتكون كالجامدة بطبعها ، فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه وهو من الارواح ذات المرَّة والقوة العظيمة يأخذه من مواد العالم المنبثة فيه هيكلا على صورة الانسان مثلا ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبة التي لا يوجد شيء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب الا وفيها نظير

له يقر به من الحس لا من العقل وحده ، وهل الكهرباء الا قوة مسخرة للملائكة ؟ ودع ما بثته الالوف من علماء الامم كلها من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصور الاجساد ، وهو يوافق المأثور عندنا عن الامام مالك من أئمة الفقهاء في صفة الروح ووقائعه عند الصوفية كثيرة ، ومن ينكر ما يحكى من وقوع هذا لا ينكر إمكانه في نفسه ، ولا الرجاء في ثبوته في يوم ما بحيث يشاهده جميع الناس.

خلاصة ما تقدم أن دلالة القرآن على نبوة محمد (ص) لها وجهان (أحدهما) ما قيل في دلالة الآيات الكونية لبعض الانبياء السابقين كناقة صالح وعصا موسى وإحياء عيسى الميت وهو ان كلا منها أمر جاء على غير المعتاد من مقدور البشر واستدل به صاحبه على نبوته ورسالته فكان تصديقا من الله تعالى له ، وتكذيبا وخذلانا منه تعالى لمن كذبه، وهذا الوجه من الدلالة خارج عن موضوع النبوة والرسالة ولذلك اختلف فيه علماء النظر كما تقدم آنفا

﴿الوجه الثاني﴾ - وهو يجتمع مع الاول - مأخوذ من معنى النبوة والرسالة وهو انها هداية عليا للبشر لا تغنيهم عنها هدايات الحواس الظاهرة والباطنة ولا هداية العقل ، فان هذه هدايات شخصية فردية وتلك هداية لنوع الانسان في جملته ، وقد اكتفينا في هذا الاستطراد بتمثيلها بطب الأبدان ليفهمها كل قارىء وسامع ، وانما يفهمها الفهم التام من طريقه العلمي من يقف على ما اشتمل عليه القرآن من آيات الهداية وكونه أعلى وأكمل من كل ما نقل عن الانبياء السابقين على ما في نقله من التواتر القطعي وما في نقلها من الضعف - ومن طريقه العملي من عرف تاريخ الاسلام وما كان من تأثير القرآن في هداية العرب ثم هداية غيرهم من الأمم ، وعرف تأثير هداية الانبياء السابقين في أممهم ، - على ما بين النقلين من التفاوت أيضاً -

ولا يمتري أحد من العقلاء في كون العلم الذي موضوعه هداية الأمم والشعوب ونقلها من حال دنيوية الى حال أعلى وأكمل منها هو من العلوم العالية التي يقل في الناس من يحذقها ويكون إماماً مبرزاً فيها ، وان عمل من يتدارسونه في الكتب به أعسر مسلكا، واوعر طريقا، وان فلاح العاملين به المتمرسين بوسائله قلما يتفق إلا لأفراد أتيح لهم من الاسباب ونفوذ الحكومات مالم يتح لغيرهم ، فما بالك بالجمع

بين هذا وبين العلم والعمل في سبيل الهداية الروحية والاستعداد لسعادة الآخرة والنجاح التام معا على ما فيهما مع عدم سبق الاستعداد لهما بعلم ولا عمل ؟

وجملة القول ان موضوع الرسالة تعليم وإرشاد إلهي يملك الوجدان ، وتذعن له النفس بالايمان ، فيكون هداية تزع صاحبها عن الباطل والشر ، وتوجهه الى الحق والخير ، وإن القرآن قد بلغ مرتبة الكمال فيها ، فاهتدت به الأمم والشعوب ، فمن كان يؤمن بها على علم بحقيقتها ، لا تقليداً لآبائه وقومه فيها ، لا يسعه أن يؤمن بالتوراة أو الانجيل أو الفيدا أو غيرهن من الكتب المنسوبة الى المرسلين الاولين ولا يؤمن بالقرآن ، وهو أكملها في موضوعها وأصحها الى من جاء به

الله اكبر ان دين محمد وكتابه اقوى واقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنديلا

ومن كان يؤمن بالله تعالى وأنه هو الرب الخالق للعالم بأكمل نظام ، المدبر لأمور العباد بالحكمة والاحكام ، وانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتأمل في تاريخ النبي (ص) المنقول نقلا مستفيضاً ومتواتراً ، فلا يسعه أن يزعم أن بعثة محمد الأميّ العربي وإتيانه بهذا القرآن ، المشتمل على ما أشرنا إليه من ضروب الاعجاز ، قد كان من أمور التعاليم البشرية الكسبية ، وما حدث به من الهداية التي قلبت تاريخ البشر كان من الأمور العادية ، بل لا يسعه اذا أنصف إلا أن يؤمن بأن هذه الحادثة الانقلابية في دين الأمم ودنياها قد كانت بعناية خاصة من الرب الحكيم العليم ، المدبر الرحيم ، وانه هو الذي أفاض هذا القرآن الحكيم على قلب ذلك الرجل الأمي بعد أربعين سنة قضاها في قومه لم يؤثر عنه شيء من مثل علومه ولا مما يقرب من أسلوبه وبلاغته

هذا وإن لتحقيق هذه الدلالة العلمية على النبوة والرسالة مقدمات علمية وفلسفية مستنبطة من حاجة البشر في كمالهم النوعي في الدنيا وفي استعدادهم للحياة الأبدية الى هداية الرسالة ، وقد عقد شيخنا الاستاذ الامام لهذا البحث فصلا طويلا في رسالة ﴿التوحيد﴾ سلك فيه مسلكين (أحدهما) مبني على عقيدة خلود النفس البشرية وكونها لا تزول من الوجود بالموت المعهود ، وهي عقيدة اتفقت عليها كلمة

البشر من الملليين موحديهم ووثنييهم والفلاسفة إلا قليلا من الماديين الجدليين الذين لا يعتدون إلا بمدركات الحس (وثانيهما) مأخوذ من طبيعة الانسان في حياته الاجتماعية

بين الاستاذ في الأول ان الانسان محتاج بمقتضى تلك العقيدة والشعور النوعي العام بالبقاء والانتقال من طور الى آخر في الحياة الى هداية يستعد بها للحياة الآخرة الباقية وهي من عالم الغيب الذي لا يدرك من أمره شيئاً فيستقل عقله في العلم بما يجب عليه من الاستعداد له ، فلا بد أن تكون هذه الهداية من عند الله تعالى الذي خلقه للبقاء الذي يعتقله في الجملة ، لا للزوال والعدم المحض الذي لا يعقل ولا يتصور ولا يتخيل ، وانما عاقبة الموت انحلال هذه الصور الجسدية ، وتفرق هذه المركبات المادية . فالله هو العليم بما يصلح به حاله في تلك الحياة ، وتأبى حكمته ورحمته وجوده واتقانه لكل شيء خلقه وتنزهه عن الباطل والعبث أن يحرمه هذه الهداية

وبين في الثاني أن هذه الحياة الاجتماعية الانسانية لا يستقيم فيها التعاون بين الافراد ولا بين الجماعات إلا بالأخذ بتعاليم اعتقادية وأدبية وعملية لا تختلف فيها الاهواء والشهوات لأن الوازع فيها نفسي وجداني لصدورها عن الرب الحكيم العليم ، بوحي أوحاه الى من اختصه بهذا الفضل العظيم ، ولولا ان طال هذا الاستطراد في تفسير الآية لأوردت هذا الفصل برمته هنا فهو في المسألة الحجة البالغة والحكمة وفصل الخطاب

إلا انني أقول ان أعلم الحكماء الغربيين في هذا العصر قد بينوا في مباحثهم في طبائع البشر ان الانسان اذا ترك الى مداركه الحسية ونظرياته العقلية وتسلل من وجدان الدين والالهام الالهي بالحياة الأخرى يكون أشقى من جميع أنواع الحيوان الأعجم ويكون جل شقائه من نظرياته العقلية ، فهو اذا فكر في هذه الحياة القصيرة التي تساورها الآلام الشخصية من جسدية ونفسية والآلام المنزلية (العائلية) والقومية والوطنية والدولية - يراها عبئاً ثقيلا ، ويرى من السخف أو الجنون أن يحمل شيئا منها مختاراً لأجل زوجة أو ولد أو وطن أو أمة - ويرى ان الطريقة المثلى في الحياة أن لا يتعرض لا لم من هذه الآلام فلا يتزوج ولا يعمل أدنى عمل ولا يتكلف أدنى تعب لاجل غيره ، وأن يطلب لذاته

الجسدية من أقرب الطرق اليها ، وينتظر الموت للاستراحة من هذه الحياة ، فان أبطأ عليه ونزلت به آلام يشق عليه احتمالها من مرض أو فقر مدقع أو ذل مخز فليبخع نفسه ويتعجل الموت انتحاراً

كل فضائل الانسان من الصبر على المكاره والجهاد في سبيل الزوجة والولد والأمة والوطن وإسداء المعروف وسائر أعمال البر لا يبعث النفس عليها إلا الايمان بالله وبالجزاء على الاعمال في حياة خير من الحياة الدنيا ، كما قرره البرنس بسمارك عظيم أوربة في عصره في بيان الباعث للجندي على بذل نفسه في الحرب وانه وجدان الدين وفي قوله عن نفسه انه لولا الايمان لما خدم الامة الالمانية في ظل باهلها وهو يكره الملوك لانه جمهوري بالطبع . — ولئن انتصرت الافكار المادية على الهداية الدينية انتصاراً تاماً كاملا ليتحولن جميع ما اهتدى اليه البشر من أسرار الكون والفنون والصناعات الى ذرائع الفتك والتدمير ، وبئس المثوى والمصير ، وهو ما جزم هربرت سبنسر شيخ فلاسفة اوربة الاجتماعيين بأن سيكون عاقبة انتشار الافكار المادية في أوربة : صرح به لشيخنا عند لقائه به في انكلترة

فجملة القول ان الدين هو الهداية العليا للانسان التي أفيضت على بعض خواصه وهم الرسل من أفق أعلى من عقله وحواسه فكانت أستاذاً مرشداً له فيها لكيلا يستعملهما فيما يضره في سيرته الشخصية والاجتماعية ، وهاديا له إلى السعادة الأخروية ، وان القرآن أكمل الكتب الالهية التي أوحاها الى رسله ليبلغوها خلقه ، أكملها هداية وإرشاداً ، وأصحها تاريخاً وإسناداً ، ولذلك كان خاتمة لها ، وكان آية دائمة ومعجزة ثابتة بأسلوب عبارته وبما اشتمل عليه ، مما مرت الاشارة إليه . ولكن ما طرأ على دول خلافته العربية من الضعف والانحلال صدّ الناس عنه ، وسيرجعون الى إحياء لغته ، وتعميم دعوته ، فينقذ الله به العالم من مصائبه المادية التي أوشكت أن تودي به (ولتعلمن نبأه بعد حين)

خاتمة البحث فيمن عارضو القرآن

نختم هذا البحث بكلمة فيمن حاولوا معارضة القرآن ، وقد كان من دأب علماء المسلمين احصاء كل ما يبلغهم في الدين والعلم والادب وتدوينه وعزوه الى أهله ، حتى إن دعاة النصرانية يقرؤن كتب علمائنا وينقلون منها كل طعن

في الاسلام ويؤيدونه ، ويكتمون رد علماء المسلمين عليه أو يذكرون منه ما يرونه ضعيفا ويوردونه مورد الهزو والسخرية لتنفير ضعفاء العلم أو العقل من المسلمين عنه . وقد أجمع رواة الآثار والتاريخ على أن فحول البلغاء من مشركي العرب لم تسم نفس أحد منهم الى معارضة القرآن مع شدة حرصهم على صد الناس عن الاسلام ، وعن الرسول عليه الصلاة والسلام — كما تقدم - اللهم الا أن بعضهم نقل عن مسيلمة الكذاب أنه عارض سورة الكوثر وهي أقصر سورة منه ليثبت لدى غوغائه أنه يوحى اليه كمحمد (ص) فقال كما في التفسير الكبير للفخر الرازي وغيره :

« إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وهاجر ، ان مبغضك رجل كافر »

وقد تعلق بهذا بعض دعاة النصرانية في رسالة له في الطعن على اعجاز القرآن ولكنه أوردها بألفاظ أخرى وزعم أنها فصيحة متناسبة المعنى ، بعد أن طعن في سورة الكوثر وزعم أنه سأل علماء المسلمين عن بلاغتها وإعجازها فلم يستطع أحد أن يجيبه ، (وهو هو الذي نقلنا عنه معارضة سورة الفاتحة ص ٨٧) وهذه عبارته أو روايته :

« إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تعتمد قول ساحر »

ولا شك أن هذا التغيير جاء من جاهل باللغة العربية الفصيحة ، ولا سيما لغة ذلك العصر ، وهو مع ذلك سخيف العقل ، فمن سخف عقله إتيانه بكلمة الجواهر هنا وترتيب الامر بالصلاة على اعطائها ، وفرض هذا وحيا لمسيلمة المدعي للنبوة ، مع أنه لا يوجد نقل بأن الله أعطاه جواهر معروفة تذكر بلام التعريف ، ولا غير معينة فتذكر بلام الجنس ، ثم إنه لا مناسبة للامر بالمجاهرة بالصلاة هنا وهي المشاركة في جهر الشيء أو الجهر بالقول ، وأما الفقرة الاخيرة فليست مما يقوله عربي قح لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى إذ لم يكن عند العرب أقوال للسحرة تعتمد أو لا تعتمد إن صح ان يقال هذا ، وانما السحرة أناس مفسدون محتالون ، فعالون لا قوالون

ولو فرضنا أن هذه الالفاظ التي غيرها من السورة صحيحة ومناسبة للمقام ومقتضى الحال لما صح أن يكون بها معارضا لها بل مقلدا أو ناقلا فهو ضرب من الاقتباس مع التصرف ، كمن يغير قافية أبيات من الشعر بمعناها أو بمعنى آخر كقول الشاعر :

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادي طرف من رمقا

لك أن تبدي لنا حسناً * ولنا أن نعمل الحدقا
قدحت عيناك زند هوى * في سواد القلب فاحترقا

غيرت قوافيها لفظا لا معنى بالبداهة فقلت

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادي طرف من مقلا
لك أن تبدي لنا حسنا * ولنا أن نعمل المقلا
قدحت عيناك زند هوى * في سواد القلب فاشتعلا

«مقل» نظر بمقلته . ثم غيرتها أيضا بكلمات: نظر ، أو بصرا — النظرا — فاستعرا — فهل أكون بهذا معارضا للاصل، وفي طبقة صاحبه من غزل الشعر ؟

إعجاز سورة الكوثر

وأما السورة فهي في أفق أعلى مما قال مسيلمة الكذاب، ومما عزاه اليه المبشر الجاهل المخادع ، حتى لو فرض أنه قال ما قال من تلقاء نفسه

« الكوثر » في السورة لا يوجد في اللغة ما يحكيه أو يحل محله فيها إذ معناه الكثير البالغ منتهى حدود الكثرة في الخير حسياً كان كالمال والرجال والذرية والاتباع ، أو معنويا كالعلم والهدى والصلاح والاصلاح ، ويشمل الكثير من خيري الدنيا والآخرة . وهو يطلق على السخي الجواد أيضا

وأما موقعه في أول السورة وموقع كلمة « الأبتر » في آخرها اللذان اقتضتهما البلاغة وتأبى أن يحل غيرهما محلهما فهو أن رؤساء المشركين المستكبرين كانوا يحقرون أمر النبي ﷺ لفقره وضعف عصبيته ويتربصون به الموت أو غيره من الدوائر زاعمين أن ماله من قوة التأثير في الانفس بتلاوة القرآن يزول بزوال شخصه كما قال تعالى (٥٢ : ٣٠) أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (٣١) قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) وكانوا يقولون عند ما رأوا أبناءه يموتون : بتر محمد ، أو صار أبتر ، أي انقطع ذكره بانقطاع ولده وعصبته، وكانوا يعدون الفقر وانقطاع العقب مطعنا في دينه ودليلا على توديع الله له وعدم عنايته به تبعا لاستدلالهم بالغنى وكثرة الولد على رضاء الله تعالى وعنايته كما حكى عنهم سبحانه بقوله (٣٤ : ٣٥ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) وقد أبطل الله تعالى بهذه

السورة شبهتهم ، ودحض حجتهم، وجعل فألهم شؤما عليهم، بما بين من عاقبة أمرهم وأمره، قال ما تفسيره بالايجاز

(إنا) بما لنا من القدرة على كل شيء (أعطيناك) أيها الرسول من خيري الدنيا والآخرة (الكوثر) الذي لا تحد كثرته ولا تحصر ، من الدين الحق ، وهداية الخلق ، ومالا يحصى من الاتباع ، ومالا يحصر من الغنائم والنصر على الاعداء ، ومالا ينقطع من الذرية التي تنسب اليك فتذكر بذكرهم ، ويصلي ويسلم عليك وعليهم ، ثم من الشفاعة العظمى يوم الفزع الاكبر، والحوض الذي يرده المؤمنون في المحشر ، فلفظ الكوثر يشمل كل هذا وغيره ، وانما يكون كل نوع منه في وقته ، وكان الاخبار به في أول الاسلام من البشارة ونبأ الغيب، وذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) أو على معنى الانشاء ... فأين هذا اللفظ في نفسه وفي موافقته لمقتضى الحال من كلمة « الجماهر » التي استبدلها به مسيلمة الكذاب ، وهي بالضم الشيء الضخم ـ أو كلمة الجواهر التي ذكرها المبشر المرتاب السباب ، وهي كذب لا مناسبة له؟

ووصل تعالى هذه البشارة العظمى بالأمر بشكرها فقال (فصل لربك) ومتولي أمرك الذي منّ عليك بهذه النعم وحده مخلصاً له الدين (وانحر) ذبائح نسكك له وحده، — فهو كقوله تعالى (٦:١٦٢ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) وهذا يدل على أنه سيكون له الغلب على المشركين الذي يتم بفتح مكة وبحجه ونسكه مع اتباعه ـ وقد كان ـ ونحر (ص) في حجة الوداع مائة ناقة ، فهذه بشارة خاصة بعد تلك البشارة العامة ، وكلاهما من أنباء الغيب

ثم قفى على ذلك ببشارة ثالثة هي تمام الرد على أولئك الطغاة المغرورين باموالهم وأولادهم أوردها مفصولة غير موصولة بالعطف على ما قبلها لأنها جواب عن سؤال تقديره : وماذا تكون عاقبة شانئيه ومبغضيه الذين رموه بلقب الابتر وتربصوا به الدوائر لما يرجون من انقطاع ذكره واضمحلال دعوته ؟ فأجاب (ان شانئك) أي مبغضك وعائبك بالفقر وفقد العقب (هو الابتر) من دونك ـ وهذا اخبار آخر بالغيب قد صح وتحقق بعد كر السنين، ولفظ شانيء مفرد مضاف فمعناه عام فهو يشمل

العاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأمثالهم ممن نقل عنهم ذلك القول فيه (ص) لفظا أو موافقة لاخوانهم المجرمين فقد بتروا كلهم وهلكوا ، ثم نسوا كأنهم ماوجدوا ، وزال ما كانوا يرجون من بقاء الذكر بالعظمة والرياسة وكثرة الولد والعصبية ، فلم يعد أحد منهم يذكر بخير ، ولا ينسب له عقب

فأنت ترى أن هذه السورة على إيجازها في منتهى الفصاحة والبلاغة قد جمعت من المعاني الكثيرة الصحيحة ومن أنباء الغيب التي فسرها الزمان ما تعد به معجزة بينة الاعجاز ، وفيها من المعاني واللطائف غير ما ذكرنا فيراجع تفسيرها في مفاتح الغيب وغيره من المطولات

أنبياء العجم الكاذبون

هذا وانه قد ظهر في القرنين الماضي والحاضر دجالون من ايران فالهندا دعى بعضهم انه المهدي وبعضهم أنه نبي يوحى اليه وشارع جديد فلا آله معبود ، وبعضهم أنه المسيح المنتظر . وقد الف كل منهم رسائل وكتبا عربية ادعى أنها وحي من الله وانها معجزة للانام ، على اعترافهم بنبوة محمد (ص) وان القرآن كتاب الله عز وجل . وقد ضل بكل منهم اناس من الاعاجم الذين لا يفهمون العربية فهماً صحيحا ، ثم تألفت لهم أحزاب وعصبيات بمساعدة الاجانب المستعمرين الطامعين في القضاء على الاسلام والمسلمين وصار لهم ثروة يستميلون بها الناس . وقد رددنا عليهم في المنار ورد عليهم غيرنا من العلماء بما ظهر به جهلهم وكذبهم ، وسخافتهم فيما اغتروا به من وحي الشياطين لهم

وقد كان لاعراضهم دعوى كتاب سماه الكتاب الاقدس حاول فيه محاكاة القرآن في فواصل آياته وفي أنباء الغيب ـ ولكن اتباعه الاذكياء لم يجدوا بداً من اخفاء هذا الكتاب ، وجمع ما كان تفرق من نسخه المطبوعة في الاقطار ، وما يدري إلا الله ماذا يفعلون فيه بعد أن يئسوا بأنهم استردوا سائر نسخه من تصحيح وتنقيح ، وابرازه في يوم من الايام في ثوب جديد ، وهذا العمل يؤكد انفراد القرآن بالاعجاز ، وكونه هو حجة الله الباقية الى آخر الزمان .

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

فصل

والذين لم يكرهوا أن يصلي المسافر أربعا ظنوا أن النبي ﷺ فعل ذلك أو فعله بعض أصحابه على عهده فاقره عليه . وظنوا أن صلاة المسافر ركعتين وأربعا بمنزلة الصوم والفطر في رمضان. وقد استفاضت الاحاديث الصحيحة بأنهم كانوا يسافرون مع النبي ﷺ فمنهم الصائم ومنهم المفطر وهذا مما اتفق أهل العلم على صحته. وأما ما ذكروه من التربيع فحسبه بعض اهل العلم صحيحا وبذلك استدل الشافعي وبعض اصحاب أحمد قال الشافعي لما ذكر قول النبي ﷺ «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» فدل على ان القصر في السفر بلا خوف صدقة من الله والصدقة رخصة لا حتم من الله ان يقصر. ودل على ان يقصر في السفر بلا خوف ان شاء المسافر أن عائشة قالت كل ذلك فعل رسول الله ﷺ اتم في السفر وقصر (قلت) وهذا الحديث رواه الدارقطني وغيره من حديث ابي عاصم حدثنا عمر بن سعيد عن عطاء بن ابي رباح عن عائشة ان النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم، ويفطر ويصوم. قال الدارقطني هذا اسناد صحيح، قال البيهقي ولهذا شاهد من حديث دلهم بن صالح والمغيرة بن زياد وطلحة بن عمرو وكلهم ضعيف

وروي حديث دلهم من حديث عبد الله بن موسى حدثنا دلهم بن صالح الكندي عن عطاء عن عائشة قالت كنا نصلي مع النبي ﷺ اذا خرجنا الى مكة اربعا حتى نرجع . وروى حديث المغيرة وهو أشهرها عن عطاء عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم وروي حديث ضحة ابن عمر عن عطاء عن عائشة قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قد اتم وقصر ، وصام في السفر وافطر قال البيهقي وقد قال عمر بن ذر ـ كوفي ثقة أخبرنا عطاء بن أبي رباح ان عائشة كانت تصلي في السفر المكتوبة أربعا وروى ذلك باسناده ثم قال وهو كالموافق لرواية دلهم بن صالح وان كان في رواية دلهم زيادة سند (قلت) أما ما رواه الثقة عن عطاء عن عائشة من أنها كانت تصلي اربعا فهذا ثابت عن عائشة معروف عنها من رواية عروة وغيره عن عائشة واذا كان انما اسنده هؤلاء الضعفاء والثقاة وثقوه على عائشة دل ذلك على ضعف المسند ولم يكن ذلك شاهدا للمسند

قال ابن حزم في هذا الحديث: انفرد به المغيرة بن زياد ولم يروه غيره وقد قال فيه احمد بن حنبل ضعيف ، كل حديث اسنده منكر (قلت) فقد روي من غير طريقه لكنه ضعيف أيضا وقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه سئل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر . وهو كما قال الامام أحمد ، وان كان طائفة من أصحابه قد احتجوا به موافقة لمن احتج به كالشافعي ولا ريب أن هذا حديث مكذوب على النبي ﷺ مع أن من الناس من يقول لفظه كان يقصر في السفر وتتم ، ويفطر وتصوم . بمعنى انها هي التي كانت تتم وتصوم وهذا أشبه بما روي عنها من غير هذا الوجه من أنه كذب عليها أيضا

قال البيهقي : وله شاهد قوي باسناد صحيح وروي من طريق الدارقطني من طريق محمد بن يوسف حدثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان فأفطر رسول الله ﷺ وصمت وقصر واتممت ، فقلت يارسول الله بابي انت وأمي أفطرتَ وصمت ، وقصرت وأتممت قال «أحسنت يا عائشة» ورواه البيهقي من طريق آخر عن القاسم بن الحكم ثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة لم يذكر اباه قال الدارقطني الاول متصل وهو اسناد حسن وعبد الرحمن قد ادرك عائشة فدخل عليها وهو مراهق . ورواه البيهقي من وجه ثالث من حديث أبي بكر النيسابوري ثنا عباس الدوري ثنا أبو نعيم حدثنا العلاء بن زهير ثنا عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت قالت: يارسول الله بأبي أنت وأمي قصرتَ وأتممت وأفطرتَ وصمت فقال «أحسنت يا عائشة» وما عاب علي. قال أبو بكر النيسابوري هكذا قال أبو نعيم عن عبد الرحمن عن عائشة، ومن قال عن أبيه في هذا الحديث فقد أخطأ

(قلت) أبو بكر النيسابوري امام في الفقه والحديث ، وكان له عناية بالاحاديث الفقهية وما فيها من اختلاف الالفاظ وهو أقرب الى طريقة أهل الحديث والعلم التي لا تعصب فيها لقول أحد من الفقهاء مثل أئمة الحديث المشهورين ولهذا رجح هذه الطريق وكذلك اهل السنن المشهورة لم يروه احد منهم الا النسائي ولفظه عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت قالت يا رسول الله بأبي انت وأمي

قصرت وأتممت وافطرت وصمت فقال «أحسنت ياعائشة» وما عاب علي وهذا بخلاف من قد يقصد نصر قول شخص معين فتنطق له من الادلة ما لو خلا عن ذلك القصد لم يتكلفه ولحكم ببطلانها

والصواب ماقاله ابو بكر وهو أن هذا الحديث ليس بمتصل وعبد الرحمن انما دخل على عائشة وهو صبي ولم يضبط ماقالته وقال فيه ابو محمد بن حزم هذا الحديث تفرد به العلاء بن زهير الازدي لم يروه غيره وهو مجهول وهذا الحديث خطأ قطعاً فانه قال فيه انها خرجت مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان ومعلوم باتفاق أهل العلم ان رسول الله ﷺ لم يعتمر في رمضان قط ولا خرج من المدينة في عمرة في رمضان بل ولا خرج الى مكة في رمضان قط الا عام الفتح فانه كان حينئذ مسافراً في رمضان وفتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان باتفاق أهل العلم وفي ذلك السفر كان أصحابه منهم الصائم ومنهم المفطر فلم يكن يصلي بهم الا ركعتين ولا نقل احد من أصحابه عنه انه صلى في السفر أربعا والحديث المتقدم خطأ كما سنبينه ان شاء الله تعالى ، وعام فتح مكة لم يعتمر ، بل ثبت بالنقول المستفيضة التي اتفق عليها اهل العلم به انه انما اعتمر بعد الهجرة اربع عمر منها ثلاث في ذي القعدة ، والرابعة مع حجته : عمرة الحديبية لما صده المشركون حل بالحديبية بالاحصار ولم يدخل مكة ، وكانت في ذى القعدة . ثم اعتمر في العام القابل عمرة القضية ، وكانت في ذي القعدة ايضا ، ثم لما قسم غنائم حنين بالجعرانة اعتمر من الجعرانة ، وكانت عمرته في ذى القعدة أيضا ، والرابعة مع حجته ، ولم يعتمر بعد حجه لا هو ولا احد ممن حج

معه الا عائشة لما كانت قد حاضت وامرها أن تهل بالحج ، ثم اعمرها مع أخيها عبد الرحمن من التنعيم . ولهذا قيل لما بني هناك من المساجد مساجد عائشة فانه لم يعتمر احد من الصحابة على عهد النبي ﷺ لا قبل الفتح ولا بعده عمرة من مكة الا عائشة . فهذا كله مما تواترت به الاحاديث الصحيحة مثل ما في الصحيحين عن انس ان رسول الله ﷺ اعتمر اربع عمر كلهن في ذى القعدة الا التى مع حجه : عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة في ذى القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ مسلم . ولفظ البخارى اعتمر اربعا عمرة الحديبية في ذى القعدة حيث صده المشركون ، وعمرة في العام المقبل في ذى القعدة حيث صالحهم ، وعمرة حنين من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال اعتمر رسول الله ﷺ في ذى القعدة قبل ان يحج مرتين . وهذا لفظ البخاري . وأراد بذلك العمرة التى اتمها وهي عمرة القضية والجعرانة . وأما الحديبية فلم يمكن اتمامها بل كان منحصرا لما صده المشركون وفيها أنزل الله آية الحصار باتفاق أهل العلم وقد ثبت في الصحيح عن عائشة لما قيل لها إن ابن عمر قال ان رسول الله ﷺ اعتمر في رجب فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ الا وهو معه وما اعتمر في رجب قط ما اعتمر الا وهو معه وفي رواية عن عائشة قالت لم يعتمر رسول الله ﷺ الا في ذي القعدة وكذلك عن ابن عباس رواهما ابن ماجه وقد روى ابو داود عنها قالت اعتمر رسول الله ﷺ عمرتين عمرة في ذي القعدة

وعمرة في شوال . وهذا ان كان ثابتا عنها فلعله ابتداء سفره كان في شوال ولم تقل قط انه اعتمر في رمضان فعلم أن ذلك خطأ محض

واذا ثبت بالاحاديث الصحيحة أنه لم يعتمر الا في ذي القعدة وثبت أيضا أنه لم يسافر من المدينة الى مكة ودخلها الا ثلاث مرات عمرة القضية ثم غزوة الفتح ثم حجة الوداع وهذا مما لا يتنازع فيه اهل العلم بالحديث والسيرة وأحوال رسول الله ﷺ ولم يسافر في رمضان الى مكة الا غزوة الفتح كان كل من هذين دليلا قطعا على ان هذا الحديث الذي فيه انها اعتمرت معه في رمضان وقالت أتممت وصمت فقال احسنت خطأ محض. فعلم قطعا أنه باطل لا يجوز لمن علم حاله ان يرويه عن النبي ﷺ لقوله « من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولكن من حدث من العلماء الذين لا يستحلون هذا فلم يعلموا أنه كذب

فان قيل فيكون قوله في رمضان خطأ وسائر الحديث يمكن صدقه قيل بل جميع طرقه تدل على أن ذلك كان في رمضان لانها قالت قلت أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال احسنت يا عائشة وهذا انما يقال في الصوم الواجب . واما السفر في غير رمضان فلا يذكر فيه مثل هذا لانه معلوم أن الفطر فيه جائز . وأيضا فقد روى البيهقي وغيره بالاسناد الثابت عن الشعبي عن عائشة انها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين الا المغرب ففرضت ثلاثا فكان رسول الله ﷺ اذا سافر صلى الصلاة الاولى واذا أقام زاد مع كل ركعتين ركعتين الا المغرب لانها وتر والصبح لانها تطول فيها القراءة . فقد أخبرت عائشة أنه كان اذا سافر صلى الصلاة الاولى ركعتين ركعتين فلو كان تارة يصلي أربعا لاخبرت

بذلك وهذا يناقض تلك الرواية المكذوبة على عائشة . وأيضا فعائشة كانت حديثة السن على عهد النبي ﷺ فان النبي ﷺ مات وعمرها أقل من عشرين سنة فانه لما بنى بها بالمدينة كان لها تسع سنين وانما أقام بالمدينة عشرا فاذا كان قد بنى بها في اول الهجرة كان عمرها قريبا من عشرين ولو قدر أنه بنى بها بعد ذلك لكان عمرها حينئذ أقل . وأيضا فلو كانت كبيرة فهي انما تتعلم الاسلام وشرائعه من النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يتصور أن تصوم وتصلي معه في السفر خلاف ما يفعله هو وسائر المسلمين وسائر ازواجه ولا تخبره بذلك حتى تصل الى مكة؟ هل يظن مثل هذا بعائشة أم المؤمنين؟ وما بالها فعلت هذا في هذه السفرة دون سائر أسفارها معه؟ وكيف تطيب نفسها بخلافه من غير استئذانه وقد ثبت عنها في الصحيحين بالاسانيد الثابتة باتفاق أهل العلم أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة . وهذا من رواية الزهري عن عروة عن عائشة ورواية اصحابه الثقات ومن رواية صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة يرويه مثل ربيعة ومن رواية الشعبي عن عائشة . وهذا مما اتفق أهل العلم بالحديث على أنه صحيح ثابت عن عائشة فكيف تقدم مع رسول الله ﷺ علي أن تصلي في السفر قبل أن تستأذنه وهي تراه والمسلمين معه لا يصلون الا ركعتين . وأيضا فهي لما أتمت الصلاة بعد موت النبي ﷺ لم يحتج بانها فعلت ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا ذكر ذلك اخبر الناس بها عروة ابن أختها بل اعتذرت بعذر من جهة الاجتهاد كما رواه النيسابوري والبيهقي وغيرهما بالاسانيد الثابتة عن وهب

ابن جرير ثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها كانت تصلي في السفر أربعا فقلت لها لو صليت ركعتين فقالت يا ابن أخي انه لا يشق عليّ .

وأيضا فالحديث الثابت عن صالح بن كيسان أن عروة بن الزبير حدثه عن عائشة أن الصلاة حين فرضت كانت ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر على ركعتين واتمت في الحضر اربعا . قال صالح فاخبر بها عمر بن عبد العزيز فقال : إن عروة أخبرني أن عائشة تصلي أربع ركعات في السفر قال فوجدت عروة يوما عنده فقلت كيف اخبرتني عن عائشة فحدث بما حدثني به . فقال عمر أليس حدثتني أنها كانت تصلي أربعا في السفر قال بلى . وفي الصحيحين عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر واقرت صلاة السفر . قال الزهري . قلت فما شأن عائشة كانت تتم الصلاة ؟ قال انها تأولت كما تأول عثمان. فهذا عروة يروي عنها أنها اعتذرت عن اتمامها بانها قالت لا يشق عليّ وقال انها تأولت كما تأول عثمان . فدل ذلك على أن اتمامها كان بتأويل من اجتهادها ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حسن لها الاتمام او كان هو قد اتم لكانت قد فعلت ذلك اتباعا لسنة رسول الله ﷺ وكذلك عثمان ولم يكن ذلك مما يتأول بالاجتهاد

ثم ان هذا الحديث اقوى ما اعتمد عليه من الحديث من قال بالاتمام في السفر وقد عرف انه باطل فكيف بما هو ابطل منه وهو كون النبي ﷺ كان يتم في السفر ويقصر، وهذا خلاف المعلوم بالتواتر من سنته التي اتفق عليها اصحابه نقلا عنه وتبليغا الى امته . لم ينقل عنه قط احد من اصحابه انه صلى في

السفر اربعا بل تواترت الاحاديث عنهم انه كان يصلي في السفر ركعتين هو وصحابه

والحديث الذي يرويه زيد العمي عن انس بن مالك قال: انا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نسافر فمنا الصائم ومنا المفطر، ومنا المتم ومنا المقصر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المتم على المقصر. هو كذب بلا ريب وزيد العمي ممن اتفق العلماء على انه متروك والثابت عن انس انما هو في الصوم. ومما يبين ذلك انهم في السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يصلون فرادى بل كانوا يصلون بصلاته بخلاف الصوم فان الانسان قد يصوم وقد يفطر فهذا الحديث من الكذب، وان كان البيهقي روى هذا فهذا مما انكر عليه ورآه اهل العلم لا يستوفي الآثار التي لمخالفيه كما يستوفي الآثار التي له، وانه يحتج بآثار لو احتج بها مخالفوه لاظهر ضعفها وقدح فيها، وانما اوقعه في هذا مع علمه ودينه ما اوقع امثاله ممن يريد ان يجعل آثار النبي صلى الله عليه وسلم موافقة لقول واحد من العلماء دون آخر فمن سلك هذه السبيل دحضت حججه وظهر عليه نوع من التعصب بغير الحق كما يفعل ذلك من يجمع الآثار ويتأولها في كثير من المواضع بتأويلات يبين فسادها ليوافق القول الذي ينصره كما يفعله صاحب شرح الآثار ابو جعفر مع انه يروي من الآثار اكثر مما يروي البيهقي. لكن البيهقي ينقي الآثار ويميز بين صحيحها وسقيمها اكثر من الطحاوي

والحديث الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يقصر ويتم ويفطر ويصوم قد قيل انه مصحف وانما لفظه كان يقصر وتتم هي بالتاء ويفطر وتصوم هي ليكون معنى هذا الحديث معنى الحديث الآخر الذي اسناده

امثل منه فانه معروف عن عبد الرحمن بن الاسود لكنه لم يحفظ عن عائشة. واما نقل هذا الآخر عن عطاء فغلط على عطاء قطعا وانما الثابت عن عطاء ان عائشة كانت تصلي في السفر اربعا كما رواه غيره، ولو كان عند عائشة عن النبي ﷺ في ذلك سنة لكانت تحتج بها، ولو كان ذلك معروفا من فعله لم تكن عائشة اعلم بذلك من اصحابه الرجال الذين كانوا يصلون خلفه دائما في السفر فان هذا ليس مما تكون عائشة اعلم به من غيرها من الرجال كقيامه بالليل واغتساله من الاكسال فضلا عن ان تكون مختصة بعلمه، بل امور السفر اصحابه اعلم بحاله فيها من عائشة لانها لم تكن تخرج معه في كل اسفاره فانه قد ثبت في الصحيح عنها انها قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايهن خرج سهمها خرج بها معه. فانما كان يسافر بها احيانا وكانت تكون مخدرة في خدرها وقد ثبت عنها في الصحيح انها لما سألها شريح بن هاني عن المسح على الخفين قالت سل عليا فانه كان يسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم هذا والمسح على الخفين امر قد يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في منزله في السفر فتراه دون الرجال بخلاف الصلاة المكتوبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليها في الحضر ولا في السفر الا اماما باصحابه، الا ان يكون له عذر من مرض او غيبة لحاجة كما غاب يوم ذهب ليصلح بين أهل قباء وكما غاب في السفر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلي بهم الصبح. ولما حضر النبي ﷺ حسن ذلك وصوبه. واذا كان الاتمام انما كان والرجال يصلون خلفه فهذا مما يعلمه الرجال قطعا وهو مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فان ذلك مخالف لعادته في عامة اسفاره فلو فعله احيانا لتوفرت هممهم ودواعيهم

على نقله كما نقلوا عنه المسح على الخفين لما فعله، وان كان الغالب عليه الوضوء وكما نقلوا عنه الجمع بين الصلاتين احيانا، وان كان الغالب عليه ان يصلي كل صلاة في وقتها الخاص، مع أن مخالفة لسنته اظهر من مخالفة بعض الوقت لبعض فان الناس لا يشعرون بمرور الاوقات كما يشعرون بما يشاهدونه من اختلاف العذر فان هذا امر يرى بالعين لا يحتاج الى تأمل واستدلال بخلاف خروج وقت الظهر وخروج وقت المغرب فانه يحتاج الى تأمل. ولهذا ذهب طائفة من العلماء الى ان جمعه انما كان في غير عرفة ومزدلفة بان يقدم الثانية ويؤخر الاولى الى آخر وقتها، وقد روي انه كان يجمع كذلك فهذا مما يقع فيه شبهة بخلاف الصلاة اربعا لو فعل ذلك في السفر فان هذا لم يكن يقع فيه شبهة ولا نزاع، بل كان ينقله المسلمون ومن جوز عليه ان يصلي في السفر اربعا — ولا ينقله احد من الصحابة، ولا يعرف قط الا من رواية واحد مضعف عن آخر عن عائشة، والرويات الثابتة عن عائشة لا توافقه بل تخالفه — فانه لو روي له باسناد من هذا الجنس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الفجر مرة اربعا لصدق ذلك، ومثل هذا ينبغي ان يصدق بكل الاخبار التي من هذا الجنس التي ينفرد فيه الواحد، مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ويعلم انه لو كان حقا لكان ينقل ويستفيض. وهذا في الضعف مثل ان ينقل عنه انه قال لاهل مكة بعرفة ومزدلفة ومنى، « اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » وينقل ذلك عن عمر ولا ينقل الا من طريق ضعيف، مع العلم بان ذلك لو كان حقا لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله. وذلك مثل ما روى ابو داود الطيالسي: حدثنا حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن ابي نضرة قال: سأل سائل عمران بن الحصين

عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فقال : ان هذا الفتى يسألني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر، فاحفظوهن عني ،ما سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً قط ، الا صلى ركعتين حتي يرجع ، وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف فكان يصلى ركعتين ،ثم حججت معه واعتمرت فصلى ركعتين، ثم قال « ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » ثم حججت مع ابي بكر واعتمرت فصلى ركعتين ركعتين، ثم قال «ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر »ثم حججت مع عمر واعتمرت فصلى ركعتين وقال: اتموا صلاتكم فانا قوم سفر. ثم حججت مع عثمان واعتمرت ، فصلى ركعتين ركعتين، ثم ان عثمان أتم ،فما ذكره في هذا الحديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في السفر قط الا ركعتين ، هو مما اتفقت عليه سائر الروايات ،فان جميع الصحابة انما نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى في السفر ركعتين

واما ما ذكره من قوله « ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » فهذا مما قاله بمكة عام الفتح ،لم يقله في حجته ،وانما هذا غلط وقع في هذه الرواية. وقد روى هذا الحديث ابراهيم بن حميد عن حماد باسناده، رواه البيهقي من طريقه ولفظه : ماسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً إلا صلى ركعتين، حتي يرجع ويقول «ياأهل مكة قوموا فصلوا ركعتين فانا قوم سفر» وغزا الطائف وحنين ،فصلى ركعتين واتى الجعرانة فاعتمر منها ،وحججت مع ابي بكر واعتمرت، فكان يصلى ركعتين، وحججت مع عمر بن الخطاب، فكان يصلي ركعتين ،فلم يذكر قوله إلا عام الفتح، قبل

غزوة حنين والطائف ، ولم يذكر ذلك عن ابي بكر وعمر ، وقد رواه ابو داود في سننه صريحا من حديث ابن علية : حدثنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن عمران بن حصين قال حرفت مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة يصلي ركعتين يقول « يا اهل البلد صلوا اربعا فانا قوم سفر » وهذا انما كان في غزوة الفتح في نفس مكة لم يكن بمنى . وكذلك اثابت عن عمر انه صلى باهل مكة في الحج ركعتين ، ثم قال عمر بعد ما سلم : اتموا الصلاة يا أهل مكة فانا قوم سفر :

هذا ومما يبين ذلك ان هذا لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم احد من الصحابة ، لا ممن نقل صلاته ، ولا ممن نقل نسكه وحجه مع توفر الهمم والدواعي على نقله ، مع ان ائمة فقهاء الحرمين كانوا يقولون ان المكيين يقصرون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى ، أفيكون كان معروفا عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك ؟ ام كانوا جهالا بمثل هذا الامر الذي يشيع ولا يجهله احد ممن حج مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي الصحيحين عن حارثة بن خزاعة قال : صلينا مع النبي ﷺ بمنى أكثر ما كنا وآمنه ركعتين . حارثة هذا خزاعي وخزاعة منزلها حول مكة

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد قال ، صلى بنا عثمان بمنى اربع ركعات ، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع وقال صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين ، وصليت مع ابي بكر بمنى ركعتين ، و صليت مع عمر بمنى ركعتين ، فليت حظي من اربع ركعات ركعتين متقبلتين ،

واتمام عثمان رضي الله عنه قد قيل انه كان لانه تأهل بمكة ، فصار مقيما ، وفي المسند عن عبد الرحمن بن ابي ذآب : ان عثمان صلى بمنى اربع ركعات ، فانكر

الناس عليه فقال: يا ايها الناس اني تأهلت بمكة منذ قدمت، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من تأهل في بلد فليصل صلاة مقيم» بمكة ثلاثة ايام ويقصر الرابعة، فانه يقصر كما فعل النبي ﷺ وهو لا يمكنه ان يقيم بها اكثر من ذلك. فان عثمان كان من المهاجرين، وكان المقام بمكة حراما عليهم

وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمهاجر أن يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا، وكان عثمان اذا اعتمر يأمر براحلته، فتهيأ له فيركب عليها عقب العمرة، لئلا يقيم بمكة فكيف يتصور أنه يعتقد أنه صار مستوطنا بمكة إلا إن يقال أنه جعل التأهل اقامة لا استيطانا، فيقال معلوم أن من اقام بمكة ثلاثة ايام، فانه يقصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يمكنه ان يقيم بها اكثر من ذلك، لكن قد يكون نفس التأهل مانعا من القصر. وهذا ايضا بعيد فان اهل مكة كانوا يقصرون خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه بمنى، وايضا فالامر آء بعد عثمان من بني أمية كانوا يتمون اقتداء به، ولو كان عذره مختصا به لم يفعلوا ذلك. وقيل انه خشي أن الاعراب يظنون ان الصلاة اربع وهذا ايضا ضعيف، فان الاعراب كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اجهل منهم في زمن عثمان، ولم يتم الصلاة وايضا فهم يرون صلاة المسلمين في المقام اربع ركعات، وايضا فظنهم ان السنة في صلاة المسافر اربع خطأ منهم، فلا يسوغ مخالفة السنة ليحصل بالمخالفة ماهو بمثل ذلك، وعروة قد قال ان عائشة تأولت كما تأول عثمان، وعائشة اخبرت ان الاتمام لا يشق عليها. (١)

(١) سبق مثل هذا الكلام أيضا في الصفحة ٤٢ من هذا الكتاب فانظره

ان يكون ذلك كما رآه من رآه لاجل شقة السفر، ورأوا ان الدنيا لما اتسعت عليهم لم يحصل لهم من المشقة ما كان يحصل على من كان صلى اربعا، كما قد جاء عن عثمان من نهيه عن المتعة التي هي الفسخ ، ان ذلك كان لاجل حاجتهم ، إذ ذاك الي هذه المتعة فتلك الحاجة قد زالت

﴿ تمت ﴾

جاء في آخر النسخة التي طبعنا عنها هذه الرسالة ما نصه :

هذا آخر ما وجدته من هذه القاعدة الجليلة ، للشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان المنقول عنها يقول كاتبها انه نقلها من نسخة بخط ابن القيم رحمهم الله وقد وقع الفراغ غداة يوم الجمعة ٨ صفر سنة ١٣٤١ في المدرسة الداودية من بغداد المحمية ، وانا الفقير عبدالكريم بن السيد عباس الازجي والحمد لله رب العالمين

مسألة القبور والمشاهد عند الشيعة

﴿ مناظرة بين عالم شيعي وعالم سني ﴾

من المعلوم في كتب التاريخ أن رفع بناء قبور آل البيت وغيرهم من الصالحين وبناء القباب عليها وايقاد السرج والقناديل فيها وجعلها مساجد يصلى فيها وشعائر يحج اليها خلافا للأحاديث الصحيحة الزاجرة عن ذلك لعمل الصدر الاول — كل ذلك مما ابتدعه الشيعة الباطنية والظاهرية وقلدهم فيه بعض المنتسبين إلى السنة من الملوك والسلاطين الجاهلين ولا سيما الاعاجم منهم كالجراكسة والترك ومن مشايخ الطرق الصوفية

ويعلم قراء المنار اننا منذ أنشأناه في أواخر سنة ١٣١٥ إلى الآن ونحن ننكر هذه البدع وننشنع على أهلها في مصر وغيرها من غير تعرض لذكر الشيعة لان هؤلاء أشد الفرق الاسلامية تعصباً وجدلا فتوجيه الكلام اليهم قلما يفيد إلا زيادة الشقاق الذي نسعى لاحالته وفاقا ، ولكن نشرنا في المجلد الثاني والمجلد الثالث عشر من المنار رسالتين لسائحين من أهل العلم ﴿ أولاهما ﴾ عن حال العراق تعرض فيها لدعاة الشيعة هنالك وذكر مسألة المتعة ﴿ والثانية ﴾ من البحرين بحث فيها مرسلها في مسألة القبور والمشاهد في مذهب الشيعة فما زلنا نسمع الطعن في المنار من أجل نشرهما قولا وكتابة ، وقد ألف بعض علمائهم في سورية كتابا سماه ﴿ الشيعة والمنار ﴾ فعرقل المتعصبون منهم جهادنا في سبيل التأليف بينهم وبين أهل السنة

وجملة القول ان بعض علمائهم المتعصبين جعلوا المنار خصما للشيعة ولو اشتغلنا بالرد والانكار على الشيعة عشر معشار اشتغالنا بالبدع المنتشرة في البلاد التي يعد أهلها من متبعي السنة لقضينا كل عمرنا في الجدل الذي يبغضه الله تعالى ويبغض أهله

وكنا نود أن نرى كتابة لبعض علمائهم المعاصرين يبين فيه أدلتهم في هذه المسألة ولا نعثر عليها حتى زارنا في هذا الشهر عالم سني كان في العراق وقعت بينه وبين أحد علماء الشيعة مناظرة شفاهية فيها تلتها مناظرة قلمية اطلعنا عليها فاستأذناه في نسخها ونشرها فأذن لنا ، وهي مبنية على الرسالة الثانية من الرسالتين اللتين أشرنا اليهما آنفاً . ونبدأ بنشر ما كتبه العالم الشيعي وهو الاستاذ الشهير (سيد مهدي الكاظمي القزويني) ثم نقفي عليها برد العالم السني وهو ﴿ الاستاذ الشيخ محمد ابن عبد القادر الهلالي ﴾ ولكننا نعلق في الحواشي بعض الفوائد قبل الاطلاع على الرد كله ونشره

﴿ المنار ﴾

رسالة العالم الشيعي (*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته الطاهرين ، وعلى صحبه المنتخبين (١) وعلى التابعين لهم باحسان

ثم تحية وسلام على جناب العالم الفاضل الشيخ محمد بن عبد القادر الهلالي سلمه الله تعالى ووفقه معنا وسائر المؤمنين لما يرضيه

اما بعد فقد تناولنا بكمال الاحترام كتابكم الكريم المؤرخ لاربع خلون من شعبان وسبرنا ما اوعزتم اليه مما نشره المنار عن أحد مكاتبيه في الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر في صفحة ٣١١ وتلقينا سؤالكم عن الحقيقة بتمام السرور والانشراح رغبة بكشف الالتباس ورفع السوء التفاهم بين المسلمين ، ولذا تتبعنا كلام المكاتب فقرة فقرة وان استلزم ذلك طولا في البحث لكنكم ستسامحوننا عليه إن شاء الله تعالى

قال المكاتب: والعجب من علمائهم - يعني الشيعة - انه لا يوجد كتاب من فقههم الا وفيه لا يجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها وبناء المساجد

*) ننشر الرسالة بنصها على غلط ما فيها.

(١) من عادة علماء الشيعة انهم لا يذكرون الصحابة في مثل هذا المقام الا مع وصف يقيدون به الصلاة او السلام او الرضي به ، والمنتخبون هنا هم الذين يعدونهم من شيعة علي (رض) على ان الذين يزعمون انهم ارتدوا منهم والذين يجزمون بأن اسلامهم كان رياء كأبي سفيان ومعاوية لا يدخلون في عموم الصحابة ان صح ذلك عنهم لان شرط صفة الصحابي عند أهل السنة ان يجتمع بالنبي (ص) مؤمنا به ويموت على ذلك وهم اولى بهذا الاشتراط

عليها ثم لا نرى منهم منكرا لذلك بل يعدونه من افضل القربات انتهى

نقول كان على المكاتب ان يذكر على الاقل كتابا واحدا من كتب الشيعة في الفقه مصرحا فيه بعدم جواز هذه الامور ليكون شاهدا على صدقه فيما ادعاه ،وأنى له بذلك وهذه كتب الشيعة منتشرة في غاية الكثرة لم نجد في واحد منها ما نسبه اليهم

قال المكاتب استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في اواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لا يجوز انتهى

نقول سبحانك اللهم مغفرة وعفوا ،وعجبا من مدعي العلم كيف يحرف الكلم عن مواضعه ولم ينقله على وجهه ،ان نص عبارة كتاب الجواهر هكذا: ولما فرغ (يعني المحقق الحلي المتوفى سنة ست وسبعين وستمائه مصنف كتاب شرائع الاسلام في الفقه وهو المتن الذي شرحه الشيخ محمد حسن النجفي وسمى شرحه جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام) من الكلام في المسنونات شرع في الكلام في المكروهات فمنها «انه يكره فرش القبر بالساج الا لضرورة» ثم ذكر جملة من المكروهات الى ان قال «ومنها تجصيص القبور» هذا نفس المتن فهل يتوهم احد من هذه العبارة عدم جواز البناء على القبور بعد تصريح المصنف بانه يكره تجصيصها، حاشا وكلا

ثم ان صاحب الجواهر بعد ان ذكر المتن المزبور اخذ يستدل على كراهة التجصيص ومن جملة ما استدل به الحديث المروي عن علي بن جعفر (ع) قال سألت ابا الحسن موسى - يعني الكاظم (ع) عن البناء على القبر والجلوس عليه هل يصلح ؟قال لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه

اما وجه الاستدلال به على كراهة التجصيص فهو ان الجلوس على القبر ليس بمحرم عندنا فتكون سائر الامور المذكورة معه ليست محرمة لازوم تساوي المتعاطفات في الحكم[1] فقوله (ع) لا يصلح انما يريد به الكراهة لا التحريم بقرينة ذكر الجلوس الذى ليس بحرام . ولكن مكاتب المنار لم يذكر من الحديث الا قوله لا يصلح البناء على القبر واسقط منه الباقي ليوهم القارئ ان الحديث دال على التحريم ولا شك ان اسقاط بعض الحديث خيانة في النقل ،على ان لفظ الحديث «لا يصلح» وهو بنفسه لا يدل على التحريم لان نفي الصلاح في شيء لا يستلزم ثبوت الفساد فيه ،فلا تحريم اذن

ثم قال صاحب الجواهر وربما يشعر بكراهة التجصيص قول الصادق (ع) كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت. وهذا الحديث لا دخل له بموضوع المسئلة لان المفهوم منه كراهة ان يهال على الميت من غير تراب القبر فالصادق (ع) كانه قال لا يهال على القبر الا التراب الذى استخرج من نفس القبر عند حفره ولا يؤتى بشيء من غيره فيوضع في القبر[2] الا انه يمكن ان يفهم منه كراهة تجصيصه

(١) المنار : انما يصح هذا الاستدلال اذا كان ما ذكر مرويا عن الامام الكاظم نفسه ، ومذهبهم الذي هم عليه لا يصح أن يكون قيدا لكلامه يحمل عليه لانه لم يكن مدونا في عصره ولم يكن هو مقلدا لهم فيه وهم مخالفون في هذه المسألة نفسها لان قوله بأنه مكروه شرعا على تفسيرهم يقتضي تركه وما هم بتاركيه

(٢) هذا تحريف لكلمة الامام مخالف للمتبادر منها وهو ما كان عليه جميع سلف الامة قبل المذاهب والتفرق اعني تسوية القبور بالارض وعدم البناء عليها مخالفة للكفار ولا معنى لعدم وضع حفنة أو حفنات من التراب غير ما استخرج منه فهذا مما يجل الامام عن النهي عنه اذ لا فائدة فيه

« ايضا » لان الجص من غير تراب القبر ولهذا جعل صاحب الجواهر هذا الحديث مشعرا بكراهة التجصيص لا دليلا عليه ومعلوم ان الاشعار نظير الايماء والتلميح ليس من دلالات الالفاظ ومفهوماتها الظاهرة منها(١)

وقال في الجواهر وكذا يشعر بالكراهة حديث الصادق (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور. وسنذكر فيما يأتي معنى هذا الحديث إن شاء الله والمهم هنا بيان ان صاحب الجواهر ذكر هذه الاحاديث استدلالا على كراهة تجصيص القبور حسب ما صرح به الماتن ونحن وضحنا وجه الاستدلال بها

ثم قال الماتن ومنها أي من المكروهات «تجديد القبور بعد اندراسها» وأخذ صاحب الجواهر يستدل على كراهة ذلك بما لا حاجة الى ذكره لان مكاتب المنار لم يتعرض له(٢) ثم انه لا الماتن ولا الشارح تعرض لمسئلة السرج على القبور فيفهم من ذلك انها غير مكروهة عندهما ولهذا اهملا ذكرها(٣) وسائر كتب الشيعة على هذا النسق فليرجع اليها من شاء فكيف قال مكاتب المنار، إنه لا يوجد كتاب من فقههم إلا وفيه لا يجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها ؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم(٤)

«١» هذه دعوى باطلة فان معنى أشعره بالشيء جعله يشعر به من الشعور وهو العلم والدراية قال في الاساس وما يشعركم - وما يدريكم ، ويستعمل في الفصيح فيما كان مسلكه دقيقاً أو خفيا والامام الصادق من فصحاء المتقدمين لا من أصحاب اصطلاحات المتفقهين (٢) لكنه حجة عليهم فان درس القبور من شرائع الاسلام ولو كان تشييدها مطلوبا شرعا لما صرحوا بكراهة تجديدها ٣) إهمال ذكرها لا يدل على شيء ٤) هذا وما بعده طعن لا يليق بالعلماء فان صح ان مراسل المنار لم ير في كتبهم مسألة السرج فالاقرب أن تكون سبق قلم سببه صحة الاحاديث فيها وذكرها في كتب السنة مع ما سبقها

ولا عجب منه فانه لما تظاهر بالتمدن الغربي وادخل نفسه في عداد المتنورين بزعمه وتراءى للناس بمظهر بيان الحقائق سولت له نفسه أن قاريء كتابه لا يتهمه بالافتراء على الشيعة ولهذا تجاسر على تحريف كلمات العلماء وساق الاحاديث على غير مساقها بعد أن لعب بها (١) كل ذلك ليشوه وجه الشيعة وسمعتهم عند من لم يعرف حقيقة الحال، ولم يدر — وليته درى — بانه سود بذلك صحيفة تاريخه وتاريخ المنار فاين الكراهة من التحريم واين تجصيص القبور أو البناء عليها من البناء الذي قصد التشنيع به كالقباب وغيرها (٢) فان من الواضح أن البناء المذكور في حديث الكاظم عليه السلام سؤالا وجوابا انما هو بناء نفس القبر وهو الذى لا يصلح كما يشهد به قوله في الحديث: ولا الجلوس عليه ولا تجصيصه ولا تطيينه. فهل يفهم من هذه الكلمات غير نفس القبر؟ وكم من فرق بين بناء نفس القبر (٣) وبين القبة المبنية على أساسات لا دخل لها بالقبر أصلا

قال المكاتب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق (ع) عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولا يبنى عليها مساجد قال النبي (ص) « لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» انتهى

١: انه هو الذي لعب بنصوص الائمة وحرفها كما علم مما أشرنا ومما نشير اليه ومن رد الاستاذ الهلالي الآتي «٢» الكراهة ليست بعيدة عن التحريم كل هذا البعد فكل منهما مذموم منهي عنه شرعا الا أن التحريم أشد ومكاتب المنار لم يصرح بلفظ التحريم فيستحق به كل هذا التقريع ويشرك المنار معه فيه ويشوه تاريخه! (٣) النهي عن بناء القباب ثابت في الاحاديث الصحيحة ومنها قول الصادق الذي ذكره المكاتب وحرفه الاستاذ كغيره والغرض منه ومن النهي عن بنائها نفسها واحد وهو سد ذريعة الشرك كما فعل أهل الكتاب

نقول يوجد فيما نقله المكاتب من حديث سماعة بعض تغييرات لا يختلف بها المعنى ولكن العجب منه أنه ذكر الحديث النبوي عقيب حديث سماعة بصورة توهم أن الصادق (ع) استشهد به على قوله ، مع أن الحديث النبوي لا وجود له في كتاب الكليني اصلا ؛ نعم توجد روايته مرسلة في بعض كتب الشيعة

وكيف كان فليعلم أن جميع ما جاء من بناء المساجد واتخاذها على القبور ، أو فيها ، او عندها ـ حسب اختلاف النقل ـ انما يراد به النهي عن جعل نفس القبر مسجدا أي موضعا يسجد عليه وليس المراد بالمسجد ماهو المعروف بين المسلمين من المكان الذي يصلى فيه ، لانه حينئذ لا يكون معنى معقول لبناء المسجد على القبر أو اتخاذ المسجد عليه ، وهل يتصور في الامكان بناء مسجد على نفس القبر ؟ ويشهد لما قلناه نفس الحديث النبوي «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا» فانه (ص) نهى عن اتخاذ قبره قبلة يتوجه اليه المصلي ولا يستقبل القبلة ونهى عن اتخاذ قبره موضعا للسجود عليه فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومن المعلوم أن ليس لليهود مساجد بالمعنى المعرف عند المسلمين ، فالمقصود اذن بيان انهم اتخذوا قبور أنبيائهم مواضع يسجدون عليها(١)

وفي صحيح البخاري باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور وذكر حديث عائشة (رض) عن النبي (ص) وفيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت ولولا ذلك لأبرز قبره غير اني

(١) قوله فليعلم ان جميع ما جاء في بناء المساجد إلى هنا وما بعده باطل أصلا ودليلا كما ستعرفه في الرد عليه وأغرب به دعواه ان أهل الكتاب يصلون على قبور أنبيائهم

أخشى أن يتخذ مسجدا انتهى فهل يفهم من هذا الحديث الا اتخاذ نفس القبر موضعا يسجد عليه ؟ قال في فتح الباري قوله لأبرز قبره أي لكشف قبر النبي (ص) ولم يتخذ عليه الحائل فهل يوجد أصرح من ذلك؟ ولا شك أن السجود على نفس القبر لا يجوز ، وهذا المعنى هو المنهي عنه في جميع أحاديث الباب ، وربما حملها بعض العلماء على ارادة السجود لنفس القبور تعظيما لها وهذا المعنى وإن كان غير جائز أيضا لانه عبادة للقبور إلا أن الاحاديث ليست مسوقة للنهي عن ذلك بل للنهي عن السجود على نفس القبر وسنذكر أقوال العلماء بالنسبة الى هذا المعنى فيما يأتي إنشاء الله

وتوجد (أيضا) معان ثلاثة غير المعنى الذي قررناه الا أنه لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها (أحدها) أن يراد النهي عن وصل المساجد بمواضع القبور وهذا التأول خطأ فاحش لان مسجد النبي (ص) قد وصل بموضع قبره الشريف في زمن الصحابة والتابعين فكيف يدعى أن ذلك منهي عنه وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين

(ثانيها) أن يراد النهي عن أن يقوم المصلي حول القبر ويسجد على الارض قريبا من القبر ، وهذا التأول أيضا خطأ لا يصح حمل الاحاديث عليه لانه لا ريب في أن البقعة المتضمنة لقبر نبي أو إمام عادل أو ولي لله تعالى أو غيره ممن له عند الله منزلة جليلة وجاه عظيم تكون أشرف وأفضل من غيرها لنسبة شرف المدفون فيها وفضله ، قال النواوي في شرحه لصحيح مسلم في باب فضل الصلاة بمسجد في مكة والمدينة قال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره (ص) أفضل بقاع الارض ولا ريب أيضا (١) في أن الصلاة

١) قوله ولا ريب أيضاً ـ هو من كلامه لا من كلام النووي وكان ينبغي له الفصل بينهما بكلمة انتهى أو علامة أخرى كما فعل في مواضع أخرى

ومثلها الدعاء وقراءة القرآن وسائر الاذكار والاعمال الشرعية في الاماكن الشريفة تكون أقرب الى قبولها عند الله تعالى(١) ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في غيره . ولاجل الحصول على هذا الفضل كان السلف الصالح وأئمة المسلمين حتى في زماننا هذا يصلون ويدعون ويتضرعون الى الله تعالى عند قبر النبي (ص) حتى إن صفوف الصلاة تحاذي نفس القبر الشريف(٢)

(ثالثها) أن يراد بها النهي عن إنشاء المساجد واتخاذها حول القبور وهذا التأول خطأ أيضا لانه لا محذور في أن يتقرب العبد إلى الله تعالى ببناء مسجد تقام فيه الصلوات في تلك البقاع الشريفة مع ما ورد من أن من بنى مسجداً بنى الله له بيتا في الجنة وهو حديث عام لا يختص ببقعة دون بقعة ولا بزمان دون زمان ، بل بناؤه وإنشاؤه في البقاع الشريفة أولى لكونه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف شرف البقعة وشرف المسجدية(٣)ففي فتح الباري في باب هل تنبش قبور مشركي

---

(١)قوله هذا باطل من وجهين (أحدهما) ان ماهو الاقرب إلى القبول عند الله تعالى لا يعلم الا بنص من كتابه او كلام رسوله «ص» لانه تعبدي لامجال للرأي فيه فالنبي «ص» صرح لنا بفضل الصلاة في المساجد الثلاثة على غيرها على نسبة لامجال للرأي فيها ونهى عن شد الرحال إلى غيرها فلا يقاس عليها غيرها ﴿وثانيهما﴾ انه «ص» قد نهى وزجر عن تعظيم قبور الانبياء والصالحين بالصلاة فيها أو اليها وتشريف بنائها ووضع السرج عليها وهو موضوع المناظرة فكيف يقيس مانهي عنه على ماأمر به وحكمة هذا النهي ظاهرة وهي ان الناس عبدوا الصالحين وقبورهم كما سيأتي بيانه

(٢) ماعزاه إلى السلف الصالح وأئمة المسلمين باطل قطعاً لم يستطم ولا يستطيع أن يأتي بنص فيه وماعداهم لاقيمة لفعله ولاسيما بعد انتشار البدع ولا سيما أهل زماننا هذا

«٣» هذه مغالطة ظاهرة البطلان لانها عبارة عن منع النبي «ص» من تخصيص =

الجاهلية قال البيضاوي (١) لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم — اى رسول الله (ص) ومنع المسلمين عن مثل ذلك فاما من تخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد انتهى،

وفي الكتاب المذكور في باب قول النبي (ص) « جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً » قال وايراده — يعني حديث جابر — هنا يحتمل أن يكون اراد أن الكراهة في الابواب المتقدمة ليست للتحريم لعموم قوله (ص) « جعلت لي الارض مسجدا » أى كل جزء منها يصلح ان يكون مكانا للسجود او يصلح ان يبنى فيه مكان للصلاة ويحتمل ان يكون اراد ان الكراهة فيها للتحريم وعموم حديث جابر مخصوص بها والاول اولى لان الحديث سيق في مقام الامتنان فلا ينبغي تخصيصه انتهى (٢)

= ماكان عاما من أقواله وسيأتي تفصيله ومسجد الضرار حجة من الله تعالى عليه . وماذكره عن البيضاوي عليه لا له على ان البيضاوي ليس شارعا وذلك ان المسلمين فعلوا بمساجد الانبياء والصالحين كما فعل أهل الكتاب من كل وجه وفاقاً لقوله (ص) « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعا بذراع » الخ وهو في الصحيحين وغيرهما ولكن المتأولين والجدليين منهم يسمون عبادتها تبركا ودعاء أصحابها من دون الله توسلا كما سيأتي (١) أن حديث الباب المذكور وماذكره الحافظ في شرحه من الفتح حجة على هذا العالم الشيعي وهادم لتأويله الباطل في المسألة ولكنه لا ينقل من الكتب الا ما يوافق مذهبه لان المذاهب عنده وعند سائر المقلدين المتعصبين هي اصل الدين والكتاب والسنة فرعان ان ايد المذهب قبلا والاحرفا بالتأويل

« ٢ » قد اسقط الاستاذ الشيعي من نقله هنا عبارة صريحة في ان المراد بالعموم الارض لذاتها قبل طروء مايمنع صحة الصلاة عليها كالنجاسة ومثلها سائر المنهيات وهل هذا الاخيانة في النقل لاجل العصبة المذهبية ؟

وحيث تبين خطأ تأويل الاحاديث باحد تلك المعاني الثلاثة تعين ان يكون المراد بها ماقررناه اولا وهو جعل نفس القبر موضعا يسجد عليه او قبلة يصلى اليها وهذا المعنى هو المنهي عنه بتلك الاحاديث حسب ما شرحناه ، لكن بعض العلماء تأولها بالسجود لنفس القبور تعظيما لها كما تقدم نقله عن البيضاوي

وقال النواوى في شرح صحيح مسلم في باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد قال العلماء انما نهى النبي (ص) عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الامم الخالية ثم ذكر علة زيادة مسجد رسول الله (ص) وادخال قبره فيه وقال بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلى عليه العوام ويؤدي الى المحذور انتهى

وفي فتح الباري في باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي (ص) «لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» قال ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك الى عبادتهم ، ويتناول من اتخذ أمكنة قبورهم مساجد بان تنبش وترمى عظامهم ، انتهى

نقول إن ماذكره هؤلاء في تأويل هذه الاحاديث غير مفهوم منها ولا ظاهر من سياقها ، وعسى أن يكونوا لم يهتدوا الي المعنى الذى قررناه ، مع انه في غاية الظهور ، فتأولوها بذلك(١) وعلى أي حال ، فلا

---

١) ماقاله هؤلاء هو معناها الذى فهمه السلف والخلف وليس تأولا وماقاله هو عصبية لأفعال الشيعة المتأخرين باطل وبطلانه في غاية الظهور ولعله لذلك لم يخطر في بال غيره إلا أن يكون مثله في التعصب الذي يخفي الحقائق وفي ضعف العلم باللغة العربية

ريب في أن السجود للقبور تعظيما لها لا يجوز بل هو كفر وشرك لكونه عبادة وسجوداً لغير الله جل وعلا ، ولا يتصور صدور ذلك من مسلم

واذ شرحنا معاني الاحاديث فلينصح لنا مكاتب المنار عن جهة انتقاده على الشيعة :(١)إن زعم انهم يسجدون للقبور تعظيما لها — قلنا سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وإن زعم أنهم في صلواتهم لله يسجدون على قبور أئمتهم ، كذبه الوجدان مع أن قبور الائمة (ع) محاطة بصناديق وشبابيك تمنع من وصول أحد الى نفس القبر ، وان زعم موافقة عمل الشيعة لاحد المعاني الثلاثة المتقدمة فقد بينا ان ذلك غير منهي عنه ولا محذور فيه(٢) بل هو راجح شرعا واهل السنة لم يزالوا عاملين به فهم مشاركون للشيعة في ذلك(٣) مضافا الى انا لم نجد احدا بنى مسجدا حول قبر من القبور المشهورة(٤) نعم ان الشيعة يصلون ويدعون ربهم ويطلبون منه مغفرة ذنوبهم ويتضرعون اليه في مشاهد قبور أئمتهم (ع) لكن مجرد الصلاة والدعاء ونحوه لا يصيرها مساجد(٥) ولو ان احدا واظب على ان يصلي ويدعو ويقرأ القرآن مدة حياته في مكان خاص من بيته فان ذلك المكان بالضرورة لا يصير مسجدا بكثرة العبادة فيه(٦) وحينئذ ماوجه تعجب مكاتب المنار

١)قد جعل شرحه الباطل للاحاديث المجهول لغيره أصلا فرض انه مسلم عند خصمه فبنى احتجاجه عليه، وهو تحكم عجيب، ومنطق غريب «٢» لكن مكاتب المنار فهم من الاحاديث مافهمه جماهير العلماء وهو ما نقله هو آنفاً عن الامامين الحافظين النووي وابن حجر ولم يكن هو عالماً بتأويل حضرته ولو علمه لما قلده فيه «٣» ان مكاتب المنار ينكر هذه المخالفة للاسلام لذاتها لا لصدورها عن الشيعة فمن شاركهم من المنتسبين إلى السنة فيها فهو مثلهم «٤» قوله هذا مخالف للواقع «٥و٦» بل يصيرها مساجد خاصة ولا يشترط في المسجد أن يكون عاما وقد عقد البخاري في صحيحه بابا خاصاً بمساجد البيوت

من علماء الشيعة وانه لا يرى منهم احداً منكراً لذلك فليصرح برأيه فان أي المعاني المتقدمة يجب في نظره ان ينكره علماء الشيعة ؟ هل المعنى الذي لم يرتكبه حتى الجاهل من الشيعة بل لا يمكن ارتكابه وهو السجود على نفس القبر ؟ او احد المعاني الثلاث التي بعضها لا وجود له اصلا وبعضها مشترك العمل بين الشيعة واهل السنة وهو عمل راجح شرعا وعقلا ولو انه فهم معاني احاديث بناء المساجد واتخاذها على القبور وراجع وجدانه في ذلك لما تورط في هذا الخطأ الفاحش [1] واعجب منه ان صاحب المنار نشر هذا الخطأ مع ادعائه التبحر في المعارف [2]

اما الحديث الذي وجدنا فيما سبق ببيان معناه وهو المروي عن امير المؤمنين (ع) قال بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور . فليس فيه بيان الموضع المبعوث اليه ولا بيان تلك القبور التي بعثه في هدمها. لكن متن الحديث يرشدنا الى ان الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ او من بلادهم وان القبور قبورهم وان الصور المجعولة على القبور او حولها إن لم تكن هي الاصنام التي يعبدونها فهي التماثيل التي يعملونها مثالا لعظمائهم

«١» ملخص هذا ان مكاتب المنار مخطيء لانه موافق لعلماء الحديث ومتبع للسلف الصالح «رض» ومنهم أئمة آل البيت (ع) ولكنه مخالف له وللخلف من الشيعة ! ! فهكذا تكون الحجج وهكذا يكون العلم

٢) أين ادعى هذه الدعوى صاحب المنار ؟ وهل ينافي التبحر في المعارف نشر رسالة لسائح فيها شيء من الخطأ؟ ولم توجد في الدنيا مجلة ولا جريدة تشترط في كل ماينشر فيها لغير صاحبها أن يكون صوابا في نفسه ولا في رأي صاحبها ، دع اشتراط موافقة آراء المخالفين لها اذا فرضنا انهم يعلمونها . ان هذا النوع من تحكم التعصب غريب جداً !؟

ووجدوا فيها او حولها صورهم وتماثيلهم في مصر في سورية في نينوى في العراق، ومن المعلوم ان في زمن النبي (ص) لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبناآت الضخمة حتى يبعث من يهدمها، ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل كما يشهد به التاريخ(١)

ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الأسدي عنه (ع) قال ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته.

ولا شك ان الممتثل من صنع المشركين اما تسوية القبر فهو تعديله وتسطيحه يعني اذا وجدت قبرا مشرفا مسنما فسوه الى عدله وسطحه ففي صحيح مسلم حديث ابي علي الهمداني قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي وقال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها قال النواوي في شرحه قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الاخرى ولا قبرا مشرفا إلا سويته فيه ان السنة ان القبر لا يرفع على الارض رفعا كثيرا ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح انتهى محل الحاجة منه واشار اليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في المجلد الاول من كتابه منهاج السنة في صفحة ٥٤٦ مستدلا به للشافعي فانه بعد ان ذكر ان مذهب ابي حنيفة واحمد ان تسنيم القبور أفضل قال والشافعي يستحب التسطيح لما روي من الامر بتسوية القبور ورأى ان التسوية هي التسطيح انتهى والحق مع الشافعي في ذلك وليس هو رأيا رآه كما زعمه الشيخ بل التسوية في اللغة هي التعديل ففي المصباح المنير سويته عدلته

(١) الحمد لله هذا حجة عليه وعلى شيعته

وملوكهم ويشهد بذلك ما نقرؤه في كثير من الصحف والمجلات عما يستخرجه علماء الآثار من الاحافير التي عثروا فيها على كثير من قبور الملوك القدماء وفي مختار الصحاح سويت الشيء تسوية فاستوى ثم قال بعد ذلك واستوى الشيء اعتدل وحينئذ فتسوية القبور عبارة عن تعديلها ولا معنى لتعديلها إلا تسطيحها وهو الذي فهمه الشافعي من لفظ الحديث، وتعقبه النواوي في كلامه المتقدم، ونطقت به اللغة وليس معنى تسوية الشيء قلعه وهدمه قال الله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي * خلق فسوى * رفع سمكها فسواها * فسواهن سبع سموات) ومعناه كثير من كلام الفصحاء[1] فبأي وجه يزعم من ليس له قدم راسخة في العلم انه (ص) امر بهدم القباب والبناآت التي تكون حول قبور الانبياء والأئمة والشهداء والصالحين ومع ان هذه لم تكن مشيدة في زمانه حتى يامر بهدمها هل تقاس بقبور المشركين وبالتماثيل والصور؟ حاشا وكلا فان هذا من اقبح القياسات واشنعها مضافا الى ان ما عرض به مكاتب المنار من القباب والبناآت المعتمدة على اساسات لا دخل لها بالقبور اصلا كما يشاهده العيان كانت مشيدة

١» المتبادر من تسوية القبور هو جعلها مساوية ومعادلة لسطح الارض، ومنه قوله تعالى (لو تسوى بهم الارض) وقد تجاهل المعترض هذا المعنى وهو المراد وجاء بالشواهد على تسوية الخلق. وتشريفها رفع بنائها فقوله (ص) « ولا قبراً مشرفاً الا سويته» ولا قبراً مرتفع البناء إلا هدمته وسويته بالارض .وقد رووه عن الصادق بلفظ الهدم وهو مع ذلك ينكر ان يكون معناه الهدم فأين اتباعه للامام الصادق ؟ وقد نقل النووي عن الام للامام الشافعي ان الائمة بمكة كانوا يأمرون بهدم مارفع من القبور وكان العلماء يقرونهم على ذلك عملا بهذا الحديث ، ولم ينقل المعترض هذا عن النووي مع علمه به لانه لا ينقل الا ماوافق هواه وان عاب ذلك على مكاتب المنار وأما تسوية الخلق فلها معنى آخر ظاهر

منذ عدة قرون بمرأى من المسلمين ومسمع لم ينكره احد منهم حتى الذين رووا حديث ابي الهياج الاسدي لعلمهم بان هذا ونحوه انما ورد في المعنى الذي ذكرناه(١) ولكن جاء بعدهم قوم لم يتدبروا معاني الاحاديث ولم يتفطنوا لما عليه اسلافهم فشددوا النكير على تشييد القباب والبنا آت حول القبور زعما منهم انهم فهموا من الاحاديث مالم يفهمه الاولون الراسخون في العلم وأنهم وصلوا الى مالم يصل إليه أئمة المسلمين وهيهات ذلك مع ان هؤلاء ليس لهم ان يجتهدوا لو كانت لهم اهلية الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام بعد تقرر اجماع اهل السنة على وجوب التقليد والأخذ بقول أحد المذاهب الأربعة (٢)

ثم وصلت النوبة الى مكاتب المنار فلفق اقاويل طعن بها على الشيعة بزعمه ونشرها المنار مستحسنا لها وقد فات المنار ومكاتبه ان يطعنا بمثلها على أهل السنة حيث شيدوا كالشيعة بنا آت القبور وقبابها منذ اكثر من تسعمائة سنة(٣) ومن المعلوم بالوجدان أن القبور التي شيدها أهل السنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ومصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار هي اكثر مما شيده الشيعة سيما ان أول من شيد قبر امير

---

(١) هذا زعم باطل كأمثاله من مزاعمه فقد أنكر علماء السنة ذلك في كل عصر لعلمهم أن النبي (ص) لم يأمر بهدم القبور المعظمة عند من قبلنا وبطمس تماثيلهم إلا سداً لذريعة الاقتداء بهم كما صرحت به عائشة في حديث لعن اهل الكتاب الذين فعلوا ذلك قالت «يحذر ماصنعوا» (٢) في هذا القول عدة أباطيل سيأتي بيانها في الرد عليه (٣) هذا كسابقه من مزاعمه كما ذكرنا في المقدمة لهذه المناظرة والتاريخ الذي ذكره حجة على انها مبتدعة بعد القرون الثلاثة ومبطل لزعمه انها كانت في زمن السلف الصالح والائمة

المؤمنين (ع) هو هرون الرشيد العباسي خليفة المسلمين في عصره وتابعه على ذلك سائر الخلفاء حتى عبد الحميد خان التركي فانهم لم يزالوا يجددون عمارته كلما مست الحاجة الي تجديدها

فيا ليت شعري أن المنار ومكاتبه كيف نظرا بعين السخط الى ما شيده الشيعة وأغمضا عيناً عما شيده أهل السنة او نظرا اليه بعين الرضاء؟[1] ثم نقول يحق للشيعة بل ولكل مسلم ان يعدوا تشييد تلك القبور الشريفة من اعظم القربات . وايم الله ان مكاتب المنار صدق بهذه النسبة اليهم، وهي بكونها فضيلة احرى من كونها رذيلة، وهو اراد أن يذم فمدح، وان يشنع فبجن ، وذلك ان الجهات القاضية برجحان زيارة قبر النبي (ص) وقبور أهل بيته الذين وجبت مودتهم على كل مسلم بآية القربى تستدعي اجتماع المؤمنين من سائر الاقطار في مشاهد قبورهم والكون فيها للصلاة وسائر العبادات ، وذلك موجب لاعداد محال واسعة حول القبور تكون مجمعا للزائرين وهي تفتقر الى بناآت فخمة واقية لنفس القبور والفرش التي حولها وللقناديل المسرجة ليلا لقراءة القرآن والادعية في المصاحف والصحف، وحافظة لمن يزور تلك القبور من الحر والبرد والمطر وعواصف الرياح وتغيرات الجو ونحو ذلك ليتمكن الزائر أن يقوم بانواع العبادات لله تعالي فان بيت النبي (ص) وبيوت أهل بيته (ص) من اعاظم البيوت التي امر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما روى السيوطي ما دل عليه في تفسير هذه الآية الكريمة ، وان تلك البيوت مما يجب احترامها

---

١ قد علم مما تقدم بطلان هذه الدعوى وما كان صاحب المنار متعصباً لمذهب ولا لفرقة ولا طائفة على أخرى فيفعل ذلك وانما يتبع قوة الدليل وليس منه عمل هارون ولا عبد الحميد

وتعظيمها في حال حياتهم فكذا قبورهم وان تعظيم بيوتهم في حال حياتهم انما هو لوجودهم فيها فكذا قبورهم ، ولانهم احياء عند ربهم يرزقون

ومن هذا يظهر رجحان احترام قبور الشهداء والصديقين والعلماء والصالحين خصوصا بعد ان ورد في الحديث « ان حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا»

ثم لنفرض انه لادليل على رجحان تلك البنا آت شرعا لكنها مباحة فان الشيخ تقي الدين بن تيمية في المجلد الاول من كتابه منهاج السنة في صفحة ١٢٥ نقل عن الحنفية وعن كثير من الشافعية والحنبلية اباحة مالم يرد فيه نص شرعي ، فاذا كان ذلك مباحا عند هؤلاء العلماء من أهل السنة ولا محذور ولا ضرر في وجوده فلماذا ينتقده مكاتب المنار ؟ واذا كانت تلك البنا آت مباحة في انفسها فلماذا لا تكون راجحة بلحاظ ما يترتب عليها من الغايات الشريفة والاعمال الجليلة التي ذكرناها من سائر العبادات لله جل شأنه . وكيف لا يعد الشيعة تشييدها من أفضل القربات ؟ وهل مسلم ينكر فضل تلك الغايات المقصودة من تلك البنا آت التي يضطر اليها الزائرون والمتعبدون ؟

ولاجل أن الشيعة استندوا الي ما ذكرناه ونحوه سوى أحاديثهم المستفيضة جدا في رجحان ذلك بذلوا أموالهم وأنفقوها في هذا السبيل سبيل العبادة لله تعالى فقد أعد الله للمحسنين أجرا عظيما ، اذن فلا ينبغي من المنار ومكاتبه — إن كان له مكاتب (١) أن يوجها لومهما على الشيعة

---

١ » هذه الجملة صريحة في التشكيك في عزو المنار تلك المقالة الى مكاتب ، وصاحب المنار أجل بفضل الله عليه من أن يكذب حقيقة أو تقية ان كان ثم حاجة الى الكذب فكيف ولا حاجة اليه البتة ، وان كثيرا مما في تلك الرسالة لم يكن يعلمه صاحب المنار قبلها

منذ قرون عديدة فان زعما أنهم استندوا إلى ما ذكرناه ونحوه فالحمد لله على الوفاق، وحينئذ لا وجه لتعجبهما من علماء الشيعة، وان زعما أنهم احترموها ولكن ليسئلا أنفسهما عن استناد أهل السنة في احترام القبور وتشييدها بغير مستند شرعي فقد ضلا سفيهما وحشا السلف من ذلك، وان زعما أنهم لم يحترموها فما وجه بنائها وتشييدها وتجديد عمارتها طول هذه المدة، وكيف تعجبا من الشيعة ولم يتعجبا من أهل السنة وما هذا التحامل الذي لا يرتضيه كرم الاخلاق ولا أخوة دين الاسلام، فما بال الرجل ينظر إلى الشعرة ولا شعرة ولا أقل في عين أخيه المؤمن ولا يرى الجذع المعترض في عينه ؟ قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وفي الحديث «إن المؤمن يحب لاخيه مايحبه لنفسه وإن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وبالختام نرجو أن تمعنوا النظر بالتأمل في ذلك واليكم الحكم بين الشيعة وبين المنار ومكاتبه فأي الفريقين أهدى سبيلا ؟ وأيهما أحق بالنصيحة ؟ وأيهما أولى بالمعذرة ؟ كما أنا نرجوا أن لا تنقطع سلسلة مذاكراتكم معنا في الوقوف على الحقائق واستطلاع آراء الطرفين

واقبلوا احترامنا لكم والحمد لله أولا واخراً

حرره سيد مهدي الكاظمي القزويني في ٢٢ شعبان سنة ١٣٤٥

(المنار) انما تعجلنا بتعليق بعض الحواشي الوجيزة على هذه الرسالة قبل نشر الرد عليها من عالم السنة لئلا يقرأها في المنار أحد من غير المشركين فيعلق بذهنه بعض مغالطاتها ثم لا يتفق له قراءة الرد عليها . وقد علم منها أن أئمة آل البيت كسائر فقهاء السلف الصالح لا يبيحون هذه البدع التي لعن النبي (ص) فاعليها وانما يتبع خلف الشيعة هذه الاراء الواهية التي ذكرها عالمهم هذا من كون مكان الرجل الصالح أفضل من غيره فتكون العبارة عنده أفضل !! وهو رأي يصادم نص الرسول (ص)

قرار النيابة العامة

في قضية الدكتور طه حسين

وصلت الينا نسخة من هذا القرار فاذا هو يؤيد ما كتبه الكاتبون من علماء الشرع ومن علماء القوانين ومن سائر طبقات العارفين من اثبات جهل طه حسين فيما كتبه وطعنه في الدين الاسلامي وتكذيبه للقرآن وتقليده في ذلك لبعض دعاة النصرانية ، واننا ننقل منه ماسبقتنا الى تلخيصه جريدة الاخبار الغراء للثقة بها قالت:

أصدر حضرة صاحب العزة محمد بك نور رئيس نيابة مصر قراراً مسبباً عن البلاغات التي قدمت ضد الدكتور طه حسين لتأليفه كتابا أسماه الشعر الجاهلي

ويقع هذا القرار في ست عشرة صفحة من القطع الكبير وقد تناول في مقدمته الاشارة الى أسماء الاشخاص المبلغين وهم الشيخ خليل حسنين الطالب بالقسم العالى بالازهر وفضيلة شيخ الجامع الازهر وحضرة عبدالحميد افندي البنان عضو مجلس النواب

ثم أتى القرار على التهمة التي وجهها المبلغون الى الدكتور وهي أنه طعن في الدين الاسلامي في مواضع أربعة من كتابه

(الاول) أن المؤلف أهان الدين الاسلامي بتكذيب القرآن في أخباره عن ابراهيم واسماعيل

(الثاني) ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها

(الثالث) ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه على النبي ﷺ طعنا فاحشا من حيث نسبه

(الرابعة) أنكر المؤلف أن للاسلام أولية في بلاد العرب وانه دين ابراهيم

عن الامر الاول

تناول القرار الكلام عن الامر الاول باستفاضة واسعة وذكر أقوال الدكتور طه في الشعر الجاهلي ولغة العرب وعاب طريقة المؤلف في الاستدلال والاستنتاج ثم انتقل الى تعرضه لابراهيم واسماعيل فقال :

ان الذي نريد أن نشير اليه انما هو الخطأ الذي اعتاد أن يرتكبه المؤلف في في ابحاثه حيث يبدأ بافتراض يتخيله ، ثم ينتهي بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة كما فعل في أمر الاختلافات بين لغة حمير وبين لغة عدنان ، ثم في مسألة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما الى مكة وبناء الكعبة إذ بدأ فيها باظهار الشك ثم انتهى باليقين [1] بدأ بقوله « للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها » الى هنا أظهر الشك لعدم قيام الدليل التاريخي في نظره كما تتطلبه الطرق الحديثة ، ثم انتهى بأن قرر في كثير من الصراحة قوله « أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني » الخ فما هو الدليل الذي انتقل به من الشك الى اليقين

هل دليله هو قوله « نحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى . وإن أقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبثون فيه المستعمرات » الخ وان ظهور الاسلام وما كان من الخصومة العتيقة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة بين الدين الجديد وبين ديانتي النصارى واليهود ، وانه مع ثبوت الصلة الدينية يحسن أن تؤيدها صلة مادية الخ .

إذا كان الاستاذ المؤلف يرى أن ظهور الاسلام قد اقتضى أن تثبت الصلة بينه وبين ديانة اليهود والنصارى ، وأن القرابة المادية الملفقة بين العرب واليهود لازمة لاثبات الصلة بين الاسلام وبين اليهودية فاستغلها لهذا الغرض فهل له أن يبين السبب في عدم اهتمامه أيضا بمثل هذه الحيلة لتوثيق الصلة بين الاسلام وبين النصرانية — وهل عدم اهتمامه هذا معناه عجزه أو استهانته بأمر النصرانية ؟ وهل

[1] أي بالجزم

من يريد توثيق الصلة مع اليهود بأي ثمن حتى باستغلال التلفيق هو الذى يقول عنهم في القرآن (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)

ان الاستاذ ليعجز حقا عن تقديم هذا البيان اذ أن كل ما ذكره في هذه المسألة انما هو خيال في خيال ، وكل ما استند عليه من الأدلة هو : (١) فليس يبعد أن يكون (٢) فما الذي يمنع (٣) ونحن نعتقد (٤) واذن فليس يمنع قريشا من أن تقبل هذه الاسطورة (٥) واذن فنستطيع أن نقول : —

فالاستاذ المؤلف في بحثه اذا رأى انكار شيء يقول لادليل عليه من الادلة التي تطلبها الطرق الحديثة للبحث حسب الخطة التي رسمها في منهج البحث، واذا رأى تقرير أمر لايدلل عليه بغير الادلة التي أحصيناها له وكفى بقوله حجة !

سئل الاستاذ في التحقيق عن أصل هذه المسألة (أي تلفيق القصة) وهل هي من استنتاجه أو نقلها فقال : هذا فرض فرضته أنا دون أن أطلع عليه في كتاب آخر ، وقد أخبرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئا مثل هذا الفرض يوجد في بعض كتب المبشرين ولكن لم أفكر فيه حتى بعد ظهور كتابي . على أنه سواء كان هذا الفرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذي يستتر تحت اسم هاشم العربي فانه كلام لايستند الى دليل ولا قيمة له . على أننا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان في عبارته أظرف من مؤلف كتاب الشعر الجاهلي لانه لم يتعرض للشك في وجود ابراهيم واسماعيل بالذات ، وانما أكتفى بأن أنكر أن اسماعيل أبو العرب وقال: إن حقيقة الامر في قصة اسماعيل أنها دسيسة لفقها قدماء اليهود للعرب تزلفا اليهم الخ

كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشر قد يكون له عذره في سلوك هذا السبيل لان وظيفة التبشير لدينه غرضه الذي يتكلم فيه ؛ ولكن ماعذر الاستاذ المؤلف في طرق هذا الباب وماهي الضرورة التي ألجأته الى أن يرى في هذه القصة نزعا من الحيلة الخ .

وان كان المتسامح يرى له بعض العذر في التشكك الذي أظهره أولا اعتمادا على عدم وجود الدليل التاريخي كما يقول فما الذي دعاه الى أن يقول في النهاية

بعبارة تفيد الجزم: «أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني الخ» مع اعترافه في التحقيق بأن المسألة فرض افترضه

يقول الاستاذ: «انه ان صح افتراضه فان القصة كانت شائعة بين العرب قبل الاسلام فلما جاء الاسلام استغلها وليس مايمنع أن يتخذها الله في القرآن وسيلة لاقامة الحجة على خصوم المسلمين كما اتخذ غيرها من القصص التي كانت معروفة وسيلة الى الاحتجاج أو الى الهداية» وهاشم العربي يقول في مثل هذا: ولماظهر محمد رأى المصلحة في اقرارها فأقرها وقال للعرب انه انما يدعو الى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه. فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر (!!)

ان الاستاذ المؤلف أخطأ فيما كتب وأخطأ أيضا في تفسير ما كتب وهو في هذه النقطة قد تعرض بغير شك لنصوص القرآن ولتفسير نصوص القرآن وليس في وسعه الهرب بادعائه البحث العلمي منفصلا عن الدين فليفسر لنا اذن قوله تعالى في سورة النساء (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان)

وقوله في سورة مريم (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا * واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وفي سورة آل عمران (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي ورد فيها ذكر ابراهيم واسماعيل لاعلى سبيل الامثال كما يدعي حضرته. وهل عقل الاستاذ يسلم بأن الله سبحانه وتعالى يذكر في كتابه أن ابراهيم وأن اسماعيل رسول نبي مع أن القصة ملفقة؟ وماذا يقول حضرته في موسى وعيسى وقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في الآية الاخيرة مع ابراهيم واسماعيل وقال في حقهم جميعا (لانفرق بين أحد منهم)؟

الحق أن المؤلف في هذه المسألة يتخبط تخبط الطائش، ويكاد يعترف بخطئه

لان جوابه يشعر بهذا عند ماسأله في التحقيق عن السبب الذي دعاه أخيراً لان يقرر بطريقة تفيد الجزم بأن القصة حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام فقال ص ٣٨ من محضر التحقيق : هذه العبارة إذا كانت تفيد الجزم فهي انما تفيده ان صح الفرض الذي قامت عليه وربما كان فيها شيء من الغلو ولكنني أعتقد أن العلماء جميعاً عند مايفترضون فروضاً علمية يبيحون لأنفسهم مثل هذا النحو من التعبير فالواقع أنهم مقتنعون فيما بينهم وبين أنفسهم بأن فروضهم راجحة

والذي نراه نحن ان موقف الاستاذ المؤلف هذا لا يختلف عن مواقف الاستاذ هوار حين يتكلم عن شعر أمية بن أبي الصلت وقد وصف المؤلف نفسه هذا المؤلف في ص ٨٢ و ٨٣ من كتابه بقوله

« مع اني من أشد الناس اعجابا بالاستاذ هوار وبطائفة من أصحابه المستشرقين وبما ينتهون اليه في كثير من الاحيان من النتائج العلمية القيمة في تاريخ الادب العربي وبالمناهج التي يتخذونها للبحث فاني لا أستطيع أن أقرأ مثل هذا الفصل دون أن أعجب كيف يتورط العلماء أحيانا في مواقف لاصلة بينها وبين العلم »

حقا ان الاستاذ المؤلف قد تورط في هذا الموقف الذي لاصلة بينه وبين العلم لغير ضرورة يقتضيها بحثه ولا فائدة يرجوها، لان النتيجة التي وصل اليها من بحثه وهي قوله « ان الصلة بين اللغة العدنانية وبين اللغة القحطانية كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة، وان قصة العاربة والمستعربة وتعلم اسماعيل العربية من جرهم كل ذلك حديث أساطير لاخطر له ولا غناء فيه » ما كانت تستدعي التشكك في صحة أخبار القرآن عن ابراهيم واسماعيل وبنائهما الكعبة ثم الحكم بعدم صحة القصة وباستغلال الاسلام لها لسبب ديني. ونحن لا نفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض والشك والانكار (ص ٢٢ عن محضر التحقيق) واننا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس، ونعصمها من انكار المنكرين وطعن الطاعنين (ص ٢٤ من محضر التحقيق) ولا ندري لم يفعل غير مايقول في هذا

الموضوع ؟ لقد سئل في التحقيق عن هذا فقال : ان الداعي اني أناقش طائفة من العلماء والادباء والقدماء والمحدثين وكلهم يقررون أن العرب المستعربة قد أخذوا لغتهم عن العرب العاربة بواسطة أبيهم أسماعيل بعد أن هاجر، وهم جميعا يستدلون على آرائهم بنصوص من القرآن ومن الحديث فليس لي بد من أن أقول لهم ان هذه النصوص لا تلزمني من الوجهة العلمية

أما الثابت في نصوص القرآن فقصة الهجرة وقصة بناء الكعبة وليس في القرآن نصوص يستدل بها على تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ولا على أن اسماعيل أبو العرب العدنانيين ولا على تعلم اسماعيل العربية من جرهم . ونص الآية التي تثبت الهجرة (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) لا يفيد غير إسكان ذرية ابراهيم في وادي مكة أي ان إسماعيل هو جر به صغيراً (كنص الحديث) إلى هذا الوادي فنشأ فيه بين أهله وهم من العرب وتعلم هو وأبناؤه لغة من نشأوا بينهم وهي العربية لان اللغة لا تولد مع الانسان وإنما تكتسب اكتسابا ، وقد اندمجوا في العرب فصاروا منهم ، وهذا الاندماج لا يترتب عليه أن يكون جميع العرب العدنانيين من ذريته إذ الحكم بهذا يقتضي أن لا يكون مع اسماعيل أحد منهم حتى لا يوجد غير ذريته وهو مالم يقل به أحد ـ

ويا ليت الاستاذ المؤلف حذا حذو ذلك المبشر هاشم العربي في هذه المسألة حيث قال « ولا اسماعيل نفسه يأب للعرب المستعربة ولا تملك أحد من بنيه على أمة من الامم وإنما قصارى أمرهم أنهم دخلوا وهم عدد قليل في قبائل العرب العديدة المجاورة لمنازلهم فاختلطوا بها وما كانوا إلا كحصاة في فلاة » (تراجع صحيفة ٣٥٦ من كتاب مقالة في الاسلام) ـ ولو أن المؤلف نقل هذا لنجا من التورط في هذا الموضوع . وأما مسألة بناء الكعبة فلم نفهم الحكمة في نفيها واعتبارها أسطورة من الاساطير اللهم إلا إذا كان مراده إزالة كل أثر لابراهيم واسماعيل ولكن ما مصلحة المؤلف في هذا ؟ الله أعلم بمراده [1]

«١» المنار : الذي فهمه الناس من كلامه ان مراده الطعن في الاسلام وصد الناس عنه

عن الامر الثاني

تناول القرار الامر الثاني الخاص بالقرآت وبعد تحليله قال « ونحن نرى ان ماذكره المؤلف في هذه المسألة هو بحث علمي لا تعارض بينه وبين الدين ولا اعتراض لنا عليه »

عن الامر الثالث

تناول القرار مسألة نسب النبي ﷺ وبعد أن حللها قال « ونحن لانرى اعتراضاً على بحثه على هذا النحو من حيث هو وإنما كل مانلاحظه عليه أنه تكلم فيما يختص بأسرة النبي ﷺ ونسبه في قريش بعبارة خالية من كل احترام بل بشكل تهكمي غير لائق ولا يوجد في بحثه مايدعوه لايراد العبارة على هذا النحو »

الامر الرابع

تناول القرار الامر الرابع وبعد تحليله قال « ونحن لانرى اعتراضا على أن يكون مراده بما كتب في هذه المسألة هوماذكره ولكننا نرى أنه كان سيء التعبير جداً في بعض عباراته كقوله : ولم يكن أحد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها . لقد أخذ المسلمون يردون دين الاسلام في خلاصته إلى دين ابراهيم هذا الذي هو أقدم وأنقى من دين اليهود والنصارى . وكقوله : وشاعت في العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة ان الاسلام يجدد دين ابراهيم ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين ابراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ... لان في إيراد عبارته على هذا النحو مايشعر بأنه يقصد شيئا آخر بجانب هذا المراد خصوصا اذا قربنا بين هذه العبارات ، وبين ماسبق له أن ذكره بشأن تشككه في وجود ابراهيم وما يتعلق به »

عن القانون

نصت المادة (١٢) من الامر الملكي رقم (٤٢) لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستوري للدولة المصرية على أن حرية الاعتقاد مطلقة

ونصت المادة (١٤) منه على أن حرية الرأي مكفولة ولكل انسان الاعراب عن فكره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو بغير ذلك في حدود القانون

ونصت المادة ٤٩ منه على أن الاسلام دين الدولة فلكل إنسان إذاً حرية الاعتقاد بغير قيد ولا شرط وحرية الرأي في حدود القانون فله أن يعرب عن اعتقاده وفكره بالقول أو الكتابة بشرط أن لا يتجاوز حدود القانون

وقد نصت المادة ١٣٩ من قانون العقوبات الاهلي على عقاب كل تعد يقع باحدى طرق العلانية المنصوص في المادتين ١٤٨، ١٥٠ على أحد الاديان التي تؤدى شعائرها علنا . وجريمة التعدي على الاديان المعاقب عليها بمقتضى المادة المذكورة تتكون بتوفر أربعة أركان

١ — التعدي

٢ — وقوع التعدي بأحد الطرق العلنية المبينة في المادتين ١٤٨، ١٥٠ عقوبات

٣ — وقوع التعدي على أحد الاديان التي تؤدى شعائرها علنا

٤ — القصد الجنائي

عن الركن الاول

لم يذكر القانون بشأن هذا الركن في المادة إلا لفظ (تعد) وهذا لفظ عام يمكن فهم المراد منه بالرجوع الى نص المادة باللغة الفرنسية وقد عبر القانون فيه عن التعدي outrage والقانون قد استعمل لفظ outrage هذا في المواد ١٥٥ و١٥٩ و١٦٠ عقوبات أيضا ولما ذكر معناها في النص العربي للمواد المذكورة عبر في المادة (١٥٥) بقوله (كل من انتهك حرمة) وفي المادتين ١٥٩، ١٦٠ باهانة فيتضح من هذا — أن مراده بالتعدي في المادة ١٣٩ هو كل مساس بكرامة الدين أو انتهاك حرمته أو الحط من قدره أو الازدراء به لان الاهانة تشمل كل هذه المعاني بلا شك

وحيث إنه بالرجوع الى الوقائع التي ذكرها الدكتور طه حسين والتي تكلمنا عنها تفصيلا وتطبيقها على القانون يتضح أن كلامه الذي بحثناه تحت عنوان (الامر الاول) فيه تعد على الدين الاسلامي لانه انتهك حرمة هذا الدين بأن نسب

الى الاسلام أنه استغل قصة ملفقة هي قصة هجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة وبناء ابراهيم واسماعيل للكعبة . واعتبار هـذه القصة أسطورة وأنها من تلفيق اليهود ، وأنها حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام الى آخر ما ذكرناه تفصيلا عند الـكلام على الوقائع وهو بكلامه هذا يرمي الدين الاسلامي بأنه مضلل في أمور هي عقائد ثابتة، وواردة في القرآن باعتبار أنها حقائق لا مرية فيها كما أن كلامه الذي بحثناه تحت عنوان (الامر الرابع) قد أورده على صورة تشعر بأنه يريد به إتمام فكرته بشأن ماذكر — أما كلامه بشأن نسب النبي ﷺ فهو إن لم يكن فيه طعن ظاهر إلا أنه أورده بعبارة تهكمية تشف عن الحط من قدره — وأما ما ذكره بشأن القرآن مما تـكلمنا عنه في الامر الثانى فانه بحث بريء من الوجهة العلمية والدينية أيضا ولا شيء فيه يستوجب المؤاخذة لامن الوجهة الادبية ولا من الوجه القانونية

عن الركن الثاني

لاكلام في هذا الركن لان الطعن السابق بيانه قد وقع بطريق العلانية إذ أنه أورد في كتاب الشعر الجاهلي الذي طبع ونشر وبيع في المحلات العمومية والمؤلف معترف بهذا .

عن الركن الثالث

لانزاع في هذا الركن أيضا لان التعدي وقع على الدين الاسلامي الذي تؤدى شعائره علنا وهو الدين الرسمي للدولة

عن الركن الرابع

هذا الركن هو الركن الادبي الذي يجب ان يتوفر في كل جريمة فيجب إذاً لمعاقبة المؤلف أن يقدم الدليل على توفر القصد الجنائي لديه ، وبعبارة أوضح يجب أن يثبت أنه إنما أراد بما كتب أن يتعدى على الدين الاسلامي فاذا لم يثبت هذا الركن فلا عقاب .

أنكر المؤلف في التحقيقات أنه يريد الطعن على الدين الاسلامي ، وقال إنه ذكر ماذكر في سبيل البحث العلمي وخدمة العلم لاغير ـ غير مقيد بشيء ، وقد أشار في كتابه تفصيلا الى الطريق الذي رسمه للبحث ، ولا بد لنا هنا أن نشير الى ما قرره المؤلف في التحقيق من أنه كمسلم لايرتاب في وجود ابراهيم واسماعيل وما يتصل بهما مما جاء في القرآن ولكنه كعالم مضطر الى أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بالوجود العلمي التاريخي لابراهيم واسماعيل فهو يجرد من نفسه شخصيتين وقد وجدنا المؤلف قد شرح نظريته هـذه شرحا مستفيضا في مقال نشره بجريدة السياسة الاسبوعية بالعدد نمرة ١٩ الصادر في ١٧ يوليه سنة ١٩٢٦ ص ٥ تحت عنوان (العلم والدين) وقد ذكر فيه بالنص « فكل امرىء منا يستطيع ان فكر قليلا أن يجد في نفسه شخصيتين ممتازين إحداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل وتغير اليوم ماذهبت اليه أمس ، وتهدم اليوم ما بنته أمس . والاخرى شاعرة تلذ وتألم وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وترغب وترهب في غير نقد ولا بحث ولاتحليل وكلتا الشخصيتين متصلة بمزاجنا وتكويننا لا نستطيع أن نخلص من إحداهما فما الذي يمنع أن تكون الشخصية الاولى عالمة باحثة ناقدة، وان تكون الشخصية الثانية مؤمنة مطمئنة طامحة الى المثل الاعلى

ولسنا نعترض على هذه النظرية باكثر مما اعترض به هو على نفسه في مقاله حيث ذكر بعد ذلك: «ستقول وكيف يمكن أن تجمع المتناقضين؟ ولست أحاول جوابا لهذا السؤال وإنما أحولك على نفسك الخ ولا شك في أن عدم محاولة الاجابة على هذا الاعتراض انما هو عجزه عن الجواب، والمفهوم انه قد أورد هذا الاعتراض لانه يتوقعه حتى لا يوجه اليه

الحقيقة انه لايمكن الجمع بين النقيضين في شخص واحد وفي وقت واحد بل لا بد من أن تتخلى احدى الحالتين للاخرى وقد أشار المؤلف نفسه الى هذا في نفس المقال في سياق كلامه على الخلاف بين العلم والدين حيث قال بشأنهما : « ليسا متفقين ولا سبيل الى أن يتفقا الا أن ينزل أحدهما لصاحبه عن شخصيته كلها »

أما توزيع الاختصاص الذي أجراه الدكتور بجعله العلم من اختصاص القوة العاقلة والدين من اختصاص القوة الشاعرة فلسنا ندركه ، والذي نفهمه أن العقل هو الاساس في العلم وفي الدين معا ، واذا ما وجدنا العلم والدين يتنازعان فسبب ذلك أنه ليس لدنيا القدر الكافي من كل منهما — اننا نقرر هذا بناء على ما نعرفه في أنفسنا أما الدكتور فقد تكون لديه القدرة على مايقول وليس ذلك على الله بعسير

نحن في موضع البحث عن حقيقة نية المؤلف فسواء لدينا صحت نظرية تجريد الشخصيتين عالمة ومتدينة أو لم تصح فاننا على الفرضين نرى أنه كتب ما كتب من اعتقاد تام ولما قرأنا ما كتبه بامعان وجدناه منساقا في كتابته بعامل قوي متسلط على نفسه ، وقد بينا حين بحثنا الوقائع كيف قاده بحثه الى ما كتب وهو وان كان قد أخطأ فيما كتب الا أن الخطأ المصحوب باعتقاد الصواب شيء وتعمد الخطأ المصحوب بنية التعدي شيء آخر

وحيث انه مع ملاحظة ان أغلب ما كتبه المؤلف مما يمس موضوع الشكوى وهو ما قصرنا بحثنا عليه انما هو تخيلات وافتراضات واستنتاجات لا تستند الى دليل علمي صحيح فانه كان يجب عليه أن يكون حريصا في جرأته على ما أقدم عليه مما يمس الدين الاسلامي الذي هو دينه ودين الدولة التي هو من رجالها المسئولين عن نوع من العمل فيها وأن يلاحظ مركزه الخاص في الوسط الذي يعمل فيه — صحيح إنه كتب ما كتب عن اعتقاد بان بحثه العلمي يقتضيه ولكنه مع هذا كان مقدراً لمركزه تماما وهذا الشعور ظاهر من عبارات كثيرة في كتابه منها قوله : وأكاد أثق بان فريقا منهم سيلقونه ساخطين عليه ، وبأن فريقا آخر سيزورُّون عنه ازواراً ، ولكني على سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث

ان المؤلف فضلا لا ينكر في سلوكه طريقا جديدا للبحث حذا فيه حذو العلماء من العربيين ولكنه لشدة تأثر نفسه مما أخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل حقا ما ليس بحق ، أو ما لا يزيل في حاجة الى اثبات أنه حق — انه قد سلك طريقا مظلمة فكان يجب عليه أن يسير على مهل وان يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه أقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة .

وحيث إنه مما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين بل ان العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه انما قد أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها

« وحيث إنه من ذلك يكون قصد الجنائي غير متوفر

« فلذلك » تحفظ الاوراق اداريا رئيس نيابة مصر

القاهرة في ٣ مارس سنة ١٩٢٧

(المنار) قد أثبت رئيس النيابة أن الدكتور طه حسين طعن في الدين الاسلامي وكذب القرآن بما سبقه اليه بعض دعاة النصرانية فكان هذا في طعنه أقرب منه إلى الادب — وأثبت أن مطاعنه التي شكا منها المسلمون وطلب بعض رجال الدين ورجال النيابة البرلمانية محاكمته عليها لم تستند إلى دليل علمي صحيح وإنما هي تخيلات وافتراضات باطلة وهو قد أثبت بما ذكر ارتداده عن الاسلام ، وانه كان مقدراً نتيجة عمله وسوء تأثيره في المسلمين كما صرح به بغير مبالاة — ثم أن الرئيس مع هذا قدر تأى أن الدكتور طه يعتقد أن ما كتبه حق وأنه يقتضيه البحث العلمي ولم يقصد به مجرد الطعن والتعدي — وانه لهذا لم يجد وجها قانونيا لمحاكمته فأمر بحفظ الاوراق الخاصة بقضيته إداريا

وقد رأينا الناس متعجبين من هذه النتيجة ومخالفين لرئيس النيابة في استنتاجه، على إعجابهم بدقة فهمه وحسن تفنيده لتلك المطاعن. وقد سبق لي أن بينت في المنار مافهمته من غرض الدكتور طه حسين وهو تشكيك طلبة الجامعة المصرية وسائر من يقرأ كتابه في الدين الاسلامي بل افساد اعتقادهم وتجرئتهم على الكفر ، لانه ليس من الغباوة والبلادة بحيث يعتقد أن تلك « التخيلات والافتراضات » أدلة علمية على حقية طعنه فهو لا يعتقد أن ما كتبه حق إلا من حيث انه لا يؤمن بأن كتاب الله هو الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

ثم أقول إذا كان من يطعن في دين الدولة والامة طعنا صريحا لا يستند الى دليل ولكنه هو يعتقده — يباح له ذلك قانونا ولا يحاكم ولا يعاقب فكيف يعقل

أن يكون الطعن في الدين ممنوعا ومن الضروري أنه لا يطعن فيه إلا من يعتقد بطلانه من ملحد أو متدين بدين آخر؟ ألا إن هذا القرار يجرأ كل كافر بالاسلام على الطعن فيه ، وهل يطعن فيه الا كافر به ؟

هذا وان الدكتور طه قد استقال من التعليم في الجامعة عقب صدور هذا القرار لما فيه من الاهانة له واثبات جهله فبادر مدير الجامعة احمد لطفي بك السيد الى تلافي الامر وحمل وزير المعارف على أن لايقبل استقالته ففعل ، فعلم بهذا من لم يكن يعلم رأي كل من مدير الجامعة ووزير المعارف في الدكتور طه حسين وقد طبع كتابه ثانية بعد حذف ما انكر المسلمون منه وهو باق في الجامعة فمن شاء فليرض ومن شاء فليغضب (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

مايسمى النهضة النسائية بمصر

وعدنا بأن نكتب شيئا في هذا الموضوع فان فساد النساء الذي يسميه دعاة الالحاد والاباحه نهضة تجديد قد تفاقم واستشرى في هذه السنين حتى صار العقلاء من أهل الدين والصيانة يخشون ان يفضي في اقرب وقت الى هدم بناء الاسر والفصائل (العائلات) التي تتألف منها وحدة الشعب المصري وذهاب ما بقي من مقوماته القومية والملية وذهاب الثروة والصحة في اثرها ، وقد كنت اتربص فرصة فراغ ابين فيها هذه الحقائق بعبارة لاتهيج علي زنابير السفهاء حماة هذا التجديد حتى رأيت المقالة الرابعة من سلسلة مقالات تنشرها في جريدة السياسة نفسها امرأة أوربية فاضلة اهتدت الى الاسلام ، فاذا هي قد وصفت المرأة المصرية بعد الاختبار وصفا لم ينكر أحد عليها شيئا منه للطفه واعتداله فرأيت ان أنشره بنصه وهو:

المرأة المصرية

أتيت في مقالي السابق على ما كان للمرأة المسلمة من الشأن وتنقلت بها في جميع الادوار التي مرت بالاسلام منذ بدئه الى هذا العهد . الا أن لي كلمتين أقولهما عن المرأة المصرية في هذا العصر . وأختم كلامي عن المرأة

ولكي أقوم بهذا التحليل الذي أرجو أن يكون من ورائه فائدة لكل أخت

مصرية مسلمة . أرجو أن يقابل كلامي بشيء من روح التسامح . وأن ينظر اليه نظرة ودية اصلاحية ، لا انتقادية عدائية

فلتعذرني اذن القارئة اذا كنت أجرؤ على القول باني لم أجد في المرأة العصرية في مصر ما أستطيع أن أشيد بذكره . أو أتغنى بمحاسنه . فكم كنت أتمنى أن أراها آخذة في دور الرقي الحقيقي والحضارة الصحيحة المؤسسة على روح الدين وحب الفضائل والآداب الاسلامية التي لم أجد فيها ما يحول دون التقدم المنشود والتمشي مع التطور الاجتماعي كما أقمت الدليل على ذلك فيما أسلفت من مقال

وقبل أن أبدأ في شرح وجوه النقص في التربية الاخلاقية الحاضرة ، أرى أن أقسم المرأة في مصر إلى ثلاث طبقات ، أتكلم عن كل طبقة بما استطعت أن أراه وأشهده ، فان رأى القاريء مني خطأ فليتكرم بتصحيحه أو شطط فليعذرني وينبهني

﴿ طبقة العامة ﴾ أستطيع أن أقول بوجه عام ان هذه الطبقة من النساء لم تمتد إلى رءوسهن بعد يد العلم والتهذيب ولا ما عداها من الفنون العادية أو الجميلة . وقليل منهن من تفهم أو تدرك معنى من معاني الرابطة الزوجية أو التربية العائلية يخيم على ربوع تلك الفئة الجهل المطبق بابسط شؤون الحياة . كما انهن بعيدات كل البعد عن معرفة أمور دينهن حتى أكثرها بساطة وسهولة ! ! وتكاد نساء هذه الطبقة لا يفهمن من العيش أكثر من التمتع باللذتين على نحو ما تعيش العجماوات في الغابات !

وما كانت كذلك البدوية الساذجة . فقد كان من بينهن من تقرض الشعر وتستظهر القرآن أو بعضا منه ولو كانت أمية ، وكن على تمام التمسك بالدين وآدابه وتأدية فرائضه

وما هكذا نساء هذه الطبقة في أوربا فجلهن ان لم أقل كلهن يعلمن القراءة والكتابة ومباديء الحساب والتاريخ والجغرافيا وغيرها . حتى لتراهن يزاحمن الرجال في ميادين الخدمة والاعمال الكتابية البسيطة

فاين أختنا المصرية في هذه الطبقة من رفيقتيها العربية والاوربية !

﴿ الطبقة المتوسطة ﴾ أخذ أكثر فتيات هذه الطبقة بقسط من الثقافة والتهذيب

وكثيرات منهن الآن يعرفن القليل من الموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة. وأرى ان هذا القدر من التعليم يكفي لان يجعل من الفتاة زوجة تعرف كيف ترضي بعلها، وأما صالحة لتربية طفلها. وأغلب نساء هذه الطبقة يفهمن آداب المجالس واختيار الاحاديث. وإن كان لا يزال من بينهن من قد يحملك مجلسها على الملل في بعض الاحيان خصوصا إذا كانت من عشاق (المودة) والازياء!

وفتاة هذه الطبقة لا تخلو من العلم بالمبادئ الدينية. وإن كانت الاغلبية قد قد انصرفت عنها وأخذت في التهاون والتفريط!...

إني لاقنع من المرأة الشرقية بهذا النصيب من الثقافة وان تفوقت عليها الغربية في هذا المضمار. وأرى أن المسلمة في القرون الاولى لم تكن تفوق فتاة هذه الطبقة علماً وتهذيباً وان سبقتها إلى الفضيلة والدين

﴿الطبقة الراقية﴾ يجب أن أكون شجاعة الى حد ماحتى أستطيع أن أخاطب صراحة نساء هذه الطبقة.

لا أنكر على الفتاة الراقية في مصر ما أحرزته من العلم والتهذيب. ولا كيف تستطيع أن تنقل أناملها الرقيقة فوق (بلابل) البيانو. وأوتار العود!.. ولا يستطيع بصري أن يأخذ به بريق لآلئها البحرية، التي تخشع أمام در ثناياها اللؤلؤية. ولا يمكنني أن انكر عليها رشاقتها وخفة حركاتها. ولا رطانتها بالفرنسية والطليانية كأنها إحدى بنات روما والسين. ولا أقوى على مباراتها في تموجاتها فوق مراقص (هليوبليس) و(جروبي) على نغمات (التانجو والشالستون)!.

كل ذلك ياسيدتي العظيمة لاقبل لي على إنكاره والمكابرة فيه. فأنت قد أصبحت أوربية. أوربية قلبا وقالبا. عادة ولسانا. رشاقة وفتنة. ولكن اسمحي لي كمسلمة أن أسألك بالله ونبيه محمد: أين الى جانبك هذا كله.. التمسك بالدين وتعاليمه!..

قد انتهيت من التقسيم ولكن بقي لي كلمة اجمالية أقولها بصراحة. وأرجو أن أرى لي بعدها مشجعات لا ناقمات

ها أنا (ذا) قد استعرضت أمامك ياسيدتي المصرية صورتك في طبقاتك الثلاث،

فلم أر الدين ولا لآدابه في أخلاقكن أثراً ، وكانه الكابوس على النفوس . وكأني بكن تتمثلنه شبحا مخيفا مزعجا يريد أن يهوي بكن الى الظلمات . أو يرجع بكن الى عهد البرابرة والوحوش ..

وإلا فأين تلك المراة التي كانت لا تخرج من خدرها الا نادراً ، ولا تزور غيرها الا غبا ، وان برزت في الاسواق فعلى صورة وفي زي يخشع له نظر الفاجر . ويرق له قلب العابد ، ويكبره ويجله شباب الرجال قبل شيبهم ؟ ؟

أين ذلك العصر الذي كانت فيه المساجد عامرة زاخرة بالمصليات الخاشعات في مقاصير أفردت لهن خاصة في بيوت الله ؟

أين تلك المرأة التي كانت إذا جلست من الرجل مجلسا ملأت قلبه خشوعاً وإجلالا ، وألقت عليها بنظراتها الطاهرة البريئة دروساً بالغة في العفة

بيض غرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

دالت دولة تلك المرأة المتعففة الفاضلة ، وأصبحت لاترى في الاسواق إلا كل بارزة النهدين ، مزججة الحاجبين ، مكحولة العينين ، دامية الشفتين ، عارية السواعد والسيقان ، متمايلة في مشيتها ، مداعبة في نظرتها ، متراخية متكاسلة ، حركتها تطمع ، ونظراتها توقع . ثم دعك قليلا من الطريق ، وادخل معي دكانا من الدكاكين « الكبيرة » وانظر هل ترى الا بحراً زاخراً من الاجسام النسائية ، وسواعد ونهودا وصدورا عارية ، وضحكات كانها نغمات الموسيقى أو أحلى ، تستوي في ذلك كله الثلاث الطبقات .

وأسمع أن هناك جمعيات نسائية ، غير أني لم أر مع الاسف أثرا جديا في سبيل نهضة المرأة المصرية والرجوع بها الى حظيرة الفضيلة والدين ، وصونها عن التبذل والخلاعة . وإلا فمن من الرجال لا يشكو اليوم اسراف زوجه وبناته في الملبس والمسكن واقتناء الحشم ، ومن منهم لا يشكو كثرة الخروج والزيارات ، وانفاق الاموال في الملاهي والسياحات ؟ .

وأين الفتاة أو والد الفتاة اللذان لا يشكوان إعراض الشبان عن الزواج

ورغبتهم عن البنات ؟ وأين الكتاب والادباء والشعراء الذين يحضون بكتاباتهم وخيالهم واشعارهم على حب الفضيلة والعفة والتمسك بآداب الدين ؟ ثم اين المجتمع والخطباء الذين يبينون مواضع الضعف الاخلاقي وعلاجه ، ويرشدون الى مواطن الفضيلة والشرف ؟

اني لا أرى الغرب يكتسح بمدنيته الخداعة كل ما بقي في هذه الديار من آثار التقى وآداب القرآن ، وأرى النفوس تستعذب هذا الطريق وتستمرئه ، وتصبو الى المزيد منه والتمادي فيه !

لم لم تتعلم المصرية من الغربية حب الاقتصاد والتدبير في المنزل ، ونظافة الداخل ، وتربية الاطفال ؟ لم تقلدها في القبيح ، وتقف جامدة أمام الحسن المليح ؟

لم لم تنقل عنها خروجها يوم الاعياد والآحاد الى المعابد والهياكل تصلي وتذكر ربها قبل أن تنصرف الى أماكن اللهو والنزهة

وما لنا لا نبتدع ؟ — ان كنا قد شغفنا بحب تقليد الغربيين الى هذا الحد — أناشيد دينية وألحانا اخلاقية مستعيضين بها عن تلك (الطقاطيق) السخيفة المبتذلة تثير في القلوب نشوة الدين ، وتحث على التمسك بالفضيلة ، وتزجر عن التمادي في التبذل والغواية ؟ .

ثم مالنا لا نعمر بيوت الله بذوي الاصوات الشجية يرسلون مثل تلك الاناشيد الدينية والاخلاقية على مسامع الشبان والفتيات — قبل أو بعد الصلاة[1] — وليس فينا من يجهل تأثير النغمات على النفوس ، ولعب الصوت الحسن بالقلوب والعقول ، فتنمو فينا بذلك روح الطهر وتزكو النفس ، وتتهذب الاخلاق ، وتسمو بالرجل والمرأة الى أعلى مراتب الفضيلة !

سيدتي ! الاخلاق الاخلاق ، الفضيلة ، العفة ، كل أولئك لا تجدينه الا في دينك ، ولا يمكن أن تري لك منزلة عالية في القلوب قبل المكانة التي تنشدينها في المجتمع الا بعد أن تتفهمي ما انطوى عليه دينك من حكمة عالية ، وآداب سامية .

سيدتي . اعملي على تقويم الاخلاق ، وأحيي الدين والشريعة ، وحضي على

(١) الصواب في مثل هذا التعبير أن يقال قبل الصلاة او بعدها

التمسك بهما ، ثم دعي بعد ذلك المرأة تخرج سافرة أو مقنعة ، تخالط الرجال وتمشي في الاسواق ، فلن تقع عينك الا على كل فاضلة عفيفة ، ثم انظري هل ترين رجلا يبغي الزواج من اثنتين ، أو شابا راقيا يفضل عيش العزوبة على الزواج من فتاة طاهرة نقية ، أو حياة زوجية لا تسودها السعادة ولا الهناء ؟ ثم انظري وانظري ! ..

الا انما المرأة كشجرة ، فاسقوها بماء الفضيلة وغذوها ببذور العفة ، واجتثوا منها وهي ناشئة جراثيم التبذل والرذيلة ، وأنموها على التقوى ومبادىء الدين ، فالمرأة ان سمت كانت مخلوقا سماويا يوحي الى الرجل كل عزيمة ، ويبث في قلبه روح التضحية وغيرة الرجولة وعبقرية العظماء

فان احبت ولست أجهل مافي الحب من سر قدسي فهو عذري طاهر كحب ليلى وقيس ، وحب معنى لامبنى ، وهيام روح طاهرة الى روح طاهرة تجانسها وتكمل مافيها من نقص ، لاحب بهيمي ارضاء لغريزة الحيوان

فان تزوجت فزوجة كخديجة تناصر زوجها وتؤازره ، وان انجبت فبأمثال عمر وعلي ، وان جلست من الرجال فمجلسا كمجلس عائشة

وان عملت فعلى طراز خالدة أديب التي قدم لها رجال تركيا كرسي وزارة المعارف اعترافا منهم لها بفضلها ويدها على النهضة التركية

لا أريد لمصر أمرأة كالتي قيل فيها إنها أحبولة الشيطان أو واحدة من ثلاث من تجارة ابليس .

إنما أريد المرأة الطاهرة السماوية التي يخشع أمامها قلب الرجل كأنه يرى فيها صورة الرحمن ! ..

وانما الامم الاخلاق ما بقيت * فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مدام رئيفة كامل

(المنار) لايوجد في أوربة كلها شعب أهمل التربية الدينية للاناث كاهمال مصر شعبا وحكومة وهي مع ذلك تبيح حرية الكفر والفسق كالرقص والسباحة مع الرجال والزنا في بعض الاحوال ، فكيف يكون المآل؟

الشيخ احمد عباس الازهري البيروتي

وفاته وترجمته

في يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر شوال هذا العام توفي الاستاذ العالم العامل الشيخ احمد عباس الازهري في مدينة بيروت مسقط رأسه وموطن عمله ودفن في مقبرة الباشورة باحتفال كبير يليق بمقامه. وقد كتبت خبر وفاته مع الوعد بترجمته لينشر في الجزء الماضي ولم أعلم بأنه لم ينشر لكثرة مواد الجزء الا بعد صدوره

كان الاستاذ صديقا لي وكان لي معه مجالس اصلاحية خاصة في زياراتي الاخيرة لبيروت ولكنه لم يكن يعلم فيما أظن أنني أفضله على جميع علماء بلادنا في مجموعة معارفه – لا في كل نوع منها ولا في علم أو فن خاص امتاز به – وفي اقدامه وسعيه لنشر علوم الدين والدنيا وفي وطنيته وقوميته .

لا أعرف أحداً من علماء سورية كان خبيراً بزمانه وأهله – كما قال بعض السلف في وصف العالم أو الفقيه – وكان بخبرته يهتم بأمر أمته ووطنه ويحب لهم أن يسابقوا غيرهم في العلم والعمل – الا أستاذي الشيخ حسين الجسر فصديقي الشيخ احمد عباس رحمهما الله تعالى وكان الشيخ حسين أوسع من الشيخ احمد علما ولكن الشيخ احمد كان أنشط منه في العمل والسعي . سعى الاول لانشاء مدرسة وطنية في طرابلس تجمع بين العلوم الدينية والفنون العصرية وبعض اللغات الاجنبية التي تقتضيها ترقية التجارة والعلم ثم سعى لأن تعترف الحكومة العثمانية بانها مدرسة دينية يعفى طلابها من الخدمة العسكرية فلما لم تقبل الحكومة سقطت المدرسة وقضى الاستاذ بقيـة عمره في تدريس فنون العربية والعلوم الدينية على الطريقة الازهرية التقليدية مع نوع من سهولة الالقاء والتنبيه الفكري ولو ثبت على النهوض بادارة المدرسة الوطنية لأحدث انقلابا كبيرا في سورية

وأما الشيخ احمد عباس فمازال يجاهد في هذه السبيل الى أن قضى نحبه كما ترى في ترجمته، وهو لم يلق من أغنياء سورية ولا بيروت ولا من وجهائها ما كان يجب عليهم من مساعدته ولو ساعدوه لامكن أن يستغنوا بسعيه عن مدارس الاجانب

جاهد الشيخ احمد عباس في سبيل نشر العلم بالتعليم نصف قرن وقد احتفل بعيده الذهبي في بيروت احتفالا حسنا لم يتح لنا الاشتراك فيه ، وقد ألقى صديقنا الاستاذ عبد الباسط فتح الله خطابا في ذلك الاحتفال أودعه تاريخ الاستاذ المحتفل به وهو أجدر الناس بذلك علما واطلاعا وحسن بيان، فنحن ننشر هذا التاريخ بنصه في المنار مع تغيير ألفاظ قليلة جدا اقتضاها الفرق بين الكلام عن رجل في حياته ثم بعد وفاته وهو :

(مولد الاستاذ ومنشأه)

كان مما تركته الحملة المصرية التي اكتسحت الديار الشامية سنة ١٢٤٥ هـ بقية صالحة تأصلت في ثغر بيروت فنشأ منها فرع ازهر وأثمر، وانتظم البلاد خيره :

العباس بن سليمان من جند ابراهيم باشا بن محمد علي الخديوي تزوج ببيروتية من بني الشامي فرزق منها عدة أولاد صفوتهم (احمد) الذي ابس حلة الوجود عام سنة ١٢٧٠ هجرية فكان شعلة من نور أضاءت بيت والد فقير . فلما بلغ الخامسة من عمره أدخله الى الكتاب فقرأ القرآن الكريم على الشيوخ الحفاظ المجودين ، واستظهر منه بضعة أجزاء وفي السنة العاشرة دخل المدرسة الرشدية التي أنشأها المرحوم الشيخ حسن البنا حيال سنة ١٢٨٠ وهي أول مدرسة اسلامية عصرية سماها صاحبها بالرشدية قبل أن تنشيء الدولة مدارسها المعروفة بهذا الاسم نسبة الى راشد باشا والي سورية لذلك العهد . فتعلم الخط والحساب وكان من شيوخه فيها علامة الفقه والادب المرحوم الشيخ ابراهيم الأحدب .

الى ذلك الزمن ظل العلم عزيزا والعلماء نادري الوجود والناس ولا سيما المسلمون في هجمة قطعت صلتهم بالماضي، وتراكمت على فكرهم سحب من الجهل حجبتها عن التطلع الى المستقبل ، فظلوا في فترة من العلم حتى نبغ الاستاذان الفاضلان الكبيران الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد قدس الله روحيهما ، فصاحا بالقوم صيحة أيقظتهم من سباتهم، وزحزحتهم عن مضاجع غفلتهم ، وجعلا ينيران بدروسهما عقول الكافة ، ويثقفان عقول النابهين من الخاصة ، حتى استرشدوا وأحسوا الحاجة الى العلم فهبوا لطلبه ، وكان آنئذ بدء النهضة العلمية في الطائفة الاسلامية في بيروت

ثم أراد العلامة الناهض الشيخ عبد الله خالد أن يتوسع في نشر العلم فاقترح على زملائه والنابهين من تلاميذ قرينه العلامة الشيخ محمد الحوت الكبير انتخاب طائفة من نجباء تلامذة الرشدية واختصاصهم بدروس توسع ما أدركوا من علوم الدين فتزيدهم معرفة بالعلوم العربية ليتسنى لهم أن يخدموا الامة بنشر العلم فيها عملا بقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فارتاح الاساتذة الى هذا الاقتراح واقتسموا المنتخبين فكان (احمد) من نصيب الاستاذ الاديب الشاعر الشهير السيد عمر أنسي فلزم دروسه ووجد فيه السيد عمر نباهة وحرصا على التحصيل فزاده من عنايته حتى فاق رفاقه وصار يذاكرهم الدرس عند ما كان يغيب الاستاذ الذي شغلته تجارته بعد حين عن مواصلة التدريس في الاوقات المعينة

واتفق أن الامير محمد أرسلان صادف الشيخ عمر ومعه تلميذه الصغير (احمد) يماشيه فسأله عنه فعرفه اليه وأثنى عليه فجعل الامير يباحثه في بعض مسائل النحو وهو يحسن الجواب حتى التفت الامير إلى الشيخ عمر وقال له جدير بتلميذك أن يدخل الازهر فكان لهذه الكلمة أثرها في نفسه وبعد قليل يمم الازهر أحد رفقائه في طلب العلم وهو الشيخ خضر خالد فهاجت رغبته الكامنة واشتد شوقه إلى ورود ذلك المورد العلمي العظيم غير أن أباه الفقير كان كثيراً ما يمنعه من الانقطاع الى الدرس في نفس بيروت للاستعانة به على الكسب فكيف إذا سأله السفر وما يستلزمه من النفقة ؟ فجعل يستنجد باستاذه ليبلغه مقصده، والاستاذ الانسي يقول له : رويدك لا يصبر على الازهر الا كل ضامر مهزول ، فيجيبه (احمد) وهل أنا الا ذلك الضامر المهزول ؟ واتصل الخبر بالسري الاديب المفكر الناهض السيد حسين بيهم فاجرى عليه وظيفة شهرية من ريع لاسرتهم كان موقوفا على عمل الخير ثم انتدب الشيخ الانسي ورفيقه الشيخ عبد الرحمن الحوت فهونا الامر على والده وأقنعاه فأذن له وفرض على نفسه مبلغا إضافه الى مارتبه المرحوم السيد حسين بيهم وولى احمد وجهه شطر الجامع الازهر سنة ١٢٨٥ هـ فعكف على التحصيل مدة ست سنين فنال من فضل الله بجده مالم ينله غيره في مثلها من الزمن

والناس مشتبهون في إيرادهم وتفاضل الاقوام في الاصدار

فتلقى علوم العربية وآدابها من خواص مدرسيها لذلك العهد كالشيخ المرصفي والاشرافي والابياري والبابي الحلبي . وأخذ الشريعة على مذهبي الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أبي حنيفة عن أعلام علمائها (الاشموني والعز والرافعي ومنقاره) واضطلع بالعلوم العقلية والنفسية والتصوف بين يدي جهابذتها حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني والشيخ احمد البابي الحلبي والشيخ محمد الولي الطرابلسي . وعند ما كان يأتي بيروت أثناء العطلة الازهرية لم يكن يقضي أيامه في الاستراحة بل كان يتزود في المنطق والادب من دروس العلامة الشيخ يوسف الاسير رحمه الله .

وبينما هو على وشك الفراغ من التحصيل أصابته في السنة الخامسة مصيبة كادت تعجله عن الاتمام إذ توفي أبوه ففقدت أسرته المعين وأعوزته النفقة، فاضطر إلى ترك الازهر في بدء السنة السادسة وقفل راجعا وحل ضيفاً على رجل المروءة والاحسان المرحوم سعد الله بك حلابه بالاسكندرية فسأله عن أسباب عودته في غير ميعاد العطلة فنبأه بخبره ، وما كاد يتم قصته حتى نقده ـ تغمده الله برحمته مبلغ الراتب الذي كان يرسله اليه أبوه عن السنة كلها وأمره بالعود واتمام التحصيل فأحسن له الدعاء وعاد فأتم ونال إجازات التدريس سنة ١٢٩١ من أساتيذه في العلوم التي تعلمها (بعد التحصيل)

تلك المرحلة الاولى من حياة الاستاذ الرئيس وهي في كثير من ماجرياتها تشبه حياة أكثر العصاميين فأين مميزات ذاته ومقومات ماهيته التي ترتسم بها صورته الخاصة في أذهان المعاصرين ، ويحتفظ بها لوح التاريخ ؟

لا جرم أنه يسهل على الانسان تصور حقيقة ما كما هي كلما كانت أقرب الى السذاجة . فاذا تشعبت وعلت مرتبتها في الوجود عز ضبطها فتفاوتت صورها في الاذهان بتفاوت المدارك ووسائل التصوير . من أجل ذلك نرى الناس يختلفون في وصف الرجل الواحد من العلماء والمفكرين المصلحين فكل يرسم له صورة حسبما وصل اليه من خبره ، وقلما يصيب الحق فيه واصف لما يعترضه من وعورة

الرواية واختلاف اهواء الراوين ، وفي هذه الحال لا يبقى إلى معرفة الحقيقة غير سبيل واحدة وهي النظر في العمل لأن الاعمال هي وحدها مرآة الرجال الصافية التي تحتفظ من حقائقهم أمثل صورة وأصدق مثال ، فهلم نستقري شيئا من أعمال شيخنا التي تتجلى فيها صورته المعنوية الخالدة .

نرى المعاهد العلمية الكبرى أثراً خاصاً تطبعه في نفوس روادها بقصد أو بغير قصد حتى ليدركه البصير في نقد الرجال أثناء المعاملة أو المذاكرة والمباحثة . غير أن الازهر وإن اتحد أثره في الازهريين من حيث التحقيق في البحث والاستقصاء في التقرير إلا أن له آثاراً مختلفة من حيث العمل بالعلم والاستفادة منه . فترى في الازهريين المجتهد العامل الذي استعد عقله للجري على نظام التجدد وقبول الحقائق التي يقررها العلم الحديث وتأهلت نفسه لسلوك سبل الحياة سهلها وحزنها . كما ترى فيهم الجامد والخامل الذي لا فرق بينه وبين الصحيفة تؤرفيها المطبعة أو يد الخطاط فلا تعود تقبل الزيادة ، ويعتريها النقص بما ينتابها من عوارض الطبيعة ، ثم هي تستقر حيث تلقى لا تغيير ولا تبديل حتى يدركها الفناء . فمن أي الفريقين جاء الاستاذ الرئيس ؟ كأني بكم تقولون معي من الفريق الأول ولا ريب .

عاد من الازهر الى بيروت سنة ١٢٩١ هجرية . وكان العلامة العامل الكبير المعلم بطرس البستاني قد أنشأ مدرسته الوطنية وازدحم فيها الطلبة من كل ملة . فدعى الازهري الجديد الى التدريس فيها واختصاص التلامذة المسلمين بدرس ديني . فلبى الدعوة وقام بالعمل الى آخر سنة ١٢٩٤ حيث صرفت المدرسة تلامذتها وأقفلت بسبب انتشار الهواء الاصفر . وهكذا أصبح الازهري بلا عمل فماذا فعل ؟ لم يكن ثوبه العلمي ليمنعه من كسب الرزق الحلال من موارده المشروعة فاتخذ له دكانا وجهزها بما استطاع من البقول والأثمار وقعد يبيع ويشتري كعامة الناس ، ومر به الوجيه الورع المرحوم الحاج محيي الدين بيهم فعز عليه أن يرى الشيخ الفتى يحترف الحرفة المبتذلة فدنا منه وقال له أرى أن هذا غير لائق بك . فأجابه أرى أن هذا أليق من التسول للقيام بأود الاهل وبعد قليل من الزمن أي في سنة ١٢٩٥ دعاه الامير مصطفى أرسلان الى التدريس

في المدرسة الداودية في (عبية) فلبى دعوته وظل يعمل هناك بجد واخلاص مدة ثلاث سنين آخرها سنة ١٢٩٨ . وكان من تلاميذه ثمة المحامي المشترع المرحوم عباس حميه والافاضل محمود بك تقي الدين مدير المعارف السابق وسامي بك العمار وثامر بك العمار وفرحات بك حماده وغيرهم . ثم ترك الداودية ليتولى ادارة مدرسة المقاصد الخيرية التي تأسست في بيروت سنة ١٢٩٩ بعناية أبي الاحرار المرحوم مدحت باشا وصديقه الكبير رائف باشا متصرف بيروت . ثم انتخب لتدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٣٠٠ .

ولما افتتحت جمعية المقاصد الخيرية مدرستها السلطانية عام ١٣٠٢ دعته إلى التدريس فيها وتولي نظارة السلوك كما دعت الاستاذ علامة سورية المرحوم الشيخ حسين الجسر إلى تولي إدارتها فقام بالوظيفة خير قيام مع محافظته على التدريس في الرشدية العسكرية حتى كاد لايكون له ساعة للراحة

في المدرسة السلطانية عرفنا في الاستاذ الرئيس الناظر البعيد النظر ، والرقيب الشديد الحذر ، والمربي الحكيم بحسن سياسة النفوس ، حتى اذا ماستقامت على الطريقة بث فيها روح التقدم وسانها إلى أنبل مقصد من مقاصد العلم وأمثل غاية من غايات العمل — في المدرسة السلطانية كان أول من (شنف) آذاننا وشغل أذهاننا بهذه الكلمات الذهبية . حب الوطن ، الغيرة على الامة ، والاستعداد للمستقبل ، المجد ، النهوض ، الاعتماد على النفس ، إلى أمثالها من الفرائد الكريمة التي كان ينسج منها خطبه ومواعظه ، ويشعل بنارها أفئدة النشء الذي كان يربيه ويعده لخدمة ملته وبلاده

لم تطل إقامته في المدرسة السلطانية لما اعتور ادارتها من تأثير السياسات المختلفة فاستقال من خدمتها سنة ١٣٠٤ ولما كانت همته وعصاميته تأبى الارتزاق من موارد الكسل انصرف إلى تجارة الكتب لكيلا يفارق العلم في أيما عمل متأسيا باستاذه البابي الحلبي صاحب المطبعة والمكتبة المشهورة وأسس في تلك السنة مكتبته العثمانية ومع مافي ظاهر هذا العمل من النفع الخاص فقد خدم به العلم إذ حبب المطالعة إلى كثير من الناس وزاد في رغبة الراغبين فيها بما كان ينتقي لهم

من التآليف الحسنة فى كل فرع من الفروع على أن تجارته هذه لم تكن لتغفله عن غرضه الاسمى من إصلاح النفوس بالوعظ والارشاد والتربية والتعليم لذلك ماكان ينفك عن إلقاء الدروس فى المسجد الجامع العمري تلك الدروس التي كان يرمي فيها الى تهذيب الاخلاق التي انما يكون المسلم بها مسلماً بل الانسان انساناً ، وتفقيه الكافة فى الدين ، وتنوير عقولها بمواعظ التاريخ الاسلامي ، ومناقب الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم . ولمثل هذه الغاية من الاصلاح كان سلك غب عوده من الازهر الطريقة الشاذلية ، وعمل جهده على ضبط أفكار مريديه من العامة بضابط الشرع ، وشحذ قرائح المتعلمين منهم بآداب التصوف ، وقاية لأولئك من الشذوذ الذي قلما يسلم منه السالك الجاهل ، وصوناً لهؤلاء من الجمود الذي يستولي على الطالب الواقف عند ظواهر الفقه دون النفوذ إلى أسراره المتعلقة بكمالات الروح وتهذيب النفس ، على نحو ما أشارت اليه هذه الكلمة الحكيمة : الطريقة بلا شريعة باطلة ، والشريعة بلا طريقة عاطلة[1]

ثمان سنين مضت على الاستاذ في المكتبة دون أن يفارقه الفكر فى خدمة الامة من أقرب الطرق وبأنجع الوسائل خصوصاً وقد رأى (بعد) ماعرى المدرسة السلطانية من القلب والابدال فى المبدإ والمقصد أن الخطب يتعاظم والخطر يشتد تنبه المسلمون للعلم بصحبة القطبين الجليلين الحوت وخالد ، ثم اندفعوا إلى تحصيله من الطريق الوطني الاسلامي الذي اختطته لهم جمعية المقاصد الخيرية أسوة ببقية الطوائف المواطنة ليجاروها فى حلبة المدنية . بيد أن الحكومة السابقة التي كانت تخصهم من مراحمها بالقسط الاوفر أخذت عليهم هذه الطريق وصدتهم فى بدئه عن بلوغ غايته ، إذ حولت المدرسة السلطانية إلى معمل موظفين . فارتدوا حيارى وسبل العلم متفرقة ومناهله مختلفة لايدرون أي سبيل يسلكون ، ولا أي منهل يردون ، وألحت بهم الحاجة إلى مدرسة يعتاضون بها عن المدرسة الوطنية

(١) المنار : اذا اريد بالطريقة هذه النظم المعروفة المنسوبة الى المتصوفة كما هو الظاهر فهو مراد باطل ، واذا اريد بها ما هو أعم وهو الاهتداء بالشريعة عملا وحالا فالمراد صحيح

التي فقدوها ، فمن لهذا الامر العظيم غير الكفء الندب العظيم؟

دفعت الغيرة والحمية أستاذنا لسد هذه الثلمة فترك تجارة الكتب سنة ١٣١٢ استعداداً لانشاء المدرسة المنشودة وكاشف بالامر صديقه المفضال صاحب السعادة السيد عبد القادر افندي قباني فوجد عنده من الشعور مثلما كان يجد هو في نفسه حتى ان سعادته ارتاح إلى مشاركته في رأس المال

وهكذا تيسر له سنة ١٣١٣ هجرية فتح المدرسة التي سماها بالعثمانية تعوذاً من شر . ودعاني إلى ماأحب من الخدمة فلبيت وسعدت بموازرته زهاء عشرين سنة ، ومنذ ذاك دخل الاستاذ الرئيس في طور من الجهاد الادبي لايحتمل المقام وصف مصاعبه ومتاعبه . جرت المدرسة العثمانية على نظام عصري في الادارة والتدريس لم يعهد بمثلها في المدارس التي ينفرد بتدبيرها شخص واحد حتى زهت في برهة يسيرة وانتشرت شهرتها في الآفاق ، فأمها الطلبة من أقاصي البلاد الاسلامية فضلا عن الاحياء السورية، ثم اتسعت دائرتها وجمعت داخل محيطها أقسام التعليم الثلاثة الابتدائي والاستعدادي والعلمي عدا روضة الاطفال . وبهذه صارت كلية وأخرجت للأمة من الشباب الناهض الذي انطلق يؤدي ماوجب عليه لامته من خدمة المدنية في فروع العلم التي حصلها في الكلية الاسلامية ، ثم اضطلع بها في جامعات بيروت وأوربا فكان منه الاديب الصحافي والطبيب والصيدلي والحقوقي والتاجر ، وبالجملة فان تلامذة الكلية الاسلامية إن لم يرفعوا أمتهم إلى ذروة المجد فقد قربوها من المنزلة التي تليق بها بين اخواتها في الوطنية من الامم الراقية .

هذا ومن الاماني الاصلاحية التي كانت تشغل قلب الاستاذ الرئيس التوفيق بين مقتضيات العلوم الحديثة ومقررات العلوم الدينية . كان يزعجه مايرى من التباين في الرأي بين بعض تلامذة المدارس العصرية وبعض طلبة العلوم الدينية لجهل كل من الفئتين بعلم الفئة الاخرى وخاف على الجهود المبذولة في سبيل نهضة الامة أن يحيط بها هذا الخلاف أو يحبطها إلى عكس المقصود منها . فهم بتلافي الامر فوسع قدر مأأمكن دروس العلوم الدينية من فقه وتوحيد وأضاف اليها

درساً في علم الاصول ، ثم حاول انشاء دائرة خاصة بمريدي الاختصاص في العلوم الدينية شرط أن لايقبل فيها إلا من اضطلع بالعلوم العصرية وأحرز (إجازة البكالوريا) .

ولما كانت واردات المدرسة لاتتسع للانفاق على هذه الدائرة رأى أن يستنجد المشيخة الاسلامية فسافر إلى الاستانة سنة ١٩١٣ وعرض عليها الفكر فأعجبت به ونقلته إلى رجل الدولة إذ ذاك (أنور باشا) فحبذه هو أيضاً ووعد بتخصيص ألف ومائتي ليرة تدفع مشاهرة معاونة لهذا المشروع [١] غير أنه لم يدفع منها سوى قسط واحد ووقعت الحرب العالمية فبدلت الخير شراً ، وانقلبت المعاونة إلى مضايقة وإحراج انتهى إلى اقفال المدرسة ونفي الاستاذ الرئيس إلى استانبول ووضعه هناك تحت المراقبة كما هو معلوم . على أن الكلية ومشاغلها العظيمة ماكانت تستغرق همته ، وما كانت عزيمته لتقف عند حد من الخدمة . فقد كان لايدع فرصة تسنح إلا اغتنمها للقيام بعمل مفيد ، وإن أنس لاأنسى دهشتي وقد دخل علي المخزن [٢] يوماً من أوائل أيام الدستور العثماني وفي يمينه اسطوانة من الورق فقلت له ياأستاذ : ماتلك بيمينك ؟ فألقاها إليّ واذا هي ثلاث استدعاآت بطلب ثلاث رخص بانشاء جريدة ومجلة ومطبعة . إلى ذلك اليوم كنت أحسب نفسي أعرف الناس بمبلغه من علو الهمة والاقدام ، ولكن استصغرت نفسي واستضعفت ادراكي عند ماظهر لي أن همته لاتحد بحد ، وأن إقدامه لايقدر بمقدار .

(آثاره العلمية والادبية) إن ماتقدم بيانه من المهام التي شغلت قلب الاستاذ وجوارحه مذ برز لمعركة الحياة كانت تكفي لإشغاله عن سواها من الكتابة والتأليف غير أن احتماله اعباء التدريس حمله على وضع عدة كتب نافعة في علوم الصرف والبلاغة والمنطق وأحوال الفقه [٣] على أسلوب يقرب هذه العلوم من افهام التلامذة الذين يكلفهم منهاج التعليم العصري كثيراً غيرها من العلوم الرياضية والطبيعية واللغات وآدابها . وكان شرع في تصنيف كتاب في تاريخ آداب العربية

(١) المراد أن المبلغ المذكور إعانة سنوية ولكنها تدفع مشاهرة كل شهر مائة ليرة
(٢) محل تجارة صاحب الترجمة (٣) أي قسم العبادات من الفقه

وأملى منه عدة فصول على تلامذته ، فلما ظهر كتاب (الوسيط) الذي وضعه الاستاذان الفاضلان الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني في مصر وجده وافيا بالغرض فاعتمده في تدريس هذا العلم وأجل اتمام كتابه

أما مكانته من الشعر وفنون الادب فيكاد لا يجهلها أحد . فقد صور شهامة العرب ومكارمها وعواطف القلب البشري واهواء النفس في رواياته البليغة : السموأل والسباق ، وذي قار ، وفتاة الغار ، التي تكرر تمثيلها وشهدها الالوف من الناس فراقهم حسن سبكها وما رصعت به من الشعر الجزل والامثال الحكيمة التي للمسامع والقلوب (كذا)

﴿ أثره الاكبر ﴾ على أن للاستاذ أثره الخالد وتأليفه الحي النامي الذي أبدعته عزيمته الماضية ، وتعاهدت تنسيقه وتنميقه قواه العقلية والبدنية تعضدها مزاياه النفسية ، من حزم وثبات واخلاص . ذلك الاثر الذي اتخذ له من عقول النابتة وقلوبها صحائف حساسة أودعها ماشاء أدبه وشأت الوطنية والمدنية من كل علم وفضيلة ثم هو لم يفعل بها فعل المؤلفين يجمعون صحفهم بين دفتين ، بل فرقها في الآفاق تشم النور والعرفان ، وتنمو وتكثر ما تعاقب الملوان ، وأضاء النيران (عنيت المدرسة) (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(المنار) يظن بعض الناس أن قصر مدة مجاورة الشيخ احمد عباس في الازهر يدل على أنه لم يكن من علماء الدين بكل ما في هذا اللقب من معنى . ونقول ان اشتغال طالب العلم الذكي بتلقي العلوم الازهرية بضع سنين وتلقيه فيها عن علماء أذكياء كالشيخ المرصفي وغيره من شيوخ فقيدنا كاف لتحصيل القدر الكافي من هذه العلوم الذي يمكن صاحبه من الاخصاء بنفسه في كل ما يريده منها ولتحقيق كل مبحث يريد الاحاطة به من مباحثها . ولو أنه مكث بضع عشرة سنة في دراسة تلك الحواشي والتقارير المملومة والغوص في مناقشاتها لغرق في بحر من الخيال تتقاذفه أمواج الاوهام والشكوك ولم يخطر في باله خدمة أمته بمثل ماخدمها به

وأما الذي أذكى مصباح استعداده للعمل والسعي للنهوض بالامة فهو حضوره بعض مجالس السيد جمال الدين الافغاني ثم قراءته لصحيفة العروة الوثقى التي كان يصدرها هذا الحكيم بقلم مريده وصديقه الاستاذ الامام رحمهم الله أجمعين

أنباء العالم الإسلامي

المسلمون في أميركا يطلبون أستاذا من الأزهر

وقفنا على الكتاب الآتي الذي أرسل الى شيخ الأزهر بوساطة وزارة الخارجية المصرية ولم نعلم ماذا كان من أمر الجواب عنه وهذا نصه :

٢٢٦ يونيون هول جميبكا . ل . ا . مدينة نيويورك

صاحب الفضيلة المفتي الاكبر شيخ الجامع الازهر القاهرة ـ القطر المصري

أود أن أبين لفضيلتكم ـ معبرا ببياني عن عواطف الكثرة من السكان ـ الحالة الدينية السيئة التي تحيط بمسلمي هذا القطر خصوصا المتزوجين منهم العائلين للأطفال ـ ليس لقومنا امامة دينية تهديهم، الرجال احرار في معتقداتهم ولهم ان يصدقوا مايشاءون ـ وليس للشبان فضيلة الا أنهم مسلمون صادقون، اما الاطفال فيشبون جاهلين بميراث اسلافهم وبمباديء الدين لا جامع ولا مدرسة تؤويهم

أما الاساتذة القليلون الذين يفدون الى هذا القطر فان مكاسب التجارة تغريهم بمجرد وفودهم فيهجرون التعليم ويقبلون على الدخول في غمار المتاجرة . وحينئذ ينبذ عامتنا فكرة تلقي الهدى الروحي عنهم، وقد أصبحوا رجال أعمال مثلهم

ومن الممكن أن نثق وثوقا صحيحا انه إذا تحسنت أحوال الاسر التي يجري فيها الدم الاسلامي فان عدد المسلمين يزيد زيادة عظيمة ويكون ذلك يومئذ أجل المكافأة للجهود التي تبذل في هذا الصدد . ولقد حاول القوم كثيراً أن ينشئوا عدة مراكز للعمل ، ولكن لم تكلل تلك الجهود بالنجاح لعدم وجود قيادة ذات سلطة ، ولضعف الالمام بأحوال القطر المحلية .

هذا وهناك رغبة ظاهرة تقضي بتسيير الاعمال في حدود الدائرة الوطنية مع إهمال روح الاسلام العامة إهمالا كليا . فلذلك يمكن أن يجني المسلمون الاميركيون من جراء توحيد جهودهم أكبر الفوائد

وليكن من المفهوم ياصاحب الفضيلة – ان عريضتنا هذه ليس لها أية صبغة سوى الصبغة الدينية، وان قضيتنا ماهي إلا قضية قوم ذوي دين خاص يريدون لهم أستاذا هاديا. والآن قد رغبنا في ايجاد وحدة دينية فانا نلتمس بهذا أن تكون حاجاتنا المساسة المستعجلة موضع التروي والفحص منكم وأن يبعث الينا أستاذ معلم يعرف أحوال هذا البلد ويبقى بيننا حتى تصبح هذ الجماعة قادرة على اخراج أساتذتها

١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩ (امضاء) حسين أديب

نيويورك . الولايات المتحدة ا . ل . الداعي الاول

اسماء وعنوانات بعض العاملين معه

المطبوعات الحديثة

﴿ مفتاح الخطابة والوعظ ﴾ كتاب في العقائد والعبادات والاخلاق والفضائل وآداب المعاملات الشرعية للحكام وسائر الناس — صنفه صديقنا الاستاذ الشيخ محمد احمد العدوي أحد علماء الازهر المشتغلين بالسنة ومدرسي القسم العالي فيه ووعاظ المساجد الرسميين ليستعين به في وعظه وخطبه ويكون خير مادة لغيره من خطباء المساجد وغيرهم من الواعظين ، ومباحثه تدخل في بضعه عشر كتابا الاخلاص ، العلم ، العقائد ، الاخلاق ، الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الصيام ، الحج المعاملات المدنية ، النكاح ، الجهاد ، القضاء ، والولايات المنكرات الظاهرة ، وختمها بالكلام في التوبة وماتنال به سعادة الدارين ولم يسمه كتابا

وفي كل كتاب من هذه الكتب فصول فيما تشتد حاجة جميع المسلمين إلى العلم به ومادتها كلها من الكتاب والسنة التي يحتج بها يبتديء كلا منها بالآيات معدودة معزوة إلى سورها، ويقفي عليها بالاحاديث النبوية مقترنة بأسماء مسنديها إلى النبي ﷺ معزوة الى مخرجيها من كتب حفاظ السنة وجامعيها لايزيد على ذلك الا تفسير بعض الالفاظ التي يحتاج الجمهور الى تفسيرها في حواشي الكتاب

عرض المؤلف كتابه هذا على وزارة الاوقاف لتقرر ارشاد خطباء المساجد التابعة لها ووعاظها على الاستعانة به على عملهم فندبت لجنة من كبار علماء الازهر

لفحصه ثم قررت (تحت رقم ١٢٨٢ سنة ١٣٤١) « ان هذا الكتاب صالح لان يكون مادة يستعين بها الوعاظ والمدرسون في إلقاء مواعظهم ودروسهم »

بعد هذا طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعا متقنا على ورق جيد في سنة ١٣٤٤ فبلغت صفحاته ٢١٢ بقطع المنار وثمن النسخة منه عشرة قروش يضاف اليها أجرة البريد وهو يطلب من مكتبة المنار فننصح لكل مسلم قاري ، أن يتخول نفسه بمواعظه وحكمه

﴿ الاخلاق والواجبات ﴾

« مباحث في القرآن والحديث ، الاخلاق والايمان ، الاخلاق والعبادات ، الدنيا والآخرة ، الخير والواجب ، الواجبات الشخصية ، الواجبات العائلية ، الواجبات الاجتماعية ، الواجبات المدنية ، ستون آية وحديثا »

صنف هذا الكتاب صديقنا الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي الطرابلسي الشهير . وعضو المجمع العلمي بدمشق ، وكان قد اقترحه عليه ورسم خطته له الاستاذ ساطع بك الحصري مدير المعارف في العراق أيام كان مديراً للمعارف في سورية في فترة استقلالها القصيرة . قال المؤلف في فاتحته بعد بيان الحاجة الى مثله في هذا العصر التي كانت سبب الاقتراح ماهو أصح وصف له قال

« ورغب الى أن أضع كتابا مدرسيا في تهذيب أخلاق الناشئة الاسلامية يجمع بين حاجة المربي والمعلم فيستعينان به على ماهم بصدده من تربية الاحداث وتكوين أخلاقهم ، وفائدة المتعلم فيجد فيه كلمات جامعة ، وأقوالا في الحكم والآداب رائعة ، تكون عونا له — اذا راعاها على تهذيب نفسه وتقوية ملكاته. وأن أقتصر فيه من — المنقول والمأثور — على اقتباس ماورد في الكتاب السماوي والحديث النبوي . اللهم الا ماجاء عرضا من أقوال الحكماء مما يلتحم معناه في معنى الآية والحديث. وان أفرغ ذلك كله في أسلوب سهل المأخذ قريب التناول وأعلق عليه من الشرح والتفسير ـ ماتستدعيه الحاجة ويتطلبه ذهن المطالع »

ثم ذكر أنه احتذى في تأليفه هذا المثال الذي رسمه ووضعه ساطع بك له وزاد عليه مقدمة في مباحث القرآن والحديث « توسع المطالع بيانا ، وتزيده رسوخا وإيمانا »

وكنا قد اطلعنا على طائفة من هذا الكتاب قبل طبعه وانتقدنا على صديقنا المؤلف عدم ذكر مخرجي الاحاديث التي جمعها فيه وعدم تحري الصحيح والحسن منها فأجاب عن ذلك في خاتمته بمثل ما كان كتبه الينا في كتاب خاص قال

« ولم نعن بتخريج هذه الاحاديث ولا ببنا درجتها قوة وضعفا لان مواقف كتابنا خطابية مراعى فيها التأثير في نفوس المخاطبين وقد يوجد فيهم من إذا سمع أن الحديث ضعيف فترت همته عن العمل به ولم يكترث لموضوعه ، على أن كتابنا هذا لم نؤلفه في فن الحديث وانما ألفناه في الفضائل وهذه يتسامح فيها ويستشهد لها بأي حديث كان اللهم إلا الحديث الموضوع الذي خلا كتابنا هذا منه والحمد لله » اه

ونقول إن هذا الاطلاق غير مسلم فان الحديث الواهي الشديد الضعف أو النكارة لايقول أحد بالعمل به ، بل اشترطوا للعمل بالضعيف الذي لايصل الى هذا الحد شروطا بينها الحافظ ابن حجر وسبق للمنار نشرها

وجملة القول أن الكتاب نفيس مفيد جدير بان تستفيد منه النابتة الاسلامية الحديثة فانهم لايجدون فيه شيئا مما يستنكرونه من كتب القدماء في الادب لاختلاف التربية والتعليم في المدارس العصرية والعادات المنزلية والاجتماعية بين هذا العصر وماتقدمه وقد أشار إلى ذلك المؤلف بقوله

« وقد اجتهدنا أن نشرح هذه الاحاديث النبوية والآيات القرآنية شرحا يقرب فهمها ويسهل حكمها على أبناء هذا العصر ، ولم نخالف فيما قلناه أصلا نقرر بين علمائنا رضي الله عنهم ، نعم خالفناهم في بعض التراكيب الاصطلاحية ، وكثير من الأساليب الكتابية ، مما اختلف باختلاف الزمان ، وتطور العمران ، وتبدل القرائح والاذهان » واستشهد على الحاجة إلى هذا بعبارة من كتاب أدب الدنيا والدين للعلامة الماوردي في اختلاف الآداب باختلاف الزمان والعرف

وقد طبع الكتاب في سنة ١٣٤٤ في المطبعة السلفية طبعا حسنا وبلغت صفحاته ٢٢٧ صفحة وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

﴿ البينات ﴾ مقالات في الدين والاجتماعات والادب والتاريخ للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي جمعت في جزئين سبق لنا تقريظ الجزء الاول منها ، وقد طبع

الجزء الثاني في سنة ١٣٤٤ بالمطبعة السلفية أيضا ، وهو مصدر بمقدمة لنا في ترجمة مؤلفه ومكانته في العلم والادب والاصلاح وهو جدير بان يطالعه قراء العربية ولاسيما نابتة المدارس العصرية والمولعون بقراءة المجلات والصحف الدورية المتعارضة المتناقضة في أمثال هذه المباحث التي ولج المؤلف أبوابها على علم وبصيرة ، وقد بلغت صفحاته ٣١٤ بقطع المنار وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

الحج في هذا العام

بلغ عدد حجاج هذا العام ٢٢٥ ألفا بالرغم من أنوف الملاحدة والمبتدعة والروافض الذين بثوا الدعاية لمنع الحج وكان منهم ألوف من الشيعة الايرانيين وغيرهم بالرغم من حكومتهم التي منعت الحج رسميا ، وقد كان الأمن العام والخاص على أكمله كما ثبت بالتواتر - وقد بلغنا أن حجاج الشيعة كانوا في غاية الغبطة والهناء وقال من سبق لهم الحج منهم ان الشيعة لم يكونوا مكرمين أحرارا في موسم كهذا الموسم ففي سبيل الله ماسيلقون من ظلم حكومتهم وعقابهم على اداء مافرضه الله عليهم ، فقد بلغنا انها أمرت بنزع أملاكهم وعقارهم من أيديهم ، وسكت لها علماء الشيعة الاعلام على ذلك !!

وقد ظهر للعيان خطأ الحكومة المصرية فيما فعلت من تخويف المصريين من الحج وزعمها أنهم يستهدفون للخطر لعدم خروج المحمل وحرسه معهم ، وقام البرهان الحسي على ان ذلك الحرس لا حاجة اليه لان الامن في الحجاز أتم وأكمل منه في مصر بل هو هنا مختل معتل أعيا أمره الحكومة والشكوى عامة

هذا وانا ننتقد ما كتبه بعض الحجاج في الجرائد من ذم الحجاز بحرارته وطرز مبانيه القديمة وغلاء بعض الحاجات والاجور فيه فانهم يجهلون ان الحج تقشف ينافي الترفه والتنعم شرعا وان أهله فقراء وحكومته فقيرة وان المسلمين كانوا يقضون في سبيل الحج عدة أشهر وينفقون ألوفا كثيرة ويعدون ذلك أفضل ما أنفقوا طول عمرهم فمن لم يفقه هذا فهو لم يحج ولم يعرف الحج ، ومن لم يرض به فليحج مع الملاحدة الفاسقين الى متنزهات أوربة ومعاهد الخلاعة فيها ولا يدعي الاسلام

﴿ الجزء السادس ﴾ ١٣٤٦ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

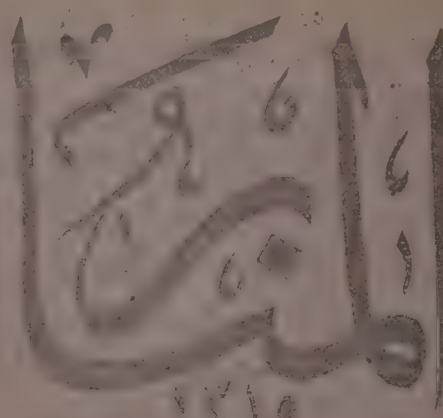

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة ازعن نصف سنة

مدة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران
لمنشئها

﴿ عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التليفون ـ رشيد وضا (منزل) رقم ١٥-٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل في نجاح العمل ﴾

﴿ فهرس الجزء السادس من المنار م ٢٨ ﴾

﴿ التفسير ﴾

٤٠١ خلاصة سورة الاعراف في ستة أبواب

٤٠٢ ﴿ الباب الاول ﴾ توحيد الله تعالى إيمانا وعبادة وتشريعا وصفاته وشؤون ربوبيته وفيه ١٢ أصلا

٤٠٥ ﴿ الباب الثاني ﴾ الوحي والكتب والرسالة والرسل وفيه ٣ فصول فيها ٢٤ أصلا

٤٠٥ الفصل الاول ما جاء فيها بشأن القرآن

٤٠٦ الفصل الثاني ما جاء فيها خاصا بنبينا (ص)

٤٠٧ الفصل الثالث في الرسالة العامة والرسل

٤١٠ ﴿ الباب الثالث ﴾ عالم الآخرة والبعث والجزاء وفيه ١٢ أصلا

٤١١ ﴿ الباب الرابع ﴾ أصول التشريع وفيه ٩ أصول

٤١٥ ﴿ الباب الخامس ﴾ في آيات الله وسننه في الخلق والتكوين وفيه ١٤ أصلا

٤١٨ ﴿ الباب السادس ﴾ في سنن الله في الاجتماع والعمران البشري وفيه ٧ سنن

﴿ الفتاوى وفيها أربع مسائل ﴾

٤٢٣ هل ابن تيمية أعلم من الائمة الاربعة؟

٤٢٤ هل يجوز لعامي ترك تقليد الائمة الاربعة ؟

٤٣١ هل يجوز تتبع الرخص في العبادات ؟

٤٣٢ هل يجوز رد الفتوى الفقهية طلب نص؟

(باب المقالات وباب المناظرة)

٤٣٣ كيف تنهض اللغة العربية

(مناظرة في مسألة القبور والمشاهد)

٤٣٩ الرد على رسالة العالم الشيعي للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي

٤٥٠ الزي الاسلامي والشعائر الاسلامية والالقاب العربية عند خواص أمريكا

٤٥١ ﴿ مهين عند قومه مكرم عند الناس ﴾ للامير شكيب

٤٥٥ كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب

٤٦٥ أموال ابن السعود التي اتهم بها صاحب المنار

٤٧٤ باب الانتقاد على المنار

٧٧ مصاب مصر بأكابر رجال العلم والدين والسياسة

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الثامن

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ صفر سنة ١٣٤٦ه ٣٠ برج السنبلة سنة ١٣٠٦ه ش ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

﴿ خلاصة سورة الاعراف ﴾

وهي تدخل في ستة أبواب :

(أولها) توحيد الله تعالى ايمانا وعبادة وتشريعاً ، وصفاته وشؤون ربوبيته

(ثانيها) الوحي والكتب والرسالة والرسل

(ثالثها) الآخرة والبعث والجزاء

(رابعها) أصول التشريع وبعض قواعد الشرع العامة

(خامسها) آيات الله وسننه في الخلق والتكوين

(سادسها) سنن الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري وشؤون الأمم المعبر عنه في عرف عصرنا بعلم الاجتماع

الباب الاول

توحيد الله تعالى ايمانا وعبادة وتشريعا وصفاته وشئونه ربوبيته

﴿ وفيه ١٢ أصلا ﴾

(١) دعاء الله وحده واخلاص الدين له وتخصيصه بالعبادة وكون الاخلال بذلك شركا وكفراً بالله تعالى . قال تعالى في الآية ٢٨ (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أي بأن لا تشوبه أدنى شائبة من التوجه إلى غيره في الدعاء ولا في غيره من دينكم كالتوجه إلى الانبياء والصالحين أو مايذكّر بهم كقبورهم فذلك شرك ينافي خلوصه له ، قل أو كثر ، سمي شركا أو سمي توسلا وتبركا (راجع ٣٧٥ ج ٨ تفسير) وقال تعالى في بيان حال المشركين عند موتهم من الآية ٣٧ (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : أين ماكنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) راجع ص ٤١٣ منه ، وأمرنا تعالى في الآية ٥٤ بأن ندعوه تضرعا وخفية ـ ونهانا عن الاعتداء في الدعاء ، وفي آية ٥٥ بأن ندعوه خوفا وطمعا ، وفي الاول صفة دعاء الاخلاص اللسانية ، وفي الثاني صفته القلبية (راجع ص ٤٥٦ و٤٦٢ منه)

ومن الامر بعبادة الله وحده وترك عبادة غيره ماحكاه عن تبليغ الرسل لأقوامهم فدل على أنه أصل دينه على ألسنة جميع رسله قال تعالى (٤٨ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) ومثله عن رسوله هود عليه السلام في الآية ٦٤ مع حكاية قول قومه له (٦٩ قالو أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا ؟) ومثله ماحكاه عن رسوله صالح عليه السلام في الآية ٧٢ وما حكاه عن رسوله شعيب عليه السلام في الآية ٨٤

ومن بيان بطلان عبادة غير الله تعالى ونزغات الوثنية في اتخاذ الآلهة اتخاذاً ماورد في الآيات ١٣٨ — ١٤٠ من طلب بني اسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كالقوم الذين رأوهم يعكفون على أصنام لهم ورد موسى (ع ٠ م) عليهم

فيراجع تفسيرها (في ص ١٠٧ - ١١٥ ج ٩ تفسير) وفيه بيان خطأ الرازي في فهم معنى الآلة لجريه على اصطلاح المتكلمين .

(٢) انكار الشرك وإقامة الحجة على أهله واثبات التوحيد وكونه مقتضى الفطرة في الآيات ١٧٢ و١٧٣ في أخذ الرب الميثاق من ذرية بني آدم واشهادهم على أنفسهم أنه ربهم، ويراجع تفسيرهما (من ص ٣٨٥ - ٤٠٤ ج ٩)

(٣) بيان أن شارع الدين هو الله رب العالمين فيجب اتباع ماأنزله ولايجوز اتباع أولياء من دونه في العقائد ولا العبادات ، ولا التحليل والتحريم الديني ، وهو نص قوله تعالى في الآية الثانية (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) لا أولياء يتولون التشريع لكم بماذكر كالذين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم كما فسره الحديث المرفوع ولا أولياء يتولون أموركم فيما عدا ماسخره الله لكم من الاسباب وهذا عين توحيد الربوبية . واتباع رسوله (ص) لا يدخل في عموم النهي هنا فانه تعالى أمر باتباعه في الآية ١٥٨ من هذه السورة وفي غيرها وجعل طاعته فيما أرسله به وحيا وبيانا للوحي عين طاعته كما في سورة النساء فلا يكون ولياً من دونه بل من عنده كما بيناه في تفسير الآية (يراجع ص ٣٠٦ - ٣١٠ ج ٨ تفسير)

(٤) حظر القول على الله بغير علم بتشريع أو غيره . وذلك قوله تعالى في الرد على المشركين من الآية ٢٧ (أتقولون على الله مالا تعلمون) وقوله تعالى في آخر أصول المحرمات في الآية ٣٣ (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقد بينا في تفسيرها مفاسد هذه الجريمة الشركية (ص ٣٩٨ - ٤٠١ ج ٨ تفسير) ومنه يعلم خطأ الذين أنكروا الحسن والقبح في الاشياء مطلقا والذين حكموا العقل في التشريع الديني

(٥) كون جميع مايشرعه الله تعالى حسناً في نفسه وتنزيهه عن الامر بالقبيح وهو نص قوله تعالى في الآية ٢٧ (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء) وقوله في الآية ٣٣ (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن) الخ فان الفواحش ماظهر قبحه وعظم ، والاثم مايضر ، والبغي تجاوز حدود الحق والعدل ، والشرك بالله بغير سلطان أي برهان

جهل ، والقول على الله بغير علم جهل وتعد على حقوق الرب تعالى . وكل ذلك قبيح في نظر العقل وبعضه قبيح في الحس أيضا . فكل ما أمر الله تعالى به فهو حسن في نفسه وإن خفي حسن بعضه على بعض ضعفاء الناظرين ، وكل ما نهى عنه فهو قبيح في نفسه وإن جهل قبحه بعض الغاوين ، ولكن العقل على إدراكه لذلك لا يستقل بمعرفة كل حسن وكل قبيح بالاحاطة والتحديد ، بل تصده عن كثير من المحاسن والقبائح التقاليد والعادات وضعف النظر والبحث

(٦) استواء الرب على عرشه وعلوه على خلقه ، وهو في الآية ٤٣ وفي تفسيرها تحقيق الحق في مذهب السلف (وهو في ص ٤٥١ ج ٨ تفسير)

(٧و٨) تكليم الرب لموسى عليه السلام ومسألة رؤيته سبحانه وتعالى وبيان ذلك في تفسير قوله تعالى (١٤٣ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال : لن تراني) الخ وتفسيرها (في ص ١٢٢ - ١٩٢ ج ٩ تفسير) وفيه من التحقيق والحكم في مسائل الخلاف مالا تجد له نظيراً في كتاب لا في أصل المسألتين ولا في متعلقاتهما كتجلي الرب سبحانه والحجب بينه وبين خلقه وتجليه في الصور المختلفة ، ومسائل الارواح والكشف والرؤيا والعمل النومي والتنويم المغناطيسي وأنواع مدركات النفس ومادة الكون الاولى والنور والكهرباء وما يقال من أنها أصل هذه الكائنات ، والخلاف في إمكان معرفة كنه الخالق وأول المخلوقات، ومنها مسائل الكلام ومراتبه ومن ذكر الحرف والصوت في كلامه تعالى. وتحقيق رجحان مذهب السلف على جميع مذاهب المتكلمين وفلاسفتهم في الكلام والرؤية وسائر صفات الرب سبحانه وتعالى وشؤونه

(٩) هداية الله واضلاله في آية (١٧٨ من يهدي الله فهو المهتدي) الخ ، وآية (١٨٦ من يضلل الله فلا هادي له) الخ، وفي تفسيرها تحقيق أن هذا الاضلال لا يقتضي الاجبار وانما هو مقتضى سنة الله تعالى في خلق الانسان، وارتباط المسببات من أعماله بالاسباب ، فليس حجة للمعتزلة ومن شايعهم ولا للاشعرية والجبرية (راجع ٤٥٩ ج ٩) ومثله قوله تعالى (١٤٦ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) وكذلك الطبع على القلوب في آيتي ١٠٠ و ١٠١ كل ذلك

بيان لسنتن الله تعالى في طباع البشر وأعمالهم

(١٠) الكلام في رحمة الله تعالى ومغفرته، ومنه قرب رحمته من المحسنين في آية ٥٤ وكونه أرحم الراحمين في الآية ١٤١ ورحمته ومغفرته للتائبين في الآية ١٥٣ وكونه خير الغافرين ١٥٥ وسعة رحمته كل شيء ومن يكتبها أي يوجبها لهم ١٥٦

(١١) أسماء الله الحسنى ودعاؤه بها والالحاد فيها وهو نص الآية ١٨٠ وفي تفسيرها تحقيق ماورد من هذه الاسماء في القرآن وحديث «إن لله تسعة وتسعين اسما» الخ (ص ٤٣١ ج ٩)

(١٢) الامر بذكر الله تضرعا وخيفة سراً وجهراً وكونه غذاء الايمان، وبعبادته وتسبيحه والسجود له وحده وهو في الآيتين اللتين ختم الله بها السورة ٢٠٤ و ٢٠٥

الباب الثاني

الوحي والكتب والرسالة والرسل وفيه ٣ فصول فيها ٢٤ أصلا أو مسألة

﴿ ماجاء فيها بيانه القرآن ﴾

(١) انزال القرآن على خاتم الرسل محمد ﷺ للانذار به وذكرى للمؤمنين وهو في الآية الاولى من السورة، وفيها نهي الرسول أن يكون في صدره حرج منه

(٢) أمر المؤمنين باتباع المنزل اليهم من ربهم وهو القرآن وأن لا يتبعوا من دونه أولياء وهو الآية الثانية وبيان أنهم إذا لم يؤمنوا به فلا يرجى أن يؤمنوا بكتاب غيره كما قال في آخر الآية ١٨٥ (فبأي حديث بعده يؤمنون)

(٣) وصفه تعالى للقرآن بأنه فصله على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون، وهو نص الآية ٥١

(٤) بيانه تعالى لما سيكون عند إتيان تأويل القرآن أي ظهور صدقه بوقوع ما أخبر بوقوعه من أمر الغيب وهو أن الذين نسوه فلم يؤمنوا به في الدنيا يؤمنون يومئذ ويشهدون لجميع الرسل بانهم جاؤا بالحق ويتمنون الشفعاء أو الرد إلى الدنيا ليعملوا غير ما كانوا يعملون، وهو في الآية ٥٢

(٥) ولاية الله لرسوله بانزاله الكتاب عليه في الآية ١٩٦

(٦) الامر بالاستماع لقراءة القرآن والانصات له رجاء الرحمة بسماعه والاهتداء به

﴿ ماجاء فيها خاصا بنبينا (ص) ﴾

(٧) قوله تعالى في الآية الاولى (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي الكتاب هو نهي عن ضيق الصدر بعظمة القرآن وجلال الأمر الذي أنزل لأجله وشدة وقع سلطانه في القلب، أو عن ضيقه بمشقة الانذار به والتصدي لهداية جميع البشر وقد غلب عليهم الشرك والضلال، أو بما يتوقع من شدة معارضة الكفار وعدوانهم - وقيل هو دعاء، وقيل هو حكم منه تعالى بمضمونه (راجع ص ٣٠٣ ج ٨)

(٨) أمره تعالى له بأن يعتز بأنه هو وليه وناصره وبأنه تعالى يتولى الصالحين فلا خوف على أتباعه من اضطهاد الكفار لهم، وهو في الآية ١٩٦ وقد ذكرت في مسألة أخرى

(٩) قوله تعالى في الآية ١٨٤ (أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) الآية وهي تفنيد لرمي بعض مشركي مكة إياه ﷺ بالجنون يعني أن التفكر الصحيح في حاله ﷺ من أخلاقه وهديه وسيرته وفيما جاء به العلم والهدى ينفي أن يكون به ﷺ أدنى مس من الجنون كما زعموا، فما عليهم إلا أن يتفكروا (راجع تفسيرها في ص ٤٥٣ ج ٩)

(١٠) بيان أنه ﷺ لم يعط علم الساعة أيان مرساها ومتى تقوم: بل هو من علم الغيب الخاص بالله تعالى وذلك نص الآية ١٨٧

(١١) بيان أنه صلوات الله وسلامه عليه لا يملك لنفسه - أي ولا لغيره بالاولى - نفعا ولا ضراً - إلا ما مكنه الله منه بتسخير الاسباب من الاعمال الاختيارية - وبيان أنه لا يعلم الغيب مؤيداً بالدليل الحسي والعقلي وذلك قوله تعالى (١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) راجع تفسيرها في صفحة ٥٠٧ - ٥١٦ ج ٩

(١٢) بيان عموم بعثته وشمول رسالته لجميع الامم والشعوب ومنهم أهل الكتاب والشهادة له في كتبهم. يدل عليه في الآية الاولى حذف مفعول (لتنذر به) فهو يدل على العموم، وكذلك الخطاب العام بعده في الامر باتباع الناس ما أنزل اليهم من ربهم وهو القرآن المذكور في الآية الاولى. والنص في ارساله الى أهل الكتاب قوله تعالى فيمن يكتب لهم رحمته (١٥٧ الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الخ وقد بينا في تفسيرها نصوص التوراة والانجيل المشار اليها فيها (ص ٤٢٢ - ٢٩٩ ج ٩ تفسير)

وأما النص الصريح في عموم الرسالة فهو قوله تعالى (١٥٨ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) الآية، وكذا كل خطاب خوطب به بنو آدم في الآيات ٢٥ و١٦ و ٣١ وما بعدها من آيات التشريع العام ولكن هذا كله مشترك بين أمة خاتم النبيين وأمم الانبياء قبله، وأصرح منه في الاشتراك العام ما ترى في أول الكلام في الرسالة العامة

ما ورد في الرسالة العامة والرسل

(١٣) بعثة الرسل إلى جميع بني آدم في قوله تعالى (٣٥ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) الخ ويدل على إرسالهم إلى الامم المختلفة قوله تعالى (٣ وكم من قرية أهلكناها) إلى آخر الآية الخامسة. فالمراد بالقرى الكثيرة أمم الرسل بدليل ما بعده

(١٤) سؤال الرسل يوم القيامة عن التبليغ وسؤال الامم عن الاجابة وهو نص الآية الخامسة

(١٥) جزاء بني آدم على اتباع الرسل وطاعتهم وعلى تكذيبهم إياهم واستكبارهم عن اتباعهم وهو في الآيتين ٣٥ و ٣٦

(١٦) وظيفة الرسل تبليغ رسالات ربهم بشارة وإنذارا قولا وعملا وهو صريح في الآيات : ١ و ٦٢ و ٩٣ و ١٨٨

(١٧) أول ما دعا اليه الرسل توحيد الالوهية بالأمر بعبادة الله وحده ونفي

عبادة إله غيره كما هو صريح في الآيات ٥٩ و ٦٥ و ٧٠ و ٧٣ و ٨٥

(١٨) مجيء الرسل بالبينات من الله تعالى وهي تشمل الآيات الكونية والحجج العقلية كما ترى في الآيات ٧٣ و ٨٥ و ١٠٣ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١٠٨

(١٩) الآيات الكونية التي أيد الله تعالى بها رسله هي حجة له على الامم وهي غير مقتضية للايمان اقتضاء عقليا ولا ملجئة اليه طبعا ، ولو كانت مقتضية له قطعا أو ملجئة اليه طبعا لما يتخلف عنها ، ولكان خلاف مقتضى التكليف المبني على الاختيار ، والملجأ لا يستحق جزاءاً . ونحن نرى في قصة موسى مع فرعون وقومه من هذه السورة وغيرها أن السحرة قد آمنوا إيمانا يقينيا على علم ، وان الجماهير من قومه ظلوا على كفرهم ، ولكن الله تعالى أخبرنا في سورة النمل أنه لما جاءتهم الآية الكبرى قالوا انها لسحر مبين (٢٧ : ١٤ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أي عاندوا موسى عليه السلام عناداً باظهار الكفر بها في الظاهر مع استيقانها في الباطن ، وأن سبب هذا الجحود هو الظلم والعلو والكبرياء في الارض وهذا وصف فرعون وملائه أي كبار رجال دولته إذ من العلوم أن سائر الشعب كان مستذلا ، وهو مقلد للرؤساء لجهله وقد صدقهم في قولهم إن موسى ساحر وإن السحرة كانوا متواطئين معه ولذلك أظهروا الايمان به لأجل إخراج فرعون ورجال دولته من مصر والتمتع بكبرياء الملك بدلا منهم . كما تدل عليه آيات أخرى ولو فهم جمهور الشعب من الآيات ما فهموا لآمن كما آمنوا ، لانه لم يكن لديه من عثوا العلو والكبرياء ما يصرفه عن الايمان ، ولا شك أن السحرة كانوا أكرم منزلة في الدولة من سائر الشعب ولكن كرامتهم لم تكن بالغة درجة العظمة والعلو المانعة لصاحبها من تركها لاجل الحق . وقد امتاز خاتم النبيين ﷺ بأن جعل الله آية نبوته الكبرى علمية لا صعوبة في فهم دلالتها على عامي ولا خاصي على انه أيده في زمنه بعدة آيات كونية

(٢٠) نصيحة الرسل للامم وأمرهم بالحق والفضيلة ونهيهم عن ضدهما كما في الآيات ٦٢ و ٦٣ و ٦٨ و ٧٤ و ٧٩ و ٨٢ و ٨٥ و ٨٦ و ٩٣

(٢١) شبهة الامم على الرسل التي أثارت تعجبهم واستنكارهم هو كون مدعي الرسالة رجلا مثلهم كما في الآية ٦٣ و ٦٩

(٢٢) اتهام الكفار رسل الله بالسحر كما فعل فرعون والملأ من قومه باتهام موسى في الآية ١٠٩ وما يليها من الآيات في قصة سحرة المصريين مع موسى. وهي شبهة جميع أقوام الرسل على آياتهم من حيث ان كلا منهما أمر غريب لا يعرفون سببه، ومن خطأ المتكلمين التفرقة بين المعجزة والسحر باختلاف حال الاشخاص، وقد عقدنا في تفسير الآيات فصلا في حقيقة السحر وأنواعه لا يجد القارئ مثله في شيء من تفاسيرنا وكتبنا الكلامية «وهو في ص ٤٥ - ٦٠ ج ٩»

(٢٣) عقاب الامم على تكذيب الرسل وهو في الآيات ٦٤ و٧٣ و٧٨ و٨٤ و ٩١ و ٩٢ و ١٣٣ و ١٣٦ و ١٣٧

(٢٤) قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. وهي من آية ٥٩ إلى ٩٣ قصة موسى مع فرعون وقومه وسحرته من آية ١٠٣ الى ١٣٧ وقصته مع قومه وحدهم من ١٣٨ — ١٧١ وفيها من العبر والفوائد ماذكر بعضه في أبواب من هذه الخلاصة وبقي ماسبب إنزالها وإنزال غيرها من المقاصد المصرح بها في غير هذه السورة ككونها من أخبار الغيب الماضية الدالة على كون القرآن وحياً من الله تعالى (١١ : ٤٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وكونها تسلية للنبي (ص) عما يلاقي من اعراض المشركين وأذاهم وتثبيتاً لقلبه في النهوض باعباء الرسالة كما قال تعالى (١١ : ١٢٠ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) - وكونها موعظة وذكرى للمؤمنين كما قال تعالى في تتمة هذه الاية (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وكونها عبرة عامة للعقلاء من المؤمنين والكافرين المستعدين للاعتبار كما قال تعالى (١٢: ١١١ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) وغير ذلك مما سنفصله إن شاء الله تعالى في تفسير سورة هود. فقد طال تفسير هذه السورة جداً.

الباب الثالث

عالم الآخرة والبعث والجزاء

(وفيه ١٢ أصلا)

(الاصل الاول) البعث والاعادة في الآخرة وهو قوله تعالى في الآية ٢٥ (ومنها تخرجون) وفي ٢٩ (كما بدأكم تعودون) وفيه دليل على إمكان البعث لأنه كالبدء أو أهون على المبدي، بداهة فكيف وهو القادر على كل شيء بدءاً وإعادة على سواء ـ وفي الآية ٥٧ تشبيه إخراج الموتى باخراج النبات من الارض الميتة بعد إنزال المطر عليها وهذا التشبيه يتضمن البرهان الواضح على قدرة الله تعالى على احياء الموتى بعد فناء أجسادهم ، وقد أطلنا في تفسيرها الكلام في المسألة من الجهة العلمية المتعلقة بالعلوم العقلية والكونية (فتراجع في ص ٤٧٠ ـ ٤٨١ ج ٨)

(الاصل الثاني) وزن الاعمال يوم القيامة وترتيب الجزاء على ثقل الموازين وخفتها وهو في الآيتين الثامنة والتاسعة

(الاصل الثالث) سؤال الرسل في الآخرة عن التبليغ وأثره وسؤال الامم عن إجابة الرسل وهو في الآية السادسة

(الاصل الرابع) كون الجزاء بالعمل وجزاء المكذبين المستكبرين والمجرمين والظالمين ودخول الامم من الانس والجن في النار ولعن بعضهم بعضاً ، وشكوى بعضهم من اضلال بعض والدعاء عليهم بمضاعفة العذاب ومحاورهم في ذلك . راجع الآيات ٣٦ ـ ٤١ و ١٤٧ و ١٧٩

(الاصل الخامس) جزاء المتقين المصلحين في الآية ٣٥ وجزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وإيرأهم الجنة وحالهم ومقالهم فيها وذلك في الآيتين ٤٢ و ٤٣ ـ ومن ذلك قوله تعالى في الزينة والطيبات من الرزق من الآية ٣٢ (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)

(الاصل السادس) إقامة أهل الجنة الحجة على أهل النار في قوله تعالى (٤٣ ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم

حقاً ؟ قالوا نعم) الخ وفي تفسيرها بيان لما في صناعات هذا العصر من إزالة الاستبعاد والاستغراب من تحاور الناس مع بعد المسافات بينهم (راجع ص٤٢٤ ج ٨ تفسير)

(الاصل السابع) الحجاب بين أهل الجنة وأهل النار وهو الاعراف وأهله وتسليمهم على أهل الجنة وخطابهم لأناس يعرفونهم بسيماهم في النار بما يذكرهم بضلالهم في الدنيا وغرورهم بأموالهم الخ وهو في الآيات ٤٦ ـ ٤٩

(الاصل الثامن) نداء أصحاب النار أصحاب الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) وجواب أهل الجنة لهم في الآية ٤٨

(الاصل التاسع) اعتراف أهل النار في الاخرة بصدق الرسل وتمنيهم الشفعاء ليشفعوا لهم، أو الرد إلى الدنيا ليعملوا غير الذي كانوا يعملون. وحكم الله تعالى عليهم بأنهم خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون من القول بأن من كانوا يدعونهم في الدنيا سيشفعون لهم عند الله. وهو في الآية (٥٣)

(الاصل العاشر) الدعاء بخير الآخرة مع الدنيا وهو ما ورد في دعاء موسى عليه السلام من قول الله تعالى حكاية عنه (١٥٦ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة) فهو موافق لما ورد في القرآن تشريعا لهذه الأمة. فغاية دين الله على ألسنة جميع رسله سعادة الدارين كما ترى بيانه في السنة ٤ من الباب السادس

(الاصل الحادي عشر) صفة أهل جهنم (١٧٩ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) الخ، وفي تفسيرنا لها من العلم والحكمة مالا تجد مثله في تفسير ولا في كتاب آخر ـ فراجعه (ص ٤١٨ ج ٩)

(الاصل الثاني عشر) مسألة قيام الساعة وكونها تأتي بغتة وهي في الاية ١٨٧ وفي تفسيرها مباحث مسائل مبتكرة في اشراطها (راجع ص ٤٦١ـ٥٠٧ ج ٩)

الباب الرابع

أصول التشريع وفيه ٩ أصول

(الاصل الاول) بيان أن شارع الدين هو الله تعالى كما في الآية الثانية من السورة، وتقدم في الباب الاول من هذه الخلاصة، وهناك قد ذكر من حيث إنه

حق الرب سبحانه وتعالى ، ويذكر هنا من حيث إنه الاصل الاول من أصول الاحكام التشريعية . والمراد بشرع الدين والتشريع الديني مايجب اتباعه وجوبا دينيا على أنه قربة يثاب فاعله ويعاقب تاركه في الآخرة . وأما التشريع الدنيوي الذي يحتاج إليه الناس في مصالحهم الدنيوية فقد أذن الله تعالى به في الاسلام للرسول ولأولي الامر من المسلمين كما بيناه بالتفصيل الواسع في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) واشترط في هذا الاذن أن يردوا ماتنازعوا فيه من شيء إلى الله ورسوله بالرجوع إلى الكتاب وإلى الرسول في عهده ، وإلى سنته من بعده، كما هو صريح بقية الاية مع بيان علته (راجع تفسيرها في ص ١٨٠ - ٢٢٢ ج ٥ تفسير)

(الاصل الثاني) تحريم التقليد في الدين والاخذ فيه بآراء البشر ، وهو نص النهي في الآية الثانية معطوفا على الامر باتباع ماأنزل إلى الناس من ربهم وهو (ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقد صرح بذلك المفسرون. ومن النصوص في بطلانه الانكار على احتجاج المشركين به في الآية (٢٨ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) الآية (راجع تفسيرها في ص ٣٧٣ ج ٨) وفي الاية ١٧٣

(الاصل الثالث) تعظيم شأن النظر العقلي والتفكر لتحصيل العلم بما يجب الايمان به ومعرفة آيات الله وسننه في خلقه وفضله على عباده فمن ذلك قوله تعالى في آية ٣٣ (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) السلطان البرهان ، فتقييد تحريم الشرك بانتفائه تعظيم لشأنه . ومنه قوله في آخر الآية ١٦٩ (أفلا تعقلون) وسيذكر في الاصل الرابع. ومنه قوله تعالى بعد ضرب المثل للمكذبين بآياته من آية ١٧٦ (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) ومنه قوله في الآية ١٨٤ (أو لم يتفكروا ؟ مابصاحبهم من جنة) وفي الآية ١٨٥ (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شيء) الخ — والآية الجامعة في هذا المعنى قوله تعالى (١٧٩ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها، ولهم آذان لايسمعون بها . أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) وهي شاملة للنظر العقلي المحض ولكل ماكان مصدره الرؤية والسماع وهما أعم وأكثر مصادر العلم

(الاصل الرابع) تعظيم شأن العلم الشامل للعلم النقلي وهو ما أنزل الله من الكتاب والحكمة، وما بينه به رسوله (ص) من سنة، والعلم المستفاد من الحس والعقل، والمراد من العلم هنا متعلق المصدر وهو المعلومات، ففارق ما قبله. ومن الآيات في ذلك قوله في آخر الآية ٢٧ (أتقولون على الله مالا تعلمون) وقوله في آخر الآية ٣١ (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) وهي من النوع الثاني لان موضوع الآية مسألة الامر بالأكل من الطيبات وبالزينة والانكار على من حرمهما وهي من مسائل علم الاجتماع والمصالح البشرية كما فصلناه في تفسيرها (راجع ٣٠٣ ج ٨) وقوله تعالى في آخر آية ٣٣ التي بين فيها أنواع المحرمات العامة (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) السلطان البرهان - وقوله تعالى في آخر آية ١٣٠ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) وهو في زعم آل فرعون وخرافاتهم أن ماينالهم من الحسنات والخيرات فهو حق لهم وأن ماينالهم من السيئات فهو بشؤم موسى وقومه وتطيرهم بهم. والعلم المنفي عنهم هنا هو العلم بسنن الله في طباع البشر والاسباب والمسببات في العالم - وقوله تعالى في حكاية توبيخ موسى (ع ٠ م) لقومه على مطالبتهم إياه بأن يجعل لهم إلها كآلهة الذين رأوهم يعكفون على أصنام لهم من آخر الآية ١٣٨ (إنكم قوم تجهلون) وما علل به الحكم بجهلهم في الآيتين بعدها فهذه جامعة لبيان فضل العلم النقلي والعلم العقلي وذم الجهل بهما معاً فان موسى (ع ٠ م) علل تجهيلهم أولا بعلة عقلية وثانيا بعلة دينية عقلية (فراجع تفسيرهن في ص ١٠٥-١١٥ ج ٩) - وقوله تعالى في الآية ١٦٩ (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه) وهو من العلم النقلي ولكنه أيد بالعقلي في ختم الآية بقوله (أفلا تعقلون)

فهذه الشواهد على هذا الأصل وما قبله المؤيدة بأضعافها في السور الأخرى تثبت تعظيم القرآن لشأن التفكر والنظر والاستدلال لتحصيل العلم بالله وشرائعه المنزلة وبسننه وآياته في خلقه ونعمه على عباده - وتعظيم شأن جميع العلوم النافعة من نقلية وعقلية وهي حجة على نقص أهل الجهل بها .

(الأصلان الخامس والسادس) أمر الناس بأخذ زينتهم عند كل مسجد وبالأكل

والشرب من الطيبات المستلذات ، والانكار على من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وبيان أنها حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا أولا وبالذات بقيد عدم الاعتداء والاسراف فيها ، وان شاركهم غيرهم فيها بعموم فضل الله لا باستحقاقهم ،وانها تكون خالصة لهم في الآخرة ؛ وذلك نص الآيتين ٣١و٣٢ وهذان الاصلان هما الركنان اللذان يقوم عليها بناء الحضارة بعلومها وفنونها وصناعاتها وإظهارها لما في هذا الكون من سنن الله تعالى وآياته وأسرار صنعه الدالة على توحيده وقدرته وحكمته وإحسانه على عباده - وهما المبطلان لأساس الديانة البرهمية من جعل مقصد الدين تعذيب النفس وحرمانها من الزينة واللذة ،وقلدهم في ذلك النصارى وابتدعوا الرهبانية لاجله ولم يقفوا عند حد تقليدهم في الدنيا حتى زعموا أن دار النعيم في الآخرة خالية من اللذات الجسدية وليس فيها إلا النعيم الروحاني خلافا لبعض تصريحات الانجيل من شرب الخمر في الملكوت وكون الصائمين والجياع والعطاش من أجل البر يشبعون هنالك

ولما كان الغلو في الدين كغيره من أمور البشر يقوى الاستعداد له في بعض الناس من كل أمة بدأ بعض الصحابة المبالغين في العبادة بترك أكل اللحم وهمَّ بعضهم بالاختصاء فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وعن المبالغة في العبادة ونزل في شأنهم (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) الايات من سورة المائدة وهي بمعنى ماهنا . ولم يمنع ذلك كله بعض مسلمي المتصوفة من الغلو في ترك الزينة والطيبات ، وصار الجاهلون بكنه الاسلام يعدون الغلو في ذلك هو الكمال في الدين ، وأهله من أولياء الله المقربين ، وإن كانوا جاهلين خرافيين . ويراجع ما في تفسيرنا للايتين من الاحكام والحكم والفوائد ومنها ما لم يكن يخطر في بال أحد من مفسرينا المتقدمين رحمهم الله تعالى (ص٣٦٩ - ٣٩٤ ج ٨)

(الاصل السابع) هداية الناس بالحق والعدل به وقد وصف الله تعالى بذلك خيار قوم موسى عليه السلام في الاية ١٥٩ وخيار أمة محمد ﷺ في الاية ١٨١ فهذا من أصول دين الله العامة في جميع شرائعه. والحق هو الامر الثابت المتحقق في الشرع إن كان شرعيا وفي الواقع ونفس الامر إن كان أمرا وجوديا ،والعدل ما تحري

به الحق من غير ميل إلى طرف من الطرفين أو الاطراف المتنازعة فيه أو المتعلقة به ويدخل في هـذا الأصل الدعوة الى الحق والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة العامة والخاصة والاصلاح بين الناس

ومنه الامر بالعدل المطلق في الاحكام والاعمال بقوله [١٨ قل أمر ربي بالقسط] وهذا هو الاصل العام لجميع الاحكام بين الناس كما قال تعالى في سورة النساء المدنية إذ صار للامة حكم ودولة [وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] وفي سورة النساء والمائدة آيات أخرى في وجوب عموم العدل والمساواة فيه بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والغني والفقير والقريب والبعيد، وقد تقدمت مع تفسيرها. فمن تحرى العدل بغير محاباة وعرف مكانه فحكم به كان حاكما بحكم الله تعالى من غير حاجة إلى نص خاص في الشريعة به فان وجد النص كانت الثقة بالعدل أتم بل لا حاجة مع النص الى الاجتهاد كما ان الاجتهاد المخالف للنص الخاص أو للعدل العام باطل .

(الاصل الثامن) حصر أنواع المحرمات الدينية العامة في قوله تعالى (٣٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) يراجع بيان وجه الحصر في تفسيرها [ص٣٩٤ ـ ٤٠١ ج ٨]

[الأصل التاسع] بيان أصول الفضائل الادبية والتشريعية الجامعة بأوجز عبارة معجزة في قوله تعالى [١٩٩ خذ العفو وأمر بالمعرف واعرض عن الجاهلين] فيراجع تفسيرها من آخر ص ٥٣٣ ـ ٥٣٩ ج ٩

الباب الخامس

فى آيات الله وسننه فى الخلق والتكوين

(وفيه ١٤ أصلا)

(١) خلقُ الله السموات والارض في ستة أيام واستواؤه على عرشه ونظام الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم بأمره، وكون الخلق والامر له وحده، وذلك في الآية ٥٤ وهي تتضمن الترغيب في علمي الفلك والجغرافية

الطبيعية دون علم التنجيم الخرافي ، وقد بلغ أهل الغرب من العلم بذلك مالو ذكر أبسطه وأبعده عن الغرابة في غير هـذا العصر لقال فيه أذكى العقلاء إنه من هذيان المجانين، أو تخيل الحشاسين ، ولا يوجد علم أدل على عظمة الخالق وقدرته وسعة علمه ودقة حكمته من علم الفلك ، وقد كان قومنا العرب في عهد حضارتهم الاسلامية أعلم البشر به فصاروا أجهلهم به

(٢) خلق الله الرياح والمطر واحياؤه الارض به واخراجه الثمرات والخصب وضده وذلك في الآيتين ٥٧و٥٨ وذلك يتضمن الترغيب في العلم بسنن الله تعالى في هـذه المخلوقات كما قلناه فيما قبله لان في العلم بذلك كله من معرفة آيات الله وكمال صفاته ما يعطي متأمله اليقين في الايمان اذا قصده ويغدق عليه نعمه التي منّ عليها بها ويعدّه لشكرها فتجتمع له بذلك سعادة الدارين وقد اتسعت علوم بعض البشر بذلك فاستحوذوا على أكثر خيرات الأرض في بلادهم وبلاد الجاهلين بها الذين أضاع الجهل عليهم دنياهم ودينهم بالتبع لها

(٣) خلقُ الله الناس من نفس واحدة وخلق زوجها منها ليسكن إليها واعداد الزوجين الذكر والانثى للتناسل كما في الآية ١٨٩ وفي قصة جنة آدم ومعصيته وتوبته من الآيات ١٩-٢٥ بعض صفات النشأة البشرية واستعدادها وحالها في سكني الارض

(٤) تفضيل الله تعالى للانسان على من في الارض جميعاً كما أفاده قوله تعالى (١٠ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) وبيان هذه المسألة بالتفصيل في تفسير سورة البقرة لأنها أوسع تفصيلا لما تقتضيه قصة آدم المفصلة فيها والتصريح فيها بجعل آدم خليفة في الارض ، وفي باب التأويل هنالك سبح طويل للاستاذ الامام رحمه الله تعالى لم يسبقه إليه أحد فيما نعلم فيراجع في الجزء الاول من هذا التفسير

(٥) خلق بني آدم مستعدين لمعرفة الله تعالى وإشهاد الرب إياهم على أنفسهم أنه ربهم، وشهادتهم بذلك بمقتضى فطرتهم، ومامنحوه من العقل والفكر، وحجته تعالى عليهم بذلك كما في الآيتين ١٧٢و١٧٣ فيراجع تفسيرهما (في ص ٣٨٦-٤٠٤ ج) وكذا خلقهم مستعدين للشرك وما يتبعه من الخرافات كما في الاية الثانية منهما والاية ١٩٠

(٦) ضرب المثل لاختلاف استعدادالبشر لكل من الخير والشر والبر والاثم وعلامة كل منهما فيهم وكونهم يعرفون بثمارهم، وذلك قوله تعالى (٥٧ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) ، وفيه إرشاد الى طلب معرفة الشيء بأثره، ومعرفة الأثر بمصدره ، وفيه دليل على ان في الاشياء خبيثاً وطيباً، وجيداً ورديئاً. ويؤيده حديث «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» إلخ وهو في الصحاح وغيرها

(٧) الكلام في إبليس وهو الشيطان وعداوته لآدم وامتناعه من السجود له ووسوسته له ولزوجه بالاغراء بالمعصية بالأكل من الشجرة وعاقبة ذلك . وهو في الآيات ١١ ـ ٢٣ وكونه من المنظرين إلى يوم القيامة

(٨) عداوة إبليس والشياطين من نسله لبني آدم وتزيينهم لهم الشر والباطل واغرائهم بالفساد والمعاصي وحكمة ذلك ، وهي في الآيات ١٦ و١٨ و٢٠ ـ ٢٢ و٢٧ وتحذيرهم منه في الآية ٢٦ مع بيان أنه يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونهم

(٩) نزغ الشيطان للانسان ومقاومته بالاستعاذة بالله تعالى وكون المتقين اذا مسهم طائف منه تذكروا فاذا هم مبصرون لا تطول غفلتهم فيغرهم وسواسه وذلك في الآيتين ٢٠٠ ـ ٢٠٢

(١٠) بيان أن الشياطين أولياء المجرمين الذين لا يؤمنون من بني آدم وهو في فاصلة الآية ٢٧ وبيان أن اخوان الشياطين من بني آدم يمكنون الشياطين من انفسهم بعدم تقواهم فهم يمدونهم في الغي ولا يقصرون فيه وذلك نص الآية ٢٠٢

قد سبق الكلام في تفسيرنا هذا على مباحث الشياطين والجن في عدة مواضع قد أحلنا عليها في تفسير آيات الاعراف وزدنا على ذلك بعقد فصل استطرادي في حكمة خلق الله تعالى الخلق، واستعداد الشيطان والبشر للشر. فراجع في (ص ٣٤٠ ـ ٣٤٤ ج ٨)

(١١) منة الله على البشر بتمكينهم في الارض وتسهيل أسباب المعايش لهم كما في الآية ١٠ ومن الشكر الواجب له تعالى على ذلك طلب سعة العلم باستعمار الارض ووسائل المعايش

(١٢) منة الله على البشر باللباس والزينة كما في الاية ٢٦ وراجع في ذلك الاصلين ٥ و ٦ من الباب الرابع من هذه المخلاصة

(١٣) صفات شرار البشر المستحقين لجهنم وهم الذين أهملوا استعمال عقولهم وحواسهم فيما خلقت لأجله من العلم والحكمة - وذلك نص الاية ١٧٩ وذكرت في أصل الجزاء في الآخرة (وهو ١١ من الباب الثالث) وفي تعظيم شأن النظر والتفكر لتحصيل العلم (وهو الاصل ٣ من الباب ٤)

(١٤) آياته تعالى ونعمه على بني اسرائيل وتراجم في قصة موسى معهم

الباب السادس

في سنن الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري

(وفيه ٧ أصول)

(١) اهلاك الله الامم بظلمها لنفسها ولغيرها كما في الآيتين ٣ و ٤ ومصداقه في خلق آدم الذي هو عنوان البشرية وجعله تعالى المعصية بالأكل من الشجرة ظلماً للنفس في الاية ١٩ واعتراف آدم وحواء في دعاء توبتهما بذلك في قولهما (ربنا ظلمنا أنفسنا) وبأن شأن المعصية من الافراد أن تغفر بالتوبة فيعفى عن عقابها وهو خسران النفس كما في قولهما (وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وأما خسارة الامم فهي إضاعة استقلالها وسلطان أمة أخرى عليها تستذلها. وجملة ذلك أن العقوبة أثر طبيعي لازم للعمل وأن ذنوب الامم لابد من العقاب عليها في الدنيا قبل الآخرة، وأما ظلم الافراد وعقابهم عليه في الآخرة فيراجع في الاصل ٤ من الباب الثالث

(٢) بيان أن للأمم آجالا لا تتقدم ولا تتأخر عن أسبابها التي اقتضتها السنن الالهية العامة، وهو نص الآية ٣٤ وكونها اذا كانت جاهلة بهذه السنن تؤخذ بغتة وعلى غفلة ليلا أو نهاراً كما يؤخذ من الآيات ٩٤ — ١٠٠ وهذه الآيات وردت في عقاب الامم التي عاندت الرسل وكان عقابها وضعياً لا اجتماعيا — وقد سبق لنا في هذا التفسير أن العقاب الالهي للافراد وللامم نوعان (أحدهما) العقاب بما توعد تعالى به على مخالفة رسله ومعاندتهم وهو من قبيل عقاب الحكام لرعاياهم على مخالفة شرائع أمتهم وقوانينها ونظمها (وثانيهما) العقاب الذي هو أثر طبيعي للجرائم وهو من قبيل ما يعاقب به المريض على مخالفة أمر طبيبه في معالجته له من الحمية والاقتصار

على كذا من الغذاء والتزام كذا من الدواء . (راجع ص ٣٠٨ ج ٧ تفسير)

(٣) ابتلاء الله الامم بالبأساء والضراء تارة وبضدها من الرخاء والنعماء تارة أخرى، فاما أن تعتبر بذلك فيكون تربية لها وإما أن تغبى وتغفل فيكون مهلكة لها كما في الآيات ٩٤ وما بعدها مما تقدم الكلام عليه في السنة الثانية من وجه آخر

(٤) بيان أن الايمان بما دعا الله اليه والتقوى في العمل بشرعه فعلا وتركا سبب اجتماعي طبيعي لسعة بركات السماء والارض وخيراتها على الامة كما في قوله تعالى (٩٦ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) وهو موافق لآيات أخرى في سورة أخرى [منها] الاية ٥٢ من سورة هود [١١] والآيات ١٢٣ - ١٢٧ من سياق بيان سننه تعالى في النشأة البشرية من سورة طه ومثله في الآيات ١٠ - ١٢ من سورة نوح والآيتين ١٦ و١٧ من سورة الجن بعدها وغيرها ، وقد بينا وجه ذلك في التفسير والمنار ومنه تحقيق معنى التقوى واختلافها باختلاف مواضعها من أمور الدين والدنيا في مقالة عنوانها (عاقبة الحرب المدنية) نشرت في ج ٧ م ٢١

[٥] استدراجه تعالى للمكذبين والمجرمين واملاؤه لهم كما في الآيتين ١٨٢ و١٨٣ وهو في معنى ماسبقه من سنة أخذ الله للأمم بذنوبها ومن سنة ابتلائها بالحسنات والسيئات فان من لا يعتبر بذلك ولا يتربى يصر على ذنبه ولا يرجع عنه وذنوب الامم لابد من العقاب عليها - راجع تفسير الآيتين في ص ٤٥١ و٤٤٩ ج ٩ ففيه بيان هذه السنة موضحا

(٦) سنة الله في ارث الارض واستخلاف الامم فيها والاستيلاء والسيادة على الامم والشعوب . فقد بين الله تعالى لنا في قصة موسى مع قومه أن وطأة فرعون وقومه اشتدت على بني اسرائيل وصرح بوجوب الاستمرار على تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم لأجل أن تنقرض الامة بعد استذلال من يبقى من النساء إلى أن ينقرض الرجال وما ازدادوا إلا ذلا وخنوعا - وهم مئات الالوف - كما هو شأن الشعوب الجاهلة المستضعفة ولكن الله تعالى أمر رسوله موسى أن يمنع ذلك اليأس من قلوبهم بقوة الايمان بما حكاه عنه بقوله (١١٨ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ، إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أي

بين لهم أن الارض ليست رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم وانما هي لله ، وله سبحانه وتعالى سنة في سلبها من قوم وجعلها إرثاً لقوم آخرين بمحض مشيئته وسلطانه ، ومدار هذه السنة على أن العاقبة في التنازع بين الامم على الارض التي تعيش فيها أو تستعمرها المتقين ، أي الذين يتقون أسباب الضعف والخذلان والهلاك كاليأس من روح الله والتخاذل والتنازع والفساد في الارض والظلم والفسق ، ويتلبسون بضدها وبسائر ماتقوى به الامم من الاخلاق والاعمال ، وأعلاها الاستعانة بالله الذي بيده ملكوت كل شيء والصبر على المكاره مهما عظمت ، وهذان الامران هما أعظم ماتتعاضل به الامم من القوى المعنوية باتفاق الملاحدة والملليين من علماء الاجتماع وقواد الحروب

وقد تكررت هذه القاعدة في القرآن الحكيم وفي معناها قوله تعالى من سورة الانبياء [٢١ : ١٠٥ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون] وانما الصالحون هم الذين يصلحون لاقامة الحق والعدل وسائر شرائع الله وسننه في العمران ، وهي بمعنى مايسميه علماء الاجتماع « بقاء الاصلح أو الامثل في كل تنازع » ويدل عليه المثل المشهور في سورة الرعد [١٣ : أنزل من السماء ماء — إلى قوله — فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض]

ومن العجيب أن ترى بعض الشعوب الاسلامية المستضعفة في هذا العصر بسيادة الاجانب عليها يائسة من استقلالها وعزتها بل من حياتها الملية والقومية بما ترى من خفة موازينها ورجحان موازين السائدين عليها في القوى المادية والآلية واستذلال هؤلاء السائدين عليها لها ، جهلا منها بسنة الله تعالى التي بينها في هذه الآية وغفلتها عن كون رجحان قوى فرعون وقومه على بني اسرائيل وقهره لهم كانا فوق رجحان قوى سائديها عليها وقهرهم إياها ، وفي هذا العصر من العبر التاريخية بسقوط بعض الدول القوية مالا يقل عن العبرة بأحداث التاريخ القديم

ثم بين لنا تعالى في الآية التالية لتلك الاية [١٢٩] أن موسى عليه السلام شكا له قومه إيذاء فرعون وقومه لهم قبل مجيئه وبعده على سواء فذكر لهم ماعنده من الرجاء باهلاك ربهم لعدوهم واستخلافهم في الارض الموعودين بها ليختبرهم

فينظر كيف يعملون، ويكون ثبات ملكهم وسلطانهم على حسب عملهم الذي تصلح به الارض وأهلها أو تفسد : وهو ما فصله تعالى لنا بعد ذلك في آيات أخرى منها في إفسادهم قوله تعالى [١٧ : ٤ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض] إلى تتمة الآية الثامنة

ثم بين لنا تعالى في الآية ١٣٧ من هذا السياق أنه أورثهم الارض المباركة وتمت كلمته الحسنى عليهم [بما صبروا] أي لا بمجرد آيات الله لموسى وما أيده به ، فعلم منه بالفعل أن الامة المستضعفة مهما يكن عدوها الظالم لها قويا فليس لها أن تيأس من الحياة . وهو تحقيق لرجاء موسى هنا ولوعد الله إياه بذلك صريحا في قوله من سورة القصص [٢٨ : ٥ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض] الاية

ترى شعوب المسلمين يجهلون هذه السنن الالهية وماضاع ملكهم وعزهم إلا بجهلها الذي كان سببا لعدم الاهتداء بها في العمل، وما كان سبب هذا الجهل إلا الاعراض عن القرآن ودعوى الاستغناء عن هدايته بما كتبه لهم المتكلمون من كتب العقائد المبنية على القواعد الكلامية المبتدعة وما كتبه الفقهاء من أحكام العبادات والمعاملات المدنية والعقوبات والحرب وما يتعلق بها، وهذه السورة الجليلة الكبيرة القدر والفوائد (الاعراف) خالية من هذه الاحكام كلها، ومن نظريات المتكلمين في العقائد وتقريرهم لها ، وكذلك غيرها من السور المكية . فهل أنزل الله تعالى هذه السور كلها للتعبد بتجويد ألفاظها بدون فهم ، أو لاتخاذها رقى وتمائم ، وكسبا لقراء المآتم ؟

وأعجب من هذا كله أن الجهل بلغ بهم بعد ذلك أن ظهر فيهم فريق خصم لهذا الفريق المقلد المحافظ على كتب القرون الوسطى دون هدي السلف، خصم يقول إن دين الاسلام هو السبب في جهل المسلمين وضعفهم ولا حياة لنا إلا باقتباس علم الاجتماع وسنن العمران من الامم غير الاسلامية التي سادتنا بهذه العلوم وما يؤيدها من الفنون والصناعات، وهؤلاء أجهل بالاسلام من أولئك ، فكتاب الاسلام هو المرشد الاول لسنن الاجتماع والعمران، ولكن المسلمين قصروا في طور حياتهم العلمية عن تفصيل ذلك بالتدوين لعدم شعورهم بالحاجة اليه، وكان حقهم في هذا العصر أن

يكونوا أوسع الناس به علما لان كتاب الله مؤيد للحاجة بل الضرورة التي تدعو إليه

(٧) إن سنة الله في الامم التي ترث الارض من بعد أهلها الاصلاء هي سنته تعالى في أهلها ، فاذا كان هؤلاء قد غلبوا عليها بسبب ظلمهم وفسادهم وجهلهم وعمى قلوبهم ، فكذلك يكون شأن الوارثين لها من بعدهم اذا صاروا مثلهم في ذلك ، وذلك قوله تعالى (١٠٠ أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وكنا نرى الذين ورثوا ممالك المسلمين متعظين بمعنى هذه الآية من بعض الوجوه فهم على كثرة ذنوبهم بالظلم وافساد العقائد والاخلاق وسلب الاموال يتحرون أن يكون ظلمهم دون ظلم حكام أهل البلاد الذين أضاعوها ، وعقولهم تبحث دائما في الاسباب التي يخشى أن تكون سببا لسلبها منهم لاجل اتقائها ، وآذانهم مرهفة مصيخة لاستماع كل خبر يتعلق بأمرها وأمر أهلها وشؤون الطامعين فيها حذراً منهم أن يسلبوهم اياها

وقد قلنا في تفسير هذه الاية : قد كان ينبغي للمسلمين وهذا كتابهم من عند الله عز وجل أن يتقوده تعالى باتقاء كل ماقصه عليهم من ذنوب الأمم التي هلك بها من كان قبلهم ، وزال ملكهم ، ودالت بسببها الدولة لأعدائهم — إلخ ماتراه في ص ٣٠ و ٣١ ج ٩

هذا ماافتتح الله به علينا من أصول وأمهات هداية هذه السورة الجليلة بمراجعتها المرة بعد المرة مروراً على الآيات بالنظر ، ولو أعدنا قراءتها مع قراءة تفسيرها بالتدبر لظهر لنا أكثر من ذلك وانما أردنا التلخيص ، ونسأله تعالى أن يجعلها هي وسائر كتابه المجيد حجة لنا لا علينا ويوفق أمتنا للرجوع الى الاهتداء به بالتوبة اليه كما تاب أبوهم وأمهم عليهما السلام

تنبيه

قد وقع خطأ في عدد آيات هذه السورة بالنسبة الى عدد المصحف الجديد الذي طبعته الحكومة المصرية والفرق بينهما آية واحدة من أول السورة إذ عدت فيه (المص) آية ولم نعدها آية — ثم وافقنا عدده من الاية ١٦٧ الى آخر السورة . وقد اعتمدنا في شواهد خلاصة السورة على عدد المصحف لا التفسير لأننا استنبطناها من مراجعة المصحف نفسه غالبا فليعلم هذا ويتذكر عند مراجعة شواهد التفسير

فتاوى المنار

أسئلة من البحرين في الأئمة والمذاهب وما يجب على العامي

(س ٧ — ١٠) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

هل يقال إن شيخ الاسلام ابن تيمية أعلم من الائمة الاربعة أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ، وهل يجوز للعامي ألا يتمسك بمذهب من المذاهب الاربعة وألا يقلد اماما من الائمة الاربعة وأن يكون مذهبه مذهب من أفتاه ، وأن يلقب نفسه محمديا ، ويوما يسأل عالما شافعياً ويعمل بقوله ، ويوما يعمل بفتوى مالكي ، ويوما بفتوى حنبلي ، ويتبع الرخص في مسائل العبادات

وهل يجوز له اذا أفتاه عالم من المسلمين من الفقه أن يقول ما أقبل الفقه أقبل الكتاب والسنة فقط . أفتونا على ذلك ولكم من المولى جزيل الثواب

لمخلصكم خليل الباكر

[أجوبة المنار]

(١) هل ابن تيمية أعلم من الائمة الاربعة

إن لائمة الفقه الاربعة المتبعين فضلا على الشيخ أحمد تقي الدين ابن تيمية لانه لم يصر فقيها إلا باطلاعه على فقههم ، كما أن لائمة الحديث كاحمد والشيخين وأصحاب السنن الاربع وغيرهم فضلا عليه بأنه لم يكن محدثا إلا بكتبهم . ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصح منه فهما للكتاب والسنة فيما اعتقد لان اللغة العربية كانت لهم سليقة لاصناعة فقط كعلماء عصره ، وهو قد بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ، واطلع على مالم يطلعوا عليه كلهم من الاخبار والآثار لانه اطلع على ماروووه وعلى غيره وحفظه وعرف ماقالوه هم وما قاله غيرهم من أقرانهم في أسانيدها وفي معانيها فهو في فتاويه يذكر خلاف الائمة المجتهدين في المسألة وأدلة كل منهم ويمحص هذه الادلة فيبين الراجح منها بالدليل ، فمن تأمل فتاويه بنظر الانصاف يرى أن مارجحه هو الحق في الغالب كما ترى في رسالة أحكام السفر التي

خالف فيها الائمة الاربعة في بعض المسائل كتحديد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ويباح الفطر ووافقه من جاء بعده من فقهاء الحديث المستقلين كالشوكاني

ثم انه قد حدث بعد الائمة الاربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثياب زور عزيت إلى الدين ، فاتبعها خلق كثير من المسلمين ، منها ماجاء من شبهات الفلسفة ومنها ماجاء من تصوف الهنود ، ومنها ماكان من أوضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية الخ ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هذه البدع وشبهاتها ومنتحليها ، ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامي والاستدلال على بطلانها ، ولم يكن الائمة يعرفون ذلك كله لانه لم يكن في زمنهم الا بعضها ، فالامة الاسلامية محتاجة الى شيء من علوم ابن تيمية لاتجده في شيء مما روي عن الائمة رضي الله عنهم أجمعين وأهمه بيانه لحقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ودحض شبهات أهلها

مع هذا كله لاينبغي لاحد أن يقول ان ابن تيمية كان أعلم من هؤلاء الائمة هكذا على الاطلاق لما فيه من الدعوى بأنه أي القائل من طبقتهم أو أعلم منهم ، ولذلك قدر أن يرجح بعضهم على بعض ، ولما فيه أيضا من اثارة الخلاف والشقاق بينه وبين أتباعهم وهم سواد المسلمين الاعظم مما هو في غنى عنه ان لم يكن صاحب هوى ، ولان الله تعالى قد نفع بعلمهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به ، وهذا أمر عظيم مثاله في المتأخرين الشيخ محمد عبدالوهاب وأولاده وأحفاده الذي يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسلام ، ولكن جده هو الذي هدي الى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذي هو أساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الالوف ومئات الالوف الى دين الله الخالص وكان أولاده وأحفاده — ومنهم الشيخ عبد اللطيف هذا — من بعض حسناته وله مثل أجورهم كلهم رحمهم الله أجمعين.

(٢) هل يجوز لعامي ترك تقليد كل من الاربعة الخ

زعم بعض المقلدين من المتكلمين والفقهاء أنه يجب على جميع المسلمين تقليد أحد هؤلاء الاربعة في الاحكام الدينية العملية من العبادات والمعاملات ، وزاد بعضهم

تقليد الشيخ أبي القاسم الجنيد امام الصوفية كما قال اللقاني في عقيدته (جوهرة التوحيد)

ومالك وسائر الائمة كذا أبو القاسم هداة الامة

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

قالوا كما قال هو في شرحه انه أراد بسائر الائمة الثلاثة ـ أبا حنيفة والشافعي وأحمد. وهذا ما عليه جمهور متأخري العلماء الرسميين من أهل الازهر ومن على شاكلتهم في سائر الامصار الا من آتاه الله حظا من الاستقلال في العلم والنظر في الادلة واتباع ما تقوم عليه الحجة ، وكنا نسمع هذا من مشايخنا منذ أول عهدنا بطلب العلوم الدينية ، وكانوا يحتجون على ذلك بأن هؤلاء الائمة هم الذين دونت مذاهبهم وبسطت فيها المسائل وكثرت الفروع بحيث يجد الناس فيها جميع ما يحتاجون اليه دون غيرها ، وكل هذا غير صحيح فان للظاهرية كتبا مدونة ولا سيما الامام أبي محمد ابن حزم وهم من أهل السنة ، وكذلك الشيعة الزيدية والشيعة الامامية والاباضية قد دون فقه مذاهبهم في مجلدات كثيرة

هذا وما ذكروه ليس متفقا عليه عند علماء القرون الوسطى ومن بعدهم ممن صرحوا بوجوب التقليد ، بل قال بعضهم بجواز تقليد غيرهم من الائمة كالليث بن سعد وداود الظاهري وسفيان الثوري واسحاق بن راهويه ومحمد بن جرير الطبري وسفيان بن عيينة — كما تراه في حاشية الشيخ ابراهيم الباجوري شيخ الازهر في عهده على الجوهرة . وقد ذكر هو وغيره أنهم استدلوا على أصل وجوب التقليد ـ الذي حصره بعضهم في الاربعة بالعلة المتقدمة ـ بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) قال فأوجب التقليد على من لم يعلم ويترتب عليه الاخذ بقول العالم وذلك تقليد له ..

وأقول إن هذا الاستدلال ظاهر البطلان فان من لا يعلم حكم الله تعالى في مسألة يجب أن يسأل عن النص فيها من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ لا عن رأي أحد الاربعة أو غيرهم والاجتهاد ظن المجتهد في المسألة الذي أداه اليه بذل الجهد في البحث عنها ، وهو ساقط الاعتبار مع وجود النص بغير خلاف ، ولا يجب على أحد من خلق

الله أن يدين الله بظن غيره والتقليد أن تأخذ بقول لم تعرف له دليلا ، وما المانع أن يقال إن الجاهل يسأل عن نص الشارع الذي كلف اتباعه فان لم يوجد سأل المجتهد عن ظنه وعن الدليل الذي استنبطه منه ، فاذا اقتنع به واطمأن قلبه أخذ به والا فلا ، فقد روي احمد من حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه مرفوعا « البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب ، وان أفتاك المفتون » حديث حسن وروى احمد والبخاري في التاريخ من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله (ص) وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والاثم الا سألته عنه . فقال لي « ادن يا وابصة » فدنوت حتى مست ركبتي ركبته فقال « يا وابصة أخبرك ما جئت تسأل عنه أو تسألني ؟ » فقلت يارسول الله اخبرني . قال « جئت تسألني عن البر والاثم » قلت نعم ، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول « يا وابصة ! استفت نفسك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » وفي طريق اسناده مقال ورواه احمد من طريق آخر باختصار . وهذا المعنى مروي عن غيرهما من الصحابة وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعا « البر حسن الخلق والاثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » وأخرجه النووي في الاربعين وقد أورد الحافظ ابن رجب في شرحه له حديث وابصة وتكلم على طرقه ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن النبي (ص) من وجوه متعددة وبعض طرقه جيدة فخرجه الامام احمد وابن حبان في صحيحه من طريق يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي امامة قال قال رجل يارسول الله ما الاثم ؟ قال « اذا حاك في صدرك شيء فدعه » وهذا اسناد على شرط مسلم الخ ثم ذكر رواية احمد لحديث أبي ثعلبة المار باسناد جيد . والمراد من اطمئنان القلب هنا ما يعبر عنه في هذا العصر بالوجدان وراحة الضمير ، وعليه المعول في المشتبهات بين الحلال والحرام دون البين منها كما في حديث « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في

الشبهات وقع في الحرام » الحديث رواه الجماعة كلهم من حديث النعمان بن بشير وان من الجاهلين من يقترف المعصية أو يطلق امرأته ثم يستفتي أحد العلماء ويحرف له القول ليفتيه بما يوافق هواه فان أفتاه بما يحلل له المعصية كأكل مال غيره بالباطل أو معاشرة مطلقته معاشرة الازواج فعل وان كان قلبه غير مطمئن للفتوى ظانا أن الله يعذره بفتوى المفتي كما يفعل الحكام في الدنيا

ألا فليعلم كل مسلم أن المفتي ليس شارعا للدين وان كان مجتهداً وانما وظيفته بيان حكم الله الذي أنزله في كتابه أو بينه على لسان رسوله (ص) فاذا لم يكن في المسألة نص عنهما فليس له أن يحمل الناس على أن يدينوا الله ويعبدوه بمقتضى رأيه واجتهاده الذي هو ظن من ظنونه فضلا عن حمله اياهم على العمل برأي غيره مما يقرأه في الكتب ، ولم يكن أحد من الائمة المجتهدين بحق ولا سيما الاربعة يأمر الناس بالعمل باجتهاده وتقليده في رأيه وفهمه ، وانما كانوا يبينون للناس ما يفهمون من نصوص الشارع بطرق الدلالة المعروفة عندهم ، فمن وافق فهمه فهم أحد منهم فعمل به كان عاملا بما اعتقد أن الله شرعه له ، ومن لم يوافقه تركه وعده كأن لم يكن وليس له أن يدين الله تعالى به والنصوص عنهم في ذلك مشهورة سبق لنا نقل ما يكفي منها في (محاورات المصلح والمقلد) وغيرها ولا سيما ما نقلنا بعد ذلك عن كتاب (إعلام الموقعين) للمحقق ابن القيم وسيأتي بعضها

قال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك) الآية . وقال (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟) وقال في أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فقال عدي بن حاتم عند ما سمعها وكان نصرانيا فأسلم يارسول الله انهم لم يكونوا يعبدونهم ؟ فبين له (ص) أن المراد بها انهم كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم . فاعترف بذلك ، وما كان يفعله علماء اليهود والنصارى من التحليل والتحريم والقول في دين الله برأيهم وفهمهم للتوراة والانجيل من غير أن يكون نصاً ظاهراً في الحكم فعله كثير من علماء المسلمين المقلدين فاتبعهم العوام فيه حتى صارت الجرأة على التحليل

والتحريم موضع العجب والاستغراب عند العقلاء المستقلين بل صار العوام يحلون ويحرمون ، وليس لاحد حق في التحليل والتحريم على العباد إلا ربهم تبارك وتعالى ولكن كان ذلك وهو مصداق ماصح عنه ﷺ من اتباع هذه الامة سنن من قبلها شبراً بشبر وذراعا بذراع . حتى انهم حرموا كثيراً من العلوم والفنون والصناعات التي تعز بها الامم وتقوى ، والمنافع العامة التي تدل نصوص الكتاب والسنة على إباحتها كامتنانه تعالى علينا بتسخيره جميع مافي الارض لمنافعنا ، وقوله ﷺ فيما رواه الدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني وحسنه « إن الله فرض فرائض فلا تعتدوها ، وحد حدوداً فلا تقربوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ويؤيده مارواه البزار في مسنده والحاكم من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « ماأحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى » ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيا) ويدخل فيما أحله الله وحرمه ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكله مستنبط من كتاب الله وبيان له كما يقول الامام الشافعي رضي الله عنه وغيره أو لانه بوحي آخر غير القرآن كما يقول آخرون ، أو لان الله تعالى أذن له بالتشريع باجتهاده كما فهم بعضهم من حديث « إلا الاذخر »

هذا وإن ماورد في الكتاب والسنة من أمور الدين المحضة كالعقائد والعبادات والحلال والحرام فهو قسمان : قسم قطعي الرواية والدلالة وهو التشريع العام الذي يجب على كل مسلم الاخذ به ، ويجب على أئمة العدل إلزام الناس إياه ، وقسم ليس كذلك وهو محل الاجتهاد ، فمن فهم منه حكما اعتقد أنه مراد الله تعالى ولو بواسطة بيان غيره من العلماء له وجب عليه العمل به دون من لم يفهم ذلك ولم يعتقده استقلالا ولا تبعاً وليس للأئمة أن يجعلوه تشريعاً عاما . كما يؤخذ ذلك من سنة الرسول ﷺ وعمل أصحابه حين نزل قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) وقد وضحنا هذا في مقدمتنا لكتاب المغني في الفقه وبناء على هذا كان مايجب على كل فرد من أفراد المسلمين

عوامهم وخواصهم وجوبا عينيا معلوما كله أو جله منتشراً بين الناس في عصر السلف الصالح لفلته وجلائه فقد كان النبي ﷺ وأصحابه يلقنون الاعرابي دينه وما يجب عليه في مجلس واحد — فكان ما يحتاج العامي إلى سؤال العلماء عنه قليل ، وانما كانوا يسألونهم عن حكم الله لا عن آرائهم واجتهاداتهم ، ومن المعلوم من تاريخهم وسيرتهم بالقطع أن أحدهم كان يسأل في كل أمر يعرض له من يلقاه من أهل العلم ولم يكن أحد يلتزم عالما بعينه لا يأخذ عن غيره : وكان علماء السلف يجيبون كل سائل بما يعلمون من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم صاروا في عصر التابعين يذكرون ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في المسألة أو علماؤهم المشهورون اذا كان فيها خلاف ، وقد دون رواة السنة وحفاظها ما رووه من أقوال الصحابة وأعمالهم تبعا لتدوين حديث رسول الله ﷺ وعدوا اجماع الصحابة حجة شرعية دون أقوال أفرادهم إلا من احتج باجماع الخلفاء الراشدين

هذا وإن مدار الاجتهاد على القياس ومن أئمة الشرع من ينكره البتة ومنهم من لا يقول إلا بما كانت علته منصوصة وما قطع فيه بنفي الفارق ومنهم من يدخل هذا المعنى في مدلول النص ، ومنهم من منعه في التعبدات . فعلى هذه الاقوال كلها لا تثبت عبادة مستقلة باجتهاد المجتهد فلا حاجة بمسلم إلى تقليد أحد في مذهبه وإنما يأخذ الجاهل عن العلماء ما أوجبه الله وما حرمه عليه بنصوص الكتاب والسنة القطعية الثبوت والدلالة كما تقدم ـ هذا هو الضروري فاذا وجد سعته لطلب العلم واقتنع ببعض الظنيات العملية اخذ بها

وإنما يثبت الاجتهاد في المعاملات والقضاء وسياسة الحكام بنص حديث معاذ المشهور فاذا قال علماء السنة انه يتعين على الحكام في هذه الازمنة الاعتماد على هذه المذاهب المدونة في الاحكام القضائية والسياسية والحربية لانهم يجدون أكثر ما يحتاجون اليه فيها كان لقولهم هذا وجه في الجملة ـ وأما القول التفصيلي في ذلك فهو أنه لا يمكن ادارة حكومة اسلامية الا بعلماء مجتهدين يستفيدون من علم الأئمة المتقدمين ويزيدون على ذلك ما تضطرهم اليه حالة هذا الزمان بما تجدد للبشر فيه من أمور المعايش والسياسات والمعاملات مع الامم الاخرى ، الا ان

وجد حكومة صغيرة في عزلة عن العالم كله فانها يمكنها أن تلتزم أحكام مذهب معين لاتحتاج الى غيره كما هي حالة أهل نجد في نجدهم وأهل اليمن في يمنهم دون من خرج منهم للتجارة في الهند أو العراق أو مصر أو سورية دع من اتسعت تجارته فبلغ بها أوربة

هذا وان بعض علماء القرون الوسطى الذين زعموا وجوب تقليد واحد من الائمة الأربعة دون غيره لم يوافقهم جميع أقرانهم في زمنهم ولا فيما بعده . قال الباجوري في شرحه بيت الجوهرة المتقدم : وقال بعضهم لايجب تقليد واحد بعينه بل له أن يأخذ فيما يقع له بهذا المذهب تارة وبغيره أخرى فيجوز صلاة الظهر على مذهب الامام الشافعي وصلاة العصر على مذهب مالك وهكذا . ثم ذكر ان بعضهم جوز تقليد الاربعة في غير الافتاء كما قال

وجائز تقليد غير الأربعة * في غير إفتاء وفي هذا سعة

والحاصل أن التقليد باطل بنص القرآن والعمل به مفض الى إضاعة الدين لأن من طبع العوام تقليد من يثقون به في كل زمان ومكان وأنى لهم بتمييز الامام المجتهد من غيره وإننا نرى الملايين ممن ينسبون الى المذاهب المعروفة يأخذون بأقوال رجال من الجهلة الدجالين أدعياء طرق التصوف وأدعياء الفقه أيضاً لتلبيسهم عليهم بالدعاوي الباطلة وإظهار التدين أو بعض الغرائب التي يسمونها كرامات حتى صار الشرك الصريح من أصول عقيدة الدين والتوحيد المحض من الكفر المنكر بدعوى انه احتقار لأولياء الله تعالى وإنكار لكرامتهم الخ ماشرحناه مراراً فلا محل هنا لاعادته

فالواجب أن يعلم الناس دينهم كما كانوا يعلمون في الصدر الاول من الاسلام يلقن العوام عقيدتهم من الكتاب والسنة وكذا عباداتهم وما أحل الله لهم وحرم عليهم ويجعل تعليم هذا على درجتين الأولى المجمع عليه الذي كان يقال فيه انه معلوم من الدين بالضرورة بحيث يعد جاحده غير مسلم . والثاني ما قويت أدلته من مسائل الخلاف وكان عليه جمهور السلف بحيث كانت تعد مخالفته شذوذا ، مهما يكن المخالف فيه جليلا ، وأرى بعد اختبار حال المسلمين منذ ثلث قرن أنه لا يمكن أن يعرف جمهورهم حقيقة دينهم إلا بهذه الوسيلة التعليمية وانني

أعلم أن الملايين من المنتسبين الى هذه المذاهب المدونة الاربعة وغيرها يقلون سنة بعد سنة ، واعلم ان أكثرهم لا يعرف ضروريات المذهب معرفة صحيحة وانما يعرف في الغالب منه أضر ما فيه وهو بعض مسائل الخلاف بينه وبين المذاهب الاخرى في بلده أو قومه فان الاصل في الدين الوحدة والاتفاق وأضر ما في تعدد المذاهب الاختلاف والافتراق (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فعلم من هذا ان أكثر الناس اذا قالوا نحن شافعية أو مالكية مثلا يكذبون لأنهم ليسوا على مذهب من ورثوا الانتساب الى مذهبه عن آبائهم لا في العلم ولا في العمل لانهم قلما يعرفون منه إلا بعض مسائل الخلاف في مسائل اجتهادية ليست من أمور الدين القطعية ولا يضر أحداً جهلها ولا العمل بقول أي إمام فيها كما وضحناه في (محاورات المصلح والمقلد) وكذا في مقدمتنا لكتاب المغني الشهير التي جعلناها في أول الجزء الاول منه ونشرناها في المنار فليراجعها السائل . فاذا قال من هذه حاله انه محمدي أي من أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم فلا بأس بذلك ولكن ليس له أن يحتقر هذه المذاهب التي قامت على أساسها حضارة الدول الاسلامية كلها ووجدها تشريع للاسلام كان يمكن للمسلمين الاستغناء بمواصلة الاجتهاد فيه عن قوانين جميع الامم التي مازال يقلدها بعض الدول الاسلامية ويبعد عن التشريع الاسلامي حتى انتهى بعضها الى نبذ الشريعة الاسلامية بجملتها وتفصيلها ويخشى أن يتبعها غيرها من الدول المشابهة لها في سيرتها اذا استمر علماؤها على جمودهم على تقاليدهم ، وحكامها على اقتباس التشريع عن غيرهم

(٣) هل يجوز تتبع الرخص في العبادات

الأصل في أحكام الدين العزائم وقد شرع الله الرخص كما شرع العزائم وهو يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، وبعض الرخص مقيد بأحوال محدودة لا يتعداها كالمجاعة المبيحة لمحرمات الطعام والسفر والمرض المبيحين لترك الصيام وللتيمم ، وبعضها مقيد بأحوال غير محدودة بل تحتاج الى اجتهاد المكلف كالجمع بين الصلاتين على التحقيق فيه كما بينه شيخ الاسلام في رسالة في القصر والجمع فقد فعله رسول الله (ص) في المدينة كما رواه الشافعي ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس وعلله بقوله : لئلا يحرج أمته . فلا يجوز لمسلم ان يلتزم مهاداتاً فيجعل أوقات

الصلوات الخمس المعلومة من الدين بالضرورة ثلاثاً . ولا يحظر عليه أن يحرج نفسه اذا تعسر عليه أداء الظهر أو المغرب في وقتها لشغل ضروري عارض فيمتنع من تأخيرها الى ما بعدها ليجمعها معها ومن كان مقلداً لمذهب يتأول فقهاؤه حديث الجمع في الاقامة فليقبل هذه المسألة بعدها من باب المثال.

هذا ما يقال في رخص الشرع الثابتة بالنصوص، وأما رخص المذاهب الاجتهادية فتتبعها وتقليد أصحابها فيها تلاعب بالدين لا يفعله الا جاهل مهاون . واذا كان التقليد المحض بدون بينة ولا بصيرة باطلا في عزائم الشريعة فكيف يكون صحيحاً في العبث والتلاعب ؟

(٤) هل يجوز رد الفتوى الفقهية طلباً للنص

إن الله تعالى أمرنا باتباع كتابه واتباع رسوله ونهانا أن نتبع غيرهما وانما العلماء أدلاء ومبلغون لكتاب الله وسنة رسوله (ص) وانما الواجب على من يجهل شيئاً من دينه ان يسأل العالم عن حكم الله ورسوله فيه لا عن رأيه أو رأي من يقلده هو فيه كما تقدم شرحه قريباً فاذا قال له العالم حكم الله كذا فله أن يسأله عن النص ويقول له لا أقبل قولك ولا ماتنقله من كتاب من كتب الفقه حتى تبين لي دليله من الكتاب والسنة . قال أبو حنيفة لا يجوز لأحد ان يأخذ بقولنا حتى يعلم من أين قلناه. وكتب المزني صاحب الشافعي في أول مختصره في الفقه مانصه : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه وبالله التوفيق اهـ ورؤي مالك يبكي في مرض موته لانه بلغه أن بعض الناس يعملون باقواله مع انه يقول القول ويرجع عنه ، وامتنع احمد عن كتابة شيء في الفقه لئلا يقلده الناس فيه.

هذه جمل عن الائمة الاربعة من عمل بها كان منتفعا بعلمهم وأكثر ما في كتب الفقه آراء لمن لم يبلغ رتبتهم من أتباعهم، وأكثر من يسمون العلماء الآن لا يتقيدون بأقوال الائمة بل العمل عندهم على اعتماد بعض المقلدين لهم

ان الله تعالى لم يأمر باتباع أحد في الدين غير رسوله «ص» وامر بطاعة أولي الامر فيما يتعلق بالاحكام المنوطة بهم لا في عبادة الله تعالى فالى متى يحجب الناس عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ونكلهم الى هؤلاء الاشياخ الادعياء الذين لا يوجد في الالف منهم عالم ونخالف الأئمة أنفسهم في ذلك من حيث ندعي اتباعهم ؟

كيف تنهض اللغة العربية (*)

بحث للاستاذ عبد السميع أفندي البطل من حذّاق مدرسي المدارس الأهلية عرضه على مؤتمر اللغة العربية المتصور بمناسبة الاحتفال بأحمد شوقي بك أمير الشعراء بمصر - قال بعد مقدمة مناسبة للاحتفال مانصه :

آمالنا في المؤتمر

طالما تمنت نفوس الغيورين من شداة الادب ، والذادة عن لسان العرب ، عقد مؤتمر كهذا للبحث والتشاور في حالة اللغة ومستقبلها ، وما يجب عمله على أبنائها لتثبيت قدميها أمام هذا التنازع المستحر بينها وبين اللغات الحية قبل تطبيق قانون بقاء الاصلح على المصروع منهن في ميدان التجاذب

حقا ! ان الفرصة سانحة ، والوقت مساعد ، وما نرى اللغة في وقت بمسيس الحاجة الى هذه المباحث أشد منها في هذا الوقت الذي أصبحت فيه اللغات أداة من أدوات المزاحمة في الحياة الزاخرة بعلومها وآدابها وصناعاتها ومخترعاتها وكل ناحية من نواحيها

وإن مما يذكر بالشكر للقائمين بتنظيم الاحتفال بشاعرنا العبقري أن دعوا دعوة جفلى كل من له اقتراح أو عنده رأي في خدمة اللغة ونهضتها أن يقدمه لهم ليكون له ما بعده ، ففتحوا بذلك بابا واسعا يجدر بكل غيور على اللغة أن يلجه غير متوان ولا متواكل

لذلك يتقدم هذا الضعيف الى جماعة المحتفلين بالشكر والثناء ، عارضا عليهم ما يراه الطريق اللاحب الى تعليم اللغة - عرض خبير زاول تعليمها بضع عشرة

(*) كان المكرمون لأحمد بك شوقي أذاعوا في دعوتهم التي نشرتها الجرائد أن الحفلة التي سيقيمونها ستكون كهيئة مؤتمر للغة العربية ، وطلبوا إلى الكتاب أن يكتبوا مايرونه من المباحث مفيداً للغة العربية فبادرت الى كتابة هذه الرسالة وإرسالها إلى جماعة المكرمين ثم ظهر ان فكرة المؤتمر كانت أمنية فقط ، وقد رغبت إلى المنار في نشر الرسالة بعد حذف مقدمتها التي كانت في التعريف بشعر شوقي بك

سنة بدت له في خلالها عيوب كثيرة في طرق التدريس ، ويرى أنها هي التي قعدت بالمتعلمين عن إجادة لغتهم - بله النهوض بها وخدمتها من طريق العمل كالتصنيف والترجمة والتعريب والوضع العرفي

ولما كان استقصاء هذه العيوب وشرح مضارها وذكر طرق إصلاحها بالتوسع المطلوب لا يتسع له وقت المؤتمر - رأيت ان أسلك سبيل الايجاز ، ودب قليل خير من كثير .

فاذا أسعدني المؤتمر بقبول هذه الرسالة ونشرها فيما يرتئي نشره كان ذلك اعزازاً للفكرة وأطير لها ذكراً ، والفكرة متى برزت من مكمنها ووجدت تربة خصبة ، وجوا ملائما ، نمت وترعرت وآتت أكلها ضعفين

الموضوع

ليست اللغة العربية ببدع من اللغات الحية الناهضة النشيطة ، فسبيل تلقينهن والتبحر فيهن ، هو عين السبيل المهيع للغتنا اذا أردناها غضة بضة ، وما سبيلهن إلا الحفظ والتقليد في الكتابة والمحادثة ، وليس لنا من وسيلة الى اتقان لغتنا في قليل من الزمن غير هذه الطريقة ، وما سواها باطل وضلال واليكم أسوق الدليل :

يقضي الطالب في مدارسنا صدر حياته بتعلم اللغة ، فينفق الشطر الأكبر من هذا الزمن في دراسة الوسائل بطريقة ملتوية غير مفيدة : وكلما أمعن فيها زاد بعدا عن الغاية . وان هو وصل اليها ، وصل وقد أنهكه السرى ، وأضناه التعب ، وقعد به الملل ، وهيهات أن يحصل شيئا نافعا يكسبه ملكة الذوق بحيث يقتدر على ارتجال خطبة بليغة ، أو كتابة رسالة عالية الاسلوب :

لذلك ارى ان تكون طريقة التعليم هكذا :

النحو والصرف

ليست قواعد النحو والصرف مطلوبة لذاتها ، بل لتعصم اللسان عن الخطأ في النطق ، وكلما كانت طريقة تعليمها سهلة قريبة المنال ، مقتصرا فيها على القواعد الاساسية التي يحتاج اليها في تصحيح اللسان وتركيب الجمل - كان ذلك أدعى

الى الاقتصاد في الوقت وتوفير جزء كبير منه يصرف في دراسة اللغة نفسها، لذلك يجدر أن يفرغ من دراسة النحو والصرف عند الفراغ من المدارس الابتدائية (١) مراعى في ذلك تطبيق العلم على العمل في كل قاعدة وبحث، ومراعى في ذلك أيضا سنة التدرج مع الطالب في سني الدراسة المختلفة، فيستغنى اذن عن كثير من أبواب النحو والصرف كلها أو بعضها، كالتوسع في الكلام على المبتدأ والخبر، والمجرد والمزيد من الاسماء، ومواضع الاعلال والابدال، والتصغير والنسب والامالة واعراب «لاسيما» وفعلي التعجب وصيغ الاستغاثة والندبة والاختصاص والمنادى المرخم، لعدم الحاجة اليها في الاستعمال، وعدم الاشتباه في بعض الصيغ إذا جهل اعرابها، لانها ملازمة لحالة واحدة لاتختلف عنها، والاعراب لا يكسبها شيئا جديدا الا التهويش واضطراب الذهن وقتل الوقت فيما لايجدي

والمهم في تثبيت القواعد: التطبيق في أثناء المطالعة، والتنبيه إلى مواضع الرفع والنصب والجزم والجر وتوابعها، مع سلامة المفردات، وجعلها موافقة للفصيح، وقد يكون ذلك صعبا على الطالب في أول الأمر - ككل شيء في أوله - ثم لا يعتم أن يمرن عليه لسانه مع طول الدربة، وكثرة التنبيه، ولانريد من القواعد أكثر من هذا.

ولو وجدت هذه الطريقة عناية من المعلم لنجحت نجاحا باهراً في أقل زمن وقد جربتها أنا نفسي في درس خصوصي فكان من نتائجها أن صار الطالب مع قلة الدروس بعد سنة واحدة في مستوى طلبة السنة الثالثة من المدارس الثانوية بحيث كنت أعطيه من التطبيقات ما كنت أعطيهم إياه، ولا تسل عن باقي فروع اللغة، فقد أظهر فيها مهارة عجيبة.

البلاغة

البلاغة احساس روحي، وشعور وجداني، وسلامة في الذوق، وملكة في النفس، ولا يتهيأ ذلك كله لامثالنا الا بكثرة مزاولة الكلام البليغ نظما ونثراً،

(١) يعني في التعليم العام وهذا لا يمنع وجود إخصائيين في النحو والصرف يتوسعون فيهما

ومحاكاته كتابة وقولا ، فمن كان حظه من القراءة والحفظ وفيراً، كان قسطه من البلاغة عظيما ، ومن كانت حافظته مهزولة مجدبة ، وقريحته بليدة مفلسة ، نأت عنه البلاغة بجانبها ، ولوت عنه أعنتها ، وشمست به رامحة ، ورفسته جامحة ، وهيهات أن يذال قيادها ، ويمتلك عنانها ، الا بفضل دربة ومرانة ، وطول صبر وأناة.

عرف ذلك رجال الادب المبرزون ، الاقدمون منهم والمحدثون ، فكانوا حفظة بارعين ، ورواة ناقلين ، والتاريخ يحدثنا عنهم بما يثير في النفس العجب ، ويبعثها على تلمس السبب، فمن في زماننا يتصور أن شاعراً كأبي تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقطعات والقصائد ولا يخجل أن يسميه الناس أديبا ، أو يخلع هو هذه الخلعة السنية على غيره من الادعياء ؟

قد يكون في مثل هذا الخبر بعض المبالغة ، ولكنه يفيد على كل حال في موضوعنا . لذلك أقول في غير مواربة ان قراءة هذه الكتب التي يطلقون عليها كتب البلاغة ـ مضيعة للوقت ، مهزلة في الحياة ، فما كانت الا مبعدة للبلاغة عن طلابها، حابسة لها عن ورادها ، وما علمنا يوما أن ضليعا في البلاغة وقواعدها ، خبيراً برسومها واصطلاحاتها ، كان كاتبا مجيداً ، أو شاعراً مفلقاً ، أو خطيبا مصقعا ، اللهم الا اذا كان ممن لم تشغلهم المباني عن المعاني، ولم ينصرفوا الى العناية بالاشباح مجردة عن الارواح ، في حين أنك تستطيع أن تعد ألوفا من أهل الخبرة والذوق في البلاغة وهم لم يقرءوا من قواعدها حرفا ، ولا سمعوا فيها درسا ، ولكنهم عرفوها بالتقليد والمحاكاة ، والموازنة بين كلام وآخر ، فانطبعت صورتها في نفوسهم ، وتغلغلت في صدورهم ، ثم جرت على لسانهم عفوا لا قصداً ، وهدرت شقاشقهم بها طبعا لا تعملا ، وتلك ـ لعمري ـ هي البلاغة التي تبلغ بصاحبها ما أراد، وتنزل به في كل واد ، ويقتاد بها العاصي ، ويستدني القاصي

وقد أخجل اذا ذكرت لكم الطريقة التي نتبعها في دراسة البلاغة بالمدارس الثانوية ، وأخبرتكم كيف نضحي بوقت الطلبة بلا جدوى .

إن الطلبة لا يجهلون القواعد الاساسية لعلوم البلاغة ، ولا يجهلون التطبيق عليها ، إنهم يدرسون ذلك وينفقون فيه سنتين من عمرهم ، ولكنها دراسة فنية

اصطلاحية محضة ، لاحظ فيها للعلم من حيث يكسب ملكة الذوق ، ويشعر بجمال المعنى وطلاوته، فيعرف الطالب مثلا مواقع التشبيه أو الاستعارة وأركانهما واجراءهما بطريقة فنية ، ويفرق بين الاستعارة الاصلية والتبعية ، والتصريحية والمكنية ، والمرشحة والمجردة والمطلقة ، ويعرف التشبيه المجمل والمفصل والمرسل والمؤكد والبليغ الاصطلاحي وغير البليغ ، ولكن ذوقه لا يساعده على التمييز بين تشبيه بليغ رائع ، وآخر مبتذل خامل ، ولا بين استعارة بديعة طريفة ، وأخرى ركيكة سخيفة ، وقل مثل ذلك في البديع ، فهو يستطيع أن يبين المحسنات البديعية فيما يقرأ من النظم ، ولو كان مهلهل النسج فاتر الخيال مبتذل المعنى ، ولا تساعده بلاغته على إدراك هذه العيوب ، بل متى ظفر بحاجته من المحسنات طار بها فرحا غير ناظر إلى ماوراءها من حسن أو قبح. وهذا الحكم نفسه يجري في علم المعاني

وأظنني لست بحاجة إلى التدليل على فساد هذه الطريقة وعقم نتيجتها

خير الطرق لدرس البلاغة

وأنفس الطرق عندي لدرس البلاغة دراسة جدية نافعة أن يوضع كتاب مختصر على طريقة إمام الفن عبد القاهر الجرجاني في الاكثار من الامثلة والشواهد البليغة من القرآن فما دونه من كلام الفصحاء ، ويوجه الاستاذ نظر تلامذته إلى ماأودع فيها من أسرار البلاغة ونكتها ، والاحساس الذي شعرت به نفوسهم عند قراءتها ، وارتياح القلب واهتزازه حين استخراج دفائنها ، ثم يقفي على ذلك بسرد عدة شواهد دونها في البلاغة والروعة ، ويوازن بين القولين ، ويزيّل بين النفوس في الحالين، عند ذلك تستقيم طباع الطلبة وتسلم أذواقهم، فلا ترمحهم البلاغة مولية ، ولا تجمح بهم هاربة ، بل تضع في أيديهم زمامها ، وتسفر لهم عن بدرها

الادب وتاريخه

هذا فن حديث العهد بمدارسنا ، ولذلك لما تتعبد طريقته ، ولا تزال فجة ثمرته، ولم تجذب التلامذة اليه روعته ، وأكثرهم يستثقله فيلفظه ، ومنهم من يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ولو أضيف اليه قليل من التوابل ، ووضع بجانبه بعض الكوامخ ، لاشتهته نفوسهم ولم تصد عنه ، ولفتحت له صدورهم ولم تنقبض دونه

ورأيي أن يبدأ بدراسته عند مايضع التلميذ قدمه على عتبة المدارس الثانوية فيدرس له في السنتين الاولى والثانية حالة اللغة في عصورها المختلفة لا بطريق التلقين والحفظ ، بل بطريق الاستنباط والاستقلال ، فاذا أراد الاستاذ مثلا أن يتكلم عن مميزات النظم أو النثر في عصر من العصور ، استعرض طائفة منه ، ووجه نظر الطلبة إلى مافيها من متانة التركيب وقصر الجمل ، وقلة الاستعارة والغلو ، وترك التمهيد ، والبعد عن العجمة ، إن كان الكلام في نثر الجاهلية ، أو وصف الخمر ومجالس الشراب والانس ، والقصور البديعة ومحاسن الطبيعة ، والمعارك الحربية ، والاساطيل البحرية ، وعذوبة الالفاظ والمحسنات البديعية ، والأخيلة الجميلة ، إن كان الكلام في مميزات النظم في العصر العباسي .

عند ذلك تكون دراسة الادب نافعة شائقة لايملها الطلبة .

وفي باقي السنين يدرس ترجمة النابهين ومن لهم أثر بارز في اللغة من الكتاب والخطباء والشعراء ومدوني العلوم كالفقهاء والمؤرخين بالطريقة المتقدمة عينها ، فيذكر المترجم نشأته وبيئته وحياته المادية والادبية وصلة الثانية بالاولى وتأثرها بها ، وما لذلك من أثر في نفسه وأفكاره وتخيلاته ، ثم تعرض آثارة من قوله ، وينبه الاستاذ إلى ما فيها من حسن وابداع ، أو تقليد لقول سابق ، أو تكلف بادٍ ، وما أشبه ذلك .

ويحسن أن تدرب التلامذة على اجراء موازنات بين شاعر وشاعر ، أو خطيب ومثله ، وكاتب وتاجر ، فان ذلك مما يزيد في سلامة الذوق وصحة الحكم ، وتنبيه الذهن ، وتفتق القريحة .

ويتوسع بعض التوسع في الكلام على القرآن الكريم : إعجازه وأسلوبه وأثره في اللغة ، ويقرر جزء كبير منه في كل سنة لدرسه وحفظ بعضه ، ليستعان به على إصلاح النفوس التي استفحل مرضها ، وأعيا نطس الاطباء علاجها ، وتثقيف الالسنة التي اعوجت ، وخصوب الملكات التي أجدبت ، ولا يخفى صلة ذلك بعلمي الاخلاق والبلاغة .

(لها بقية)

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٢)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي ﴾

(وهو عالم سلفي مستقل لا يتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العالم الجليل ، المحقق النبيل ، السيد مهدي الكاظمي القزويني سلمه الله ووقاه ، وبلغه مناه ، وسلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فقد وافاني جوابكم الكريم المؤرخ في ٢٢ شعبان سنة ١٣٤٥ فتلقيته بكامل التجلة وعظيم الارتياح ، وأثنيت على همتكم الشماء وعنايتكم السامية بما يقتضيه المنصب الذي ولاكم الله إياه ، ومن كمال لطفكم ووافر ظرفكم ان استسمحتموني في تطويلكم الجواب عما في المنار ، والافهو رياض بهيجة ، وموارد عذبة ، وثمار بحث شهية ، بعبارات رائقة طلية ، فبها يحق لكم أن تفتخروا لا أن تعتذروا

ولما التمستم مني القضاء بينكم وبين المنار بعد الامعان فيما كتبتم في الرد عليه وجب علي أن ألبي التماسكم معترفا بقصور باعي وقلة اطلاعي متجرداً من الهوى ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ، غير متحيز الى مذهب ، ولا واقف مع مشعب ، اذ لا مذهب لي الا الحق ، وأتمثل بقول الشاعر البليغ الشيعي

وما لي إلا آل أحمد شيعة ومالي الا مشعب الحق مشعب

وهذا الجواب الذي سأجيب به عن كلامكم هو الذي أنوي أن أجيب به بين يدي الجبار سبحانه وتعالى ان سألني ـ والملائكة والانبياء والصالحون

شهود - فاذا تحققتم اخلاصي فلا أظن انكم تجدون من شيء من كلامي وان باين مذهبكم (ولكل وجهة هو موليها)

﴿المقام الاول﴾ قولكم : ان مكاتب المنار حرف الكلم عن مواضعه ولم ينقله على وجهه

(أقول) لا يمكنني أن أبدي رأيي في هذه القضية لعدم اطلاعي على الكتاب المنقول منه

﴿المقام الثاني﴾ تكذيبكم إياه في قوله[1] «انه لا يوجد كتاب من كتب فقه الشيعة إلا وفيه انه لا يجوز البناء على القبور» يعكر عليه ما نقلتم عن كتاب جواهر الكلام انه ذكر خبراً عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال : لا يصلح البناء عليه. ونفي الصلاح فيما يتعبد به يستلزم الفساد إذ لا واسطة بينهما والفاسد شرعا لا يجوز التعبد به وعليه فمن قال ان عدم جواز البناء على القبور موجود في كتب فقه الشيعة صادق في قوله . نعم إذا كان عدم جواز البناء على القبر يوجد في بعض كتب الفقه دون بعض لم يصح كلامه

﴿المقام الثالث﴾ تأويلكم الخبر[2] فيه نظر بيّن لان الامام سئل عن البناء على القبر: هل يصلح أم لا ؟ فقال لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه . هذه أربعة أشياء نفى عنها الامام الكاظم (عم) الصلاح في مقام السؤال عن حكمه شرعا فلزم ان فعلها فساد عند الامام (والله لا يحب الفساد) والفساد محرم لقوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض)

وقولكم «وجه الاستدلال به على كراهة التجصيص ان الجلوس على القبر ليس محرما عندنا فتكون سائر الامور المذكورة معه ليست

(١) هو في ص ٣٥٠ و ٣٥١ من الجزء الماضي (٢) ص ٣٥٢

محرمة للزوم تساوي المتعاطفات فى الحكم » فى غاية البعد مع ما فيه من الابهام إذ لم تبينوا دليل جواز الجلوس على القبر : أهو البراءة الاصلية أم نص من القرآن أو من حديث إمام معصوم ؟ أما القرآن فليس فيه دليل على جواز ذلك فان كان هناك نص صريح عن النبي أو أحد من الأئمة كان ينبغي لكم أن تذكروه لنضعه إلى جانب كلام الامام الكاظم فان تعارضا ولم يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح لاحدهما على الآخر بشيء من المرجحات توقفنا عن العمل بهما جميعاً وطلبنا دليلا من الخارج، فان وجد حكمنا به وإلا قلنا : لا نص معتبر في الجلوس على القبر ويسلم لنا نص الامام الكاظم على عدم جواز البناء على القبر بغير معارض وظاهره الحرمة لان عدم الصلاح في مقام السؤال عن الحكم شرعا يستلزم الفساد وهو حرام كما تقدم

﴿المقام الرابع﴾ قولكم «ولكن مكاتب المنار لم يذكر من الحديث[1] إلا قوله: لا يصلح البناء على القبر وأسقط منه الباقي ليوهم القارىء ان الحديث دال على التحريم . ولا شك ان اسقاط بعض الحديث خيانة فى النقل» فيه نظر أيضاً لانه ليس كل اسقاط موهماً ، وإنما يكون الاسقاط تحريفا وخيانة إذا كان مخلا بالمعنى المقصود ، أما الاقتصار على ذكر دليل المسألة من الخبر وحذف سائره إذا كان لا يتغير المعنى بحذفه كما هنا فليس بخيانة بل هو اختصار وهو مقبول عند أهل العلم، موجود في كتب الثقاة الامناء كالبخاري وغيره

﴿ المقام الخامس ﴾ قولكم : ثم قال صاحب الجواهر : وربما يشعر بكراهة التجصيص[1] قول الصادق (ع) كل ما جعل على القبر من غير تراب

«١» ص ٣٥٢ أيضاً

القبر فهو ثقل على الميت : قلتم وهذا الحديث لا دخل له بموضوع المسألة لان المفهوم منه كراهة أن يهال على الميت من غير تراب القبر فالصادق (ع) كأنه قال : لا يهال على القبر إلا التراب الذي استخرج من نفس القبر عند حفره ولا يؤتى بشيء من غيره فيوضع في القبر الخ

(أقول) كلام الامام يقتضي قطعاً انه لا يوضع على القبر شيء إلا تراب القبر سواء أكان ذلك الشيء ترابا أم جصا أم تابوتا وستورا ومباخر وشموعا وغيرها لان الامام لم يقل كل تراب يهال على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل بل عبر (بما) التي هي من ألفاظ العموم فلا يصح تخصيصها بجنس التراب بلا دليل ولذلك فهم منه صاحب الجواهر النهي عن التجصيص وحمله على الكراهة والظاهر الحرمة لانه من جنس البناء على القبر وتقدم الدليل على حرمته

﴿ المقام السادس ﴾ قولكم : وقال صاحب الجواهر وكذا يشعر بالكراهة حديثه عليه السلام[1] قال أمير المؤمنين (عم) بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور

(أقول) استدلال صاحب الجواهر بهذا الحديث على كراهة التجصيص يدل على انه فهم منه مشروعية هدم القبور مطلقا سواء كانت للكفار أو المؤمنين وكسر الصور مطلقا ولو كانت صور الانبياء والائمة وينافي ما ملتم اليه فيما بعد من أن مشروعية الهدم خاصة بقبور الكفار

﴿ المقام السابع ﴾ اعترافكم بأن تجديد القبور بعد اندراسها مكروه في مذهب الشيعة[2] وهو يرشد إلى أن المشروع عند سلف الشيعة هو اهمال

«١» (ص٣٥٣) «٢» (ص٣٥٣)

القبور وتركها لا يدي الزمان تعفرها وتمحو آثارها ، وان تجصيصها وتطيينها والبناء عليها واتخاذها مساجد وأعياداً ومواسم وجعل التوابيت المزخرفة المذهبة والستور المزركشة الموشاة وتبخيرها واتخاذ السرج عليها والحج لها والعكوف عندها والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها وأخذ ترابها للاستشفاء والنذر لها وتقريب القرابين لها والاقسام على الله بأهلها وغير ذلك مما يجعلها أوثانا تعبد من دون الله كل ذلك يريد الكفر بل الكفر بعينه ، وقد عمت البلوى بهذا الداء العضال الذي هو أعظم أسباب شقاء المسلمين واستيلاء العدو عليهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم وضلالهم ضلالا بعيداً حتى صار المخلوق في صدورهم أعظم من الخالق وصاروا أكثر توكلا وأخضع وأرجى للمخلوق منهم للخالق ، حتى انك إذا اتهمت أحدهم فسألته أن يحلف بالله وبجميع أسمائه وصفاته يفعل ذلك بدون مبالاة ولا خجل ولا وجل ، وإذا قلت له احلف بالشيخ فلان أن كان ممن ينتسب إلى السنة أو بالامام فلان إذا كان ممن ينتسب إلى الشيعة ظهرت عليه علامات الاهتمام والرعب وخاف أن يحلف به كاذبا ، وبعضهم يخاف ان يحلف بالمخلوق ولو صادقا ولا يبالي أن يحلف بالملك القهار ألف مرة كاذباً. وكذا يتصدق لوجه المخلوق بكرائم الاموال ولا يتصدق لله إذا سئل به بفلس ، وهذا أعظم الشرك والكفر وهو مشاهد في العوام وفي أكثر الخواص معلوم بالضرورة انكاره جحد للضروريات ومكابرة فيها لكنه عام في الشيعة وأهل السنة ما رأيت فرقا بينهم في ذلك إلا أن كثيرا من أهل السنة متجنبون لذلك متبرئون منه ، وأما الشيعة فلم أختبر خواصهم كثيرا ، ويغلب على ظني انهم لا يجمعون على ذلك الضلال البعيد وهم يتلون كتاب الله ويدرسون

أحاديث النبي وآثار الائمة ، هذا ظني بهم والله أعلم

﴿ المقام الثامن ﴾ انكاركم على المكاتب قوله لا يوجد كتاب من فقههم إلا وفيه لا يجوز البناء على القبور وتجديدها والسرج عليها[1] وقولكم انه لم يتعرض أحد من فقهاء الشيعة لذكر الاسراج على القبر وذلك يقتضي أنه غير مكروه عندهم فادعاء المكاتب وجود ذلك في كل كتاب من فقههم بهتان عظيم ، هذا معنى كلامكم

(أقول) الذي يغلب على ظني أنكم أنتم أعلم بما في كتب الشيعة من المكاتب ولو كان ذلك في كل كتاب لما خفي عليكم ، وعليه فظاهر كلامه غير صحيح ، لكن يمكن أن يكون قد اطلع على النهي عن الاسراج في بعض كتب الشيعة ولم تطلعوا عليه أنتم ، أو سهوتم عنه حين كتابتكم هذا الجواب ، فظن أن ذلك موجود في جميع كتبهم فأطلق في كلامه ، ولا غرابة في ذلك فقد يوجد في النهر مالا يوجد في البحر ، وعلى كل فالواجب عليه ألا يطلق إلا بعد تحقق وجود ذلك في كل كتاب من فقههم

﴿ المقام التاسع ﴾ تشنيعكم على المنار ومكاتبه ورميه بالافتراء والتحريف والتحامل على الشيعة والسعي في تشويه سمعتهم (٢)

(أقول) أما مكاتب المنار فلا أعرف حاله ، وأما صاحب المنار فالذي أعتقده فيه هو الصدق فيما ينقله ، وأنه لا يتحامل على الشيعة ، ولا يغضي عن عيوب أهل السنة ويبحث عن عيوب الشيعة ، بل كل من طالع المنار علم يقيناً أنه انتقد على أهل السنة وأنكر عليهم أكثر مما أنكر على الشيعة ، وهذه مجلدات المنار شاهدة بذلك

١» يعني ولا تجديدها ولا وضع السرج عليها — راجع آخر ص ٣٥٣ «٢» راجع ص ٣٥٤

وقولكم وكم من فرق بين بناء نفس القبر وبين القبة المبنية على أساسات لادخل لها بالقبر أصلا(١)

(أقول) لو لم يرد في الاحاديث إلا النهي عن البناء على القبر لخص النهي به ولم يتناول القبة، أما وقد عزز الشارع النهي عن البناء بالنهي عن اتخاذ المساجد عليها ولعن فاعل ذلك في مرضه الذي توفي فيه فواضح أن النبي ﷺ كان ينهي عن كل بناء على القبر أو حوله ويأمر بهدمه، وكذلك فعل علي (عم) بعده وسائر الائمة، ولم يتجرأ أحد على بناء قبة على قبر في زمانهم. والذي أعتقده في علي عليه السلام أنه لو رأى مايفعله الغلاة عند القباب التي ابتدعوها لحرقهم كما حرق الغلاة وحاشا للسلف الصالح أن يرضوا بهذه الاوثان، هذا الذي اعتقده وأدين الله به

﴿المقام العاشر﴾ في قولكم قال المكاتب: وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال: سألت الصادق عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال أما زيارة القبور فلا بأس، ولا يبنى عليها مساجد. قال النبي ﷺ «لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» اه ثم قلتم ولكن العجب منه أنه ذكر الحديث النبوي عقيب حديث سماعة بصورة توهم أن الصادق (ع) استشهد به على قوله مع أن الحديث النبوي لاوجود له في كتاب الكليني أصلا. نعم توجد رواية مرسلة في بعض كتب الشيعة وكيف كان فليعلم أن جميع ماجاء من بناء المساجد واتخاذها على القبور أو فيها أو عندها حسب اختلاف النقل انما يراد به النهي عن جعل نفس القبر مسجداً، أي موضعاً

(١) ص ٣٤٥

يسجد عليه ، وليس المراد ماهو معروف بين المسلمين من المكان الذي يصلي فيه (١)

(أقول) فيه اعترافكم بأن الامام الصادق «ع» أفتى بأنه لا يبنى على القبور مساجد وهو صريح في المنع من بناء المساجد على القبور ، ولكن تأولتموه على أن النهي انما هو عن جعل القبر مسجداً أي محلا للسجود لا عن بناء المسجد على القبر لان ذلك كما قلتم لا يتصور — الخ .

(أقول) هذا تأويل بعيد جداً كنت أربأ بكم عن ارتكابه ويرده (أولا) أن قوله لا يبنى عليها مساجد نهي عن البناء لا عن السجود ، فان السائل سأله عن الزيارة والبناء فأثبت الزيارة ونفى البناء ، ولم يتعرض السائل ولا المجيب للسجود على القبر ولا تشم رائحته من كلامهما ، فحمل كلام الصادق عليه من أبعد التأويل ، بل هو سلب لمعنى اللفظ الذي يدل عليه دلالة مطابقة ، وتحميله معنى آخر لا علقة بينه وبينه .

(ويرده ثانياً) أن بناء المسجد على القبر نفسه لا يتصور ولا يعقل كما قلتم ، وكذلك لا يعقل أن يريد الصادق وجده ﷺ النهي عن السجود على القبر ويعبر عن ذلك بالنهي عن بناء المساجد على القبور ، والنبي ﷺ أفصح العرب والصادق من أفصح العرب ولو أراد عالم اليوم أن ينهى عن السجود على موضع فقال للمخاطب : لا تبن مسجداً على هذا الموضع لعيب عليه ذلك وعد غالطا أو جاهلا باللغة فكيف يقع ذلك من أبلغ الناس

(ويرده ثالثاً) أنكم اعترفتم بأن أحاديث الباب وردت بالفاظ في

(١) ص ٣٥٥

بعضها النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، وفي بعضها النهي عن اتخاذ المساجد على القبور ، وفي بعضها النهي عن اتخاذها عندها ، وفي بعضها النهي عن اتخاذها فيها ، وفي بعضها النهي عن بناء المساجد عليها فهذه خمسة ألفاظ

(اللفظ الاول) يحتمل معنيين (أولهما) النهي على بناء المساجد عند القبور كما تدل عليه بقية الالفاظ (والثاني) ماذكرتم وهو اتخاذ القبور نفسها موضعا للسجود . ويتوجه أن يكون دالا عليهما معا فتكون فيه فائدة زائدة على مابعده

(اللفظ الثاني) النهي عن اتخاذ المساجد على القبور هذا اللفظ واضح المعنى وهو يفسر سائر الالفاظ ويقطع النزاع لورود مثله في كتاب الله تعالى وذلك قوله سبحانه (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) قال الامام الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير في تفسيره عند هذه الآية مانصه: حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين (أحدهما) انهم المسلمون منهم (والثاني) اهل الشرك منهم والله اعلم. والظاهر ان الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون في ذلك فيه نظر ، لان النبي (ﷺ) قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد » وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر (رض) أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمران يخفى على الناس وان تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها انتهى ولم يفهم أحد من المفسرين فيما علمت أنهم أرادوا أن يسجدوا على أجسادهم أو يبنوا فوقها مسجداً بل فهموا ورووا عمن قبلهم انهم أرادوا أن يتخذوا مسجداً أي يبنون عند باب كهفهم تبركا بهم وتعظيما لهم وذلك مخل بالتوحيد

ولذلك رجح الحافظ ابن كثير أنهم مذمومون على ذلك ، ويظهر لي أن الذين ذنبوا على مرهم هم اهل الشرك لان أهل التوحيد لا يتخذون المساجد عند قبور الانبياء والصالحين لان الله حرم ذلك ولعن فاعله على لسان نبيه. وهذا من دقة نظر الامام ابن كثير وسعة اطلاعه وجمعه بين الكتاب والسنة

وقد اتضح أن المراد بنهي النبي عن اتخاذ المساجد على القبور هو بناؤها حولهم أو بالقرب منهم خوفا عليهم من الفتنة والوقوع في الشرك كما وقع للذين من قبلنا وقد اتبع سننهم من أراد الله فتنته من هذه الامة فوقعوا في مثل ما وقع فيه من قبلهم من الشرك ، ومن تأول الحديث على النهي عن السجود فوق القبر لزمه أن يفسر الآية بذلك وتأويلها بذلك ظاهر الاستحالة

(اللفظ الثالث) النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور واذا أردنا أن نعرف معنى هذا اللفظ على التحقيق ينبغي لنا أن ننظر علام يدل لفظ «عند» في اللغة

قال المختار بن بونا في أرجوزته المزوجة بألفية ابن مالك :

وعند للحضور والقرب وقد تضم عينها وفتحها ورد

قال في حاشيتها : للحضور حسا أو معنى واجتمعا في قوله تعالى (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده) والقرب نحو (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) انتهى

واذا تحقق هذا فكلمة عند في الحديث اما بمعنى القرب أو الحضور وكلا المعنيين موجود في القباب والمشاهد المبنية حول القبر أو بقربه فهي داخلة في النهي وهذا واضح لا يحتمل التأويل

(اللفظ الرابع) النهي عن اتخاذ المساجد في القبور هو بمعنى اللفظ الثاني

لان في فيه بمعنى على كما في قوله تعالى (ولاصلبنكم في جذوع النخل) وتقدم بيانه

(واللفظ الخامس) النهي عن بناء المساجد على القبور وهو بمعنى اللفظ الثاني سواء لان المراد باتخاذ المساجد عليها بناؤها عليها

فتضافرت الالفاظ الخمسة على معنى واحد وهو النهي عن بناء المساجد عند القبور أي بحضرتها أو بقربها واذا صحب البناء قصد التبرك والتعظيم اشتد تحريمه لعظم مفسدته حينئذ وكونه ذريعة موصلة لامحالة الى اتخاذ قبر ذلك النبي أو الصالح وثنا يعبد كما هو واقع في غالب الاقطار التي ينتسب أهلها الى الاسلام، وهم عاكفون على عبادة الخشب وستور الحرير والجدران تبعا لعبادة المقبور فيها ولا حول ولا قوة الا بالله

(ويرده رابعا) أننا لو سلمنا أن أحد الالفاظ وحده لا يدل على تحريم بناء القباب على القبور لكانت الالفاظ بمجموعها دالة أوضح دلالة على ذلك ومن عرف المعنى الذي لاجله خص النبي ﷺ قبور الانبياء والصالحين بالذكر دون سواهم وان كان داخلا في النهي علم يقينا أن هذه القباب المشيدة المزخرفة بأنواع الزخارف على قبور الانبياء والصالحين وغير الصالحين شر على الاسلام من سقم على بدن، وعرف مقدار حماية النبي ﷺ لجانب التوحيد. ان في ذلك لآيات لقوم يفقهون

(له بقية)

الزي الاسلامي والشعائر الاسلامية

والالقاب العربية عند خواص أمريكا

ذكر مستر تشارلس كراين الاميركاني الشهير في محاضرته التي ألقاها في في جمعية الرابطة الشرقية « أنه يوجد بين المسيحيين طائفة صغيرة تقول بالتوحيد وتشابه عقائد هذه الطائفة من وجوه عديدة العقائد الاسلامية القديمة » وذكر أنه ظهر فيها رجال عظماء في أوربة وأمريكا أفادوا العالم فائدة تذكر فتشكرهم وذكر أنه كان في مقدمتهم في الولايات المتحدة صديقه الرئيس (إيليوت) الذي بقي مدة أربعين سنة رئيساً لاعظم مدرسة جامعة أمريكية وهي جامعة «هارفرد» وقد توفي في العام الماضي وذكر أنه لقنه قبل وفاته سورة الفاتحة قائلا له اسمع هذه الصلاة الاسلامية الجميلة - وذكرها - قال « فأعجب بهذه الصلاة الوجيزة كثيراً وكانت هي آخر العهد بيننا »

وقد زار صديقنا الامير شكيب أرسلان الشهير الولايات المتحدة في الشتاء الماضي فكان مما اطلع عليه من نفائس مخبآتها جمعية سرية مؤلفة من خواص العلماء والكبراء تعقد اجتماعات خاصة في محافل لها يلبس فيها أعضاؤها الطربوش والعمامة ، وألقابهم فيها عربية اسلامية ، وتحيتهم فيها «السلام عليكم» واسم الجمعية مرادف لاسم الكعبة واسم المحفل من محافلهم الجامع الخ ماستراه . فظهر لنا من هذا أن مستر تشارلس كراين منهم وأن صديقه العلامة « ايليوت » كان منهم ذلك بان مستر كراين كان اذا دخل علينا يحيينا بالسلام فنظن أن ذلك مجاملة منه وتمرين لسانه على النطق بالتحية العربية التي يحب أهلها

كتب الامير شكيب مقالته في المقارنه بين هؤلاء الامريكيين وبين حكام الترك الكماليين ومقلدتهم من المصريين الدعاة الى هدم مقومات الاسلام والعرب تقليداً للافرنج فيما يسهل التقليد فيه من زي ولغة وعادات مهما تكن قبيحة ، ونشرت هذه المقالة في جريدة الشورى ونقلتها عنها جريدة كوكب الشرق بعد مقدمة ، ثم نقلتها مجلة العرفان وأضافت اليها بعض الصور والرسوم لأعضائها جاءتها من مراسل لها في الولايات المتحدة ونحن ننشرها مع مقدمة الكوكب وهي :

مهين عند قومه مكرم عند الناس

سفير مصر يلبس القبعة في تركيا مراعاة لشعور حكومتها

وسفير تركيا في مصر لا يحفل بشعور حكومة مصر

مقال بديع صدر في قلم الامير شكيب أرسلان

قرأنا في الصحف أن سعادة عبد العظيم راشد باشا وزير مصر المفوض في تركيا بدأ عمله الرسمي في الاستانة بحديث امتدح فيه البرنيطة وحقر الطربوش ناسياً أنه شعار بلاده الرسمي من مليكها الى نوابها وشيوخها وأعضاء حكومتها وأنها في وقت ما نهضت لتستبدله بالبرنيطة عارضت كل هيئاتها الرسمية في ذلك وفي المقدمة حضرة صاحب الدولة رئس مجلس النواب سعد باشا زعيم الامة

لا بد أن سفيرنا العظيم أراد أن يستميل اليه الاتراك وأن يكون قريباً من قلوبهم ولكن ألا يتم ذلك الا بتحقير شعارنا الرسمي والا بأن يكون التقرب على حساب قومه وبلاده ؟ ؟ وهل هو عين في وظيفته ليرفع رأس مصر وليعلي من شأن زيها ؟ أو ليكون في المجلس الذي هو فيه لا يهمه الا أن يرضي جلساءه ولو بالنيل منه فيكون ذلك شأن « الستري » لا عمل السفير ؟ ؟

لقد أدى عبد العظيم باشا راشد - في مثل هذه الايام - فريضة الجمعة في جامع عمرو بالجزمة وها هو مع أنه يلبس الطربوش ومع أنه يمثل لابسيه براه دون البرنيطة ورمز التأخر ، فهل تقره وزارة الخارجية على ذلك وهل يبقى مع هذا أهلا لان يمثل البلاد

وهل غاب عن سعادة عبد العظيم راشد باشا سفير مصر فى تركيا أن محيي الدين باشا سفير تركيا في مصر يلبس القبعة التي اختارتها حكومة بلاده لشعارها في جميع الحفلات الرسمية وغير الرسمية في هذه الديار ؟

ولقد كان من الواجب عليه أن لا يلبس غير الطربوش الذي لا يزال شعار الحكومة التي يمثلها . وبهذه المناسبة ننشر المقال الآتي الذي أرسله الى (الشورى)

الامير شكيب أرسلان من الديار الامريكية تحت العنوان الذي صدرنا به هذا المقال

***

« خلع بعض الشرقيين الطربوش وعدوا لبسه دنيئة من الدنايا وحاكوا عليها الناس ودقوا أعناقهم ... وأوشك آخرون ان يقتدوا بهم لو لم يمسك رجال الحل والعقد برمق الكرامة الشرقية ويقفوا في وجه أولئك الحمقى الذين القوا على دعايتهم الاجنبية اسم « تجدد » وأنكرت فئات لبس العمائم وزعمت أنها رمز الهمجية وضربت الرقاب من أجل لبسها . وودت زعانف آخرون ان تضرب الرقاب على لوث العمائم كما تضرب على لوثها في تركيا ... ولو قام أحد منذ سنوات قلائل وحدثنا بأنه سيكون من الشرقيين أناس يبلغ بهم التقليد الاعمى أن يجازوا بالقتل من لبس الطربوش أو العمامة لظننا أنه ممسوس يخلط أو محموم يهذي . ولكننا رأينا ذلك بأعيننا وسمعناه بآذاننا

وحاول أناس أن يحملوا الشرقيين والعرب خاصة على التقمص من كل شيء شرقي أو عربي وزعموا أن لا حياة للامم الشرقية بدون ذلك . ولسنا نعجب من أن يصاب الشرق بمثل هذه الامراض الاجتماعية على أثر الحرب الكبرى وأن ينكر الشرق بعض بنيه وأن يحتقروا كل ما هو منسوب اليه . فما زالت الامم قديماً وحديثاً تبتلى بمثل هذه الامراض إذ مجموع الامة عبارة عن جسم معنوي لايخلو من أن تطرأ [1] على الجسم الحيواني عوارض الامراض البدنية . ولكن الطربوش والعمامة والزي الشرقي واللغة العربية كل ذلك كان مكرماً معززاً مقدساً في بلاد غربية تعرف الفضل وذويه ولا يمنعها كونها أعرق البلاد في التغرب أن ترفع للشرق مناراً ، وتحيي له آثاراً .

يوجد في أمريكا جمعية شريفة نابهة عالية القدر اسمها (شراين) ومعنى هذه الكلمة (الكعبة) أو المكان المقدس الذي يحج اليه . وليست هذه الجمعية من الجمعيات

« ١ » المنار : كذا في الاصل المطبوع والظاهر أنه سقط منه شيء وان يكون أصله: لا يخلو من أن تطرأ عليه عوارض الامراض الاجتماعية كما تطرأ على الجسم الحيواني عوارض الامراض البدنية

الماسونية ولكن مبادئها أشبه بمبادىء الماسونية وبعبارة أخرى لا يوجد في مبادي، الجمعية ماينا قض المبادي، الماسونية . ثم ان بين جمعية «شراين» والماسونية رحماً ماسة إذ لا يدخل هذه الجمعية إلا من كان منسوباً الى الماسونية . ولا يكفي أن يكون منسوباً الى الماسونية بل شرط الدخول في جمعية « شراين » أن يكون المريد مترقياً في الماسونية الى درجة ٣٢ ومن علم مبلغ أهمية الماسونية في أميركا وانها هي مصاص هذه الامة الاميركية العظيمة وتأمل في شرط الدخول الى جمعية الكعبة المشار اليها أمكنه أن يفهم في أي ذروة هي هذه الجمعية من ذرى الاجتماع الاميركي

ويقدر عدد المنسوبين الى جمعية الكعبة هذه بمائتي ألف وخمسين الف شخص. من الفضول أن نقول بعد الذي تقدم من الكلام انهم جميعاً من الطبقة الراقية. ولهم محافل عديدة ومنهم عدد كبير من رجال الحكومة من أمير وأعضاء مجلس الشيوخ بل ممن تولوا رياسة جمهورية الولايات المتحدة. والمحفل يسمى عندهم (Mosque) أي «الجامع» والمريد يسمى «شريف» فكل المنتظمين في سلك هذه الجمعية يطلق عليهم لقب شريف . ويوجد عدا لقب شريف لقب « حاج » وهذا يطلق على من يكون قد جاء من محفل زائراً محفل مكة وأثبت لدى هذا المحفل انه ترك عند عائلته مالا يكفيهم لمعيشتهم الى أن يكون رجع اليهم ، فانه يوجد عندهم محافل بأسماء عربية ولكن أسماها محفل نيويورك وهو الذي يسمى بمحفل مكة

وقد علمت من أسماء محافلهم محفل سلام في نيويورك من ولاية نيوجرسي ، ومحفل الملائكة في لوس انجيلوس من ولاية كاليفورنيا ، ومحفل عنزه بالمكسيك وبلغني أن عندهم : محفل دمشق ، ومحفل بغداد ، ومحفل مصر ، ومحفل عمر ، ومحفل علي ، ومحفل رمضان ، ومحفل زمزم ، ومحفل المدينة ، ومحفل فلسطين ، ومحفل الناصرة ، ومحافل أخرى تحمل كلها أسماء عربية . وهذه الاسماء يلفظونها بالعربي لا بترجمتها في اللغة الانجليزية .

ولهم في ولاية بنسلفانيا محفل كبير فخم البناء مكتوب عليه بأحرف كبيرة « أشهد أن لا إله إلا الله » واذا دخل الواحد منهم الى المحفل فلا بد أن يقول : « السلام عليكم » يلفظها بالعربية ، وعلى جدران أبهاء المحافل توجد آيات قرآنية

كما هي على جدران المساجد عندنا ، ولا يجوز للداخل ان يدخل المحفل الا بالطربوش . فالطربوش هو اللباس الرسمي للمنسوبين الى جمعية « شراين » أما أصحاب الرتب الذين ترقوا في الجمعية فيلبسون العمائم والطيالس . وكثيراً مايجتمعون في الاحتفالات ويخرجون في الشوارع مثات وألوفا وهم بالطرابيش والعمائم . وليس التعارف فيما بينهم على الطريقة الاوربية أي ان الانسان لايكلم الآخر الا بواسطة رجل يعرفه بل طريقة التعارف عندهم أشبه بطريقة الشرقيين فاذا شاهد الواحد الآخر لابساً طربوشاً تقدم اليه وصافحه بدون واسطة قائلا له السلام عليكم . ثم ان المنسوب الى هذه الجمعية يحمل على صدره زراً عليه صورة سيف وهلال ونجمة . فالهلال راكب عليه السيف والنجمة من فوقه . وهذا هو شعار الجمعية

قصدت بهذه المقالة ان يعلم من في الشرق أن الطربوش والعمامة والجبة واللغة العربية والآي القرآنية والازياء الشرقية يتنافس بها المتنافسون في أكمل وأغنى مراكز المدنية الغربية بينما كثيرون من الشرقيين يحقرونها ويبغضون أيديهم منها

(ومن يضلل الله فما له من هاد) شكيب أرسلان

(المنار) إن للجمعية الماسونية أسراراً ورموزاً لايفقهها إلا بعض أولي النهاية من زعمائها كما كان شأن جمعية الباطنية من الشيعة . ومنها ان هيكل سليمان رمز عند اليهود من أولئك الزعماء المؤسسين لاستعادة الهيكل من المسلمين بل لتجديدهم ملك سليمان . ولذلك نجد للصهيونيين أعوانا كثيرين من النصارى كلهم من الماسون فيما أظن . وقد كان المعروف من رموز الماسونية بعضه يهودي وبعضه نصراني كالتثليث مثلا . ولم يبلغنا ان فيها شيئاً إسلامياً قبل جمعية الكعبة التي علمنا خبرها في هذه الايام ، وهو في رأينا الاجتماعي ارتقاء في الماسونية الى أفق أعلى ، جزم الامير شكيب بأنه خروج منها . فمن لنا بمن يكشف لنا سر ذلك ويعرف الواضع له ؟

كشف الشبهات

لما قام الامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب بالدعوة الى التوحيد وهدم أركان الشرك مستمداً من الكتاب والسنة وسيرة سلف الامة الصالح تصدى لمعارضته والرد عليه بعض منتحلي العلم الذين لا يعرفون للتوحيد معنى إلا ماتلقوه من علم الكلام المبتدع من نفي الكم المتصل والكم المنفصل في ذات الله تعالى وصفاته والكم المنفصل في أفعاله وهي فلسفة لا حاجة اليها في بيان معنى التوحيد الذي دعا اليه رسل الله عليهم السلام وقد أوردوا على دعوة الشيخ شبهات رد عليها في هذا الكتاب المختصر وفي غيره فأحببنا أن يطلع العالم الاسلامي على ذلك . قال رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وَدٍّ وسُواعٍ ويَغُوثَ ويعوقَ ونسر . وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لاشريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الامر إلا هو ، وأن جميع السموات

السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره

فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟) وقوله (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل أفلا تذكرون ؟ — إلى قوله — فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات

فاذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذى دعاهم اليه رسول الله ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهاراً ، ثم منهم من يدعو الملائكة لاجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ؛ أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وكما قال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والذبح كله لله ، والنذر كله لله ؛ والاستغاثة كلها بالله ؛ وجميع أنواع العبادة كلها لله ؛ وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة أو الانبياء أو الاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون ؛ وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فان الاله

عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكا ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة أو قبراً ، أو جنياً .لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وانما يعنون بالاله مايعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ؛فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلي كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لامجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بمايعبدمن دونه والبراءة منه ، فانه لما قال لهم قولوا لا إله الا الله قالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ماعرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني . واحاذق منهم يظن أن معناها لايخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الامر إلا الله . فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله الا الله

اذا عرفت ماقلت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لايغفر أن يشرك به) الآية ، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لايقبل الله من احد سواه ، وعرفت ماأصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين (الاولى) الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضا الخوف العظيم ، فانك اذا

عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن المشركون خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ماقص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على مايخلصك من هذا وأمثاله

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الاجعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)

اذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تعلم من دين الله مايصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولكن اذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب الالف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما انهم الغالبون بالسيف والسنان ، وانما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين

فلا يأتي صاحب باطل بحجة الا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل الى يوم القيامة

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل (أما المجمل) فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله الا الله)

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» مثال ذلك اذا قال لك بعض المشركين (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أو ان الشفاعة حق أو ان الانبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاما للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك ان الله ذكر في كتابه ان الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) هذا أمر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه وما ذكرته لي ايها المشرك من القرآن او كلام رسول الله ﷺ لا اعرف معناه ولكن اقطع ان كلام الله لا يتناقض وان كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل. وهذا جواب جيد سديد ولكن

لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به فانه كما قال تعالى (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

وأما الجواب المفصل فان أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه (منها) قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم. فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ومقرون ان اوثانهم لا تدبر شيئا وانما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ماذكر الله في كتابه ووضحه

فان قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الاصنام؟ أم كيف تجعلون الانبياء أصناما؟ فجاوبه بما تقدم فانه اذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بماذكر فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الاصنام ومنهم من يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام * انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون * قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم) واذكر له قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانك أنت ولينا

من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب)

فقل له عرفت أن الله كفر من قصد الاصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان قال الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لاأريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الامر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم فاذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهما جيداً فما بعدها أيسر منها

فان قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء اليهم ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله . فاذا قال نعم فقل له بين لي هذا الذي فرضه عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين) فاذا أعلمته بهذا فقل له هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول نعم والدعاء مخ العبادة ، فقل له إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهاراً خوفا وطمعا

ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول نعم (١) فاذا عملت بقول الله تعالى (فصل لربك وانحر) وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة فلا بد أن يقول نعم . فقل له فان نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول نعم ؟ وقل له أيضا المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم فقل له وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ؟ والا فهم مقرون انهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً

فان قال انكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها ؟ فقل لا أنكرها ولا اتبرأ منها بل هو ﷺ الشافع المشفع وارجو شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) ولا تكون الا من بعد اذن الله كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ولا يشفع في أحد الا بعد ان يأذن الله فيه كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا من بعد اذنه ولا يشفع النبي (ص) ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الله تعالى الا لاهل التوحيد . تبين لك ان الشفاعة كلها لله وأطلبها منه فأقول اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه في وأمثال هذا

فان قال النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله (٢)

(١) لعله سقط من هنا : فقل له (٢) المعنى وانا اطلب منه مما أعطاه الله ، وقد كرر الشيخ هذه الكلمة فالظاهر أنها محكية أي كان أهل نجد ومن يقرب منهم يقولونها

فالجواب ان الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) فاذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله (فلا تدعوا مع الله أحداً) وأيضا فان الشفاعة اعطيها غير النبي ﷺ فصح ان الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والاولياء يشفعون، أتقول ان الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم؟ فان قلت هذا رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه وان قلت لا بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا اطلبه مما أعطاه الله

فان قال أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك. فقل له إذا كنت تقر ان الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر ان الله لا يغفره فما هذا الامر الذي حرمه الله وذكر انه لا يغفره؟ فانه لا يدري، فقل له كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟ فان قال الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبد الاصنام؛ فقل له ما معنى عبادة الاصنام اتظن أنهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر امر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، وان قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون إنه يقربنا الى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته فقل صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار والابنية التي على القبور وغيرها. فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الاصنام فهو المطلوب

ويقال له ايضا قولك الشرك عبادة الاصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا

يرد ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب ، وسر المسئلة أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فقل له وما الشرك بالله فسره لي ؟ فان قال هو عبادة الاصنام فقل وما معنى عبادة الاصنام فسرها لي ؟ فان قال أنا لا أعبد الا الله فقل ما معنى عبادة الله فسرها لي ؟ فان فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب وان لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه ؟ وان فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الاوثان أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وان عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح اخوانهم حيث قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فاعلم أن شرك الاولين أخف من شرك أهل زماننا بامرين

(للكلام بقية)

أموال ابن السعود التي اتهم بها

صاحب المنار

﴿ ٥٠٠٠ جنيه مكافأة على خدمته الملك وقومه ١٠٠٠٠ جنيه رواية أخرى ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ أجرة تعب العمل في المؤتمر ٦٠٠٠ جنيه بحيلة طبع المغني وابن كثير ٦٠٠ جنيه باسم الجرائد المصرية . آلاف الجنيهات مبهمة في رواية أخرى ﴾

لابدع ولا غرابة اذا خطر في بال بعض الناس أن الملك العربي عبدالعزيز بن السعود يكرم صاحب المنار أو أكرمه بالمال وبغير المال — ولا غرابة في تقدير بعضهم لهذا الاكرام بكذا وكذا من المبالغ بحسب آرائهم ، ولا عجب اذا ذكر بعض الناس ماقدره من هذا المال فظن آخرون أن هذا التقدير رواية لا رأي ، وتناقلوه تناقل الروايات

نقول إن كل هذا ليس بغريب لان من شأن مثله أن يقع ، وقد وقع بالفعل وكثر فيه القيل والقال وتناقل خواص الناس كما ذكرنا ذلك في فاتحة الجزء الاول من هذا المجلد من المنار (٢٨) نقلا عن بعض كبار العلماء والوجهاء ونسمي الآن من كبار العلماء الذين تحدثوا به في مصر الاستاذ الشهير الشيخ محمد بخيت فهو أول من سمعنا منه رواية الخمسة الآلاف من الجنيهات التي تحدث بها بعض الخواص في مصر — وأما صاحب رواية العشرة الآلاف التي تحدث الناس بها في أوربة فقد سمعها الامير ميشيل لطف الله في مدينة (جنيف ـ سويسرة)

أمثال هذه الاحاديث اذا دارت بين خواص الناس لاينبغي أن يهتم مثلنا بتكذيبها إن كانت كاذبة لان الذين يتحدثون بها لا يعدونها عاراً ولا يقصدون الطعن في عالم يأخذ مساعدة أو مكافأة على نشر العلم والدين من ملك من الملوك الكرام . وأما غيرهم من اللئام والحاسدين والسفهاء والخصوم الذين يفترضون سماع مثل هذه الاشاعات أو يفترونها للطعن على من يأخذ أمثال هذه المبالغ التي تعد عظيمة في هذا

العصر فيذمون آخذها بما شاءت آدابهم ، وتحركت به أهواؤهم ، فقد اعتدنا أن نحتقر كل مايقولون ويكتبون ونعده كالعدم، وماذا يهمنا اذا سفه سفيه أو احترق قلب حسود ؟ — لهذا ذكرنا الخبر في أهم مكان من المنار (وهو فاتحة المجلد) ولم نصدقه لانه غير صدق ، ولم نكذبه لما ذكرنا آنفاً . وقد سمعنا وقرأنا في بعض الصحف لغطا كثيراً في ذلك منذ العام الماضي إلى الآن فلم نحفل به على عادتنا

ولكن السفهاء لم يقفوا عند حد أخذ صاحب المنار ألوفا من الجنيهات مكافأة من ملك الحجاز ونجد على خدمته السابقة له ولقومه على قولهم، أو مساعدة له على خدمته المستمرة للعلم والدين على مايدين الله به ذلك الملك من كتاب الله وسنة رسوله ومنهاج سلف الامة الصالح ، وإن عد ذلك بعضهم نقيصة فينا ودليلا على أن هذه الخدمة التي كاد يمر عليها ثلث قرن لم تكن لوجه الله تعالى وانما كانت لأجل أموال ابن السعود — كأننا كنا نعلم الغيب على تقدير صحة زعمهم —

لم يقف خصوم منا في ديننا ومذهبنا السلفي من ملاحدة وطننا هذا — ومن روافض العلويين في جاوه الداعين إلى عبادة علي وذريته ، ومن بعض الحاسدين لنا على مكانتنا عند هذا الملك المسلم التقي السلفي — لم يقفوا عند هذا الحد ، بل أخذوا يختلقون علينا سلب مال الملك بالحيلة والسرقة (والنصب) ويكتبون ذلك في بعض الصحف ومنها صحف لا نراها عادة لعدم المبادلة بينها وبين مجلتنا أو لانها لا تصدر الا عند الحاجة اليها ، وقد كان من سوء تأثيرهم أن كتب الينا صديق لنا من خيرة فضلاء الحجاز رقعة أودعها كتابا له يذكر فيها هذه الاشاعات ويزيد عليها قوله : « هذا عدا ما أتحفكم به جلالة الملك من الهدايا والتحف الثمينة » ـ ويقول انه دافع عنا من حدثوه بذلك التهم على عدم وقوفه على شيء مما قيل الخ وقد كان لهذه الرقعة من سوء التأثير في نفسنا ما كان هو الحامل المباشر على بيان الحقيقة في المنار فنقول :

أرسل إلينا أحد أصدقائنا في سورية نسخة من عدد جريدة ألف باء المشهورة الذي صدر في دمشق في ٩ يوليو (تموز) الماضي فاذا فيه مقالة من مراسل الجريدة بمكة المكرمة بامضاء (أبو هشام) في ذي الحجة الماضي يثني فيها على ملك الحجاز

ونجد ويخاف على أعماله الاصلاحية أن يتركها لمن لا يهمهم إلا جمع الآلاف من الجنيهات أو حب الذات وكرسي الوظيفة ـ وحينئذ تبوء مساعيه بالفشل ، ثم قال المراسل بعد هذا السياق :

« ولنعد الآن لموضوعنا فاننا ذكرنا ما اتهم سادتنا المتعممين (كذا) من أنهم جنيه وألف جنيه أجرة أتعابهم بالمؤتمر فظن البعض أننا مغالين (كذا) وربما جاراهم الاستاذ صاحب ألف باء بهذا الظن ، ولكن ماقولهم وقول الاستاذ بالتهام ستة آلاف جنيه آخر (كذا) ؟

« وإليك البيان : يوجد في نجد كتابان خطيان وهما (شرح المغني لابن قدامة وتفسير ابن كثير) وهما كتابان سلفيان . فلما كان المؤتمر الاسلامي منعقداً أطلع جلالة الملك عليهما الشيخ رشيد رضا فتعهد الشيخ بطبعها لقاء ستة آلاف جنيه وهكذا تم الاتفاق وتناول المبلغ وباشر بالطبع ولكن أتعلم ماذا طبع ؟ طبع من كل كتاب جزءاً واحداً وأهمل بقية الاجزاء ، وقد خاطبه جلالة الملك مراراً بتنفيذ تعهده وما تناوله لقائه (كذا) فكان الشيخ يحاول تارة ويعتذر أخرى إلى أن ضاق ذرع جلالة الملك فطلب أن يرد الكتابين وهو مسامح بالستة آلاف جنيه ، وللآن لم يردهما ولم يقم بطبعهما مع أنه تناول المبلغ سلفاً

« فما قول الاستاذ صاحب ألف باء الذي مسخ لي مقالي السابق في هذا الموضوع ؟ وما قول القراء الكرام ؟ وما قول سادتنا العلماء ؟

« ولا يظن أحد أن هذه القصة مختلقة أو تصورتها مخيلة الكاتب ، كلا فأنا مستعد أن أناقش كل فرد يكذبني لان الذي أطلعنا عليها كان هو الواسطة وهو رجل ثقة أمين واقف على كل شيء حتى انه من أنصار الشيخ ولكنه قالها عفواً وما علم أنها ستذهب إلى الف باء ولولا الخوف على الرجل لذكرت اسمه[1] ولكن لا سبيل الى ذلك . حتى ان السيد الطيبي كان حاضراً ذلك المجلس ويقول المثل

١) المنار: لو كان يفهم الكاتب ما يكتب لعلم انه بيّن اسمه لمن لا يخاف عليه من غيره فانه قال انه كان الواسطة بيننا وبين الملك ومن أدرى من الملك بالواسطة بيننا ان كان ثم واسطة ؟ وهل يخاف عليه إلا من الملك أن يعاقبه ؟

« اذا أردت أن تكذب فبعد شهودك » ولكن ولله الحمد الشهود موجودون . وهذه الحادثة يعلمها كثيرون من أعضاء المؤتمر من أهل الحجاز وغيرهم من الاعضاء

« ونحن لا نقصد التشهير وانما نقصد أن يعرف الناس أن هؤلاء العلماء الذين يدعون الاصلاح مرة والتقوى أخرى لا يهمهم من وراء هذه الدعوى الفارغة إلا صيد القروش

« ورب معترض يقول إن الشيخ رشيد قام بدعاية عظيمة لابن السعود وخدمه أجل خدمة فهو يستحق هذا المبلغ أو أكثر منه . فنحن لا ننكر ذلك ولا نجحد خدمة الشيخ للملك ولكنه لماذا ينادي بخدمة الاسلام والاصلاح وعز العرب طالما يتقاضى أجرة أتعابه ودعايته ؟ » (أبو هشام)

(المنار) لا أعرف أبا هشام هذا ولم أطلع على مقالته الاولى التي يظهر من هذه الثانية أنه ذكر فيها أنني أخذت من جلالة الملك الف جنيه أو الفين أجرة عملي في المؤتمر ، وكل ما كتبه عني في المقالتين كذب واختلاق لو كان محرراً في جريدة السياسة أو جريدة حضرموت لما كنت أبحث ولا أتعجب من اختلاقه

ويظهر من تأكيداته للخبر وتصريحه بأنه يدفع بها عن نفسه تهمة الكذب أنه يعلم أن الاستاذ صاحب جريدة الف باء وغيره يعهدون منه الكذب كما يظهر من حرصه على تصديقه ومن استنباطه لما استنبطه منه أن له هوى فيه اما لانه مأجور عليه وهو الراجح عندنا قياساً على أمثاله وأقرانه وإما لسبب آخر

الراجح عندنا أنه قد أخذ أصل هذه الفرية وما قبلها في الحجاز عن ذلك الرجل المصري الذي كان هو المصدر الوحيد لكل ما نشر في جريدة السياسة وغيرها من الطعن فينا وفي السوريين الذين استخدموا في حكومة الحجاز أو عن أحد أعوانه. ونحن نعلم من مخازي ذلك الرجل وخياناته القطعية ما نستطيع أن ننشره في جرائد العالم الاسلامي كله لو كنا ممن يتصدى لعقاب المجرمين بمثل هذا

ولكن ما بال أبي هشام أصلح الله باله يخرج عن حدود الشرع والعدل في تأكيد بلاغ هذا المبلغ له لو لم يكن مستأجراً له والله تعالى يقول للمؤمنين (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

وقد أطلعنا في جريدة الف باء على رسالة لكاتب مطلع كذب فيها رواية أبي

هشام التي يدعي أنه يراهن على صحتها فما له لا يبرز للرهان ؟ أليس لأن التكذيب مؤيد بالبرهان ؟ وحسبه منه أن كلا من كتابي المغني وابن كثير يقدر بنحو من عشر مجلدات كبيرة وأنه طبع من كل منهما ثلاث مجلدات من القطع الكبير — فان كانت رواية مخبره « الامين » بأن صاحب المنار أخذ من الملك في أيام المؤتمر ستة آلاف جنيه لنفقة طبع الكتابين صحيحة فكيف يتصور عقله أن يطبع مثل هذان الكتابان اللذان يقدر ان كلاهما بعشرين مجلداً في أقل من سنة ؟ وأن عدم إنجاز طبعهما في أقل من سنة يوجب ما ذكره من تبرم الملك وطلبه إعادة الكتابين اليه مراراً ؟؟

وأنا أعتقد أنه لا يوجد بمصر مطبعة يمكنها طبع هذين الكتابين في سنة ولا في سنتين ولا ثلاث لا مطبعة المنار ولا غيرها ولا استثنى المطبعة الاميرية التي تعد آلات الطبع فيها بالعشرات الا أن تترك أكثر أعمالها الاخرى . وقد طبع القسم الادبي الخاص بطبع الكتب (صبح الاعشى) في ست سنين وهو أصغر من أحد الكتابين

وإذا لم يكن مأجوراً على التشهير في الطعن على صاحب المنار فما معنى قوله إنه يقصد إعلام الناس أن هؤلاء العلماء الذين يدعون الاصلاح مرة والتقوى أخرى لا يهمهم من وراء هذه الدعوى إلا صيد القروش ؟ ؟ وهذه العبارة هي عبارة مصدر سائر المطاعن التي أشرنا اليها وإلى صاحبها آنفا

ثم انه قال في آخر مقاله بان صاحب المنار خدم ابن السعود أجل خدمة وأنه يستحق عليها هذا المبلغ الذي ادعى أنه أخذه وأكثر منه — فاذا لم يكن صاحب هوى ومأجوراً على التشهير فلماذا استدرك على هذا بقوله : « ولكن لماذا ينادي بخدمة الاسلام والاصلاح وعز العرب طالما يتقاضى أجرة أتعابه ودعايته ؟ ؟

من المعلوم الذي لا يمكن انكاره أن صاحب المنار كتب مقالات كثيرة وألف كتبا في الرد على الطاعنين على الاسلام من المبشرين والملاحدة وغيرهم ، وانه كتب مقالات كثيرة في التنفير عن البدع والخرافات والتقاليد والعادات الضارة منذ أول سنة من سنة (١٣١٥ هـ) ؟ وانه يفسر القرآن تفسيراً هو الآن عمدة أشهر مدرسي التفسير بمصر وانه كتب مقالات كثيرة في سبيل النهضة العربية — فهل كانت هذه الاعمال من سنة ١٣١٥ إلى سنة ١٣٤٦ لاجل تقاضي ابن سعود أجر

خدمته مدة ثلاثين سنة لوصح خبر التقاضي الذي افتراه ؟

ماذا يعلم الطاعن المشهر من دين الاسلام وعلومه فيسوغ له الحكم على علمائه ويفرق بين المحصلين والادعياء منهم - وهو لايحسن ضروريات اللغة العربية حتى التمييز بين البديهيات التي يعرفها المبتدئون ؟

ثم ماذا يعلم من قوادم النهضة العربية وخوافيها حتى يصح له الحكم على العاملين منهم وغير العاملين ؟ دع المخلصين وغير المخلصين ؟ أيدري من أسس جمعية الجامعة العربية وكان يكاتب بمقاصدها أئمة الجزيرة يحيى والادريسي وابن السعود منذ بضع عشرة سنة ويرسل اليهم الوفود ؟ هل قرأ رد المنار على ما كتب أشهر كتاب الترك في مصر سنة ١٩٢١ في تفضيل العرب على الترك ؟ هل قرأ تلك المقالات التي نشرت في الآستانة بعنوان (العرب والترك) مع ترجمتها (عربلر تركلر) التي شرعت في نشرها جريدة إقدام التركية ثم لم تتمها لعجزها عن الرد عليها وقيام الحجة فيها للعرب على الترك ؟ هل يعلم على أي الرجال كان يعول شبان العرب عند قيامهم بانشاء النادي العربي بالآستانة ؟ وهل يقبل إذا كان يعلم شيئا من ذلك : إن صاحب المنار لم يكن مخلصا لقومه فيما كان له من المساعدة في تلك الاعمال لانه تقاضى في العام الماضي أجرة من ابن السعود على خدمته الخاصة ، على تقدير صحة رواياته المختلقة ؟

لو كان منصفاً بريئاً من الهوى لما عدّ مساعدة ابن سعود له على خدمته الخاصة تتناول أعماله الدينية والعربية التي بدأ بها شابا ثم اكتهل وشاخ في سبيلها وتكون منافية لدعوى خدمة دينه وقومه بها وهو يصرح بأن كل ماقيل ان صاحب المنار قد التهمه هو دون مايستحقه على خدمة ابن السعود وحده ؟ وبعد هذا كله ألم يكن العقل وحده كافياً للحكم على أن الذي يقف حياته على خدمة عامة له حق أن يقبل كل مساعدة مالية له على ذلك إذ لايمكن العمل ولا الحياة بغير مال وأحق الناس ببذل هذا المال الملوك والامراء لان مثل هذه الخدمة العامة تستغرق العمر فلا تدع لصاحبها من الوقت ما يكتسب به من طريق آخر ! ! كل هذا معروف بالضرورة ولكن الضروريات تكون أخفى من المجهولات عن نظر أهل الاهواء

* * *

هذا وإنه قد جاءني في البريد قصاصة لمقالة افتتاحية في جريدة تسمى (الاماني) لم أرها ولم أسمع بها من قبل، عنوان المقالة (شكوى واحتجاج من الحجاج المصريين) الى ملك الحجاز ونجد وموضوعها عين موضوع تلك المقالات المتعددة التي كانت تنشرها جريدة السياسة لمكاتبها في مكة المكرمة — وهو أحد الافراد الذين أشرت الى مصدر عملهم آنفا — موضوعها الطعن في السوريين المستخدمين في الحجاز عامة والشيخ يوسف ياسين خاصة وشكري بك القوتلي من غير المستخدمين ، وكان لصاحب المنار حظ منها وهو قول الكاتب «فكم من الوف الجنيهات حملها ذلك للشيخ رشيد رضا النشيط يوسف ياسين وغيرهم من أبالسة النفاق وطوحوا بها حيث تقف مطامعهم وتضل في وادي المادة المحسوس » اه نقلت هذه الكلمة من المقالة لانها تدل في الجملة على انني مشارك لأولئك السوريين في أكل الالوف من الجنيهات بزعم الكاتب ، وإن كنت لم أفهم معنى العبارة لانها ليست عربية صحيحة ولا عرفية عامية

وفي آخر هذه المقالة أن صوراً منها أرسلت إلى الوزارة المصرية وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب وزعماء الاسلام وأمرائه وجميع الصحف في البلاد الاسلامية — ولكن لم نعلم أن شيئاً من صحف العالم نشرها غير هذه الجريدة المجهولة — التي ذكرت أنه جاء في آخرها ٣٧ توقيعا .

ولكل عاقل اطلع عليها أن يقول ما للحجاج وللطعن في السوريين الموظفين بالحجاز ؟ هل ذهبوا لاداء النسك وعبادة الله أو لمعصية بالبحث عن عيوب الناس وعوراتهم والتشهير بهم ؟ ثم ان كانوا قدموها لملك الحجاز ناصحين له فما شأن الحكومة المصرية ونوابها وشيوخها وأمراء الاسلام وزعمائه وصحفه في ذلك ؟ ومن ذا الذي أطلعهم على عناوين أولئك الامراء عقب عودتهم من الحجاز ومن تولى مكاتبتهم والنفقة عليها ؟

هذه التواقيع تشبه تلك البرقيات العشرين التي وردت على سمو الامير سعود عند ما كان بمصر احتجاجاً واعتراضاً على ما كان عزم عليه من زيارة صاحب المنار كاشف الامير صاحب المنار قبيل صلاة الجمعة بأنه يريد زيارته في داره غدا فما جاء

المساء الا وكان قد ورد عليه عشرون برقيـة أو أكثر من أقسام القاهرة المختلفة المتباعدة الاطراف في استنكار هذه الزيارة والاحتجاج عليها !! فمن ذا الذي أعلم هؤلاء بذلك الوعد وماذا أهمهم منه ؟

الحق الواقع أن القائم بهذه السخافات رجل واحد صار معروفا وله أفراد من الاعوان بمكة ومصر ، فمصدر ما يسمى شكوى الحجاج المصريين واحتجاجهم على السوريين الموظفين في الحجاز ومصدر تلك البرقيات للامير سعود واحد — هو بعينه مصدر ما نشر بهذا المعنى في جريدة السياسة والف باء وغيرها ، والغرض منها واحد وهي التأثير الذي يطلبون أن يكون لهم عند جلالة ملك الحجاز ونجد والانفراد بالنفوذ عنده ، وابغض الناس اليهم أشدهم إخلاصا له ، وهم يعلمون أنه يميز حق التمييز بين المخلصين والمنافقين ، ولكنهم يظنون أن هذا التهويش في الجرائد يقلقه فلا يجد له بدا من تضحية أخلص المخلصين له للاستراحة منه . فان صح زعمهم فان الرجل لن يستريح له بال طول حياته سواء ضحى أصدقاءه أم لا فقد علمنا من تاريخ السلطان عبد الحميد أن أصفاءه للجواسيس والدساسين ولما كانوا ينشرونه في الجرائد في مدحه وذمه هو الذي سلب راحته وحرم الدولة العثمانية من مواهبه ، أعاذ الله ابن السعود من ذلك .

وجملة القول

أن كل تلك الاشاعات باطلة وأما مسألة المطبوعات فكل ما ذكره فيها أبو هشام فهو افتراء ، وإنما الحق أن ابن السعود يطبع عندنا كتبا كثيرة منها المغني مع الشرح الكبير ، وتفسير ابن كثير مع تفسير البغوي ، ولم نقاوله ولا أحداً من اتباعه على شيء منها ، وانما نطبع ما نطبع ونقدم لجلالته عند إتمام بعضها كشفا (فاتورة) بنفقتها ونطلب منه مبلغا من الدراهم على الحساب سلفا أو متأخراً فيرسله ، وكل ذلك يقيد في دفاتر المطبعة على الطريقة المعروفة فيما يسمونه الحساب الجاري ، وإدارة المطبعة أعلم منا بتفصيل هذا الحساب لاننا نأخذ عنها

وأما مسألة الهدايا التي كتب الينا صديقنا أنها مما تناوله حديث الناس في الحجاز فالخوض فيها من الغرائب بمكان ، إذ من المعلوم عندهم وعند ألوف من الناس أن هذا الملك كثير الهدايا وانه قلما عرف أحداً من أي جنس وملة كان ولم يهده شيئا ، فما نال صاحب المنار من هداياه مع الصداقة القديمة واتحاد العقيدة والمشرب ليس غريباً فيذكر لولا الحسد من قوم وحب الافساد من آخرين

انني أغتبط بأي هدية منه لأنني أرى فيها آية المودة والاخلاص، لا للانتفاع بها فانها مهما كان أستعمله عادة كالعباء الرقيقة الصينية، ولا لأنها من ملك. وقد أبت عليّ نفسي أن أقبل من الملك فيصل في الشام أن يفرش لي الدار الواسعة التي استأجرتها وكان قد عرض علي ذلك وأنا أعلم أن قيمة ما كان يفرشها به من السجاد العجمي والارائك والزرابي والسرر والآنية له قيمة عظيمة. واحسان بك الجابري سمع ذلك منه وما أراه نسيه. وقد أحضرت الاثاث لهامس طرابلس قبل أن يشعر فيصل باستئجاري لها

كتبت هذا كله وإن كان الاخير منه غير لائق في العرف ، ولولا ما كتبه إليّ ذلك الصديق لم أكتبه، وأزيد على ذلك أنني لمت هذا الامام بلسان الشرع قولا وكتابة على بسط يده إلى الحدّ الذي اشتهر عنه من الصلات والهدايا للزائرين من حجاج الآفاق وغيرهم وبينت له أنني أعتقد أنه محرم شرعا، فهل هذا مما يفعله ويقوله من كان طامعا في ماله بحق أو بغير حق ؟ كلا : انني أحمد الله ان نفسي لا تستشرف لاخذ مال من أحد بدون استحقاق شرعي ، على أنني أثق بما في يد هذا الاخ في الله كما أثق بما في يدي ولكنني بما في يد الله تعالى أوثق . وليعلم الحاسد والمفسد أن الرابطة بيننا هي رابطة دينية روحية خالصة لوجه الله تعالى لا تزيدها المعاملة المالية ولا تنقصها كما زعموا لانها ليست للمال ولا لجاه الملك، وأن كل تلك الاشاعات والتقولات لا تزيدها إلا قوة وثباتاً ، هي رابطة لا يقدر على حلها أو نكث فتلها إلا الله تعالى ـ والمرجو من فضله أن يحفظها بالاخلاص والعقل وهداية الشرع ـ ولا يطمع فيها الا الشيطان، وأعوانه من بني الانسان، ولكن الله تعالى قال في الشيطان (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) ونحن بحمد الله من المؤمنين المتوكلين

باب الانتقاد على المنار

أحاديث الرجال وانتقاد بعضهم المجربين

كتب الينا بعض القراء من جاوه ومن فلسطين يشكرون لنا ما كتبناه من التحقيق في مشكلات أحاديث المهدي وأحاديث الدجال وبيان المخرج من مشكلاتها وسألنا بعضهم عن أحاديث نزول المسيح عيسى بن مريم لعلاقتها بتلك الاحاديث ولكن ليس فيها من التعارض والتناقض والاشكالات مثل ما فيها وأن كان بعضها لا يخلو من ذلك

وانتقد علينا بعض النجديين هذا البحث وتمنوا لو لم ينشر وانهم لا يعرفون لنا عذراً في نشره ، ولو كان جميع المسلمين كمسلمي نجد لما كنا في حاجة إلى مثل هذا البحث فانهم قوم يأخذون بالايمان والتسليم كل ما يجدونه في كتب الحديث من غير بحث في تعارض ولا اشكال حتى ان ناصحهم يحتاج الى الاحتراس في بيان ضعف بعض الاحاديث متنا وسندا لئلا يخدش ذلك التسليم والاذعان لكل ما نسب الى السنة وان كان لا يصح عزوه اليها أو يعارض الصحيح القطعي منها ، واذا بحث بعض المشتغلين بالعلم منهم على قلتهم في هذه المسائل فانه يقبل في الجمع بين الحديثين أو في دفع الاشكال الذي يرد على بعض الاحاديث كل ما يقوله الباحثون في ذلك كالكثير مما أورده الحافظ ابن حجر مما لا يكاد يعقل حتى انه قد يدافع عن الحديث الذي يعد من أقوى المطاعن على أصول الدين كالتوحيد والرسالة اذا كانت صناعة فن رواية الحديث تعده مقبولا كحديث الغرانيق الصريح في إقرار عبادة الاصنام والثناء على اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، والمجوز لالقاء الشيطان في قراءة النبي ﷺ لسورة النجم في مدح هذه الاصنام الكبرى : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى . دافع الحافظ عفا الله عنه عن هذا الحديث الذي يعترف بانه لم يصح له سند بان تعدد طرقه يقويه !!! وهذه قاعدة للمحدثين لم ينزلها الله تعالى في كتابه ولا ثبتت في سنة عن رسوله وإنما هي مسألة نظرية غير مطردة فتعدد الطرق في مسألة مقطوع ببطلانها شرعا كمسألة الغرانيق أو عقلا لا قيمة له لجواز اجتماع تلك الطرق على الباطل ولذلك حكم صفوة

المحققين من أهل الحديث والاصول بأن حديث الفرانيق موضوع باطل

ونحن قد علمنا منتهى شوط الانتقاد علينا من بعض النجديين بلقائنا هنا الرجل من أوسعهم اطلاعا في الحديث ومراجعته لنا في المسألة مرتين في مجلسين طويلين فذكر صفوة ما دار بيننا وبينه في ذلك باختصار لبعض المسائل وايضاح لبعض

بدأ الكلام في مجلسه الاول بالثناء علينا وعلى المنار وبحب النجديين لنا لقيامنا من زهاء ثلث قرن بالدعوة الى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والبدع وتأييد السنة ومذهب السلف . ثم انتقل الى مسألة البحث في أحاديث الدجال والطعن أو إيراد الاشكالات حتى على الصحاح منها ، وما في هذا من مخالفة خطة المنار ومنهاجه قال ولا ندري السبب المقتضي لذلك

قلت له ان استشكال هذه الاحاديث وأمثالها من اشراط الساعة قديم حتى انك تجد اكثره في شراح صحيحي البخاري ومسلم وان لاهل هذا العصر من الاستشكال ما ليس لغيرهم ومنهم من يجعلها شبهة على صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وقد كثر سؤال الناس ايايَ عنها مشافهة ومكاتبة فكنت أجيبهم بالاجمال واعد بكتابة التفصيل في فرصة أخرى ، وقد قال لي من عهد قريب بعض اخواننا من السلفيين المشتغلين بعلم الحديث : الاولى أن لا تكتب في ذلك شيئا لان الاقناع بها متعذر فنحن نفوض علم الحقيقة فيها إلى الله تعالى ونسدها كأنها غير موجودة

ولكن الناس يظلون يسألون ويشككون ، وبعضهم يشككون ويطعنون ، فكان من الواجب على صاحب المنار القيام بفريضة الدفاع عن الاسلام أن يبين للناس ما يدفع الشبهات عنه ويثبت صدق الرسول ﷺ في جميع ما صح عنه صحة لا شبهة فيها . وقد صرحت فيما كتبت في آخر بحث اشراط الساعة بان من صدق رواية مما ذكر فيها ولم يجد فيها اشكالا فلا اصل فيها لصدق ومن ارتاب في شيء منها [1] أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين إشكالا في متونها فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقة بالرواية . . . أو خطأ الرواية بالمعنى أو غير

(١) جاء في ص ٢٠٤ من الجزء الاول: ومن ارتاب في كل شيء - ولفظ كل زائد قطعا

ذلك مما أشرنا اليه . فعلم بهذا أن غرضنا من أصل البحث تبرئة رسول الله ﷺ من كل طعن يورده أحد على بعض هذه الروايات تبرئة يقبلها عقله ويطمئن لها قلبه، ومن كان يكتفي برواية الشيخين أو أحدهما فانه لا يستشكل ما رويا

قال اخونا النجدي الفاضل ان بعض ما ذكرتموه من الاجوبة عن التعارض بين الاحاديث وحل مشكلاتها مما يتضمن الطعن في أسانيد ما في الصحاح منها كحديث الجساسة يمكن أن يجاب عنه بأجوبة أخرى مقنعة مع الجزم بصحة الاسانيد

قلت ان من جاءنا بأحسن مما جئنا به دفاعا عن هذه الاحاديث وجمعا بين رواياتها نشكر له صنعه وننشره في المنار ليهتدي الجمهور به ، ومن أقنعنا بخطأ في شيء مما جئنا به نقبله مع الشكر أيضا . فعليك اذاً أن تكتب لنا ما عندك في ذلك لننشره وعسى أن يكون خيراً وأهدى سبيلا

ثم ذهب الرجل وغاب عنا غيبة طويلة جاءنا بعدها بمقال طويل غير ما اقترحناه عليه . وقد اتهمنا فيه بأننا أنكرنا أحاديث الدجال كلها وحاول الرد علينا باثباتها وفيه أغلاط أخرى — فقرأنا عليه طائفة منه بينا له ما فيها من الغلط ، وان بعضه قد جاء من عدم فهم عباراتنا التي صرحنا فيها بأنها متواترة تواتراً معنويا وان القدر المشترك الذي يدل عليه التواتر المعنوي هو كذا وكذا (ص ٢٠ ج ١ م)

فاعترف بالخطأ وأخذ منا المقالة ورسمنا له خطة لمقالة أخرى يقول فيها انه اطلع في المنار على بحث كذا فوجد فيه مطاعن في بعض أسانيد الاحاديث واشكالا وتعارضا بين بعض المتون يمكن الجواب عنها بما يدفعها ويثبت صحة تلك الاحاديث كلها أسانيد ومتونا ، ثم يسرد ذلك بالعدد ويجيب عن كل منها بما عنده . وأعطيناه المنار لينقل منه ما يقتضيه الرد بالحرف لئلا يخطيء بنقله بالمعنى . ونصحنا له بأن يراجع عند الكتابة شرح البخاري للحافظ ابن حجر وشرح مسلم للنووي في الكلام على هذه الاحاديث فوعد بذلك وانصرف شاكراً ولما يعد

وإننا نطالب كل منتقد بما طالبنا به هذا النجدي الفاضل الغيور . ومن المعلوم من أصول ديننا بالضرورة أن كل أحد يجوز عليه الخطأ إلا المعصوم فيما هو معصوم فيه وحسن النية مع بذل الجهد في استبانة الحق مما يرجى به عفو الله تعالى عن المخطيء

مصاب مصر

﴿ بأكابر رجال العلم والدين والسياسة ﴾

الدكتور يعقوب صروف ، شيخ الازهر ، بطرك القبط ، زعيم الامة سعد باشا زغلول

اشتدت وطأة الحر في صيف هذا العام على تشبع هوائه الضعيف بالرطوبة فثقل علينا القيام بأعمالنا العادية الكثيرة فعزمنا على جعل شهري إجازة المنار السنوية شهري المحرم وصفر متتابعين ، وقد حدث في هذه الفترة وفاة أكبر أكابر رجال مصر في المنصب والمقام والسن جميعاً يتلو بعضهم بعضاً :

مات أولا الدكتور يعقوب صروف أحد مؤسسي مجلة المقتطف الشهيرة والمحرر الاول لها عن ٧٥ سنة وما عهد الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي الخمسيني ببعيد ، فكان لموته رنة أسف في مصر وسورية وسائر البلاد العربية وجدد عشاق العلوم والفنون فيها الاعتراف له بخدمتها نصف قرن كامل

وتلاه الشيخ أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية مات عن ٨٥ سنة وكان في الرعيل الاول من العلماء المتقنين للعلوم الازهرية كلها يقل نظراؤه فيها ، ولم يكن معاديا للاصلاح في عهد الاستاذ الامام ، بل كان صديقاً له ، ولكنه لم يعمل شيئاً في أيام مشيخته ، على أن الازهر في هذا العهد مقيد بقيود ثقيلة ودخل جمهور شبانه في مآزق السياسة فصار أمر ادارته أعقد من ذنب الضب

وتلاه بطرك القبط الارثوذكس الملقب برئيس الكنيسة المرقسية مات عن زهاء ٩٥ سنة وكان عظيم الملة القبطية وأعطى منصبه حقه من الوقار والمحافظة على التقاليد الكنسية ، وفي عهده ترقت القبط في الشؤون الاجتماعية وطالبوا رجال الدين الذي هو رأسهم باصلاحات كثيرة أهمها ما يتعلق بشؤون أوقافهم وانتفاع الشعب بها ، وكانوا أمثل من المسلمين في خدمة دينهم وأوقافهم وتكافلهم وأدبهم مع رئيسهم الديني وفي مصالحهم السياسية والاجتماعية وسائر أمور دنياهم

سعد باشا زغلول

وتلاه زعيم البلاد الاكبر الرئيس الجليل سعد باشا زغلول. مات عن زهاء سبعين سنة فزلزلت الارض زلزالها، وعظمت أهوالها، وشاركت الشعوب العربية أخاها الشعب المصري في المصاب وعدوه مصاب الامة العربية بأعظم رجل سياسي نبغ فيها، وتجاوبت برقياتها مع مصر بالتعزية حتى كان أكبر ملوك العرب صاحب الحجاز ونجد ونائبه الامير فيصل في مقدمة المعزين للشعب المصري ولحكومته. بل اهتزت لموته أرجاء الشرق والغرب وأكبرته جرائد الامم كلها، حتى ان جرائد أوربة عامة وانكلترة خاصة قد أظهرت لنا من معرفة قدره وتقدير مواهبه ماغاب بعضه عن جرائد مصر نفسها . وأما الاحزاب المصرية وجرائدها فقد أجمعت على إكبار الرجل في نفسه ، وإكباره في عمله، وإكباره في مصاب البلاد به ، إجماعا ظهر أنه خرج من صميم أفئدة الكتاب ، بالرغم مما كان من شذوذ بعض الافراد والاحزاب،

وقد كان مشهد جنازته والاحتفال بتشييعه مما لم ير له أحد نظيراً في هذه البلاد ولا في غيرها إلا في يوم عودته من أوربة إلى مصر عظمة وحفلا وجلالا ووقاراً ، إلا أن الحزن العام ، قد اقتضى بطبعه شيئا من الاخلال بالنظام ، فان الجماهير من دهماء الشعب كانوا يهجمون المرة بعد المرة على النعش بسائق أقرب إلى الاضطرار منه إلى الاختيار، وظهر انهم كانوا يريدون انتزاعه وإخراجه من مركبة المدفع التي وضع عليها لحمله على أعناقهم ...

لا يتسع هذا الجزء من المنار لوصف المصاب ولا لوصف الفقيد العظيم وترجمته ، وإنما نقول ان الشعور بأن المصاب بسعد مصاب كل فرد من افراد الشعب كان شعوراً عاما ولكن لا نزاع في أن وقع الرزء على قرينته كان أعظم من وجوه يعرفها بالاجمال كل أحد - ويعرفها بالتفصيل من عرف كيف كانت حياتهما الزوجية في جميع أطوارها ولا سيما الجهاد السياسي الاخير فنحن نعزيها بقول أشهر النساء في الحزن وهي الخنساء الشاعرة الصحابية (رض)

ولولا كثرة الباكين حولي ✻ على أحبابهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ✻ أعزي النفس عنه بالتأسي

بل نقول ان الخنساء تعزت بكثرة الناس الذين يبكون حولها من فقدوا وان لم يكن في نظرها كمن فقدت — ولكن قرينة سعد أولى منها بالعزاء لان الذين يبكون حولها إنما يبكون من تبكي هي فلا تستطيع أن تقول كما قالت الخنساء

« وما يبكون مثل أخي » فان كان المصاب لا نظير له في عظمته فالتعزية لهـا لا نظير لها أيضا فهي على قدر المصاب سواء

سننشر لهذا الزعيم الكبير ترجمة نودعها من العبرة مايوافق خطة المنار ونعجل الآن بذكر مسألة مهمة وهي ان مجلس الوزراء قرر أخذ بيت سعد باشا الذي يدعى « بيت الامة » وهو موقوف بطريق الاستبدال المعروف وجعله من المنافع العامة ذكرى للفقيد مع إبقاء كل آثاره فيه، وشراء البيتين المجاورين له وهدمهما وانشاء قبة عظيمة يجعل فيها قبره بنقل جثته اليها وتجعل مسجداً ومزارا للناس فتكون كقبة الشافعي والبدوي ونحوهما، وقد رسم الرسامون شكل القبر وشكل القبة وطبعا في بعض الجرائد

وقد أنكر هذا العمل القبط ومن على رأيهم من وجهين (أحدهما) أن الفقيد كان زعيما سياسيا للشعب المصري كله لا للمسلمين وحدهم ولم يكن زعيما دينيا اسلاميا بل هو الذي جمع بين الهلال والصليب ولم يكن يفرق بين المسلمين وغيرهم فلا يجوز أن يجعل قبره معبداً للمسلمين (ثانيهما) أن شكل القبة التي رسمت لقبره عربي اسلامي والواجب أن يكون مصريا فرعونيا لانه هو كان مصريا قبل كل شيء ويعنون بهذه الكلمة أن الجنسية المصرية الوطنية مقدمة على كل رابطة اخرى دينية كانت او لغوية او غيرهما. وقال بعض الكاتبين في ذلك ان الزمن الذي كان فيه المصريون من القبط والمسلمين يلعنون الفراعنة لاجل دينهم (الوثني) ولاسيما فرعون موسى تبعا للتوراة والانجيل قد مضى وصار جميع المصريين الوطنيين يفتخرون بفرعون وبأنهم سلالة فرعون . ولعل هؤلاء يستحسنون أن يجعل مايبنى على قبره بشكل الهرم كما قالت احدى السيدات المسلمات

ونحن نتعجب لسكوت علماء الدين ولاسيما أهل الحديث منهم عما نستدركه عليهم من النصح للحكومة بأن لا تجعل قبره مسجداً لان بناء المساجد على القبور محرم شرعا وقد وردت الاحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم والسنن الاربع وغيرها بلعن فاعليه ووصفهم بشرار الخلق، ونحن نعلم ان العلماء انما يسكتون عن مثل هذا البيان والنصح للحكام لاعتقادهم انهم لا يعملون به، ولولا الملوك والسلاطين لما وجدت هذه القباب العظيمة والمساجد على قبور الأئمة والصالحين وعلى الملوك بالتبع لهم فهم الذين ابتدعوا ذلك ونفذوه بالرغم من انوف العلماء ولذلك اجاب بعض العلماء الاعلام في كتاب له من احتج بوجود هذه القباب والمساجد في أكثر بلاد الاسلام على مشروعيتها فكان مما قاله ان هذه أمور حكومية لا حكمية، ودولية لا دليلية، ولكن الحكومة المصرية الحاضرة لا ترضى أن تجعل قبر سعد باشا فتنة لعوام الشعب يضلون به كما ضلوا بقبور الاولياء

فعبدوها بالدعاء والنذور والطواف بها وغير ذلك مما شرحناه مرارا ، وانني قوي الرجاء في امتناعها عن جعل قبة قبره مسجدا لمخالفته لنصوص الشارع ولحكمة التشريع معا، وهو افتتان الجاهلين بتعظيم القبر تعظيما دينيا وتعليق آمال زائريه بقضاء الحاجات، ودعائه لذلك في المهمات والنذر له... فهذه الحكومة لا تريد أن يكون قبر رجلها السياسي سببا لازدياد الخرافات والضلالات في البلاد ، ولكنها لا تسمع كلام العلماء فيما عدا ذلك من المباني والتماثيل التي قررتها وقد يتأول لها من يبالي بالدين من رجالها بأنها خالية من الحكمة أو العلة التي حرمت لاجلها ، وهي كونها ذريعة للشرك محتجين بأنه لا يوجد في مصر أحد يعظم تمثال محمد علي باشا أو ولده ابراهيم باشا تعظيما دينيا ولا غير ديني ايضا ، فاذا كان هذا مأمونا فيما ستنصب الحكومة لسعد من التماثيل فليس مأمونا في قبر عليه مسجد يصلى فيه بجانب القبر والصلاة الى القبر ممنوعة شرعا أيضا . وقد ظهر أن قرن الفتنة بعبادة سعد قد نجم في الارياف إذ بلغنا أن بعض أهل الطرق ابتدعوا طريقة سموها السعدية الزغلولية .

وإننا لا نشك في أن جعل البناء على قبره مسجداً معداً للصلاة فيه بفرشه ووضع محراب فيه لمعرفة القبلة يكون ذريعة لجعله كقبر البدوي والسيدة زينب وأمثالها . وهل يظن عاقل ان جميع عوام المصريين يفهمون ان خدمة سعد للبلاد سياسية محضة لا شائبة للدين فيها؟ كيف وان بعض كبار علماء المغرب الاقصى قد ذكر في مقال له نشر في المنار ما يدل على ان العلماء المستنيرين هنالك يعتقدون انه زعيم ديني.. فعسى أن تتدبر الحكومة المصرية هذا الامر وتحول دون وقوع هذه الفتنة التي هي خلاف مرادها من إحياء ذكرى سعد بقبره وداره وآثاره وما تنصب له من تماثيل، وإنما مرادها أن تحفظ ذكرى خدمته السياسية ومقاصده الاستقلالية ويتمسك الشعب بها ويكون عونا للقائمين بعده بتنفيذها كما كان عونا له يؤيده في كل أعماله

وأما تعليل دعاة الالحاد من القبط والمسلمين طلبهم جعل شكل القبة فرعونيا تبعا لجعلهم جنسية المصريين في هذا العصر فرعونية وجعل سعد من ذرية فرعون فهو تعليل باطل، فسعد من أسرة عربية الاصل كما أخبرني ابن أخيه العالم الفاضل الثقة عبد الرحمن زغلول رحمه الله تعالى، والجنسية المصرية في هذا العصر جنسية سياسية شاملة لكل سكان هذا القطر من عرب وهم السواد الاعظم وقبط وترك وأفرنج وغيرهم من الاجانب الذين قبلوا هذه الجنسية الوطنية السياسية ولا دخل للانساب القديمة ولا للحديثة فيها

﴿ الجزء السابع ﴾ ١٣٤٦ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

ثمن المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة
سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل في نجاح العمل ﴾

﴿ فهرس الجزء السابع من المنار م ٢٨ ﴾

﴿ التفسير ﴾

٤٨١ الكلام على سورة الانفال : كونها مدنية ومناسبتها لما قبلها ووضعها في السبع الطول توقيفي ومباحث في ترتيب السور

٤٨٦ معنى الانفال وغنائم غزوة بدر

٤٨٧ الامر بالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله وكونها من لوازم الايمان

٤٨٨ صفات المؤمنين الكاملين خمسة : وجل قلوبهم عند ذكر الله ٤٨٩ وزيادة ايمانهم عند تلاوة آيات الله ٤٩٠ والتوكل على الله وحده ٤٩٢ واقامة الصلاة ٤٩٣ والانفاق مما رزقهم الله

٤٩٤ كون هؤلاء هم المؤمنين حقا (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)

٤٩٦ أسلوب قصص القرآن ومبدأ غزوة بدر

٤٩٩ مجادلة كارهي القتال للرسول (ص)

٥٠٠ وعد الله المؤمنين باحدي الطائفتين وتمنيهم طائفة العير وإرادته تعالى طائفة النفير لاحقاق الحق وإبطال الباطل

﴿ باب الفتاوى وفيه ١١ فتوى ﴾

٥٠٢ خيرية القرون الثلاثة مع وقوع الفتن فيها

٥٠٥ صلاة الجمعة في القرى والظهر بعدها

٥٠٦ اجتماع العشر والخراج وفيه مباحث مهمة

٥٠٧ حديث « استنزهوا من البول » لفظه ومعناه

« جملة : وجود ذنب لا يقاس به ذنب

٥٠٨ متى تجب زكاة الفطر ، وحكم تعجيلها

٥٠٩ تحريمهم أخذ الجاهل علم الدين من الكتب بدون تعلم

٥١٠ الصريح والكناية في الطلاق وحكم التطليق بالكناية

٥١٢ الطلاق الثلاث باللفظ الواحد

(باب المقالات والمناظرات)

٥١٣ كيف تنهض اللغة العربية ؟ فقه اللغة ومتنها

(مناظرة في مسألة القبور والمشاهد)

٥١٦ بين عالم شيعي وعالم مستقل

٥٣٣ كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب

٥٤٣ دعاية المسيحية القاديانية . الملقبة بالاحمدية

٥٤٤ عقائدهم ودلالتها على تركهم لتصف الاسلام

٥٤٨ دخل القاديانية المالي ونفقاتها على الدعاية

٥٥١ بول الصبي وبول الصبية

٥٥٧ الاحتفال الخمسيني لدار العلوم

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئت ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

ربيع الاول سنة ١٣٤٦ﻫ ٣٢ برج الميزان سنة ١٣٠٧ﻫ ش ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

سورة الانفال — ٨

(وهي السورة الثامنة في العدد ووضعت موضع السابعة من السبع الطُّوَل مع أنها من المثاني وهي دون المئين التي تلي الطول لما سيأتي — وعدد آياتها ٧٥ آية في عد الكوفي و٧٦ في الحجازي و٧٧ في الشامي)

سورة الانفال مدنية كلها كما روي عن الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء وعبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت . وقال ابن عباس انها نزلت في بدر وفي لفظ تلك سورة بدر . وقيل إنها مدنية الا آية (٦٤ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) فقد روى البزار عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب (رض) فعلى هذا وضعت في سورة الانفال وقرئت مع آياتها التي نزلت في التحريض على القتال في غزوة بدر لمناسبتها للمقام . وروي عن مقاتل استثناء

قوله تعالى (٣٠ واذ يمكر بك الذين كفروا) الآية لان موضوعها اثمار قريش بالنبي ﷺ قبيل الهجرة بل في الليلة التي خرج فيها رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه لقصد الهجرة وباتا في الغار ، وهذا استنباط من المعنى وقد صح عن ابن عباس أن الآية نفسها نزلت في المدينة ؛ وزاد بعضهم عنه استثناء خمس آيات أخرى بعدهذه الآية أي إلى الآية ٣٥ للمعنى الذي ذكرناه آنفا وهو أن موضوعها حال كفار قريش في مكة وهذا لايقتضي نزولها في مكة ، بل ذكر الله بها رسوله بعد الهجرة . وكل مانزل بعد خروج النبي ﷺ مهاجرا فهو مدني

ووجه مناسبتها لسورة الاعراف أنها في بيان حال خاتم المرسلين ﷺ مع قومه وسورة الاعراف مبينة لأحوال أشهر الرسل مع أقوامهم ، هذا هو العمدة وهناك تناسب خاص بين عدة آيات من السورتين يقوي هذا التناسب ولكنه لايصح أن يكون شيء منه سبباً للمقارنة بينهما لان مثل هذا الاتفاق في بعض المعاني مكرر في أكثر السور الكبيرة ، وأنقل هنا عن روح المعاني مانقله عن السيوطي في وضع هذه السورة هنا وما تعقبه به وهو :

« والظاهر أن وضعها هنا توقيفي وكذا وضع براءة بعدها وهما من هذه الحيثية كسائر السور ، وإلى ذلك ذهب غير واحد كما مر في المقدمات ، وذكر الجلال السيوطي أن ذكر هذه السورة هنا ليس بتوقيف من الرسول ﷺ للصحابة رضي الله تعالى عنهم كما هو المرجح في سائر السور ، بل باجتهاد من عثمان رضي الله تعالى عنه ، وقد كان يظهر في بادي الرأي أن المناسب ايلاء الاعراف بيونس وهود لاشتراك كل في اشتمالها على قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها مكية النزول خصوصاً أن الحديث ورد في فضل السبع الطول ، وعدوا السابعة يونس وكانت تسمى بذلك كما أخرجه البيهقي في الدلائل ففي فصلها من الاعراف بسورتين فصل للنظير من سائر نظائره ، هذا مع قصر سورة الانفال بالنسبة الى الاعراف وبراءة ، وقد استشكل ذلك قديماً حبر الامة رضي الله تعالى عنه فقال لعثمان رضي الله تعالى عنه : ماحملكم على أن عمدتم الى الانفال وهي من المثاني ، والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا البسملة بينهما ووضعتموها في السبع الطول؟ ثم ذكر

جواب عثمان رضي الله تعالى عنه وقد أسلفنا الخبر بطوله سؤالا وجوابا ثم قال وأقول يتم مقصد عثمان رضي الله تعالى عنه في ذلك بأمور فتح الله تعالى بها

(الاول) أنه جعل الانفال قبل براءة مع قصرها لكونها مشتملة على البسملة فقدمها لتكون كقطعة منها ومفتتحها، وتكون براءة لخلوها من البسملة كتتمتها وبقيتها، ولهذا قال جماعة من السلف إنهما سورة واحدة

(الثاني) وضع براءة هنا لمناسبة الطول فانه ليس بعد الست السابقة سورة أطول منها وذلك كاف في المناسبة

(الثالث) أنه خلل بالسورتين أثناء السبع الطول المعلوم ترتيبها في العصر الاول للاشارة الى أن ذلك أمر صادر لاعن توقيف والى أن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يبين كلتيهما فوضعاهنا كالوضع المستعار بخلاف مالو وضعا بعد السبع الطول فانه كان يوهم أن ذلك محلهما بتوقيف ، ولا يتوهم هذا على هذا الوضع ، للعلم بترتب السبع ، فانظر الى هذه الدقيقة التي فتح الله تعالى بها ولا يغوص عليها الاغواص

(الرابع) أنه لو أخرهما وقدم يونس وأتى بعد براءة بهود كما في مصحف أبيّ لمراعاة مناسبة السبع وايلاء بعضها بعضاً لفات مع ماأشرنا اليه أمر آخر آكد في المناسبة فان الاولى بسورة يونس أن يؤتى بالسور الخمس التي بعدها لما اشتركت فيه من المناسبات من القصص، والافتتاح بالر ، بذكر الكتاب، ومن كونها مكيات، ومن تناسب ماعدا الحجر في المقدار ، ومن التسمية باسم نبي، والرعد اسم ملك وهو مناسب لاسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فهذه عدة مناسبات للاتصال بين يونس وما بعدها وهي آكد من هذا الوجه الواحد في تقديم يونس بعد الاعراف. ولبعض هذه الامور قدمت سورة الحجر على النحل مع كونها أقصر منها ولو أخرت براءة عن هذه السور الست لبعدت المناسبة جداً لطولها بعد عدة سور أقصر منها بخلاف وضع سورة النحل بعد الحجر فانها ليست كبراءة في الطول

«ويشهد لمراعاة الفواتح في مناسبة الوضع ماذكرناه من تقديم الحجر على النحل لمناسبة (الر) قبلها وماتقدم من تقديم آل عمران على النساء وان كانت أقصر منها لمناسبتها البقرة في الافتتاح بالم ، وتوالي الطواسين والحواميم ، وتوالي العنكبوت

والروم ولقمان والسجدة لافتتاح كل بالم ، ولهذا قدمت السجدة على الاحزاب التي هي أطول منها . هذا مافتح الله به علي

« ثم ذكر أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قدم في مصحفه البقرة والنساء وآل عمران والاعراف والانعام والمائدة ويونس، راعى السبع الطول فقدم الاطول منها فالاطول ، ثم ثنى بالمئين فقدم براءة ثم النحل ثم هود ثم يوسف ثم الكهف وهكذا الاطول فالاطول وجعل الانفال بعد النور ، ووجه المناسبة أن كلا مدنية ومشتملة على أحكام ، وأن في النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية ، وفي الانفال (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض) الخ ، ولا يخفى مابين الآيتين من المناسبة فالاولى مشتملة على الوعد بما حصل وذكر به في الثانية فتأمل اه كلام السيوطي

(الآلوسي) « وأقول قدمن الله تعالى على هذا العبد الحقير، بما لم يمن به على هذا المولى الجليل ، والحمد لله تعالى على ذلك حيث أوقفني سبحانه على وجه مناسبة هذه السورة لما قبلها وهو لم يبين ذلك، ثم ماذكره من عدم التوقيف في هذا الوضع في غاية البعد كما يفهم مما قدمناه في المقدمات ، وسؤال الحبر وجواب عثمان رضي الله تعالى عنهما ليسا نصا في ذلك وما ذكره عليه الرحمة في أول الامور التي فتح الله تعالى بها عليه غير ملائم بظاهره ظاهر سؤال الحبر رضي الله تعالى عنه حيث أفاد أن اسقاط البسملة من براءة اجتهادي أيضا، وبستفاد مما ذكره خلافه، وما ادعاه من أن يونس سابعة السبع الطول ليس أمرا مجمعا عليه ، بل هو قول مجاهد وابن جبير ورواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف ، وذهب جماعة كما قال في اتقانه الى أن السبع الطول أولها البقرة وآخرها براءة ، واقتصر ابن الاثير في النهاية على هذا

وعن بعضهم أن السابعة الانفال وبراءة بناء على القول بأنهما سورة واحدة وقد ذكر ذلك الفيروز ابادي في قاموسه ، وما ذكره في الامر الثاني يغني عنه ماعلل به عثمان رضي الله تعالى عنه فقد أخرج النحاس في ناسخه عنه أنه قال : كانت الأنفال وبراءة يدعيان في زمن رسول الله ﷺ القرينتين فلذلك جعلتهما

في السبع الطول . وما ذكره من مراعاة الفواتح في المناسبة غير مطرد فان الجن والكافرون والاخلاص مفتتحات بقل مع الفصل بعدة سور بين الاولى والثانية والفصل بسورتين بين الثانية والثالثة وبعد هـذا كله لايخلو ماذكره عن نظر كما لايخفى على المتأمل فتأمل . إه ماذكره الالوسي رحمه الله تعالى

وأقول ان جواب عثمان لابن عباس (رضي الله عنهم) هو كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب يقول «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وكانت الانفال من أوائل مانزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت انها منها ، فقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا انهامنها. فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتهما في السبع الطول اه

ولأجل هـذه الرواية ذهب البيهقي الى أن ترتيب جميع السور توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الانفال وبراءة ووافقه السيوطي . ويرد عليه انه لايعقل أن يرتب النبي ﷺ جميع السور إلا الانفال وبراءة ، وقد صح انه ﷺ كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحـدة من كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته ؟ التحقيق ان وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه ، ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روي عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره في الاقطار

وهذا الحديث قال الترمذي حسن لانعرفه إلا من حديث عوف (بن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس ، ويزيد الفارسي هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره والصحيح انه غيره ، روى عن ابن عباس وحكى عن عبدالله بن زياد وكان كاتبه وعن الحجاج بن يوسف في أمر المصاحف . وسئل عنه يحيى ابن معين فلم يعرفه ، وقال أبو حاتم لا بأس به . اه ملخصا من تهذيب التهذيب ، فمثل هذا الرجل لايصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٤) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا » فأما المشيخة (أي المشايخ) فثبتوا تحت الرايات . وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم ، فقالت المشيخة للشبان : انا كنا لكم ردءاً ولو كان منكم شيء للجأتم الينا فاختصموا إلى النبي ﷺ فنزلت (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) وذلك في غزوة بدر . وروى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن سعد بن أبي وقاص أنه قتل سعيد بن العاص وأخذ سيفه واستوهبه النبي ﷺ فمنعه اياه ، وأن الآية نزلت في ذلك فأعطاه اياه لان الامر وكل اليه ﷺ . وعن ابن جرير أنهم سألوا النبي ﷺ عن الخمس بعد الاربعة الاخماس فنزلت هذه الآية . وجملة القول أنها نزلت في غنائم غزوة بدر تنازع فيها حائزوها من الشبان وسائر المقاتلة . وقيل المهاجرون والانصار

قال تعالى ﴿ يسألونك عن الانفال ﴾ الانفال جمع نفل بالتحريك وهو في

أصل اللغة من النفل - بفتح وسكون - أي الزيادة عن الواجب ومنه صلاة النفل. قال الراغب النفل قيل هو الغنيمة بعينها لكن اختلفت العبارة عنه لاختلاف الاعتبار فانه اذا اعتبر بكونه مظفوراً به يقال له غنيمة ، واذا اعتبر بكونه منحة من الله ابتداء من غير وجوب يقال له نفل، ومنهم من فرق بينهما من حيث العموم والخصوص فقال الغنيمة كل ما حصل مستغنما بتعب كان أو بغير تعب ، وباستحقاق أو بغير استحقاق، وقبل الظفر كان أو بعده . والنفل ما يحصل للانسان قبل القسمة من جملة الغنيمة ، وقيل هو ما يحصل المسلمين بغير قتال وهو الفيء ، وقيل ما يحصل من المتاع قبل أن تقسم الغنائم . وعلى هذا حملوا قوله (يسألونك عن الانفال) الآية

والمعنى يسألونك أيها الرسول عن الانفال لمن هي ؟ أللشبان أم المشيخة ؟ أو للمهاجرين أم الانصار ﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أي قل لهم الانفال لله يحكم فيها بحكمه وللرسول يقسمها بحسب حكم الله تعالى وقد قسمها ﷺ بالسواء . وهذا لا ينافي التفصيل الذي سيأتي في قوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه) الخ فيكون التفصيل ناسخاً للاجمال كما قال مجاهد وعكرمة والسدي فالصواب قول ابن زيد ان الآية محكمة وقد بين الله مصارفها في آية الخمس. وللامام أن ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس ﴿ فاتقوا الله ﴾ في المشاجرة والخلاف والتنازع وسيأتي في السورة مضار ذلك ولاسيما في حال الحرب ﴿ وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أي أصلحوا نفس ما بينكم وهي الحال والصلة التي بينكم تربط بعضكم ببعض وهي رابطة الاسلام واصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة وترك الاثرة والتفوق ، وبالايثار أيضاً . والبين في أصل اللغة يطلق على الاتصال والافتراق وكل ما بين طرفين كما قال (لقد تقطع بينكم) ويعبر عن هذه الرابطة بذات البين . وأمرنا في الكتاب والسنة باصلاح ذات البين فهو واجب شرعا تتوقف عليه قوة الامة وعزتها ومنعتها وتحفظ به وحدتها ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ في الغنائم وفي كل أمر ونهي وقضاء وحكم ، فالله تعالى يطاع لذاته لأنه رب العالمين ومالك أمرهم ، والرسول يطاع في أمر الدين لأنه مبلغ له عن الله تعالى ومبين لوحيه فيه بالقول والفعل والحكم. وهذه الطاعة له تعبدية لا رأي لأحد فيها وتتوقف عليها

النجاة في الآخرة والفوز بثوابها، ويطاع في اجتهاده في أمر الدنيا المتعلق بالمصالح العامة ولا سيما الحرب من حيث انه الامام والقائد العام، فمخالفته اخلال بالنظام العام وافضاء إلى الفوضى التي لا تقوم معها للامة قائمة. فهذه الطاعة واجبة شرعا كالأولى إلا أنها معقولة المعنى، فقد أمره الله تعالى في تنفيذ أحكامه وادارته بمشاورة الامة كما تقدم في سورة آل عمران وأشرك معه في هذه الطاعة أولي الامر كما تقدم في سورة النساء، وسيأتي كيف راجعه بعضهم في هذه الغزوة المفصلة أحكامها في هذه السورة ورجع عن رأيه ﷺ إلى الرأي الذي ظهر صوابه، ولكن الامر الاخير لابد أن يكون له كما شاورهم في غزوة أحد في الخروج من المدينة أو البقاء فيها. فلما انتهت المشاورة وعزم على تنفيذ رأي الجمهور راجعوه فلم يقبل مراجعة، وقد بينا هذا مع حكمته في تفسير (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) وترى في تلك السورة كيف كانت مخالفة الرماة له ﷺ سبباً في ظهور العدو على المسلمين فراجع تفسير (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) في ص ٢٢٤ الجزء الرابع

ولأئمة المسلمين منهم من حق الطاعة في تنفيذ الشرع وادارة الامور العامة وقيادة الجند ماكان له ﷺ منه مقيداً بعدم معصية الله تعالى وبمشاورة أولي الامر كما تقدم تفصيله في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) الآية

ثم قال تعالى ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ أي فامتثلوا الأوامر الثلاثة فان الايمان يقتضي ذلك كله لان الله تعالى أوجبه، والمؤمن بالله غير المرتاب بوعده ووعيده يكون له سائق من نفسه إلى طاعته إلا أن يعرض له مايغلبه عليها أحياناً من ثورة شهوة أو سورة غضب، ثم لا يلبث أن يفيء إلى أمر الله ويتوب اليه مما عرض له كما تقدم في تفسير (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) الخ، ثم وصف الله المؤمنين بما يدل على هذا ويثبته فقال

﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هذه جملة مستأنفة لبيان حال المؤمنين الذين بين في شرطية الآية قبلها شأنهم من التقوى واصلاح ذات البين في الامة وطاعة الله ورسوله على قاعدة أن النكرة اذا أعيد ذكرها معرفة تكون عين الاولى

أو بيان حال المؤمنين الكاملي الايمان مطلقاً ليعلم منه أن تلك الامور الثلاثة هي بعض شأنهم ، وقد بين صفاتهم بصيغة الحصر التي يخاطب بها من يعلم ذلك أو ينزل منزلة العالم به الذي لاينكره وهي « انما » كما حققه امام الفن الشيخ عبد القاهر . وصفهم بخمس صفات

(الصفة الاولى) قوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال الراغب : الوجل استشعار الخوف. يعني مايجعل القلب يشعر به بالفعل وعبر غيره عنه بالفزع والخوف (وبابه فرح وتعب) وذلك أن الخوف توقع أمر مؤلم في المستقبل قد يصحبه شعور الالم والفزع ، وقد يفارقه لضعفه أو لاعتقاد بعد أجله، فالوجل والفزع أخص منه . وفي سورة الحجر من حوار ابراهيم ﷺ مع ضيفه المنكرين (١٥: ٥٢ قال انا منكم وجلون ٥٣ قالوا لاتوجل) الخ ، وفي سورة المؤمنين في صفة المؤمنين المشفقين من خشية ربهم (٢٣ : ٦١ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون) فالوجل هنا مقترن بالعمل الصالح وهو البذل والعطاء وفي سورة الحج (٢٢: ٣٢ وبشر المخبتين ٣٣ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) وهي بمعنى آية الانفال؛ وليس للوجل ذكر في غير هذه الآيات ، ويتفق معنى الوجل فيها بأنه الفزع وشعور الخوف بما القلب، وقد يكون هذا الخوف من العاقبة المجهولة ، وقد يكون من الاجلال والمهابة ، وقد روي عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء : الوجل في القلب كاحتراق السعفة ، ياشهر بن حوشب أما تجد له قشعريرة ؟ قلت بلى، قالت فادع الله فان الدعاء يستجاب عند ذلك . وعن ثابت البناني : قال فلان اني لأعلم متى يستجاب لي ، قالوا ومن أين لك ذلك ؟ قال اذا اقشعر جلدي ، ووجل قلبي ، وفاضت عيناي ، فذلك حين يستجاب لي .وعن عائشة (رض) قالت : ما الوجل في القلب الا كضرمة السعفة ، فاذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك. السعفة بالتحريك واحدة السعف وهو جريد النخل اذا احترق يسمع له نشيش، شبهت به أم المؤمنين وأم الدرداء شعور الوجل يلم بالقلب من ذكر الله فيخفق له

والمراد بذكر الله ذكر القلب لعظمته وسلطانه وجلاله أو لوعيده ووعده، ومحاسبته لخلقه وادانتهم، وغير ذلك من صفاته وأفعاله سواء صحبه ذكر اللسان أم لا، وأعظم ذكر اللسان مع القلب ترتيل القرآن بالتدبر، وقد يقول المؤمن في صلاة التهجد في الخلوة «الله أكبر» مستحضراً لمعنى كبريائه عز وجل فينتفض ويقشعر جلده، فمن خص الذكر هنا بالوعيد غفل عن كل هذا وظن أن الوجل لا يكون الا من خوف العذاب، وكأنه لم يذق طعم الخشية والوجل من مهابة الله وعظمته وكبريائه وعزة سلطانه وغير ذلك من معاني أسمائه وصفاته، ولم يقرأ قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ولم يعلم أن من عباد الله من يخشع قلبه ويفيض دمعه من ذكر أسماء الله في آخر سورة الحشر (٥٩: ٢١ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله. وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ٢٢ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم غيب وشهادة هو الرحمن الرحيم) الخ ولا يجد مثل هذا الوجل عند وصف جهنم وذكر الحساب والجزاء. وانما يأخذ مثل هذا معاني القرآن من فهمه لظواهر بعض الالفاظ بدون شعور بما لها من التأثير في القلوب فيقابل بين هذه الآية وما في معناها وبين قوله تعالى في سورة الرعد (١٣: ٢٩ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) فيظن أن بينهما تعارضا فيحاول التفصي منه بحمل هذا على ذكر الوعد والآخر على ذكر الوعيد، ولا تعارض في الحقيقة ولا تنافي ففي كل من الوعد والوعيد وصفات الكمال وذكر آيات الله تعالى في الانفس والآفاق اطمئنان للقلوب بالايمان بالله تعالى والثقة بما عنده، وغير ذلك مما يأتي بسطه في محله إن شاء الله تعالى. ولا ذكر يضرم سعفة الوجل في القلب كتلاوة كلام الرب عز وجل (٣٩: ٢٢ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد)

(الصفة الثانية) قوله تعالى ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ أي إذا تليت عليهم آياته المنزلة على خاتم أنبيائه ﷺ زادتهم إيمانا أي يقينا في الاذعان، وقوة في الاطمئنان، وسعة في العرفان، ونشاطا في الاعمال، ويطلق الايمان في

عرف الشرع على مجموع العلم والاعتقاد والعمل بموجبه وعلى كل منهما والقرائن تعين المراد ، وفيما رواه البخاري ومسلم في كتاب الايمان من صحيحهما شواهد صريحة في ذلك ومن أهمها أحاديث أقل الايمان المنجي في الآخرة وحديث «الايمان بضعة وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق» ولهذا حمل بعض الناس زيادة الايمان على زيادة العمل اللازم له، وبعضهم على زيادة مايتعلق به الايمان الذي فسروه بالتصديق القطعي، والحق أن الايمان القلبي نفسه يزيد وينقص أيضا فان ابراهيم عليه السلام كان مؤمنا باحياء الله الموتى لما دعاه أن يريه كيف يحييها (قال أولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فمقام الطمأنينة في الايمان يزيد على مادونه من الايمان المطلق قوة وكمالا ، ويروى عن علي المرتضى كرم الله وجهه : لو كشف الحجاب ما ازددت يقينا . وهذا أقوى من الايمان بالبرهان وهو أقوى من ايمان التقليد الذي قال به الاكثرون إذا وافق الحق وكان يقينيا، والعلم التفصيلي في الايمان أقوى وأكمل من العلم الاجمالي ، مثال ذلك أن الايمان بتوحيد الله تعالى لا يكمل إلا بمعرفة أنواع الشرك الظاهر والباطن التي تنافيه أو تنافي كماله ومنها ماهو أخفى من دبيب النمل ، وقد ورد في الدعاء المأثور « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم» رواه ابن حبان والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وأبو يعلي وغيرهم من حديث أبي بكر (ض) وضعفه ابن حبان والبيهقي وحسنه غيرهما وكم من مدع لتوحيد الله وناطق بكلمة الاخلاص وهو يعبد غير الله بدعائه مع الله أو من دون الله و «الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم من حديث النعمان ابن بشير مرفوعا

ومثل آخر: من آمن بأن لله تعالى علما محيطا بالمعلومات ، وحكمة قام بها نظام الارض والسموات ، ورحمة وسعت جميع المخلوقات ، وكان علمه بهن إجماليا لو سألته أن يبين لك شواهده في الخلق لعجز عنها ـ لا يوزن إيمانه بايمان ذي العلم التفصيلي بسنن الله في الكائنات وعجائب صنعه فيها على النحو الذي جرى عليه العلامة المحقق ابن القيم في كتابه تفصيل النشأتين والامام أبو حامد في كتاب التفكر من الاحياء ، وقد اتسعت معارف البشر بهذه السنن والاسرار في كل

نوع من أنواع المخلوقات فعرفوا منها مالم يكن يخطر عشر معشاره لاحد من علماء القرون الخالية ومن كلام العلماء في ذلك قول الواحدي عن عامة أهل العلم إن من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد . وقال الكرخي ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق المميز بين يقين الانبياء وأرباب المكاشفات ويقين آحاد الامة . وضرب الغزالي مثلا لتفاوت قوة الايمان وسائر أنواع العلم بمن يرى شبح إنسان في السدفة ثم يراه بعد وضوح الاسفار على بعد فلا يميز صفاته ثم يراه في نور الشمس بجانبه فهل يكون علمه به في كل هذه الاحوال واحدا ؟

وجملة القول أن زيادة الايمان ثابتة بنص هذه الآية وآيات أخرى كقوله تعالى في سورة آل عمران في وصف الذين استجابوا لله والرسول اذ دعاهم الى القتال بعد ما أصابهم القرح في غزوة أحد (٣ : ١٢٣ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي معناه قوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣ : ٢٢ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله . ومازادهم إلا إيمانا وتسليما) وعطف التسليم على الايمان هنا يؤيد كون المراد به إيمان القلب لا العمل . وفي معناه قوله تعالى في أول سورة الفتح (٤٨ : ٤ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) فهو في إيمان القلب كما هو المتبادر . وأما آيتا أواخر التوبة (٩ : ١٢٥ و ١٢٦) وآية سورة المدثر (٧٤ : ٣١) فما يحتمل أن تكون زيادة الايمان فيها زيادة متعلقة بما نزل من القرآن . على أن البخاري استدل بآيتي التوبة وأمثالها على زيادة الايمان في القلوب وعليه جمهور السلف . بل حكى الاجماع عليه الشافعي وأحمد وأبو عبيد كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره . فمن العجب بعد هذا أن تنقل هفوة لبعض العلماء أنكر فيها زيادة الايمان بالمعنى المصدري لشبهة نظرية ويجعل مذهبا يقلد صاحبه فيه تقليدا ، وتؤول الآيات والاحاديث لأجله تأويلا

(الصفة الثالثة) قوله تعالى ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي يتوكلون على ربهم وحده لا يتوكلون على غيره ولا يفوضون أمورهم الى سواه عز وجل كما أفاده تركيب الجملة . وعن ابن عباس قال : لا يرجون غيره . والتوكل أعلى مقامات

التوحيد ، فان من كان موقنا بان ربه هو المدبر لاموره وأمور العالم كلها لايمكن أن يكل شيئا منها الى غيره ، ولما كان من المعلوم من الشرع والطبع والعقل بالضرورة أن للانسان كسبا اختياريا كلفه الله العمل به وأن يؤمن بأنه يجازى على عمله ان خيراً فخير وان شراً فشر ـ وجب على الانسان أن يسعى في تدبير أمور نفسه بحسب ماعلمه من سنن الله تعالى في نظام الاسباب وارتباطها بالمسببات معتقداً أن الاسباب مايعقل منها كالانسان ومالا يعقل لم تكن أسبابا الا بتسخير الله تعالى ، وأن ماينالـه باستعمالها فهو من فضل ربه الذي سخرها وجعلها أسبابا وعلمه ذلك . وأما ما لا يعرف له سبب يطلب به فالمؤمن يتوكل فيه على الله وحده واليه يتوجه واياه يدعو فيما يطلبه منه ، وأما ترك الاسباب وتنكب سنن الله تعالى في الخلق وتسمية ذلك توكلا فهو جهل بالله وجهل بدينه وجهل بسننه التي أخبرنا بأنها لاتتبدل ولا تتحول . ومثله فيه كمثل من أمره ملـكه أو مالـكه بأن يعول في طعامه وشرابه وسائر حاجه عليه ولا يطلب من غيره شيئا ، وكان ذلك الملك أو المالك قد أعد له ولامثاله كل يوم مائدة لطعامهم وشرابهم فتنطع هو وامتنع عن الاختلاف الى المائدة مع أمثاله زاعما أن هذا عصيان لامر الملك في التعويل عليه وانظر أن يرسل اليه طعاما خاصا ـ أي أنه يطلب من ربه أن يبطل سننه في خلقه لاجله ـ فما أعظم جهله وغروره به ؟

وقد تقدم تحقيق معنى التوكل مع بسط القول فيه وكونه يستلزم الاخذ بالاسباب في تفسير (٣ : ١٦٠ وعلى الله فليتوكل المؤمنون) من سورة آل عمران فيراجع في ص ٢٠٧ — ٢١٤ وسيأتي التذكير ببعضه في الكلام على توكل النبي ﷺ من تفسير هذه السورة (الانفال)

(الصفة الرابعة) قوله تعالى ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ تقدم في تفسير هذه الجملة في أول سورة البقرة وفي تفسير (واستعينوا بالصبر والصلاة) منها ، وفي تفسير آيات أخرى في معناها ، وملخصها ان إقامة الصلاة عبارة عن أدائها مقومة كاملة في صورتها وأركانها الظاهرة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر ، وفي معناها وروحها الباطنة من خشوع وحضور في مناجاة الرحمن ، وتدبر واتعاظ بتلاوة القرآن ، وتقدم ان

هذه الاقامة هي التي يستفيد صاحبها بها ما جعله الله تعالى ثمرة للصلاة من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر وغير ذلك مما يراجع في مواضعه

(الصفة الخامسة) قوله تعالى ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي وينفقون بعض ما رزقهم الله في وجوه البر من زكاة مفروضة لاقامة دولة الاسلام وغير ذلك من النفقات الواجبة والمندوبة للأقربين والمعوزين ومصالح الامة . وتقدم تفسيرها في أول سورة البقرة وفي مواضع أخرى مع التنبيه إلى كثرة ماورد في الكتاب العزيز من جعل الزكاة أو النفقة مقارنة للصلاة لانهما العبادتان اللتان عليهما مدار الاصلاح الروحي والاجتماعي في الملة . والتعبير بالانفاق أعم من التعبير بالزكاة كما علمت

﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات كلها هم دون سواهم ممن لم يتصف بها المؤمنون إيمانا حقا أو حق الايمان الذي لا نقص فيه، أو حق ذلك حقاً أو حققته حقاء ذلك بأن الايمان حق الايمان هو ما أعقب التصديق الاذعاني فيه أثره من أعمال القلوب والجوارح وبذل المال في سبيل الله عز وجل. وقد جمعت الصفات التي وصفوا بها كل ذلك بحيث تتبعها سائر شعب الايمان ، تقول العرب فلان شاعر حقا أو فارس حقا لمن نبغ في الشعر ولمن كملت فيه صفات الفروسية. روى الطبراني بسند ضعيف يؤثر للعبرة عن الحارث بن مالك الانصاري (رض) انه مر برسول الله ﷺ فقال له « كيف أصبحت ياحارثة ؟» قال أصبحت مؤمنا حقا . قال « انظر ماذا تقول فان لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » فقال عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال « ياحارثة عرفت فالزم » ثلاثا - وروي عن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت ؟ قال الايمان إيمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله تعالى (انما المؤمنون) ... فوالله لا أدري أنا منهم أم لا

ثم بين تعالى جزاء هؤلاء المؤمنين الكملة فقال ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ الدرجات منازل الرفعة ومراقي الكرامة وكونها عند الرب تعالى

وذكره مضافا الى ضميرهم تنبيه الى عظم قدر هذه الدرجات وتكريم لأهلها، فان الله تعالى فضل بعض الناس ورفعهم على بعض درجة أو درجات في الدنيا وفي الآخرة وعند الرب عز وجل وهذا الاخير وان كان يكون في الآخرة فان وصفه بكونه عند الرب وباضافة اسم الرب الى أصحاب الدرجات يدل على مزيد رفعة واختصاص

واذا أردت أن تفقه معنى الدرجات في التفاضل بين الناس فتأمل قوله تعالى بعد بيان تساوي الرجال والنساء في الحقوق (وللرجال عليهن درجة) وهي درجة الولاية العامة والخاصة. وقوله تعالى في فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين (٤ : ٩٤ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى. وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما (٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما) وهنا جمع بين الدرجة والدرجات فقيل الدرجة تفضيلهم في الدنيا وقيل منزلتهم عند الله تعالى والدرجات منازلهم في الجنة. وفي معناه قوله تعالى في تفضيل الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله على سقاية الحاج من سورة التوبة (٩ : ٢٠ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) الخ الآيتين بعدها. وقال تعالى في بيان التفاوت والبعد بين متبعي رضوانه ومتبعي سخطه من سورة آل عمران (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) والظاهر ان العندية هنا عندية الحكم أو الجزاء لا المكانة لانها مجعولة على الفريقين. وقال تعالى في الرسل (٢ : ٢٥٣ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الآية قالوا هذه لنبينا ﷺ، وقال تعالى في إبراهيم عقب ذكر محاجته لقومه (٦ : ٨٤ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) وقال في سياق قصة يوسف مع أخوته عقب ذكر أخذه لاخيه الشقيق منهم بوجه شرعي (١٢ : ٧٦ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله، نرفع درجات من نشاء، وفوق كل ذي علم عليم) وقال في درجات الدنيا وحدها وهي آخر آية من سورة الانعام (٦ : ١٦٥ وهو

الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال في درجات الدار الآخرة بعد بيان التفاضل في الرزق بين الكفار مريدي الدنيا وحدها والمؤمنين مريدي الآخرة (٢١:١٦ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

وجملة القول ان الله خلق البشر متفاوتين في الاستعداد والعقول والاعمال واقتضى ذلك بنظام سننه في خلقه تفضيل بعضهم على بعض درجات في الدنيا وفي الآخرة وفي المكانة عند ربهم وهذه الاخيرة عليا الدرجات وأفضلها

وقوله تعالى ﴿ ومغفرة ورزق كريم ﴾ معناه ولهم مغفرة من الله لذنوبهم الحقيقية التي سبقت وصولهم إلى درجة الكمال إن كانت كبيرة وما كان من قبيل اللمم ، ولذنوبهم الاضافية التي يحاسبون بها أنفسهم بعد بلوغ الكمال كالغفلة عن ذكر الله حينا ، وترك الافضل إلى مادونه حينا آخر ، وفوت بعض أعمال البر الممكنة أحيانا ، وأمثال ذلك مما يعبر عنه بحسنات الابرار سيئات المقربين ، ورزق كريم في الجنة ، والكريم تصف به العرب كل شيء حسن في بابه لاقبح فيه ولا شكوى منه .

---

(٥) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٦) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٧) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٨) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

تقدم في تفسير قصة البقرة من سورتها أن سنة القرآن في ذكر القصص والوقائع مخالفة المعهود في أساليب الكلام من سردها مرتبة كما وقعت ، وإن

سبب هذه المخالفة أنه لا يقص قصة ولا يسرد أخبار واقعة لأجل أن تكون تاريخاً محفوظاً، وانما يذكر منها ما يذكر من ذلك لأجل العبرة والموعظة، وبيان الآيات الحكم الالهية والاحكام العملية. بدئت قصة البقرة بأمر موسى لقومه بذبح بقرة وذكر في آخرها سبب ذلك خلافاً للترتيب المألوف من تقديم السبب على مسببه كتقديم العلة على معلولها والمقدمات على نتيجتها. ولكن أسلوب القرآن البديع أبلغ في بابه كما بسط هنالك

وهنا بدئت قصة غزوة بدر الكبرى التي كانت أول مظهر لوعد الله تعالى بنصر رسوله والمؤمنين، والادالة لهم من أكابر مجرمي المشركين، بذكر حكم الغنائم التي غنمها المسلمون منهم - وبالها من براعة مطلع - مقروناً ببيان صفات المؤمنين الكاملين الذين وعدهم النصر كما وعد النبيين، وهم الذين يقبلون حكم الله وقسمة رسوله في الغنائم - وبالها من مقدمات للفوز في الحرب وغيرها - ثم قفى على ذلك بذكر أول القصة وهو خروج النبي ﷺ من بيته في المدينة وكراهة فريق من المؤمنين لخروجه، خلافاً لما يقتضيه الايمان من الاذعان لطاعته، والرضاء بما يفعله بأمر ربه، وما يحكم أو يأمر به، كما علم من الشرط في الآية الاولى (إن كنتم مؤمنين) ولعل بيان هذا الشرط وما واليه من بيان صفات المؤمنين حق الايمان هو أهم ما في هذه السورة على كثرة أحكامها وحكمها وفوائدها الروحية والاجتماعية والسياسية والحربية والمالية

قال تعالى ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ أي ان الانفال لله يحكم فيها بالحق ولرسوله يقسمها بين من جعل الله لهم الحق فيها بالسوية، وإن كره ذلك بعض المتنازعين فيها، والذين كانوا يرون أنهم أحق بها وأهلها، فهي كاخراج ربك إياك من بيتك بالحق لقاء إحدى الطائفتين من المشركين في الظاهر، وكون تلك الطائفة هي المقاتلة في الواقع، والحال ان كثيراً من المؤمنين لكارهون لذلك لعدم استعدادهم للقتال أوله ولغيره من الاسباب التي تعلم مما يأتي.

هذا ما أراه المتبادر من هذا التشبيه وقد راجعت بعض كتب التفسير فرأيت للمفسرين فيها بضعة عشر وجهاً أكثرها متكلف وبعضها قريب ولكن هذا أقرب وقد بسطه الامام أبو جعفر بن جرير الطبري باعتبار غايته وما كان من المصلحة فيه وهو

حق في نفسه ولكن اللفظ لا يدل عليه ، وذكره الزمخشري مبنياً على قواعد الاعراب ولا يظهر المعنى تمام الظهور في الآيات إلا ببيان ما وقع من ذلك وأجمعه رواية محمد بن إسحق قال : حدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز من يتجسس الاخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم ابن عمر الغفاري فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لما في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فاحسن ، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فاحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم قال رسول الله ﷺ « أشيروا على أيها الناس » وإنما يريد الانصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، وكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون

الانصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال رسول الله ﷺ ذلك قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال «أجل» فقال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك مايتخلف منا رجل واحد ، وماننكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء[1] ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال « سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم »

﴿ يجادلونك في الحق بعدما تبين ﴾ قال بعض العلماء ان هذه الآية نزلت في مجادلة المشركين للنبي ﷺ في أمر الدين والتوحيد . وهي بهم أليق ، ولكن ماقبلها وما بعدها في بيان حال المؤمنين وما كان من هفوات بعضهم التي محصهم الله بعدها فتعين كونها فيهم وفاقا لابي جعفر ابن جرير فيه وفي رد ذلك القول ومشايعة ابن كثير له ، وذكر أن مجاهداً فسر الحق هنا بالقتال وكذا ابن إسحاق وعلل الجدال فيه بقوله كراهية للقاء المشركين وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم. وبيان ذلك ان المسلمين كانوا في حال ضعف فكان من حكمة الله تعالى أن وعدهم الله أولا إحدى طائفتي قريش تكون لهم على الابهام فتعلقت آمالهم بطائفة العير القادمة من الشام لانها كسب عظيم لامشقة في إحرازه لضعف حاميته، فلما ظهر أنها فاتتهم وأن طائفة النفير خرجت من مكة بكل ما كان عند قريش من قوة وقربت منهم وتعين عليهم قتالها اذ تبين أنها هي الطائفة التي وعدهم الله تعالى اذ لم يبق غيرها ، صعب على بعضهم لقاؤها على قلتهم وكثرتها ، وضعفهم وقوتها ، وعدم استعدادهم للقتال كاستعدادها ، وطفقوا يعتذرون للنبي ﷺ اعتذارات جدلية بأنهم لم يخرجوا الا للعير لانه لم يذكر لهم قتالا فيستعدوا له ، كأنهم يحاولون اثبات ان

[1] صبر وصدق كل منهما بضمتين جمع صبور وصدوق

مراد الله تعالى بادى الطائفتين العير بدليل عدم أمرهم بالاستعداد للقتال، ولكن الحق تبين بحيث لم يبق للجدال فيه وجه ما - لا بأن يقال ان طائفة العير مراد الله تعالى فانها نجت وذهبت من طريق سيف البحر ولو كانت هي المرادة لما نجت؛ ولا بأن يقال اننا لم نعدّ للقتال عدته فلا يمكننا طلب الطائفة الاخرى - فانه مهما تكن حالها فلابد من الظفر بها لوعد الله تعالى فلم يبق لجدالهم وجه الا الجبن والخوف من القتال ولذلك قال ﴿ كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أي كأنهم من فرط جزعهم ورعبهم يساقون الى الموت سوقا لامهرب منه لظهور أسبابه حتى كأنهم ينظرون اليه بأعينهم، وهي ما ذكرنا من التفاوت بين حالهم وحال المشركين في العدد والعدد والخيل والزاد، ولكن الله تعالى وعد رسوله والمؤمنين الظفر بهم، وهذا دليل قطعي لا يتخلف عند المؤمن الموقن، وما تلك الاسباب عادية كثيرة التخلف، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، وهكذا أنجز الله وعده وكان الظفر التام للمؤمنين، وقد بين تعالى ذلك كله بقوله ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ﴾ تولى الله تعالى اقامة الحجة عليهم بالحق فيما جادلوا فيه رسوله بالباطل ووجه الخطاب اليهم بعد ان كان الخطاب له (ص) فقال واذكروا اذ يعدكم الله احدى الطائفتين - العير أو النفير - انها لكم، وهذا التعبير آكد في الوعد من مثل: واذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم. لان هذا اثبات بعد اثبات، اثبات للشيء في نفسه، واثبات له في بدله ﴿ وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ أي وتحبون وتتمنون ان الطائفة غير ذات الشوكة وهي العير تكون لكم لانه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا. والشوكة الحدة والقوة، وأصلها واحدة الشوك شبهوا بها أسنة الرماح. ثم أطلقوها مجازا على كل حديد من السلاح، فقالوا: شائك السلاح وشاكي السلاح. وانما عبر عنها بهذا التعبير للتعريض بكراهتهم للقتال، وطمعهم في المال، ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ أي ويريد الله بوعده غير ما أردتم، يريد أن يحق الحق الذي أراده بكلماته المنزلة على رسوله أي وعده لكم أحدى الطائفتين

مبهمة وبيانها له معينة مع ضمان النصر له ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ المعاندين له من مشركي مكة وأعوانهم باستئصال شأفتهم ومحق قوتهم ، فان دابر القوم آخرهم الذي يأتي في دبرهم ويكون من ورائهم ، ولن يصل اليه الهلاك الا بهلاك من قبله من الجيش ، وهكذا كان الظفر ببدر فاتحة الظفر فيما بعدها الى أن قطع الله دابر المشركين بفتح مكة ، وما تخلل ذلك من نيلهم من المؤمنين في أحد وحنين فانما كان تربية على ذنوب لهم اقترفوها كما قال تعالى في الأولى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) الى أن قال (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) وقال في الثانية (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ـ الى قوله ـ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الخ

قال في الكشاف : يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأموالكم والله عز وجل يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين ، وشتان ما بين المرادين ، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشركة ، وكسر قوتهم بضعفكم ، وغلب كثرتهم بقلتكم ، وأعزكم وأذلهم ، وحصل لكم مالا تعارض أدناه العير وما فيها

﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ أي وعد بما وعد وأراد باحدى الطائفتين ذات الشوكة ليحق الحق أي يقرره ويثبته لانه الحق ـ وهو الاسلام ـ ويبطل الباطل أي يزيله ويمحقه ـ وهو الشرك ـ ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ أولو الاعتداء والطغيان من المشركين . واحقاق الحق وابطال الباطل لا يكون باستيلائهم على العير بل بقتل أئمة الكفر والطاغوت من صناديد قريش المعاندين الذين خرجوا اليكم من مكة ليستأصلوكم . وقد علم مما فسرنا به الحق في الآيتين انه لا تكرار فيه ، فالحق الاول هو القتال لطائفة النفير مع ضمان النصر للمؤمنين ، ومحق الكافرين ، والثاني هو الاسلام ، وهو المقصود الاول وسيلة له . وهذا أظهر مما قاله الزمخشري وابن المنير

فتاوى المنار

خيرية القرون الثلاثة مع وقوع الفتن فيها

(س ١١) من صاحب الامضاء في فكاوغن - جاوه

إلى حضرة الامام مفتي الانام خليفة شيخ الاسلام السيد محمد رشيد آل رضا أطال الله بقاه ونفعنا بعلومه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فليتيقن علمي باخلاصكم في خدمة الاسلام والمسلمين كما أشاد(١) في مقالاتكم على صفحات مناركم المنير ولحرصي على فتاويكم الشافية الكافية ألتمس من فضيلتكم أن تبينوا لي مقصود هذا الحديث الشريف « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » بيانا وفيا كعادتكم في حل المسائل ، وتوضيح المشاكل. فانه قد أشكل علي مقصود قوله ﷺ «خير» ماهو ذلكم الخير الذي يقصده ﷺ مع العلم بأن قرون الفتن ، والزلازل ، والزلقة منجمت(١) إلا في تلكم القرون الثلاثة المشهود لها بالخير . ألم تروا إلى فتنة عبدالله بن سبأ ذالكم اليهودي اللعين التي أدت إلى قتل الخليفة الثالث رضي الله عنه وإيقاد نار الحرب بين الخليفة الرابع وسيدنا معاوية رضي الله عليهم التي كانت السبب في ازهاق أرواح الالوف من خيرة رجال الصحابة ، وظهور الخورجية وقتلهم للامام علي كرم الله وجهه ، ووقعة كربلا ، واستباحة مدينة رسول الله وحرمه ، ورمي الكعبة بالمنجنيق ، ونبوغ الجهمية وغيرها من الفرق الضالة المضلة ، وافتراء الالوف المؤلفة من الاحاديث الموضوعة على رسول الله الخ الخ ، بل إن خذلان المسلمين اليوم وسقوطهم في هاوية الذل والمسكنة انما هي عاقبة تلكم الوقائع السود

---

١) المنار : كان الاصل بان شمس الفتن ... ما بزغت الا الخ فغيرنا الكلمتين بما هو المناسب للمعنى وجاء الجناس بلفظ القرون عفوا غير متكلف .

التي وقعت في تلكم القرون الثلاثة وما تليها . أفيدونا مأجورين ، ولازلتم ملجأ ومأوى للحائرين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعيد بن طالب الهمداني

(ج) الحديث ورد في الصحيحين وغيرهما بلفظ « خير الناس قرني » الخ وبلفظ « خير أمتي أهل قرني » الخ ، وفي عدة روايات البخاري «خيركم قرني» وقد بين علة الخيرية في الرواية المتفق عليها من حديث عبد الله بن مسعود « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وفي رواية من حديث عمران بن حصين في البخاري « ثم يجيء من بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون . ويظهر فيهم السمن »وفي رواية له زيادة« ثم يفشو الكذب» وفي رواية الترمذي والحاكم عنه « ثم يأتي بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسئلوها » فالمراد بخيرية كل قرن على مابعده خاص بتفضيل المسلمين فيه على من بعدهم فيما يليه ، قيل في جملتهم، وقيل في افرادهم ، والمشهور تفضيل الصحابة على من بعدهم مطلقا. والقرن أهل زمان تجمعهم فيه جامعة يكون فيها بعضهم مقارنا لبعض كرئيس يجمعهم من نبي أو حاكم أو غيرهما أو عمل مشترك . وحدده بعضهم بالزمان وفيه أقوال من عشرة إلى مائة وعشرين والاشهر الذي جرى عليه الناس أن القرن مائة سنة وليس بمعين في هذا الحديث وعليه يمكن تفسير قرنه ﷺ بزمانه من بعثته ل . والقرن التالي له بقرن الخلفاء الراشدين لتشابههم أو إلى آخر مدة عمر أو الى حدوث الفتن في زمن عثمان لامتيازه بذلك. والمشهور عند جمهور العلماء أن القرن الاول قرن الصحابة، والثاني قرن التابعين، والثالث قرن تابعي التابعين . قال الحافظ ابن حجر : واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشيا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة رءوسها ، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الاحوال تغيراً شديداً ، ولم يزل الامر في نقص الى الآن . وظهر قوله (ص) « ثم يفشو الكذب » ظهوراً بيناً حتى شمل الاقوال والافعال

والمعتقدات و لله المستعان اه

وجملة القول أن التفضيل خاص بما يكون عليه المسلمون من الاعتصام بعروة الدين من صحة التوحيد والبعد عن الشرك وخرافاته واجتناب الرذائل وشرها الكذب، والتحلي بمكارم الاخلاق والاخلاص في العبادات. وما وقع من الدعوة إلى الشرك من عبد الله بن سبأ ثم الى بقية السياسة وانما وقع من الكفار كعبد الله بن سبأ اليهودي وأمثاله من زنادقة أهل الكتاب وزنادقة الفرس واصطلى المؤمنون بنارها

وفي الصحاح أحاديث أخرى تؤيد هذا المعنى وهو ان كل زمن شر مما بعده أي من حيث الدين والتقوى في مجموع الامة، وهو مقتضى سنة الله في البشر التي يدل عليها قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ولا ينافي هذا وجود بعض المزايا والاعمال في بعض الازمنة المتأخرة بحيث تفضل بها على ما كان قبلها كزمان عمر ابن عبد العزيز على ما قبله من أزمنة ولاية قومه. وقد روى الترمذي باسناد قوي من حديث أنس وابن حبان من حديث عمار وصححه «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره» وقال الحافظ ابن حجر حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى الصحة، وحملوا الآخر فيه على زمن المسيح وهو مع ذلك لا يظهر بالنسبة الى قوة الايمان وفضائل الافراد بل بالنسبة الى ما يكون فيه من جمع كلمة المسلمين وقوتهم وكثرة البركة في أموالهم ومعايشهم وخفض كلمة الكفر وذلة أهله على ما هي في ذلك والله أعلم

أسئلة من إيك — يوغوسلاويا : (أوربة)

(س ١٢ — ١٥) من صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضل والفضيلة، سيدنا ومولانا العالم العلامة، المحقق المدقق مفتي الأنام السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه وحفظه آمين

(١) هل يجوز أداء صلاة الظهر في يوم الجمعة بالجماعة لأهل القرى في القرى مع ان الجمعة قد أقيمت قبلها؟ هكذا يفتي بعض العلماء ويخصون هذه بالقرى دون الامصار ونحن نظن ان إقامة صلاتين متغايرتين في وقت واحد مع الجماعة

لاتجوز كما قررت في الاصول، ومع هذا اذا أقيمت صلاة الظهر مع الجماعة بعد صلاة الجمعة في المسجد هل تبطل الجمعة بأداء الثانية ؟ إذ المصلون هذه يشكون من ان صحة الجمعة ليست قطعية (في القرى) لفوات بعض شروطها

(٢) هل يعد من الزكاة الخراج المستأدية للحكومة المطروح من عندها — أي حكومة كانت — ويسد مسدها ؟

(٣) مامعنى حديث « استنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه » أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس (رض)، والدار قطني عن أنس بلفظ « تنزهوا » .؟ وما حكمة تعميم النبي ﷺ عذاب القبر بالبول ؟

(٤) هل « وجودك ذنب لايقاس عليه ذنب آخر » حديث صحيح أو من الموضوعات إن كان من الاحاديث الصحيحة فما معناه وما سبب إيراد النبي ﷺ هذا ؟ ومن كان المخاطب بهذا ؟

أقدم لفضيلتكم هذه وأرجو الجواب والافتاء عنها مع فائق احترامي وتشكري

المخلص والمشترك لمجلتكم الغراء

يحيى سلامي

صلاة الجمعة في القرى والظهر بعدها جماعة

الجواب عن السؤال الاول انه من المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان الله تعالى لم يفرض على عباده صلاتي فريضة في وقت واحد . فمن كان في قرية فيها مسجد تقام فيه الجمعة يجب عليه أن يصليها مع الجماعة الا اذا كان يعتقد ان صلاة الجمعة فيها باطلة شرعا لفقد بعض شروطها وحينئذ لايجوز له أن يصليها لانه شروع في عبادة باطلة غير مشروعة في اعتقاده وان كان مخطئا وهو عصيان لله تعالى، واذا عمي وصلاها معتقداً بطلانها تبقى صلاة الظهر متعلقة بذمته فعليه أن يصليها ، وليس له أن يقيم له مع غيره جماعة أخرى لانه تفريق بين هؤلاء وبين اخوانهم المسلمين الذين أقاموا الجمعة قبلهم . وهذه مسألة اجتهادية هذا ما أراه في حكمها. وأما اذا صلاها معتقداً صحتها فلا يجوز له أن يصلي بعدها ظهراً لا منفرداً

ولا جماعة لانه يكون بهذا مخالفا المعلوم من الدين بالضرورة وهو قطعي بظن بعض الفقهاء . وهذه المسألة قد بيناها بدلائلها التفصيلية من قبل ، واذا كان لمن تحكون عنهم شبهات غير ماسبق لنا بيانه والرد عليها فاذكروها لنا

وليعلم المسلمون في بلادكم وأمثالها انه لاينبغي لهم تقليد من يقول من الفقهاء ان صلاة الجمعة لاتصح في القرى فان أول جمعة أقيمت في الاسلام قد أقيمت بعد جمعة في مسجد رسول الله (ص) في قرية جواثي من البحرين كما في صحيح البخاري وشروحه ولا تقليد من يشترط لصلاة الجمعة دار الاسلام واقامة الاحكام الشرعية من قبل الامام ، لانه تقليد في ابطال شعيرة من أعظم شعائر الاسلام، قال بعض الائمة بعدم اشتراط ماذكر في صحتها

(٢) اجتماع العشر والخراج

الجواب عن الثاني ان مذهب الحنفية عدم اجتماع الخراج والزكاة في أرض واحدة ومذهب الجمهور انهما يجتمعان لأن الخراج أجرة الارض لبيت المال فهو واجب عليها ، وأما الزكاة فهي حق على الغني المسلم لأصحاب الحاجة من المسلمين ومصالحهم العامة وبذلك لاتجب على الذمي والخراج يجب عليه . وهذا كله خاص بالحكومة الاسلامية سواء كانت حكومة الامام الحق في دار العدل أو حكومة البغاة المتغلبين منهم. وأما اذا أقام المسلمون في غير دار الاسلام ومتكوا فيها أرضا أو تحولت دار الاسلام الى دار حرب لغير المسلمين فلختار عندنا انه لا وجه لجعل ماتأخذه هذه الحكومة من المسلم كالخراج الشرعي في دار الاسلام ، واذا كان للمسلمين إمام يقيم العدل في قطر آخر فالمصلحة الاسلامية العامة تقتضي أن يرسلوا اليه من زكاة أموالهم كل مايتعلق بالمصالح العامة بعد أن يؤدوا للفقراء والمساكين منهم فيها ، وكذا المؤلفة قلوبهم والغارمون إن وجدوا ، وإلا كان حالهم كحال المسلمين قبل الهجرة

وههنا مسائل يفتقر بيانها بادلتها إلى بحث طويل لامحل له هنا وهذا الوقت ليس بوقته . وإنما أقول للسائل الفاضل وهو من أهل العلم ومتدارسي الفقه ان أحكام الخراج وما يتعلق بها أحكام اجتهادية لا تعبدية وان جعل جماهير الفقهاء

اجتهاد الخليفة الثاني ومن بعده من الراشدين كنصوص الشارع في التزام العمل به عند عدم المعارض ، وعدوا المتفق عليه منها داخلا في مسائل الاجماع الاصولي، والذي نعتقده أنها من أحكام المصالح العامة المفوضة إلى الأئمة وأولي الامر من المسلمين يقررون بالتشاور في كل زمان وحال مافيه المصلحة . وأما الزكاة فهي من العبادات الاساسية والنصوص القطعية فيها معلومة وكذا الاجتهادية ومنها الخلاف في عشر غلات الارض هل هي زكاة تعبدية أو من قبيل الخراج، ومن فروع ذلك هل يجب الوقوف فيها عند النصوص أم يدخل فيها القياس ـ فليتذكر هذا على اطلاقه واجماله وليجعله محل تذكر وتأمل وبحث لا موضع مناقشة ومراجعة معنا

(٣) حديث استنزهوا من البول الخ

الحديث رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ «استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه » والحاكم لم يروه بهذا اللفظ وانما روى عن أبي هريرة وابن عباس « عامة عذاب القبر من البول» وأما الدارقطني فرواه من حديث أنس بلفظ «تنزهوا» الخ ومعناه الامر بالاحتراز والتوقي من البول أن يصيب البدن أو الثوب والتطهر منه اذا أصابهما أو أحدهما : ومعنى أصل المادة (ن ز ه) البعد فالمراد أن يبتعد المسلم من نجاسة البول ويتقيها . وأما حكمة كون عذاب القبر منه ومن النميمة كما في حديث الصحيحين في الرجلين اللذين وضع النبي ﷺ الجريدة على قبورهما فهو من عالم الغيب الذي لا مجال للرأي فيه، ولم نقف على بيان له من الشارع

(٤) جملة وجوده ذنب الخ

هذه الجملة لا نعلم أن أحداً رواها حديثا وانما المعروف أنها مصراع بيت من الشعر — من غير كلمة آخر — فان كنتم أطلعتم على كتاب ذكر فيه أنها حديث فاخبرونا بنصه في ذلك

﴿ زكاة الفطر : وقت وجوبها وحكم تعجيلها ﴾

(س ١٦ و ١٧) من فكفغان جاوه .

الى جناب السيد الأفخم محمد رشيد رضا أدام الله عزه وجعله ذخراً للاسلام والمسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد السلام التام وأفضل التحية والاكرام بما انكم منار الاسلام وقبلته الذي يرجع اليه المسلمون في جميع المشكلات العويصة تتقدم الى أياديكم البيضاء بهذه المسألة ونرجوكم افادتنا بالادلة الواضحة لان هذه المسألة صارت موضع اختلاف الناس في هذه الديار ولكم منا مزيد الشكر وعاطر التحية والثناء وهي

(١) متى يجب اخراج زكاة الفطر

(٢) وهل يجوز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين أم لا. واذا قلتم انه لا يجوز فلماذا أجاز ذلك الباجوري في شرحه ص (٣٠٣) وهل هو معتمد على حديث قوي أم لا؟ واذا قلتم أنه يجوز اخراجها قبل العيد بيوم أو يومين فهل تسمى صدقة أو زكاة؟ والسلام

عبد الله بن أحمد باشراحيل

فكلنغان جاوه

[المنار] أما الجواب عن السؤال الاول فجمهور الفقهاء المجتهدين واتباعهم على أن زكاة الفطر تجب بوقت الفطر من آخر يوم من رمضان ووقته غروب الشمس واستدلوا على ذلك بتسميتها زكاة الفطر في الاحاديث الصحيحة ونازع بعضهم في هذا الاستدلال، وزعم بعضهم ان المراد بالفطر الفطرة أي الحنطة ويرده رواية « زكاة الفطر من رمضان »

وأما الجواب عن الثاني فهو انه يجوز اخراجها قبل العيد بيوم أو يومين عند جمهور الائمة المجتهدين وادعى بعضهم الاجماع عليه لضعف الشذوذ فيه، والاصل فيه ما رواه البخاري في صحيحه من أنهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين. وسبب ذلك ان الغرض من زكاة الفطر اغناء الفقراء في يوم العيد عن السؤال وهو يوم ضيافة الله لعباده المؤمنين. وكانوا يعطون الفقراء الحب في الغالب كالبر والشعير فاذا أعطوه يوم العيد ولو وقت الفضيلة عند الجمهور وهو ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد فربما لا يتيسر لبعض الفقراء طحنه وخبزه والفطر منه

وفي هذه الحالة تسمى زكاة كما تسمى صدقة باعتبار أن لفظ الصدقة يشمل المفروض والمندوب وانما ورد اختلاف التسمية في حال أدائها بعد صلاة العيد

ففي حديث ابن عباس قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر للصائم طهرة من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات. رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه ووافقه الحافظ الذهبي بانه على شرط الصحيحين. والجمهور على أن الاداء جائز في نهار العيد كله وهو خلاف هذا الحديث. والنبي ﷺ كان يؤتى بزكاة الفطر قبل صلاة العيد ويقسمها بعدها على المستحقين. والاحتياط أن يؤديها الانسان قبل العيد بيوم أو يومين كما كان يفعل ابن عمر رضي الله عنه الشهير بالحرص على اتباع السنة. والخلاف في صحة هذا التعجيل لها أضعف من الخلاف في صحة أدائها بعد صلاة العيد من حيث الدليل. وجوز بعض الائمة أداءها من أول رمضان وهو ينافي حكمة فرضيتها

(حظر أخذ العلم الشرعي من الكتب بدون توقيف)

(س ١٨) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

حضرة الامام العالم العامل الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا أمد الله في أجله ونفع المسلمين بعلمه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد جاء في كتاب الامام ابن حجر الموسوم بالفتاوى الحديثية صحيفة نمرة ٢٠ من طبع مطبعة الجمالية ما يأتي:

كل من أخذ العلم عن السطور كان ضالا مضلا ولذا قال النووي رحمه الله من رأى المسئلة في عشرة كتب مثلا لايجوز له الافتاء بها لاحتمال أن تلك الكتب كلها ماشية على قول أو طريق ضعيف اهـ

فما رأيكم في ذلك وإذا فما فائدة الكتب الدينية والمجلات العلمية ألا يجب بناء على ذلك أن ندعهما بطون المكاتب حتى يتيسر لنا أخذها عن صدر عالم أو ما معنى هذا الكلام أفيدونا ولكم من الله حسن الجزاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عثمان

(ج) يعني الفقهاء ان علم الدين لا يوثق به إلا إذا أخذ بالتلقي عن أهله من العلماء الراسخين ، وان الجاهل إذا احتاج الى العلم بمسألة فبحث عنها في بعض الكتب وان تعددت فأخذ بما رآه مدونا فيها يكون ضالا بأخذه بها في نفسه ، مضلا في فتواه بها لغيره ، إن لم يكن هو عالما يقدر أن يميز بين ما يراه في الكتب فيعرف بالدليل صحيحه من غيره وحقه من باطله . لاحتمال أن يكون ما رآه قولا ضعيفا دليلا أو مدلولا

وأنا قد اختبرت بنفسي أفراداً من الناس تعرض لهم المسألة فيأخذون بعض الكتب ويراجعون فيها عنها في مظانها فيجدون شيئا لا يفهمونه حق الفهم فيعملون به ويفتون ويحتجون ويجادلون ، وهم لا يفهمون ما يقولون وما يكتبون ، لضعفهم في العلوم التي يتوقف عليها فهم المسألة من عربية وشرعية ، وقد انتقد بعضهم علينا بعض ما نشرناه في المنار فنشرناه لهم على عادتنا وبينا لهم أنهم لم يفهموا النقول التي استدلوا بها على آرائهم كلها أو بعضها . ومنهم من ذكرنا في الرد عليهم بعض قواعد الاصول فطعنوا في علم الاصول نفسه واحتجوا على طعنهم بأنه علم مبتدع ما أنزله الله تعالى ـ ومثله النحو والمعاني والبيان في ذلك ـ فتأمل وتدبر

هذا سبب ما كتبه الفقهاء وهو لا ينافي الانتفاع بكثير من الكتب السهلة العبارة والمجلات وغيرها ومراجعة أهل العلم فيما يخفى على القاري. منها

﴿ الصريح والكناية في الطلاق وكتاب الرجل بطلاق امرأته ﴾

(س ١٩ و٢٠) من صاحب الامضاء في سمبس برنيو (جاوه) وهو من قضاة الشرع فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة مولاي الاستاذ العلامة المصلح السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي نفعني الله والمسلمين بوجوده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فانى أرجو من فضلكم أن تفيدوني بالجواب عن الاسئلة الآتية وهي :

(١) هل ورد في الكتاب أو السنة نص في تقسيم ألفاظ الطلاق الى ما هو صريح وكناية فالاول لا يحتاج الى النية والثاني يحتاج اليها أم هو من الامور الاجتهادية

(٢) ماقولكم في رجل كاتب معروف الخط أو الامضاء كتب الى زوجته أو الى غيرها من أحد أقاربها يبين فيه أن طلقها بلفظ صريح كأن قال فيه : ـ « طلقت زوجتي فلانة » وقدمت الزوجة الكتاب الى قاضي بلدها ليثبت الطلاق ويمكن لها أن تنكح زوجا غيره ـ فهل يجوز للقاضي أن يعمل بمضمون ذلك الكتاب أو يجب عليه أن يسأل صاحبه الذي هو الزوج عن الطلاق الذي هو فيه ـ هل نواه أم لا ؟ وهل تلفظ به بعد كتابته أم لا ؟ أو حال الكتابة .

لو قال قائل يجيب عن هذه الاسئلة كما قال في شرح الروض : كتب الطلاق ولو صريحا كناية ولو من الاخرس فان نوى به الطلاق وقع والا فلا » اهـ

لقلت له سائلا : أليست الكتابة تدل على القصد والارادة فهي كاللفظ ، ولم لاتعتبر في الطلاق كاللفظ ولا يقع بها الطلاق الا مع النية ؟ على أننا لو نظرنا صحيحا الى الكتابة لقلنا إنها أثبت من اللفظ فانه يسهل على اللافظ انكار لفظه مالا يسهل على الكاتب انكار كتابته فانها باقية مخطوطة مقروءة . فهل يتسامح في دين الله تعالى لمن كتب الى زوجته كتاب الطلاق الصريح أن يقول : انني كتبته بلا نية ولاقصد بل كتبته لأجل تمرين الكتابة فيقبل قوله بيمينه ؟ أليس هذا تلاعبا بالدين؟

هذا والمرجوا أن تبينوا لي ولقراء المنار وغيرهم أحكام الكتابة التي تتعلق بالامور الدينية كالطلاق والوصية والهبة والشهادة وهي كشاهد كتب شهادته إلى الحاكم فهل يجوز له أن يعمل بكتاب شهادته بغير حضوره مجلس الحكم أم لا ؟ وأسأل الله تعالى أن يجزيكم جزاء حسنا وفقنا : محمد بسيوني عمران

سمبس في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥

(ج) أما الجواب عن الاول فهو ان تقسيم الطلاق إلى صريح وكناية من اصطلاح الفقهاء لامما ثبت في نصوص الكتاب والسنة فهو يتعلق بمفهومات لغات المطلقين

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الكتابة كالنطق في مفهوم الكلام كما هو بديهي . فاذا ثبت عند القاضي أن الخط خط الزوج المطلق حكم به . وقد قصر الفقهاء في أحكام الخط على ما كان من عناية كتاب الله تعالى بها وسننشر ان شاء الله تعالى فصلا طويلا في المسألة إجابة لاقتراحكم

﴿ الطلاق الثلاث باللفظ الواحد ﴾

(س ٢١) من صاحب الامضاء في (بوسعيد)

نسئلكم سيدي في رجل طلق زوجته ثلاثاً دفعة واحدة يقع ثلاثا أو واحدة وهذا الامر وقع عندنا وأفتانا شخص بأن الطلاق يقع واحدة ونسب الفتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ولم يرنا الفتوى وهو من أهل الطريقة لم أثنى بكلامه لان أهل الطرائق إلى دين النصرانية أقرب لمحبتهم أن يعظموا إلى الحد الذي لا ترخص الشريعة الاسلامية به حسب علمكم بهم سيدي، والآن مرادنا الافادة منكم إن كان هذا حق فالحق أحق أن يتبع من تلميذكم راجي عفو المنان

سليمان بن علي بن سليمان البوسعيدي

(ج) أصل المسألة خلافية فجمهور العلماء على أن من طلق زوجه ثلاثاً بلفظ واحد يقع عليه ثلاث طلقات ولا تحل له بعد ذلك إلا اذا تزوجت بعد انقضاء عدتها زوجاً آخر ودخل بها وواقعها ثم مات عنها أو طلقها . وذهب آخرون إلى أنه لا يقع عليه في هذه الحالة إلا طلقة واحدة

وقد كان شيخ الاسلام يفتي بوقوع الواحدة وكذلك تلميذه العلامة ابن القيم وهذا الذي نعتقده ونختاره كما بيناه في تفسير الآية من سورة البقرة . وقد وضع بعض العلماء بمصر عدة مسائل بصفة مواد قانونية للعمل بها في المحاكم الشرعية منها الحكم في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد بطلقة واحدة رجعية . فاعترض عليه جمهور علماء الازهر وأقره بعضهم ودافع عنه

وقد ذكرتم أن علة عدم ثقتكم بالمخبر لكم بفتوى شيخ الاسلام من مشايخ الطريق بأنهم إلى دين النصرانية أقرب لحبهم الغلو في التعظيم الخ وهذا خطأ منكم بهذا الاطلاق والتعميم فأهل الطرائق ليسوا أشد حبا للتعظيم من غيرهم من طبقات وجهاء الناس كالحكام والعلماء والاغنياء نعم إن هذه الطرائق مشتملة على بدع كثيرة محرمة وبعضها لا يخلو من الشرك الصريح ولكن أتباعها متفاوتون في اتباع هذه البدع فمن مقل ومكثر ، ومنهم من يتقي الكذب ولا سيما في الشرع كما يجب فاطلاقكم خطأ

كيف تنهض اللغة العربية

(تتمة ما جاء في الجزء الماضي)

فقه اللغة ومتنها

يضطر التلميذ كثيراً إلى تصوير بعض الاشياء أو وضعها أو معرفة مرادفها أو ضدها فيتعاصى عليه ذلك ، ولا يجد في خزانة فكره ما ينفق منه ، وهنا يظهر عجزه عن إبراز ما في نفسه ، فيطوي صحيفته ، ويكسر قلمه ، ويتنفس الصعداء ، أو يركب متن التعسف والركة ، ويؤدي مراده على أية صورة تهيأت له فلا يكاد يبين . ولو درس فقه اللغة لتدفقت عليه الالفاظ تدفقاً ، ولوجد من ثوبها الفضفاض خير حلة يجمل بها فكره ، ويجلي ما في نفسه .

ومع أهمية هذا العلم لا تسمع به في مدارسنا ولا تحس له وجوداً ، وحسبك ذلك في جهل التلامذة وفقرهم المدقع في اللغة

وأما متن اللغة فيكفي فيه ما يحفظه الطلبة في تضاعيف الكتب التي يدرسونها والقطع التي يحفظونها مع الضبط ومعرفة المعنى الصحيح واشتقاقه ، ولكي تكون الفائدة محققة يحسن تجريد الالفاظ من الكتب وتدوينها في كراسات الطلبة لسهولة حفظها والرجوع إليها عند الحاجة

وهنا أنبه إلى شيء مهم جدا يجدر بالمعلم الالتفات اليه ، وهو تعويد التلامذة مراجعة الكلمات والكشف عليها في معاجم اللغة ، فان جلهم إن لم يكن كلهم يجهل ذلك .

وأقول — والاسف شديد — إن معاجمنا أصبحت بحاجة إلى تهذيب كبير ، ولم تعد أداة صالحة مع بقائها على ما هي عليه بل أقول : إننا في أشد الحاجة إلى معجم عصري « وأريد أوسع معني لكلمة عصري »

ولعل جماعة المؤتمر الموقرة تفترص الوقت لبحث هذا الموضوع وترغيب حكومة مصر في العمل لذلك بالمساعدة والتنشيط فهي أحرى الحكومات بذلك لوجوه كثيرة لا محل لبسطها الآن

المطالعة

هي احدى الاركان الثلاثة المهمة في تكوين اللغة أعني الانشاء والمحفوظات والمطالعة ، ويجب الاكثار منها مع الفهم والتطبيق ، وانما تفيد المطالعة حيث تكون كتبها منتقاة من أعلى الكلام وأبلغه ككلام الله ورسوله وما دونهما من كلام الفصحاء في الجاهلية والاسلام ، ولا أرى لذلك كتباً تصلح من كل الوجوه ، فينبغي وضع كتب لذلك يراعى فيها الشروط السابقة ، وملاءمتها لحال الطلبة وأسنانهم

الانشاء

يكتب الطلبة ما يستطيعون كتابته في الموضوعات المختلفة ، وتصحح كتاباتهم بدقة وعناية ، ويقفون على أخطائهم اللفظية والمعنوية والاسلوبية والتعابير العامية والمبتذلة والدخيلة ، ويرشدون الى مواضع الصواب فيها ؟ ويحسن بالاستاذ أن يقرىء بعض الطلبة موضوعاتهم ليوازن بين جيدها ورديئها ، ويشجع المجيد باظهار استحسانه ، لتدب روح الغيرة في نفس المقصر فيجتهد في اللحاق به ، كما يحسن أن يقرىء التلميذ موضوعه غير مصحح ليصلحه بارشاده .

ولا بأس أن يتخولهم بدرس عناصر الموضوع قبل الكتابة فيه بطريق المحاورة والاستنباط

المحفوظات

هي الركن الضخم في تكوين ملكة اللغة والبلاغة ، وما نبغ خطيب أو شاعر أو كاتب الا بعد أن كان له من محفوظه مدد لا ينفد ، وهؤلاء شعراء الجاهلية والاسلام قضوا عهد الثقافة والمرانة رواة ناقلين ، قبل أن يكونوا شعراء مبرزين ، وما قلناه في المطالعة من حيث الاختيار والفهم والتطبيق نقوله هنا ، وأنفع المختار للحفظ وأولاه بالتقديم كلام الله ورسوله فينبغي الاكثار منهما

العروض والقوافي

لا أقول : إن درس هذا العلم يتوقف عليه قرض الشعر فكثير من الشعراء المفلقين يجهلونه جهلا تاما ، وأكثر الذين يعرفونه يتعاصى عليهم معالجة النظم ، لان قرض الشعر ملكة تقوى بالعكوف على دواوين الشعراء وحفظ الكثير

المتخير منها وفهمه، ثم تقليده ومعارضته، وتلك طريقة المتقدمين والمتأخرين، وحسبك بالبارودي رحمه الله - مجدد الشعر في العصر الحديث - فقد كان خلا من فحول الشعراء، دون أن يتعلم اصطلاحات العروض والقوافي بله النحو والصرف والبلاغة.

نعم إن هذا العلم يفيد من لم يكن شاعراً بطبعه أن يقرأ ما يقرأ من الشعر صحيحاً سليما من الاضطراب، فيسهل عليه فهمه، ولا يعزب عنه مراد الشاعر، وقد يكون منشطاً له إلى معالجته ثم التبريز فيه.

لذلك يحسن وضع مختصر فيه ليدرس على الطريقة التي رسمناها في القواعد كأن يقرأ الاستاذ البيت أمام الطلبة، ثم يبين لهم وزنه، ويسنده إلى بحره، ويرشدهم إلى ما فيه من زحاف أو علل، ويساعدهم بمعرفة الاسباب والاوتاد على طريقة الوزن، ثم يأتي بآخر من نوعه ويطالبهم بوزنه وهلم جراً حتى يثبت ذلك في أذهانهم

ولا بأس أن يطرح أمامهم بيتا من الابيات ويطالبهم بمعارضته، أو يضع معنى من المعاني ثم يطالبهم بالنظم فيه، فان في ذلك تنشيطا لأفهامهم، وشحذاً لقرائحهم، ومعينا على قرض الشعر لمن عنده استعداد لقرضه.

الكلمة الاخيرة

هذه فكرتي في تعليم اللغة أقدمها لجماعة العلماء المحتفلين بتكريم أمير الشعراء وكلهم امام في اللغة غيور عليها، وفيهم كبار رجال التعليم في وزارة معارفنا المصرية، وهم الذين يسند اليهم وضع نظم التعليم ومراقبة سيره في المدارس، ووضع التقارير الضافية له، بل هم أجدر الناس بلمس عيوب التعليم وتلافي ضررها، وقد أصبحوا الآن — والحمد لله — أحراراً لا نسيطر عليهم رقابة أجنبية، ولا تغل أيديهم عن العمل قوة دنلوبية.

ولعل هذه الكلمة الهادئة المتواضعة تتقبل بقبول حسن، فتكون نواة لابحاث مستفيضة في هذا الباب، بل جذوة لاضرام ثورة أدبية تأتي على الاخضر واليابس من نظم التعليم العتيقة الرثة.

والله يوفق من شاء لخير الاشياء والسلام عليكم ورحمة الله

عبد السميع البطل

مدرس الأدب بالمدارس الثانوية

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٣)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لا يتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

﴿ المقام الحادي عشر ﴾ قولكم : ويشهد لما قلناه نفس الحديث النبوي « لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً » فانه نهى عن اتخاذ قبره قبلة يتوجه اليه المصلي ولا يستقبل القبلة ونهى عن اتخاذ قبره موضعا للسجود عليه فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قلتم: ومن المعلوم انه ليس لليهود مساجد بالمعنى المعروف عند المسلمين فالمقصود إذاً انهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد مواضع يسجدون عليها (١)

أقول لاشك أن الحديث دال على ماذكرتم وهو النهي عن التوجه الى القبر والسجود عليه ولكن معناه غير منحصر فيما ذكرتم لان من تحرى السجود عند قبر النبي او الصالح فانما يفعل ذلك تبركا وتعظيما وذلك هو المعنى الذي وقع النهي لاجله لانه ذريعة للشرك ، فالسجود على القبر وعنده سواء ما دام المعنى المحذور موجوداً ، وهنالك قرائن كثيرة لفظية ومعنوية تدل على ما ذكرت فان أبيتم الا الوقوف مع ظاهر اللفظ ففي غيره من الاحاديث التي تدل على تحريم تحري السجود عند قبور الصالحين كفاية وقد تقدم مافيه الغنية منها وربما يأتي زيادة على ذلك

(وقولكم) « من المعلوم انه ليس لليهود مساجد بالمعنى المعروف عند المسلمين » (١) ان أردتم أن المتقدمين والمتأخرين منهم في مشارق الارض

(١) العبارتان في ص ٣٥٥ جزء المنار ٥

ومغاربها ليس لهم معابد عند قبور أنبيائهم فذلك ممنوع والعلم به مستحيل وعدم العلم بالشيء ليس علما بعدمه . وكيف ينفى عن اليهود ذلك وقد أخبر به الصادق المصدوق وذكرت له أم سلمة كنيسة رأتها في أرض الحبشة وذكرت له مارأت فيها من الصور فقال رسول الله ﷺ « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة فسمى النبي (ص) الكنيسة مسجداً لانها بمعناه لان المسجد محل عبادة الله من ذكر وصلاة ودعاء وكذلك الكنيسة عند النصارى . وروى مسلم عن جندب بن عبدالله قال قال رسول الله (ص) « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » والمراد بالحديثين واحد وهو النهي عن الصلاة عند القبر وجعله محلا للعبادة وبناء المسجد عليه . وخص قبور الانبياء والصالحين بالذكر لأن الفتنة إنما وقعت للاولين والآخرين بها

واتخاذ قبور الصالحين محالا للعبادة هو أعظم باب للاشراك بالله وما قرت عين ابليس بفتح باب مثله نسأل الله تعالى العافية . ويظهر من حديث عائشة ان الكنيسة التي ذكرتها أم سلمة للنبي (ص) كانت على قبر صالح تبركا به وصوروا فيه الصور لان الصور التي أشار اليها النبي (ص) في قوله « وصوروا فيه تلك الصور » هي التي رأتها أم سلمة وهي كانت في كنيسة فسماها النبي (ص) مسجداً والكنيسة لا يمكن أن تكون مبنية فوق القبر فقط فلا بد انها كانت حوله أو بقربه . وذكر النبي ﷺ أن من بنوها شرار الخلق ونهانا عن ذلك في حديث جندب وغيره فوضح ان المعنى المقصود بأحاديث الباب كلها هو النهي

عن تحري العبادة عند قبور الصالحين والسجود على القبور نفسها وان كان اللفظ شاملا له . وقد فهم البخاري وهو من أدق الناس فهما وأورعهم وأبعدهم من تحريف النصوص ومن التعصب للمذاهب ان من ضربت قبة على قبر زوجها استمتاعا بقربه وتعليلا للنفس وتخييلا باستصحاب المألوف من الأنس ، ومكابرة للحس يشملها نص اتخاذ القبور مساجد لانها لابد أن تصلي مدة إقامتها في تلك الخيمة وكانت سنة مع انها لم تضرب عليه القبة لاجل الصلاة عنده والتبرك به لان هذه البدعة لم تكن موجودة في ذلك الزمان وإنما قصدت الاستئناس بقربه وكانت قبتها من شعر أو نحوه لا من مدر ، فسمعت هاتفا فهمت من كلامه ان فعلها مكروه عند الله ، ولما كان كلام ذلك الهاتف مطابقا للدليل أورده البخاري في الباب ولم يورده على أنه دليل يحتج به لان الاحكام لا تثبت بمثله فكيف بمن يبني قبة من مدر مزخرفة على القبر يقصدها الناس من كل صوب للدعاء والصلاة عندها وذلك هو معنى بناء المساجد عليها واتخاذها أعياداً وقد نهى النبي عن ذلك أشد النهي ولعن فاعله وأخبر انه من شرار الخلق عند الله ؟ وشرار الخلق عند الله هم الكفار وذلك يقتضي كفر من يتخذون القبور مساجد ويؤيده ما رواه أحمد بن حنبل عن علي عليه السلام من حديث كسر الاوثان وتسوية القبور ولطخ الصور فانه قال في آخره يارسول الله لم أدع بها وثنا إلا كسرته ولا قبراً إلا سويته ، ولا صورة إلا لطختها فقال رسول الله ﷺ « من عاد إلى صنيعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد » اه وهو صريح في أن من بنى بناء على قبر كفر بذلك ولا اشكال فيه لانه لا يبني على القبر إلا من غلا في صاحبه وذلك باب الشرك كما تقدم والحديث

يدل على انهم كانوا يجعلون التماثيل في القبور ويبنونها تعظيما لاهلها فخاف النبي على أمته الشرك فنهاهم عن اتخاذ القبور مساجد ولو كان السجود فيها لله وحده لانها مظنة الشرك وبابه لان المصلي عند القبور يخشع في صلاته لاهلها ويكون قلبه مع الله تارة ومع أصحاب القبور أخرى ولا يزال الغلو يزداد في الجهلة ويستدرجهم الشيطان حتى ينسوا الله ويخلصوا التوجه لصاحب القبر ، وهذا أمر واقع معلوم يقينا عند كل من خالط القبوريين . ومن كان مبتلى بعبادة القبور ثم تاب منها يقر على نفسه بذلك فلا معنى لتجاهله وهو وشمس الضحى صحواً سواء . وما أكثر ذلك في هؤلاء الذين ينتسبون الى السنة وهم من ابعد الناس عنها وأشدهم عداوة لها . اللهم الا ان تكون سنة الشيطان الليطان ، استزلهم وأغواهم ، وأضلهم وأرداهم ، فنعوذ بالله من حال أهل النار

﴿ المقام الثاني عشر ﴾ نقلتم عن فتح الباري انه قال عند لفظ : لابرز قبره : اي لكشف عن قبر النبي (ص) ولم يتخذ عليه الحائل»(١) واقتصرتم على هذا الكلام من شرح الحديث وحذفتم قوله بعده : والمراد الدفن خارج بيته ، وهذا الكلام قالته عائشة قبل ان يوسع المسجد النبوي ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر انتهى كلامه وحذفكم لبقية كلامه اخل بالمعنى وابهمه لان من يراى ما نقلتم ولم يطلع على بقية كلامه يظن ان الحائل المذكور هو الذي جعل على القبر بعد ادخاله في المسجد فيكون المعنى ولولا ذلك اي خشية اتخاذ الناس قبر النبي مسجدا لابرز قبره اي كشف ولم يتخذ

«١» ص ٣٥٦ جزء ٥

عليه حائل بعد ما دخل في المسجد وليس كذلك بل مراد الحافظ ولولا ذلك لا برز قبره اي كشف عنه بأن يدفن خارج البيت ولا يتخذ عليه حائل وهو الحجرة التي كانت تسكنها عائشة هذا معنى كلامه ولعل لكم عذرا في حذف ما حذفتم لم نطلع عليه

(المقام الثالث عشر) قولكم بعد نقل كلام الحافظ «فهل يوجد أصرح من ذلك؟ ولا شك أن السجود على نفس القبر لا يجوز (١)

أقول انما يستقيم ما أردتموه لو كان الحائل المذكور في كلام الحافظ هو الجدران الثلاثة المتخذة على القبر بعد إدخال الحجرة في المسجد كما أوهمه اسقاطكم ذيل كلام الفتح أما وقد تبين أن المراد بالحائل إنما هو حجرة عائشة فالمخشي منه أولا هو السجود عند القبر تبركا وتعظيما والسجود على القبر نفسه تابع له ولذلك دفن النبي في حجرة مسكونة فكان قبره محجوبا عن الناس لا يسهل الوصول اليه ولا سيما للعامة الذين يخشى عليهم أن يصلوا عند القبر ويفتنوا به لجهلهم فحصر المعنى في السجود على القبر نفسه دون ماحوله لا تدل عليه أحاديث الباب ولا كلام الحافظ وسأنقل من كلام الحافظ مالا يبقى معه شك في أن صاحب الفتح فهم من أحاديث الباب النهي عن الصلاة عند القبر كما فهمه سائر الائمة لكن بعض المتأخرين التبس عليهم الامر لانهم نشئوا في أوطان غلبت البدع على أهلها حتى ألفوها وصارت دينا يدان به لما ماتت السنن وعفت معالمها. ومن أولئك البيضاوي فانه لم يفهم معنى الحديث فتناقض في كلامه أقبح تناقض؛ إذ جوز بناء المسجد عند قبر الصالح تبركا به إذا أمن التعظيم أو لا يدري ان

(١) ص ٣٥٦ ج ٥

التبرك هو التعظيم أو هو ملازم له فلا يبني أحد قبة أو مسجداً على قبر للتبرك به إلا وقصده تعظيم صاحب القبر. والشارع (ص) سد هذا الباب البتة فنهى أشد النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذ المساجد عندها ولعن فاعل ذلك واخبر أنه من شرار الخلق عند الله ولم يفرق في ذلك بين من قصد التعظيم لاهل القبور أو التبرك بهم فكيف يسوغ للبيضاوي أو غيره ان يفتح هذا الباب الجهنمي الذي سده النبي (ص) بالتأويل والتحريف ؟ فعسى أن يكون قد التبس عليه الامر ،

قال الحافظ في الفتح عند قول البخاري (باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وما يكره من الصلاة في القبور) قوله: وما يكره من الصلاة في القبور يتناول ما اذا وقعت الصلاة على القبر او الى القبر او بين القبرين. وقال الحافظ ايضا في آخر شرحه حديث عائشة في الباب المذكور وفيه كراهية الصلاة سواء كانت بجنب القبر او عليه او اليه .وقال (في ص ١٤١ ج ١ بعد ما تقدم بقليل :قوله ـ اى البخاري ـ باب كراهية الصلاة في المقابر استنبط من قوله ـ يعني النبي (ص) « ولا تتخذوها ـ اى بيوتكم ـ قبورا » ان القبور ليست بمحل للعبادة فتكون الصلاة فيها مكروهة . ثم ذكر حديث ابي سعيد الخدري عند أبي داود والترمذي مرفوعا « الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام »

وقد اتضح مما نقلته من كلام صاحب الفتح انه لا يفهم من كلامه ان النهي خاص بالسجود فوق القبر فقط كما ذكر ثم قائلين: انه لا يوجد اصرح من كلامه في رده

﴿المقام الرابع عشر﴾ قولكم « وتوجد ايضا معان ثلاثة غير المعنى الذى قررناه الا أنه لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها احدها ان يراد النهي عن وصل المساجد بموضع القبور وهذا التأول خطأ فاحش لان مسجد النبي قد وصل بموضع قبره في زمن الصحابة والتابعين فكيف يدعى ان ذلك منهي عنه وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين ؟ (١)

(اقول) قولكم لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها ممنوع لما تقدم وما يأتي ان شاء الله

قولكم احدها ان يراد النهي عن وصل المساجد الى قولكم وهذا التأول خطأ فاحش (اقول) من نظر في احاديث الباب متجردا من العصبية وله ادنى نصيب من معرفة لغة العرب يعلم يقينا ان الاحاديث ناطقة ومصرحة أتم تصريح بالنهي عن وصل المساجد بالقبور والنصوص في ذلك واضحة كشمس الضحى لا تحتاج الى تفسير ولا تأويل ، تفسيرها قراءتها عند من يعرف لغة العرب ، وليس له في العصبية من ارب ،

ولم لا يمكن تفسير الاحاديث بذلك؟ ولم صار تأولا وهو نص جلي؟ ولم صار خطأ فاحشا ؟ قلتم لانه فعل في زمن الصحابة والتابعين ورضوا به هم وسائر المسلمين — في تعبيركم بموضع القبور وموضع قبر النبي (ص) احتراس واعتراف بان مسجد النبي (ص) لم يوصل بالقبر نفسه بل بالحجرة وعبرتم عنها بالموضع وليس سواء وإن كان النهي يشملها ، فان وصل المسجد بالقبر نفسه أكثر فتنة من وصله بحجرة فيها قبر : وقولكم « وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين » دون اثباته خرط القتاد ونحن

(١) ص ٣٥٦ أيضاً

نطالبكم أن تنقلوا لنا ذلك بأسانيد تفيد العلم كما هي شريطة نقل الاجماع عند علماء الاصول فيلزمكم أن تثبتوا ما ادعيتم فالدليل على الناقل والبينة على المدعي وليس علينا أن نأتي بما يبطل هذه الدعوى لانها لم تثبت بعد ولكن نتبرع بذلك فنقول :

مما يدل على أن أهل العلم والفضل من الصحابة والتابعين لم يرضوا بذلك ماقاله السمهودي في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ص١٣٧ ط مصر): وللواقدي عن عطاء الخراساني أدركت حجرة النبي ﷺ فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يأمر بادخالها فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم، قال عطاء :فسمعت سعيد بن المسيب يقول والله لوددت أنهم تركوها على حالها اه

ثم قال السمهودي في الصفحة نفسها : وقال ابن زبالة حدثني محمد ابن عبد العزيز عن بعض أهل العلم قال قدم الوليد بن عبد الملك حاجا فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ حانت منه التفاتة فاذا بحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في بيت فاطمة بيده ،مرآة ينظر فيها فلما نزل أرسل الى عمر بن عبد العزيز فقال لا أرى هذا قد بقي بعد ، اشتر هذه المواضع وأدخل بيت النبي ﷺ المسجد واسدده وفي خبر ليحيى أنه لما نزل من خطبته أمر بهدم بيت فاطمة وان حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين أبوا أن يخرجوا منه فأرسل اليهم الوليد ان لم تخرجوا منه هدمته عليكم فأبوا أن يخرجوا فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما فنزع أساس البيت وهم فيه فلما نزع قالوا لهم ان لم تخرجوا منه قوضناه عليكم فخرجوا منه اه ثم ذكر نحوه عن ابن زبالة

أيضا ثم ذكر أن الحجاج اغتصب بيت حفصة من عبد الله بن عمر فأبى أن يسلمه فهدده بالهدم فقال والله لا تهدمه الا على ظهري فأمر بهدمه فجاءت بنو عدي عبد الله فقالوا ما أضعفك هو يتأسف على قتل أبيك وينزع عن قتلك؟ فاخرجوه فهدمه الحجاج

ثم قال السمهودي في الكتاب المذكور في ص ١٤٤ وعن عروة قال نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال كتاب أمير المؤمنين لا بد من انفاذه قال فقلت فان أبيت فاجعل له جؤجؤا أي وهو الموضع المزور شبه المثلث خلف الحجرة اه

أقول أفتكون أعمال أولئك الظلمة الغصبة حجة على حديث رسول الله (ص) الصريح في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها والقباب تعظيما لها وغلوا ؟وان لم يصرح في الحديث بالنهي عن بناء القباب فقد ورد النهي عن البناء على القبور مطلقا غير مقيد بالمساجد ولا غيرها فالقباب داخلة فيه والاحاديث الناهية عن بناء المساجد على القبور تدل بفحواها على تحريم بناء القباب وإذا منعنا من بناء المساجد هناك وهي بيوت الله ومحال عبادته فالقباب من باب أولى لانها لا فائدة منها بل فيها أعظم الضرر لانها ذريعة الى الذنب الاكبر الذي لا يغفره الله وهو الشرك وقد ظهر من الاخبار السابقة أن الذي أدخل القبر في المسجد ليس من خيار الصحابة ولا التابعين وانما هو من الجبابرة ولم يرض بذلك أبناء المهاجرين والانصار ومن بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر بل بكوا أشد البكاء وتأمل انكار عروة على عمر بن عبد العزيز ادخال القبر المسجد وجوابه

وفي الكتاب المذكور مايدل على أن الوليد انما بنى المسجد لاغراض فاسدة وحسبك دليلا على جهله بآداب الدين انه زخرف المسجد فبناه بالفسيفساء وقد صح أن النبي (ص) نهى عن زخرفة المساجد، وفي الحديث «لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود» فمن زخرف المساجد فقد تشبه باليهود وكذا من اتخذ المساجد والقباب على قبور الانبياء والصالحين ونقل السمهودي أن الوليد لما أتم بناء المسجد بالرخام والذهب والفسيفساء وأنواع الزينة والنقوش التفت الى أبان بن عثمان فقال أين بناؤنا من بنائكم؟ قال أبان بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس اه بعضه بالمعنى

ثم إنه لو لم يكن مدخل القبور في المسجد النبوي غير صالح للاقتداء به لكنه غير معصوم ولو لم ينقل لنا غصبه بيوت الناس ومباهاته بزخرفة المسجد وانكار الناس عليه وبكاؤهم على ادخاله الحجرات النبوية في المسجد ما كان ذلك حجة يعارض بها حديث رسول الله (ص) لأن عدم العلم بانكارهم ليس علما بعدمه وكم أشياء ينكرها الصالحون بقلوبهم ولا يستطيعون انكارها بألسنتهم أو ينكرونها بألسنتهم همساً عند خاصتهم بعد ما يأخذون عليهم العهد أن لا يبوحوا بذلك وليس هذا مما تتوفر الدواعي على نقله كافعال رسول الله (ص) وأقول بل هذا بالعكس فالدواعي على كتمانه وافرة لان في التصريح به إتلاف الاعراض والاموال والارواح فلا يتأتى لاحد أن يقول فعل ولم ينكر فكان اجماعا وقد عصم الله أمة محمد الذين جعلهم وسطا أن يجمعوا على اباحة مانهى عنه النبي (ص) ولعن فاعله وأخبر أنه من شرار الخلق

(المقام الخامس عشر) قول السيد مهدي

(ثانيها) أن يراد النهي عن أن يقوم المصلي حول القبر ويسجد على الارض قريبا من القبر وهذا التأول خطأ لا يصلح حمل الاحاديث عليه لانه لا ريب في أن البقعة المتضمنة لقبر نبي أو امام عادل أو ولي لله تعالى أو غيره ممن له عند الله منزلة جليلة وجاه عظيم تكون أشرف وأفضل من غيرها بنسبة شرف المدفون فيها قال النووي في شرحه لصحيح مسلم في باب فضل الصلاة بمكة والمدينة قال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الارض . اه (١)

قوله وهذا التأول خطأ لا يصح حمل الاحاديث عليه (أقول) هذا المعنى قد دلت عليه الاحاديث أوضح دلالة فكيف يسمى تأولا

قوله لانه لا ريب الخ غير مسلم لان فضل الحال لا يستلزم فضل المحل (٢) قال البخاري في باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب ويذكر أن عليا كره الصلاة بخسف بابل قال الحافظ ابن حجر هذا الاثر رواه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن أبي المحلى قال كنا مع علي فمررنا على

«١» ص ٣٥٦ أيضاً

«٢» المنار : في هذه المسألة مباحث أهمها ان فضل المكان على غيره إما ذاتي لمعنى فيه كخصب أرضه وجودة هوائه ومائه وهذا يعرفه كل أحد ، وإما ديني كفضل المساجد وكون أفضلها الثلاثة لكثرة النواب فيها الخ وهذا لا يعرف إلا بنص الشارع ، وإما عرفي كاختيار الناس بقعة يفضلونها على نظائرها لاجتماع أو عمل آخر أو لجلوس السلطان أو الامير أو لدفن ميت شريف. وهذا التفضيل العرفي الاضافي لا يجعل للبقعة شيئا من الفضل الحقيقي لا الذاتي ولا الديني ولذلك صح في الحديث تصريحه «ص» بان موقفه في عرفات والمزدلفة ونحره في منى لا يقتضي فضل هذه الاماكن على غيرها من المشاعر الثلاثة قال « وقفت هنا وعرفة كلها موقف ... ومزدلفة كلها موقف ... ومنى كلها منحر

الخسف الذى ببابل فلم يصلّ حتى أجازه . ومن طريق أخرى عن علي قال : نهاني حبيبي صلى الله عليه وسلم أن أصلي في أرض بابل فانها ملعونة . في اسناده ضعف اه بخاري ، ثم أسند البخاري حديث عبد الله ابن عمر مرفوعا « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لئلا يصيبكم ما أصابهم » زاد في المغازي : ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاز الوادي . وروى البخاري في كتاب أحاديث الانبياء من صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها . الحديث فنزل النبي ﷺ بأرض ثمود وهي أرض عذاب من شرار البقاع ولا تزال كذلك ولم يلزم فضلها بنزول أفضل الخلق فيها وأفضل الناس بعده أصحابه ولم يقل أحد فيما علمت انه يستحب السفر إلى الموضع الذي نزل به النبي بالحجر أو يبني عليه قبة ويصلى فيه بل نهى عن الصلاة في أرض العذاب كما تقدم في حديث علي وعن الشرب والاستقاء من مائها وقد مرّ علي وهو من أفضل خلق الله بعد النبيين بأرض بابل وهي أرض خسف وعذاب فلم تصر بمروره أرض رحمة بل نهى عن الصلاة فيها ولا يستحب أن تبنى فيها قبة ولا أن يصلى فيها

وقوله : أو ولي لله أو غيره ممن له منزلة جليلة وجاه عظيم(١) فيه ان غير ولي الله هو عدو الله ولا منزلة له ولا جاه لان من كان مؤمنا ففيه ولاية لله ولابد لقوله (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

(١) ص ٣٥٦ منه أيضا

الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) الآية . فلا واسطة بين الولاية والعداوة

قوله : قال القاضي عياض أجمعوا على ان موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الارض (١) . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في المجلد الاول من الفتاوى (ص ٢٩٢) أما نفس محمد (ص) فما خلق الله أكرم عليه منه . وأما نفس التراب — يعني القبر — فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام بل الكعبة أفضل منه . ولا نعرف أحدا من العلماء فضّل تراب القبر على الكعبة الا القاضي عياض ولم يسبقه أحد اليه ولا وافقه أحد عليه اه فقول عياض لا يصح لانه دعوى بلا دليل

﴿ المقام السادس عشر ﴾ قوله : ولا ريب أن الصلاة ومثلها الدعاء وقراءة القرآن وسائر الاذكار والاعمال الشرعية في الاماكن الشريفة تكون أقرب الى قبولها عند الله ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في غيره ولاجل الحصول على هذا الفضل كان السلف الصالح وأئمة المسلمين حتى في زماننا هذا يصلون ويدعون ويتضرعون عند قبر النبي (ص) حتى ان الصفوف تحاذي نفس القبر الشريف اه (٢)

أقول : فيه منتقدات (الاول) ان الصلاة والدعاء في الاماكن الشريفة أقرب الى قبولها عند الله فيه اجمال وهو على اطلاقه غير صحيح حتى ما ذهب اليه السيد مهدي من أن النهي يختص بالقبر نفسه لان الشرف ان كان في مدافن الصالحين فانما هو في القبور نفسها وما حولها تابع لها والسيد مهدي مقر معنا بأن السجود على القبر نفسه لا يجوز فضلا

(١) ص٣٥٦ منه أيضا (٢) ٣٥٧ منه

عن أن يكون أقرب الى القبول . ونحن نقول ان ماحول القبر أيضاً في حكم القبر للنصوص الدالة أوضح دلالة على ذلك فلو كانت الصلاة في كل مكان شريف أقرب الى القبول لكان الاولى أن تكون فوق القبر نفسه لانه محل الشرف

(الثاني) في كون البقعة لها فضيلة أن تشرع الصلاة فيها مطلقا فضلا عن أن تكون أقرب الى القبول — فغار حراء له فضيلة لتعبد النبي فيه ونزول الوحي عليه لاول مرة فيه ولم يشرع اتيانه للصلاة والدعاء فيه فضلا عن أن يكون ذلك اقرب الى القبول وكذلك الغار الذى اختبأ فيه النبي وأبو بكر وهو المذكور في القرآن لا يشرع اتيانه لصلاة ولا دعاء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم، في مخالفة أصحاب الجحيم) أجمع العلماء على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله (ص) ان الصلاة عند القبر — أيّ قبر كان — لا فضل فيها ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا بل مزية شر . واعلم ان تلك البقعة وان كانت قد تنزل عندها الملائكة والرحمة ولها شرف وفضل ولكن دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه فان النصارى عظموا (١)

ولو كانت للصلاة عند قبر النبي (ص) فضيلة لفعلها أحرص الناس على الخير وأسبقهم اليه وأعلمهم به السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وحاشى لهم أن يعصوا النبي (ص) بل كانوا يحذرون الصلاة عند القبر ويحذرون منها كما فعل عمر مع انس ولو كانوا يتحرون الصلاة عند قبر النبي (ص) لنقل إلينا ذلك لان الدواعي على نقله متوفرة

(١) بياض بالاصل

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الانبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به ،وتقدم نقله الاجماع على ان الصلاة عند القبر لافضل فيها، فكيف يظن مع ذلك بأحد من السلف والخلف الصالحين انه يتحرى الصلاة عند قبر النبي (ص) أو غيره؟

(الثالث) قوله: ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل منها في غيره

أقول : هذا أيضا على إطلاقه لا يصح لما ورد في الصحيح ان صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجد النبي ﷺ ،وفضيلة الصلاة في المسجد ليست لكونه مسجداً فقط فان الله سمى المكان الذي بناه المنافقون للصلاة مسجداً ونهى النبي ﷺ عن الصلاة فيه بقوله «لا تقم فيه أبداً» فامر النبي ﷺ بتحريقه وإنما كانت الصلاة في المسجد أفضل منها في غيره لان الله شرعها فيه وأثنى على أهلها بقوله في سورة النور (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) الآية ولم يأذن الله قط ولا رسوله في الصلاة عند القبور ولا شرعها فيها بل نهى عنها رسوله أشد النهي (وما ينطق عن الهوى * إن هو الا وحي يوحى * علمه شديد القوى) فكيف يقاس ماشرعه الله وأثنى على فاعله بما نهى الله عنه على لسان نبيه ولعن فاعله؟

قوله : ولهذا الفضل كان السلف الصالح الخ (١) تقدم جوابه

وقوله : حتى ان صفوف الصلاة تحاذي نفس القبر الشريف (٢) ممنوع

(١) ذكرت هذه العبارة بالمعنى وهي في ص ٣٥٧ (٢) في ص ٣٥٧ أيضاً

لان قبره (ص) في حجرته وحجرته مسورة بسور فالصفوف لا يمكن أن تصل إلى قبره البته وقد روى مالك في الموطأ وغيره في غيره أن النبي (ص) قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وقد استجاب الله دعاء نبيه فصانه بالحجرة والسور

وقد أشار الى ذلك الامام ابن القيم فقال وأجاد

ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لا يجعل القبر الذى قد ضمه وثناً من الاوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

فكيف يدعى أن صفوف المصلين تصل الى القبر نفسه ؟

وقول ابن القيم : ولقد نهانا . البيت . إشارة الى ما رواه الحفاظ من طرق كثيرة منها ما في سنن سعيد بن منصور حدثنا حبان حدثنا علي حدثني محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهدي قال : قال رسول الله (ص) « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ورواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة بلفظ « لا تجعلوا قبري عيداً » وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد قال أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : الى العشاء . فقلت لا أريده ، فقال مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي (ص) . فقال اذا دخلت المسجد فسلم عليه ، ثم قال ان رسول الله (ص) قال « لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم مقابر . لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ،

وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما أنتم ومن بالاندلس الاسواء اه

فانظر الى الامام الحسن وكيف كره إتيان قبر النبي ﷺ للسلام عليه ونهى عنه وأمر الرجل اذا دخل المسجد ان يسلم على النبي ولا يأتي القبر ؟ والسلام على النبي مشروع عند دخول كل مسجد لا تختص بمسجد النبي ﷺ وفي مسند أبي يعلى حدثنا أبو بكر بن أبي منيعة قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا زيد بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين حدثنا علي بن عمر عن أبيه علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعو فقال ألا أحدثكم حديثا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ؟ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبورا فان مسألتكم (١) تبلغني أينما كنتم » اه قال الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي ص١٠٩ وهذا الحديث مما أخرجه الحافظ أبو عبد الله المقدسي فيما اختاره من الاحاديث الجياد الزائدة على ما في الصحيحين اه

فانظر الى أهل البيت سلام الله عليهم كيف صانوا حمى التوحيد اقتداء بجدهم ولم يرخصوا في إتيان قبر النبي (ص) للسلام ولا للدعاء فكيف يدعى أن السلف الصالح كانوا يتحرون الصلاة والدعاء عند القبر ؟ واذا وقع ذلك من بعض المسلمين خطأ وجهلا فليسوا معصومين من الخطأ والزلل، ولا تثبت المشروعية بفعل أحد سوى رسول الله ﷺ فكيف يرد حديث النبي ﷺ وينسخ بمخالفتهم له ولو كان الامر كذلك لنسخت أحاديث النبي ﷺ ولم يبق منها الا ماشاء الله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون

(١) المحفوظ في سائر الروايات « صلاتكم » ولم يرو أحد أنهم كانوا يسألونه (ض) بعد موته فلفظ مسألتكم شاذ رواية ودراية ولعله غلط من بعضهم

لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (في اقتضاء الصراط المستقيم) بعد ما ساق الاحاديث في النهي عن اتخاذ القبور مساجد: فهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو غيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب لأجل النهي واللعن ولأحاديث أخر اه (له بقية)

كشف الشبهات

﴿ عن التوحيد لشيخ الاسلام الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾

(تابع ما قبله)

(احدهما) أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وقال تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟ * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) وقال تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) الى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) وقوله (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين)

فمن فهم هذه المسئلة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين

الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء وأما في الضر والشدة فلا يدعون الا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسئلة فهما راسخا ؟ والله المستعان

(والامر الثاني) أن الاولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء واما أولياء واما ملائكة أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذى يعتقد في الصالح او الذى لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد في من يشاهد فسقه وفساده ويشهد به

اذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها وهي أنهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب ان لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله

وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج . ولما لم ينقد أناس في زمن النبي (ص) للحج أنزل الله في حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا) الآية

فاذا كان الله قد صرح في كتابه ان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الاحساء في كتابه الذى أرسله الينا

ويقال أيضا اذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع وكذلك اذا قر بكل شيء الا البعث وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك كله لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي (ص) وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف اذا جحد الانسان شيئا من هذه الامور كفر ولو عمل بكل ماجاء به الرسول ﷺ ؟ واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل

ويقال أيضا هؤلاء اصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويؤذنون ويصلون فان قال انهم يقولون إن مسيلمة نبي قلنا هذا

هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا في رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا في رتبة جبار السموات والارض ؟ سبحان الله ما أعظم شأنه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)

ويقال أيضا الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الاسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان(١) وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج(١) وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر ؟

ويقال أيضا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين

ويقال أيضا اذا كان الاولون لم يكفروا الا لانهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وانكاره وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو المسلم يكفر بعد اسلامه ثم ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم

(١) يوسف وشمسان وتاج أسماء لبعض المعتقدين في بعض تلك البلاد الذين يدعون مع الله أو من دون الله كالبدوي والدسوقي والمتبولي وأمثالهم في مصر

ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب

ويقال أيضا الذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال الله فيهم (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد ايمانهم وهم مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون ان لا اله الا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فانه من أنفع ما في هذه الاوراق

ومن الدليل على ذلك أيضاً ماحكى الله تعالى عن بني اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) وقول أناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط . فخلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني اسرائيل (اجعل لنا إلها) ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة. وهي أنهم يقولون ان بني اسرائيل لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا

فالجواب أن نقول ان بني اسرائيل لم يفعلوا وكذلك الذين سألوا النبي (ص) لم يفعلوا . ولا خلاف ان بني اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف ان الذين نهاهم النبي (ص) لو لم يطيعوه واتخذوا ذات

أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد ان المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة ان قول الجاهل: التوحيد فهمناه ان هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضاً ان المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته انه لا يكفر كما فعل بنو اسرائيل والذين سألوا النبي (ص) . وتفيد أيضاً انه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديداً كما فعل رسول الله (ص)

ولهم شبهة أخرى : يقولون ان النبي (ص) أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله . وقال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟» وكذلك قوله « امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله » وأحاديث أخر في الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال معلوم ان رسول الله (ص) قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله الا الله ، وان أصحاب رسول الله (ص) قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب وهؤلاء الجهلة مقرون ان من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله الا الله ، وان من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه اذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الاحاديث

فأما حديث أسامة فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب انه ظن انه ما ادعاه

إلا خوفا على دمه وماله . والرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه مايخالف ذلك وأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أي فتثبتوا ، فالآية تدل على انه يجب الكف عنه والتثبت، فان تبين منه بعد ذلك مايخالف الاسلام قتل لقوله (فتبينوا) ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ماذكرناه ان من أظهر الاسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا ان تبين منه ماينا قض ذلك

والدليل على هذا ان رسول الله (ص) الذي قال «أقتلته بعد ماقال لا إله الا الله؟» وقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله» هو الذي قال في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لا قتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى ان الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم (١) وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة

وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل انهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) وكان الرجل كاذبا عليهم، فكل هذا يدل على ان مراد النبي (ص) في الاحاديث ماذكرناه ولهم شبهة أخرى : وهي ماذكر النبي (ص) ان الناس يوم القيامة

(١) جاء في لفظ الحديث ان احدهم يحقر صلاته عند صلاتهم لانهم يغلون في العبادة ويبالغون ظواهر الصلاة

يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا الى رسول الله (ص) قالوا فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركا

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق على مايقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الاشياء التي يقدر عليها المخلوق. ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها إلا الله

اذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والاخرة ان تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله (ص) يسألونه في حياته. وأما بعد موته فحاشا وكلا انهم سألوه(١) ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاؤه نفسه

ولهم شبهة أخرى: وهي قصة ابراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال ألك حاجة؟ فقال ابراهيم عليه السلام أما إليك فلا. قالوا فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على ابراهيم(٢)

«١» كذا في الاصل والمراد أنهم ما سألوه وهذا التعبير مستعمل في نجد وفي الامصار في النفي أي حاشا أن يكونوا سألوه «٢» هذه الشبهة أول الشبهات على جهلهم لانهم استدلوا على جواز الشرك بأقوى البراهين على التوحيد وهو امتناع الموحدين من قبول مساعدة ما عرضه عليه امين الوحي لكمال توكله على الله واخلاص توحيده له ؟

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فان جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله تعالى فيه (شديد القوى) فلو أذن الله له أن يأخذ نار ابراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع ابراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه الى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد . فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام ان شاء الله تعالى بمسئلة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول :

لا خلاف ان التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فان اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد انه الحق ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز (١) عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الاعذار ، ولم يدر المسكين ان غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الاعذار كما قال تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) وغير ذلك من الآيات كقوله (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فان عمل بالتوحيد عملا ظاهراً وهو لا يفهمه أولا يعتقده بقلبه فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار)

(١) هذا من حكاية قولهم يريدون به انه لا يكون مقبولا عندهم الا من وافقهم

وهذه المسئلة : مسئلة كبيرة طويلة تبين لك اذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة ، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً ، فاذا سألته عما يعتقد بقلبه فاذا هو لا يعرفه ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاهما تقدم من قوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) فاذا تحققت ان بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله (ص) كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب(١) تبين لك ان الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالايمان . وأما غير هذا فقد كفر بعد ايمانه سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض الا المكره ، والآية تدل على هذا من جهتين (الأولى) قوله (إلا من أكره) فلم يستثن الله الا المكره . ومعلوم ان الانسان لا يكره الا على العمل او الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فصرح ان هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وانما سببه ان له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله سبحانه وتعالى أعلم . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين . آمين

(١) هذه الاية نزلت في بعض المنافقين ولذلك قال المفسرون ان قوله (بعد ايمانكم) معناه بعد اظهاركم الايمان بقبول الاسلام

دعاية المسيحية القاديانية

الملقبة بالأحمدية

كتب الى جريدة البلاغ البيروتية مراسل من مدينة لاهور في بلاد الهند فصلا مسهبا سماه «عقائد الجماعة الأحمدية في الهند» قسم فيه الفرقة الى ثنتين فرقة (قاديان) وهي التي بنت الجامع الذي في لندن، وفرقة (لاهور) عاصمة حكومة البنجاب وهي التي بنت جامع برلين . وإننا ننشر ما جاء في البلاغ عن هذا المكاتب ونعلق عليه بتحذير المسلمين من هذه الدعاية التي تنشرها حرائدهم السياسية غير عليمة بما وراءها من الجناية على الاسلام وهذا نصه بأغلاطه العربية لم تصحح منها إلا آيات القرآن :

« الفرقة الاحمدية في لاهور هي تحت رئاسة مولانا الامير محمد علي مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الانكليزية ، وهي اعتقاد عامة المسلمين، لا تختلف عنهم الا ببعض نظريات كوفاة سيدنا عيسى ، والناسخ والمنسوخ في القرآن ، وقد قامت هذه الفرقة بتضحيات عظيمة في الهند وأوربا في سبيل نشر الاسلام وافترقت عن الاحمديين القاديانيين منذ وفاة السيد أحمد مؤسس تلك الفرقة ، وقد كان اسلام اللورد هدلي على يد فرقة الاحمدية لان خوجه كمال الدين معين مبشراً في انكلترا من قبل الامير محمد علي

هذه كلمة يقول عنها المراسل انها توطئة لرسائله التي سيوافي بها البلاغ ، واننا ننشر منذ اليوم أولى هذه الرسائل ، قال :

ان تبليغ الاحمدية هو تبليغ الاسلام الروحاني [1] ومقصدها تطهيره من العناصر الاخرى وتغلبه في هذه الدنيا

كان المؤسس لهذه الدعوة هو مرزا غلام احمد قادياني مجدد القرن الرابع عشر حسب وعود النبي ﷺ حيث قال : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، ورجال يكلمون من غير أن يكونوا

١) هذا أول اعتراف من هذه الملة الجديدة بانها تدعو الى شطر الاسلام الروحاني وتترك شطره الخاص بالامور الجسدية أو الدنيوية كما فعلت المسيحية في اليهودية وهذه دعوى مسيحهم الدجال ميرزا غلام احمد القادياني الذي ادعى أنه مسيح الاسلام الموعود به في الاحاديث النبوية مع أنها لا تنطبق على حاله بوجه ما

أنبياء » (*) وقد قام هذا الشخص بدعوى مجدد ومحدث . وبعد وفاته أقام لحفظ واشاعة الاسلام « مجلس شورى خدام الاسلام » الذي مركزه في لاهور (الهند)

وعقائد هذه الجماعة هي مثل عقائد أهل السنة التي تطابق القرآن والحديث، ولكن بامعان النظر فان أفكار هذه الجماعة مبنية على المعنى الصحيح من القرآن والحديث وهي

١ — تعليم القرآن والحديث

إن حضرة النبي محمد ﷺ هو خاتم النبيين وبعده لا يأتي نبي وجاء في الحديث أيضا [لا نبي بعدي] وعقائد الجماعة الاحمدية في لاهور هي مطابقة لهذا الحديث على أنه لا يأتي نبي إن كان قديما أو جديداً بعد نبينا محمد ﷺ ، لان مجيء أحد الانبياء قديما أو جديداً قد تكون بعثة محمد ﷺ ورسالته ختمت ، ومن غير الايمان بالنبي الآتي لا يحصل أحد على النجاة وعلى ذلك فان أفراد هذه الجماعة يفهمون بان من خلاف المسلمات مجيء عيسى بن مريم الذي كان رسولا الى بني إسرائيل في الامة المحمدية ومنه على حسب الآيات القرآنية [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] ، [فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم] وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تبرهن على وفاته ، ولهذا أيضا ممنوع مجيء نبي جديد لان الانبياء من لدن الله عز وجل يأتون إلى الناس اما ببعض الهدايات ، أو الشرائع ، ولان القرآن أتى بدين مكمل كما هي دعواه [اليوم أكملت لكم دينكم] ولهذا ممنوع المستقبل مجيء إحدى الهدايات والشرائع الجديدة ، ومن هذا الوجه فان مجيء أحد الانبياء الآن هو لغو ولهج في الالسن فقط وهي بعيدة عن شأن الله تعالى ، من هذه الدلائل فان هذه الجماعة مصدقة بان النبوة المحمدية ووحي القرآن كافيان إلى يوم القيامة ولا ضرورة لنبي جديد أو قديم إلى يوم القيامة[1]

*) قوله : ورجال يكلمون ليس من هذا الحديث . ولكن ورد هذا المعنى في حديث آخر كما ورد إنه يظهر في هذه الأمة دجالون قبل الدجال الاكبر والقادياني من هؤلاء كما سنبينه

(١) المنار : الغرض من هذا حمل أحاديث مجيء المسيح عيسى بن مريم على القادياني لدعواه هو المسيح المنتظر ولكنه هو قد ادعى الوحي حتى بالشعر كما سننقله عن كتبه بعد .

٢ — ان ألفاظ القرآن كلها واجبة العمل وليس فيها ناسخ ومنسوخ لان دعواه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافا كثيراً) ومعنى التصديق في مسئلة ناسخ ومنسوخ في الآيات القرآنية هو وجود الاختلاف فيها ، لذلك فان هذه الجماعات لاتوافق على مسئلة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، بل هم يفهمون بواجب العمل على جملة أحكام القرآن طبقا لحالات الزمان وضروراته

٣ — معنى الاسلام ، هو مذهب الصلح والسلامة لذلك فان هذه الجماعة يفهمون بأنه لايجوز أي نوع من أنواع التشدد والجبر في الاسلام ، لان حكم القرآن [لا اكراه في الدين] وحضرة النبي الكريم وصحابته لم يستعملوا السيف ولا الجبر قط في تبليغ الدين الاسلامي والقرآن أمرنا بالجهاد لأجل الدفاع فقط ، (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) والاسلام انتشر بقوته الروحانية وسينتشر كذلك في المستقبل ان شاء الله ، وثبوته موجود في هذا الزمان ، فالجماعة القليلة لمجدد هذا القرن قد فازوا في ادخال الالوف من طبقة الادباء والفضلاء في أوربا وأمريكا في الدين الاسلامي ، ونعلم علم اليقين أنه اذا كان عقلاء المسلمين وعلماؤهم يقومون مع هذه الجماعة باتحاد العمل في هذا الشغل الصالح ويعضدوا قوتها ، فتفوز بسرعة بغلبة الاسلام الروحانية على جميع الدنيا ، وتدخل الطبقة العاقلة المخالفة للاسلام فى الدين الاسلامي ، ومتى زاد عدد المعاونين في هذا العمل يرتفع كثير من المشكلات السياسية عن المسلمين

٤ — هذه الجماعة لاتأخذ حصة فى التبليغ لسياسي في أي مملكة كانت ، وفي أي بلاد مختلفة تشتغل فيها بالتبليغ فعضوها المبلغ يحترم قوانين تلك البلاد

---

٢) النسخ ليس اختلافا ولا سيما بمعناه عند السلف كتخصيص العام وهم عطلوا جميع أحكام القرآن غير الروحانية فما معنى ادعاء العمل بكل ما في القرآن إذاً

٣) ان مسيحهم القادياني نسخ الجهاد مطلقا ولو كان دفاعا

٤) يعني أنهم يبيحون لمن يدخل في الاسلام من كل شعب أن يتبع قوانين بلاده في الارث والزواج وغير ذلك (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)

٥ — هذه الجماعة تعتقد بأن جميع الناس الذين يؤمنون بكلمة لا إله الا الله محمد رسول الله من قلب خالص هم مسلمون وتفهم بأن تكفير أحد أصحاب كلمة الشهادة هو مناف لاتحاد المسلمين ، واعتقاد هذه الجماعة بان جميع المؤمنين اخوة ويفهمون بان معاونة جميع المسلمين من أي فرقة كانوا هي ضرورية لان الجماعة التي تريد أن ترقى وتظهر في الدنيا تعليم الله ورسوله فهي لا تقدر أن تفهم بان اخوانها الناطقين بالكلمة هم خارجون عن الاسلام

٦ — ان أفراد هذه الجماعة يحترمون جميع الانبياء والصحابة والائمة والمجددين وليست طريقتهم بان يهينوا أحد مشائخ الامة وعلى هذه الصورة أيضا يعززون كبار المذاهب الاخرى وعلى موجب التعليم الاسلامي لا يذمون أحداً منهم

***

ان الخدمات الاسلامية التي قامت بها هذه الجماعة المختصرة في ظرف مدة قليلة هي على حسب ما يأتي ندرجها ههنا فقط ليشترك المسلمون معنا في العمل في هذا التبليغ والعمل الصالح ، وليس مرادنا من درجها أن نحرز الفخر ، - لان هذه الجماعة إنما تعمل لخدمة الاسلام خدمة خالصة وليس لاجل الفخر ، وهذه هي

١ — التبشير بالاسلام في الممالك الاخرى

ا — أقيم على صرف لالوف من الدراهم مركز للتبشير في محلة (وكنج في انكلترا حيث تصدر هناك مجلة مصورة بالانكليزية لاجل تبليغ الاسلام ، ومنها يوزع عدد كبير مجانا لغير المسلمين وعلاوة على ذلك ينشر كثير من الكتب الاسلامية المفيدة باللغة الانكليزية هناك .

ب — ثم إن هذه الجماعة لاعلاء كلمة الاسلام بنوا مسجداً في برلين عاصمة

---

٥) هذا تصريح شرعما سبق وهو الاكتفاء من الاسلام بالنطق بالشهادتين ولو مع عدم الاذعان لما جاء به الاسلام وعدم اتباع الرسول كما أمر الله تعالى (فاتبعوه لعلكم تفلحون) ومن لم يذعن ويتبع تكون دعواه الايمان كاذبة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية

«٦» يعني باحترامهم أنهم لا يسبونهم لئلا يهيجوا أتباعهم عليهم ، ولكنهم لا يعترفون بأنهم كانوا على الاسلام الذي يقولون هم به

المانيا وصرفوا على تعميره نحو ١٥٠ الف روبية وأيضا تصدر مجلة باللغة الالمانية لاجل تبليغ الاسلام وكثيراً من الكتب الاسلامية المفيدة انتشرت باللغة الالمانية

ج — ثم إن حركة التبليغ الاسلامي جارية في جزيرة (جاوا) التابعة لحكومة هولاندا وكثير من الكتب الاسلامية قد انتشرت لسكان هذه الجزيرة باللغة الملائية ولغة هولاندا حاكمة البلاد وقد يترجم الآن القرآن باللغة الملائية

د — والتبليغ الاسلامي يجري في أوروبا وأمريكا وأفريقا وآسيا والجزائر المختلفة بواسطة الخط والكتابة وإرسال الكتب الاسلامية مجانا ، ويعطى إلى جميع المكتبات الكبرى في العالم كثير من المجلات والكتب مجانا بدون ثمن

٢ — التبليغ في داخل بلاد الهند

ا — ان التبليغ الاسلامي جار في الاماكن التي لايوجد فيها مسلمون وقد دخل الى الآن الوف من الناس في الدين الاسلامي

ب — ويجري استعداد المبلغين الواقفين على العلوم الدينية والعلوم العصرية لاجل دعوة المجوس والمشركين والمذاهب الاخرى إلى الاسلام ثم ان كثيرين من طلبة (البلاد) الاخرى يحصلون العلم في مدرسة « إشاعة الاسلام » بحيث يمكنهم القيام بالتبليغ الاسلامي في بلادهم بعد فراغهم من تحصيل العلوم

٣ — سلسلة التصانيف

ا — لكي يمد المبلغون الاسلام تنتشر كثير من الكتب الاسلامية باللغة العربية والتركية والانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية وغير ذلك من اللغات الاخرى

ب ـ طبعت ترجمة القرآن باللغة الانكليزية والهندية وأرسل منها الالوف إلى جميع أنحاء العالم فحازت القبول[1] والآن يترجم إلى اللغة الصينية والملائية وفي بعض اللغات الاوربية ، وفي هذه السنة وزعت ٥٠٠ نسخة من القرآن باللغة الانكليزية على جميع مكتبات الدنيا المشهورة مجانا

ج — أرسلت أيضا ترجمة السيرة النبوية باللغة الانكليزية الى جميع

« ١ » المنار: هذا كذب فعلماء مصر أفتوا حكومتهم بمنع الاذن بدخول مصحفهم المطبوع مع ترجمتهم له . وكذلك فعل مفتي بيروت

المكتبات مجانا ، وترجمتها باللغة الالمانية والايطالية تحت التصنيف

د — تنشر جريدة (لايت) الانكليزية في كل خمسة عشر يوما مرة ، وتوزع تقريباً خمسمائة نسخة منها مجاناً على المكتبات وعلى بعض الاخوان من المسلمين وغير المسلمين ، وتعطى القيمة الى تلامذة المدارس والفقراء

٤ — وسائل الدخول

ا — لسد هذه النفقات الكثيرة كلها ، يعطي كل فرد من هذه الجماعة حسب اقتداره إلى « بيت المال القومي » المبالغ المعين له شهريا وعلاوة على ذلك فان دراهم زكاة وصدقة هذه الجماعة أيضا تجمع في « بيت المال » ثم تصرف على الشعبات المختلفة بواسطة إدارة منظمة ، وأما جماعات المسلمين الاخرى فالقليل منهم الذين قاموا بمد يد المساعدة لاشاعة الاسلام

٥ — الواردات الداخلة والخارجة في السنة الماضية

بلغ مجموع الواردات في السنة الماضية للجماعة الاحمدية في لاهور ١٨٩٠٩٣٤ روبية صرفت على الاشياء الآتية :

ا — شراء اللوازم العامة لجميع الدوائر (بيت الضيوف) واشاعة الكتب والمجلات مجانا وللواعظين ومدرسة اشاعة الاسلام ومساعدة المساكين واليتامى (المكتبة والاملاك غير المنقولة ، متفرقة ٣١٧٢٣ روبية

ب — تبليغ الهند ٤٥١٢ روبية

ج — تبليغ البلاد الاخرى ٣٠٣٦٠ روبية

د — الصحافة ١٢٥٢٧ روبية

ه — نفقة تثقيف المتوحشين ٣٨٨٠ روبية

و — تصنيف وتأليف — ٢٤٩٢٤ روبية

ز — تعليم المدارس ٣٥٥٣٤ روبية

ط — تعمير المحلة الاحمدية — ٨٣ روبية

ثم إن الخدمات التي أتت بها هذه الجماعة المتحدة للاسلام والمسلمين لا ينكرها أحد من عقلاء المسلمين ، فنظامها قابل التقليد للمسلمين فاذا كانت جماعة متحدة صغيرة أتت بهذه الاعمال العظيمة ، فكيف لو كانت القوة المتحدة للمسلمين مع

هذه الجماعة لاشك اذ ذاك تكون للاسلام قوة شديدة وكبيرة جداً ، ولخدمة الاسلام يلزم على إخواننا المسلمين أن يشتركوا معنا في هذا العمل الجليل

ومما تجب الاشارة اليه أن تبليغ الجماعة الاحمدية في لاهور «البنجاب» ليس لها تعلق مع الجماعة التي تدعي بأن مرزا احمد قادياني هو نبي حقيقي ورسول ويكفر جميع المسلمين وقد أعلنت جماعتنا بانها بريئة من هذه العقائد ، لان هذه العقائد اخترعت بعد وفاة المجدد والمؤسس لهذه الحركة وهو بريء من هذا الافتراء والله على ما نقول شهيد

عقائد جماعة لاهور الاحمدية (١)

ان جمعية «الانجمن الاحمدية اشاعة الاسلام في لاهور» قد شرعت في العمل لتوسيع نطاق التبليغ والتبشير في أوربا والممالك الاخرى والقيام لمقابلة لمخالفين للاسلام. وهي تجاوبهم وترد عليهم بواسطة الاعلانات والمجلات والجرائد والمبلغين وقد تشيع ترجمة القرآن الكريم والسيرة النبوية في نحاء مختلفة وهي ترفع علم التوحيد في ممالك أوربا الآن حيث يوجد مسجدان واحد في (برلين) عاصمة المانيا والثاني في (وكنج) في عاصمة البلاد الانكليزية وهناك ألوف من إخواننا الذين اعتنقوا الدين الاسلامي يؤدون صلاتهم فيها

وقد يشك بعض الناس في عقائد الاحمدية ولذلك أرى من الواجب الاشارة إلى هذه العقائد لاطلاع إخواننا المسلمين عليها وإلى القاريء تلك العقائد التي التي يضعها فريق جماعة لاهور الاحمدية

أولا — أننا نؤمن بوحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله محمد ﷺ

ثانيا — نؤمن بالقول والفعل بان حضرة محمد المصطفى ﷺ خاتم النبيين وقد أكمل الله تعالى الدين ببعثته لذلك لايأتي نبي بعده ﷺ نعم : يأتي مجددون يكون عملهم خدمة الاسلام وتأييد الدين

ثالثا — نحن نؤمن بالقول والفعل بأن القرآن الكريم الذي أنزل على محمد المصطفى ﷺ هو كلام الله ولا يمكن نسخ أي حكم من احكامه الى يوم القيامة

رابعاً — نحن نصدق بأن حضرة مرزا غلام أحمد صاحب قاديان مجدد القرن الرابع عشر ولا نصدق بنبوته

١) مقالة أخرى نشرت في جريدة البلاغ البيروتية

خامساً — نحن نصدق بأن الله تعالى يكلم أولياء هذه الامة — وأن هؤلاء الناس يدعون بالمحدّث باصطلاح الشريعة وعلى هذا يصير استعمال لفظ (النبوة) الظلية في اصطلاح الاولياء والامثل ظل الله لا يكون الله ، ولا ظل النبوة يكون نبياً

سادساً: نحن نفهم بأن كل انسان يؤمن بكلمة لا إله الا الله محمد رسول الله يكون مسلما

سابعا : نحن نعز جميع الصحابة الكرام ومشايخ الدين ولا ننظر ينظر النفرة والتحقير لأي صحابي أو امام أو محدث أو مجدد ما

ثامناً : نحن نفهم بأن تكفير المسلمين هو فعل قابل النفرة والاشمئزاز أكثر من كل شيء وعلى اظهار النفرة من أولئك الناس الذين يكفرون أحد المسلمين أو جماعة ما من المسلمين لا نصلي خلفهم إن كان المكفر أحمدياً وغيره من الناس ثم اننا نصلي خلف أولئك الناس الذين ينفرون من فتاوي التكفير إن كانوا أحمديين أم غيرهم من المسلمين

تاسعاً : اننا نصدق بصحة الاحاديث التي فيها ذكر نزول المسيح ولكن بما أن القرآن الكريم يقول بألفاظ واضحة وصافية بذكر وفاة حضرة المسيح لذلك نأخذ المراد منها بظهور مجدد الدين

عاشراً : وفي قربنا أن الدين الاسلامي قبلا لم ينشر بالجبر ولا يكون أيضاً فيما بعد ظهور مهدي كهذا ينشر الاسلام بقوة السيف ، بل إن المهدي هو على ذلك الذي يحصل الهداية من الله تعالى ويظهر صداقة الدين الاسلامي

وفي الختام أقول :

إن بعض الناس ينسبون عقائد الجماعة القاديانية لنا . على أن مما يؤخذ الجماعة القاديانية غلوهم بأن وضعوا حضرة مجدد القرن الرابع عشر في منصب النبوة وكفروا جميع مسلمي الارض وقرروا خروجهم عن دائرة الاسلام وقد رددت جماعتنا هذا القول مراراً عديدة . اهـ

(المنار) ان ما علقناه من الحواشي الوجيزة على هذه الدعاية يظهر للمسلمين أن هؤلاء الاحمدية على الباطل وان كانت الفرقة الاخرى من اتباع القادياني أشد منهم غلوا في مسيحيته الباطلة . وسننشر في جزء تال مقالا في ذلك يتبعه نقول من كتب المسيح القادياني الدجال ، يعلم منه أن كل متبع له خارج من حظيرة الاسلام

بول الصبي و بول الصبية

﴿ حكمهما في الفقه ـ تركيبهما الكيميائي ـ الاحاديث التي وردت فيهما ﴾

— ١ —

اتفق العلماء على أن ما تزول به النجاسة أمور ثلاثة: الغسل والمسح والنضح * والنضح هو الرش ، وقد اختلف الفقهاء في الاكتفاء به في طهارة بول الصبي و بول الصبية على ثلاثة أقوال

(الاول) أنه خاص بازالة بول الصبي ولا يكفي في ازالة بول الصبية بل لا بد في ازالة بولها من غسله ولا يكفي فيه الرش وهو مذهب الشافعي في المشهور عنه

(الثاني) أنه لا يكفي فيهما بل لا بد فيهما من الغسل والى هذا ذهب مالك ، وعنده أن الغسل طهارة ما تيقنت نجاسته والنضح طهارة ما شك فيه . وقد أخذ في هذا بحديث أنس المشهور حين وصف صلاة رسول الله ﷺ في بيته فقال فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما يبس فنضحته بالماء

(الثالث) أنه يكفي فيهما وهو مذهب الاوزاعي وحكي عن مالك والشافعي وحجتهم في ذلك قياس الانثى على الذكر الذي وردت أحاديث النضح فيه .

وإنا اذا رجعنا الى العلم الحديث نجد أنه لا يفرق بين تركيب بول الصبي و بول الصبية بل لا يفرق في ذلك بين بول الذكور و بول الاناث على العموم . ومن الواجب أن نرجع اليه في ذلك وأن نأخذ فيه رأيه ولا نعتمد على رأي بعض الفقهاء الذين يفرقون بين تركيب بول الصبي و بول الصبية مع أنهم ليسوا من علماء الكيمياء الذين يعرفون تركيب المواد والاجزاء التي تتألف منها

يقول البيجوري في حاشيته على ابن قاسم أن بول الصبي أرق من بول الصبية [1] والائتلاف بحمله أكثر من الائتلاف بحملها فخفف فيه دونها .

---

*) كان ينبغي أن يقول: قال الفقهاء إن النجاسة تطهر بالغسل و بالمسح و بالنضح

١) ثبت عندنا بتجارب قليلة خاصة بأطفالنا ان بول الصبي أشد نتناً من بول البنت وكون أصل التركيب الكيماوي واحدا لا ينافي ذلك

وأضاف الى هذا أن أصل خلقه من ماء وطين وأصل خلقها من لحم ودم فان حواء خلقت من ضلع آدم وأن بلوغ الصبي بمائع طاهر وهو المني وبلوغها بذلك وبمائع نجس وهو الحيض

ولا شك أن البيجوري لم يحلل بول الصبي وبول الصبية حتى يكون حكمه بأن بولها أرق من بوله ناشئا عن بحث علمي فيقبل منه . فضعف حكمه في هذا ليس بأقل من ضعف حكمه بان الائتلاف بحمل الصبي أكثر من الائتلاف بحمل الصبية . وكذا حكمه بأن أصل خلقه من ماء وطين وبلوغه بمائع طاهر بخلافها فيهما . فما لهذا والا كتفاء بالنضح في بوله دونها

ولو كان لنا أن نحكم في تركيب بول الصبي وبول الصبية بظاهر الرأي كما فعل البيجوري لقلنا بأن بول الصبية أرق من بول الصبي لان الانثى أرق من الذكر جسما فلماذا لاتكون أرق منه بولا (١) ولكن الواجب تحكيم العلم في هذا وعدم الاخذ بظاهر الرأي فيه

— ٢ —

رجعنا إلى بعض الاطباء فأمكننا أن نحصل منه على هذه الامور

(١) أهم أجزاء البول هي البولينا وحمض البوليك وكلور الصوديوم والسولفات والفوسفات وأكسيدات الجير والصودا

(٢) ان هذه الاجزاء توجد في بول الذكور والاناث بكميات متساوية ولا فرق في ذلك بين الكبار والصغار من النوعين

(٣) تختلف النسبة بين أجزاء البول باختلاف السن وباختلاف الاغذية وكيفية هضمها . فمن يتغذى بالالبان كالاطفال تقل في بوله كمية البولينا وحمض البوليك . وهما اللذان يكسبان البول الرائحة الكريهة الخاصة به . ولعل هذا هو

(المنار) ان العلة في كون الشيء نجساً هو القذارة التي مظهرها الرائحة الكريهة وأصح أسباب إثباتها في الجنسين الاستقراء ، وقد ثبت عندنا باستقراء ناقص في أطفالنا أن رائحة بول الصبيان الكريهة أشد فان ثبت عند غيرنا ضده ثبت أن الذكورة والانوثة لا تأثير لهما في النتن الذي سبب الحكم بالنجاسة وهو مايقتضيه العلم الفني .

السر الذي يهدينا اليه العلم الحديث في تفريق الشارع بين بول الاطفال الرضع وغيرهم في الاكتفاء في طهارة بول الاطفال بالنضح دون الكبار. فليس الا أن قلة كمية البوليتا وحمض البوليك في بول الاطفال الرضع هو السبب في الاكتفاء في طهارته بالنضح. لانه لا يوجد فيه من الرائحة الكريهة بسبب هذا ما يستوجب الاعتماد في طهارته على الغسل. وكذلك الاطفال لسلامتهم من الامراض المعدية كالبلهارسيا وغيرها يكون بولهم خاليا من جراثيم تلك الامراض: فلا يخاف منه كما يخاف من بول غيرهم. ولذا لم يشدد الشارع في طهارته واكتفى فيها بالنضح وشدد في طهارة غيره وأوجب فيها الغسل الذي يزول به ضرره وتتقى عدواه

فانظر كيف استفدنا من الرجوع إلى العلم في هذا الحكم. وكيف وقفنا على هذه الاسرار الجليلة التي تدل على فضل الشريعة الغراء: وما كنا لنصل اليها لو فعلنا كما فعل البيجوري ووقفنا عند ظاهر الرأي، ولم نسبر أغوار العلم

— ٣ —

ورد في هذا الباب أحاديث — أولها — عن أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام الى رسول الله ﷺ فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه عليه ولم يغسله — ثانيها — عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال «بول الغلام الرضيع ينضح وبول الجارية يغسل» — ثالثها — عن أبي السمح خادم رسول الله قال قال رسول الله ﷺ «يغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام» رابعها — عن أم كرز الخزاعية أن النبي ﷺ قال «بول الغلام ينضح وبول الجارية يغسل» — خامسها — عن أم الفضل لبابة بنت الحارث قالت بال الحسين في حجر النبي ﷺ فقلت يارسول الله أعطني ثوبك والبس ثوبا غيره حتى أغسله فقال «انما ينضح من بول الذكر ويغسل من بول الانثى»

ومثل الحديث الاول لا يوجد فيه مايمنع قياس الانثى على الذكر وقفا للمذهب الذي رجحناه وقلنا انه الذي يوجد في العلم الحديث مايؤيده. ولكن الكلام في الاحاديث الباقية الناطقة بالفرق بين الانثى والذكر في النضح التي

قال فيها الشوكاني إنه لم يعارضها شيء يوجب الاشتغال به . وقد يكفيني في التخلص منها أن العترة والحنفية وسائر الكوفيين والمالكية لم يروا العمل بها جملة وآثروا عليها قياس بول الصبي على سائر الابوال فأوجبوا الغسل فيه مثلها . وإذا صح لهم إيثار هذا القياس عليها وعدم العمل بها جملة فانه ليصح من باب أولى أن نؤثر قياس الجارية على الغلام على ماجاء منها بالتفرقة بينهما . ففي هذا اعمال لها في الجملة بخلاف ذاك . ولكننا نحب أن نبدي فيها رأيا حديثا بعد أن نلاحظ عليها إجمالا أنها لم ترد في صحيحي البخاري ومسلم . وقد قال ابن حجر في فتح الباري إنها لم تستوف شرط البخاري فيما يورده في صحيحه من الاحاديث . وقد يكفيني عدم إيراد البخاري لها في صحيحه لهذا الذي ذكره ابن حجر في التخلص منها أيضا . فهو يرى أنها ليست من القوة بحيث تقضي بالفرق بين بول الصبي وبول الصبية في ذلك الحكم . ولو كانت تكفي عنده في ذلك لذكرها في صحيحه لتكون حجة في ذلك كما ذكر أحاديث بول الصبي لتكون حجة في الاكتفاء في طهارته بالنضح . وكذلك نلاحظ مع هذا أنها ليست إلا أحاديث آحاد والحنفية يقدمون عليها القياس لانه من الاصول المعلومة المقطوع بها من الشرع وخبر الواحد مظنون . وهذا يسوغ لنا أيضا أن نقدم قياس بول الجارية على بول الصبي على تلك الاحاديث السابقة التي هي آحاديث آحاد ومع هذا فيها ماسنورده عليك

حديث علي

رواه ابن ماجه وأبو داود واحمد والترمذي أما ابن ماجه ففي سنده الى علي رضي الله عنه معاذ بن هاشم وأبوه هشام وقتادة بن دعامة . ومعاذ بن هشام قال عنه ابن معين إنه صدوق وليس بحجة . وقال الحميدي بمكة لما قدم معاذ بن هشام لاتسمعوا لهذا القدري . وقال النسائي حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي نضرة عن عمران بن حصين أن غلاما لاناس فقراء قطع أذن غلام لاناس أغنياء فأتوا النبي ﷺ فلم يجعل لهم شيئا . ومن يروى مثل هذا لا يصح أن يحتج بحديثه . وأبوه هشام أحد الاثبات الا أنه رمى بالقدر وقيل رجع عنه . وقتادة بن دعامة حافظ ثقة ثبت لكنه

مدلس ورمي بالقدر ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح وأما أبو داود فروى هذا الحديث موقوفا على علي رضي الله عنه من غير طريق معاذ وأبيه هشام. ورواه مرفوعا الى النبي ﷺ من طريقهما عن قتادة وقد عرفت مافي الثلاثة. وأما أحمد فرواه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن هشام عن قتادة أيضا وقد عرفت مافيهما

حديث أم الفضل

رواه ابن ماجه وأبو داود وأحمد. أما ابن ماجه وأبو داود ففي سندهما اليها سماك بن حرب وقابوس بن أبي المخارق. وسماك قال سفيان إنه ضعيف. وقال جناد المكتب كنا نأتي سماكا فنسأله عن الشعر ويأتيه أصحاب الحديث فيقبل علينا ويقول سلوا فان هؤلاء ثقلاء. وقابوس لم يحدث عنه سوى سماك وقال النسائي ليس به بأس. وكلنا يعرف معنى هذه الكلمة « ليس به بأس »

وأما احمد ففي بعض طرق سنده اليها سماك وقابوس عنذان. وفي بعضها حماد بن سلمة وعطاء الخراساني. وحماد ممن تحايده البخاري واحتج به مسلم. وعطاء ذكره البخاري في الضعفاء وقال لم أعرف لمالك رجلا يروي عنه يستحق أن يترك حديثه غير عطاء الخراساني. وفي بعضها عفان بن مسلم وقد قال سليمان ابن حرب إنه كان رديء الحفظ بطيء الفهم. وقال ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعا « أعطي يوسف وأمه شطر الحسن » يعني سارة. ورواه الناس عن حماد موقوفا. وقال أبو عمرو الحرضي رأيت شعبة أقام عفان من مجلسه مراراً من كثرة ما يكرر عليه

حديث أبي السمح

رواه ابن ماجه وأبو داود والنسائي. وفي طريق الثلاثة اليه يحيى بن الوليد قال النسائي ليس به بأس. ومع هذا فمن هو أبو السمح خادم رسول الله؟ قال أبو زرعة لا أعرف اسم أبي السمح هذا ولا أعرف له غير هذا الحديث

حديث أم كرز

رواه الطبراني وغيره وفي إسناده انقطاع لانه من طريق عمرو بن شعيب عنها وهو لم يدركها وقد اختلف على عمرو بن شعيب فقيل عنه عن أبيه عن جده كما رواه الطبراني

البيهقي وأحاديث هذا الباب

وبعد ففي هذا الباب أحاديث مرفوعة وموقوفة وهي كما قال البيهقي إذا ضم بعضها الى بعض قويت . ويكفينا هذا في الحكم على هذه الاحاديث بأنها لاقوة لها الا في اجتماعها . ومعنى هذا أنه لاقوة لها في ذاتها . واذا كان هذا حالها فالواجب تقديم القياس السابق عليها . والتخفيف في بول الجارية مثل الغلام . فالائتلاف بحملها مثل الائتلاف بحمله . وقد ذم الله في كتابه العزيز من لا يألف بالبنات ويسود وجهه اذا بشر بأنثى . فكيف يفرق بينهما في ذلك وهو يؤدي الى قلة الائتلاف بالبنات . وكيف يذم الشيء ويشرع مايؤدي اليه وهو أحكم الشارعين

عبد المتعال الصعيدي
المدرس بالجامع الاحمدي

(المنار) ماذكره الاستاذ الكاتب من نقد أحاديث المسألة وطرق الاستدلال فيه نظر من وجوه لاحاجة الى بسطها وأهم مانحب أن لا يعود اليه اعلال الحديث بترك تخريج البخاري له في جامعه فان شرطه فيه معلوم انفرد به دون سائر علماء الملة فهو على كونه احتياطا في التصحيح لايقتضي ترك العمل بما لا ينطبق عليه لا عنده ولا عند غيره بالاولى فمتى صح الحديث وجب العمل به بالاجماع مالم يعارضه ماهو أقوى منه دلالة على خلافه. والحافظ ابن حجر صحح حديث علي المرفوع ولم يعد الموقوف علة قادحة فيه، ونقل عن ابن خزيمة تصحيح حديثي لبابة وأبي السمح وأقره . فهو لم يذكر أن هذه الأحاديث ليست على شرط البخاري إلا لبيان سبب عدم تخريجها في جامعه لا للتخلص منها كما تخلص الكاتب منها بعدم عمل العترة (الزيدية) والحنفية وغيرهم بها، فأحاديث الرسول حجة على كل مسلم ولا حجة لأحد عليها . وأما ترجيح القياس على خبر الواحد فليس على إطلاقه كما قال فليراجعه في كتب الأصول

﴿ الاحتفال الخمسيني لدار العلوم ﴾

احتفلت مدرسة دار العلوم في مساء الجمعة ثاني المحرم بمرور خمسين عاما على تأسيسها فحضر احتفالها كبار رجال الحكومة والعلم وشيوخ البرلمان ونوابه وكان في مقدمتهم الرئيس الجليل المرحوم سعد باشا زغلول ، فافتتح الجلسة الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس لجنة الاحتفال بخطاب وجيز مفيد بين فيه حال المتعلمين قبل إنشاء هذه المدرسة ووجه الحاجة الى انشائها وقيام المرحوم علي باشا مبارك بذلك . وتلاه الخطباء والشعراء من كبار أساتذة المدرسة وبعض طلابها وكانت خطبة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار من أنفع تلك الخطب جامعة بين تاريخ تأسيس المدرسة والاطوار التي مرّت فيها وبين الفكاهات الأدبية ومنها نبذ من إنشاء الكتاب قبل ظهور ثمرات هذه المدرسة ونوّه بالاصلاح الأول الذي قام به الاستاذ الامام للغة والانشاء بمساعدة صحبه الذين كانوا أعوانه في تحرير جريدة الوقائع الرسمية في عهد رياسته المطبوعات ومنهم الرئيس الجليل

واننا ننشر من تلك القصائد الغر قصيدة شاعر البداوة في الحضارة (الشيخ محمد عبد المطلب) لا لانفرادها بالبلاغة فالقصائد كلها غر وناهيك بشعر الجارم والهراوي الشهيرين . ولكن هذه القصيدة امتازت بالرد على خصومنا الملاحدة الذين يريدون افساد ديننا ولغتنا علينا بشبهة التجديد الذي يزعمونه وما هو إلا تجديد الزندقة والاباحة المطلقة . وقد سرنا انه لما كان يتلو تلك الابيات العامرة في الرد عليهم كان الجماهير يصفقون له تصفيقا شديداً متواتراً لا محرك له الا تصفيق قلوبهم قبله . وكان في مقدمة المصفقين المرحوم سعد باشا . وهذا نص القصيدة

لي في ظلالك مسرح ومقيل ... روض أغن ومنزل مأهول
ومعاهد نشر الحياة بها الحيا ... فالعيش أخضر والنعيم ظليل
سر الجمال جمال مصر إذا سرت ... ريح الشمال بها وعب النيل
بلد جريت إلى المنى في ظله ... سبحاً على اللذات وهي شكول
أرد المرابع والمصايف سادراً ... أختال بين ظلالها وأجول

لي في الصعيد إذا شتوت منازل ... فيها سراة العالمين نزول
بهرت مصانعها الزمان ولم تزل ... للعقل فيها حيرة وذهول
جلست على الآباد في جبرية ... يقف البلى من دونها فيحول
مشتى الملوك مراد أرباب النهى ... هذا يحل بها وذاك يزول
وإذا تربع أسل نجد بالغضا ... أوقاظ منهم بالشريف قبيل
فبغور وادي النيل كل منضر ... للعيش فيه غرة وحجول
فيح إذا نهض القريض لوصفها ... يحلو القريض بوصفها ويطول
امرابعي والعمر فينان الهوي ... ومراد لهوي والصبا معسول
بالرمل منها منزل اشتقاقه ... ان شاق صنوي حومل وتدخول
يزهي ظباء النيل روح رياضه ... ونسيم ذاك البحر وهو عليل
أهوي اليه على البخار إذا سرت ... بالمنجدين هوادج وحمول
كالطيف يختلس الظلام اذا سرى ... لمحاً وطرف النجم عنه كليل
وإذا بكى الاثلات يحي شاقه ... مغنى جفاه بقرقرى ومقيل
غنيت نشوان القريض يهزني ... سدر بريف جهينة ونخيل
أو غردت ورقاء رامة هزها ... حي هناك بذي الاراك حلول
فبجانب الفسطاط من غربيه ... ورْقٌ لها بالمنيلين هديل
حيث القصور الشم تزهو حولها ... غلب الحدائق والنسيم عليل
والنيل في ثوب الخيلة بينها ... يسطو على جنباتها ويصول
متهنساً بين الرياض كما حبا ... ليث العرين دجا عليه الغيل
يا نيل أنت ثراء مصر وغيثها ... والارض قفر والبلاد محول
بك يرتوي الوادي اذا جف الثرى ... ويبل من صادي الفؤاد غليل
وعلى يمينك بالمنيرة حلة ... للعلم فيها جمة وحفيل
راقت بها دار العلوم مواردا ... تروى بهن بصائر وعقول
أمٌ لنا في المنجبات مهادها ... دعم لمجد بلادها وأصول
أم إذا درج الوليد بحجرها ... فالدين يرعى والبيان يعول
لله در شبيبة كفلتهم ... أم لنا في الامهات بتول
أخذت علينا منذ أيام الصبا ... عهد الكريم وعهدها مسئول
يا أم عهدك في القلوب موثق ... صدق الوفاء بحبله موصول

الدين عهدك والمكارم بيننا ... والعلم والآداب والتنزيل
علمتنا ان الحنيفة ملة ... لانهجها وعر ولا مجهول
تهدي إلى سبل الرشاد إذا هوى الـ ... فتون بالالحاد والتضليل
رفعت منار الحق لا يعيا به ... عقل ولا ينجاب عنه دليل
إلا الذين تبوءوا وخم الهوى ... فالنهج أعمى والمناخ وبيل
نزعوا إلى دنس الاباحة فانجلى ... للناس ذاك المنزع المرذول
مازوا الجديد من القديم ومادروا ... ان الجديد من القديم سليل
جلبات إفك في مهالك فتنة ... هوجاء كيد غواتها تضليل
دعوى وما ضربوا لنا مثلا بها ... يجري عليه من القياس مثيل
وإذا الدعاوى لم تقم بدليلها ... في العقل فهي على السفاه دليل
ان كان مازعموا قديماً ديننا ... فليأت منهم بالجديد رسول
أوعله لغة السماء ؟ وإنها الـ ... قرآن والتوراة والانجيل
أو ذلك الأدب الذي شهدت له ... في كل شعب بالجمال عدول
زخرت به أم اللغات ولم تزل ... بعلاه تفترع اللغى وتطول
وسيعلمون إذا الحقيقة أعرضت ... ان الضلالة جندها مخذول
وترى الجديد يصيح في حجراتهم ... ياقوم عن تلك المهالك زولوا
مافي القديم معابة إن لم يكن ... فيه عن السنن السوي عدول
وذر الجديد إذا رأيت سبيله ... عوجاً عن الحق المبين تميل
واسلك سبيلك غير ذي عوج ترد ... شرع الحياة وصفوها مكفول
ياأم . كم من شرعه لك في الهدى ... لا وردها رنق ولا مملول
وهديتنا سبل العلوم قواصداً ... فالغور نجد والحزون سهول
دان القريض لنا فأما روضه ... فجنى وأما صعبه فذلول
ولنا إذا شئنا جزالة جرول ... وإذا نرق فتوبة وجميل
ولربما ملك الندي خطيبنا ... والجمع يبهر والمقام يهول
وإذا كتاب الله عب عبابه ... قسمت اليه قراوح وفحول
فهناك منا من إذا شاء انبرى ... فدنا المدى وتبين التأويل
ياأم . كم لك من يد في شكرها ... يعيا المقال ويعجز التفصيل
أحييت احياء الجزيرة من نمى ... قحطان من ولد وإسماعيل

فبكل فصل منك مظهر أمة ... من أهلها وبكل يوم جيل
ولو استدار بك الزمان لأصبحت ... لك في عكاظ من البيان فضول
لم تقصري عن أهلها في خيرما ... صنعوا ولم يردد عليك مقول
أو عاد للزوراء عهد بيننا ... هارون يسمع والوفود تقول
لشأوت فرسان القريض إلى المدى ... لم يعدك الترتيب والترتيل
هذا مجالك في البلاغة فاسلكي ... ماشئت. نهجك في البيان ذلول
وارعي تلادك أن يحيط به البلى ... فيحول أو ينتابه التبديل
لغة الكتاب وديعة الاحقاب مي ... راث إلى الاعقاب عنك يؤول
من لم يحط بقديمها لم يعتقد ... علماً بمجد الشرق وهو أثيل
وخذي المعاني في جمال جديدها ... ماشئت لا حرج ولا تخذيل
وتبختري في الابتداع فانه ... دين أتى بكتابه جبريل
يا أم ان ملأ القريض بحاره ... فجرى سريع واستطال طويل
وتساجلت في المرسلات يراعها ... فلهل مندفق وفاض سجيل
لم يبلغوا معشار حقك مدحة ... فليقصروا ان المرام جليل
أوماجريت إلى العلى لم تقصري ... عن غاية والسابقات قليل
خمسين عاما أو تزيد قضيتها ... والعزم لا واه ولا مفلول
دأبا على الاخلاص بين حوادث ... للدهر تخترم القوى وتغول
طوراً ينازعها البقاء معوق ... هو للمعارف والعلوم خذول
وتصيبها غول السياسة تارة ... بيد الهوان وللسياسة غول
خصمان مختلفا الهوى فالى الهدى ... هذي وذاك إلى الضلال يميل
لولا دفاع الله عن أنصاره ... راحت بها في الذاهبات سبيل
فضت مضاء البحر ليس يعوقه ... وعر ولا يعمى عليه مسيل
تأبى معاتبة الزمان شعارها ... صبر يعوذ به [illegible] جميل
لم يغنها عرض الحياة وانه ... ظل وان طال [illegible] يزول
ما لي وأياما مضين غواشيا ... والدهر ألوى والليالي حُول
دار الزمان بمصر دورة مقبل ... فالليل أقمر والرياح قبول
وامتد بالدستور ظل سريرها ... يرعاه ظل الله وهو ظليل

(يتبع ١٢ بيتاً في مدح الملك والدستور والبرلمان ورجاله ورئيسه ضاقت عنها الصحيفة)

﴿ الجزء الثامن ﴾ ١٣٤٦ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وسننه والاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التليفون ـ وشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل في نجاح العمل ﴾

﴿ فهرس الجزء الثامن من المنار م ٢٨ ﴾

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

وهو في غزوة بدر وما أيد الله به المؤمنين فيها ٥٦١

٥٦٢ نبينا . خوفه ودعاؤه يوم بدر

٥٦٣ « علو درجته على الصديق في الخوف والتوكل

٥٦٤ نبينا . توكله في الغار وخوفه يوم بدر وحال الصديق فيه

٥٦٥ نبينا . استشكال خوفه ببدر مع وعده بالنصر

٥٦٦ نبينا . علمه سنن الله في الاجتماع ومنه الحرب والنصر

٥٦٦ القرآن وسنن الله تعالى في النصر ووعود القرآن المطلقة والمقيدة

٥٦٧ الملائكة . امداد المؤمنين بهم في بدر وكيف كان

٥٧١-٥٧٣ الملائكة . تثبيتهم لقلوب المؤمنين ببدر وكونهم لم يقاتلوا

٥٦٦ المؤمنون امدادهم بالملائكة بشرى وتثبيتا وتغشيتهم النعاس وانزال المطر عليهم والقاؤه الرعب في قلوب الكفار

﴿ باب الفتوى ﴾

٧٥٥ حل اموال اهل الحرب

٥٧٦ الربا . حقيقته وسبب تحريمه

٥٧٦ الطعن في الدين وتكذيب القرآن كفر

﴿ باب المقالات ﴾

٥٨٤ سعد زغلول . فطرته العقلية والنفسية وتعليمه

٥٨٦ سعد زغلول . شيخه الذي رباه وتخرج به الاستاذ الامام

٥٨٧ السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده

٥٨٨ الشيخ محمد عبده . منهاجه في التربية والتعليم

٥٩١ كتاب سعد للاستاذ الامام في بيروت

٥٩٣ مناظرة في مسألة القبور والمشاهد بين مستقل وشيعي

٦٠٢ معاهدة جدة بين ملك الانكليز وملك الحجاز ونجد

٦٠٦ تصديق ملك بريطانية عليها

٦٠٦ تبادل قرارات ابرامها وكتبه

٦١١ آراء السياسيين فيها من مدح ونقد

٦١٦ معاهدة سنة ١٩١٥ بين بريطانية وابن السعود

٦١٧ الكتابة او الخط وثيقة شرعية

﴿ باب المراسلة والمناظرة والانتقاد ﴾

٦٢٥ زيارة القبور للتبرك . انتقاد على كتاب (الابداع)

٦٢٩ تقريظ العلامة مفتي بيروت لكتاب خلاصة السيرة المحمدية

٦٣٠ حفلة التأبين الكبرى لسعد باشا زغلول . مرثية شوقي في سعد باشا

٦٣٤ شعر في وصفة طبية قديمة لابن سينا

﴿ انباء العالم الاسلامي ﴾

٦٣٥ بلادنا المصرية . الشعب التركي كفر حكومته

٦٣٨ الشعب السوري التفرق والشقاق فيه

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « وصارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦ﻫ ٢ برج العقرب سنة ١٣٠٧ﻫ ش ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

(٩) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (١٠) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١١) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١٢) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا. سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٤) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن عبد الله بن عباس (رض) قال حدثني عمر بن الخطاب (رض) قال لما كان يوم بدر نظر النبي (ص) إلى أصحابه وهم ثلاثمائة رجل وبضعة عشر رجلا، ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يده وجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ماوعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر (رض) فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك. فأنزل الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فلما كان يومئذ والتقوا هزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر سبعون» الخ، وأما البخاري فروى عن ابن عباس قال: قال النبي (ص) يوم بدر «اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك، فخرج وهو يقول [سيهزم الجمع ويولون الدبر] وعن سعيد بن منصور من طريق عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته «اللهم لاتودّع مني، اللهم لاتخذلني، اللهم لاتترني[1] اللهم أنشدك ما وعدتني» وعن ابن إسحاق في سيرته أنه ﷺ قال «اللهم هذه قريش أتت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني»

وقد استشكل ما ظهر من خوف النبي ﷺ مع وعد الله له بالنصر عاما وخاصا ومن طمأنينة أبي بكر (رض) على خلاف ما كان ليلة الغار إذ كان النبي ﷺ

---

[1] هو من وتره يتره «من باب وعد» وله معان متقاربة منها جعله وتراً بقطع أهله أو أنصاره ومنها مسه بالاذى ومنها نقصه حقه وظلمه ومنه (ولن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم من جزائها شيئا، وقوله بعده: أنشدك ماوعدتني من نشده ينشده «من باب قتل» ومعناه أستنجزك وعدك إياي بالنصر والغلب

آمنا مطمئنا متوكلا على ربه ، وكان أبو بكر خائفا وجلا كما يدل عليه قوله عز وجل (٩ : ٤٠ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

قال الحافظ في الفتح قال الخطابي لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال ، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم لانه كان أول من شهد شهده فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة فلما قال له أبو بكر ماقال كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة فلهذا عقب بقوله (سيهزم الجمع) انتهى ملخصا

« وقال غيره وكان النبي ﷺ في تلك الحالة في مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة ، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا . هذا الذي يظهر ، وزل من لا علم عنده ممن ينسب إلى الصوفية في هذا الموضع زللا شديداً فلا يلتفت اليه ولعل الخطابي أشار اليه. أه ماأورده الحافظ في الفتح فهو لم يطلع على أحسن منه على سعة اطلاعه

وأقول يصح أن يكون من مقاصده ﷺ من الدعاء يومئذ تقوية قلوب أصحابه وهو مايعبر عنه في عرف هذا العصر بالقوة المعنوية ولا خلاف بين العقلاء حتى اليوم في أنها أحد أسباب النصر والظفر ، ولكن لا يصح أن يكون علم باستجابة الله له لما وجد أبو بكر في نفسه القوة والطمأنينة فعلمه ﷺ بربه وبوقت استجابته له أقوى وأعلى من أن يستنبطه استنباطا من حال أبي بكر (رض)

وأما قول بعضهم إن النبي (ص) كان يومئذ في مقام الخوف فهو ظاهر ولكنه لم يبين معه سببه ولا كونه لا ينافي كمال توكله على ربه، وكونه فيه أعلى وأكمل من صاحبه بدرجات لا يعلوها شيء ، وقد بينا ذلك بالتفصيل في تفسير (٣ : ١١٠ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ؟ وعلى الله

فليتوكل المؤمنون) وهي في سياق غزوة أحد[1] ونعيد البحث مع زيادة فائدة فنقول إنه (ص) اعطى كل مقام حقه بحسب الحال التي كان فيها ، فلما كان عند الخروج الى الهجرة قد عمل مع صاحبه كل ما أمكنهما من الأسباب لها وهو إعداد الزاد والراحلتين والدليل والاستخفاء في الغار لم يبق عليهما إلا التوكل على الله تعالى والثقة بمعونته وتخذيل أعدائه فكان ﷺ لكمال توكله آمنا مطمئنا بما أنزل الله عليه من السكينة وأيده به من أرواح الملائكة ، وأبو بكر (رض) لم يرتق إلى هذه الدرجة فكان خائفا حزينا محتاجا الى تسلية الرسول ﷺ له

وأما يوم بدر فكان المقام فيه مقام الخوف لا مقام التوكل المحض ، وذلك أن التوكل الشرعي بالاستسلام لعناية الرب تعالى وحده انما يصح في كل حال بعد اتخاذ الاسباب لها المعلومة من شرع الله ومن سننه في خلقه كما بيناه في تفسير قوله تعالى (٣ : ١٥٩ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) من ذلك السياق ومن المعلوم بالقطع أن أسباب النصر والغلب في الحرب لم تكن تامة عند المسلمين في ذلك الوقت لا من الجهة المادية كالعدد والعدد والغذاء والعتاد والخيل والابل بل لم يكن من هذه الجهة إلا شيئا ضعيفا ، ولا من الجهة المعنوية لما تقدم من كراهة بعضهم للقتال وجدال النبي ﷺ فيه . لهذا خشي ﷺ أن يصيب أصحابه تهلكة على قلتهم لتقصيرهم في بعض الاسباب المعنوية فوق التقصير غير الاختياري في الاسباب المادية ، فكان يدعو بأن لا يؤاخذهم الله تعالى بتقصير بعضهم في اقامة سننه عقابا لهم كما عاقبهم بعد ذلك في غزوة أحد ذلك العقاب المشار اليه بقوله تعالى (٣ : أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

وأما أبو بكر (رض) فلم يكن يعلم من ذلك كل مايعلمه الرسول ﷺ وقد رآه منزعجا خائفا فكان همه تسليته ﷺ وتذكيره بوعد ربه لشدة حبه له ، وفي الغار كان خائفا عليه ولكنه رآه مطمئنا فلم يحتج إلى تسليته بل كان ﷺ هو المسلي له لما رأى من خوفه أن يعرض له ألم أو أذى ،

١) راجع ص٢١٣ ج ٤ تفسير

فالرسول (ص) هو الذي أعطى كل مقام حقه مقام التوكل المحض بعد استيفاء أسباب اتقاء أذى المشركين عند الهجرة ، ومقام الخوف على جماعة المؤمنين لما ذكرنا آنفاً من كراهة بعضهم للقتال ومجادلتهم له فيه بعد ما تبين لهم أنه الحق الذي يريده الله تعالى بوعده اياهم احدى الطائفتين . أجل ، كان ﷺ يعلم ان شؤون الاجتماع البشري كسائر أطوار العالم لله تعالى فيها سنن مطردة لا تتغير ولا تتبدل كما تكرر ذلك في السور المكية بوجه عام ، ثم ذكر بشأن القتال خاصة في الكلام على غزوة أحد من سورة آل عمران المدنية (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) ثم في سورة الاحزاب المدنية التي نزلت في غزوتها التي تسمى غزوة الخندق أيضاً . وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أن سننه تعالى في القتال كسائر سننه في أنها لا تبديل لها ولا تحويل من قبل نزول ما أشرنا اليه في هاتين السورتين المدنيتين اللتين نزلتا بعد غزوة بدر فلذلك كان خوفه على المؤمنين عظيما

(فان قيل) كيف يصح هذا وقد وعده الله تعالى احدى الطائفتين أنها تكون للمؤمنين وكشف له عن مصارع صناديد المشركين ؟ فاذا كان قد جوز أن يكون وعده العام بالنصر له وللمؤمنين (وهو مكرر في السور المكية والمدنية وصرح في بعضها بأنه من سننه في رسله والمؤمنين بهم) غير معين أن يكون في هذه الغزوة كما قال بعض العلماء فلا يأتي مثل هذا الجواز في وعدهم احدى الطائفتين فيها ولا سيما بعد أن نجت طائفة العير ، وانحصر الوعد في طائفة النفير ، وبعد أن كشف تعالى له عن مصارع القوم ؟

(قلنا) أما كشف مصارع القوم له فالظاهر المتعين أنه كان عقب دعائه واستغاثته ربه ، ولذلك تمثل بعده بقوله تعالى في سورة القمر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وزال خوفه وصار يعين أمكنة تلك المصارع . وأما الوعد فسيأتي فيه انه كان في زمن الاستغاثة والاستجابة فان كان قبله فأمثل ما يقال فيه وأقواه ما قاله العلماء في كثير من وعود الكتاب والسنة المطلقة بالجزاء على بعض الاعمال بأنه مقيد بما تدل عليه النصوص الاخرى من الايمان الصحيح واجتناب الكبائر ، ومن ذلك أن الوعد المطلق بالنصر للرسل والمؤمنين في عدة آيات مقيد بما اشترط له في

آيات أخرى، مثال الاول قوله تعالى في سورة المؤمن المكية (٤٠: ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقوله في سورة الروم المكية أيضاً (٣٠: ٤٥ وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ومثال الثاني قوله تعالى في الآيات التي أذن الله فيها للمؤمنين بالقتال دفاعا عن أنفسهم أول مرة وذلك في سورة الحج المدنية (٢٢: ٤٠ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) وقوله بعد ذلك في سورة القتال (أو محمد) [٤٧: ٨ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] وقد سبق لنا بيان هذا المعنى في التفسير وإقامة الحجة به على المسلمين الجاهلين المغرورين والخرافيين الذين يتكلون في أمورهم على الصلحاء الميتين في قضاء حوائجهم بخوارق العادات، وتبديل سنن الله في الاسباب والمسببات، حتى كأن قبورهم معامل للكرامات، يتهافت عليها الافراد والجماعات، يدعون أصحابها خاشعين، مالا يدعو به الموحدون الا الله رب العالمين. كما فعل رسول الله (ص) وجماعة المؤمنين.

وجملة القول في هذا المقام أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يعلم باعلام القرآن أن للنصر في القتال أسبابا حسية ومعنوية، وأن لله تعالى فيها سننا مطردة، وأن وعد الله تعالى وآياته منها المطلق ومنها المقيد، وأن المقيد يفسر المطلق ولا يعارضه، ولا اختلاف ولا تعارض في كلام الله تعالى، وكان يعلم مع ذلك أن لله تعالى عناية وتوفيقا يمنحه من شاء من خلقه فينصر به الضعفاء على الاقوياء والفئة القليلة على الفئة الكثيرة بما لا ينقض به سننه، وأن له فوق ذلك آيات يؤيد بها رسله، فلما عرف من ضعف المؤمنين وقلتهم ما عرف استغاث الله تعالى ودعاه ليؤيدهم بالقوة المعنوية، ويحفهم بالعناية الربانية، التي تكون بها القوة الروحانية، أجدر بالنصر من القوة المادية، وكان كل من علم بدعائه يؤمن عليه، وكانوا يتأسون به في هذا الدعاء، فيستغيثون ربهم كما استغاثه وقد أسند الله اليهم ذلك وأجابهم الى ما سألوا بقوله:

﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ الآية، قيل إن هذا بدل من قوله تعالى (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم) وظاهر هذا أن زمن الوعد والاستغاثة والاستجابة واحد على اتساع فيه وحينئذ يرتفع الاشكال الذي أجبنا عنه آنفا من أصله، وظاهر الروايات وكلام المفسرين أن الاستغاثة وقعت بعد الوعد وقد وجهوا ذلك بما ليس

من موضوعنا بيانه مع القطع بأنه عربي فصيح، وقيل إنه متعلق بقوله (ليحق الحق ويبطل الباطل) أو بمحذوف علم من السياق ومن نظائره في آيات أخرى تقديره «اذكر» أو «اذكروا» إذ تستغيثون ربكم. والاستغاثة طلب الغوث والانقاذ من الهلكة ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم﴾ هو في قراءة الجمهور بفتح الهمزة أي بأني ممدكم، وقرأها أبو عمرو بكسرها أي قائلا إني ممدكم أي ناصركم ومغيثكم ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ قرأ الجمهور مردفين بكسر الدال من أردفه اذا أركبه وراءه وذلك أن الذي يركب وراء غيره يركب على ردف الدابة غالباً وقرأها نافع ويعقوب بفتحها، وفي كل منهما احتمالات لايختلف بها المراد. أي يردفونكم أو يردف بعضهم بعضاً ويتبعه، أو يردفهم ويتبعهم غيرهم. وتقدم في تفسير مثل هذه الآية من سورة آل عمران وتفسير قوله تعالى (واخوانهم يمدونهم في الغي) من الاعراف معنى المدد والامداد في اللغة.

ثم بين تعالى أن هذا الامداد أمر روحاني يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنوية فقال ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾ أي وما جعل عز شأنه هذا الامداد إلا بشرى لكم بأنه ينصركم كما وعدكم ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ أي تسكن بعد ذلك الزلزال والخوف الذي عرض لكم في جملتكم فكان من مجادلتكم للرسول في أمر القتال ما كان. فتلقون أعداءكم ثابتين موقنين بالنصر، وسيأتي في مقابلة هذا إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ دون غيره من الملائكة أو غيرهم كالاسباب الحسية فهو عز وجل الفاعل للنصر كغيره مهما تكن أسبابه المادية أو المعنوية إذ هو المسخر لها وناهيك بما لا كسب للبشر فيه كتسخير الملائكة تخالط المؤمنين فتستفيد أرواحهم منها الثبات والاطمئنان ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ عزيز غالب على أمره، حكيم لايضع شيئاً في غير موضعه

وفي التفسير المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه أنه فسر «مردفين» بالمدد وبقوله «ملك وراء ملك» وعن الشعبي قال: كان ألف مردفين وثلاثة آلاف منزلين، فكانوا أربعة آلاف وهم مدد المسلمين في ثغورهم. وعن قتادة متتابعين،

أمدهم الله تعالى بألف ثم بثلاثة ثم أكملهم خمسة آلاف (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) قال يعني نزول الملائكة عليهم السلام (قال) وذكر لنا أن عمر (رض) قال : أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة عليهم السلام كانوا معنا ، وأما بعد ذلك فالله أعلم . وعن ابن زيد : مردفين قال بعضهم على أثر بعض . وعن مجاهد في قوله (وما جعله إلا بشرى) قال انما جعلهم الله يستبشر بهم . هذا جملة ماجمعه في الدر المنثور من المأثور في الآيتين . وظاهر نص القرآن أن إنزال الملائكة وإمداد المسلمين بهم فائدته معنوية كما تقدم وأنهم لم يكونوا محاربين وهنالك روايات أخرى في أنهم قاتلوا وسيأتي بحثه . وما قاله الشعبي وقتادة من العدد لا يقبل إلا بنص من الشارع قطعي الرواية والدلالة لانه خبر عن الغيب

وقد خلطت بعض الروايات بين الملائكة المردفين الذين أيد الله بهم المؤمنين في غزوة بدر ، وبين الملائكة المنزلين والمسومين الذين ذكر خبرهم في سياق غزوة أحد من سورة آل عمران، وقد حققنا هذا المبحث في تفسير تلك الآيات فيها واعتمدنا في جله على تحقيق ابن جرير وذكرنا فيه ما جاء هنا ، وجملته أن الله تعالى أمد المؤمنين يوم بدر بألف من الملائكة كان قوة معنوية لهم وأما يوم أحد فقد حدثهم الرسول ﷺ بالامداد ووعدهم به وعدا معلقا على الصبر والتقوى ولكن انتفى الشرط فانتفى المشروط . ويراجع تفصيل ذلك (في ص ١١٠—١١٦ ج ٤ تفسير) فانه مفيد في تحقيق ماهنا ولذلك لم نطل الكلام فيه

﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ هذه منة اخرى من منته تعالى على المؤمنين، التي كانت من اسباب ظهورهم على المشركين، وهي إلقاؤه تعالى النعاس عليهم حتى غشيهم - أي غلب عليهم فكان كالغاشية تستر الشيء وتغطيه - تأمينا لهم من الخوف الذي كان يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم في العدد والعدد وغير ذلك . روى أبو يعلى والبيهقي في الدلائل عن علي كرم الله وجهه قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم الا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة حتى أصبح . وذلك أن من غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف ، كما أن الخائف لا ينام ، ولكن قد ينعس ، والنعاس فتور في الحواس وأعصاب الرأس

يعقبه النوم فهو يضعف الادراك ولا يزيله كله فمتى زال كان نوماً ولذلك قال بعضهم هو أول النوم. وفي المصباح: وأول النوم النعاس وهو ان يحتاج الانسان الى النوم، ثم الوسن وهو ثقل النعاس، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين، ثم السكرى والغمض وهو ان يكون الانسان بين النائم واليقظان، ثم العفق وهو النوم وانت تسمع كلام القوم، ثم الهجود والهجوع اه وهو يفيد ان الوسن والترنيق درجتان من درجات النعاس وأن السكرى مرتبة فاصلة بين النعاس والنوم، وفي المصباح أيضا ان النعاس اسم مصدر لنعس من باب قتل، والجمهور على انه من باب فتح فهو من البابين، وضعوا اسمه بوزن فعال بالضم كأنهم عدوه من الأمراض كالسعال والفواق والكباد

وقال علي (رض) انهم ناموا يومئذ وظاهر عبارته أنهم ناموا في الليل والمتبادر ان نعاسهم كان في أثناء القتال، وقد ذكرنا الخلاف في ذلك وتحقيق الحق فيه في تفسير قوله تعالى (٣ : ١٥٤ ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) وهو في سياق غزوة أحد. وقلت هنالك: قد تقدم في ملخص القصة ذكر هذا النعاس وأنه كان في أثناء القتال، وانما كان مانعا من الخوف لانه ضرب من الذهول والغفلة عن الخطر، ولكن روي ان السيوف كانت تسقط من أيديهم واختار الاستاذ الامام انه كان بعد القتال الخ فيحسن مراجعته ففيه الكلام على النعاس يوم بدر أيضا وهو في (ص ١٨٥: ١٨٦ ج ٤ تفسير)

قرأ الاكثرون (يغشيكم) بالتشديد من التغشية وهو إما للتدريج واما للمبالغة في التغطية، وقرأه نافع بالتخفيف من الاغشاء، وقرأه ابن كثير وابو عمرو (يغشاكم) من الثلاثي ورفع النعاس على انه فاعله، وهذا لا يخالف القراءتين قبله بل هو كالمطاوع لهما ومعنى الثلاثة أن الله تعالى جعل النعاس يغشاكم فغشيكم، وأما صيغ الفعل ودلالة قراءة التشديد على التدريج أو المبالغة دون قراءة التخفيف فيحمل اختلافهما على اختلاف حال من غشيهم النعاس فهو لا يكون عادة الا بالتدريج ويكون أشد على بعض الناس من بعض، وقد ذكرنا بحث صيغة (غ ش ي) في اللغة في تفسير سورة الاعراف.

﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم، ويثبت به الاقدام ﴾ وهذه منة ثالثة منه عز وجل على المؤمنين، كان لها شأن عظيم في انتصارهم على المشركين ، روى ابن المنذر وأبو الشيخ من طريق ابن جرير عن ابن عباس (رض) ان المشركين غلبوا المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمىء المسلمون وصلوا مجنبين محدثين ، وكان بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوبهم الحزن وقال أتزعمون ان فيكم نبيا وانكم أولياء الله وتصلون مجنبين محدثين ؟ فانزل الله من السماء ماء فسال عليهم الوادي ماء فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم (اي على الدهاس او الرمل اللين لتلبده بالمطر) وذهبت وسوسته . هذا أثبت وأوضح وابسط ما ورد في المأثور عن هذا المطر في بدر ، وعن مجاهد انه كان قبل النعاس خلافا لظاهر الترتيب في الآية والواو لاتوجبه. ولولا هذا المطر لما أمكن المسلمين القتال لانهم كانوا رجالة ليس فيهم الا فارس واحد هو المقداد كما تقدم وكانت الارض دهاسا تسيخ فيها الاقدام أو لا تثبت عليها . قال المحقق ابن القيم في الهدي النبوي : وانزل الله عز وجل في تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين طلا طهرهم به واذهب عنهم رجس الشيطان ، ووطأ به الارض وصلب الرمل ، وثبت الاقدام ، ومهد به المنزل ، وربط على قلوبهم . فسبق رسول الله واصحابه الى الماء فنزلوا عليه شطر الليل وصنعوا الحياض ثم غوروا ماعداها من المياه ، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تل مشرف على المعركة ومشى في موضع المعركة وجعل يشير بيده « هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى » فما تعدى أحد منهم موضع اشارته اه

وقد ذكر ابن هشام مسألة المطر بنحو مما قال ابن القيم ثم قال :

قال ابن اسحاق فحدثت عن رجال من بني سلمة انهم ذكروا ان الحباب بن المنذر ابن الجموح قال يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال « بل هو الحرب والرأي

والمكيدة » قال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر ماوراءه من القلب [بضمتين جمع قليب وهي البئر غير المطوية أي غير المبنية بالحجارة] ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأي » وذكر انهم فعلوا ذلك

ذكر تعالى لذلك المطر أربع منافع (الأولى) تطهيرهم به أي تطهيراً حسياً بالنظافة التي تشرح الصدر وتنشط الاعضاء في كل عمل — وشرعيا بالغسل من الجنابة والوضوء من الحدث الاصغر (الثانية) اذهاب رجز الشيطان عنهم . والرجز والرجس والركس كلها بمعنى الشيء المستقذر حساً أو معنى والمراد هنا وسوسته كما تقدم في المأثور (الثالثة) الربط على القلوب ويعبر به عن تثبيتها وتوطينها على الصبر كما قال تعالى (٢٨ : ٩ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها . وتأثير المطر في القلوب تفسره المنفعة (الرابعة) وهو تثبيت الاقدام به فان من كان يعلم أنه يقاتل في أرض تسوخ فيها قدمه كلما تحرك وهو قد يقاتل فارساً لا راجلا لا يكون إلا وجلا مضطرب القلب .

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ الظرف هنا غير بدل من اذ ، في الآيات التي قبله ولا متعلق بما تعلقت به بل هو متعلق بيثبت والمعنى أنه يثبت الاقدام بالمطر في وقت الكفاح الذي يوحي فيه ربك إلى الملائكة آمراً لهم أن يثبتوا به الانفس بملابستهم لها واتصالهم بها وإلهامها تذكر وعد الله لرسوله وكونه لا يخلف الميعاد ، والمعية في قوله « إني معكم » معية الاعانة كقوله [إن الله مع الصابرين]

﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ الرعب بوزن قفل اسم مصدر من رعبه (وتضم عينه) وبه قرأ ابن عامر والكسائي ومعناه الخوف الذي يملأ القلب، ولما فيه من معنى الملء يقال رعبت الحوض أو الاناء أي ملأته ، ورعب السيل الوادي . وقيل أصل معناه القطع إذ يقال رعبت السنام ورعبته ترعيبا اذا قطعته طولا ، وفسره الراغب بما يجمع بين المعنيين فقال الرعب الانقطاع من امتلاء الخوف اه . ويقال رعبته [من بات فتح] وأرعبته ، وأبلغ منه تعبير التنزيل بالقاء الرعب وبقذف الرعب في القلب لما فيه من الاشعار بأنه

يصب في القلوب دفعة واحدة ﴿ فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ أي فاضربوا الهام واقلقوا الرءوس ـ أو اضربوا على الاعناق ـ واقطعوا الأيدي ذات البنان التي هي اداة التصرف في الضرب وغيره وهو متعين في حال هجوم الفارس من الكفار على الراجل من المسلمين فاذا لم يسبق هذا الى قطع يده قطع ذلك رأسه . والبنان جمع بنانة وهو أطراف الاصابع

وفي تفسير ابن كثير عن بعض المغازي ان النبي ﷺ جعل يمر بين القتلى ببدر ـ أي بعد انتهاء المعركة ـ ويقول « نفلق هاما » فيتم البيت أبو بكر « رض » وهو

نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وهو يدل على ألم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من الضرورة التي اضطرتهم إلى قتل صناديد قومه . واسم التفضيل في أعق وأظلم هنا على غير بابه مراعاة للظاهر فان المشركين وحدهم هم الذين عقوه ﷺ وظلموه هو ومن آمن به حتى اخرجوهم من وطنهم بغيا وعدوانا ثم تبعوهم الى دار هجرتهم يقاتلونهم فيها ، وروي انه أوصى بنفر من بني هاشم آله خرجوا مع المشركين كرها أن لا يقتلوا ، كان منهم عمه العباس (رض) ولم يكن أسلم

مقتضى السياق ان وحي الله للملائكة قد تم بامره اياهم بتثبيت المؤمنين كما يدل عليه الحصر في قوله عن امداد الملائكة [وما جعله الله الا بشرى] الخ وقوله تعالى [سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب] الخ بدء كلام خوطب به النبي (ص) والمؤمنون تتمة للبشرى فيكون الأمر بالضرب موجها إلى المؤمنين قطعا وعليه المحققون الذين جزموا بان الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعا لما قبله من الآيات وقيل ان هذا مما أوحي إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بانه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالالهام كما كان الشيطان يخوفهم ويلقي في قلوبهم ضده بالوسواس . ولا يرد على الأول ماقيل من أنه لا يصح الا اذا كان الخطاب قد وجه الى المؤمنين قبل القتال والسورة قد نزلت بعده ـ لان نزول السورة بنظمها وترتيبها بعده لا ينافي حصول معانيها قبله وفي أثنائه ، فان البشارة بالامداد بالملائكة وما وليه قد حصل قبل القتال واخبر به النبي ﷺ اصحابه ، ثم ذكرهم الله تعالى به

بانزال السورة برمتها تذكيراً بمنه ، ولولا هـذا لم تكن للبشارة تلك الفائدة ، والخطاب في السياق كله موجه الى المؤمنين وانما ذكر فيها وحيه تعالى للملائكة بما ذكر عرضا . وقدغفل عن هذا المعنى الآلوسي تبعاً لغيره وادعى ان الآية ظاهرة في قتال الملائكة، وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتال الملائكة لم يعبأ الامام ابن جرير بشيء منها ولم يجعلها حقيقة أن تذكر ولو لترجيح غيرها عليها

وما ادري اين يضع بعض العلماء عقولهم عند مايغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التي يردها العقل ، ولا يثبتها ماله قيمة من النقل فاذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية ، وتسهيله لهم الاسباب الحسية كانزال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف — وقيل آلاف — من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفقون منهم المـام ، ويقطعون من ايديهم كل بنان ، فأي مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الألوف؟ وبماذا استحقوا قول الرسول ﷺ لعمر (رض) «وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟» رواه البخاري ومسلم وغـيرهما . وفي كتب السير وصف للمعركة يُعلم منـه القاتلون والآسرون لأشد المشركين بأساً — فهل تعارض هذه البينات النقلية والعقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين ابن جرير حرية بأن تنقل. ولم يذكر ابن كثير منها الا قول الربيع بن أنس كان النـاس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوا بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به. ومن أين جاء الربيع بهذه الدعوى ؟ ومن ذا الذي رؤي من القتلى بهذه الصفة ؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السبعين وعدد من قتل أهل بدر غير من سموا وقالوا قتلهم فلان وفلان؟ كفانا الله شر هذه الروايات الباطلة التي شوهت التفسير وقلبت الحقائق حتى انها خالفت نص القرآن نفسه، فالله تعالى يقول في إمداد الملائكة (وماجعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) وهذه الروايات تقول بل جعلها مقاتلة وان هؤلاء السبعين الذين قتلوا من المشركين لم يمكن قتلهم الا باجتماع الف أو ألوف من

الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خصهم الله بما ذكر من أسباب النصرة المتعددة !

ألا ان في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول وأشجعهم مالا يصدر عن عاقل الا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند ولم يرفع منها الا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الآلوسي وغيره بغير سند وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لانه كان صغيراً فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسلة وقد روى عن غير الصحابة حتى عن كعب الاحبار وأمثاله

﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أي ذلك الذي ذكره كله من تأييده تعالى للمؤمنين وخذلانه للمشركين بسبب انهم شاقوا الله ورسوله أي عادوهما فكان كل منهما في شق غير الذى فيه الآخر فالله هو الحق والداعي إلى الحق ورسوله هو المبلغ عنه الحق ، والمشركون على الباطل وما يترتب عليه من الشرور والخرافات ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ أي فان عقاب الله شديد ، وأحق الناس به المشاقون له بايثار الشرك وعبادة الطاغوت على توحيده وعبادته ، وبالاعتداء على اوليائه أولا بمحاولة ردهم عن دينهم بالقوة والقهر واخراجهم من ديارهم ثم اتباعهم الى مهجرهم يقاتلونهم فيه

﴿ ذلكم فذوقوه ﴾ الخطاب للمشركين المنكسرين في غزوة بدر أي لمن بقي منهم من الاسرى والمهزومين على طريق الالتفات عن الغيبة في قوله تعالى قبله (بأنهم شاقوا الله ورسوله) والمعنى الامر ذلكم — اي ان الامر المبين آنفاً وهو أن الله تعالى شديد العقاب لمن يشاقه هو ورسوله — فذوقوا هذا العقاب الشديد وهو الانكسار والانهزام مع الخزي والذل أمام فئة قليلة العدد والعدد من المسلمين ،

﴿ وان للكافرين عذاب النار ﴾ هذا عطف على ماقبله اى والامر المقرر مع هذا العقاب الدنيوى ان للكافرين عذاب النار في الآخرة ، فمن اصر منكم على كفره عذب هنالك فيها وهو شر العذابين وأدومهما ، وفي الجمع بين عذاب الدنيا والآخرة للكفار آيات متفرقة في عدة سور

فتاوى المنار

حل أموال أهل الحرب

(س٢٢) من صاحب الامضاء في (بيتنزرغ ـ جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

ماقول السيد البار بالمسلمين، والرشيد الحريص على أحكام رب العالمين، في فتوى بعض العلماء: بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح !؟

أليست هذه الفتوى وأمثالها الضربة القاضية على جميع ماحرمه الله والتعدى على الحدود التي لم يستثن منها اضطراراً ولا عذراً لفاعل ؟ كالشرك والكفر بغير إكراه والقتل عمداً وفي القصاص (كذا) والسرقة والربا ونحو ذلك، لا كالخمر والميتة والدم ونحوها للمضطر وتأجيل بعض العبادات لعذر كما بينه الشارع مع بقاء الحرمة والحكم والقضاء والكفارة إلا في الخطأ والنسيان عدا ماستثناه منهما كما هو الحق المنصوص به في كتاب الله المؤيد بالتواتر والحق المبين بالاجماع والتواطيء !! افتونا بما أمر الله به أن يوصل واصدعوا بما أراكم الله والله يتولى الصالحين، والعاقبة للمتقين، لا معقب لأمره وحكمه وهو أحكم الحاكمين

مدير جريدة الوفاق ببيتنزرغ ـ جاوا

محمد بن محمد سعيد الفته

(ج) أصل الشريعة الاسلامية ان أموال أهل الحرب مباحة لمن غلب عليها وأحرزها بأي صفة كان الاحراز الا أن الفقهاء خصصوا هذا العموم بما ورد في الشريعة من التشديد في تحريم الخيانة فقالوا ان المسلم لا يكون خائنا في حال من الاحوال فاذا ائتمنه أي انسان وان كان حربيا على مال وجب عليه حفظ الامانة وحرمت عليه الخيانة، فاذا كان الاصل في مال الحربي انه غنيمة لمن غنمه بالقهر أو

بالحيلة أو بكل وسيلة ماعدا الخيانة أفلا يكون حله أولى اذا أخذه المسلم برضاه ولو بصورة العقود الباطلة في دار الاسلام بين المسلمين والخاضعين لحكمهم من غيرهم ؟ انه لم يظهر لي أدنى وجه لقياس حل سائر المحرمات كالكفر والخمر والميتة وهي من المحرمات لذاتها في دار الاسلام ودار الحرب جميعا على مال الحربيين المباح في أصل الشريعة، اذ الاصل في القياس أن يلحق الشيء بمثله في علة الحكم لا بضده

هذا وان الربا الذي حرمه الله تعالى في دار الاسلام وكذا في دار الحرب بين المسلمين ان وجدوا فيها هو نوع من أنواع أكل المال المحترم بالباطل ، وأخذ المال من صاحبه برضاه واختياره ليس من أكله بالباطل ، والمضطر الى أخذ المال بالربا لا يعطي الزيادة برضاه واختياره والشرع لم يجعل له حقا بأخذها فكانت حراما لانها من قبيل الغصب على كونها بدون مقابل . ولذلك علمت في نص القرآن بأنها ظلم اذ قال تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وظلم الحربي غير محرم لانه جزاء على ظلمه فانه لا يكون الا أشد ظلما من المسلم ، لانه يخون والمسلم لا يخون ، ولان المسلم يمنعه دينه من أعمال في الحرب ومع أهل الحرب لا يمنع الكافر دينه منها كقتل غير المقاتلين والتمثيل بالقتلى وغير ذلك مما هو معروف في الاسلام ، ونرى غير المسلمين يرتكبونه حتى في البلاد التي جعلوها تحت حكمهم لا المحاربة لهم فقط ، والمسلمون يساوون غيرهم ممن يدخل تحت حكمهم بأنفسهم

على ان المسلم في دار الاسلام يجوز له أن يقضي دائنه دينه بأفضل مما أخذ منه اذا كان بمحض اختياره وقد قضى النبي ﷺ من كان اقترض منه بعيراً بسن فوق سن بعيره كما في الصحيحين ولو كان ذلك مشروطا لكان ربا . قال أبو هريرة كما في البخاري ان رجلا تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمّ به أصحابه فقال « دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيراً فأعطوه اياه » فقالوا : لا نجد الا أفضل من سنّه ، فقال « اشتروه فأعطوه اياه فان خيركم أحسنكم قضاء »

وما رواه الحارث عن علي « كل قرض جر منفعة فهو ربا » فسنده ضعيف بل قالوا انه ساقط فان راويه سوار بن مصعب متروك يروي المنكرات ، بل اتهم برواية الموضوعات

لولا كتاب خاص شرح لنا فيه صديقنا السائل سبب سؤاله لما فهمنا قوله فيه ان تلك الفتوى ضربة قاضية على جميع ماحرمه الله تعالى فقد كتب الينا ان بعض المستمسكين بحبل الدين في جاوه قد استنكروا الفتوى المسؤول عنها لانهم فهموا منها ان استحلال الربا في دار الحرب يفضي إلى استحلال سائر المعاصي كالزنا واللواط والقتل وغير ذلك فيها أو مطلقا . وهذا سوء فهم منهم فان الفتوى ليست في استحلال الربا مطلقا كما تقدم. ولا يخفى على أحد منهم ان حرمة سفك الدم بغير حق أشد من حرمة أخذ المال بغير حق فهل يقيسون إذاً إباحة قتل المحارب على إباحة قتل المسالم من مسلم وذمي ومعاهد ؟ ولدار الحرب أحكام أخرى تخالف أحكام دار الاسلام منها عدم إقامة الحدود فيها

ونقول لهم من جهة أخرى إذا أقام المسلم في غير دار الاسلام فهل يدعون ان الله تعالى يأمره بأن يدفع لأهلها كل مايوجبه عليه قانون حكومتها من مال الربا وغيره — ولا مندوحة له عن ذلك — ويحرم عليه أن يأخذ منهم ما يعطونه إياه بحكم ذلك القانون من ربا وغيره برضاهم واختيارهم ؟ أعني هل يعتقدون ان الله تعالى يوجب على المسلم أن يكون عليه الغرم من حيث يكون لغيره الغنم ، أي يوجب عليه أن يكون مظلوما مغبونا

ان تحريم الربا من الاحكام المعقولة المعنى لا من التعبديات وما حرم الله تعالى شيئا إلا لضرره على عباده الخاضعين لشرعه ، وقد علل تحريم الربا في نص القرآن بأنه ظلم من حيث انه استغلال لضرورة الفقير الذي لايجد قوته أو ضرورته إلا بالاقتراض . والقرآن انما حرم الربا الذي كان معهوداً بين الناس في الجاهلية وهو الربا المضاعف كما تراه في تفسير ابن جرير وغيره من كتب التفسير المأثور ومنه قول ابن زيد (زيد أحد علماء الصحابة الاعلام وابنه من رواة التفسير المأثور) انما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السن: يكون للرجل على الرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول تقضيني أو تزيدني ؟ فاذا كان عنده شيء يقضيه قضى وإلا حوله الى السن التي فوق ذلك ، ان كانت ابنة مخاض (أي في السنة

الثانية) يجعلها ابنة لبون (أي في السنة الثالثة) ثم حقة (أي ابنة السنة الرابعة) ثم جذعة (في الخامسة) ثم رباعيا (وهو ما ألقى رباعيته ويكون في السنة السادسة) ثم هكذا الى فوق، وفي العين (أي الذهب والفضة) يأتيه فان لم يكن عنده أضعفه في العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا، فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة، يضعفها له كل سنة أو يقضيه، اه من تفسير آية آل عمران، وضرر هذا عظيم وهو قسوة تحرمها الآن جميع القوانين، ثم أوجب القرآن على التائب منه أخذ رأس المال فقط

وذكر ابن حجر المكي في الزواجر ان ربا الجاهلية كان الانساء فيه بالشهور، وهو الذي يسمى في عرف المحدثين بربا النسيئة وفيه ورد حديث «لا ربا الا في النسيئة» رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أسامة بن زيد مرفوعا، ورواه مسلم عن ابن عباس عنه بلفظ «انما الربا في النسيئة» وفي لفظ «ألا انما الربا في النسيئة» وما صح من النهي عن ربا الفضل في الحديث فلسد الذريعة كما نص عليه المحققون

واننا قد فصلنا القول في مسألة الربا في التفسير وغيره من قبل فلا نعود اليها هنا وانما غرضنا بيان ان تلك الفتوى ليس فيها خطر على التوحيد ولا تقتضي تحليل شيء من المحرمات، ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعمل بها

﴿ المراد بالطعن في الدين - وكون مخالفة القرآن كفراً ﴾

(ص٢٣ و٢٤) لصاحب الامضاء في دمشق الشام — بنصه على غلطه في عبارته لجناب الفاضل صاحب مجلة المنار الاستاذ رشيد رضا المحترم

قد وصلني جزء المنار الخامس فقرأت فيه قرار النيابة العامة عن كتاب الدكتور طه حسين وما علقه المنار عليه. وإذ لم أتيسر للحصول على نسخة من الكتاب المذكور حيث منعته الحكومة لم أقرأ منه إلا ما طبعته جريدة الميزان في دمشق ولكني مع ذلك سأوجه لكم الكلمات التالية فيها سؤالان أرجو إجابتكم إياهما في المنار. ولربما تتعجبون من ذلك كما تعجبتم مرة من قبل عند ما سألتكم بعض الأسئلة فجاوبتم عليها في المنار، ولا بد ان سبب تعجبكم هو الفكر الغارس

فيكم انه من واجبات المبشر المسيحي أن يطعن في الاسلام ، ولكني أتأمل ان المستقبل سيزيل هذا الفكر عنكم وعن بقية المسلمين فيدرك الجميع ان المسيحي لايبشر بالمسيح بين المسلمين الا لاعتقاده بوجود بشارة في ديانته المسيحية ليس لها وجود في الاسلام ولا يمكن وجودها فيه مع كل مايحتويه القرآن من الاوامر والنواهي المفيدة حيث يرفض الاعتقاد بموت المسيح على الصليب وقيامته من بين الاموات. وذلك ليس فقط اعتقاد بولس كما يقال ولكنه يظهر بكل وضوح من سفر أعمال الرسل ومن رسائل بطرس ويوحنا ان موت المسيح وقيامته هما محور تعاليم الرسل فأساس الديانة المسيحية منذ الاول ، ولكن ليس قصدي هنا أن أطيل الكلام في هذا الموضوع بل أتقدم إلى السؤالين الناتجين عن قراءتي جزء المنار الخامس

وأولهما : ماهو معنى الطعن في الدين ؟ انه ليس من أمري ولا من مقدرتي أن أحكم فيما إذا كانت استنتاجات الدكتور طه حسين ثابتة أم لا علميا ، ولكنه بحسب مايفهم من كتابه وصل اليها عن مبادئه العلمية دون غاية أخرى فهل يجوز تسميتها طعنا في الدين؟ أليس معنى الطعن نوعا من الاستهزاء والاحتقار ؟ أما اذا كان طعنا كل مايقال عن ديانة خلاف عقائدها فكيف نتجنب عنه في بلاد يسكنها المسلم بجانب المسيحي واليهودي وكل منهم لا يعتقد بعقائد الآخر بل يرفضها؟ أفيكون كل مايقولونه عن دين بعضهم لبعض طعناً وهم يتكلمون به عن ضمير صالح وان كانت أدلتهم غير مقبولة وغير مسلم بها عند الخصم ؟ أما الطعن اذا كان بمعنى الاستهزاء والاحتقار فيمكن التجنب عنه بل هو واجب

وسؤالي الثاني هو هذا : اذا وصل مسلم في أبحاثه العلمية إلى نتيجة تخالف شيئا من تعاليم القرآن أو من العقائد الاسلامية فهل يحسب لذلك كافراً أو طاعنا في الدين ولو كان لم يزل يعتبر نفسه مسلما في الامور الدينية والادبية ؟ وهذا السؤال يهمني جداً جوابه لانني بصفتي مبشر مسيحي لا أريد أن أقول عن مبادىء الاسلام ولا أن أفتكر عنها غير ماهو مسلَّم به من أهله ، ولا يبعد عني الفكر ان المسلمين المتنورين بعد مدة وجيزة سيغيرون اعتقادهم في القرآن فيميزون فيه بين الامور الدينية والادبية من جهة وبين الامور التاريخية والعلمية من جهة أخرى ،

كما صار أيضا بين المسيحيين لان كثيرين من المسيحيين اليوم يختلفون عن مسيحي القرن الثامن عشر في أفكارهم عن عصمة الكتاب المقدس مع انهم لم يزالوا يشاركونهم بالايمان بالمسيح كمخلص العالم والوسيط الوحيد بين الله والناس. ويوجد بعض الدلائل لحدوث تغيير كهذا في العالم الاسلامي كالذي يعمله الاتراك اليوم أو كالذي نجده في بعض المجلات الاسلامية العصرية كمجلة Islamic Revue حيث يقال في العدد الاخير ان قصة آدم لربما مجازية ولا واقعة تاريخية

قد باحثت في هذه الامور بعض المسلمين الاتقياء المتفكرين من الذين لا يرفضون البحث مع مبشر مسيحي ولكني للتخلص من المشاكل العلمية في القرآن لم أجد عندهم غير فكر التأويل لانهم لا يريدون أن يسلموا بوجود غلطة واحدة في القرآن من أي نوع كان، والى الآن لم أجد أحداً يعترف بامكان بقاء المسلم مسلما تقيا اذا أوصلته دروسه العلمية الى نتيجة تخالف نص القرآن كمسألة وجود ابراهيم أو عدم وجوده التاريخي

قد يكون للمنار أسباب أخرى لتسمية الدكتور طه حسين بكافر ولكن سؤالي هو هذا فقط: اذا قال عالم مسلم بعد دروس علمية بعدم وجود ابراهيم التاريخي فهل بطل اسلامه أم بصورة أخرى هل يجب على المسلم أن يعتبر كل ما يقال في القرآن من الامور التاريخية والطبيعية أساسا متينا لا يجوز له أن يخالفه بشيء؟ ودمتم

القسيس ألفريد نيلسن الدانيمركي

[المنار] ماذكرتم في مقدمة السؤال من توقع تعجبي من سؤالكم خطأ، وما قلتم في الدفاع عن المبشرين وتبرئتهم من الطعن في الاسلام فقد طعن فيه بعضهم بالمعنى الذي به فسرتم الطعن، وكذلك قولكم ان المسيحي لا يبشر بالمسيح بين المسلمين الا لاعتقاده . . . فقد عرفنا من بعض المبشرين أنهم كانوا مستأجرين للتبشير فلما وجدوا رزقا من طريق آخر تركوه البته، وقولكم فيها ان كتاب أعمال الرسل ورسائل بطرس ويوحنا تثبت موت المسيح وقيامته لا يقوم حجة على المسلمين لعدم ثبوت هذه الرسائل عندهم وأنتم لا يمكنكم اثباتها بالتواتر إلى مؤلفيها كما علم مما كتبه علماء أوربة المحققون في تاريخها

أما الجواب عن السؤال الاول وهو ما معنى الطعن في الدين؟ فهو أن

الطعن في اصل اللغة قد وضع لمعناه الحسي المعروف وهو الطعن بالرمح أو الحربة ثم اطلق على الذم والهجو والتكذيب والتحقير القولي الذي يؤذي المطعون فيه إيذاء نفسيا كما يؤذيه الطعن بالرمح أو الحربة إيذاء بدنيا ، وما كتبه طه حسين في كتابه المذكور قد آذى المسلمين وآلمهم فصدق عليه أنه طعن في دينهم. فالمسألة من المسائل التي تعرف بالبداهة ، وأما إذا نقل أحد من النصارى أو المسلمين أو اليهود نصوصا من كتب الآخرين مع الادب في العبارة وبحث في أدلتها، وقال انها لم تصح عنده أو عند أهل ملته وأن مايعارضها عندهم هو الذي يعتقدون صحته — فان هذا لايعده احد طعنا ، ومنه ماكتبه السائل في مقدمة سؤاله هذا وماردد ناه به فهو ليس طاعناً في الاسلام بتلك العبارة ولا نحن طاعنون في النصرانية بردها

واما الجواب عن الثاني فهو ان من يعتقد اعتقادا مخالفا لنص القرآن القطعي الدلالة عالما غير متأول بحيث يعتقد ان خبر القرآن غير حق فلاشك في أنه لايعد من جماعة المسلمين . فمن أنكر وجود آدم أو ابراهيم واسماعيل فهو كافر لانه مكذب لكلام الله تعالى ، لا من تأول قصة آدم في معصيته وتوبته وسجود الملائكة له إلا ابليس وما ورد في شأن إبليس من التخاطب مع الرب عزوجل فقال ان كل خطاب فيها تكويني لاتكليفي وانها تمثيل لسنن الله تعالى في النشأة الآدمية البشرية ، فمن يقول بهذا (وقد قال به بعض علماء المسلمين كما تراه في تفسيرنا) لايعد مكذبا للقرآن كمنكر وجود آدم وابراهيم واسماعيل بشبهة عدم ثبوت وجودهم بدليل علمي فانه ليس من شأن قواعد العلم العقلي أو الطبيعي إثبات وجود زيد وعمرو أو نفيه كما سيأتي ،

وهذا الذي صدر عن مصطفى كمال باشا ورجال حزبه من الترك كفر محض وارتداد عن الاسلام لا شبهة فيه وهم يقصدون به هذا الارتداد بغضاً في الاسلام وعداوة له ، وأما السواد الاعظم من الشعب التركي فلا يزالون على دين الاسلام وتقاليده كما عرفوها وهم يتربصون الدوائر بهؤلاء الذين يجبرونهم على الكفر بقوة الشعب ومال الشعب وجند الشعب .

وأما ماارتأيته ان المسلمين المتنورين سيغيرون اعتقادهم في القرآن بعد مدة وجيزة فيميزون بين الأمور الدينية والادبية من جهة ، وبين الأمور التاريخية

والعلمية من جهة أخرى ، فيجعلونه معصوماً في الاولى دون الثانية كما فعل النصارى فهو بعيد وانما قربه الى ذهنك قياس الاسلام على النصرانية وقياس القرآن على العهدين القديم والجديد ، والفرق بين الامرين مثل الصبح ظاهر ، وفرضك إمكان قيام أدلة علمية تنفي وجود ابراهيم عليه السلام غير معقول لأن هذا النفي ليس مما يثبت بالعلم فان وجود ابراهيم واسماعيل متواتر عند الاسرائيليين وعند العرب وان نازعنا منازع في التواتر التاريخي المتصل وفي الانساب المتسلسلة به المثبتة له علميا فلا يمكن الاتيان بدليل ينفي وجوده علميا لان نفي وجود شيء في القرون الخالية لا يمكن الا اذا كان وجوده محالا عقلا ، ووجود رجل اسمه ابراهيم غير محال عقلا ، وقد جاء خبر الوحي مؤيداً لخبر البشر المشهور أو المتواتر وهو أقوى منه متى ثبتت صحة الوحي وهي ثابتة عند أهلها فاذاً لا يمكنهم الجمع بين التصديق بالوحي وانكار وجود ابراهيم

نعم قد يوجد شبهات تاريخية قوية تعارض إثبات وجود رجل مشهور خبره غير متواتر أو تعارض دعوى تواتره كقول بعض من أنكر وجود المسيح عليه السلام : ان يوسيفوس مؤرخ اليهود الشهير لم يذكره في تاريخه مع انه كان في العصر الذي قالوا انه وجد فيه وقد ذكر من تاريخ اليهود ما هو دون مسألة وجود المسيح فليس من المعقول أن يحفل بتلك الاخبار الصغيرة ويسكت عن هذا النبأ العظيم الذي هو أهم ما عزي إلى تاريخ قومه عندهم إذ كانوا كلهم ينتظرون قيام المسيح ولا يزالون كذلك إلى اليوم ، وقد رددنا هذه الشبهة بأنها أمر سلبي قد يكون له علة أقربها إلى التصور ان هذا المؤرخ لم يصدق دعوى المسيح فأحب أن لا يذكرها لئلا تكون فتنة لبعض قارئي كتابه فيكون كالداعية له

ومثل ذلك انكار بعضهم لوجود (هوميروس) شاعر اليونان وزعمهم انه رجل خيالي نسب اليه ذلك الشعر الكثير البليغ ولا بدع في ذلك فالقصص الخيالية والابطال الخياليون مما عهد وكثر في تاريخ الاغريق ، ومثله (مجنون ليلى) في تاريخ العرب المشهور انه رجل من بني عامر اسمه قيس كان يعشق امرأة اسمها ليلى وجن بحبها فلقب بمجنون ليلى وشبب بها بأشعار اشتهرت في الادب العربي شهرة واسعة وقيل ان هذه الاشعار لرجل من بني أمية نسبها الى قيس العامري لأجل اخفاء اسمه ، بقي شيء لا ينكره علماء المسلمين وهو يقرب مما عليه أهل الكتاب في التفرقة

بين ما جاء به الدين من أصول الايمان بالله واليوم الآخر وعالم الغيب ، وأصول الآداب الدينية والعبادات وأحكام التشريع - وبين مايذكر في الكتب الالهية من أمور الخلق والتكوين وأحوال المخلوقات العلوية والسفلية . وذلك ان القسم الاول هو المقصود بذاته لاصلاح أمور البشر وتزكية أنفسهم وتهذيب أخلاقهم وإعدادهم لحياة أعلى من حياة الدنيا فهو يؤخذ برمته لذاته كما أمر الله ورسله . وأما القسم الثاني فانما يذكر في الكتب الالهية لبيان آيات الله في خلقه الدالة على وحدانيته وقدرته وحكمته ورحمته وسائر صفات الكمال الثابتة له ، ولأجل المواعظ والعبر . ولا يراد من ذكرها مايريده أهل الفنون والصناعات ولا مدونوا التواريخ من بيان حقائق أمور العالم العلوي والسفلي بقدر الطاقة التي توصلهم اليها أبحاثهم كعدد الكواكب وأبعادها ومساحتها وحركاتها وطبائع المواليد الثلاثة وسنن الله فيها ومنافعها ومضارها وغير ذلك مما جعل الله في استطاعة البشر الوصول اليه ببحثهم وحدهم بدون توقف على الوحي الالهي . ويرى السائل هذا المعنى في الجزء الاول وغيره من تفسيرنا . فاذا وصل بحث الباحثين في أمور الكون الى حقيقة مخالفة لظاهر الوحي فيها وصار ذلك قطعياً وجب تأويل عبارة الوحي فيها بحملها على التجوز أو الكناية أو مراعاة العرف كغروب الشمس في العين أو البحر مثلا وتخبط الشيطان للمصروع في قول . ونعتقد نحن معشر المسلمين ان من مزايا كتابنا انه ليس فيه نص قطعي الدلالة يمكن أن ينقضه دليل عقلي أو علمي قطعي كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ولا يستطيع أهل الكتاب مثل هذه الدعوى في كتبهم . ولكن المسلمين على موافقة كتابهم وقطعيات دينهم للعقل وعدم تعارضهما مع العلم قد استحوذ على أكثرهم الجهل به من الجهتين الروحية والاجتماعية فلا يشعرون بالحاجة الى الاعتصام به كما يشعر أكثر النصارى في الغرب بالحاجتين ويبذلون الملايين في خدمة دينهم ونشره على مافي نصوص كتبه من مخالفة العقل والعلم التي لم يسعهم إنكارها، حتى قال أعظم رجل فيهم انه لا يضرنا ثبوت اقتباس شريعة موسى من شريعة حمورابي ولا يحملنا على ترك هداية الكتاب المقدس اذ لا يوجد لدينا كتاب غيره تعرّف فيه الرب الى خلقه بصفوة أنبيائه ورسله - أو ماهذا معناه .

سعد زغلول

فطرته واستعداده – تربيته العقلية والنفسية – تعليمه – ونتيجة ذلك

(١)

ان اسم «سعد زغلول» أو «سعد» وحده قد صار أشهر وأكبر – وهو غفل من الألقاب والنعوت – من كل ما تتحلى به أسماء العظماء وتحلي هو به من لقب ونعت كالزعيم والرئيس الجليل وذي الرياستين والوزير الخطير ورئيس الوزراء أو رئيس مجلس النواب. أعني أن جميع طبقات الناس صاروا يعدون شخص الرجل أكبر وأعلى بصفاته ومزاياه الذاتية، من كل المناصب الرسمية وغير الرسمية التي وصل اليها. ذلك بأن هذه المناصب قد تحلى بها غيره ولم يكن لأحد منهم معشار ما بلغه من اجلال أمته وغير أمته له

وعدت بأن أكتب شيئاً في ترجمة سعد يليق بمشرب المنار، وقد كان يخطر بالبال أن اضطراري إلى تأخير انجاز الوعد يجعلني مضطراً للاقتباس مما كتبه غيري لأن جمهور الكتاب من تاريخيين وسياسيين ومترسلين وجمهور الشعراء المفلقين قد تسابقوا إلى تأبين سعد ورثائه وكتابة تاريخه ببلاغة رائعة وعناية تامة، شارك فيها المصريين سائر الشعوب العربية من فلسطين إلى سورية إلى العراق إلى عمان وجزيرة العرب في الشرق ومن تونس والجزائر إلى مراكش في الغرب

ناهيك بحفلة التأبين الكبرى في العاصمة وما قاله فيها الوزراء والرؤساء، ومصاقع الخطباء وخناذيذ الشعراء، وبتراجم الجرائد الكبرى وما تؤخاه محرروها من الاستقصاء

حضرت حفلة التأبين الكبرى وسمعت ما قيل فيها مما أبكاني وأبكى جمهرة الحاضرين، وقرأت كثيراً مما نشر في أشهر الجرائد، ولا أدعي أنني قرأت كل ما كتب في الصحف التي ترسل إليّ وهي تعد بالعشرات، دع مالا يرسل إليّ منها وهو أكثر، ولكنني على كثرة ما سمعت وقرأت قد بقي لي ما أقوله مبتدأ غير مقتبس، ومبتكراً غير منتزع، بيد أنه لابد من مزجه بغيره مما قد يعرفه كل أحد

ومن الغريب أن جميع من وقفت على كلامهم قد قصروا في بيان أهم شيء في تاريخ الرجل وهو تربيته وتعليمه مع اجماعهم على أن التربية والتعليم هما بعد الاستعداد

الفطري كل شيء، على أنهم قصروا في الكلام على استعداده أيضا كما قصروا في الكلام على ايمانه بالله عز وجل الذي هو السبب الاكبر في كل ما رأوا من شجاعته واستهانته بالمصائب، واهتمامه بمعالي الامور وعزوفه عن سفسافها. نعم إنهم قصروا فيما يجب بيانه من هذه الامور الاربعة وهي البذرة والجرثومة فالشجرة وكيف نبتت واستوت على سوقها ورسخ أصلها وعلا في السماء فرعها، فأينعت ثمراتها، وآتت أكلها ضعفين باذن ربها. وحق المنار على قرائه أن يتلافى هذا التقصير ويتم ما كتب غيره في موضوعه

(١) نفس سعد وفطرته

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا إلى النبي ﷺ في جواب من سألوه عن أكرم الناس وأرادوا معادن العرب وأنسابها. وقوله « كمعادن الذهب والفضة » من زيادة رواية العسكري. والمعنى أن الناس في اختلاف استعدادهم للخير والشر كما في رواية أبي داود الطيالسي للحديث معادن بعضهم كالذهب والفضة في صفاء جوهره وجماله وبقائه وقلة قبوله للخبث والصدإ، وبعضهم كالزنك والقصدير في ضعف مادته وسرعة قبوله للصدإ وانتلف، وبعضها كالنحاس والحديد بين ذينك وذين. وقد كان سعد ذا مزايا فطرية ووراثية يعد بها جوهر نفسه من أزكى النفوس، وعقله من أذكى العقول، كان ذكي الفؤاد شجاع القلب، دقيق التمييز عظيم الاقدام، عالي الهمة، يحب المعالي ويحتقر الصغائر، عرفت فيه هذه الصفات الفطرية من صغره، وتجلت تمام التجلي في كبره، فكانت هي الاصل في استفادته مما صادفه من حسن التربية والتعليم، وقد روى الطبراني في الكبير من حديث الحسين بن علي مرفوعا وحسنه « إن الله تعالى يحب معالي الامور وأشرافها، ويكره سفسافها »

ولد سعد سوي الخلق، جميل الصورة، تام البنية، كبير الدماغ، مستعداً لتربية يكون بها من عظام الرجال، وهو من عرق عربي أصيل ورث عنه الشجاعة والاقدام، وغريزة الحرية والاستقلال، ولم يكن يحتاج إلا إلى رجل

حكيم جمع بين العلم الصحيح ومكارم الاخلاق وعلو الهمة وشرف المقصد يربي فيه هذه الغرائز وينميها ويصقل معدنها ويضعه حيث ينتفع به ، وكم وكم يولد في الامة من أطفال أزكياء الفطرة فيفسد فطرتهم سوء التربية، كما يوضع المعدن النفيس في السبخة ، فيعلوا طبعه الطبع ، الى أن يأكله الصدأ .

تربيته وتعليمه

اذاً إن خير ماقيضه الله لسعد فكان بعد ماذكرنا من استعداده سببا لكل ماظهر منه من المزايا أن ساقه في أول نشأته إلى كنف نادرة الزمان المصلح الكبير الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده عند مأراد طلب العلم في الازهر ، ولم اسأله ولا سألت شيخنا وشيخه عن أول أمره فيه ولكنني علمت منهما أنه لم يكن يعجبه درس غير درس الاستاذ الامام بعد أن اعتاده ، فسعد قد جلس إلى كثير من شيوخ أستاذه وغيرهم من شيوخ الازهر ولم يستفد الا من واحد منهم ولم يتخرج الا به بل كان كثيراً مايجلس إلى تلك الدروس مختبراً للشيوخ والطلبة منتقداً عليهم في نفسه تارة وبلسانه تارة كما سمعت من لسانه ، وسأنشر في هذه الترجمة بعض مكتوباته المصرحة بذلك

قال لي مرة : علمت أن الشيخ احمد الرفاعي يقرأ درسا في المنطق — لعله قال شرح السلم أو إيساغوجي — فجلست في درسه لأعلم كيف يقرأ علما هو في عقله من أبعد الناس عنه ، فاذا هو يبدي احتمالين في اعراب عبارة يقتضي أحدهما بطلان القاعدة المنطقية التي يقررها وهي كون القضية الكلية السالبة تنعكس جزئية ولا يطرد عكسها كلية فلا يصح . فقلت له : ياسي الشيخ إن هذا الاعراب يبطل القاعدة من أساسها فلا يصح أن يكون مراداً . فقال: مالنا ؟ هم العلماء قالوا اذا صح الاعراب صح المعنى ؟ فعجبت لأستاذ يقرر بطلان قواعد العلم القطعية فيه بايراد احتمال في اعراب عبارة مؤلف فيه أو ماهذا معناه

وقال لي مرة انه حضر له درساً آخر في علم آخر — لعله السعد أو جمع الجوامع — فاستمر الدرس ساعتين كاملتين (قال) ولم أحضره من أوله، وكان موضوعه مسألة واحدة لم يستقر ذهن الشيخ على فهم رضيه فيها إلا بانتهائه ، وهنالك تنفس

الصعداء وقال الحمد لله ، هـذه المرة فهمناها في درس واحد ، وقد قرأت هذا الكتاب مرتين قبل هذه ، فأما الاولى فقد استغرق بحثنا في هذه المسألة ثلاثة دروس مثل هذا الدرس ، وأما الثانية فقد فهمناها في درسين مثله في طوله . قال سعد فقلت له : ياسيي الشيخ لم لم تكتبوا الحل الذي فهمتموه في المرة الاولى أو الثانية بعد ذلك التعب الطويل فيها لتستغنوا عن هذا التعب في كل مرة ؟

وإننا رأينا بعض الجرائد تذكر أن الشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى كان من أشياخه كفلان وفلان ، نعم وكان من أشياخ شيخه أيضا ، ولكن هل علم أولئك الكاتبون بما استفاده من فلان وعلان ؟ ولم أر أحداً منهم بين أن أستاذه الذي تخرج به هو فلان ، بل ذكروا أو ذكر بعضهم أنه كان يحضر مع «صديقه» الشيخ محمد عبده دروس الحكيم السيد جمال الدين الافغاني ، والسيد لم يكن يقرأ إلا دروساً عالية في الفلسفة والكلام والأصول ، ذكرنا كتبها في تاريخ الاستاذ الامام ، إذ كان سعد مبتدئاً لم يستعد لحضور تلك الكتب ، ولكنه كان يختلف إلى مجلسه بالتبع لأستاذه فيستفيد منها علماً وحكمة وأدبا وسياسة لأن مجالس السيد رحمه الله كانت كلها كذلك كما قلت في المقصورة الرشيدية

وأشرع الطريق للاصلاح من ... علم وحكم ولسان وحجا
بما أفاض من هوامي حكمة ... قد زانها فصل الخطاب ونثا (١)
في خطب يحيي القلوب وقعها ... وتكشف الخطب وتبعث الرجا
وفي دروس كتب أحيا بها ... من دارس العلوم ما كان عفا
وفي أمالي بها أنشأ من ... معالم الانشاء ما كان انمحى
يقتبسون في ثبا (٢) من داره ... مريده والشمس في رأد الضحى
ثبا له ينحوه أهل الرشد ما ... بين ثبات وفرادى وثنى
وفي كؤوس سمر يديرها ... في سامر (البورصة) ما الليل سجا (٣)

(١) نثا الشيء ينثوه أظهره (٢) الثبا بالضم المجلس الذي يحوي الأكابر (٣) السامر محل السمر وهو الحديث في الليل والمراد به مقهى كان يسمى (قهوة البورصة) بجوار حديقة الازبكية

لا لغو بين شربها يخشى ولا غول فيغتال الجسوم والنهى [1]
تنازعوها حيث لا تنازع صرفا بأفواه العقول تحتسى

كان سعد زغلول مريداً للاستاذ الامام لا تلميذاً فقط ، أعني أنه كان ربيبه ولا يصح لكل من حضر دروسه أن يدعي أنه مريده ولا ربيبه ، وكان هو يعبر عن نفسه في مكتوباته للامام بالمريد ، وهذا اللقب من اصطلاح الصوفية الذين كان مدار التربية الروحية عندهم على تربية الارادة . وتربية الارادة هي التي يكون بها الرجل رجلا حراً من الرق والعبودية لغير الله عز وجل — طليقاً من الاسر أسر الشهوات والاهواء ، فلا تكون ارادته خاضعة إلا لاعتقاده ، لا يتصرف فيها ملك من الملوك ، ولا تستخذي لناسك من النساك ، بل يأبى أن تذل وتخزى لسلطان الجمال أيضاً .

وكان منهاج الاستاذ الامام في التربية أن تكون غاية التأديب والتثقيف حرية الارادة وقوة العزيمة ، ومنهاجه في التعليم أن تكون غايته حرية الفكر ، واستقلال العقل في الحكم ، ويدخل في هذا تعليم الدين فقد كان منهاجه فيه الرجوع إلى مذهب السلف الصالح ، وفهم الدين من الكتاب والسنة كما كانوا يفهمون ، والاهتداء به في الاخلاق والعمل كما كانوا يهتدون ؛ والتوسل إلى ذلك بتحصيل ملكة اللغة العربية قولا وكتابة وخطابة عن فهم وذوق للكلام العربي الفصيح بكثرة مزاولته مع الاستعانة بأحسن ما كتب في فنونه . وجعله صديقا للعلم وعوناً له على إصلاح البشر ، وكان يمزج التربية والتعليم بشيء من السياسة يرى أنه لا تتم انسانية المرء ولا كونه حراً مستقل الارادة والفكر بدونه ، وهو الدعوة إلى استقلال الامة وحريتها ، وعدم استعباد حكامها لها . ويدخل في هذا الروح السياسي مسألة الوطنية واتفاق أهل الوطن على مصالحهم الوطنية من غير جناية على الهداية الدينية وقد كتب فيما شرع فيه من ترجمة نفسه هذه المقاصد قال : وارتفع صوتي

---

(١) الشرب بالفتح جماعة الشاربين والغول بالفتح ما في الخمر من السم الذي يغتال العقل ويزيله ، وهو ما يسمى في عرف الاطباء بالكحول أو الألكول

بالدعوة إلى أمرين عظيمين (الاول) تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف . والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خبطه وخلطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ، باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل . وكل هذا أعده أمراً واحداً

« وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الامة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم

« وأما الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس . وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب الخ

(ثم قال) « وهناك أمر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، وما أصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلوّ مجتمعهم منه . وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمة التي لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا ـ دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، وأنه لا يرده عن خطأه ولا يقف طغيان شهوته ، إلا نصح الأمة له بالقول وبالفعل

« جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه * والظلم قابض على صولجانه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أيّ عبيد * اه

كان سعد أيام طلبه للعلم في حجر الامام وكنفه كولده لا كسائر تلاميذه فكان يستفيد من علمه وعمله، ومن أخلاقه وشمائله، ومن فصاحته وبلاغة كلامه، فشب بين يديه كاتباً خطيباً، أديباً سياسياً، وطنياً اسلامياً،

لأجل هذه النزعة السياسية نفى الخديو توفيق باشا الاستاذ الامام من القاهرة إلى بلده محلة نصر في الغربية عقب نفي أستاذه السيد الافغاني إلى الهند، وكان يعلم أنهما قد بثا في مريديهما فكرة الحكومة النيابية الدستورية في الحزب الوطني الذي ألفه السيد وكان سبباً لاسقاط اسماعيل باشا بالتواطؤ مع ولي العهد توفيق باشا الذي كان انتمى إلى هذا الحزب وعاهد رئيسه السيد على أن يجعل حكومة مصر نيابية اذا آل أمرها اليه الخ مابيناه بالتفصيل في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الذي سيصدر عن قريب إن شاء الله تعالى، ثم انقلب على الحزب وزعيمه بدسائس الطامعين في ملكه وهو لايدري

وأعجب من هذا أن توفيق باشا أبى على الاستاذ الامام ماطلبه بعد عودته إلى مصر بانتهاء مدة نفيه من أن يكون مدرساً في مدرسة دار العلوم لئلا يربي طلابها على أفكاره الاستقلالية — وأمر البلاد في أيدي المحتلين لا في يده — وأمر بعد العفو عنه بأن يجعل قاضياً في المحاكم الاهلية ولكن في غير القاهرة فقال الاستاذ لوزير الحقانية لما عرض عليه ذلك إنني لم أخلق قاضياً ... وانما خلقت معلماً على أنني أعلم أنني اذا دخلت القضاء ارتقى إلى أعلى درجة فيه وأن التعليم ليس فيه ارتقاء

هكذا كان شيخنا الاستاذ الامام، وشيخه السيد الافغاني موقظ الشرق وحكيم الاسلام، يعلمان ويربيان مريديهما ويعدانهم لكل اصلاح. كانا يشبهان في استفادة الناس منهما الكون الاعظم أو العالم الكبير: سماؤه وما فيها من النيرات، وأرضه وما فيها من جماد ونبات وحيوان، كل أحد يأخذ عنهما كما يأخذ عن الكون ماهو مستعد له بفطرته، وبما توجهت اليه نفسه في تربيته، وكانت مجالسهما وأوقاتهما كلها علم وحكمة كعالم الكون الاكبر لاتحجب عن أحد، فكانت صيقلا لمعادن مريديهما تعدها للنفع والفائدة للناس، والقيام بما يتيسر للمرء من المصالح العامة،

وقد كان تعليم سعد دينياً أدبياً سياسياً، فعرض له أن يكون محامياً في المحاكم الاهلية ففاق جميع المحامين، بل كان أول من جعل لهذه المهنة قيمة واحتراما لم يكونا لها من قبله، ثم طفر منها طفرة إلى أعلى درجة في القضاء الاهلي فكان مستشاراً في محكمة الاستئناف في الذروة العليا منها، وتعلم اللغة الفرنسية وقوانينها في أثناء اشتغاله بها، وذلك أن من كان مريداً للاستاذ الامام يصلح لما تعلم الوسائل له ولما لم يتعلم وسائله. قال لي الامير شكيب أرسلان الشهير: قلت لاستاذنا الامام إن الدولة عرضت علي أن أكون مديراً للمعارف في ولاية بيروت فامتنعت معتذراً بأن استعدادي للأمور الادارية العامة لا للتعليم - فعذله الاستاذ عذلا شديداً لقوله إنه غير مستعد لادارة التعليم... وإنني أنقل هنا كتابا من كتب سعد لاستاذه ليقف القارىء منه على ما كان من إثر تربيته له في نفسه، وسأنقل غيره أيضا ان شاء الله تعالى

﴿ أول كتاب من سعد الى الاستاذ الامام ﴾

(بعد عودته من أوربة إلى بيروت أيام النفي بعد الثورة العرابية)

من مصر ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ إلى بيروت

مولاي الافضل، ووالدي الاكمل، أحسن الله معاده

بعد تقبيل الايدي الكريمة قد ورد الكتاب الكريم على طول تشوقنا اليه، فتلوناه ووعيناه في الفؤاد، وحمدنا الله تعالى على أن شرفتم تلك الديار سالمين، مبالغا في اكرامكم والاحتفال بكم من كرام أعيانها المسلمين، وأماجد نبهائها المؤمنين، جزاهم الله عن كل مصري يعرف مقداركم خير الجزاء.

ولهم منا معشر أتباعك ومريديك بما تقابلوك به من كريم الاحتفال، وعظيم الاجلال، ألسنة مرطبة بالثناء عليهم، وضمائر مطوية على مزيد احترامهم وفائق تعظيمهم،

صحتي البدنية معتدلة أما فكري فقد تولاه الضعف من يوم أن صدع الفؤاد بالبعاد، وتمثلت فيه بعد تلك الحقائق التي كنت تجلو مطالعها معان، نعرفها أوهاما يضيق بها الصدر ولا ينطلق بردها اللسان، مخافة فوات مرغوب، أو لحاق مكروه مما تعلمون

توجهت إلى البيك صاحب تاريخ العرب وسألته إعارته فأجاب بأن محمود سامي أخذه منه وسافر ولم يرده اليه ، ثم هو يسلم عليكم أطيب السلام ويقول إنه مستعد لخدمة جنابكم في أي شيء تريدون حسياً كان أو معنوياً . وسأتحرى هذا الكتاب في كتب سامي عند بيعها فاذا وجدته فيها اشتريته وأرسلته في الحال إلى حضرتكم أو أحضرته معي إن وافق ذلك استجماعي لوسائل السفر

الحال العمومية على ماتركتها ، غير أن الناس أخذوا في نسيان مافات من الحوادث وأهوالها ، وقلّت قالتهم فيها ، وخفت شماتة الشامتين منهم ، وأصبح المادحون للانكليز من انتقادحين فيهم ، وبالعكس . والكثير يتوقع انقلاباً أصلياً والله أعلم بما يكون

رفعت تحيتكم لجميع من ذكرتم في الكتاب تصريحا وتلويحا فتقبلوها بمزيد المسرة والانشراح . يسلم على جنابكم الصادق في صداقته ومودته حسين أفندي وهو في غاية من الصحة والعافية وقد عاد من الريف فراراً من شروره ، آسفاً على ماوقع لجنابكم أكثر من أسفه على نفسه . الشيخ محمد خليل والشيخ عامر اسماعيل والشيخ حماده الخولي والسيد عثمان شعيب والشيخ حسن الطويل ووالدى عبد الله وأخواي شناوي وفتح الله (هو المرحوم أحمد فتحي باشا) وكثير غيرهم يقبلون يديكم ، ويسلمون عليكم ، ويقدمون مزيد تشكرهم لحضرات أولئك الكرام الاماجد الذين أحسنوا وفادتكم وأكرموا مثواكم ، زادهم الله كرماً وكمالا

مولاي : ذكرت لحضرتك ان الضعف ألمّ بفكري فبالله الا ماقوّيته بتواصل المراسلة غير تارك فيها ماعودتنا على سماعه من النصائح والحكم التي نهتدي بها الى سواء السبيل ، ونتمكن بها من السير في العالم المصري الذى اختبرت حقائقه ، وعرفت خلائقه ، وما يناسبها من ضروب المعاملة . وفقنا الله لمتابعتك ، ولا أطال على بلادك مدة غيبتك ، انك إمامها وان اقتدت بغيرك ، ومحبها الصادق وان لم تعرف بقدرك ، والسلام ولدكم

سعد زغلول

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٤)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

﴿ المقام السابع عشر ﴾ قوله ثالثها أن يراد بها النهي عن انشاء المساجد واتخاذها حول القبور وهذا التأول أيضا خطأ لانه لامحذور في أن يتقرب العبد الى الله تعالى ببناء مسجد تقام فيه الصلوات في تلك البقاع الشريفة مع ماورد من أن من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وهو حديث عام لايختص بقعة دون بقعة ولا بزمان دون زمان بل بناؤه وانشاؤه أولى لانه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف شرف البقعة وشرف المسجدية (*) ثم أيد تأويله بكلام البيضاوي الذي سبق رده

(أقول) فيه مردودات أولها قوله إن تفسير الاحاديث بذلك تأول وليس كذلك بل ذلك معناها الذي تدل عليها مطابقة بلا تأويل ولا تحتمل خلافه البته ، وقوله إنه خطأ تسمية للشيء بضده ونحن وجميع علمائنا شاهدون بالله أن ذلك هو عين الصواب يقينا

قوله : اذ لامحذور في أن يتقرب العبد الى الله ببناء مسجد فى تلك البقاع الشريفة . أقول بلى والله فيه أعظم محذور وهو معصية الرسول ومحادّته كما تقدم عن شيخ الاسلام والتعرض للعنة الله وفتح باب الشرك

*) ص ٣٥٧ ج ٥ م٢٨

واضلال الناس والتشبه بالامتين المغضوب عليها والضالة فنشدتك أي محذور أعظم من هذا وهل يكون التقرب الى الله بمعصية رسوله ومشاقته والاستخفاف بأمره ونهيه ؟ وقوله مع ماورد من أن من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة الخ أقول هذا عام والنهي عن اتخاذ المساجد على القبور خاص فهو مخصوص به ولو ترك على عمومه ولم يلتفت الى المخصصات لكان الذين اتخذوا مسجدا ضراراً مستحقين أن يبني الله لهم بيوتاً في الجنة ولكن الله أخبرنا عنهم بما يقتضي أنهم يعاقبون على بناء ذلك المسجد لانهم بنوه لمعصية الرسول وكذلك من بنى مسجداً عند قبر وفى الزواجر لابن حجر الهيتمي وهو ممن يجوّز شد الرحال لزيارة القبور وغير ذلك من المردودات قال: ان اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها كل ذلك من كبائر المعاصي ثم أورد الاحاديث في ذلك وذكر كلام الفقهاء من الشافعية والحنابلة ومنه أنها من أسباب الشرك الى أن قال وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية الرسول اهـ

فمن بنى لله مسجداً مأذونا فيه بنى الله له بيتا في الجنة وأما من بنى مسجدا منهيا عنه أشد النهي ملعونا بانيه معدوداً من شرار الخلق مشتداً غضب الله عليه فانما يتبوأ دركا في النار ان لم يتب ويسارع الى هدم ما بنى على القبر

قوله بل بناؤه وانشاؤه في البقاع الشريفة أولى لكونه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف

أقول هذا قياس مصادم للنص وهو فاسد الاعتبار وشرف الاماكن لا يثبت بالعقل بل مرجعه الى الوحى

وأعلم الناس بالشرف والفضل هو الذي لعن بأبي المسجد على القبر ونهانا عن ذلك وقال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأخبر أن فاعل ذلك من شرار الخلق فيتصور بعد هذا أن يكون للمسجد المتخذ على القبر شرف فضلا عن أن يكون أشرف من المساجد التي أذن الله فيها وأثنى على عامريها . وأما كلام البيضاوي في تجويز بناء المسجد عند قبر الصالح للتبرك فهو فاسد وقد تقدم رده ، ثم رأيت الشوكاني رده مثل ما رددته به فلله الحمد وهذا نفسه في المجلد الثاني من نيل الاوطار ص ١٤٠ واستنبط البيضاوي من علة التعظيم جواز اتخاذ المساجد في جوار قبور الصلحاء للتبرك دون التعظيم ورد بأن قصد التبرك تعظيم اه بتفسير يسير

(المقام الثامن عشر) قوله إنه لا يتصور صدور السجود للقبور من مسلم(١) ان كان مراده المسلم المؤمن الذي يميز التوحيد من الشرك فنعم وأما إن كان مراده أن كل من انتسب الى الاسلام لا يتصور منه السجود لغير الله فليس كذلك بل هو متصور ومصدق أيضا يعني أنه تجاوز التصور الى التصديق أي ادراك وقوعه. وسجود أصحاب الطرق لاشياخهم مشهور حتى انهم يدعون جوازه ويجادلون فيه ، وكذلك السجود للقبور والصلاة موجودان في زماننا وقد أخبرني ثقة وانا أكتب هذا أنه شاهد في السنة الماضية حين كان في النجف وكربلاء الناس يصلون الى الضرح ويسجدون لها فقلت له إن السيد مهدي يستبعد هذا بل يعده محالا فقال لي أنا أروح معك الى السيد مهدى بعد الفطر وأخبره إني رأيت ذلك بعيني وأنا عازم

١) ص ٣٦٠ ج ٥

أن آتيكم به وقد تعجبت كثيرا كيف لم تطلعوا على ما يفعله الجهلة بالنجف وكربلاء وبغداد من الأعمال الشركية التي تقشعر منها الجلود ولا يختص ذلك بالشيعة بل لمن ينسبون أنفسهم الى السنة الحظ الاوفر منه عياذاً بالله .

قوله مع أن قبور الائمة محاطة بصناديق وشبابيك تمنع من وصول أحد الى نفس القبر. أقول ولكنها لا تمنع من السجود حول الصندوق والصلاة له بل التوابيت المزخرفة هي التي تملأ قلوب الجهلة هيبة واجلالا فيعبدون القبور وأصحابها ولذلك نهى النبي ﷺ عن البناء على القبر وأمر بهدمه .

(المقام التاسع عشر) قوله وأهل السنة مشاركون للشيعة في ذلك(١) أقول اللهم نعم وأشهد بالله وكل من يقرأ المنار أو يعرف صاحبه أنه شدد النكير عليهم اكثر مما انكر على الشيعة

(المقام العشرون) قوله مضافا الى أنا لم نجد احداً بنى مسجداً حول القبور المشهورة (١)اقول ان لم تطلعوا على ذلك فلا ينبغي لكم ان تنفوا كل ما لم تطلعوا عليه فانكم إن فعلتم نفيتم أشياء كثيرة واقعة بلى والله قل ان يوجد مسجد في مصر القاهرة وغيرها الا وهو على قبر أو بقرب قبر حتى صار العامة وبعض من يزعم أنه من الخاصة إذا أراد أن يبني مسجداً بحث عن قبر رجل صالح يبني عليه ويجد حرجا في صدره أن يبني المسجد على غير قبر (فاسأل به خبيرا) وهذه من اعظم معجزات نبينا ﷺ فان الله اطلعه على ذلك فلذلك شدد النهي عنه .

(المقام الحادى والعشرون) قوله على ان مجرد الصلاة والدعاء يعني في مشاهد قبور الائمة لا يصيرها مساجد(١)ولو أن أحداً واظب على

(١) ص ٣٦٠

أن يصلي ويدعو ويقرأ القرآن في مدة حياته في مكان خاص من بيته فان ذلك المكان بالضرورة لا يصير مسجدا بكثرة العبادة فيه

أقول ماقاله غير مسلم بل كل مكان أعد للصلاة فهو مسجد شرعا سواء اتخذه رجل في بيته أم عند قبر أم في غير ذينك

قال البخاري (باب المساجد في البيوت) وصلى البراء بن عازب في مسجد داره جماعة ثم روى بسنده عن عتبان بن مالك أنه أتى رسول الله ﷺ فقال قد أنكرت بصري وأنا أصلي بقومي فاذا كانت الامطار وسال الوادي الذي بيني وبينهم لم استطع أن آتي مسجدهم فاصلي بهم وودت يارسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى الحديث وفيه أن النبي غدا عليه ومعه أبو بكر فصلى في ناحية من بيته اه بعضه بالمعنى

وأخرج أبو داود والترمذي عن عائشة قالت أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب وفي البخاري أن أبا بكر ابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن قلت : وكان ذلك في مكة وفيه وصلى ابن عون في مسجد في دار يغلق عليهم الباب . فثبت ماقلته من أن كل ما كان أعد للصلاة يسمى مسجداً شرعاً ولغة .

(المقام الثاني والعشرون) قوله أما الحديث الذي وعدنا فيما سبق ببيان معناه وهو المروي عن أمير المؤمنين (ع) قال بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور . فليس فيه بيان المواضع المبعوث اليها ولا بيان القبور التي بعثه في هدمها لكن متن الحديث يرشدنا الى أن الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ أو من بلادهم وان القبور قبورهم ثم ذكر ان الصور هي الاصنام المعبودة أو التماثيل . وأيد ذلك بما يجده المنقبون

من الآثار في قبور الفراعنة وغيرهم ثم قال ومن المعلوم أن في زمان النبي ﷺ لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبناءات الضخمة حتى يبعث من يهدمها ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي عنه (ع) قال: ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته(١)

قوله ليس فيه بيان الموضع ولا بيان القبور الخ أقول هنا حجة لنا على ان الحديث عام غير مخصص بشيء بل لو عين الموضع والقبور فيه أو في غيره من الاخبار ما كان ذلك مخصصا للفظه لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل ما تكلف في استنباطه لتأييد ان القبور قبور المشركين لا يجدي شيئا لان أل في القبور للاستغراق او الجنس فاللفظ شامل لقبور الانبياء والائمة بل هي من باب أولى لعظم المفسدة ببنائها والبناء عليها وللوعيد الشديد الوارد في بنائها بالخصوص من اللعن وشدة غضب الله وكون فاعل ذلك من شرار الخلق ولو زعم زاعم أن الهدم مخصوص بقبور الانبياء والصالحين للوعيد الوارد فيها بالخصوص لكان أقرب من عكسه عند من أنصف . ومما يرد تأويله أن هذا الحديث اتفق الفريقان على روايته ولم يطعن احد في صحته وقد استدل به أهل السنة قاطبة على عدم جواز بناء القبور كائنة ما كانت بل نقل الشوكاني اتفاق المسلمين على ذلك وهو خبير بمذهب الامامية وسائر فرق الشيعة وكثيرا ما ينقل اقوالهم في الاصول والفروع قال في جزء له سماه (شرح الصدور بتحريم رفع القبور) اجادفيه كل الاجادة: اعلم انه قد

(١) ص ٣٦١

اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة الى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعله كما يأتي ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين اجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روي عن أحد سواه اه ثم رد عليه ابلغ رد وساق النصوص في ذلك ، وقد تقدم منها مافيه مقنع للمنصف ومزجر للمتعسف ، ثم قال أثر حديث أبي الهياج وحديث جابر نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وان يبنى عليه وان يوطأ قال وفي هذا التصريح بالنهي عن البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعا فما فوقه لانه لا يمكن ان يجعل نفس القبر مسجدا فذلك مما يدل على ان المراد بعض مايقربه مما يتصل به ويصدق على من بنى قريبا من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لايخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا سورا وكما يقال بنى فلان في المكان الفلاني مسجدا مع أن سمك البناء لم يباشر إلا جوانب المدينة أو المكان ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والمكان الواسع . ومن زعم أن في لغة العرب مايمنع من هذا الاطلاق فهو لا يعرف لغة العرب ولا يفهم لسانها ولا يدري ماتستعمله في كلامها اه

فيه فوائد منها اتفاق المسلمين على ان البناء على القبور ورفعها بدعة منهي عنها قد اشتد فيها وعيد رسول الله وما كان كذلك فلا ريب في حرمته وهذا مع ما تقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية من نقل اتفاق العلماء على تعين إزالة المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين ومانقله مكاتب المنار من أن سلف الامامية كلهم متفقون على عدم جواز البناء على القبور ولم يقل بجوازه على قبور الائمة الا المتأخرون ولا سند لهم إلا الاستحسان المجرد كل ذلك يدلنا على أن الشيعة لم يخالفوا سائر المسلمين في منع البناء على القبور كيف كانت ووجوب هدم ما بني عليها وذلك الظن بهم فمعاذ الله أن نظن بأئمة الشيعة الاثنا عشر وغيرهم من الصالحين أنهم يجهلون ما يعلمه غيرهم بالضرورة من شريعة جدهم كيف وقد تقدم من حديث علي وأولاده الحسن والحسين والحسن المثني وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وموسى الكاظم وعلي بن جعفر عليهم السلام ما يفيد موافقتهم لسائر ائمة المسلمين في المنع من البناء على القبور ووجوب هدمه متى وقع واين وقع وبعض الاحاديث المروية عن اهل البيت اتفق على روايتها أهل السنة والشيعة باعتراف السيد مهدي وبعضها من رواية احد الفريقين وتذكر ما مر عن علي بن الحسين والحسن بن الحسين من منع إتيان قبر النبي ﷺ للسلام عليه والدعاء يتبين لك أن اهل البيت هم أشد الناس صيانة وحماية لجانب التوحيد وابعدهم من ساحات الشرك (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والرجس الشرك ومن كان محبا لاهل البيت معظما لهم لا ينسب اليهم الرضى بالقباب والمشاهد وما يصنع عندها من المناكر التي تقشعر منها الجلود. ونقل السيد مهدي استدلال علماء الشيعة

على كراهة تجصيص القبور بحديث علي بعثني رسول الله في هدم القبور ومعلوم ان علماء الشيعة لم يقولوا بكراهة تجصيص قبور المشركين خاصة بل المقصود بالذات كراهة تجصيص قبور المسلمين لان المسلم لا يجصص قبر المشرك، ولو كان حديث علي خاصا بهدم قبور أهل الشرك ما استدل به علماء الشيعة على كراهة تجصيص قبور المسلمين مطلقا ولا فهموه منه فهذا أوضح دليل على أن علماء الشيعة فهموا من حديث علي مشروعية هدم ما بني على القبور أي قبور كانت بل دلالة حديث علي على هدم القبور مطلقا أوضح من دلالته على كراهة تجصيص القبور لأن البناء على القبر أحرم من تجصيصه، وأدنى الى محادة الرسول، فاحفظ هذا فستراه قريبا من كلام السيد مهدي ما يناقضه بل يصرح أنه من اقبح القياسات وأشنعها وهنالك الجواب بحول الله

﴿المقام الثالث والعشرون﴾ تقدم ذكر السيد مهدي حديث أبي الهياج عند مسلم وفيه أن عليا أمره بتسوية القبور(١) تعلق بلفظ تسوية واستأنس به وأطال في ذكر الخلاف بين أهل السنة في الافضل أهو تسنيم القبور أم تسطيحها، ونصر الثاني، وذلك كله خارج عن مسئلة النزاع وليس فيه ما يستروح منه جواز البناء على القبور أو تركه بلا هدم متى وقع وأين وقع، ورواية الشيعة مصرحة بالهدم فهو المراد بالتسوية بلا شك لان النبي ما بعث عليا ولا بعث علي أبا الهياج الا لتسوية القبور المبنية لا تسطيح القبور المسنمة ففهم التسطيح من هذا الحديث غير مستقيم والرواية الشيعية قد بينت المراد بالتسوية ورفعت الابهام ودفعت الايهام فلا أدري لم تركها السيد مهدي وتعلق برواية التسوية وبصرف النظر عن الرواية الشيعية يظهر من المقام بأدنى تأمل أن المراد بالتسوية الهدم

(١) ص٣٦٢ و ٣٦٣

معاهدة جدة

(بين جلالة ملك بريطانيا وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها)

نقلت عن جريدة (أم القرى) الصادرة في يوم الجمعة ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها :

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند ، معاهدة صداقة وحسن تفاهم لاجل تثبيت وتقوية العلاقات الودية ، وحسن التفاهم بين بلادينا . ورقمها مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزان للصلاحية التامة المتقابلة . وذلك في مدينة جدة في اليوم الثامن عشر من شهر ذي قعدة سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين هجرية (الموافق (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧) وهي مدرجة فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وامبراطور الهند من جهة . وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها قد عزما على عقد معاهدة صداقة ، وحسن تفاهم

لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن مندوبا مفوضا عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوبا مفوضا عنه

بناء على ماتقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد اتفق سمو الامير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن على المواد الآتية :

(المادة الاولى) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لملك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

(المادة الثانية) يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية، وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

(المادة الثالثة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع ارعايا البريطانيين، والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم ونفسهم أثناء اقامتهم في الحجاز

(المادة الرابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً، والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطاني في جدة أو من ينتدبه لذلك الغرض لايصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لايكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية

(المادة الخامسة) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية أو النجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عند ما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية، أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية، ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عند ما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة

(المادة السادسة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة

على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ (قطر) والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية

(المادة السابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل مالديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانيـة في القضاء على الاتجار بالرقيق.

(المادة الثامنة) على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام بأقرب وقت، وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ. إن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد ابطال المعاهدة تبقى نافذة، ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين ابطالها للفريق الآخر.

(المادة التاسعة) تعتبر المعاهـدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانيـة وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكماً لنجد وما كان ملحقاً بها إذ ذاك ـ ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام المعاهدة

(المادة العاشرة) دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية، وللنصين قيمة واحدة. أما اذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها فيرجع إلى النص الانكليزي

(المادة الحادية عشر) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة

وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧)

جلبرت فلكنجهام كلايتن فيصل بن عبد العزيز السعود

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكيا صادقا بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الامانة والاخلاص، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادة في تثبيت صحة كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين هجريه الموافق للسابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين ميلادية

الختم الملكي عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود

﴿ تصديق ملك بريطانيا ﴾

ومن المفيد في تتمة هذه الوثيقة التاريخية أن نثبت هنا النص الذي كان من قبل صاحب الجلالة البريطانية في التصديق على نسخة المعاهدة حيث جاء فيه مايلي:

جورج بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار حامي الايمان وامبراطور الهند الخ الخ الخ إلى كل من يطلع على كتابنا هذا سلام

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها معاهدة وقعت في جدة من قبل مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزين للصلاحية التامة المتقابلة وذلك في اليوم العشرين من شهر مايس (مايو) من سنة ١٩٢٧ ميلادية لتثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم الموجود والحمد لله بين بلادينا وهي كلمة بكلمة كما يلي: (هنا يأتي نص المعاهدة وبعد النص ورد في التصديق ما يأتي)

فنحن بعد أن اطلعنا وأمعنا النظر في المعاهدة المتقدمة صدقناها وقبلناها وأثبتناها مجملة ، وفي كل مادة وفقرة منها. كما أننا بموجب هذا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها عن أنفسنا وعن خلفائنا وورثتنا ، ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقا بأننا سنقوم ونلاحظ بكمال الامانة والاخلاص ماورد فيها اجمالا وافراداً من الاشياء الموجودة والمبينة في المعاهدة المذكورة ، وبأننا لانسمح لاحد بالاخلال بها أو مناقضتها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادة في الاستشهاد والصحة في كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا الكبير على هذه المستندات، ووقعناها بيدنا الملكية

تبادل قرارات الابرام

وبعد أن أبرم جلالة الملك المعاهدة على الشكل المتقدم تبادل مدير شؤون خارجيتنا ومعتمد وقنصل الحكومة البريطانية في جدة قرارات الابرام ونسخ المعاهدة بعد أن وقعا شهادة التبادل الآتي ذكرها :

إن الموقعين أدناه قد اجتمعا لاجل تبادل قرارات ابرام معاهدة الصداقة وحسن التفاهم المعقودة بين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندة والممتلكات البريطانية من وراء البحار امبراطور الهند ، وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها والتي وقع عليها في مدينة جدة في اليوم العشرين من شهر مايس (ماو) سنة ١٩٢٧ (الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥) وبعد أن قابلا نسخ قرارات ابرام المعاهدة السالفة الذكر بدقة، ووجدا كل واحدة مطابقة تمام المطابقة للاخرى قد جرى التبادل المذكور هذا اليوم على الصورة المعتادة واقراراً على ذلك قد وقعا على هذه الشهادة .

حرر في جدة في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٦

معتمد وقنصل صاحب الجلالة البريطانية . مدير الشؤون الخارجية للمملكة

ف . هـ ، أستون . هبوور . بيرد الحجازية والنجدية وملحقاتها

عبد الله الدملوجي

الكتب التي تبودلت

تبودلت مع المعاهدة كتب يتعلق بعضها ببيان بعض مواد المعاهدة وبعضها مستقل بذاته نثبت نصها فيما يلي :

(١)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة

اشارة إلى الاقتراح الذي تفضلتم به لوضع مادة في المعاهدة تشرط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة في شراء وتوريد جميع الاسلحة

والادوات الحربية ، والذخيرة والآلات وغير ذلك من اللوازم الحربية التي قد تحتاج اليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها . لي الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أن هذه مسألة لاتحتاج إلى ذكر في نص المعاهدة ، وقد فوضتني حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن أخبر جلالتكم أن تحريم تصدير الادوات الحربية إلى جزيرة العرب قد رفع ، وأنه اذا استحسنتم طلب أسلحة أو ذخيرة ، أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانيين لاستعمال حكومة جلالتكم ، وبمقتضى شروط اتفاقية الاتجار بالاسلحة (١٩٠٥) فحكومة صاحب الجلالة البريطانية لاتعارض في تصديرها ولا تضع أي عرقلة في سبيل توريدها إلى بلاد جلالتكم ، وسأجتهد اجابة لرغبة جلالتكم أن أقدم نسخة من الاتفاقية المشار اليها بأقرب وقت ، وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جلبرت كلايتن

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ تحت رقم ٣ بشأن الاسلحة فاني أشكركم على ذلك البيان الذي يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيراد الاسلحة . وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي

(الختم الملكي)

(٢)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة :

لي الشرف أن أذكر جلالتكم أنه في أثناء المفاوضات التي دارت بيننا والتي

أدت ولله الحمد إلى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتكم، كنا بحثنا في مسألة الحدود بين الحجاز وشرقي الاردن وكنت شرحت لجلالتكم موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة كما هو مبين في مسودة الملحق [1] التي قدمتها إلى جلالتكم وأخبرت جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على التمسك بذلك الموقف. أما الحدود المشار اليها فتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها تعرف كما يأتي: تبتدىء الحدود بين الحجاز وشرق الاردن من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٥، ٢٩ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين نجد وشرقي الاردن فتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على السكة الحديدية الحجازية بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم إلى نقطة في خليج العقبة بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة.

وفي الختام أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرق الاردن قد أخذنا علماً بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها، ولكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر في الظروف الحاضرة، ومع ذلك نظراً لرغبتنا الصادقة في المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة رأينا أن نعرب لفخامتكم عن

«١» قدم هذا الملحق ولم يقبل من الحجاز ونجد فرفع من المعاهدة ولم يعمل به

استعدادنا لابقاء الحالة الحاضرة على ماهي عليه في منطقة معان والعقبة مع الوعد بأن لانتداخل في ادارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية هذه المسألة تسوية نهائية . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملوكي

(٣)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة

إلحاقا بالمحادثات التي دارت بيننا بخصوص مسألة المتاجرة بالرقيق . لي الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أنه من واجبها أن لاتتنازل في الوقت الحاضر عن حق اعتاق الارقاء ذلك الحق الذي طالما عمل بموجبه حضرات قناصل جلالته ، والذي يمكنهم من اطلاق سبيل أي رقيق يتقدم اليهم من تلقاء نفسه ويطلب تحريره واعادته إلى مسقط رأسه ، ثم أريد أن أؤكد لجلالتكم أن التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليس المراد منه أي تداخل في شؤون مملكتكم أو أي تجاوز على سلطان جلالتكم وأن السبب في هذا التمسك انما هو اصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القيام بواجب تعتبره مفروضاً عليها نحو الانسانية، وأضيف إلى قولي هذا أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر في إلغاء حق الاعتاق حينما يتبين للفريقين أن التعاون المنصوص عليه في المادة الثامنة من معاهدة جدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لابطال حق الاعتاق. آمل أن جلالتكم ستقدرون موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة، وأنكم ستستحسنون الموافقة على الخطة التي شرحتها أعلاه ، وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ١٩ مايو ١٩٢٧ — ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة

البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود
إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانيه
جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٢ بخصوص عتق الرقيق فاني واثق بأن المعتمد البريطاني في جدة سيكون محافظا على الروح التي توخيناها في مداواة الموقف الحاضر فلا يدع مجالا للتشويش في هذا الموضوع الذي قد يؤثر على الحالة الادارية والاقتصادية وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملوكي

(٤)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
ياصاحب الجلالة :

اشارة إلى المادة الرابعة من معاهدة جدة . لي الشرف أن أثبت في كتابي هذا التصريحات التي ألقيتها أمام جلالتكم أثناء محادثاتنا عند ماصرحت بأن الغرض الوحيد من ادخال تلك المادة في المعاهدة هو أولا وضع المعاملة المتبعة الآن على أساس رسمي ، وثانيا أن يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات تمكنها من اعلان المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين في البلاد البريطانية، وعلاوة على ذلك أريد أن أؤكد لجلالتكم أن وجود تلك المادة في المعاهدة لا يؤثر ولا يفسر بأنه قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفات الاشخاص غير الحجاج التي لاتزال خاضعة لقواعد المقابلة بالمثل التي هي أساس التعامل المعتاد بين البلاد المستقلة وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ — ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية الافخم : جوابا على كتاب سعادتكم المؤرخ ١٩ ذي القعدة . و ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا في ديارکم ومخلفات رعاياكم في ديارنا . فأحب أن أؤكد لفخامتكم أن المعاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولي إذ تقوم محاكمنا باستلام المخلفات ، وبعد اجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم إلى المعتمد البريطاني وذلك مقابلة بالمثل لتسليم المعتمد البريطاني في جدة مخلفات المتوفى من رعايانا في الممالك البريطانية وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٥ الختم الملكي

سكة حديد الحجاز

وقد دار أيام المفاوضات في المعاهدة بحث عن سكة حديد الحجاز ولم تنته المفاوضات بشأنها والمنتظر في القريب العاجل أن يتم الاتفاق على تسييرها وسننشر ذلك في حينه إن شاء الله تعالى اه ما نقلناه عن جريدة أم القرى بنصه

(آرا السياسيين في المعاهدة)

[المنار] قد صرحت الجرائد السياسية الكبرى بمصر ومن لقينا من علماء القانون الدولي والحقوق العامة بأن هذه المعاهد بنيت على أساس المساواة التامة بين الدول المستقلة إلا في مسألة واحدة وهي ترجيح اللغة الانكليزية على العربية عند التعارض — وبأن اعتراف الدولة البريطانية فيها بالاستقلال التام المطلق للحجاز ونجد وملحقاتها اعتراف صحيح لا تشوبه شائبة امتياز ولا تحفظ ولا غير ذلك من القيود كالتي قيد بها الاعتراف باستقلال مصر مثلا فجعلته صوريا أو اسميا . وترجيح إحدى اللغتين عند التعارض ضروري ولذلك تداركه أكثر الدول بجعل المعاهدات بلغة واحدة وهي الفرنسية . وجملة القول أن السياسيين أجمعوا على أن المعاهدة ظفر لابن السعود عظيم وللأمة العربية التي أسس لها أول دولة عزيزة

مستقلة بعد زوال ملكها عدة قرون اعترفت بها الدول ووقفت مع كبراهن (وهي بريطانية العظمى) موقف الأقران والامثال

ولو أن الدولة البريطانية رجعت عن طمعها وعدوانها على الاسلام والمسلمين بعدم الاصرار على إبقاء منطقة العقبة ومعان ملحقة بشرق الاردن الذي جعلته داخلا في مسمى الانتداب البريطاني الى فرصة أخرى - لكان حقاً على كل مسلم وكل عربي أن يشكر لها هذه المعاهدة ويعدها أول خطوة للمسالمة بينها وبين المسلمين الناقمين عليها بالتعدي على بلاد الحجاز المقدسة ونقض وصية خاتم المرسلين ؛ والواجب على ملك الحجاز ونجد أن يعود إلى مطالبتها باعادة هذه المنطقة إلى الحجاز في أقرب فرصة لئلا يموت هذا الحق بطول الزمن أو يضعف بانشاء معاقل عسكرية ومدنية فيها وعسى أن تثوب الدولة البريطانية الى حكمها فتعترف بها للحجاز

وقد انتقد بعض المشتغلين بالسياسة الدولية المادة الثانية بأن الغبن فيها على ملك الحجاز ونجد وإن شئت قلت على الامة العربية وعلى المسلمين كافة بأنها تقتضي أن يمنع ملك الحجاز ونجد من يلجأ إلى حرم الله تعالى لبث الدعوة إلى مقاومة هذه الدولة القاهرة لهم المغتصبة لبلادهم ، وغلا بعضهم فقال إن المنع لهذه الدعاية غير جائز شرعا فملك الحجاز ونجد لا يستطيع الوفاء بهذه المادة إلا بمخالفة الشرع ، وليس له في مقابلة هذا الغبن مايقابله من نفع فيقال إنها مبنية على المساواة لأن الدولة البريطانية لا تستطيع أن تمنع خصومه في الهند من ترك الدعاية الموجهة إلى معاداته وإلى ترك الحج أيضاً لان حرية قوانينها لا تسمح لها بمنعهم ، وكذلك اذا لجأ بعض المعادين أو المقاتلين أو الثائرين إلى بلاده فانه لا يمكنه أن يقبلهم لئلا تحتج عليه الدولة البريطانية بهذه المادة

والجواب على هذا من وجوه (أولها) أن الممنوع بنص هذه المعاهدة هو استعمال كل من الفريقين المتعاقدين بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر » ومعناه منع الدعوة إلى حربه أو الثورات والفتن في بلاده، ولا يدخل في ذلك الانتقاد السياسي ولا الطعن العادي في حكومة كل من الفريقين كالذي نعهده في الجرائد المصرية ، ويمكن لملك الحجاز أن يعامل

الانكليز بمثل مايعاملونه به في هذا ويحتج بالشريعة إذا احتجوا بالقانون . قال المنتقد انه لا يمكنه ذلك لضعفه ، قلت ان الاعتراض إذاً على الضعف لا على المعاهدة فالقوي لايعدم وسيلة للعدوان على الضعيف اذا اقتضته سياسته، وستعلم انه قوي في مركزه ، ولولا قوته لما عقدوا معه هذه المعاهدة التي لايعقدون مثلها إلا مع احدى الدول العظمى

(ثانيها) أن في الدعوة إلى الحرب أو الثورة وهي الممنوعة مصلحة للفريقين ، بل مصلحة ملك الحجاز ونجد ومن ورائه مصلحة العرب والمسلمين هي الارجح . ذلك بأن الغرض من هذه المادة منع التقاتل بين البلاد العربية التي تعدها الدولة البريطانية تحت حمايتها باسم الانتداب وهي العراق وشرق الاردن وفلسطين وبين بلاد الحجاز ونجد المتصلة بها ، وما أظن أنه يوجد عاقل من العرب أومن سائر المسلمين يقول إن مصلحة ملك الحجاز ونجد قتال هؤلاء المجاورين له من أمته ، لا بأن يكون هو البادي به ولا بأن يكونوا هم البادئين . ومن المعروف أن الدولة البريطانية قد وضعت على رأس كل من الحكومتين المجاورتين للحجاز ونجد رجلا من أولاد الشريف حسين المعادين له ويظهر أن كلا منهما يود لو تساعدهما هذه الدولة على قتاله أو إثارة الفتن والثورات في بلاده ، وليس في ذلك مصلحة له ولا للعرب ولا للمسلمين، بل فيه الضرر العظيم بقتل شعوب هذه الامة الواحدة بعضهم لبعض وافناء قوتها وتخريب بيوتها بأيديها ، وكل منها في طور التكوين ، وأقواها في الحرب ابن السعود

قال المنتقد لهذه المادة إن الانكليز يطمعون في جميع بلاد العرب ولا يعقل أن يعدوا من مصلحتهم منع بعضهم من اضعاف بعض فما فائدتهم من هذه المادة اذاً ؟

قلت إن استفادتهم من هذه البلاد تتوقف على عمران ما استولوا عليه أو أخذوا على أنفسهم حمايته منها ، فاذا تصدى ملك الحجاز ونجد لمقاتلتها فانهم يضطرون إما لتركها وإما لبذل ألوف الملايين من الجنيهات ومئات الالوف من الرجال للدفاع عنها ، وليس هذا من مصلحتهم في شيء ، وقد رأينا أن برلمانهم مازال يعذل وزارة المستعمرات على كثرة نفقات جيشهم في العراق حتى لم يبقوا منه إلا

القليل فكيف يسمح لهم بزيادته أضعافا كثيرة لايقاد نار حرب في جزيرة العرب مالم تلجيء إلى ذلك الضرورة التي لا دافع لها ؟ فاذا كانت مثل هـذه المعاهدة تدفعها فالمصلحة لهم فيها ظاهرة ، وقد علمنا أن الفريق الآخر اليها أحوج ، وانما تبنى المعاهدات الاختيارية بين الاقران على تبادل المصالح والمنافع بخلاف الاضطرارية كالتي تجري بين المحاربين الذين انتصر منهم فريق وانكسر فريق ، أو بين قوي وضعيف

فان قيل ان هـذه فرصة لتمكين نفوذ الانكليز في هذه البلاد العربية — قلنا ان تلافي هـذا الخطر موكول الى أهلهـا والرجاء في الشعب العراقي عظيم

(ثالثها) أن فرض التجاء فريق من العرب إلى بلاد الحجاز أو نجـد للاعتصام بها في حال مقاتلتهم للانكليز فرض وهمي فان حال العرب المتصلين بالقطرين المذكورين معروفة لنا ، بل ثبت أن بدو شرق الاردن اعتـدوا على النجديين فمنعهم امامهم ابن السعود من مقابلة العـدوان بمثله على قوته وضعف المعتدين على قومه ورضي بالتحكيم بين الفريقين ولما يفد — فحمدنا له هذا

(رابعها) أن نشر الدعاية القولية في الحجاز لقتال الانكليز في الهند أو السودان مثلا عقيم وليس فيه مصلحة للمسلمين بل فيه ضرر عليهم لان الانكليز يمنعون الجرائد والنشرات التي تنشرها من دخول البلاد التي يرون أنها تضرهم فيها ، وقد يتوسلون بنشرها في الحجاز الى منع مسلمي تلك البلاد من الحج .

(خامسها) — وهو خاص بمن ظن أن مثل هذه المعاهدة محظور شرعاً لان الغبن فيها على المسلمين أو لانها تقيد حرية من يريد الطعن باعدائه معتصما بحرم الله تعالى — أن المعاهدات تبنى على المصلحة العامة الراجحة فمتى اقتنع بها إمام المسلمين بعد مشاورة أهل الرأي منهم عنده جاز له أو وجب عليه أن يفعل مافيه المصلحة الراجحة ، وهذا لاينفي أن يكون في المعاهدة مضرة مرجوحة . وحجتنا في ذلك معاهدة الحديبية بين النبي ﷺ ومشركي مكة فجميع المسلمين رأوا أن فيها مضرة وغبناً عليهم أو ماهو اكبر من ذلك ولاسيما اشتراط المشركين على النبي ﷺ أن من تركه من أصحابه ولجأ اليهم لا يعيدونه اليه ، ومن لجأ منهم اليه مؤمنا به أعاده اليهم ، وقد رضي ﷺ بهذا لانه علم أن المصلحة في تلك المعاهدة أرجح فأنفذها .

وهكذا فعل ملك الحجاز ونجد بعد مشاورة من لديه من العارفين بهذه الشؤون — ومنهم بعض الدارسين للقوانين الدولية — ثم أنفذ ما رأى فيه المصلحة الراجحة .

ومتى عاهد إمام المسلمين قوما وجب عليه الوفاء وإن كان فيه غبن لبعض المسلمين، يدل على هذا قوله تعالى في أواخر سورة الانفال (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا . وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) والمعنى أن المؤمنين الذين كانوا بدار الشرك ولم يهاجروا الى النبي ﷺ في دار الاسلام تجب لهم على إخوانهم المؤمنين النصرة إذا قاتلهم المشركون الا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق كمعاهدة الحديبية بين النبي ﷺ ومشركي مكة فليس لهم أن ينقضوا العهد قبل انتهاء مدته لاجل نصرة اخوانهم في الدين في غير دار الهجرة .

هذا كل ماسمعته وعلمته من نقد هذه المعاهدة من أشد الناس مبالغة واغراقا في التشاؤم من كل عمل للانكليز لشدة سوء الظن فيهم لماذاقت هذه البلاد من لدغ سياستهم ولسع مراوغتهم .

وأذكر على سبيل الفكاهة المضحكة انتقاد كاتب سوري لا يزال يحلم بما كان يحلم به الملك حسين الهاشمي من الامبراطورية العربية التي اقترح على «الحسيات النجيبة للعظمة البريطانية أن تؤسسها له في حجرها وتحت حمايتها في الداخل والخارج » قال هذا الكاتب إن هذه المعاهدة قد أضاعت على الامة العربية تلك الامبراطورية العظمى ، وكان الواجب على ابن السعود أن يرفض عقدها ويطالب الانكليز بالوعود والعهود التي كان يزعمها الملك حسين !!! ولكن ابن السعود رجل عقل وعمل لا رجل أحلام وأوهام فهل يترك هذه الدولة المستقلة التي أسسها بعقله وحزمه ويعيش بأحلام حسين بن علي بعد أن صحا هذا منها منفيا من البلاد العربية في جزيرة قبرص ؟

هذا وان أكبر مصلحة لملك الحجاز ونجد في هذه المعاهدة تضمنها إلغاء معاهدة سنة ١٩١٥ التي كان عقدها مع الدولة البريطانية في عهد الحرب الكبرى اذ كان ضعيفا قريب العهد باسترجاع إمارتهم المسلوبة من ابن الرشيد ومضطراً إلى إسقاط امارته وتوحيد البلاد النجدية وهذا نصها:

(المعاهدة الاولى بين بريطانية العظمى وابن السعود)

في ٢ كانون ثاني سنة ٩١٥

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان الكولونيل السير برسي كوكس وعبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود المعروف بابن السعود اتفقا وتعاقدا على المواد الآتية :

(١) ان الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجداً والحسا والقطيف وحائل وملحقاتها التي تعين هنا والمرافيء التابعة لها على سواحل خليج العجم كل هذه المقاطعات هي تابعة للامير ابن السعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف بابن السعود حاكما مستقلا على هذه الاراضي ورئيساً مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابه الوارثين من بعده على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الامير الحاكم ، وأن لا يكون مخاصما لانجلترا بوجه من الوجوه أي انه يجب أن لا يكون ضد المبادىء التي قبلت في هذه المعاهدة

(٢) إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سعود أو أعقابه من بعده دون اعلام الحكومة البريطانية ، ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع ابن سعود لاجل تسوية الخلاف فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحركة ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية لمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير شديدة لاجل محافظة وحماية منافعه

(٣) يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك يتعهد باعلام الحكومة البريطانية بكل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الاراضي التي ذكرت آنفا

(٤) يتعهد ابن سعود بصورة قطعية أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا يقبل بصورة من الصور ترك قطعة أو التخلي عن الاراضي التي ذكرت آنفا ، ولا يمنح امتيازاً في تلك الاراضي لدولة أجنبية أو تبعة دولة أجنبية ، دون رضى الحكومة البريطانية ، وأن يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه

(٥) يتعهد ابن السعود بأن يبقي الطرق الموصلة إلى الاماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم إلى الاماكن المقدسة ورجوعهم منها

(٦) يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انكلترة أو الذين لهم معاهدات معها

(٧) الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة. اه

التواقيع

الكتابة أو الخط وثيقة شرعية

(يجب العمل بها)

أمر الله تعالى المؤمنين في أواخر سورة البقرة (٢ : ٢٨٢) بكتابة الدَّين المؤجل وأكد الامر بالكتابة ونهى الكاتب الذي يدعى إلى الكتابة أن يمتنع ، وأكد ذلك بأمره بأن يكتب ، ثم نهاهم عن السآمة أن تكون مانعة من الكتابة للصغير والكبير والقليل والكثير ، ثم أمر بالاستشهاد وعلل الامرين بقوله (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا) وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية من جزء التفسير الثالث (ص ١٢٥) ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قال عند تفسير (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله) ان هذا دليل على ان الكتابة يعمل بها ، وانها من الادلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها . اه . وقلت هنالك ان الآية دليل على وجوبها أيضاً ثم ذكرت (في ص ١٣٣) الخلاف بين العلماء في وجوب كتابة الدين وأمثاله أيضا وان من القائلين بالوجوب عطاء والشعبي وابن جرير في تفسيره كما هو الاصل في الامر عند جماهير العلماء

وقد عقد العلامة المحقق ابن القيم فصلا للعمل بالخط في كتابه (الطرق الحكمية،

في السياسة الشرعية) وعده من الطرق التي يحكم بها الحاكم، وهو الذي إذا قال لم يترك مجالا لقائل فاخترنا نقله لافادة من لم يطلع عليه من الفقهاء وإيجازاً لوعدنا في الفتوى ٢٠ كما في ص٥١١ ج ٧ الماضي وهذا نصه:

﴿ فصل ﴾

﴿ الطريق الثالث والعشرون ﴾ الحكم بالخط المجرد ولا صور ثلاث (الصورة الاولى) أن يرى القاضي حجة فيها حكمه لانسان فيطلب منه امضاءه فعن أحمد ثلاث روايات (احداهن) أنه اذا تيقن أنه خطه نفذه وان لم يذكره (والثانية) أنه لاينفذه حتى يذكره (والثالثة) أنه اذا كان في حرزه وحفظه نفذه والا فلا. قال أبو البركات الرواية في شهادة الشاهد بناء على خطه اذا لم يذكره والمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يعتمد على الخط لا في الحكم ولا في الشهادة، وفي مذهبه وجه آخر أنه يجوز الاعتماد عليه اذا كان محفوظاً عندهما كالرواية الثالثة

وأما مذهب أبي حنيفة فقال الخفاف(؟) قال أبو حنيفة اذا وجد القاضي في ديوانه شيئاً لايحفظه كاقرار الرجل بحق من الحقوق وهو لايذكر ذلك ولا يحفظه فانه لايحكم بذلك ولا ينفذه حتى يذكره. وقال أبو يوسف ومحمد ما وجده القاضي في ديوانه من شهادة شهود شهدوا عنده لرجل على رجل بحق أو اقرار رجل لرجل بحق والقاضي لايحفظ ذلك ولا يذكره فانه ينفذ ذلك ويقضي به اذا كان تحت خاتمه محفوظاً، ليس كل ماني ديوان القاضي يحفظه

وأما مذهب مالك فقال في الجواهر لايعتمد على الخط اذا لم يذكر لإمكان التزوير عليه. قال القاضي أبو محمد اذا وجد في ديوانه حكما بخطه ولم يذكر أنه حكم به لم يجز له أن يحكم به الا أن يشهد عنده شاهدان. قال واذا نسي القاضي حكماً حكم به فشهد عنده شاهدان أنه قضى به نفذ الحكم بشهادتهما وان لم يذكره. وعن مالك رواية أخرى أنه لايلتفت الى البينة بذلك ولا يحكم بها. وجمهور أهل العلم على خلافها بل اجماع أهل الحديث قاطبة على اعتماد الراوي على الخط المحفوظ عنده وجواز التحديث به الا خلافا شاذاً لا يعتد به، ولو لم يعتمد على ذلك لضاع الاسلام اليوم وسنة رسول الله ﷺ فليس بأيدي الناس بعد

كتاب الله الا هذه النسخ الموجودة من السنن . وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ وقد كان رسول الله ﷺ يبعث كتبه الى الملوك وغيرهم وتقوم بها حجته ولم يكن يشافه رسولا بكتابه بمضمونه ولا جرى هذا في مدة حياته ﷺ بل يدفع الكتاب مختوماً ويأمره بدفعه الى المكتوب اليه وهذا معلوم بالضرورة لاهل العلم بسيرته وأيامه

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده » ولو لم يجز الاعتماد على الخط لم يكن لكتابة وصيته فائدة . قال اسحاق بن ابراهيم (قلت) لأحمد : الرجل يموت ويوجد له وصية تحت رأسه من غير أن يكون أشهد عليها أو أعلم بها أحدا هل يجوز انفاذ مافيها، قال ان كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط فانه ينفذ ما فيها وقد نص في الشهادة انه اذا لم يذكرها ورأى خطه انه لا يشهد حتى يذكرها ونص فيمن كتب وصيته وقال اشهدوا علي بما فيها أنهم لا يشهدون الا أن يسمعوها منه أو تقرأ عليه فيقر بها فاختلف أصحابنا فمنهم من خرج في كل مسألة حكم الاخرى وجعل فيها وجهين بالنقل والتخريج ، ومنهم من منع التخريج وأقر النصين وفرق بينهما واختار شيخنا التفريق قال والفرق أنه اذا كتب وصيته وقال اشهدوا علي بما فيها فانهم لا يشهدون لجواز أن يزيد فى الوصية وينقص ويغير وأما اذا كتب وصيته ثم مات وعرف أنه خطه فانه يشهد به لزوال هذا المحذور . والحديث المتقدم كالنص في جواز الاعتماد على خط الموصي وكتبه ﷺ الى عماله والى الملوك وغيرهم تدل على ذلك ولان الكتابة تدل على المقصود فهى كاللفظ ولهذا يقع بها الطلاق

قال القاضي : وثبوت الخط في الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة لانها عمل والشهادة على العمل طريقها الرؤية . وقول الامام احمد ان كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط ينفذ ما فيها، يرد ماقال القاضي ، فان أحمد علق الحكم بالمعرفة والشهرة من غير اعتبار لمعاينة الفعل ،وهذا هوالصحيح فان القصد حصول العلم بنسبة الخط الى كاتبه فاذا عرف ذلك وتيقن كان العلم

بنسبة اللفظ اليه فان الخط دال على اللفظ واللفظ دال على القصد والارادة وغاية ما يقدر اشتباه الخطوط وذلك كما يفرض من اشتباه الصور والاصوات وقد جعل الله سبحانه في خط كل كاتب ما يتميز به عن خط غيره كتميز صورته وصوته عن صورته وصوته ، والناس يشهدون شهادة لا يستريبون فيها على أن هذا فيه خط فلان وان جازت محاكاته ومشابهته فلا بد من فرق وهذا أمر يختص بالخط العربي ووقوع الاشتباه والمحاكاة لو كان مانعا لمنع من الشهادة على الخط عند معاينته اذا غاب عنه لجواز المحاكاة

وقد دلت الادلة المتضافرة التي تقرب من القطع على قبول شهادة الاعمى فيما طريقه السمع اذا عرف الصوت مع أن تشابه الاصوات ان لم يكن أعظم من تشابه الخطوط فليس دونه وقد صرح أصحاب أحمد والشافعي بأن الوارث اذا وجد في دفتر موروثه إن لي عند فلان كذا جاز له أن يحلف على استحقاقه وأظنه منصوصا عنهما وكذلك لو وجد في دفتره إني أديت إلى فلان ما علي جاز له أن يحلف على ذلك إذا وثق بخط مورثه وأمانته ، ولم يزل الخلفاء والقضاة والامراء والعمال يعتمدون على كتب بعضهم الى بعض ولا يشهدون حاملها على ما فيها ولا يقرءونه عليه ، هذا عمل الناس من زمن نبيهم الى الآن

وقال البخاري في صحيحه (باب الشهادة على الخط المختوم وما يجوز من ذلك وما يضيق عليهم فيه وكتاب الحاكم الى عامله والقاضي الى القاضي . وقال بعض الناس[1] كتاب الحاكم جائز إلا في الحدود قال وان كان القتل خطأ فهو جائز لانه مال بزعمه وانما صار مالا بعد أن ثبت القتل فالخطأ والعمد واحد . وقد كتب عمر الى عامله في الحدود وكتب عمر بن عبد العزيز في سن كسرت . وقال ابراهيم كتاب القاضي الى القاضي جائز اذا عرف الكتاب والخاتم . وكان الشعبي يجيز الكتاب المختوم بما فيه من القاضي ويروى عن ابن عمر نحوه ، وقال معاوية ابن عبد الكريم الثقفي شهدت عبد الملك بن يعلى قاضي البصرة وإياس بن معاوية والحسن وثمامة بن عبد الله بن أنس وبلال بن ابي بردة وعبد الله بن بريدة وعامر بن عبيدة

١) هو أبو حنيفة وأصحابه

وعباد بن منصور يجيزون كتب القضاة بغير محضر من الشهود فان قال الذي جيء عليه بالكتاب انه زور قيل له اذهب فالتمس المخرج من ذلك، وأول من سأل على كتاب القاضي البينة ابن أبي ليلى وسوار بن عبدالله: وقال لنا أبو نعيم حدثنا عبدالله ابن محرز جئت بكتاب من موسى بن أنس قاضي البصرة وأقمت عنده البينة ان لي عند فلان كذا وكذا وهو بالكوفة فجئت به [1] القاسم بن عبدالرحمن فأجازه، وكره الحسن وأبو قلابة ان يشهد على وصية حتى يعلم ما فيها لانه لا يدري لعل فيها جورا، وقد كتب النبي ﷺ الى أهل خيبر «اما أن تدوا صاحبكم واما أن تأذنوا بحرب» اهـ كلامه [2]

وأجاز مالك الشهادة على الخطوط فروى عنه ابن وهب في الرجل يقوم يذكر حقا قد مات شهود، ويأتي بشاهدين عدلين على خط كاتب الخط قال تجوز شهادتهما على كاتب الكتاب اذا كان عدلا مع يمين الطالب وهو قول ابن القاسم وذكر ابن شعبان عن ابن وهب قال لآخذ بقول مالك في الشهادة على الخط وعد قوله شذوذا، قال ابن حارث ولقد قال مالك في رجل قال سمعت فلانا يقول ورأيت فلانا قتل أو قال سمعت فلانا طلق امرأته أو قذفها إنه لا يشهد على شهادته الا أن يشهده فالخط أبعد من هذا وأضعف، قال ولقد قلت لبعض القضاة أتجوز شهادة الموتى فقال ماهذا الذي تقول؟ فقلت انكم تجيزون شهادة الرجل بعد موته اذا وجدتم خطه في وثيقة فسكت

وقال محمد بن عبد الحكم لا يقضي في دهرنا بالشهادة على الخط لان الناس قد أحدثوا ضروبا من الفجور. وقد قال مالك في الناس تحدث لهم اقضية على نحو ما أحدثوا من الفجور وقد روى ابن نافع عن مالك قال كان من أمر الناس القديم اجازة الخواتيم حتى ان القاضي ليكتب للرجل الكتاب فما يزيد على ختمه فيجاز لهم حتى أتهم الناس فصار لا يقبل الا بشاهدين اهـ

واختلف الفقهاء فيما اذا أشهد القاضي شاهدين على كتابه ولم يقرأه عليهما ولا عرفهما بما فيه فقال مالك يجوز ذلك ويلزم القاضي المكتوب اليه قبوله، ويقول الشاهد إن ان هذا كتابه دفعه الينا مختوما، وهذا احدى الروايتين عن

(١) أي بالكتاب (٢) أي البخاري

الامام أحمد . وقال أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور اذا لم يقرأه عليهما القاضي لم يعمل المكتوب اليه بما فيه وهو احدى الروايتين عن مالك، وحجتهم انه لا يجوز ان يشهد الا بما يعلم، وأجاب الآخرون بانهما لم يشهدا بما تضمنه وانما شهدا بانه كتاب القاضي وذلك معلوم لهما ، والسنة الصريحة تدل على صحة ذلك وتغير احوال الناس وفسادها يقتضي العمل بالقول الآخر . وقد يثبت عند القاضي من أمور الناس مالا يحسن أن يطلع عليه كل أحد مثل الوصايا التي يتخون الناس فيها ولهذا يجوز عند مالك وأحمد في احدى الروايتين ان يشهدا على الوصية المختومة ويجوز عند مالك أن يشهدا على كتاب مدرج ويقولا للحاكم نشهد على إقراره بما في هذا الكتاب

وقال المانعون من العمل بالخطوط : الخطوط قابلة للمشابهة والمحاكاة وهل كانت قصة عثمان ومقتله الا بسبب الخط فانهم صنعوا مثل خاتمه وكتبوا مثل كتابه حتى جرى ماجرى ولذلك قال الشعبي لاتشهد أبدا إلا على شيء تذكره فانه من شاء انتقش خاتما، ومن شاء كتب كتابا ،قالوا وأما ماذكرتم من الآثار فنعم وها هنا أمثالها ولكن كان ذاك اذ الناس ناس . وأما الآن فكلا اذ كان الامر قد تغير في زمن مالك وابن أبي ليلى حتى قال مالك كان من أمر الناس القديم اجازة الخواتم حتى إن القاضي ليكتب للرجل الكتاب فلم يزد على ختمه حتى اتهم الناس فصار لايقبل الا شاهدان . وقال محمد بن عبد الحكم لايقضى في دهرنا هذا بالشهادة على الخط لان الناس قد أحدثوا ضروبا من الفجور وقد كان الناس فيما مضى يجيزون الشهادة على خاتم كتاب القاضي

فان قيل فما تقولون في الدابة يوجد على فخذها صدقة او وقف أو حبس هل للحاكم ان يحكم بذلك ؟ (قيل) نعم له أن يحكم وصرح به أصحاب مالك فان هذه أمارة ظاهرة ولعلها أقوى من شهادة الشاهد وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال غدوت الى رسول الله ﷺ بعبد الله ابن أبي طلحة ليحنكه فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة . وللامام أحمد عنه دخلت على النبي ﷺ وهو يسم غنما في آذانها . وروى مالك في الموطأ عن زيد

ابن أسلم عن أبيه أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان في الظهر ناقة عمياء فقال عمر ادفعها الى أهل بيت ينتفعون بها قال فقلت هي عمياء فقال عمر: يقطرونها بالابل. قال فقلت كيف تأكل من الارض؟ قال فقال عمر أمن نعم الجزية هي أم من نعم الصدقة؟ فقلت من نعم الجزية، فقال عمر أردتم والله أكلها فقلت ان عليهم وسم الجزية. ولولا ان الوسم يميز الصدقة من غيرها ويشهد لما هو وسم عليه لم يكن فيه فائدة بل لا فائدة للوسم الا ذاك ومن لم يعتبر الوسم فلا فائدة فيه عنده

فان قيل فما تقولون في الدار يوجد على بابها أو حائطها الحجر مكتوبا فيه انها وقف أو مسجد هل يحكم بذلك؟ قيل نعم يقضى به ويصير وقفا صرح به بعض أصحابنا وممن ذكره الحارثي في شرحه. فان قيل يجوز ان ينقل الحجر الى ذلك الموضع. قيل جواز ذلك كجواز كذب الشاهدين بل هذا أقرب لان الحجر يشاهد جزأ من حائط داخلا فيه ليس عليه شيء من أمارات النقل بل يقطع غالبا بأنه بني مع الدار ولا سيما حجر عظيم وضع عليه الحائط بحيث يتعذر وضعه بعد البناء فهذا أقوى من شهادة رجلين ورجل وامرأتين

فان قيل فما تقولون في كتب العلم يوجد على ظهرها وهوامشها كتابة الوقف هل للحاكم أن يحكم بكونها وقفا بذلك؟ قيل هذا يختلف باختلاف قرائن الاحوال فاذا رأينا كتبا مودعة في جراب وعليها كتابة الوقف وهي كذلك مدة متطاولة وقد اشتهرت بذلك لم نسترب في كونها وقفا وحكمها حكم المدرسة التي عهدت لذلك وانقطعت كتب وقفها أو فقدت، ولكن يعلم الناس على تطاول المدة كونها وقفا فيكفي في ذلك الاستفاضة فان الوقف يثبت بالاستفاضة وكذلك مصرفه، وأما اذا رأينا كتابا لا نعلم مقره ولا عرف من كتب عليه الوقف فهذا يوجب التوقف في أمره حتى يتبين حاله، والمعول في ذلك على القرائن فان قويت حكم بموجبها وان ضعفت لم يلتفت اليها، وان توسطت طلب الاستظهار وسلك طريق الاحتياط وبالله التوفيق

وقد قال أصحاب مالك في الرجلين يتنازعان في حائط فينظر الى عقده أو من له خشب أو سقف وما أشبه ذلك مما يرى بالعين يقضى به لصاحبه

ولا يكلف الطالب البينة ، وكذلك القنوات التي تشق الدار والبيوت الى مستقرها اذا سدها الذى شقت داره وأنكر أن يكون عليها مجرى لاحد فاذا نظروا الى القناة التي شقت داره وشهدوا بذلك عند القاضي ولم يكن عنده في شهادة الشهود الذين وجههم لذلك مدفع ألزموه مرور القناة على داره ونهي عن سدها ومنع منه ، قالوا فاذا نظروا في القناة تشق داره الى مستقرها وهي في قناة قديمة والبنيان فيها ظاهر حتى تصب فى مستقرها فللحاكم ان يلزمه مرور القناة كما وجدت في داره

قال ابن القاسم فيما رواه ابن عبد الحكم عنه اذا اختلف الرجلان في جدار بين داريهما كل يدعيه فان كان عقد بنائه اليهما فهو بينهما وان كان معقودا الى احدهما ومنقطعا من الآخر فهو الى من اليه العقد وان كان منقطعا بينهما جميعا فهو بينهما ،وان كان لاحدهما فيه كوى ولا شيء للآخر فيه وليس بمنعقد الى واحد منهما فهو الى من اليه مرافقه ، وان كانت فيه كوى لكليهما فهو بينهما، وإن كانت لاحدهما عليه خشب ولاعقد فيه لواحد منهما فهو لمن عليه الحمل ، فان كان عليه حمل لهما جميعاً فهو بينهما

والمقصود ان الكتابة على الحجارة والحيوان وكتب العلم أقوى من هذه الامارات بكثير فهى اولى ان يثبت بها حكم تلك الكتابة لاسيما عند عدم المعارض واما اذا عارض ذلك بينة لاتهم ولاتستند الى مجرد التبديل بسبب الملك والاستزادة انها تقدم على هذه الامارات بمنزلة البينة والشاهد واليد تدفع بذلك اه الفصل

وأقول ان النبي ﷺ بلغ دعوة ربه الى ملوك الآفاق بالكتابة وكتبت معاهداته مع الكفار كتابة وكان يكتب لعماله وكذلك خلفاؤه ، والقرآن بلغت نسخته الى الآفاق بالكتابة على كون حفاظه كانوا من أول الاسلام الى الآن يعدون بالألوف وسائر كتب السنة والفقه كذلك. فالخط حجة من أقوى الحجج ، وتضعيفه باحتمال التزوير فيه ، وشهادة الزور اسهل واكثر وأعم من تزوير الخط ولذلك كان جل اعتماد كل الأمم على الخط

باب المراسلة والمناظرة والانتقاد

﴿ زيارة القبور للتبرك ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من مصطفى نور الدين الى شيخ المرشدين وزعيم المصلحين وامام المجددين لما درس من أمر الدين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فاني سمعت بكتاب اسمه (الابداع في مضار الابتداع) لمؤلفه الشيخ على محفوظ فاستحضرته لاقرأه فلما وصلت في قراءته الى صحيفة ٨٧ عثرت على هذه العبارة في السطر الثالث عشر من هذه الصحيفة وهي « ومن الزيارة التي يرجع نفعها الى الزائر ماتكون للتبرك فتستحب لاهل الخير لان لهم في برازخهم بركات ، وعليهم تتنزل الرحمات » فهل يحسن السكوت على هذه العبارة؟ إن السكوت على هذه العبارة وأمثالها يعد من الكتمان الذي توعد الله عليه في كتابه بقوله (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى) الآية خصوصا وأنها منشورة في كتاب موضوعه من أهم مقاصد أهل الاصلاح فالثقة والاغترار بها أقرب ، وأيضا فان المفاسد والاضرار المترتبة على مدلولها كثيرة لايحصيها الا الله من الافتتان بالقبور وأصحابها ، وهي الفتنة التي عم بلاؤها ، وانتشر وباؤها ، وعظم داؤها ، وعز دواؤها ـ ولا سبب للافساد بالقبور وأصحابها الا الاعتقاد بالانتفاع بمالهم في برازخهم من البركات ، وماينزل عليهم من الرحمات ، فان الانسان مطبوع على حب النافع فاذا اعتقد ذلك سعى بكل وسعه في تعظيم أهلها ثم تدرج من تعظيمهم الى تعظيم قبورهم بالصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها ووضع التماثيل عليها وهي مزينة بأنواع الزينة حتى العمامة للذكر والخمار للانثى ، وبأشياء كثيرة مما كان يفعله عباد الاصنام لاوثانهم

ان دعوى استحباب زيارة قبور أهل الخير لاجل التبرك دعوى باطلة وقول على الله بغير علم، ولا دليل عليه أصلا، بل قامت الادلة على حرمتها، فان الاحاديث

التي وردت في التحذير من الافتتان بالقبور وأهلها تدل على أن الزيارة لمجرد التبرك محرمة لان اعتقاد التبرك ذريعة من أعظم الذرائع المفضية الى أكبر الكبائر وهو الشرك فقد قال ابن القيم في باب سد الذرائع « ومن تأمل مصادر الشريعة وموارديها علم أن الله ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها » وقال في موضع آخر: إن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر، لهذا تجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في مساجد الله ولا في أوقات السحر : الخ فهذا هو الدليل على حرمة الزيارة اذا كان الغرض منها التبرك فما الدليل على استحبابها

إن الاحاديث التي جاءت بشأن زيارة القبور لا تدل على استحباب الزيارة إلا اذا كان الغرض منها التذكر والاعتبار بالموت وما بعده ففي حديث مسلم « زوروا القبور فانها تذكر الآخرة » فقد قصر علة الزيارة على تذكرة الآخرة فلم يطلق بدون ذكر علة حتى يمكن أن يقال ولو للتبرك بل قيدها بهذه العلة واقتصر عليها ولم يذكر علة أخرى ، وعلى هذا فدعوى استحباب الزيارة لعلة غير التي ذكرت في الحديث وزيادة علة لا تشبهها في معناها يعد من الابتداع والتشريع لما لم يأذن به الله، ويعد افتياتا على الشارع ، بل معارضة لمقاصده من سد الذرائع المفضية إلى الشرك بالقبور وأهلها وهذا هو الابتداع بعينه، ومن المصيبة أن هذه العبارة منشورة في كتاب اسمه (الابداع في مضار الابتداع) وياليته ابتداع لم يترتب عليه ضرر، بل قد ترتب على هذه الفرية « استحباب الزيارة للتبرك » من المضار والمفاسد مالا يحصيه إلا الله . فجميع أنواع البدع التي تفعل عند قبور الصالحين لا سبب لها إلا الاعتقاد بأن لهم في برازخهم بركات وعليهم تنزل الرحمات، وأنهم ينتفعون بتلك البركات والرحمات ، ولذلك تجد عوام الناس بل وخواصهم لا يقصدون من زيارة قبور الصالحين إلا هذه الغاية ، فهل تجد أحداً يقصد قبور الصالحين للتذكر والاعتبار بالموت وما بعده ؟ كلا انما كانت زيارة القبور عبادة مستحبة لان الغرض منها أمر محبوب للشارع مقصود له وهو التذكر والاعتبار ، فكيف تكون الزيارة بقصد التبرك عبادة مستحبة والغرض منها انما هو من هوى

النفس وحظوظها (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس)

ثم يقال لاهل هذه الضلالة أيضاً من أين أتاكم أن البركات التي لاهل الخير في براز خهم والرحمات التي تنزل عليهم تنال زائريهم ؟ والحال أن هذا أمر غيبي لا يصح أن يقال إلا عن توقيف من الشارع إذ لا مجال للرأي والعقل فيه ؟ ويا ليتهم اقتصروا على هذه الفرية ، بل رتبوا عليها حكماً شرعياً وقالوا « يستحب زيارة أهل الخير لما لهم في براز خهم من البركات وما ينزل عليهم من الرحمات » سبحانك هذا بهتان عظيم ، وهل تدري أيها القاريء من أين أتت هذه الضلالة وأدخلت في الدين ؟ جاءت من الفلاسفة الضالين المضلين التاركين لنصوص الشريعة معتمدين على عقولهم وآرائهم فضلوا وأضلوا ، فقد قال ابن القيم في اغاثته إن أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذة من عباد الاصنام فانهم قالوا : إن الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناه منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها . أه ثم قال : وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي ، ثم قال وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وتعليق الستور عليها ، واقامة السدنة لها ، ودعاء أصحابها ، والدعاء بهم والنذر لهم ، وغير ذلك من المنكرات ، والله قد بعث رسله وأنزل كتبه بابطال ذلك وتكفير أصحابه ولعنهم وهو الذي قصد رسول الله ابطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف هؤلاء الضالون المضلون في طريقه وناقضوه في قصده ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما حصل من السلطان من الانعام والافضال نال ذلك المتعلق من حصته بحسب تعلقه به ، وبهذا السبب عبد الناس أصحاب القبور

وقال أيضاً رضي الله عنه : ولا تحسبن أيها المؤمن المنعم عليه باتباع الصرط المستقيم أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانا فيه غض من أصحابها وتنقيص لهم ، كلا ليس هذا من تنقصهم كما يحسبه الجهال أهل البدع والضلال ، بل هو من تعظيمهم واكرامهم واحترامهم وسلوك فيما يحبون ، واجتناب لما يكرهون ، وأنت وايم الله

وليهم ومحبهم وناصر طريقتهم ، وأنت على هداهم . وأما هؤلاء المبتدعون الضالون فقد نقصوهم في صورة التعظيم ، فهم أبعد الناس من هداهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح ، واليهود مع موسى ، والروافض مع علي . وهم من قبيل الصديق الجاهل الذي هو أضر من العدو العاقل ، فأهل الحق أحق بأهل الحق من أهل الباطل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض . فان القلوب اذا اشتغلت بالبدع ، أعرضت عن السنن ، ولذلك نجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من كان يتبع السنن ويحييها ، مشتغلين بغير ما أمر به ودعا اليه . وتعظيم الانبياء والصالحين ومحبتهم انما تكون باتباع مادعوا اليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقهم دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أوثاناً ، فان من اقتفى آثارهم كان سبباً لتكثير أجورهم باتباعه لهم ، ودعوة الناس إلى اتباعهم ، فان أعرض عن مادعوا اليه واشتغل بضده ، حرم نفسه واياهم من ذلك الاجر ، فأي تعظيم واحترام له في هذا .. انتهى

هذا واني كنت أود أن الرد على هذه العبارة المضلة يكون من فضيلتكم لما هو معلوم من البون الشاسع بين ما أوتيتم من سعة العلم وما أوتيه مثلي ، ولكن لعلمي بكثرة مشاغلكم الاصلاحية كتبت هذا الذي يسر الله لي فقد قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) ولكن ما فائدة الكتابة بدون نشر ، ومن ينشر مثل هذا غير مجلتكم المنار مجلة الاصلاح الوحيدة في هذا الزمان ، وإني لا أجد من ينصر هذا الحق ويعينني عليه غيركم فقد قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (والمؤمنون بعضهم أولياء بعض) وفقنا الله واياكم ، وبارك لنا فيكم ونفعنا بعلومكم والسلام عليكم

كاتبه

مصطفى نور الدين بدمياط

[المنار] إن كتاب الابداع هذا لم يهد إلينا وانما رأينا نسخة منه جيء بها إلى مكتبة المنار لاجل تجليدها لصاحبها فنظرنا في فهرسه وبعض أوراقه فسرنا أن يؤلف مدرس في الازهر كتابا في مضار الابتداع وينكر كثيراً من البدع التي

يشارك الازهريون فيها العامة ويتأولون النصوص الدالة على حظرها ، ورأينا في النظرة العجلى القصيرة الزمن بعض مسائل منتقدة لعل هذه المسألة منها وأحببنا لو يتاح لنا تصفح الكتاب كله لبيان منافعه وفوائده والتنبيه لما ينتقد منه لعله يجتنب في الطبعة الثانية المرجوة لمثله ثم لم نره بعد ذلك

﴿تقريظ الاستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت﴾

(لخلاصة السيرة المحمدية)

حضرة الاستاذ العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا المكرم أدام الله تعالى توفيقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اطلعت على كتاب (خلاصة السيرة المحمدية) وتأملت فيه فوجدته من أنفس الكتب التي ألفت لتهذيب نفوس أولاد المسلمين وتعليمهم مكارم الاخلاق التي بعث بها نبينا ﷺ فياله من كتاب علمنا كيف يكون الاقتداء بامام المرسلين ورسول رب العالمين الذي شرف الانسانية بفضائله وآدابه الصحيحة السامية، ولكن اكثر الذين تعلموا من أولادنا وتربوا في مدارس الاغيار وغيرها من المدارس الاهلية التي اقتفت اثر الغرب في التربية والتعليم لا يعرفون فضل ما جاء به هذا النبي الكريم حق المعرفة فاذا ذكر اسمه الشريف لا يصلون عليه ولا يسلمون لغفلتهم عما يجب عليهم من تعظيمه وقلما نرى أحداً منهم متديناً حق التدين، وربما كان السبب في ذلك الآباء والمعلمون فلأجل المحافظة على عقائدهم الدينية وتنوير عقولهم بأنواره عليه الصلاة والسلام أرى من الواجب على نظار المدارس الاسلامية أن لا يوسدوا أمر التربية والتعليم إلا الى العالم المتدين الذي يهتم بأمر المسلمين ويعرف طرق التربية الحقيقية وأن يقرروا كتاب [خلاصة السيرة المحمدية] للتدريس في مدارسهم لانه من أفضل كتب المطالعة التي لها في القلوب أجمل تأثير وشأن عظيم في التربية الروحية والادبية والاجتماعية، بل هو فريد في بابه ، مفيد لطلابه، رواياته صحيحة، وعباراته فصيحة، والأخذ منه سهل على المعلم والمتعلم ، وهو ذخيرة للناشئين ، وتذكرة للمتعلمين ، كما قلت أيها الاستاذ الناصر للسنة السنية الحريص على نفع الامة. فلك منا على تأليفه الثناء الجميل، ونرجو الله تعالى أن يمنحك الاجر الجزيل ؛ (الختم) مفتي بيروت

حفلة التأبين الكبرى

كانت الحفلة الكبرى لتأبين سعد باشا ورثائه أفخم وأعظم وأشجى من كل ماسبقها من أمثالها كسائر مظاهر إجلال الرجل حياً وميتا وقد خطب فيها أعظم رجال مصر من الوزراء والشيوخ والنواب غيرهم وأنشدت القصائد لأشعر الشعراء كما أشرنا إليه في فصل ترجمة الفقيد، وإننا ننشر في هذا الجزء مرثية أحمد شوقي بك أمير الشعراء وسننشر من بعد بعض الخطب الجليلة حتى لايحرم قراء المنار من أبلغ ماقاله أفصح العرب في هذا العصر في نابغة العرب في السياسة والفصاحة العربية . وهي هذه :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها
ليتني في الركب لما أفلت ... بوشعٍ همت فنادى فثناها
جلّل الصبحَ سواداً يومها ... فكان الارض لم تخلع دجاها
أنظروا تلقوا عليها شفقا ... من جراحات الضحايا ودماها
وتروا بين يديها عبرة ... من شهيد يقطر الورد شذاها
آذن الحق ضحاياه بها ... ويحه !! حتى إلى الموتى نعاها
كفنوها حرة علوية ... كست الموت جلالا وكساها
ليس في أكفانها الا الهدى ... لحُمة الاكفان حق وَسداها
خطرَ النعشُ على الارض بها ... يحسر الابصار في النعش سناها
جاءها الحق ومن عاداتها ... تؤثر الحق سبيلا واتجاها
مادرت مصر بدفن صُبحت ؟ ... أم على البعث أفاقت من كراها
صرخت تحسبها بنت الثَّرى ... طلبت من مخلب الموت أباها
وكأن الناس لما نسلوا ... شعب السيل طفت في ملتقاها
وضعوا الراح على النعش كما ... يلمسون الركن فارتدت نِزاها
خفضوا في يوم سعد هامهم ... وبسعد رفعوا أمس الجباها
سائلوا «زحلة» [1] عن اعراسها ... هل مشى الناعي عليها فمحاها

(١) زحلة بلدة في جبل لبنان كان الشاعر مصطافا فيها

عطل المصطاف من سماره وجلا عن ضفة الوادي دُماها
فتح الابواب ليلا ديرُها والى الناقوس قامت بيعتاها
صدع البرق الدجى تنشره أرض سوريا وتطويه سماها
يحمل الانباء تسري مَوهنا كعوادي الثكل في حر سُراها
عرض الشك لها فاضطربت تطأ الآذان همسا والشفاها
قلت ياقوم اجمعوا أحلامكم كل نفس في وريديها رداها
قلت والنعش بسعد ماثل فيه آمال بلاد ومناها
كلما أمعن في تقلته ضجت الارض على قطب رحاها
ياعدو القيد لم يلمح له شبحا في خطة إلا أباها
لا يضق ذرعك بالقيد الذي حز في سوق الاوالي وبراها
وقع الرسل عليه والتوت أرجل الاحرار فيه فعفاها
يارفاتا مثل ريحان الضحى كللت عدن بها هام رباها
وبقايا هيكل من كرم وحياة أترع الارض حياها
ودع العدل بها أعلامه وبكت أنظمة الشورى صُواها
حضنت نعشك والتفت به راية كنت من الذل فداها
ضمت الصدر الذي قد ضمها وتلقى السهم عنها فوقاها
عجبي منها ومن قائدها كيف يحمي الاعزلُ الشيخُ حماها
منبر الوادي ذوت أعواده من أواسيها وجفت من ذراها
من رمى الفارس عن صهوتها ودها الفصحى بما ألجم فاها
قدرٌ بالمدن ألوى والقرى ودها الاجيال منه مادهاها
غال « بسطورا » وأردى عصبة لمست جرثومة الموت يداها
طافت الكأس بساقي أمة من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانها من وتر ساحر رن مليا فشجاها
أرغنٌ هام به وجدانها وأذانٌ عشقته أذناها
كل يوم خطبة روحية كالمزامير وأنغام لغاها

دلمت مصراً ولو أن بها ... فلوات دلمت وحش فلاها
ذائد الحق وحامي حوضه ... أنفذت فيه المقادير مناها
أخذت سعداً من « البيت » يد ... تأخذ الآساد من أصل شراها
لو أصابت غير ذي روح لما ... سلمت منها الثريا وسهاها (١)
تتحدى الطب في قفازها ... علة الدهر التي أعيا دواها
من وراء الاذن نالت ضيغما ... لم ينل أقرانه إلا وجاها
لم تصارح أصرح الناس يداً ... ولسانا ورقاداً وانتباها
هذه الاعواد من آدم لم ... يهد خفاها ولم يعر مطاها
نقلت (خوفو) ومالت (بمنا) ... لم يفت حيا نصيب من خطاها
تخلط العمرين شيبا وصبا ... والحياتين شقاء ورفاها
زورق في الدمع يطفو أبداً ... عرف الضفة إلا ماتلاها
تهلع الثكلى على آثاره ... فاذا خف بها يوما شفاها
تسكب الدمع على سعد دماً ... أمة من صخرة الحق بناها
من ليان هو في ينبوعها ... وإباء هو في صم صفاها
لقّن الحق عليه كهلها ... واستقى الايمان بالحق فتاها
بذلت سالا وأمنا ودما ... وعلى قائدها ألقت رجاها
حملته ذمة أوفى بها ... وابتلته بحقوق فقضاها
إبنَ سبعين تلقي دونها ... غربة الأسر ووعثاء نواها
سفر من عدن الأرض الى ... منزل اقرب منه قطباها
قاهر ألقى به في صخرة ... دُفع النسر اليها فأواها
كرهت منزلها في تاجه ... درة في البحر والبر نفاها
اسألوها واسألوا شانئها ... لِمَ لم ينف من الدر سواها

(١) المنار السها بالضم كوكب صغير خفي يراه حديد البصر بجانب الكوكب الأوسط من بنات نعش فهو ليس من كواكب الثريا ولكن فيها مثله ولذلك يعدها بعض الناس ستا و بعضهم سبعا

ولد الثورة سعد حرة بحياتي ما جد حر نماها
ما تمنى غيرها نسلا ومن يلد الزهراء يزهد في سواها
سالت الغابة من أشبالها بين عينيه وماجت بلباها
بارك الله له في فرعها وقضى الخير لمصر في جناها
أو لم يكتب لها دستورها بلدم الحر ويرفع منتداها
قد كتبناها فكانت صورة صدرها حق وحق منتهاها
رقد الثائر إلا ثورة في سبيل الحق لم تخمد جذاها
قد تولاها صبيا فكوت راحتيه وفتيا فرعاها
جال فيا قلما مستنهضا ولسانا كلما أعيت حداها
ورمى بالنفس في بركانها فتلقى أول الناس لظاها
أعلمتم بعد موسى من يد قذفت في وجه فرعون عصاها
وطئت ناديهُ صارخة : شاهَ وجهُ الرق ياقوم وشاها
ظفرت بالكبر من مستكبر ظافر الأيام منصوراً لواها
القنا الصم نشاوى حوله وسيوف الهند لم تصح ظباها
أين مَن عيني نفس حرة كنت بالأمس بعيني أراها
كلما أقبلت هزت نفسها وتواصى بشرها بي ونداها
وجرى الماضي فماذا ادكرت وادكار النفس شيء من وفاها
ألمح الأيام فيها وارى من وراء السن تمثال صباها
لست ادري حين تندى نضرة علمت الشيبَ أم الشيبَ علاها ؟
حلت السبعون في هيكلها فتداعى وهي موفور بناها
روعة النادي إذا جدت فان مزحت لم يذهب المزح بهاها
يظفر العذر بأقصى سخطها وينال الود غايات رضاها
ولها صبر على حسادها يشبه الصفح وحلم عن عداها
لست أنسى صفحة ضاحكة تأخذ النفس وتجري في هواها
وحديثا كروايات الهوى جد للصب حنين فرواها

وفتاة صعدة لو وهبت للسماك الأعزل اختال وتاها
أين مني قلم كنت اذا سمته ان يرثي الشمس رثاها
خانني في يوم سعد وجرى في المراثي فكبا دون مداها
في نعيم الله نفس أوتيت أنعم الدنيا فلم تنس تقاها
لا الحجى لما تناهى غرها بالمقادير ولا العلم زهاها
ذهبت اوابة مؤمنة خالصا من حيرة الشك هداها
آنست خلقاً ضعيفاً ورأت من وراء العالم الفاني إلها
ما دعاها الحق إلا سارعت ليته يوم « وصيف » ما دعاها

شعر في وصفة طبية قديمة جواب عن سؤال

مقتبسة من كتاب أطباء العرب في ألمانيا الذي يشتغل بتأليفه الدكتور زكي كرام

شكا الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر بدأ على جبهته ونظم شكواه شعراً وأنفذه إلى الشيخ الرئيس (ابن سينا) وهو

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه وغرس إنعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه أدام الله مدته آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنما شكر النبي له مع شكر عترته

فاجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته من الاذى ويعافيه برحمته
أما العلاج فاسهال يقدمه ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ولا يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصراً فيه الخلاف مدافا وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً ولا يصيحن أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى آثار خير ويكفى أمر علته

ز . ك

أنباء العالم الإسلامي

بلادنا المصرية

فقدت هذه البلاد بموت زعيمها الاكبر سعد باشا زغلول ركن نهضتها، وسياج وحدتها، وروح قوتها، ومناط آمالها في نيل الاستقلال التام المطلق، وأثبت لها ما قالته الجرائد البريطانية فيه بعد موته انها غير مخطئة في آمالها فيه وتعلقها به، ولكنه قد مهد السبيل قبل وفاته للسياسي المحنك عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة الائتلافية، للاتفاق مع الحكومة البريطانية على حل عقد الخلاف بمعاهدة بين المملكتين، فاذا أمكن لرجال الوفد وسائر الاحزاب المحافظة على وحدة البلاد واتفاق كلمتها بنظام حكيم يؤدي وظيفة الزعيم في ذلك فان البلاد تنال بذلك ما كان مرجواً لها بوجوده أو ما يقرب منه والا تعذر الاتفاق بين الدولتين وعاد الجهاد الى ما كان عليه، فالفرصة الآن سانحة للفريقين بهذا وبحرص الدولة البريطانية على تسوية المشاكل بينها وبين الشعوب الشرقية لئلا تفاجئها الحرب البلشفية العامة الآتية وهذه الشعوب على عداوتها فيتعذر عليها الاستفادة منها كالحرب التي قبلها او الامن من قيامها عليها وانتقامها منها.

الشعب التركي

كنا نعلم أن مصطفى باشا كمال يشنأ الاسلام ويمقته من قبل أن يظهر ذلك، ونعلم أن ملاحدة الترك الموافقين له على السعي لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضاً فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كثيرون، وكنا نتمنى قبل تأليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرون الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركي — فأبوا إلا أن يهدموا كل مابقي للدولة فيه من مظهر وشعيرة وحكم وعمل وعلم، بعد أن وضعوا في قانون الجمهورية أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام، فلم نشك وقد رأينا مارأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الامة أن هذا اللقب قد

وضع تقية لئلا يكون لمفاجأة الامة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيراً بعد أن صرح مراراً بأن التركي حر في اختيار الدين الذى يعجبه وثنياً كان أو يهودياً أو نصرانياً ، ولعمري انه ليس حراً في أن يكون مسلماً فانه يجبر اجباراً على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام

ان الحكومة الكمالية الشخصية العسكرية الدكتاتورية)قد خصصت زهاء نصف ميزانيتها المصالح العسكرية وما يتعلق بها من حفظ الامن في البلاد وهي في حال السلم فمزقت شمل المعارضة التي قام بها الزعماء المسلمون وكذلك الثورات المتتابعة ولما لم يبق في المملكة صوت يرتفع صرح مصطفى كمال باشا بأن وضع اسم الاسلام في قانون جمهوريته كان موقتاً وقد حان الوقت لرفعه

ومن أعجب أمر انتكاس المسلمين في دينهم وعقولهم أن أكثرهم لم يكونوا يصدقون أن مصطفى كمال باشا قد انتزع الدولة التركية من حظيرة الاسلام وأنه يحاول انتزاع الشعب التركي منها ، فان منهم من سمى إلغاءه الاحكام الشرعية ومحاكمها توحيداً للمحاكم لا ينافي الاسلام — وسمى منعه للتعليم الاسلامي وابطاله لمدارسه توحيداً للتعليم التركي لا ينافي الاسلام ، وسمى تفضيله للقوانين الاوربية المسيحية الاساس كقانون سويسرة للاحكام الشخصية من زواج وطلاق وإرث إيثاراً للأحكام المدنية الجديدة على الاحكام الدينية القديمة الرثة البالية كما يقول هو وحزبه . ولم يصرحوا بهذا إلا بعد أن صرح به كبراء الدولة الجديدة من الحكام وأصحاب الجرائد ، فكل ماذكر لم يمنع بعض مسلمي الهند من ارسال وفد له يعرض عليه منصب الخلافة الاسلامية فرده خائباً خاسراً كما يستحق !!!

وقد بلغنا رواية عن بعض كبراء الترك في أوربة ونحن فيها منذ بضع سنين أن مصطفى كمال باشا يرجح تنصير الشعب التركي ولكنه يود أن يأخذ ثمنا على ذلك من الدولة البريطانية هو أن تعامل الشعب التركي معاملة الاقران والامثال ، وتحالفه محالفة الانداد والأقتال ، وكان يرجو هذا بالغاء الخلافة وإعلان اللادينية فعز المنال

من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا أفندي المصري الاصل المقيم في الاستانة الذي كان يراسل جريدة الاخبار المصرية

الاسلامية قبل أن يصير أمر الحكومة التركية إلى هذا الحد من اظهار الكفر وعداوة الاسلام فلما برح الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الالحادية بجريدة الاخبار الاسلامية التي صارت مناوئة ومقاومة لهم.

كتب الامير شكيب ارسلان مقالات في اظهار خفايا شئآن الحكومة التركية الجديدة للاسلام وللعرب نشرتها جريدة الاخبار فتولى الرد عليها عمر رضا أفندى هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ، ثم شايعتهم جريدة السياسة في مصر ، ولم يرد له أحد حجته ، ولا نقض له قضيته ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا أنه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز !! ولا عجز أظهر من عجز من يحاول دفع حجة خصمه بأنه ليس أهلا لايرادها بسبب نسبه أو زعامته وزعامة بيته لطائفة كذا — فأي علاقة بين المباحث العلمية والشرعية والتاريخية وبين كون الباحث زعيما لطائفة من الناس لاعلاقة لهم بموضوع بحثه الا أن تكون موافقته على الانتصار للاسلام ، وتأييده في جهاد الكفر والالحاد؟

طائفة الدروز من الشيعة الباطنية الذين انشقت عصا الخلافة بينهم وبين أهل السنة في القرون البائدة فكانوا طرائق قدداً منها جمعيات سرية ألبست لباس الدين لجعل صلتها برؤسائها تعبدية لامجال للرأي فيها وهم من صميم الامة العربية ولبابها لايعرف أكثر أفرادها من تلك التعاليم الباطنية شيئاً ، والذين تعلموا التاريخ من رجالها قد عرفوا أن تلك التعاليم كانت مكراً من مجوس الفرس بالعرب ليفرقوا كلمتهم ، ويضعفوا شوكتهم ليزول ملكهم ، ويتقلص ظلهم عن بلاد فارس فيعود لها ملكها التليد ، ولذلك يسمى هؤلاء العلماء إلى رد من بقي من طائفتهم محافظاً على تلك التعاليم الباطنية إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد استشارني كثيرون من نابغي شبانهم في هذا ، على ان الذين لايزالون يعرفون تلك التعاليم السرية أفراد من الطائفة يسمون رجال العقل ، ويشترط في اطلاعهم عليها استمساكهم بكثير من الفضائل والآداب التي يقل في الناس من يحافظ عليها . وباقي أفراد الطائفة لايعرفونها فهم لايعدون دروزاً إلا بالنسب ، ككثير من المنتسبين الى السنة وهم على بدع بعضها شرك صريح بالله ، وبعضها من كبائر المعاصي . ومنهم الذين

عرفوا مذهب السنة واعتصموا به

وأما الامير شكيب نفسه فهو من أنبغ مريدي الاستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السلفية وحكمتها العالية في بيروت حيث ألف رسالة التوحيد التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ؛ فكان بهذا من أنصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين أو عوامهم ، وقد قال له السيد جمال الدين حكيم الملة : حيا الله أرض اسلام أنبتتك. وقد كان يصلي معي في فنادق أوربة أيام صحبته لي فيها ، فياليت لهؤلاء الذين عرضوا بدينه أو مذهبه بعض ماهو عليه من العلم الصحيح بالاسلام والعمل به ، دع الدفاع عنه والنضال دونه

ولما كان الانتقاد في فوضى هذا العصر القلمية كالحمارة العرجاء يركبها كل ضعيف رأينا في بعض الجرائد انتقادات لغوية وشرعية على بعض عبارات للامير شكيب في بعض مقالاته كان المنتقدون له فيها هم المخطئين حتى في مسألة المصالح المرسلة ويسر الشريعة التي كانت عبارته فيها غير محررة على الاصطلاح الاسلامي الفقهي ولم نفرغ يومئذ لتحقيق الحق فيها

الشعب السوري والثورة

لكل مظهر من مظاهر الاجتماع البشري ظاهر وباطن ولا سيما الثورات والحروب فانها كثيراً ماتخفى حقيقتها وحقيقة رجالها زمناً طويلا إن لم يكن دائماً

وقعت الثورة السورية فعمل فيها بعض الناس اختياراً ، واضطر بعضهم إلى الدخول فيها اضطراراً ، وكان همّ بعض هؤلاء استغلالها والربح منها ، وشاركهم في هذا القصد آخرون ممن يشتغلون بالسياسة السورية حيثما وجدوا سواء كانوا في داخل البلاد أو في خارجها ، ومن طلاب الربح من يطلب المال ، ومنهم من يطلب الجاه كالزعامة والرياسة وكثرة الاتباع والانصار

وكان من أكبر جنايات هؤلاء المرائين أنهم أحدثوا شقاقا في الامة بطعن بعضهم في الرجال الذين كانوا يتولون إيصال الاعانات إلى أهلها ، لأنهم لم يستطيعوا ارضاء طمعهم واشباع نهمتهم ، ومن دلائل سوء نيتهم وفساد طويتهم استعانتهم على فعلتهم ببعض الجرائد المستأجرة للمستعمرين خصومهم ، ومن جرائمهم أنهم

كتبوا إلى كرام المهاجرين الذين في البلاد الاميركانية مكتوبات تثبط عزيمتهم وتقبض أيديهم عن إعانة المنكوبين في هذه الثورة ولا سيما اباة الضيم الذين أبوا التسليم المخزي وأووا إلى حدود نجد يعتصمون فيها بعد أن أخرجتهم حكومة الامير عبد الله بن حسين الهاشمي من أرض الشرق العربي بأمر سادته الانكليز

ولم يكتف هؤلاء بهذه الجريمة بل ارتكبوا جريمة شراً منها أو مثلها وهي الوشاية باللاجئين إلى حدود نجد وبمن يخدمونهم ويسعون لسد رمقهم فقد كتبوا إلى جلالة ملك الحجاز ونجد من الطعن الكاذب في اخوانهم مالا يرضاه لنفسه إلا الشيطان الرجيم عدو البشر

ثم دبت عقاربهم إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت منذ أسست موضع اجلال جميع السوريين وثنائهم ، فاحتلوا مكتبها وناديها وجعلوه مركزاً لجميع ماتقدم ذكره آنفاً من الفساد والفتن ، حتى اضطر أكثر الاعضاء إلى هجر ذلك المكتب والاشتغال في مكان آخر — وقد بذلت كل ما استطعت من جهد لتلافي ذلك فما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وقد سعى بعض فضلاء الاخوان هنا لما عجزت عنه ولا أزيد الآن على ماذكرت إلا اذا خاب سعيهم . ولكن من المحزن أن يلجأ من رفعه سادة المسلمين وكبراؤهم ووضعوه فوق رءوسهم إلى الاستعانة على مقاومتهم برجال الكنيسة ومتعصبي الدين والسياسة لينصروه باسم النصرانية على المسلمين ، ويزعم هو وهم أنهم نبذوه لاجل دينه ، فهل كان حين رفعوه مسلما أو « ماعدا مما بدا » ؟

نفاق وشقاق ، وخلف وافتراق ؟ وفقر لايطاق ، وبيوت مخربة ، وقرى مهدمة ، ومزارع مستأصلة ، وهجرة من البلاد متصلة ، وذل وعبودية ، وشكوى عامة من الحالة الاقتصادية ، وتخبط في التصرفات السياسية — كل هذا بعض ماتئن منه سورية ، وكل هذا وأكثر منه لم يصرف بعض شبان أم الوطن (دمشق) وشوابها عن فتنة التفرنج القاتلة للتدين والتعرب ، المزينة باسم التجدد

فأما الشبان فيريدون تزيين رءوسهم بالبرنيطة ليكونوا كبعض محرري جريدة السياسة المصرية والهلال المصري مجددين ، فان كانوا لايعلمون من هذا التجديد

أو التجدد إلا لبس البرنيطة لسهولته ، وخفة مؤنته ، والسبق إلى التميز عن الجمهور به ، فليعلموا أن من أساتذتهم في مصر من يدعو جهراً إلى ترك الدين — كل دين — البتة، ومنهم من يدعو إلى ترك الجنسية النسبية ، وقطع الرابطة الوطنية ، والتجنس بجنسيه أوربية ، فان كانوا على ذلك فما عليهم إلا أن يتجنسوا بالجنسية الفرنسية مباشرة كما يقول المثل الذي يكثر من ضربه أبو حامد الغزالي: « كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة » وإلا فلبس البرنيطة وحدها لا تفيدهم علماً ولا عملا ، ولا عزاً ولا شرفا ، وأقل مافيها من الضرر ايجاد شقاق وتفرق جديد في بعض مشخصات أمتهم وهو اضعاف لها ، وقطع لصلتهم بها . وبذلك يصبحون بغير أمة ولا ملة

وأما الثواب فقد طلبت زعنفة منهن اذن الحكومات لهن بأن يبرزن في الشوارع والاسواق سافرات الوجوه ، عاريات الصدور ، حاسرات عن الذراعين والعضدين ، كاشفات عن الساقين والركبتين ، أو كما ورد في الحديث في صفة بعض أهل النار « ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » فهل رأى هؤلاء أن العهر قد رث وخلق فهن يردن تجديده بتقليد عواهر الغرب ليكون أشهر وأعم انتشاراً ؟ فان لم يكن عندهن بقية من الدين وشرف العرض كما هو الظاهر ، أفليس لهن شعور بأن لهن أمة محتاجة إلى تجديد مجدها الذي كان فوق كل مجد في الارض ! وبأن لهن وطناً محتاجا إلى تجديده بالعمران ، بعد أن خربته احداث الزمان ، أولا يوجد من أهلهن من يخبرهن بأن تجديد الامم والاوطان انما يكون بالجهاد في تحصيل الثروة والقوة بالعلم والفن والصناعة والزراعة والتجارة — وأن الترف والسرف في التورن والتنوق والتطرز والتطرس مدعاة للفسق والفجور المخرب للعمران لا المجدد له ؟ وهذه قضية متفق عليها بين علماء الشرق والغرب لم يختلف فيها أحد وإن ظن الجاهل الناظر لظواهر ترف الافرنج خلاف ذلك ، وقد بينا شبهة هؤلاء الجاهلين وفندناها في المنار مراراً

﴿ الجزء التاسع ﴾ ١٣٤٦ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

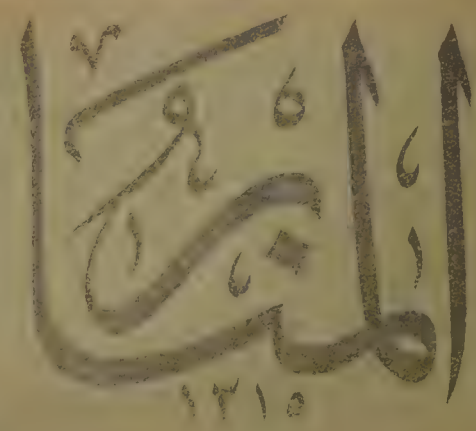

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماعية والعمرانية
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التليفون ـ رشيد رضا (منزل) رقم ١٥ ـ ٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل في نجاح العمل ﴾

فهرس الجزء التاسع من مجلد المنار الـ ٢٨

(باب التفسير)

فاتحة تفسير القرآن الحكيم (الجزء الاول) وفيه بيان وجه الحاجة اليه ٦٤١ـ٦٥٠

الآيات في صفة القرآن والمراد منه ٦٤٢

نداء المسلمين وتذكيرهم بكتاب ربهم وبيان تأثير القرآن في العرب ومدنيتهم وملكهم وفي سائر السلف ومقابلته بما أصاب الخلف بترك هدايته ٦٤٤

التفاسير المشهورة شاغلة عن هداية القرآن من وجوه ٦٤٧

كلمة الامام احمد وكلام ابن تيمية في التفسير المأثور ٦٤٨

الاسرائيليات وتشويهها للتفسير بخرافاتها ٦٤٩

مؤلف هذا التفسير وحكيما العصر الافغاني والمصري واقتراحه على المنار

قراءة التفسير في الازهر وأخذه عنه ٦٥١

طريقة الاستاذ الامام في قراءة التفسير وطريقتنا في كتابته ٦٥٥

كيف طبع هذا التفسير ٦٥٦

(فتاوي المنار)

(سمت القبلة وأدلتها) ٦٥٧

(تعليق حدوث الامراض بالاوهام) ٦٥٩

حديثان في فضل سورة يس ٦٦٠

(الاعتماد على كتب ابن تيمية) ٦٦٠

(افتراء عقائد في عالم الغيب وحياة الرسول فيه) الخ ٦٦١

الكفر بالزيادة في الاسلام وبانكار المجمع عليه منه بشرحه ٦٦٣

(طلاق الثلاث بلفظ واحد) تحقيق المسألة بالتفصيل بالتعلق بها ٦٧٨ـ٦٨٣

(مناظرة في مسألة القبور والمشاهد) رد على عالم شيعي ٦٨٤

(باب الرسائل والمناظرة)

(روح الثقة في الاسلام) للاستاذ الغيور يحيي محمد البكري ٦٩٣

(التمدن الآثم . القاضي مترنيخ ثلقيح القضاء المصري . الجامعة المصرية تحت راية القرآن) لمسلم غيور من علماء مراكش ٧٠١

لماذا دخلت في الاسلام ؟ ٧٠٥ ـ ٧٠٩

﴿ سعد زغلول ﴾ ٧٠٩

إيمانه وخلائقه وتاثيره هما في عمله ٧١١

أظهر أخلاقه ومزاياه ٧١٣

التقريظ وانتقاد المطبوعات ٧١٤ ـ ٧٢٠

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « وضارا » لمنار الطريق

٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ﻫ ١ برج القوس سنة ١٣٠٧ﻫ ش　٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

نبشر القراء بأنه قد تم طبع الجزء الاول من تفسيرنا هذا الذي اشتد لوم الناس لنا على تأخير طبعه وكثرت مطالبتهم إيانا به . وكنا طبعنا مقدمته المقتبسة من دروس الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وتفسير الفاتحة من بضع عشرة سنة مع زيادة فيه عما طبعناه وحده مرارا ثم الحقنا به فوائد ومباحث تتعلق به بلغت مثله ، ثم زدنا فيه ما علم القراء بعضه وقد تم طبعه في هذا الشهر ولله الحمد . واننا ننشر هنا فاتحة هذا التفسير ليعلم منه القراء كيف كتب وماذا أخذ منه عن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأثابه وهذا نصها :

فاتحة تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الَّذي أَنْزلَ على عَبده الكتابَ ولم يَجْعَلْ لَهُ عِوجاً * قَيِّماً لِيُنذِرَ بأساً شَديداً مِنْ لَدُنهُ ويُبَشِّرَ المؤمنينَ الذينَ يَعْملونَ الصَّالحات أنَّ لهمْ أجراً حسناً ماكثينَ فيهِ أَبَداً * ويُنذِرَ الَّذينَ قالوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً * مَا لهُمْ بهِ مِنْ علمٍ ولا لآبائهمْ كبُرَتْ كلمةً تخرُجُ من أفواههمْ إنْ يَقولونَ إلاَّ كذباً * (٥١:١٨)

الٓمٓ . ذٰلكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدًى لِلْمُتَّقينَ (١:٢) وَإنْ كُنْتمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا على عبدنا فأْتُوا بسُورةٍ من مثلهِ وادْعوا شهداءكم مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كنتم صَادقينَ * فإنْ لم تَفْعَلوا ولَنْ تَفْعَلوا فاتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُهَا الناسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ للكافرينَ (٢:٢٢و٢٣)

الٓمٓ . اللهُ لا إلَهَ إلا هُوَ الحيُّ القَيُّومُ نَزَّلَ عليكَ الكِتابَ بالحقِّ مُصَدِّقاً لما بينَ يديهِ وأَنْزَلَ التَّوراةَ والإنجيلَ من قَبلُ هُدًى للنَّاسِ وأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (١:٣) هُوَ الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فأما الَّذينَ في قلوبهم زَيْغٌ فيَتَّبِعُونَ ماتشابَهَ منهُ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويله ، وما يعلم تأويلهُ إلا اللهُ ، والراسخونَ في العلم يقولون آمنا بهِ كلٌّ من عندِ ربِّنا ، وما يذَّكَّرُ إلا أُولُوا الالْبابِ (٥:٣)

الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير * وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله، وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير * إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (١١: ١ — ٤)

الر. تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين (١٢: ١ — ٣) لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١٢: ١١١)

وكذلك أنزلنا إليك الكتاب، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به. وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذاً لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٢٩: ٤٧ — ٤٩)

كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب (٣٨: ٢٩) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (٤: ٨١) الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله.

ذلكَ هُدى اللهِ يَهدي بهِ منْ يَشاءُ وَمنْ يُضْلِلِ اللهُ فما لهُ من هاد (٣٩ : ٢٣) لَوْ أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدِّعاً من خشية اللهِ وتلكَ الأمثالُ نضربها للناس لعلهم يتفكرون ٥٩ : ٢١)

إنَّ اللهَ وَملائكتَه يصلون على النبيِّ . يا أيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليهِ وسلِّموا تسليماً (٣٣ : ٥٦) ما كانَ محمَّدٌ أبا أحدٍ منْ رجالِكم ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النَّبيينَ وكانَ اللهُ بكلِّ شيْءٍ عليما * يا أيُّها الَّذينَ آمنوا اذكروا اللهَ ذكراً كثيراً وسبِّحوه بكْرَةً وأصيلاً * هوَ الَّذي يُصلِّي عليكم وملائكتُه ليخرجَكم من الظلمات الى النُّور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيَّتهم يومَ يلقونه سلامٌ وأعدَّ لهمْ أجراً كريماً *

أما بعد فيا أيها المسلمون ! ان الله تعالى أنزل عليكم كتابه هدى ونوراً ليعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم ، ويُعدَّكم لما يَعدُكم به من سعادة الدنيا والآخرة ، ولم ينزله قانونا دنيويا جافا كقوانين الحكام ، ولا كتابا طبيا لمداواة الاجسام ، ولا تاريخا بشريا لبيان الأحداث والوقائع ، ولا سفراً فنيًّا لوجوه الكسب والمنافع ، فان كل ذلك مما جعله تعالى باستطاعكم ، لا يتوقف على وحي من ربكم . وهذا بعض ما وصف الله تعالى به كتابه في محكم آياته (* تدبرها سلفكم الصالح واهتدوا بها فأنجز لهم ما وعدهم من سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة في مثل قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٢٤ : ٥٣) وفي قوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (٣٠ : ٤٦) وقوله (ولن يجعل الله

*) اشارة إلى الآيات السابقة ولنا فتوى في حكمة إنزال القرآن اوردنا فيها ٢٤ آية من أمثال هذه الآيات و١٥ حديثا في معناها فتراجع في ص٢٥٨ م ٨ من المنار

للكافرين على المؤمنين سبيلا (٤ : ١٤٠) وقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (٦٣ : ٨) وقوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين (٣ : ٣٩)

وعدهم الله تعالى هذه الوعود في حال قلتهم وضعفهم وفقرهم وبعدهم عن الملك والسلطان ، وأنجز لهم ماوعدهم بما قضاه وجعله أثراً للاهتداء بالقرآن ،

هدى الله بهذا القرآن العرب، وهدى بدعوتهم إليه أعظم شعوب العجم ، فكانوا به أئمة الامم ، فبالاهتداء به قهروا أعظم دول الارض المجاورة لهم : دولة الروم (الرومان) ودولة الفرس ، فهذه محوها من لوح الوجود بهدم سلطانها وإسلام شعبها ، وتلك سلبوها ما كان خاضعا لسلطانها من ممالك الشرق وشعوبه الكثيرة ، ثم فتحوا الكثير من ممالك الشرق والغرب حتى استولوا على بعض بلاد أوربة وألفوا فيها دولة عربية كانت زينة الارض في العلوم والفنون والحضارة والعمران

حاربوا شعوبا كثيرة كانت أقوى منهم في جميع مايحتاج اليه القتال من عدد وعدد ، وسلاح وكراع ، وحصون وقلاع ، قاتلوها في عقر دارها ، ومستقر قوتها، وهم بعداء عن بلادهم ، ناؤون عن مقر خلافتهم ، وإنما كانوا يفضلون أعداءهم بشيء واحد وهو صلاح أرواحهم الذي تبعه صلاح أعمالهم ، والروح البشري أعظم قوى هذه الارض سخر الله تعالى له سائر قواها ومادتها كما قال (٢ : ٢٨ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا (٤٥ : ١٢ وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعاً منه . إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون)

كان أرقى حكام الروم والفرس وغيرهم علما وفنا وأدبا وسياسة يفسد في الارض ، ويعبث بالمال والعرض ، أو كما قال الله تعالى (٢ : ٢٠٤ وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد) وكان المسلم العربي يتولى حكم بلد أو ولاية وهو لا علم عنده بشيء من فنون الدولة ولا من قوانين الحكومة ، ولم يمارس أساليب السياسة ، ولا طرق الادارة ، وإنما كل ما عنده من العلم بعض سور القرآن ، فيصلح من تلك الولاية فسادها ، ويحفظ أنفسها وأموالها وأعراضها ، ولا يستأثر بشيء من حقوقها، هذا وهو في حال حرب، وسياسة فتح ، مضطر لمراعاة تأمين المواصلات مع جيوش أمته وحكومتها ،

وسد الذرائع لانتقاض أهلها. وإذا صلحت النفس البشرية أصلحت كل شيء تأخذ به وتتولى أمره ، فالانسان سيد هذه الارض وصلاحها وفسادها منوط بصلاحه وفساده ، وليست الثروة ولا وسائلها من صناعة وزراعة وتجارة هي المعيار لصلاح البشر ، ولا الملك ووسائله من القوة والسياسة ، فان البشر قد أوجدوا كل وسائل الملك والحضارة من علوم وفنون وأعمال بعد أن لم تكن — فهي إذاً تابعة من تعين الاستعداد الانساني تابعة له دون العكس ، ودليل ذلك في العكس كدليله في الطرد، فاننا نحن المسلمين وكثيراً من الشعوب التي ورثت الملك والحضارة عن سلف أوجدهما من العدم ممن أضاعوهما بعد وجودهما بفساد أنفسهم

صلحت أنفس العرب بالقرآن إذ كانوا يتلونه حق تلاوته في صلواتهم المفروضة وفي تهجدهم وسائر أوقاتهم — فرفع أنفسهم وطهرها من خرافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها ، وهذب أخلاقها وأعلى هممها ، وأرشدها إلى تسخير هذا الكون الارضي كله لها ، فطلبت ذلك فأرشدها طلبه إلى العلم بسننه تعالى فيه من أسباب القوة والضعف ، والغنى والفقر ، والعز والذل ، فهداها ذلك إلى العلوم والفنون والصناعات ، فأحيت مواتها ، وأبدعت فيها مالم يسبقها إليه غيرها ، حتى قال صاحب كتاب تطور الأمم من حكماء الغرب: ان ملكة الفنون لا تستحكم في أمة من الامم إلا في ثلاثة أجيال جيل التقليد وجيل الخضرمة وجيل الاستقلال، وشذ العرب وحدهم فاستحكمت فيهم ملكة الفنون في جيل واحد

قد شاهدنا ولا نزال نشاهد في بلادنا ، أن طلب العلوم والفنون مع إهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الاجانب لنا ، كما جرى في دولتي الآستانة والقاهرة وغيرهما. نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية أو وزارة فيكون أول همه منها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة ، يستنزفون ثروة الامة بالرشا والحيل وأكل السحت، ويكون كل مافضل عن شهواتهم بل جل ماينفقونه عليها نصيب الاجانب ؛ وقد شرحنا هذه الموضوعات من قبل في مواضعها من المنار والتفسير فلا نطيل فيها هنا . وإنما طرقنا هذا الباب لنذكركم أيها القارئون لهذه

الفاتحة بوجوب فهم القرآن والاهتداء به ، وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وذوق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول ﷺ وهدي السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه

انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينه ووجهة قلبه في تلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة ما بينه الله تعالى فيه من موضوع تنزيله، وفائدة ترتيله ، وحكمة تدبره ، من علم ونور ، وهدى ورحمة ، وموعظة وعبرة ، وخشوع وخشية، وسنن في العالم مطردة . فتلك غاية إنذاره وتبشيره ، ويلزمها عقلا وفطرة تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه ، وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة ، فانه كما قال (هدى للمتقين)

كان من سوء حظ المسلمين أن اكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين ، وتخريجات الأصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات ، وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعة وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بايراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة ، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد قارئها عما أنزل الله لاجله القرآن .

نعم ان اكثر ما ذكر من وسائل فهم القرآن : فنون العربية لا بد منها واصطلاحات الاصول وقواعده الخاصة بالقرآن ضرورية أيضا كقواعد النحو والمعاني، وكذلك معرفة الكون وسنن الله تعالى فيه كل ذلك يعين على فهم القرآن

وأما الروايات المأثورة عن النبي (ص) وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضروري أيضا ، لان ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء ، ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم ، والصحيح من هذا

وذاك قليل . وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير ؛ وجل ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم ، وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ، وفي تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدينة إرم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق ، وفي أمور الغيب من اشراط الساعة وقيامتها وما يكون فيها وبعدها ، وجل ذلك خرافات ومفتريات صدقهم فيها الرواة حتى بعض الصحابة (رض) ، ولذلك قال الامام احمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي . وكان الواجب جمع الروايات المفيدة في كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قيمة أسانيدها ثم يذكر في التفسير ما يصح منها بدون سند كما يذكر الحديث في كتب الفقه لكن يعزى الى مخرجه كما نفعل في تفسيرنا هذا

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه مامستنده النقل فقط ومنه مايعلم بغير ذلك،والمنقول إما عن المعصوم أو غيره ، ومنه مايمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه مالا يمكن ذلك ، وهذا القسم - الذي لايمكن معرفة صحيحه من ضعيفه - عامته مما لافائدة فيه ولاحاجة بنا الى معرفته ، وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه ، وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة وفي قدر سفينة نوح وخشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك . فهذه الامور طريقة العلم بها النقل ، فما كان منها منقولا نقلا صحيحاً عن النبي (ص) قبل ومالا بأن نقل عن اهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله (ص) « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب ، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض . وما نقل عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه أسكن مما ينقل عن التابعين لان احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى ، ولان نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ، ومع جزم الصحابي بمايقوله كيف يقال انه اخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم ؟

« واما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد وان قال الامام احمد ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي . وذلك لان الغالب عليها المراسيل . وأما مايعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان » .. ثم ذكر الجهتين اللتين هما مثار الخطأ (وإحداهما) حمل الفاظ القرآن على معاني اعتقدوها لتأييدها به أقول كجميع مقلدة الفرق والمذاهب في الاصول والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن فرعا لها يحمل عليها، وهذا شر أنواع البدع وتفسير القرآن بالرأي المذموم في الحديث (والثانية) التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به - وفصل ذلك بما يراجع في محله

فانت ترى ان هذا الامام المحقق جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف انه من رواة الاسرائيليات ، وهذا في غير مايقوم الدليل على بطلانه في نفسه . وصرح في هذا المقام بروايات كعب الاحبار ووهب بن منبه مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما فكيف لو تبين له مانبين لنا من كذب كعب ووهب وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها شيء منه ولا حومت حوله ؟ - وكذا مانقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب - يعني بخلاف ما اتفق عليه أهل الرواية من علماء التفسير وغيره منهم فانه يكون أبعد من أن يكون عن أهل الكتاب . وانما الوقف فيما ينقل نقلا صحيحا عن كتب الانبياء كالتوراة والانجيل التي عندهم، لا نصدقهم فيه لاحتمال انه مما حرفوا فيها ، ولا نكذبهم لاحتمال انه مما حفظوا منها ، فقد قال تعالى فيهم انهم (أوتوا نصيبا من الكتاب)

وأنت ترى أيضا أنه لم يجزم بما روي عن الصحابة [رض] من ذلك وإنما قال إن النفس اليه أسكن مما ينقل عن التابعين لان احتمال سماعه من النبي ﷺ أقوى من احتمال سماعه من بعض أهل الكتاب لقلة رواية الصحابة عنهم ، وهذا ينقض قول من أطلق الحكم بان ماقاله الصحابي الثقة مما لا يعرف بالاستدلال بل بالنقل

له حكم الحديث المرفوع . وقد علم أن بعض علماء الصحابة رووا عن أهل الكتاب حتى عن كعب الاحبار الذي روى البخاري عن معاوية أنه قال «ان كنا لنبلو عليه الكذب» ومنهم أبوهريرة وابن عباس [رض] ومن الصحابة من روى عن بعض التابعين الذين رووا عن أهل الكتاب فالحق أن كل مالا يعلم الا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وأمثاله لا يقبل في إثباته إلا الحديث الصحيح المرفوع الى النبي ﷺ وهذه قاعدة الامام ابن جرير التي يصرح بها كثيراً

هذا وإن كلام ابن تيمية لا ينقض قول الامام احمد فانه لم يعن به أنه لا يوجد في تلك الثلاثة رواية صحيحة البتة وانما يعني ان اكثرها لا يصح له سند متصل وما صح سنده الى بعض الصحابة يقل فيه المرفوع الذي يحتج به

وغرضنا من هذا كله ان أكثر ماروي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لنا اليه عن مقاصده العالية المزكية للانفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سنداً ولا موضوعاً ، كما أن المفضلين لسائر التفاسير لهم صوارف أخرى عنه كما تقدم

فكانت الحاجة شديدة الى تفسير تتوجه العناية الاولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، وهو ما ترى تفصيل الكلام عليه في المقدمة المقتبسة من دروس شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه . ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر في سهولة التعبير ، ومراعاة أفهام صنوف القارئين، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها، الى غير ذلك مما تراه قريباً وهو ما يسره الله بفضله لهذا العاجز، وهاك موجزاً من نبأ تيسيره له

كنت من قبل اشتغالي بطلب العلم في طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميالا إلى التصوف ، وكنت أنوي بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا . ولما رأيت نفسي أهلا لنفع الناس بما حصلت من العلم على قلته صرت أجلس إلى العوام في بلدنا أعظهم بالقرآن مغلبا الترهيب على الترغيب ، والخوف على الرجاء ، والانذار على التبشير، والزهد في الدنيا على القصد والاعتدال فيها،

في أثناء هذه الحال الغالبة علي ظفرت يدي بنسخ من جريدة العروة الوثقى في أوراق والدي فلما قرأت مقالاتها في الدعوة الى الجامعة الاسلامية وإعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته ، واسترداد ما ذهب من ممالكه ، وتحرير ما استعبد الاجانب من شعوبه ـ أثرت في قلبي تأثيراً دخلت به في طور جديد من حياتي ، وأعجبت جد الاعجاب بمنهج تلك المقالات في الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز ، وما تضمنه تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد من المفسرين على اختلاف أساليبهم في الكتابة ومداركهم في الفهم . وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى في ذلك ثلاثة أمور :

(أحدها) بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام الاجتماع البشري ، وأسباب ترقي الامم وتدليها ، وقوتها وضعفها (ثانيها) بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان ، وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، ومقتضى ذلك أنه دين روحاني اجتماعي ، ومدني عسكري ، وأن القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة العادلة ، والهداية العامة ، وعزة الملة ، لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة (ثالثها) أن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم فهم أخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا لغة ولا حكومة .

تلك المقالات التي حببت الي حكيمي الشرق ، ومجددي الاسلام ومصلحي العصر ، السيد جمال الدين الحسيني الافغاني والشيخ محمد عبده المصري ، وهما اللذان أنشآ جريدة العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ عقب احتلال الانكليز لمصر في أواخر سنة ١٢٩٩ وكان الكاتب لتلك المقالات العالية فيها هو الثاني ولكن بارشاد الاول وإدارته وسياسته ، وهو استاذه في هذا المنهج ومربيه عليه

توجهت نفسي بتأثير العروة الوثقى إلى الهجرة إلى السيد جمال والتلقي عنه وكان قد جاء الاستانة فكتبت اليه بترجمتي ورغبتي في صحبته وأنه لا يصدني عنها إلا إقامته في الاستانة لاعتقادي أنه لا يستطيع طول المقام فيها وعللت ذلك بقولي « لان بلاد الشرق أمست كالمريض الاحمق يأبى الدواء ويعافه لانه دواء »

وبعد أن توفاه الله تعالى اليه فيها تعلق أملي بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختباره وآرائه في الاصلاح الاسلامي ، وما زلت أتربص الفرص

لذلك حتى سنحت لي في رجب سنة ١٣١٥ وكان ذلك عقب إتمام تحصيلي للعلم في طرابلس وأخذ شهادة العالمية أو التدريس من شيوخي فيها. فهاجرت الى مصر وأنشأت المنار للدعوة الى الاصلاح

اتصلت بالشيخ في الضحوة الصغرى لليوم الذي وصلت في ليله الى القاهرة فكان اتصالي به من أول يوم كاتصال اللازم البين بالمعنى الاخص بملزومه، وكان أول اقتراح لي عليه أن يكتب تفسيراً للقرآن ينفخ فيه من روحه التي وجدنا روحها ونورها في مقالات (العروة الوثقى) الاجتماعية العامة . فقال ان القرآن لايحتاج الى تفسير كامل من كل وجه فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها مالم يتقنه بعض. ولكن الحاجة شديدة الى تفسير بعض الآيات ، ولعل العمر لايتسع لتفسير كامل ، فاقترحت عليه أن يقرأ درساً في التفسير وكان ذلك في شعبان سنة ١٣١٥ ثم كررت عليه الاقتراح في رمضان ، وكان يعتذر بما أذكر أهمه هنا

زرته يوم الجمعة ١٣ رمضان فقرأ لي عبارة من كتاب إفرنسي في الطعن على الاسلام وطفق يرد عليها بعد أن قال: إن هؤلاء الافرنج يأخذون مطاعنهم في الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام. قال ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثه المسلمون بإعراضهم عن كل مافي القرآن واشتغالهم بسفساف الامور . وطفق يتكلم بهذه المناسبة في تفسير قوله تعالى (هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعاً) وماذا كان ينبغي للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدوا بها

ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق إلا انه حاكم قاهر وسلطان عظيم قد أوجب الفتح على اتباعه لاجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، وقال فأين هذا من تسمية النصارى خالقهم بالاب الدال على الرأفة والعطف؟؟ ثم طفق الاستاذ يرد على هذا القول بالكلام على اسم الرب وما فيه من معاني التربية والعطف، والتفرقة بينه وبين معنى الأب، وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك من شؤون الوالد التي ينزه الله تعالى عن الاتصاف بها وأطال في ذلك .

وههنا دار بيني وبينه ما أذكر ملخصه كما كتبته بعد مفارقة ذلك المجلس وهو :

(قلت) لو كتبت تفسيراً على هذا النحو تقتصر فيه على حاجة العصر وتترك

كل ماهو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه . . .

قال : إن الكتب لاتفيد القلوب العمي فان دكان السيد عمر الخشاب مملوءة بالكتب من جميع العلوم وهي لا تعلم شيئا منها ، لا تفيد الكتب إلا إذا صادفت قلوبا متيقظة عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى في نشرها . إذا وصل لأيدي هؤلاء العلماء كتاب فيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه وإذا عقلوا منه شيئا يردونه ولا يقبلونه ، وإذا قبلوه حرفوه الى مايوافق علمهم ومشربهم كما جروا عليه في نصوص الكتاب والسنة التي نريد بيان معناها الصحيح وما تفيده .

« إن الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته وإشارته ولهجته في الكلام — كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ، وأيضا يمكن السامع أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه فاذا كان مكتوبا فمن يسأل ؟ : ان السامع يفهم ٨٠ في المائة من مراد المتكلم ، والقاريء لكلامه يفهم منه ٢٠ في المائة على ما أراد الكاتب . ومع ذلك كنت قرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الازهر وبعض طلبة المدارس الاميرية ، وكنت أذكر كثيراً من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم مع أنها كان من حقها أن تكتب . وماعلمت أحداً كتب منها شيئا خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق ، وكانا يراجعاني في بعض مايكتبان ، وأما المسلمون فلا

« قرأت تفسير سورة العصر في سبعة أيام وكل درس لايقل عن ساعتين أوساعة ونصف ، بينت فيها وجه كون نوع الانسان في خسر الامن استثنى الله تعالى ، وما المراد بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، مما لو جمع لكان رسالة حسنة في تفسير السورة ، وماعلمت أحداً كتب من ذلك شيئا إلا أن يكون عبد العزيز[1]

(قلت) إنه يوجد كثير من المتنبهين لحالة العصر والاسلام في البلاد المتفرقة وكثير منهم ما نبههم إلا (العروة الوثقى) وأنا لم أتنبه التنبه الذي أنا عليه إلا بها

(قال) إن بعض الناس يوجد فيهم خاصية أنهم يقدرون على الكلام بأي موضوع أمام أي انسان ، سواء كان يدرك الكلام ويقبله أم لا ، وهذه الخاصية كانت موجودة

١) قرأه بعد ذلك في الجزائر ثم كتبه باقتراحنا ونشرناه في المنار ووحده

عند السيد جمال الدين يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها وأنا كنت أحسده على هذا لانني تؤثر في حالة المجالس والوقت فلا تتوجه نفسي للكلام إلا إذا رأيت له محلا . وهكذا الكتابة ، فانني ربما أتصور أن أكتب بموضوع وعندما أوجه قواي لجمع مايحسن كتابته تتوارد على فكري معان كثيرة ووجوه للكلام جمة ، ثم يأتيني خاطر : لمن ألقى هذا الكلام ؟ ومن ينتفع به ؟ فأتوقف عن الكتابة . وأرى تلك المعاني التي اجتمعت عندي قد امتص بعضها بعضا حتى تلاشت ، ولا أكتب شيئا .

« ان حالة المخاطب تؤثر بي جداً ، ولذلك لا أتكلم بشي عن حالة الاسلام عند ما أجتمع بهؤلاء العلماء لأن أفكارهم منصرفة عن ذلك بالكلية ، ولذلك لا يعملون شيئا مع سعة وقتهم . وعند قراءة التفسير كنت أتكلم على حسب حالة الحاضرين لأنني لا أطالع عند ما أقرأ [1] لكنني ربما أتصفح كتاب تفسير إذا كان هناك وجه غريب في الاعراب أو كلمة غريبة في اللغة . فاذا حضرني جماعة من البلداء الخاملي الفكر أحلُّ لهم المعنى بكلمات قليلة . وإذا كان هناك من يتنبه لما أقول ويلقي له بالاً يفتح علي بكلام كثير

(قلت) إن الزمان لايخلو ممن يقدر كلام الاصلاح قدره وإن كانوا قليلين وسيزيد عددهم يوما فيوما ، فالكتابة تكون مرشداً لهم في سيرهم . وان الكلام الحق وان قل الآخذ به والعارف بشأنه لابد أن يحفظ وينمو بمصادفة المباءة المناسبة له وهو مقتضى ناموس (أي سنة) الانتخاب الطبيعي ، كما حفظت (العروة الوثقى) فان أوراقها الاصلية الضعيفة قد بليت لكن مافيها من المقالات البديعة المثال والفوائد العظيمة قد حفظت في الطروس والنفوس . الخ

ولم أزل به حتى أقنعته بقراءة التفسير في الازهر فاقتنع وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف أي في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى (وكان الله بكل شيء محيطا) من الآية ١٢٥ من سورة النساء فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين إذ توفي لثمان خلون من جمادى الاولى منها رحمه الله تعالى وأثابه

كانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير ، وهو

(١) لعله قال قبل أن أقرأ يعني انه لا يستعد لها بالمطالعة

أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ، ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الالفاظ والاعراب ونكت البلاغة ، وفي الروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات ، ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير ، فكان يقرأ عبارته فيقررها أو ينتقد منها ما يراه منتقداً ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

وكنت أكتب في أثناء إلقاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله وأحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ ، ولم ألبث أن اقترح عليّ بعض الراغبين في الاطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن أنشره في المنار فشرعت في ذلك في أول المحرم سنة ١٣١٨ وذلك في المجلد الثالث من المنار ، وكنت أولا أطلع الاستاذ الامام على ما أعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه فكان ربما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ، ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع ، بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به . على أنه لم يكن كله نقلا عنه ومعزواً اليه ، بل كان تفسيراً للكاتب من إنشائه اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جلّ ما استفاده منها ، لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه إذا جاء بعد كلام لي في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب ، فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي بعده قلت في بدئه (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملتزما في أول الامر بل يكثر في الجزء الاول مما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الاخرى أو من نص الآية على أنني عبرت عنه بأمالي مقتبسة

ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ كل ما أكتبه إما قبل طبعه وهو الغالب وإما بعده وهو الاقل لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبته عنه في مذكرات الدرس ، لان إقراره إياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو . وبعد أن توفاه الله تعالى صرت أرى من الامانة أن لا أعزو اليه الا ما كتبته عنه أو حفظته حفظا ، وصرت أكثر أن أقول : قال ما معناه ، أو ما مثاله ، أو ما ملخصه ، مثلا . على أنني أعتقد أنه لو بقي حيا واطلع عليه لاقره كله ،

وقد بدأت في حياته بتجريد تفسير الجزء الثاني من المنار وطبعه على حدته وتوفي قبل طبع نصفه ، فهو قد قرأ ماطبع منه مرتين. وقد اشتد شعوري بعد ذلك بان عليَّ وحدي تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعة ايداعه ماتلقيته عن هذا العالم الكبير المشرق البصيرة، وذي النصيب الوافر من إرث نبي الله داود عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وتبعة الامانة في النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحري الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح

وسبب البدء بطبع الجزء الثاني أن الأول كان مختصراً وغير ملتزم فيه ما التزمته فيما بعده من تفسير جميع عبارات الآيات وذكر نصوصها ممزوجة فيه ولذلك اقترحت على الاستاذ أن يعيد النظر فيه ويزيد فيه مايسنح له من زيادة أو إيضاح ، ولاسيما ايضاح ما انتقد عليه اجماله من الكلام في الملائكة والشياطين وتأويل قصة آدم فقرأ النصف الأول منه بعد نسخه له وزاد فيه مايراه القاريء معزواً الى خطه ومميزاً بوضعه بين علامتين بهذا الشكل [ ] وزدت أنا في جميع الجزء زيادات غير قليلة صار بها موافقاً لسائر الاجزاء في أسلوبه وكنت أميز زيادتي الاخيرة عن أقوالي التي أسندتها الى نفسي أولا في حال حياة الاستاذ بقولي : وأزيد الآن ، أو وأقول الآن ثم تركت ذلك واكتفيت بكلمة (أقول)

هذا وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، او يحل بعض المشكلات التي اعياحلها بما يطمئن به القلب وتسكن اليه النفس ، وأستحسن للقاريء أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير لتدبر القرآن والاهتداء به في نفسه ، وفي النهوض باصلاح أمته ، وتجديد شباب ملته : الذي هو المقصود بالذات منه ، وأسأله أن يخصني والاستاذ بدعواته الصالحة ؛

محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

﴿ سمت القبلة وأدلتها وأقواها بيت الابرة والقطب الشمالي ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في اسريجه — منوفية مصر

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا أطال الله حياته

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد عهدناك نصيراً للشريعة عاملا على توضيح مايدلهم علينا منها . لذا طرقنا باب فضيلتكم لنستنير برأيكم في موضوع تجادلنا فيه ولم يقتنع كل منا بأقوال أخيه نرجو التكرم باثبات الحقيقة ولكم الأجر والثواب

ياصاحب الفضيلة قال بعضنا إن البوصلة (بيت الابرة) هي العلامة الوحيدة لقبلة الصلاة لأن عقربها لايقف إلا مقابلا لبناء الكعبة

فراجعه البعض الآخر قائلا إن البوصلة ماوضعت إلا لمعرفة الجهات الأربع (الشمال . والجنوب . والشرق . والغرب) وبها يهتدي الملاحون والطيارون الى الجهات التي يقصدونها . وعلامة القبلة : هي قطب السماء مستدلا على ذلك بقول سادتنا العلماء في كتب الفقه (شعرا)

قطب السما اجعل حذوَ أذنٍ يسرى بمصر والعراق حذو الأخرى
والشأم خلفاً وأماما باليمن مواجهاً تكن بذا مستقبلن

وفسر الحذو أن يجعل القطب مقابلا لثقب الأذن اليسرى

فقال البعض الأول إن معنى الحذو أن يكون القطب خلف الأذن لا مقابلا لها ، وقال أيضا إن كتب الفقه محرفة وكل واقف للصلاة في محراب المساجد كلها حتى محراب الجامع الازهر يجعل القطب خلف أذنه اليسرى لا مقابلا لها ثم قال انه لايصح مخالفة محراب المساجد ولو تبين له بالدليل الشرعي انه منحرف انحرافا كبيرا ثم قال انه لو قال كائنا من كان بخلاف ذلك يكون كاذبا ولا يصح الاقتداء به . لذا نرجو التكرم علينا بشرح أقوال الطرفين شرحا وافيا حتى يتبين لنا

الحق فنتبعه وهل الذي يجعل القطب خلف أذنه بمصر عامداً متعمداً صلاته صحيحة أم لا ؟ جعلكم الله مصباحا نستضيء به في ظلمات الشبهات . وتفضلوا

ياصاحب الفضيلة بقبول احتراماتنا مرسي سيف

باسريجة ـ منوفية

(ج) ان بيت الابرة تقف ابرته المشابهة لعقرب الساعة وأحد طرفيها متجه الى جهة الشمال دائماوهو الطرف الأخضر القصير والطرف الآخر متجه الى جهة الجنوب فيعرف بذلك الشرق والغرب وسائر الجهات غير الاصلية من الخطوط التي ترسم في قاعدتها فيستدل بها على القبلة من يعرف موقعها في كل قطر والعلم الخاص بذلك علم تقويم البلدان ولكن الفقهاء يذكرون ذلك في كتبهم ومنهم من ألف في ذلك رسائل مخصوصة ، ومن المعلوم المنصوص في الكتب ان الجنوب قبلة المدينة والشام والشمال قبلة اليمن وأما قبلة مصر فهي بين الجنوب والشرق ويقابلها العراق فقبلتها بين الجنوب والغرب ويعرف هذا وذاك بخطوط بيت الابرة . وأما نجم القطب الشمالي فهو أضبط الأدلة لمعرفة الجهات لانه ثابت لا يتغير موقعه في الشمال فمن استدبره كان متوجهاً الى الجنوب لذلك يجعله أهل الشام وراء ظهورهم في صلاتهم الخ فعلم من ذلك ان أهل مصر يجعلونه خلف الأذن اليسرى لأن قبلتهم بين الجنوب والشرق . وحذو الشيء وحذاؤه مقابله وتجاهه لا خلفه وانما يكون القطب حذاء ثقب الأذن اليسرى لمن كانت قبلته جهة الجنوب كأهل المدينة المنورة وأهل الشام وكذلك قال الفقهاء في الكتب التي نعرفها فصواب الشعر الذي ذكرتموه «خلف أذن يسرى» وإلا فهو خطأ

وأما المحاريب في البلاد الاسلامية فالمتواتر منها معتمد لا يحتاج فيه الى اجتهاد وليس لأحد فيها رأي ومنها محراب الجامع الازهر ، ولا يعتد بقول من يخالف ذلك ولا قول من يقول ان كتب الفقه محرفة ـ هكذا على الاطلاق ـ فكثير من كتب الفقه في غاية الضبط والاتقان وما يقع في بعضها من تحريف النساخ أو المطابع فيعرفه الفقهاء ومنها الأصول المصححة على مصنفيها أو خطوطهم والمتلقاة بالاجازة والتلقين أحدهما أو كليهما : والله أعلم

﴿ تعليق الامراض بالأوهام وسؤال عن ٣ أحاديث ﴾

(س ٢٦) لصاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام مفتي الانام ومرجع العلماء الاعلام شيخ الاسلام الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فاني أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي راجياً التكرم بالاجابة عليه خدمة لله تعالى ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم وأطلب الى سيادتكم أن لا تحيلونا على فتاوى سبقت لكم في مجلدات مجلة المنار بهذا الشأن لاننا خلو منها والله تعالى يكلؤكم برعايته ويمدكم بتوفيقاته ويجزل لكم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة .

ماقولكم دام فضلكم فيمن يتوهم نه أنه اذا لبس الثوب الفلاني أو اذا دخل المنزل الفلاني أو اذا فعل الأمر الفلاني أو اذا قرأ السورة الفلانية أو الآية الفلانية أو الفائدة الفلانية وغير ذلك يصيبه المرض الفلاني أو المرض الفلاني أو يموت واذا قرأ أوراده في الصباح والمساء يتوهم أنه لم يقرأ الجملة الفلانية أو لم يبينها أو يلحن فيها فيكررها المرة بعد المرة فهل كل ذلك وسوسة شيطانية أم لا ؟ وما حكم الله تعالى ورسوله في ذلك كله وهل لكل ذلك دواء شاف في الشريعة المطهرة أم لا — وهل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين أم لا وهما « يس لما قرئت له » وفي رواية أخرى « يس قلب القرآن » و« خذوا من القرآن ماشئتم لما شئتم » تفضلوا بالجواب ولكم الأجر والثواب

السائل : عبد الحفيظ ابراهيم اللادقي

ببيروت

(ج) للامراض أسباب ليس منها لبس ثوب معين أو دخول دار معينة أو قراءة آية أو سورة أو ورد ولا تركها ولكن قد يكون في بعض الثياب أو الدور أقذار مشتملة على جراثيم بعض الامراض فيكون لبسها أو دخولها سبباً

المرض باتصال تلك الجراثيم باللابس أو المقيم في الدار لا لذات الثوب أو الدار — وما عدا ذلك فأوهام خرافية لا علاج لها إلا العلم الصحيح بالاسباب والمسببات وسنن الله في صحة الأبدان ، ويحكم الشرع بأن هذه الأوهام جهالة ما أنزل الله بها من سلطان وتكرار الآية أو الجملة أو الكلمة من الورد أو غيره لتوهم اللحن أو الترك وسوسة شيطانية سببها كما قال العلماء قلة العقل أو الجهل بالشرع .

أما حديث « يس لما قرئت له » فقال الحافظ السخاوي لا أصل لهذا اللفظ ولكن حديث « يس قلب القرآن » مروي وله تتمة ولكنه ليس بصحيح . وأما حديث « خذوا من القرآن ماشئتم لما شئتم » فلم أره في شيء من كتب الحديث

﴿ الاعتماد على كتب ابن تيمية والطاعن فيه ﴾

(س ٢٧) من صاحب الامضاء في زنجبار

ماقولكم فيمن اعتقد وصرح بأن من يعتمد على كتب ابن تيمية الامام المشهور لا يؤخذ قوله ولا يجوز العمل بأقواله ولا أن يولى القضاء ولا الشهادة بحجة أنه خرق الاجماع في ستين مسئلة في مذهب أهل السنة والجماعة محمد عبدالله قرنح

(ج) ان من اعتقد ماذكر جاهل بالشرع مقلد لأمثاله من العوام المقلدين فان كان يعني بالاعتماد على كتب ابن تيمية تقليده في كل مايراه فيها فحكم مقلده فيها حكم مقلد غيره من علماء المسلمين ومنهم أئمة الفقه المشهورون دع من دونهم من مقلديهم وقد بينا ذلك مراراً بالتفصيل تارة وبالاجمال أخرى وآخر مانشرناه في ذلك وفي بيان مكان ابن تيمية وكتبه مارآه السائل في باب الفتاوى من الجزء السادس من هذا المجلد وهو يغنينا عن الاطالة هنا . إلا أننا نزيد عليه ان جميع أئمة الشرع يقولون بأن شرط من يولى القضاء أن يكون مجتهداً في الشرع ، ومن قال يصح تولية المقلد القضاء اشترط فيه عدم وجود المجتهد الصالح للقضاء وقالوا انه يستفتي في الوقائع غير المنصوصة وهم يشترطون الاجتهاد في المفتي . وأمثال هؤلاء ينتفعون بكتب ابن تيمية أكثر من انتفاعهم بكتب سائر فقهاء المذاهب لانه يذكر المسائل بأدلتها ويرجح بينها بدون تعصب لمذهب أو إمام ،

وأمثال هؤلاء يعرفون ماعساه يخالف الاجماع من أقواله إن وجد كما ادعى بعض المتعصبين عليه ممن لا يبلغون رتبة أوسط تلاميذه .

وأما الشهادة فشرطها العدالة ولا دخل فيها لكتب ابن تيمية ولا غيره

﴿ افتراء عقائد في عالم الغيب وحياة الرسول فيه وجعله عقيدة ﴾ وتكفير من لا يتبع مبتدعها فيها

(ومنه) هل يجب على المؤمن أن يعتقد ان النبي ﷺ حي في قبره حياة دنيوية وانه يتمشى في انكون على مايشاء وإن ذاته الشريفة تحضر في المجلس الذي تقرأ فيه قصة مولده ﷺ وبالأخص البرزنجي ، وأن من لم يعتقد كل ذلك يخرج من دائرة الاسلام ويفسخ نكاح زوجته ومأواه النار والعياذ بالله ؟ وأنس من حضرتكم فتوى يطمئن بها الخاطر وينشرح الصدر حجة لنا لا علينا ودمتم محفوظين بالعناية الإلهية آمين والسلام

(ج) ليس لأحد من خلق الله أن يوجب على أحد من عباده عقيدة ليس فيها نص قطعي في كتاب الله أو سنة رسوله وأجمع عليها أهل الصدر الأول . فان العقائد لا يقبل فيها دليل القياس عند من يقولون إنه حجة في الشرع دع من يرفضون الاحتجاج به مطلقا أو فيما عدا المنصوص على علة الحكم فيه ، وذلك لانه عند المحتجين به دليل ظني خاص بالاحكام العملية والتحقيق أنه خاص فيما دون التعبديات منها ، والله تعالى يقول (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) وأجمعوا على أن أمور الغيب تؤخذ من نصوص الشارع القطعية ولا يقاس عليها ولا يحتاج فيها الى القياس لانها من أصول الدين والله تعالى يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فاذا تذكرت هذه القواعد القطعية علمت أن من أوجبوا على المؤمن أن يعتقد ماذكر في السؤال وكفروه بعدم قبول زعمهم ضالون مضلون قد كذبوا على الله ورسوله وشرعه ويصدق عليهم قوله تعالى في أصول المحرمات والكفر (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ومكذبون لقوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) ومخالفون لاجماع المسلمين ، فهم أجدر بالكفر

والخروج من الملة ممن يكفرونه بعدم تصديق بدعهم في المولد وقصة البرزنجي وغيره والواجب عليهم عند إعلامهم بذلك أن يتوبوا ويجددوا إسلامهم فان التشريع الديني كفر صريح وصرح بعضهم بأنه أشد من الشرك لان ضرره متعد كما بيناه في تفسير سورة الاعراف تبعا لغيرنا من العلماء ، ومنه تكفير المسلمين الذين لا يقبلون بدعهم . وأئمة أهل السنة لا يكفرون مسلما إلا بجحد ما هو مجمع عليه ومعلوم من الدين بالضرورة لأن غير المعلوم من الدين بالضرورة يعذر منكره بالجهل . قال صاحب عقيدة الجوهرة

ومن لمعلوم ضرورة جحد من ديننا يُقتل كفراً ليس حد

فكيف يكفر المسلم بانكار لبدع وإنكارها واجب شرعا ؟ وقراءة قصة المولد بدعة ومن أشد فسادها اعتقاد هؤلاء المبتدعة ما ذكرتموه بشأنها وهو كفر صريح وقصة البرزنجي وغيرها فيها مشتملة على أكاذيب أغنى الله خاتم رسله عنها بما مدحه به في كتابه وما هدى به من خلقه ، وحياته بعد الموت من عالم الغيب من قال فيه قولا من رأيه قياسا على حياة الدنيا التي انقطعت بموته وإلا لم يكن ميتا فهو كاذب مفتر على الله تعالى ورسوله (ص) ومنه ما ذكرتم في السؤال .

ومن عجيب امر هؤلاء المبتدعة أنهم يخترعون عقائد الاسلام ليس لها أصل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولم يقل بها أحد من الائمة المجتهدين على أنه لو قال بها لردها المسلمون عليه . ثم انهم يطعنون في كتب الامام المجتهد شيخ الاسلام ابن تيمية لما اقتراه عليه بعض المقلدين زعمهم أنه خالف الاجماع في بعض مسائل الفروع يعنون إجماع فقهائهم وهم يجهلون اختلاف الائمة وعلماء الاصول في حجية هذا النوع من الاجماع وفي إمكانه أيضا . وأشهر المسائل التي زعموا انه خالف فيها الاجماع مسألة طلاق الثلاث بلفظ العدد مرة واحدة وسترى قيمة زعمهم في الفتوى التالية

(طلاق الثلاث بلفظ واحد)

(س ٢٨) من صاحب الامضاء بكفر مجر (مصر)

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قلتم في المنار في م ٢٨ ج ٧ ص

٥١٢ س ١٤ « وقد كان شيخ الاسلام - ابن تيمية - يفتي بوقوع الواحدة وكذا تلميذه العلامة ابن القيم وهذا الذي نعتقده ونختاره » وحينئذ تكونون أحق من يرجع اليه في استيضاح عبارتيهما وقد استدل ابن تيمية على رأيه هذا بحديث رواه الامام احمد بن حنبل في المسند ص ٢٦٥ ج ١ من طريق ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن ركانة بن عبد يزيد طلق زوجته سهيمة ثلاثا فقال له النبي ﷺ انما تلك واحدة وقال ان هذا الحديث رواه أبو داود في سننه عن ابن عباس من وجه آخر ولام أبا داود على طعنه على هذا الحديث مع جعله رواية أبي داود شاهدا لرواية الامام احمد هذه كما أوضحه في الجزء الثالث من فتاويه من ص ١٨ الخ وقد راجعت سنن أبي داود فوجدته كما يتضح لكم في (باب نسخ المراجعة بعد الثلاثة تطليقات) الثاني أن الذي رواه من طريق عبد الرازق عن عن ابن جريج عن بعض بني أبي رافع عن عكرمة أيضا عن ابن عباس أن المطلق هو عبد يزيد أبو ركانة طلق أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فعابته فاستحضر النبي أولاده ركانة وغيره وأمر عبد يزيد فطلق المزنية وراجع له أم ركانة مع قوله له طلقتها ثلاثا وان أباداود أتبع هذه الرواية بقوله : وحديث نافع بن عجير وعبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة عن ابيه عن جده ان ركانة طلق امرأته فردها اليه النبي ﷺ أصح لان ولد الرجل واهله أعلم به ان ركانة انما طلق امرأته البتة فجعلها النبي ﷺ واحدة ثم بعد ثلاثة أبواب ترجم (باب في البته) وأتى بروايات عن نافع بن عجير وعبد الله المذكورين من طريق الامام الشافعي رضي الله عنه وغيره وفيها ان المطلق هو ركانة وان طلاقه كان بلفظ البته وانه حلف انه ما أراد الا واحدة فردها اليه النبي ﷺ فاي شاهد في ذلك (يقصد ابن تيمية) لحديث الامام احمد وأي رواية رواها أبو داود عن ابن عباس بما في الحديث من وجه آخر فان رواية باب نسخ المراجعة بعكس ما ذكر أي أنها تعتبر معارضة لحديث الامام احمد حيث ان الراوي فيهما واحد وهو عكرمة والمروي مختلف فاين أن المطلق ركانة من أن المطلق والده بناء على حادثة زواج المزنية فلا سبيل للجمع بين الروايتين بحال كما أنه لا قائل بتعدد الحادثة مطلقا وكون المطلق ركانة وان طلاقه كان بلفظ البته وأنه حلف

بعد استحلاف النبي له على ما أراد بلفظ البتة أمر مستفيض بين المحدثين من انه حلف ما أراد الا واحدة فردها اليه رسول الله ﷺ

فباي الروايتين نصدق عكرمة وتصديقه في احداهما يلزم عليه تكذيبه في الاخرى فصار المتعين رفض الروايتين

وليس من غرضنا ذكر كل ما يؤخذ على ابن تيمية في هذه المسألة التي خرج فيها على الائمة الاربعة بدون مبالاة انما نريد فهم عبارته التي نسب فيها لابي داود أحد اصحاب الكتب الستة مراجع المسلمين عكس مراده بل ماتبرأ منه صراحة أما الامام احمد فلم يعلق على حديثه بشيء يفيد التبرأ منه أو التمسك به ولكن نقل عنه مجد الدين بن تيمية الكبير في كتابه منتقى الاخبار مايدل على تبرئه وهو قوله (كل اصحاب ابن عباس رووا عنه خلاف ماقال طاوس) يشير بذلك لرد رواية طاوس عن ابن عباس من ان الطلاق كان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنهما طلاق الثلاث واحدة . لانه ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه بواسطة ثمانية من اشهر أصحابه القول بلزوم الثلاث وتأول العلماء أثر طاوس تأويلات كثيرة أصحها ان ذلك كان في غير المدخول بها كما رواه أبو داود وغيره وهذا هو المتعين أمام ثلاثة من اصحاب الكتب الستة جزموا برواية أن ركانة طلق البته وحلف كماسبق وهم أبو داود المذكور والترمذي وابن ماجه ، وباقي الستة البخاري ومسلم والنسائي لم يخالفوهم وكما رواه الحاكم وابن حبان وصححه والدرامي المطبوع على هامش منتقى الاخبار ومثلهم أبو يعلى والبغوي وابن شاهين وابن منده كما نقله الحافظ بن حجر في الاصابة في ترجمة يزيد بن ركانة وكذا الدارقطني وغيره وعلى ذلك اجماع المحدثين بل هو قول جميع المسلمين

عبد الرحمن الجمجموني — بكفر مجر غربية

(ج) إن اضطراب السائل في روايتي عكرمة وفي فهم كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية لحديث أبي داود وفي رأي جده مجد الدين المخالف لرأيه هو في المسألة وما أوهمه أول سؤاله من أن ابن تيمية لم يستدل الا بهذا الحديث — وقوله إن البخاري ومسلماً والنسائي لم يخالفوا أبا داود والترمذي وابن ماجه في حمل

حديث عدم وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد على غير المدخول بها من أنهم يقولون بذلك وإن كان هـذا الايهام على بطلانه لاينطبق على قاعدة من القواعد. بل يستلزم الباطل القطعي وهو ان كل ما رواه راو أو رآه باحث ولم يكذبه فيه سائر العلماء يكون ثابتا عنـدهم — ان ماذكر كله وما هو أبعد منه عن ابحاث أهل العلم وأهل العدالة والفهم من دعوى الاجماع في المسألة والتعبير بالخروج على الائمة الاربعة ـ مما لانضيع وقتنا بالبحث فيه لأننا لانكلف مناقشة أقوال السائلين ، ولاإفهام العوام دلائل المجتهدين ، وانما نتكلم هنا في أصل المسألة لبيان ما اعتمدنا عليه في اختيارنا لفتوى شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية لكثرة السؤال عنها ، ومنه يعلم اننا نتبع الدليل ولسنا مقلدين له فيها ، فنقول :

إن الحافظ ابن حجر ذا الاطلاع الواسع على كتب الحديث كلها ووجوه الترجيح بين الروايات فيها ، وعلى أقوال ائمة السلف وائمة الامصار واساطين المفسرين وفقهاء المذاهب المشهورة قد لخص المسألة في فتح الباري وذكر اشهر الاقوال فيها حريصا في ذلك على ترجيح مذاهب الفقهاء الاربعة فنذكر هذا لانه أجمع ما رأيناه لتأييـدهم في المسألة ونقفي عليه بمـا نراه فيه من ضعف وقوة وما هو الى الحق اقرب ، وبالقبول اجدر ، كما هو شأن طالب الحق بدليله لذاته لا لتقوية حجة القائل به ، فنقول

قال الحافظ في شرح قول البخاري في صحيحه (باب من جوز الطلاق الثلاث) ما نصه : « وفي الترجمة إشارة الى ان من السلف من لم يجز وقوع الطلاق الثلاث فيحتمل أن يكون مراده بالمنع من كره البينونة الكبرى وهي بايقاع الثلاث أعم من أن تكون مجموعة أو مفرقة ويمكن أن يتمسك له بحديث « أبغض الحلال الى الله الطلاق » وقد تقدم في أوائل الطلاق ، وأخرج سعيد بن منصور عن أنس أن عمر كان اذا أتي برجل طلق امرأته ثلاثا أوجع ظهره . وسنده صحيح . ويحتمل أن يكون مراده بعدم الجواز من قال لايقع الطلاق اذا أوقعها مجموعة للنهي عنه وهو قول للشيعة وبعض أهل الظاهر وطرد بعضهم ذلك في كل طلاق منهي كطلاق

الحائض وهو شذوذ ، وذهب كثير منهم الى وقوعه مع منع جوازه واحتج له بعضهم بحديث محمود بن لبيد قال أخبر النبي ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام مغضباً فقال « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » الحديث أخرجه النسائي ورجاله ثقاة لكن محمود بن لبيد ولد في عهد النبي ﷺ ولم يثبت له منه سماع وان ذكره بعضهم في الصحابة فلأجل الرؤية ، وقد ترجم له أحمد في مسنده وأخرج له عدة أحاديث ليس فيها شيء صرح فيه بالسماع وقد قال النسائي بعد تخريجه لا أعلم أحداً رواه غير مخرمة بن بكير يعني ابن الاشج عن أبيه اه ورواية مخرمة عن أبيه عند مسلم في عدة أحاديث وقد قيل انه لم يسمع من أبيه وعلى تقدير صحة حديث محمود فليس فيه بيان أنه هل أمضى عليه الثلاث مع إنكاره عليه ايقاعها مجموعة أولا ، فأقل أحواله أن يدل على تحريم ذلك وإن لزم وقد تقدم في الكلام على حديث ابن عمر في طلاق الحائض أنه قال لمن طلق ثلاثا مجموعة : عصيت ربك وبانت منك امرأتك ، وله ألفاظ أخرى نحو هذه عند عبد الرزاق وغيره ، وأخرج أبو داود بسند صحيح من طريق مجاهد قال كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال انه طلق امرأته ثلاثا فسكت حتى ظننت أنه سيردها اليه فقال ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس ان الله قال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وانك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا عصيت ربك وبانت منك امرأتك ، وأخرج أبو داود له متابعات عن ابن عباس بنحوه

ومن القائلين بالتحريم واللزوم من قال اذا طلق ثلاثا مجموعة وقعت واحدة وهو قول محمد بن إسحاق صاحب المغازي واحتج بما رواه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال طلق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثا في مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديداً فسأله النبي ﷺ كيف طلقتها قال ثلاثا في مجلس واحد فقال النبي ﷺ « انما تلك واحدة فارتجعها إن شئت » فارتجعها وأخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه من طريق محمد بن إسحق ، وهذا الحديث نص في المسئلة لا يقبل التأويل الذي في غيره من الروايات الآتي ذكرها وقد أجابوا عنه بأربعة أشياء (أحدها) أن محمد بن إسحق وشيخه مختلف فيهما وأجيب بأنهم احتجوا في

عدة من الاحكام بمثل هذا الاسناد كحديث أن النبي ﷺ رد على أبي العاص ابن الربيع زينب ابنته بالنكاح الاول وليس كل مختلف فيه مردودا (١)

(الثاني) معارضته بفتوى ابن عباس بوقوع الثلاث كما تقدم من رواية مجاهد وغيره فلا يظن بابن عباس أنه كان عنده هذا الحكم عن النبي ﷺ ثم يفتي بخلافه إلا بمرجح ظهر له، وراوي الخبر أخبر من غيره بما روى. وأجيب بأن الاعتبار برواية الراوي لا برأيه لما يطرق رأيه من احتمال النسيان وغير ذلك، وأما كونه تمسك بمرجح فلم ينحصر في المرفوع لاحتمال التمسك بتخصيص أو تقييد أو تأويل وليس قول مجتهد حجة على مجتهد آخر

(الثالث) أن أبا داود رجح أن ركانة انما طلق امرأته البتة كما أخرجه هو من طريق آل بيت ركانة وهو تعليل قوي لجواز أن يكون بعض رواته حمل البتة على الثلاث فقال طلقها ثلاثا فبهذه النكتة يقف الاستدلال بحديث ابن عباس (٢)

(الرابع) أنه مذهب شاذ فلا يعمل به وأجيب بأنه نقل عن علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير مثله نقل ذلك ابن مغيث في كتاب الوثائق له وعزاه لمحمد بن وضاح ونقل الغنوي ذلك عن جماعة من مشايخ قرطبة كمحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهما ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار، ويتعجب من ابن التين حيث جزم بأن لزوم الثلاث لا اختلاف فيه وانما الاختلاف في التحريم مع ثبوت الاختلاف كما ترى

ويقوي حديث ابن إسحق المذكور ما أخرجه مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم، ومن طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه أن أبا الصهباء قال لابن عباس أتعلم انما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد

(١) ولا بن القيم كلام مسهب في عدالة محمد بن إسحق في الرواية والاحتجاج به

(٢) العكس أولى وأقوى وهو التعبير عن الثلاث بالبتة فان البتة تكون بغير الثلاث

رسول الله ﷺ وأبي بكر وثلاثا من امارة عمر ؟ قال ابن عباس نعم، ومن طريق حماد بن زيد عن أيوب عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس أن أبا الصهباء قال لابن عباس ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ واحدة ؟ قال قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم . وهذه الطريق الاخيرة أخرجها أبو داود لكن لم يسم ابراهيم بن ميسرة وقال بدله عن غير واحد ، ولفظ المتن أما علمت أن الرجل كان اذا طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة ؟ الحديث ، فتمسك بهذا السياق من أعل الحديث وقال انما قال ابن عباس ذلك في غير المدخول بها [1]

وهذا أحد الأجوبة عن هذا الحديث وهي متعددة وهو جواب إسحاق بن راهويه وجماعة وبه جزم زكريا الساجي من الشافعية ووجهوه بأن غير المدخول بها تبين اذا قال لها زوجها أنت طالق فاذا قال ثلاثا لغا العدد لوقوعه بعد البينونة وتعقبه القرطبي بأن قوله أنت طالق ثلاثا كلام متصل غير منفصل فكيف يصح جعله كلمتين وتعطى كل كلمة حكما . وقال النووي أنت طالق معناه أنت ذات الطلاق وهذا اللفظ يصح تفسيره بالواحدة وبالثلاث وغير ذلك [1]

(الجواب الثاني) دعوى شذوذ رواية طاوس وهي طريقة البيهقي فانه ساق الروايات عن ابن عباس بلزوم الثلاث ثم نقل عن ابن المنذر أنه لا يظن بابن عباس أنه يحفظ عن النبي ﷺ شيئا ويفتي بخلافه فيتعين المصير الى الترجيح، الأخذ بقول الأكثر أولى من الاخذ بقول الواحد اذا خالفهم ، وقال ابن العربي هذا حديث مختلف في صحته فكيف يقدم على الاجماع [2] قال ويعارضه حديث محمود ابن لبيد يعني الذي تقدم أن النسائي أخرجه فان فيه التصريح بأن الرجل طلق ثلاثا مجموعة ولم يرده النبي ﷺ بل أمضاه . كذا قال وليس في سياق الخبر تعرض لامضاء ذلك ولا لرده

(١) وذكر الشوكاني جوابا آخر وهو ان التقييد بقبل الدخول لا ينافي صدق الرواية الأخرى الصحيحة على المطلقة بعد الدخول وغاية مافي هذه الرواية انه وقع فيها التنصيص على بعض افراد الرواية الصحيحة المذكورة في الباب وذلك لا يوجب الاختصاص بالبعض الذي وقع التنصيص عليه (٢) الحديث صحيح والاجماع غير واقع

(الجواب الثالث) دعوى النسخ فنقل البيهقي عن الشافعي أنه قال يشبه أن يكون ابن عباس علم شيئا نسخ ذلك قال البيهقي ويقويه ما أخرجه أبو داود من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل اذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك وقد أنكر المازري ادعاء النسخ فقال زعم بعضهم أن هذا الحكم منسوخ وهو غلط فان عمر لاينسخ ولو نسخ وحاشاه لبادر الصحابة الى إنكاره، وإن أراد القائل أنه نسخ في زمن النبي ﷺ فلا يمتنع لكن يخرج عن ظاهر الحديث لانه لو كان كذلك لم يجز للراوي أن يخبر ببقاء الحكم في خلافة أبي بكر وبعض خلافة عمر،

(فان قيل) فقد يجمع الصحابة ويقبل منهم ذلك (قلنا) انما يقبل ذلك لانه يستدل باجماعهم على ناسخ وأما أنهم ينسخون من تلقاء أنفسهم فمعاذ الله لانه إجماع على الخطأ وهم معصومون عن ذلك. (فان قيل) فلعل النسخ انما ظهر في زمن عمر (قلنا) هذا أيضاً غلط لانه يكون قد حصل الاجماع على الخطأ في زمن أبي بكر وليس انقراض العصر شرطا في صحة الاجماع على الراجح (قلت) نقل النووي هذا الفصل في شرح مسلم وأقره وهو متعقب في مواضع:

(أحدها) ان الذي ادعى نسخ الحكم لم يقل ان عمر هو الذي نسخ حتى يلزم منه ماذكر وانما قال مانقدم يشبه أن يكون علم شيئا من ذلك نسخ - أي اطلع على ناسخ للحكم الذي رواه مرفوعا ولذلك أفتى بخلافه وقد سلم المازري في أثناء كلامه أن اجماعهم يدل على ناسخ وهذا هو مراد من ادعى النسخ

(الثاني) إنكاره الخروج عن الظاهر عجيب فان الذي يحاول الجمع بالتأويل يرتكب خلاف الظاهر حتما

(الثالث) أن تغليطه من قال المراد ظهور النسخ عجيب أيضاً لان المراد بظهوره انتشاره وكلام ابن عباس أنه كان يفعل في زمن أبي بكر محمول على أن الذي كان يفعله من لم يبلغه النسخ فلا يلزم ماذكر من إجماعهم على الخطأ وما أشار اليه من مسئلة انقراض العصر لايجيء هنا لان عصر الصحابة لم ينقرض في زمن أبي بكر بل ولا عمر فان المراد بالعصر الطبقة من المجتهدين وهم في زمن أبي بكر وعمر

بل واحدة بعدهما [١]

(الجواب الرابع) دعوى الاضطراب قال القرطبي في المفهم وقع فيه مع الاختلاف على ابن عباس الاضطراب في لفظه وظاهر سياقه يقتضي النقل عن جميعهم أن معظمهم كانوا يرون ذلك والعادة في مثل هذا أن يفشو الحكم وينتشر فكيف ينفرد به واحد عن واحد؟ قال فهذا الوجه يقتضي التوقف عن العمل بظاهره إن لم يقتض القطع ببطلانه [٢]

(الجواب الخامس) دعوى أنه ورد في صورة خاصة فقال ابن سريج وغيره يشبه أن يكون ورد في تكرير اللفظ كأن يقول أنت طالق أنت طالق أنت طالق وكانوا أولا على سلامة صدورهم يقبل منهم أنهم أرادوا التأكيد فلما كثر الناس في زمن عمر وكثر فيهم الخداع ونحوه مما يمنع قبول من ادعى التأكيد حمل عمر اللفظ على ظاهر التكرار فأمضاه عليهم وهذا الجواب ارتضاه القرطبي وقواه بقول عمر إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، وكذا قال النووي ان هذا أصح الاجوبة [٣]

(الجواب السادس) تأويل قوله واحدة وهو أن معنى قوله كان الثلاث واحدة ان الناس في زمن النبي ﷺ كانوا يطلقون واحدة فلما كان زمن عمر كانوا يطلقون ثلاثا، ومحصله أن المعنى أن الطلاق الموقع في عهد عمر ثلاثا كان يوقع قبل ذلك واحدة لانهم كانوا لا يستعملون الثلاث أصلا أو كانوا يستعملونها نادراً

---

(١) قال الشوكاني في عبارة الشافعي: ويجاب بأن النسخ إن كان بدليل من كتاب أو سنة فما هو؟ وإن كان بالاجماع فأين هو؟ على انه يبعد أن يستمر الناس أيام أبي بكر وبعض أيام عمر (أي ثلاث سنين) على أمر منسوخ. وإن كان الناسخ قول عمر فحاشاه أن ينسخ سنة ثابتة بمحض رأيه وحاشا أصحاب رسول الله (ص) أن يجيبوه الى ذلك اه

(٢) قال الشوكاني في دعوى الاضطراب: وهو زعم فاسد لا وجه له اه

(٣) أجاب الشوكاني عن هذا بما حاصله ان حكم تكرار الطلاق واحد في كل عصر عند جميع العلماء ولم يجعل أحد منهم لكل عصر حكما

وأما في عصر عمر فكثر استعمالهم لها، ومعنى قوله فأمضاه عليهم وأجازه وغير ذلك أنه صنع فيه من الحكم بايقاع الطلاق ما كان يصنع قبله ورجح هذا التأويل ابن العربي ونسبه الى أبي زرعة الرازي وكذا أورده البيهقي باسناده الصحيح الى أبي زرعة أنه قال معنى هذا الحديث عندي أن ما تطلقون أنتم ثلاثا كانوا يطلقون واحدة، قال النووي وعلى هذا فيكون الخبر وقع عن اختلاف عادة الناس خاصة لا عن تغير الحكم في الواحدة فالله أعلم

(الجواب السابع) دعوى وقفه فقال بعضهم ليس في هذا السياق أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فيقره والحجة انما هي في تقريره وتعقب بأن قول الصحابي كنا نفعل كذا في عهد رسول الله ﷺ في حكم الرفع على الراجح حملا على أنه اطلع على ذلك فأقره لتوفر دواعيهم على السؤال عن جليل الاحكام وحقيرها (١)

(الجواب الثامن) حمل قوله ثلاثا على أن المراد بها لفظ البتة كما تقدم في حديث ركانة سواء وهو من رواية ابن عباس أيضا وهو قوي ويؤيده إدخال البخاري في هذا الباب الآثار التي فيها البتة والاحاديث التي فيها التصريح بالثلاث كأنه يشير الى عدم الفرق بينهما وأن البتة اذا أطلقت حمل على الثلاث إلا إن أراد المطلق واحدة فيقبل فكأن بعض رواته حمل لفظ البتة على الثلاث لاشتهار التسوية بينهما فرواها بلفظ الثلاث وانما المراد لفظ البتة وكانوا في العصر الاول يقبلون ممن قال أردت بالبتة الواحدة فلما كان عهد عمر أمضى الثلاث في ظاهر الحكم. قال القرطبي وحجة الجمهور في اللزوم من حيث النظر ظاهرة جداً وهو أن المطلقة ثلاثا لاتحل للمطلق حتى تنكح زوجا غيره ولا فرق بين مجموعها ومفرقها لغة وشرعا، وما يتخيل من الفرق صوري ألغاه الشرع اتفاقا في النكاح والعتق

(١) وأزيد على هذا ان عبارة الحديث أقوى في الدلالة على الرفع مما ذكره نقلا عن اصطلاح المحدثين والأصوليين وذلك ان قول ابن عباس كان الطلاق على عهد رسول الله (ص) الخ يعني به انه كان كذلك في الحكم والفتوى وهما مظهرا التشريع الذي لايكون إلا منه (ص) واما قولهم كنا نفعل كذا في عهده (ص) فانه إنما يدل على الرفع بدلالة اللزوم

والاقارير، فلو قال الولي أنكحتك هؤلاء الثلاث في كلمة واحدة انعقد كما لو قال أنكحتك هذه وهذه وهذه وكذا في العتق والاقرار وغير ذلك من الاحكام (١)

«واحتج من قال ان الثلاث اذا وقعت مجموعة حملت على الواحدة بأن من قال أحلف بالله ثلاثا لا يعد حلفه إلا يمينا واحدة فليكن المطلق مثله وتعقب باختلاف الصيغتين فان المطلق ينشيء طلاق امرأته وقد جعل أمد طلاقها ثلاثا فاذا قال أنت طالق ثلاثا فكأنه قال أنت طالق جميع الطلاق وأما الحالف فلا أمد لعدد أيمانه فافترقا (٢)

«وفي الجملة فالذي وقع في هذه المسئلة نظير ماوقع في مسئلة المتعة سواء أعني قول جابر انها كانت تفعل في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وصدر من خلافة عمر قال ثم نهانا عمر عنها فانتهينا، فالراجح في الموضعين تحريم المتعة وايقاع الثلاث للاجماع الذي انعقد في عهد عمر على ذلك ولا يحفظ أن أحداً في عهد عمر خالفه في واحدة منهما وقد دل إجماعهم على وجود ناسخ وإن كان خفي عن بعضهم قبل ذلك حتى ظهر لجميعهم في عهد عمر، فالمخالف بعد هذا الاجماع منابذ له والجمهور على عدم اعتبار من أحدث الاختلاف بعد الاتفاق والله أعلم. وقد أطلت في هذا الموضع لالتماس من التمس ذلك مني والله المستعان. انتهى

***

(المنار) قد علم من هذا التفصيل الذي أورده الحافظ ان المسألة كانت لاتزال مشكلة بتعارض أدلتها الى عهده في القرن التاسع وان بعض كبار العلماء انتمسوا منه بيانها بالتفصيل ففعل، فهي ليست كما توهم السائل مما أجمع عليه المحدثون بل المسلمون

(١) الأمر خلاف ماقال القرطبي لغة وشرعا كما سنوضحه تعليقا على كلام الحافظ وفيما يلي هذا

(٢) هذا انما يتمشى على زعمهم والحق ان الشرع لم يجعل للمطلق هذا الحق بل جمعه الثلاث مبتدع مخالف للشرع إجماعا ولذلك عبر عنه النبي (ص) باللعب بكتاب الله كما في حديث النسائي المتقدم. والفرق بينه وبين زوجتك هؤلاء الثلاث ظاهر فان لفظ الثلاث لم يجعل المرات واحدة بل المثل الصحيح لمسألة الطلاق الثلاث مسألة اليمين العادي أو يمين اللعان

وان المخالف فيها هو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحدهما ، وان حجتهما عليها حديث أحمد المذكور ، بل هي لولا جريان العمل عليها اتباعا لعمر رضي الله تعالى عنه لما اتفق عليها جمهور الفقهاء وعللوها باحتمال ظهور ناسخ لعمر نسخ ما كان من العمل بظاهر القرآن وحديث جعل الطلاق الثلاث باللفظ الواحد طلقة واحدة، ولما سمى بعضهم ذلك السكوت اجماعا وتأولوا آية (الطلاق مرتان) بما ينبذه اللفظ ،

﴿ استدراكنا على الحافظ ابن حجر ﴾

ونحن نستدرك على الحافظ بما يحرر المسألة تحريراً استقلالياً لا تعصب فيه لمذهب على مذهب ولا لعالم على آخر بالمباحث الآتية :

﴿ الاستدراك الاول) قوله تعالى (الطلاق مرتان) وسئل النبي ﷺ عن الثالثة فقرأ (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان)

الظاهر المتبادر من ذكر المرتين هو التطليقة التي تحل بها عقدة النكاح بعد الأخرى فيليها مثلها بان يطلق ويراجع ثم يطلق ويراجع وليس معناه النطق بها مرة واحدة وذكر كلمة مرتين بعدها وكذلك الثلاث ، فاننا نعلم من لغة العرب بالضرورة انك إذا قلت « من فعل كذا ثلاث مرات أو من قال هذا ثلاثا » لا يفهم من قولك إلا تكرار الفعل أو تكرار القول بقدر العدد . فاذا قلت في الفاظ الأذان : الواجب أن تقول « الله أكبر » أربع مرات و « أشهد أن لا إله إلا الله » مرتين الخ لا تكون قد أتيت بالمشروع إلا إذا ذكرت كل لفظ بقدر العدد المذكور. ومثله ماورد من قول سبحان الله ٣٣ مرة والحمد لله ٣٣ مرة والله أكبر ٣٤ مرة عقب الصلاة لا يحصل المراد من الحديث إلا بتكرار كل ذكر بقدر العدد المذكور فاذا قلت: « سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة الحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة الله أكبر أربعا وثلاثين مرة » بهذا اللفظ لا تكون قد عملت بالحديث الوارد في ذلك . وهذا في عددما يقصد به اللفظ كالذكر ظاهر جلي وهو في الفعل المحض كالسجود والفعل الذي يعبر عنه بالقول كالطلاق واللعان أظهر ، فان الطلاق حل لعقدة النكاح التي عبر بها الكتاب العزيز عما نسميه رابطة الزوجية ، فمعنى (الطلاق مرتان) أن حل عقدة

النكاح الذي يملكه الرجل ولا تبين به امرأته منه - إذا شاء أن يراجعها - مرتان. ويتعين عليه بعدهما إما امساكها بمعروف وإن كان يشكو منها ما كان سببا للطلاق المرة بعد المرة وإما أن يسرحها باحسان .

والحكمة في ذلك ظاهرة وهي انه بالطلاق بعد الطلاق يكون قد اختبر حاله مع المرأة هل الأصلح له أن يظل على معاشرتها الزوجية على ما ينكر من خلقها أو أخلاقها وأعمالها والصبر على ذلك ومعالجته بحسن المعاملة أو أن يطلقها ويبينها بالمرة الثالثة لعدم صبره على ما ينكر منها . ومن يقول بأن له أن يبينها منه البينونة الكبرى بقوله هي طالق ثلاثا فقد أبطل الحكمة من تكرار الطلاق بما لا فائدة منه في حال من الأحوال ولكن قد يكون فيه غوائل ومضار كثيرة

ذلك بانه إذا كان يريد مفارقتها دائما فان ذلك يحصل له بطلقة واحدة من غير أن يقيدها بلفظ يحرم به على نفسه ما أحل الله تعالى له من المراجعة في العدة وبعقد ثان بعد العدة ، وقد يندم على ذلك بأن يظهر له بعد الطلاق أن دوام هذه الرابطة الزوجية معها فيه صلاح لحاله ولحال عياله وأن قطعها دائما فيه ضرر عظيم عليه وعلى عياله ، وقد يترتب عليه فتن وخسائر ومعاصي كثيرة إذا لم يتفق أن تتزوج بعد ذلك زواجا صحيحا من رجل يموت عنها أو يطلقها قبل حدوث تلك المفاسد فتحل له بذلك - أو يضطر إلى قبول لعنة التحليل على قول من بعده كالزواج الشرعي الصحيح تقليداً .

ومن عجيب تأثير التقليد ادعاء بعضهم ان لفظ (الطلاق مرتان) يدل على جواز جمعهما بكلمة « مرتين » وكذلك الثلاث المدلول عليه بقوله (أو تسريح باحسان) مع أن التسريح في الآية مذكور بعد ذكر المرتين فمفروض بعد وقوعهما متعاقبتين !

ولا يوجد أشبه بهذا النص في القرآن من نص شهادة اللعان لانها يمين في المعنى يترتب عليه الفراق بين الزوجين فقوله تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) لا يحصل العمل به الا بتكرار الشهادة ، فان كان اللعان يصح بالشهادة مرة واحدة يسميها أربعا فالطلاق يصح بمثل ذلك . ومثله سائر الايمان فمن قال اقسم بالله ثلاثا انني فعلت

أو مافعلت كذا وكان كاذبا لا يلزمه الا كفارة واحدة . وما ذكره الحافظ من التفرقة بين القسم والطلاق بان للثاني حداً دون الاول لا يقتضي اختلاف الحكم

(الاستدراك الثاني) ان الحافظ رد على من ادعى ان عدم وقوع اطلاق الثلاث باللفظ الواحد شاذ بذكر بعض من قال به من الصحابة وغيرهم من علماء الامصار ولكنه لم يرد الحصر فهنالك آخرون قالوا بذلك من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار والظاهرية والشيعة الزيدية والامامية وبعض اتباع المذاهب الاربعة كما نقله شيخ الاسلام ابن تيمية عنهم رواية وعزواً الى كتب معروفة . وممن روي عنهم عدم وقوع الثلاث أبو بكر (أي وكل الصحابة الى آخر عصره وأوائل عصر عمر) والزبير وعبد الرحمن بن عوف وكذا أبو موسى كما في البحر للامام يحيى . وممن روي عنه فيها القولان فيها علي وابن مسعود وابن عباس . وذكر الامام الشوكاني في نيل الاوطار نقلا عن كتاب البحر للامام يحيى أن من القائلين بعدم الوقوع من أئمة العترة الهادي والقاسم والباقر والناصر وأحمد بن عيسى وعبد الله بن موسى بن عبد الله ورواية عن زيد بن علي (قال) واليه ذهب جماعة من المتأخرين منهم ابن تيمية وابن القيم وجماعة من المحققين وقد نقله ابن مغيث في كتاب الوثائق عن محمد بن وضاح ونقل الفتوى بذلك عن جماعة من مشايخ قرطبة كمحمد بن بقي ومحمد بن السلام وغيرهما . ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار ، وحكاه ابن مغيث أيضا في ذلك الكتاب عن علي رضي الله عنه وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير

(قال) «وذهب بعض الامامية إلى انه لا يقع بالطلاق المتتابع شيء لا واحدة ولا أكثر منها وقد حكي ذلك عن بعض التابعين وروي عن ابن علية وهشام ابن الحكم وبه قال أبو عبيدة وبعض أهل الظاهر وسائر من يقول ان الطلاق البدعي لا يقع لأن الثلاث بلفظ واحد أو الفاظ متتابعة سنه. وعدم وقوع البدعي هو أيضا مذهب الباقر والصادق والناصر » اه

(الاستدراك الثالث) ان بعض الاجوبة التي سكت الحافظ عنها فلم يردها ولم يؤيدها قد ردها الامام الشوكاني بما ذكرناه في حواشي عبارة الحافظ التي أورد فيها أجوبة الفقهاء في المسألة فان الذي ارتضاه الحافظ منها هو ما عليه المدققون من

الفقهاء ولا سيما الذين بعده وهو ان العمدة في المسألة هو موافقة جمهور الصحابة لعمر على امضائه الطلاق الثلاث في الوقت الواحد فانه إجماع منهم يدل على انهم عثروا للحكم على ناسخ لما دل عليه القرآن والسنة العملية مدة النبي ﷺ ومدة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر ، وإنما رجحوا هذا التعليل لأنه يتضمن تسليم دلالة الآية على ان مرات الطلاق إنما تتحقق بحل عقدة النكاح مرة بعد اخرى لا بمجرد التلفظ بالعدد، يقولون ولكنه نسخ، وتسليم منطوق حديث مسلم بجريان العمل على ذلك إلى أوائل خلافة عمر ، يقولون ولكن ممن لم يكن قد وقف على النسخ كما وقع في مسألة المتعة. فهذا هو الذي يحتاج إلى الجواب دون تلك التكلفات لانه المعتمد عند الاكثرين، وقد أجاب الامام الشوكاني في آخر هذا البحث بما نصه:

«والحاصل ان القائلين بالتتابع (أي بوقوع الثلاث باللفظ) قد استكثروا من الاجوبة على حديث ابن عباس وكلها غير خارجة عن دائرة التعسف والحق أحق بالاتباع فان كانت تلك المحاماة لأجل مذهب الاسلاف فهي أحقر وأقل من أن تؤثر على السنة المطهرة وإن كانت لأجل عمر بن الخطاب فأين يقع المسكين من رسول الله ﷺ ؟ ثم أي مسلم من المسلمين يستحسن عقله وعلمه ترجيح قول صحابي على قول المصطفى ؟ » اه

وأقول قد أساء الشوكاني التعبير هنا وإن كان مثل قوله الأخير مأثوراً عن بعض الصحابة (رض) بعضهم في بعض، فانه لا يخطر في بال مسلم ترجيح قول عمر ولا غيره على قول المصطفى (ص) بل لا يسوغ لأحد عرف آداب عمر مع الرسول (ص) من ناحية وخضوعه للحق والانصاف اذا ظهر له ولو على لسان امرأة عجوز أو اعرابي جلف من ناحية ثانية ـ أن يظن فيه أنه يتعمد مخالفته صلوات وسلامه عليه، وأبعد من هذا أن يخالفه ثم يسكت له جمهور الصحابة على مخالفته على ما تعودوا منه من قبول معارضتهم له بكل ارتياح وقبول ـ فلأجل هذا وذاك ترك الجمهور ظاهر الكتاب والسنة في المسألة وتكلفوا تأويلها بما رأيت.

أما عمل عمر فالظاهر الذي لم يخطر في بالنا غيره منذ فكرنا في هذه المسألة انه اجتهاد أراد به تربية الناس في تتابعهم على ترك ما شرعه الله تعالى وجرت عليه

سنة رسول الله (ص) في الطلاق بعقابه إياهم بامضائه عليهم لعلهم يرجعون عنه بعد أن يظهر لهم خطؤهم بحرمان أنفسهم من رحمة الله بالمؤمنين بشرعه لهم المراجعة مرة بعدة مرة . وهذا هو التعليل هو الذي ذكرناه في محاورات المصلح والمقلد من زهاء ربع قرن. وقد عهد من بعض الصحابة ولا سيما الأئمة والحكام الاجتهاد في المسائل وأن يكون منه الخطأ والصواب ، ويصح جعل هذا الاجتهاد حجة لقاعدة الامام مالك في وجوب الاستمساك بظواهر النصوص في العبادات ، ومراعاة المصلحة العامة ومقاصد الشارع في أحكام المعاملات ، وسنزيد هذا بيانا في ص ٦٨٠

وأما سكوت جمهور الصحابة المقيمين مع عمر في المدينة على اجتهاده هذا فلاعتقادهم ان مثله جائز للامام (الخليفة) على ان بعضهم كان يفتي بخلافه كما تقدم وأشهرهم ابن عباس والظاهر ان هذا كان بعده لئلا يكون خروجا على الامام ، ويحتمل انه كان لاعتقاد أنه كان مخطئا في ذلك الاجتهاد

ومن الخطأ الظاهر تسمية ذلك السكوت من بعض الصحابة (رض) إجماعا لأن أكثر الصحابة كانوا متفرقين في الامصار يجاهدون في سبيل الله فمن أين علموا بفعل عمر هذا في وقائع كانت قليلة بالطبع ولا سيما بعد تنفيذه ذلك الطلاق عليهم وبعد ماروي عنه انه كان يضرب فاعل هذه البدعة — الطلاق الثلاث باللفظ دون مراجعة — حتى يرجعه

وأظهر من هذا الخطأ ماقيل في تعليله من احتمال ظهور دليل ناسخ لما سبق من عد الطلاق بلفظ الثلاث واحدة عملا بالكتاب والسنة ـ لا أقول في إثبات هذه التخطئة ما قال بعضهم من انه لو وجد الناسخ لذكر ونقل ونحن انما نكلف ماثبت بالنقل ولا قيمة للاحتمال في نسخ نصوص صريحة بل أقول مع تسليم هذا وكونه لا مجال للنزاع فيه : ان هذا الحكم لو كان نسخ لما استمر العمل عليه في عصر النبي (ص) ومدة خلافة أبي بكر وثلاث سنين من خلافة عمر

وأما تشبيه الحافظ هذه المسألة بمسألة المتعة فهو يصح من وجه واحد وهو ان عمر هو الذي أرجع الناس عنهما ويفترقان من حيث وجود نص عن النبي (ص) بأنه حرم المتعة على التأبيد بعد أن أباحها وكان ذلك آخر الامرين ولا نص في الطلاق

الثلاث ينسخ ظاهر القرآن والسنة العملية به

هـذا وإنني راجعت بعد كتابة ماتقدم كله كتاب الروضـة الندية للعلامة السيد صديق حسن خان فرأيت أن أنقل عنه مانصه:

«وقد امتحن بهذه المسئلة جماعة من العلماء منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وجماعة ممن بعـده والحق بأيديهم ولكن لما كان مذهب الاربعة الائمـة ان الطلاق يتبع الطلاق كان المخالف لذلك عند عامة اتباعهم وكثير من خاصتهم كالمخالف للاجماع وقد ظهر مما سقناه ههنا من الأدلة والنقول ان الطلاق ثلاثا بلفظ واحد أو ألفاظ في مجلس واحد من دون تخلل رجعة يقع واحدة وإن كان بدعيا فتكون هـذه الصورة من صور الطلاق البدعي واقعة مع إثم الفاعل دون سائر صور البدعي فلا يقع الطلاق فيها لما قدمنا تحقيقه وأطال ابن القيم في تخريج أحاديث الباب والكلام عليها وأثبته بالكتاب والسنة واللغة والعرف وعمل أكثر الصحابة ثم قال بعد ذلك

«فهذا كتاب الله تعالى وهذه سنة رسول الله (ص) وهذه لغة العرب وهذا عرف التخاطب وهذا خليفة رسول الله (ص) والصحابة كلهم معه في عصره وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب فلو عدهم العادّ بأسمائهم واحداً واحداً انهم كانوا يرون الثلاث واحدة إما بفتوى وإما باقرار عليها ولو فرض منهم من لم يكن يرى ذلك فانه لم يكن منكراً للفتوى به بل كانوا مابين مفت ومقر بفتيا وساكت غير منكر، وهذا حال كل صحابي من عهد الصديق الى ثلاث سنين من خلافة عمر وهم يزيدون على الالف قطعا كما ذكر يونس بن بكير عن أبي إسحق، فكل صحابي كان على ان الثلاث واحدة بفتوى أو إقرار أو سكوت ولقد ادعى بعض أهل العلم ان هذا إجماع قديم ولم تجمع الأمة ولله الحمد على خلافه بل لم يزل فيهم من يفتي به قرنا بعد قرن وإلى يومنا هذا فأفتى به حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس كما رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمه عن ابن عبـاس اذا قال أنت طالق ثلاثا بفم واحد فهي واحدة وأفتى بأنها واحدة الزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف حكاه عنهما ابن وضاح. وأما التابعون فأفتى به عكرمة وطاوس وأما تابعوا التابعين فأفتى به محمد بن إسحق وخلاس بن عمرو والحارث العكلي، وأما

اتباع تابعي التابعين فأفتى به داود بن علي وأكثر أصحابه وأفتى به بعض أصحاب مالك وأفتى به بعض الحنفية وأفتى به بعض أصحاب أحمد، والمقصود أن هذا القول قد دل عليه الكتاب والسنة والقياس والاجماع القديم ولم يأت بعده إجماع يبطله ولكن رأى أمير المؤمنين عمر (رض) ان الناس استهانوا بأمر الطلاق وكثر منهم ايقاعه جملة واحدة فرأى من مصلحة عقوبتهم بامضائه عليهم فرأى عمر أن هذا مصلحة لهم في زمانه. والذي ندين الله تعالى به ولا يسعنا غيره وهو القصد في هذا الباب، ان الحديث اذا صح عن رسول الله (ص) ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه أن الفرض علينا وعلى الامة الأخذ بحديثه وترك كل ما خالفه ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنا من كان انتهى حاصله وتمام هذا البحث في اعلام الموقعين وإغاثة اللهفان للحافظ ابن القيم وفي رسالة مستقلة للماتن (الشوكاني) وفي كتابنا مسك الختام فليرجع الطالب اليها إن اراد التفصيل والتحقيق وبالله التوفيق»

﴿ تلخيص للمسألة وايضاح لاجتهاد عمر (رض) ﴾

(١) ان الله تعالى شرع للمسلم اذا تنازع مع زوجه وخاف ألا يقيم حدود الله في معاشرتها أن يطلقها في أول طهر لها لم يباشرها فيه حتى لا يضارها باطالة العدة — وشرع له أن يراجعها في العدة اذا ندم على طلاقها وتبين له ان الأصلح له ابقاء معها، فاذا عاد فطلقها مرة ثانية ثم تبين له خطؤه فله أن يراجعها أيضاً فان عاد مرة ثالثة بانت منه ولم يملك مراجعتها الا بشرط يقل وقوعه ويثقل على الرجال الرجوع الى المرأة بعده ان وقع الا لشدة الحاجة وهو أن تتزوج رجلا آخر زواجا صحيحاً ثم يموت عنها أو يطلقها، ومن رحمة الله تعالى في يسر شرعه انه لم يحرم عليه امرأته بطلقة ولا بطلقتين قد يكونان من غير روية ولا معرفة اختبار لحاجته اليها، ولم يبح له أن يجعلها كالكرة يعبث بها ماشاء هواه فيطالق ويراجع بغير عدد ولا حساب كما كانوا يفعلون في الجاهلية لما فيه من امتهان المرأة ومضارتها وقد كرمها الله كما كرمه وأعزها بالاسلام كما أعزه

(٢) لم يشرع الله تعالى للرجل أن يبطل حكمته في شرعه ورحمته فيه بجمع

الثلاث بالقول دون الفعل وجعل ايقاع الطلاق مرة واحدة كايقاعه ثلاث مرات في تحريم المراجعة ، فيجعل الثلاث واحدة كأهل التثليث في العقائد . ولكن بعض أصحاب الرعونة وضيق الصدر من المسلمين أرادوا أن يضيقوا على أنفسهم ماوسعه الله عليهم فطلق بعضهم امرأته جامعا للثلاث بكلمة واحدة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب وقال «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» كما تقدم ولكنه ﷺ جعل هذه الفعلة لغواً ولم يوقع على أحد فعل ذلك إلا واحدة وكذلك فعل أبو بكر وعمر مدة سنتين في رواية وثلاث سنين في رواية أخرى، وكان يضرب من يتصرف بدينه هذا التصرف المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحكمة شرعه ويسره ، فلما تتابعوا عليه رأى أن ينفذه عليهم عقوبة لهم لعلهم ينتهون ففعل بعد المشاورة . ولهذا الاجتهاد في العقاب من ولي الامر نظائر

(١) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية والمحقق ابن القيم كثيرا من الشواهد والمدارك لعمل عمر منها قول الاول في هذا البحث من الفتاوى :

« وقد بين ابن عباس عذر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الالزام بالثلاث وابن عباس عذره هو العذر الذي ذكره عن عمر رضي الله عنه وهو أن الناس لما تتابعوا فيما حرم الله عليهم استحقوا العقوبة على ذلك فعوقبوا بلزومه بخلاف ما كانوا عليه قبل ذلك فانهم لم يكونوا مكثرين من فعل المحرم ، وهذا كما أنهم لما أكثروا شرب الخمر واستخفوا بحدها كان عمر يضرب فيها ثمانين وينفي فيها ويحلق الرأس ، ولم يكن ذلك على عهد النبي ﷺ وكما قاتل علي بعض أهل القبلة ولم يكن ذلك على عهد النبي ﷺ والتفريق بين الزوجين هو مما كانوا يعاقبون به أحيانا ، إما مع بقاء النكاح وإما بدونه فالنبي ﷺ فرق بين الثلاثة الذين خلفوا وبين نسائهم حتى تاب الله عليهم من غير طلاق ، والمطلق ثلاثا حرمت عليه امرأته حتى تنكح زوجا غيره عقوبة له ليمتنع عن الطلاق ، وعمر بن الخطاب ومن وافقه كمالك واحمد في إحدى الروايتين حرموا المنكوحة في العدة على الناكح أبداً لانه استعجل ما احله الله فعوقب بنقيض قصده ، والحكمان لهما عند أكثر السلف ان يفرقا بينهما بلا عوض اذا رأيا الزوج ظالما معتديا لما في ذلك من

منعه من الظلم ودفع الضرر عن الزوجة ، ودل على ذلك الكتاب والسنة والآثار وهو قول مالك وأحد القولين في مذهب الشافعي واحمد ، والزام عمر بالثلاث لما أكثروا منه إما أن يكون رآه عقوبة تستعمل وقت الحاجة ، وإما أن يكون رآه شرعا لازما لاعتقاده أن الرخصة كانت لما كان المسلمون لا يوقعونه الا قليلا

«وهذا كما اختلف كلام الناس في نهيه عن المتعة (يعني متعة الحج) هل كان نهي اختيار لان افراد الحج لسفره والعمرة لسفره كان أفضل من التمتع ، أو كان قد نهى عن الفسخ لاعتقاده أنه كان مخصوصا بالصحابة ، وعلى التقديرين فالصحابة قد نازعوه في ذلك وخالفه كثير من أئمتهم من أهل الشورى وغيرهم في المتعة وفي الالزام بالثلاث ، واذا تنازعوا في شيء وجب رد ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ، كما أن عمر كان يرى أن المبتوتة لا نفقة لها ولا سكنى ونازعه في ذلك كثير من الصحابة ، وأكثر العلماء على قولهم ، وكان هو وابن مسعود يريان أن الجنب لا يتيمم وخالفهما عمار وابو موسى وابن عباس وغيرهم من الصحابة واطبق العلماء على قول هؤلاء لما كان معهم الكتاب والسنة . والكلام على هذا كثير مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا التنبيه على ما أخذ الناس به » اه

وقال تلميذه العلامة المحقق ابن القيم في زاد المعاد

(فان قلت) قد ثبت من حديث ابن عباس أن الصحابة كلهم قد أجمعوا على أن الثلاث (باللفظ) واحدة فكيف خالفهم عمر حيث أمضاها عليهم ؟ قلت لم يخالف عمر (ر ض) اجماع من تقدمه بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم لما علموا أنه حرام وتتابعوا عليه ولا ريب أن هذا جائز للأئمة أن يلزموا الناس ماضيقوا به على أنفسهم ولم يقبلوا فيه رخصة الله عز وجل وتسهيله بل اختاروا الشدة والعسر فكيف بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ر ض) وكل نظره للامة وتأديبه لهم . ولكن العقوبة تختلف باختلاف الازمنة والاشخاص والتمكن من العلم بتحريم الفعل المعاقب عليه وخفائه . وأمير المؤمنين (ر ض) لم يقل لهم إن هذا عن رسول الله ﷺ وانما هو رأي رآه مصلحة للامة لا اخبار عن رسول

الله ﷺ ولما لم يقل لهم إن هذا عن رسول الله ﷺ وانما هو رأي رآه مصلحة للامة لا اخبار عن رسول الله ﷺ ولما عاد (رض) أن تلك الاناة والرخصة نعمة من الله على المطلق ورحمة به واحسان اليه وانه قابلها بضدها ولم يقبل رخصة الله وما جعله له من الاناة عاقبه بأن حال بينه وبينها وألزمه ما التزمه من الشدة والاستعجال

وهذا موافق لقواعد الشريعة بل هو موافق لحكمة الله في خلقه قدراً وشرعاً فان الناس إذا تعدوا حدوده ولم يقفوا عندها ضيق عليهم ما جعله لمن اتقاه من المخرج . وقد أشار إلى هذا المعنى بعينه من قال من الصحابة (رض) لمن طلق ثلاثا : انك لو اتقيت الله لجعل لك مخرجا » كما قال ابن مسعود وابن عباس . فهذا نظر أمير المؤمنين (رض) ومن معه من الصحابة لا انه (رض) غير حكام الله وجعل حلالها حراما . فهذا غاية التوفيق بين النصوص »

أقول وذكر في اعلام الموقعين من أفتى بعدم وقوع الثلاث من علماء المذاهب المشهورة على خلاف المشهور في مذاهبهم وذكر أسماء الكتب المصرحة بذلك . وقد أطال المولوي أبو الطيب محمد شمس الحق في تحقيق هذه المسألة والنقول فيها والرد على الحافظ بن حجر في حاشيته على سنن الدارقطني وشرحه سنن أبي داود بما لم يسبق اليه

﴿ ذيل للفتوى في رواية أبي داود ورأيه في المسألة ﴾

وردت أحاديث مرفوعة في وقائع في الطلاق الثلاث أشهرها حديث ركانة الذي رواه أبو داود من طريقين ضعيفين كليهما ولكنه رجح أحدهما على الآخر قال شراحه وهذا لا يقتضي أن الراجح عنده على الآخر صحيح في نفسه ، فرواية ابن اسحاق له عند الامام أحمد وغيره أصح منها وهي التي قال الحافظ ابن حجر وغيره انها نص في الموضوع لا يحتمل التأويل ولذلك عني الفقهاء بتأويلها لمخالفتها لمذاهبهم ، والسائل لم يفهم هذا ولا غيره ولا ما قاله شيخ الاسلام فيه فضلا عن أصل المسألة فجعل اشكاله محصوراً فيه بما يوهم ان ابن تيمية لم يستدل فيها الا به ، والواقع انه استدل بالكتاب والسنة والاجماع السابق على امضاء عمر (رض) للثلاث عقوبة موقتة وبالقياس

وأما وجه تخطئة ابن تيمية لابي داود أنه روى حديث ركانة من طريقين ضعيفين إلا انه رجح احدهما على الآخر وهو ان الطلاق كان بلفظ البتة لا بلفظ الثلاث ولم يروه من طريق ابن اسحاق التي رواها الامام أحمد وهي نص في لفظ الثلاث وعدم ايقاعه ﷺ له ، فخالف أستاذه الامام أحمد الذي قال : حديث ركانة في البتة ليس بشيء ، وقال أيضاً حديث ركانة لا يثبت انه طلق امرأته البتة لان ابن اسحاق يرويه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن ركانة طلق امرأته ثلاثا ، وأهل المدينة كانوا يسمون الثلاث : البتة ، قال شيخ الاسلام فقد استدل احمد على بطلان حديث البتة بهذا الحديث الآخر الذي فيه انه طلقها ثلاثا الخ أقول وهذا موافق لحديث ابن عباس الصحيح الذي رواه مسلم عنه

فالسائل لم يفهم هذا ولا غيره لجهله باصطلاح المحدثين والأصوليين وضعفه في اللغة أيضا فجعل ترجيح أبي داود لأحد الحديثين الضعيفين على الآخر وتأويله لحديث ابن عباس الصحيح بحمله على التخصيص هو كل مافي المسألة . ولو أردنا بيان كل مافي سؤاله من الخطأ والخطل لأسخطنا علينا جميع قارئي المنار

وأما بسط أصل المسألة وأدلتها فهو ضروري لأن الأمة الاسلامية شعرت بحاجتها الى الرجوع فيها الى يسر الشريعة ورحمتها ، واقترح بعض الفقهاء والعقلاء على حكومتنا المصرية الرجوع فيها الى أصل الكتاب والسنة الذي كان أول من بسط دلائله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم في كتبه اعلام الموقعين وإغاثة اللهفان وزاد المعاد ، ووافقهما وأيدهما من أعلام السنة وفقهاء الحديث بعدهما الامام الشوكاني والسيد حسن صديق وصاحبي شرح أبي داود وحاشية سنن الدارقطني من متأخري علماء الهند الاعلام فعارض الاقتراح مقلدة الازهر في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ونرجو من أخينا الشيخ عبد الرحمن الجمجموني أحد الامرين إما أن ينصرف عن زراعته إلى العلم الاستقلالي فيدرس وسائله ومقاصده من فنون اللغة وعلوم الاصول والحديث ، وإما أن يرضى بتقليده ويكب على زراعته وفاقا للمثل الذي كان يكثر أبو حامد الغزالي من ضربه لامثاله « كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة »

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٥)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

﴿ المقام الرابع والعشرون ﴾ قوله فبأي وجه يزعم من ليس له قدم راسخة في العلم أنه عليه السلام أمر بهدم القباب والبناءات التي حول قبور الانبياء والأئمة والشهداء والصالحين

أقول ادعاء الانسان لنفسه رسوخ القدم في العلم ونفيه ذلك عن علماء الامة وسلفها الصالح يقدر عليه كل واحد ولا يمتنع منه إلا الورع ولكن الشأن كل الشأن في اثبات الدعوى وتدعيمها بأساطين البراهين التي تثلج الصدور وتستولي على الالباب ، وتنقاد لها أعناق النقاد ، والحق أبلج ، والباطل لجلج ، وجوابه أن ما أنكره من مشروعية هدم القباب وما يشابهها ثابت بالاخبار المحمدية والآثار الصحيحة الجياد ، واجماع السلف الذي هو أصح اجماع . وقد استوفيت الكلام على ذلك بقدر مايحتمله المقام وهل يشك عالم باحاديث الباب ، ناصح لنفسه ، خائف من ربه ، في وجوب هدم القباب التي بنيت على معصية الرسول ، ولا يقدح في الانبياء والصالحين هدم قبورهم وقبابهم لان رسول الله هو أعلم الناس بحقوقهم وأرعاهم لها ، وقد لعن من اتخذ المساجد على قبور الانبياء ونهى عنها أشد النهي فلا يجوز لمسلم عالم بذلك أن يترك القباب مشيدة على القبور بل هي شر من المساجد لان المقصود منها هو التعظيم المجرد بخلاف المساجد فان

ظاهر الحال أن المقصود منها الاجتماع لذكر الله لكن لما كان اتخاذها عند قبور الانبياء والصالحين يفضي الى الغلو ثم الى الشرك حرم الله اتخاذها وشدد الرسول النهي عنها فوجبت إزالتها، كما تقدم عن شيخ الاسلام وابن حجر الهيتمي والشوكاني وتقدم أنها أولى بالهدم من مسجد الضرار

﴿المقام الخامس والعشرون﴾ قوله ومع أن هذه لم تكن مشيدة في زمانه حتى يأمر بهدمها هل تقاس بقبور المشركين والتماثيل والصور؟ حاشا وكلا فان هذا من أقبح القياسات وأشنعها

أقول عدم وجودها في زمن علي دليل على أنها شر محض لا خير فيها وقال مالك لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها، وقال ايضا من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا. ولو كان بناء القباب على قبور الصالحين جائزا لفعله النبي أو أمر به ولو كان في الدين نص يشتم منه رائحة مشروعية القباب أو أن فيها شيئا من الخير ماتركها أهل القرون الثلاثة المفضلة فهل يريد الشيعة وأهل السنة بزعمهم أن يسبقوا الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال فاذا قدر أن الصلاة هناك توجب الرحمة اكثر من الصلاة في غير تلك البقعة كانت المفسدة الناشئة من الصلاة هناك تربي على هذه المصلحة حتى تغمرها او تزيد عليها بحيث تصير الصلاة هناك مذهبة لتلك الرحمة ومثبتة لما يوجب العذاب

ثم ذكر كلاما طويلا في تقرير تحري الصلاة والدعاء عند القبر من المنكرات وفي كلامه خفاء بالنسبة الى بعض الاذهان ويوضحه انه

ليس كل بقعة يثبت لها فضل أو نزول رحمة أو ملائكة تشرع الصلاة والدعاء فيها وينال المصلي والداعي بركتها، لأن رحمة الله قريب من المحسنين ولا تكتب الا للذين يتبعون الرسول النبي الامي ويطيعونه كما تدل عليه آيات الاعراف، والمصلي عند القبور قصداً مسيء عاص للرسول، معدود عنده من شرار الخلق، فاعل ما أوجب اللعنة، فلا يناله شيء من تلك الرحمات، ولا تصلي عليه الملائكة بل تناله اللعنات الواردة في الحديث، ولا سيما اذا بلغه حديث النبي ﷺ فأصر على مخالفته للهوى والاغراض الفاسدة

ومن العجب أن السيد مهدي جعل السبب الذي لاجله حرمت الصلاة عند القبور هو فضل أصحابها ونبوتهم سببا لاستحباب الصلاة عندها وفضلها على الصلاة في غيرها، وهذا عكس قضية احاديث الباب وفقنا الله واياه لاتباع الحق، وانما قلنا ان علة النهي عن الصلاة عند القبور هي فضيلة اهلها المفضية الى الافتتان المفضي الى الشرك لانا رأينا النبي نهى عن الصلاة عند قبور الانبياء والصالحين ونبش قبور المشركين وبنى مكانها مسجداً لانها لا حرمة لها ولا تخشى منها فتنة، وقد أشار البخاري في صحيحه إلى هذا المعنى وبينه شارحه وقد نقل الشوكاني في المجلد الثاني من نيل الاوطار تحريم الصلاة في المقبرة عن احمد بن حنبل والظاهرية قال قال ابن حزم وبه يقول طوائف من السلف فحكى عن خمسة من الصحابة النهي عن ذلك وهم عمر وعلي وأبو هريرة وانس وابن عباس قال وقد ذهب الى تحريم الصلاة على القبر من اهل البيت المنصور بالله والهادوية وصرحوا بعدم صحتها ان وقعت فيها ثم قال وقال الرافعي — يعني احد ائمة الشافعية

أما المقبرة فالصلاة فيها مكروهة في كل حال وهو مذهب الثوري والاوزاعي وابي حنيفه اه ببعض تغيير

وذكر البخاري في صحيحه أن عمر رأى أنساً يصلي عند قبر فقال: القبرَ القبرَ . أقول فانظر كيف حذره عمر منه مع ان أنساً لم يقصد الصلاة عنده والخلفاء الراشدون وسائر الصحابة والتابعون لاجرم أنهم لا يعنونهم إلى رذيلة وبدعة ضلالة

وروى الجم الغفير أن النبي ﷺ قال «أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» ورووا عنه أنه قال «المدينة حرام» الحديث وفيه «فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» فنحن نسأل أصحاب القباب والمشاهد أهي من هدي رسول الله ﷺ أهي من الدين ؟ فان زعموا أنها من الدين سألناهم أكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعلمون ذلك أم لا ؟ فان قالوا كانوا يعلمونه قلنا فلم لم يفعلوه ولم يبنوا قبة واحدة مع عنايتهم بزيارة القبور المشروعة ، فان زعموا أنهم لم يتمكنوا من ذلك مع تمكنهم من بناء بيوتهم وبيوت الله وخط المدن والقرى أبطلوا وأحالوا ، وإن قالوا تركوه كسلا فقد جعلوا أنفسهم أنشط إلى الاعمال الصالحات وأحرص عليها من محمد وأصحابة وذلك هو البهتان المبين والضلال البعيد ، وإن قالوا إن النبي وأصحابه كانوا يجهلون أن بناء القباب والمشاهد على قبور الصالحين من الدين فعلمنا مالم يعلموا فقد جاؤا بالطامة الكبرى المهلكة في الدنيا والآخرة .

وروى الدارمي وابن وضاح أن عبدالله بن مسعود بلغه أن قوما يجتمعون

في مسجد الكوفة حلقا فيقول أحدهم سبحوا مائة فيسبحون ويعدون أيديهم الحصى يعدون به ، ثم يقول هللوا مائة فيهللون ، ثم يقول كبروا مائة فيكبرون. فقال لهم ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم والله لقد فقتم أصحاب محمد علما، أو جئتم ببدعة ظلما، فقال أحدهم : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير فقال وكم مريد للخير لم يصبه الحديث أو كما قال مما هذا معناه ومحل الشاهد منه قوله : لقد فقتم أصحاب محمد علما او جئتم ببدعة ظلما.

وكذلك يقال لاصحاب القباب بل هم أولى بذلك لان بدعتهم أقبح البدع وأنكرها وهذا وحده كاف للرد عليهم ،

وقوله ان القول بهدم ما يبنى على قبور الانبياء والصالحين مأخوذ من القياس وهو من أقبحه عجيب لان العلماء متفقون على أن الهدم مشروع بالنص النبوي والاثر العلوي عاضد له لا بالقياس وأي حاجة بهم إلى القياس سواء أكان حسنا أم قبيحا مع وجود النص الصحيح الصريح ، من قال إن حديث علي لا يدل على هدم قبور الابرار ، بل هو مخصوص بقبور الكفار ، فقد تقدم جوابه ونقول الآن إن تخصيصه بقبور الكفار مع ان عليا أمر أبا الهياج بهدم ما على القبور تخصيص بلا مخصص وهو تحكم لانه عزل اللفظ عن بعض مدلولاته بلا دليل مع ان قوله «ان لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته» بمنزلة قولك سو كل قبر اه لان النكرة في سياق النفي تعم ولو كانت هناك قبور مستثناة لذكرها النبي ﷺ لعلي وذكرها علي لابي الهياج الاسدي ولم يكونا يتكلمان بالاغاليط وما كان فيهما عي عن بيان مرادهم ، بل قبور الانبياء والصالحين اذا بني عليها بناء كان اولى بالهدم من قبور غيرهم لنص النبي ﷺ على النهي

عن ذلك وايعاده الشديد في ذلك لا بتأويل ولا رأي ولا قياس ، واذا كان فهم دخول البناء على قبور الصالحين في حديث علي وغيره من اقبح القياس فكيف يكون فهم علماء الشيعة الذين فهموا من حديث علي كراهة التجصيص مع انهم لا يقولون بالقياس لا حسنا ولا قبيحا

﴿ المقام السادس والعشرون ﴾ قوله مضافا إلى ماعرض به مكاتب المنار من أن القباب والبناآت المعتمدة على أساس لا دخل لها بالقبور أصلا لانها كانت مشيدة منذ عدة قرون بمرأى من المسلمين ومسمع لم ينكره أحد منهم حتى الذين رووا حديث أبي الهياج الاسدي لعلمهم أن هذا ونحوه انما ورد فى المعنى الذي ذكرناه

أقول من أين لك أنه لم ينكره أحد ؟ هذا لا يعلمه إلا الله وليس مما تتوفر الدواعي على نقله وهذا لو لم يبلغنا انكار أحد منهم فكيف وقد مر اجماعهم على انكاره ؟ سلمنا أنهم لم ينكروه أفلا يكفي انكار رسول الله ﷺ له ولعنه فاعله قبل وفاته بخمس ليال ؟ والاخبار بذلك مستفيضة فسكوت الناس على انكار المنكر لا يصيره معروفا ، وعدم العلم بالانكار ليس علما بعدمه . والذي عليه المحققون من علماء الاصول أن الاجماع السكوتي ليس حجة والساكت لا ينسب له قول كما حققه الشافعي في المجلد الاول من الأم صفحة ١٣٤ وغيره في غيره

ثم إن هذا يحتج به من يحتج به فيما لا نص فيه ، وأما مافيه نصوص ناطقة صريحة صحيحة فعدم عمل الناس بها لا ينسخها ولو كان الامر كذلك لنسخت أكثر النصوص ونسخ بعضها في اقليم دون اقليم بل في مصر

دون مصر وهذا في غاية الفساد . بل كل مسألة فيها نص فواجب على الناس أن يعملوا به وإن ترك بعضهم العمل به فلا تزر وازرة وزر أخرى

على أن العلماء من جميع المذاهب أنكروا القباب ونحوها أشد الانكار. ومن لا يعتد باجماع خير القرون الصريح القولي وبيعتهم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وكيف يليق به أن يحتج بسكوت شرار القرون على منكر عمت به البلوى كالقباب ، هـذا لو لم ينقل لنا انكار أحد كما ادعاه السيد مهدي كيف وقد مر نقل اجماعهم على انكاره ؟ قال في الاقناع وشرحه وهو المعتمد في الفتوى منذ زمان عند الحنابلة في المجلد الاول صفحة ٤١٠ (ويكره البناء عليه) أي القبر (سواء لاصق البناء الارض أو لا ولو في ملكه من قبة أو غيرها للنهي عن ذلك) لحديث جابر قال نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه ، وأن يعقد عليه . رواه مسلم. وقال ابن القيم في (اغاثة اللهفان) وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها لأنها أسست على معصية الرسول لانه قد نهى عن البناء على القبور انتهى وهو أى البناء في المقبرة المسبلة أشد كراهة . وعنه — يعني احمد بن حنبل — منع البناء في وقف عام وفاقا للشافعي وغيره قال: رأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم مايبنى ثم قال وكره احمد الفسطاط والخيمة على القبر وتغشية قبور الانبياء والصالحين أي سترها بغاشية ليس مشروعا بالدين قاله الشيخ وقال في موضع آخر : في كسوة القبر بالثياب اتفق الائمة على أن هذا منكر اذا فعل بقبور الانبياء والصالحين فكيف بغيرهم ويكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه وتخليقه والطواف به والاستشفاء بالتربة من الاسقام لان ذلك كله من البدع الخ

وقال الامام المجتهد المطلق محمد بن علي الشوكاني اليمني في شرح الصدور رداً على الامام يحيى بن حمزة الزيدي اباحته بناء القباب ولم يجد دليلا يستدل به إلا أن ذلك شاع بين المسلمين فلم ينكره الشوكاني المتوفى سنه ١٢٥٥ (فائدة) واما ما استدل به الامام يحيى حيث قال لاستعمال المسلمين فهذه ادلة النهي عنه تذكر في مدارسهم ومجالس حفاظهم فيرويها الآخر عن الاول والصغير عن الكبير والمتعلم عن العالم من لدن الصحابة الى هذه الغاية واوردها المحدثون في كتبهم المشهورة وأهل الاخبار والسير فكيف يقال إن المسلمين لم ينكروا ذلك وهم يروون اوله عنه واللعن لفاعله خلفا عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الاسلام منكرين لذلك مبالغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الامام المحيط بمذاهب سلف هذه الامة وخلفها انه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح اصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة اطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم احسانا للظن بهم وان لا يظن بهم ان يجوزوا ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه انتهى

وقال الامام النواب صديق خان في المجلد الثاني من الدين الخالص ص ٣٥٢ قال الحافظ ابن القيم يجب هدم القباب التي بنيت على القبور لانها اسست على معصية الرسول وقد افتى جماعة من الشافعية بهدم مافي القرافة من الابنية منهم ابن الجميزى والظهير الزميني وغيرهما وقال القاضي ابن كج ولا يجوز ان تجصص القبور ولا يبنى عليها قباب ولا غير قباب والوصية بها باطلة وقال الاذرعي اما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها

من الابنية وانفاق الاموال عليها فلا ريب في تحريمه وقال القرطبي في حديث جابر نهى ان تجصص القبور أو يبنى عليها بظاهر هذا الحديث قال مالك وكره البناء والجص على القبور

وقد اجازه غيره وهذا الحديث حجة عليه وقال ابن رشد كره مالك البناء عليها وجعل البلاطة المكتوبة وهو بدع أهل الطول أحدثوه ارادة الفخر والمباهاة والسمعة وهو مما لا اختلاف في تحريمه وقال الزيلعي في شرح الكنز ويكره ان يبنى على القبر وذكر قاضي خان أنه لا يجصص القبر ولا يبنى عليه لما روي عن النبي (ص) أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر والمراد بالكراهة عند الحنفية كراهة التحريم وقد ذكر ذلك ابن نجيم في شرح الكنز، وقال الشافعي أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة على الناس قال في فتح المجيد وكلام الشافعي يبين أن المراد بالكراهة كراهة التحريم وجزم النووي في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقا وذكر في شرح مسلم نحوه، وقال ابن قدامة صاحب المغني ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لان النبي (ص) لعن اليهود والنصارى على ذلك، وقد روينا أن ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات واتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها انتهى

أفبعد هذا يدعي أن أئمة الامة لم ينكروا البناء على القبور ؟

(للمناظرة بقية)

باب الرسائل والمناظرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل والسيد[1]

سلاما وتكريما، وتحية وتعظيما. ما أوضح منارکم للمؤمنين سبل الاسلام، وبدد عن طريق رفعته غياهب الأدران والاوهام، أما بعد، فقد بلغ السيل الزبى، وطعن الاسلام في صدره طعنات قاتلة، وأوشك المسلمون أن يفقدوا مابقي بين أيديهم من رمق القوة والامل، فبينما نحن نرى السواد الاعظم من الدول الاسلامية يرسف في قيود الاستعمار والعبودية، إذا بالقسم المستقل منها تلعب فيه أيدي العابثين، ثم بينما نرى تركيا قد أدبرت عناوشغفت بمظاهر الغربيين الذين شغفوا بافنائها إذ بايطاليا ترسل عقاربها وتبث سمومها باليمن، وإذ بانكلترا تحاول أن تخادع ابن سعود وتريد أن تظفر به، واجمالا هذه كلمتي التي أملاها ضميري على لساني، الذي أناب عنه بناني في تحريرها اليكم، وليس على فضيلتكم الا أن تنظروها وتفحصوها نقداً وتمحيصا، ولكم أن تدرجوها في صحيفة مذاكرات النهوض الاسلامي أو ان تنشروها على صفحات صحيفتكم الغراء كي يتمكن القراء من الاطلاع عليها ويبدوا فيها الآراء العامة، ولكم أن تضربوا عنها صفحا وعفواً عن اقدامي هذا وإنا لما يرتضيه الاستاذ لمنتظرون ؟

روح الثقة في الاسلام

الدين الاسلامي المكان الأجل من قلوب معتنقيه، والسلطة العظمى على خواطرهم وأعمالهم، حتى انك لتجد من اذا طرق سمعه اسم من بعث به في الارض بشيرا عليه أزكى السلام لا يتهلل فازعا الى الله بالصلاة والتسليم عليه لا فرق بين عامتهم وخاصتهم في ذلك — أو اذا نودي الى الصلاة لرأيت منهم كل مقبل من كل

[1] وصف الكاتب لفظ السيد هنا بالأعظم فقف شعري عند رؤيتها، وذكرتها لتذكيره بعدم العودة اليها، وليعلم هو وغيره انني لا أحب الاطراء ولا أعشق الالقاب وانما أترك ما يكتبه إلي منها للاسباب التي بينتها من قبل ومنها اتباع العلماء السابقين في ذلك

فج ابتغاء لمرضاة الله واجتنابا لمعصيته وخشية من عقابه، يقفون صفوفا في انتظام وقور يؤدون ما كتب الله عليهم في كتابه الحكيم والخشوع يملأ جوانحهم (تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا)

الديانة الاسلامية هي العقيدة التي تكفل لبني الانسان طريق السعادة الدنيوية والسعادة الابدية لا يجنح من يسير ويستنير على سننها وشرائعها الى ضلة الأثم والعدوان، أو الى هاوية الذل والخذلان، بل لا يهتدي الا الى طريق الهدى والمنهج القويم والصراط المستقيم ، ولا يرضى أن يشوب ما أوضحه له دينه الحنيف من المباديء والشرائع أدنى شائبة من الخبائل الاجنبية ومظاهرها الخلابة ، ويشفق على نفسه أن يصيبها نزعزع في العقيدة أو أن يتصدع منها في قلبه ركن من أركانها ينهدم به كل ركن من أركان الخير والفلاح وكل أصل من أصول السعادة ، ويبذل في سبيل صيانتها وقوتها ونصرتها ما كان بين يديه وكل ما تملك أيمانه من قوة ومال ونفوذ ، بل يقدم أبناءه وفلذات كبده واحداً واحداً بل يقدم نفسه معهم في ساحة الحرب طعمة لما يريد أن يهشم شيئاً من أطراف شدة عقيدته وعظمتها ومجدها ولا ينثني مطلقا عن هذه الجهود والتضحيات، ما لم يكن قد تسرب الى قواه العقلية والنفسية شيء من النقص والاضطراب، أو تطاير شيء من أوراقها وعروقها مع عواصف الانقلابات والتطورات الاجتماعية ، أو أصيبت صحتها بعدوى أخلاقية خارجية

الدين الاسلامي هو نور الحق الذي انبلج في أفق الكون منذ أربعة عشر قرنا مضت، ذلك النور الذي أدبرت وانقشعت أمام أشعته ظلمات الجهالة والضلالات، وعلى بنيانه خفقت أعلام اليقين والعمران، وانتشرت روح الثقة والايمان، ورسخت في نفوس الشعوب كرسوخ النقوش في الاحجار الصلدة، فبذلك أصبحوا بنعمة الله اخوانا يشد بعضهم بعضا، يتعاونون في السراء، ويتناصرون في الضراء ، يشفق غنيهم على فقيرهم فيساعده، ويلتف صغيرهم حول كبيرهم فيظاهره، فتجدهم أشداء على الكفار العادين رحماء فيما بينهم، يرون السعادة كل السعادة في الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته واظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون. هكذا ديدنهم في كل زمان ومكان (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

الدين الاسلامي هو الدين الذي ألف بين قلوب الناس فجرى في عروقهم دم المحبة والألفة ، وأمرهم أن يؤدوا الامانات إلى أهلها ، وأن يستعففوا ، وأن يأكلوا بالمعروف ، فانغرست في نفوسهم الامانة والعفة . وعد الصابرين بأحسن الأجر ، وأمرهم إذا عزموا أن يتوكلوا على الله ، فجبلوا على الاقدام والصبر ، وبين لهم ان الاعمال بالنيات ، وأمرهم بالطهارة فنبت في قلوبهم الاخلاص والطهر ، أمرهم أن يتعاونوا على البر والتقوى وكرم منهم من يمشي سويا على صراط مستقيم ، فنشأوا على الاتحاد والاستقامة ، وأمرهم أن يقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونهم فتمكن منهم روح الشمم والشهامة ، بين لهم أن في كتابه آيات لأولي النهى ، وعبرة لمن يخشى ، وأن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً ، فادرعوا بالموعظة والحكمة ، وأمرهم أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم فلاذوا بالعدل والرحمة ، أمرهم أن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين وأن يثبتوا ويذكروا الله كثيرا فاستعانوا بالصدق والثبات ، وبين لهم أن من اعتدى عليهم فليعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليهم ففطروا على الحرية والمساواة ، بين لهم أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وأمرهم إذا قضيت الصلاة أن ينتشروا في الارض ويبتغوا من فضل الله ، فلجأوا الى العمل والعلم ، وبين لهم أن علو الهمة من الايمان فحثهم بذلك على المجد والعزم ، أمرهم أن يؤثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فتوطد بينهم أساس النجدة والمروءة ، وبين لهم أن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وأمرهم أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله فسادت بينهم الآداب والسماحة ،

ذلك هو دين القيمة الذي منحه الله عباده وفضل المؤمنين به على سائر الامم ، يأمرهم بالمعروف وبالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى واليتامى أموالهم ، ويجنبهم عن الفحشاء والمنكر والبغي وأكل أموال الناس بالاثم ، وينهاهم عن النميمة والحقد والحسد وما فيه الخسران المبين لهم ، وما كانت تلك الاوامر والنواهي منه سبحانه إلا رحمة منه ونعمة من كبريات نعمه رغبة في سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وحفظا لكيانهم من أن يصيبه عدوان المعتدين وهم في غيهم وغفلتهم يعمهون

كان والله عجبا أن يحدث ما يقع في كل يوم بل في كل ساعة تحت مشاهد أنظارنا ومدارك حواسنا من صنوف الفتك والاجحاف بالعقد الاسلامي، ومحاولة كسر أجنحته، وافناء قوته، وازهاق روحه، والمسلمون يكادون لا يشعرون بما ينوبهم من طوارق الحادثات مع شدة وطأتها وتحكيم أغلال الذل والاسترقاق في أعناقهم وأيديهم وأرجلهم، بل في ضرورياتهم وارادتهم، بل في أفكارهم وعواطفهم، كأنهم يحسبون أن الاسلام هو الخنوع لسيطرة العدو الباغي والاستسلام لما ينصب عليهم من المحن والبلاء،

عجبا والله ما نشاهد من الممالك الاوربية اذ كلما قام قائمهم يدعو إلى الفتح والغزو وظلم الشعوب لا يقابل ذلك النداء لدى شعوبهم إلا بالتلبية والاجلال والتأييد، فينقضون على أطراف ممالكنا ويشبعون أهلها طعنا وسلبا ونهبا وتقتيلا، حتى إذا ما استقر لهم الامر فيها جرعوا البقية الباقية منهم من سموم المدنية الغربية ما فيه هلاك للاجسام وذهاب للايمان، ويقلبون نظامها الاسلامي الجليل حتى تندثر معالمه ويصير كأن لم يكن شيئا من قبل، هذا هو محور غايتهم من كل أفكارهم وحركاتهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون)

كما كانت غرائز الجور والطغيان وحب الفتك متمكنة من مشاعر الغربيين كان ازاء ذلك من التخاذل والتجافي المتغلب على نفوس الامة المحمدية وميلها إلى اللهو والطرب والغفلة عن عواقب الامور مما جعل الاولين يتمادون في طيشهم وظلمهم ووحشيتهم، ويغرقون في سلب حياة الاسلام وضياع زهوه وبهائه بين أمواج ماينشرون من دعوات الفسق والكفر والفجور، وتحطيم حصون الدين المنيعة، وهدم صروحه الجميلة، فيهيم المسلمون على وجوههم في مهامه الحيرة والارتباك، حتى يأخذهم أولئك لقمة سائغة، وغنيمة باردة إذا شاءوا محقوهم عن آخرهم، وان أرادوا أبقوهم آلات بين أيديهم يدفعون بها أينما تريد لهم أهواؤهم، يسوقونهم لمحاربة بعضهم بعضا سوق الانعام الى مواطن نحرها،

أليس بعجيب أن ينهض الريفيون في مراكش ويهبوا للمطالبة بحقوقهم المهضومة فيردهم على أعقابهم جنود من سورية[1] والجزائر وتونس وغيرهم من الشعوب التي

١) الذي نعلمه ان فرنسة لم تجند في سورية جنودا وانما هنالك قليل من متطوعة نصارى لبنان

تربطهم بهم رابطة العروبة والدين التي هي أقوى الروابط وأوثقها فضلا عن اشتراكهم في شاكلة الخسف والضيم ، أليس من الغريب أن تغلب سورية على أمرها بواسطة جنود مراكشية وصومالية ، أليس ما يبعث على التحرق والحوقلة أن تستعمل الجنود الهندية للمحاربة في مصر والعراق وتركيا ، والجنود الافريقية في الهند وفلسطين ، رحمتك اللهم الطف بعبادك المؤمنين واهدهم إلى سبل الرشاد واجعل لهم من ماضيهم وحاضرهم عبرة وموعظة لمستقبلهم فأنت خير الراحمين

تفرق كلمة المسلمين فيما بينهم وعدم اجتماعهم في الآراء العقلية والوجدانيات النفسية مما حسن في مخيلة الاوربيين غارتهم تلك وسهل لهم سبلها حتى اندفعوا يهدمون بناء الاسلام حجرا حجرا ، ويخربون حديقته شجرة بعد شجرة ، ويسعون جهدهم في غرس المفاسد والآثام وتحليل ما حرمه الله ومعصية ما أمر به ، حتى أذهلوا المسلمين عن أنفسهم ، وزادوهم سكرا على سكرهم وغفلتهم ، وحمقا على حمقهم وغباوتهم ، ذلك بأنهم فقدوا كثيرا من موازنة ارادتهم وشعورهم بتكرار الاعمال المغايرة لطبيعة أخلاقهم وشريعتهم ، فتنكبوا سبل دينهم وحادوا عن طرق إرشاده وإصلاحه ، واندفعوا وراء الشهوات والموبقات وأسباب الشقاق ، كاندفاع الجنادب إلى المواضع القذرة ، ضاربين صفحا عن هاتف الايمان الذي يهتف من أعماق صدورهم ، الذي يهيب بهم إلى التعقل والاعتبار ، والرجوع إلى أنفسهم ، ودفع عادية ما قد يغتال روح الاسلام وينقض دعائمه مع عدم احساسهم بداعية الحق والواجب عمله في سبيل نصرة ملتهم وعقيدتهم ، أشد ظلما لأنفسهم وأكبر ضلالا عند الله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين)

إذا ضعفت ملكة العاطفة والحساسية من القلب - وهي القاعدة التي تبنى عليها عماد العقيدة - ذهبت معها وسائل الشجاعة والاقدام وما يلازمها من خلال الشهامة والثبات واقتحام المهالك ، ويعدم الانسان الصفات التي بها يتمكن من دفع المؤذيات والذب عن حوضه وكيانه ، بل تجده كثير التواني في حقوقه الشخصية

والوطنية والدينية، لايحرك ساكنا في سبيلها ضربت عليه الذلة والمسكنة، وعاش طول حياته كسيف الضمير حزينا حسيرا

ولما كان لكل عمل من الاعمال وكل هيئة من الهيئات البشرية حيز معلوم ودائرة محدودة لايتعداها الانسان كان فيها مايحمي قيامها ويقوم اعوجاجها ويردع من ينزع الى أحد حدي التفريط والافراط فيها ويرده الى مواطن الحق والصواب، ولقد كان من ضرورة الاجتماع الانساني أن يكون من بينهم الضعيف والقوي، فمن شأن الضعيف أن يرضخ ويستسلم للقوي، فاذا شعر بشدة الظلم وقرب وجوب الفناء كان الواجب عليه أن يفيق ويثب على من ظلمه وثبة ترده إلى صوابه وحده، بل وربما تحطمه تحطيما تاما وترد اليه جميع حقوقه تامة كاملة، وإن القوي من شأنه الترفع والعلاء حتى إذا ما بلغ أعلى شأوها كان الطغيان والتعدي أول نذير له بالسقوط

أجل قد بالغ المسلمون في تخاذلهم وفناء الثقة فيما بينهم بقدر مالج الغربيون في تصلفهم وتبجحهم، حتى حق القول بأنه إذا سار الطرفان على هذا المسلك دون أن يكون لليقظة والنهوض سبيل لدى نفوس المسلمين فانهم يكونون قاب قوسين أو أدنى من المحق والفناء، ويصبح التلاشي أقرب اليهم من حبل الوريد، بل قل على شريعتهم السلام فهلا تشعرون بالعاقبة وهل أنتم منتهون؟

ألا ان من الهمة والحزم أن يتعاون المسلمون على نيل المنافع، ويتضافروا على دفع المضار اذ قد تبين لهم أن في التدابر والتقاطع وترك الامور على تيارها مايؤدي الى الانحلال، في عناصرهم وذواء فطرتهم، والضعف في ملتهم، فيتفرق شملهم، وتنفصم عرى الائتلاف بينهم، فتذهب ريحهم ويصبحوا من الخاسرين، فلقد آن أوان صحوهم من سكرتهم، ونهوضهم بعد سباتهم، ليتداركوا ماذهب اليه اختلافهم، ويمكنوا روح الوحدة والاعتصام من قلوبهم، حسبما جاء به الدين حتى يكون العالم الاسلامي كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. ماهذه الا بينة الرشد توحى اليكم يصدع بين جنباتها الحق المبين، أفلا تستمعون لها وتتلمسون محجتها باليقين، فاذاً تعتصمون بالعروة الوثقى وحبل الله المتين، وتنبذون كل خلاب مهذار مخذال مهين إنه خير لكم لو كنتم تعقلون،

أم أنتم عن ذلك تعرضون (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

ان للحق مباديء وغايات ، وللباطل قواعد ومآرب ، ولكل منهما شيعة وأنصار ، وليس علينا الا أن ننصر الحق أو ننبذه ، أو ندحض الباطل أو نرهبه ، على أن الحق ليس من الضعف لدرجة أن يرهب أو ينبذ ، بل ان للحق سطوة عظمى فوق بطش الباطل وطيش الضلال ، تستولي على النفوس بدون جزع أو ارهاب ، فيعتريها الشعور بجلال الحق والاذعان لروحه ، أفبعد ذلك يشغب الهارفون؟

جدير بالعلماء وكبار المفكرين وقواد الآراء في مصر بل في جميع من سواها من الدول المسلمة أن يتعاهدوا ويعقدوا الخناصر على إحكام رابطة الاسلام وتشذيبه مما قد خالطه من الشوائب والاسقام ، وأن يعملوا جميعا في ذلك يداً واحدة ، وأن يرسموا للشعوب الخطط القويمة والمباديء الرشيدة ، ويأخذوا بناصرهم حتى يتبوأ الجميع مكانهم من العزة والمنعة ، ويفوز الجميع بجني ثمار أفكارهم وأعمالهم ، وتمهيداً لاتجاهنا إلى غايتنا التي ننشدها نقول :

(١) على كبراء المسلمين من العلماء والفلاسفة والرجال الروحيين ورؤساء العشائر وحكام الاقاليم من سائر الاقطار الاسلامية أن يوالوا عقد الاجتماعات المتعاقبة لابداء آرائهم الصائبة وأفكارهم الثاقبة في اصلاح شأن الاسلام وجمع شتاته وتوحيد لوائه مع الرغبة الصادقة والعزم التام وتوجيه الجهود الى ذلك من العام والخاص

(٢) سعي الجميع لتوثيق عرى المودة والتعاون بين الشعوب والحكومات الاسلامية بحيث يعمل الفرد منهم في سبيل المنفعة العامة ، وان تعطف الجماعات على مصالح الافراد منها

(٣) القيام لاصلاح ذات البين بين الشعوب الاسلامية التي بين أفئدتها ضغائن أو سوء تفاهم إذا طرأ ذلك وإحلال الاخوة والصفاء والتضامن بدلا من ذلك

(٤) البحث في إصلاح شئون الاقطار الاسلامية ووسائل رفعتها وكرامتها ، والقضاء على كل مايؤدي الى نقص قدرها وهيبتها ، واقامة شعائر الدين والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٥) الاسراع في تنصيب خليفة المسلمين الذى يكون بالانتخاب كما كانت الطريقة المتبعة لدى الخلفاء الراشدين الاربعة لا بطريق الذرية والوراثة

(٦) أن يكون المرشحون للخلافة من أساطين العلماء الجهابذة ذوي العبقرية على أن يكونوا من ذوي الجد والهمم والارادة القوية والعزيمة الماضية العاملين - الممتازين بماضيهم المجيد المعروف، وكفاءتهم الشخصية، ومقدار ثقة الشعوب فيهم من سائر الممالك الاسلامية على السواء

(٧) أن يكون مقر الخليفة القاهرة ويكون مجرداً عن السلطة الاجنبية أو أن يكون في أي قطر مستقل وأن يسري نفوذه الديني لدى جميع المسلمين على نص الشرع والسنة

(٨) أن يكون للخلافة مجلس أعلى يسمى مجلس الخلافة ينعقد في أوقات مخصوصة معينة برئاسة الخليفة ويكون له عن كل قطر اسلامي نائب أو أكثر للنظر في شئون الاسلام والمسلمين المادية والمعنوية

وختاما نضرع الى الله أن يوفقنا جميعا الى مافيه الخير والصلاح والسعادة والعمران وأن يهدينا الى صراطه القويم وطريقه المستقيم وأن يجعل الحق والنجاح والحكمة رائدنا انه على مايشاء قدير

سيدي الاستاذ

لقد أبديت لك صراحة ما أشعر به وما ينبض به قلبي بل وقلب كل مسلم ولم أعرضه ولن أعرضه إلا على أنظار فضيلتكم كي تحكموا فيه بحكمتكم المشهورة ، والله على ماأقول وكيل ؟ يحيى محمد البكري — بفرشوط

[المنار] ان كل جملة من رسالتكم تدل على معرفتكم بحال أمتكم وعصركم إلا هذه الاقتراحات في الخلافة ، من ذا الذي ينصب الخليفة ؟ من ينتخبه؟ من يرشح جهابذة العلماء ذوي العبقرية للانتخاب ؟ أي مملكة ترضى أن تكون مقراً لخليفة منتخب غير ملكها أو أميرها ؟ أما قرأت ياأخي ما كتبته الجرائد المصرية الطعن بمؤتمر الخلافة والسخرية من كبار العلماء لتأليف هذا المؤتمر ؟ أما سمعت صياح ملاحدة مجلس النواب في انكار صرف مبلغ حقير من الاوقاف الخيرية على هذا المؤتمر اتباعا لملاحدة جريدة السياسة ؟

﴿ التمدن الآثم . القاضي مترنيخ . تلقيح القضاء المصري ﴾

(الجامعة المصرية تحت راية القرآن)

رسالة من مسلم عالم غيور من مراكش

لجريدة السياسة خطط متبرقشة وبرنامج متموج يتدفق بالتفرنج الآثم ، وتهلل السياسة في إذاعته مهما كان بشعاً متوحشاً ، وإن قراءها يعرفون الكثير من ذلك ، ومن أسمج ما رأينا فيها قصة مترنيخ المنشورة في عدد ١٥١٩ تاريخ ٢٤ ربيع الاول عام ١٣٤٦ ولا ترى في (قصة اليوم) التي تنشرها السياسة في كل عدد إلا أمثالها وأشنع منها

وخلاصتها لمن لم يقرأها ان هذا القاضي الفاجر أو الوحش مترنيخ سطا على فتاة ويعلم الله كم استعد لسرقتها واستشار إبليس اللعين في خداعها حتى تمكن منها ففصبها أثمن شيء لدى الفتاة (هو عفافها) ولا شك انه دفع لها قناطير مقنطرة من الايمان بشرفه وشرف تمدنه إنه سيتزوجها على عادة شأن هذا التمدن الوحشي

حملت نيتاشا من ذلك القاضي المتمدن وولدت طفلا ألقته في البحر خوف العار والشناعة . عثر البوليس على جثة طفل حديث الولادة وشوهدت فتاة تدعى نيتاشا تلقي به في قاع البحر فقبض عليها والبحث جار لمعرفة والد هذا الطفل

يقول القاضي المتمدن بعد ذلك ماذا يكون جزاء نيتاشا ؟ لابد أن يقتص منها القانون . ثم يقول الوحش تخيلت نيتاشا وهي واقفة تستعطفني في قاعة المحكمة أن أرحمها وأرحم شبابها الغض. ثم يقول الفاجر مترنيخ بعد أن تكلف إظهار تشنجات وخيالات مبرقشة كاذبة مغزاها أنه غالب نفسه (المتيمة) ونفذ القانون كما يجب

لقد غصت المحكمة بجمهور المتفرجين وبكت نيتاشا واسترحمتني بصوت مؤثر أهاج الشفقة في القلوب (الله في قلبه القاسي) وأسال العبرات من العيون ولكن حكمت ... نعم حكمت ويا لقساوة القانون... القانون يا دكتور... العدل يا عزيزي

نحن لا نفهم من نشر هذه القصة وأمثالها إلا تلقيح الشباب بهذه الجرائم الفتاكة وإغرائهم بهذه الموبقات وتعليمهم الاعتذار بعد الوقوع

اذا كان هذا الوحش خان هذه الفتاة التي تفنن في وصف جمالها بدون خجل فهل ضاق عليه القانون ولم يهتد لحيلة يخلص بها فريسته من العقاب والعار؟ إنه لو تأمل قليلا واعتمد على مادة من مواد القانون لما عدم مادة من مواده المرنة يمكنه بها من تخليص نيتاشا بسهولة

لا أدري أيهما أشد إجراما ؟ خداعه إياها وسلب عفافها وحنثه في أيمانه ثم افتخاره بتنفيذ القانون الوضعي وهو المجرم المحتال المتعمد؟ أو فحص مواد القانون للعثور فيه على بند يخلص تلك الفتاة المخدوعة بلا شك ، هلا راجع كتب الحكمة التي تحض دائما على الرحمة والشفقة والتخلق بهما والايثار على النفس ولو مع الخصاصة عوض تكرار مواد القصاص القاحلة الجافة ؟ هلا درس باب بدل الغلط الذي هو أصل من أصول الشرع الوضعي كما قيل وإن كنت أستبعده

بدل الغلط

وقعت لي محاورة مع محام يقال انه بارع في فنه جداً في موضوع الغلط « والعهدة عليه » خلاصته ان غلط القاضي في إلقاء نص الحكم يخلص الجاني أو يدين البريء ، فاذا سرق جانٍ ألف جنيه مثلا وثبت ذلك عليه ثبوتا صريحاً أو أقر وأراد القاضي أن ينطق بنص الحكم في مجلس القضاء كأن قصد أن يقول حكمت عليه بأداء الالف جنيه فسبقه لسانه وقال حكمت ببراءته فان الالف جنيه تضيع على ربها وتذهب مع الاجراءات التي اتخذت تحت الاحكام العرفية في مصر

وإن أراد أن ينطق في مجلس الحكم على متهم ثبتت براءته بالحجج القاطعة وأن يقول حكمت ببراءته فسبقه لسانه وقال حكمت باعدامه نفذ الحكم، وهكذا

وكم انتفخ هذا المحامي انتفاخ العصفور بلله القطر واغتاظ وتهجم على الشرع الاسلامي حين قلت له : ان القضاء الذي يدين البريء ويفلت الجاني لا يمكن أن يكون قضاء الانسانية وإن قضاء الانسانية هو القضاء الاسلامي الذي لا يعتمد إلا النصوص الصريحة والحجج الناهضة ولا يعرّج أبداً على أبواب الغلط والشبه والاوهام

وقد اشتد غيظه جداً لما قلت له : إن قضاء القاضي الاسلامي لا يحلّ حراما

ولا يحرم حلالا، وإن خطأ القاضي اذا كان صريحا أو ظاهراً فانه ينقض الحكم ولو طالت عليه الايام والشهور

دعاني إلى تسطير ما ذكر تنبيه الرأي العام الاسلامي الذي هو الأكثرية الساحقة في مصر لما تريده جريدة السياسة وأذنابها من نشر هذه الاقاصيص السمجة فهي لا تفتأ تنشر أقاصيص اليونان والرومان والتفرنج الآثم، ولا تزال ترغب في قراءة تاريخ اليونان وآدابهم وفنونهم في حالة أنها تسعى هي وطاهاها في إغراء المصريين بالاعراض عن آداب العرب وعلومهم وتاريخهم، ومع ذلك لا تأتينا من آداب اليونان وغيرهم إلا بأبشعه وأثقله على النفوس

ومن أعظم كبائرها وأكبرها جرماً مناصرتها لطه حسين ونشر حماقته وإلحاده فيها والتمويه به وبجراءته مع ان أكثر الجرائد حكمت بمروقه وتجرده من القومية المصرية، وبتهجمه على الشريعة الاسلامية ؛ دين الأمة والدولة، والتحريش بالآداب العربية التي هي مادة الأدب العالي من آداب الافرنج

وأدهى من ذلك حماية الجامعة المصرية لذلك الأخرق المتطاول على آداب الاسلام كأنها خلفت الدولة الانكليزية في حماية الأقلية التي لم يسلم بها أحرار المصريين لأعظم دولة على وجه الارض

وأدهى من ذلك وأمر ما نراه من استخذاء المصريين بما فيهم مجلس النواب للجامعة المصرية مع ظهور مكابرتها وشدة عنادها في ترك طاهاها على طغيانه

أفلا تغري الجامعة بعملها هذا كثيراً من الهيئات التي هي أشبه بحكومات بتمسكهم بقوانينهم الداخلية في حالة ان مصر الفتاة تبذل أكثر جهودها لمحو جميع الامتيازات

يظهر أن الجامعة لا تهتبل بالمصريين ولا ببرلمانهم وأن أساتذتها أو بعضهم مأجورون لناحية من النواحي إن لم يكونوا مكرهين على حماية طه حسين داعية الكفر والعصيان

لو كانت تعتبر المصريين لقرأت انتقاداتهم بامعان وتدبر وأحلتها محلها واقتدت على الأقل بمدارس العراق التي أكرهت .... نصولي .... على مغادرة مدارسها بسبب كتابته على الدولة الأموية التي يحبذها جمهور المسلمين ومع ذلك انقادت وزارة المعارف لارادة الأكثرية وسكنت الفتنة

لو قرأت الجامعة كتاب « تحت راية القرآن » لمؤلفه حامل راية البيان مصطفى صادق الرافعي لما تركت طه حسين لحظة واحدة ولتنازل كل واحد من أعضائها والمدرسين فيها عن مرتب شهر وأخرجوه من مصر ونفوه الى جزيرة لارينون عوض الشهم الكريم بطل الريف العظيم

من أعظم كبائر الجامعة أنها كادت تمزق شمل الامة في سبتمبر سنة ١٩٢٦ فاصطدم مجلس النواب مع الحكومة اصداما مفزعا بسبب طاهاها ولو لم يسمع أحرار مصر والمخلصون لها للتوفيق بينهما لخلاص مصر من ذيول محنها لوقعت فتنة عظيمة ولكن الله سلم

هل تحب الجامعة أن يكون طه حسين في الجامعة أشبه بمومسة عجفاء علق في أشراكها شاب مهذب عزيز على أهله من اسرة عريقة في المجد والدين والمروءة ووالده وجميع أهله وأقاربه وأصدقاؤه يسعون لتخليصه من تلك الحية الرقشاء ويتوسلون بكل الوسائل لانقاذه والمحافظة على سمعته وسمعة أهل بيته، والمومسة الفاجرة لاتقاومهم إلا باستبكائها على قلب ذلك الشاب الطيب السريرة وقبضها على فؤاده قبضا محكماً وتظاهرها بحبه وتعشقه ، ولولا محافظتهم على فلذة كبدهم لسحقوا المومسة بنعالهم

وأعجب من ذلك إبقاء المصريين على هذه الجامعة وإرسالهم أولادهم لتعلم الزندقة والالحاد فيها ليهلك من هلك عن بينة ويلحد من ألحد على رغم أنف المصريين

فسر الى الامام ياصادق الرافعي واحمل كل يوم راية من رايات البيان واحرق كتاب الادب الجاهلي كما مزقت كتاب الشعر الجاهلي ولا تفتر عن هدم الجامعة بريشة قلمك حتى تقضي عليها قضاء مبرما كما قضى « أسد الاسلام » السيد رشيد رضا في مجلته المنار على دولة الحسين طاغية الحجاز فدارت عليه الدوائر ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

وهذه جريدة الاخبار الغراء مفتوحة على مصراعيها لنشر كتابتك الرائعة والله في عونكم جميعاً مادمتم في عون الاسلام دين الانسانية (ولتعلمن نبأه بعد حين) سيقول ساسة السياسة ما لمراكش ومصر فان نظرت القذى الطفيف في عيون

المصريين فما بالها تعامت عن الاخشاب في أبصار المراكشيين ؟

وهلا نظر المراكشيون الى حالتهم وما هم فيه من التأخر والانقياد الأعمى للمحتلين والجهل الضارب أطنابه حتى انه لايوجد في مراكش مدارس ولا جرائد أو مجلات ولا اندية ولا جمعيات خيرية أو سياسية ولا مجالس شورية أو تشريعية حتى المجالس البلدية لا وجود لها هناك فالرعية في مراكش كالغنم في يد الجزار متى أرادها للذبح يسوقها بسهولة ؟

سيقولون ذلك أو أكثر منه ولهم الحق كل الحق ونقول في الجواب ونحن في غاية الخجل، نقول لهم لايذفف على جريح ونقر لهم سلفا بكل ماقد يدعونه ومع ذلك نعيد عليهم النصيحة بأنه ماقاد المراكشيين الى جحيم الاحتلال ثم الهوان والخزي إلا أمثال طه حسين بمثل حماقته وانقياد القادة لامثاله حتى حلت الحاقة الحاقة ، فاعتبروا يا أولي الابصار، وإن العاقبة للمتقين (مسلم غيور)

لماذا دخلت في الاسلام ؟

﴿ نشرت بعض الجرائد العربية في أمريكا ثم في مصر مقالا بهذا العنوان لصاحب الامضاء الذي هداه الله تعالى الى الاسلام ببحثه الحر وعقله المستقل وفطرته السليمة فلغط أهل ملته التقليدية في اسلامه بماشاءت عصبيتهم فكتب مقاله التزيه رداً عليهم. قال ﴾

لم ألزم الصمت حتى الآن ولم اتحاش اذاعة اسلامي على صفحات الجرائد إلا لاعتقادي بأن الامر ليس بذي أهمية تذكر . وما هو إلا حادث بسيط خاص بي وحدي دون سواي ، ولست بمؤد عنه حسابا إلا لخالقي عز وجل

وما كنت لاحسب وايم الحق أن شخصي الحقير يستأهل مثل هذا الاهتمام ويستفز كل هذه الجلبة والضوضاء مستثيراً الظنون المتضاربة والاقاويل المتنوعة حول عمل كنت أعده بسيطا . ولم يقعدني عن إذاعته إلا خوفي من أن يحسب العاذل انني أرمي من ورائه إلى حب الشهرة والمجد الباطل

أما وقد وقع ما كنت أتحاشاه تواضعا لا خوفا فانني لم أخف قط في قول الحق

ولا خشيت فيه لومة لائم فلم يبق بد من بسطي لبني وطني رأيي الصراح في الامر المذكور كي لا تبقى حسرة في نفس يعقوب

ليس في اعتناق الاسلام مدعاة للاستغراب ولا موضع للظنة والريبة ، فان هو بحسب اعتقادي إلا تطور طبيعي يؤدي اليه التعمق في درس الاديان المتسلطة اليوم على عقول البشر ، اللهم إذا كان عقل الدارس غير مقيد بقيد غليظ يربطه بأحد الاديان ربطا محكما لا يستطيع الافلات منه

وليس غرضي الآن التبسط في شرح كل دين على حدة لتبيان أفضلية الواحد على الآخر . فذاك أمر يستلزم مجلداً ضخما ، لا مقالا واحداً ينشر في جريدة سيارة . فاكتفي إذن من هذا البحر الواسع بالوشل مقتصراً على بعض المميزات بين الدين المسيحي الذي ولدت في أحضانه والدين الاسلامي الذي اتبعته

لا جدال في أن الاول دين سام غاية في الجمال والنفع لبني البشر إذا جردناه من الزوائد التي أدخلها عليه الاكليروس فمسخته مسخاً وشوهته تشويهاً جعله اليوم ديناً أقرب إلى المادة الفانية منه إلى الروح الشريفة السامية

أدخل مثلا إحدى الكنائس فترى التماثيل والايقونات والرسوم محيطة بك من كل جانب

تأمل ملابس الكهنة وزخرفتها وزركشتها

لاحظ بدقة طقوس الصلاة والعبادة وما يعتورها من رائحة بخور وابتهال حار لطغمة لا يحصي عديدها من قديسين وقديسات يقومون سداً منيعا دون الوصول إلى العزة الصمدانية

تبصر في كل هذا وقل لي: ألا تحسب نفسك في هيكل أعد لعبادة الاوثان؟

تعال معي الآن لندخل هذا الجامع الخالي من التماثيل والصور

أنظر هذه الجموع الغفيرة المؤلفة من مئات وألوف الرجال الاشداء

تأمل خشوعهم العديم المثال وسجودهم بورع زائد كأنهم رجل فرد أمام الواحد القهار

اصغ إلى صلاتهم السامية في بساطتها والمختصرة [1] في كلمات الشهادة :

(١) أي المختصرة معانيها ومقاصدها الكلية في الشهادتين والتكبير

«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الله أكبر الله أكبر»

أنظر إلى إمامهم اللابس ثيابا بسيطة كواحد منهم والمتعمم بعمامة من الشاش الابيض الرخيص الثمن، وقابل ملابسه بملابس ذاك الكاهن أو الطران المزركشة بخيوط الفضة والذهب والمرصعة قلنسوته بالحجارة الكريمة

في الجامع كل شيء يحولك عن بهرجة هذا العالم الفاني ويصعد بك في عوالم اللا نهاية ليضعك عند أقدام العزة الصمدانية . أما في الكنيسة فكل ما يحيط بك يبعد عن الواحد الاحد ويلصقك بالمادة

قد يقول لي قائل ان البروتستنت وهم شيعة من المسيحية قد نسخوا من كنائسهم الرسوم . فلماذا لم تتبع مذهبهم وفضلت الاسلام عليه؟ فجوابي ان المذهب البروتستني هو أقرب المذاهب المسيحية إلى الدين المسيحي الحقيقي . غير انه يعاب في نظري لاقراره بالوهية المسيح . وأنا مع اعتباري السيد المسيح من فضلاء المصحين والانبياء وفي اعتباري النبوة وحي إلهي ـ لا اقر له بالالوهية . ولن أعبد قط رجلا مثلي من لحم ودم

وهذه العقيدة راسخة فيَّ منذ بلغت رشدي . وقد جاهرت بها منذئذ بين أهلي وأقربائي وكل من شافهني في هذا الموضوع من سنين طوال الى يومنا هذا فتطوري أذن ليس حديث العهد كما يتوهم غير عارفي ، بل هو نتيجة اقتناع راسخ مستحوذ لا علي فقط بل وعلى السواد الاعظم من المسيحيين المتعلمين الذين سنحت لي مباحثتهم في الامر ، وجلهم ينكرون حتي وجود الباري تعالى عز وجل

أما ميلي الى الدين الاسلامي الحنيف فليس حديث النشأة أيضاً . ولهم بذلك علم (أعني) من كانوا يطلعون على كتاباتي في جريدتي المحتجبة (أداليد) ومجلتي (لابالابرابورتانيا) فمنذ خمس سنوات خلت بدأت بالمدافعة جهراً عن الاسلام بقلمي ولساني بعد ان كنت ادافع عنه سراً بلساني فقط

غير ان ميلي المذكور لم يصل بي الى حد التدين نهائيا بالدين الذي آليت على نفسي الدفاع عنه . وما ذلك إلا لاني كنت لم أزل اجهل عنه الشيء الكثير . فعندما عولت على وضع كتابي « شرائع الاسلام » رغبة مني في دحض افتراءات المفترين على الشريعة السمحة رأيت نفسي مضطراً لمراجعة مصنفات الأئمة الاعلام

ومطالعة أكثر من واحد من كتب الدين . فاتضح لي عندئذ بجلاء جمال هذا الدين السامي وفضل المصلح الاعظم محمد بن عبد الله ﷺ على الانسانية جمعاء فصممت حينئذ على اتخاذ الاسلام دون باقي الاديان ديناً أتدين به . وكان ذلك عام ١٩٢٤ ، أي حين انتهائي من وضع الكتاب المذكور

بيد اني للاسباب التي ذكرتها آنفاً ، ولحذري من سوء ظن أولئك الضعفاء العقول الذين لا يبصرون أعمال بني جنسهم إلا مدفوعة بدافع مادي، ولا يتصورون ان المرء قد يعشق الجمال لمجرد الجمال بل لما يتضمن من لذة مادية وحشية ـ قلت اني لهذه الاسباب تركت أمر اسلامي طيّ الخفاء إلى أن جاء زمن إعلانه ولم يبق في وسعي السكوت، لان سكوتي الآن إما أن يحسب عليّ جبناً وخيانة وإما مراوغة ومداجاة ، فاكون نصرانياً مع النصارى ومسلماً مع المسلمين، وأنا بعيد عن ذلك

فانا منذ ثلاث سنوات مسلم بكل ما في الاسلام من مبادىء سامية وأفكار راقية وروح تعاضد وحب خير وابتعاد عن المنكر . والذي يزيدني تمسكا به ما وجدته فيه من الحض على العلم والعرفان ومطابقته روح المدنية الحقيقية

فالاسلام دين علم وعمل . وبعبارة أخرى هو دين إيجابي ، بعكس الدين المسيحي الذي هو سلبي : يأمر بانكار الذات التام ويحض على الابتعاد عن كل ما في هذه الدنيا من رزق ومتاع بصورة ان من أراد العمل[1] بأوامر الدين المسيحي بالحرف الواحد لزمه ترك الدنيا والتنسك في صومعة . أما الدين الاسلامي فيمكننا العمل بأوامره تماما دون أن يحوجنا ذلك إلى الابتعاد عن العالم وما فيه من لذة وتمتع غير محرمين

ورب قائل يقول انه كان بوسعي أن أفعل كباقي متعلمي النصارى المحافظين بالاسم فقط على دينهم والعاملين فعلا ضد تعاليمه . فجوابي على قولهم هو اني لا أرضى لنفسي ادعاء ما ليس فيّ . فما دمت لا أستطيع العمل بتعاليم الدين المسيحي فمالي وللادعاء الفارغ بحملان اسمه . ثم إني لأشعر بذاتي حقيراً في عيني نفسي إن لم أجسر على التصريح بأفكاري بحرية واستقلال . وكيف يحق لي طلب استقلال لبني أمتي وبلادي إذا كنت لا أبدأ بانالة روحي استقلالها لتفعل ما تراه صالحا وموافقا لخلاصها وراحتها الابدية؟

---

[1] أي بحيث ان من أراد العمل الخ

وهل يليق بمن كان مثلي أن يظل أسير التقاليد إذا كان في هذه التقاليد ما ينافي عقله واعتقاده ؟ فاذا ولدت مسيحياً من أبوين مسيحيين ، هل يكفي ذلك لبقائي على الدين المسيحي حتى لو كان هذا مخالفا لما يوحيه إليّ ضميري ويمليه عقلي؟

ولو كان هذا صحيحاً ومقبولا لما جاز للسيد المسيح عليه السلام وتلاميذه الابرار ترك اليهودية والتبشير بالنصرانية ولا للنبي محمد ﷺ وصحابته (رضي الله عنهم) هجر عبادة الاصنام ، ونشر الاسلام من المشرق إلى المغرب

إن سنة النشوء والارتقاء تقضي ببقاء الاصلح. فمن ترك أمراً صالحاً للتمسك بما هو أصلح منه أو بما يعتقده أصلح منه كان عاملا بأوامر تلك السنة الازلية التي لا مرد لاحكامها

هذه هي حقيقة حالي والاسباب الجوهرية التي حملتني على اعتناق الاسلام لاقف على خدمته البقية الباقية من عمري قسطنطين ملحم

سعد زغلول

(٢)

تكلمنا في النبذة الاولى من هذه الترجمة على فطرة سعد الزكية ، وغريزته الاستقلالية ، ووراثته للسجايا العربية ، كالفصاحة والشجاعة والحرية ، وحاجته إلى تربية حكيمة وتعليم نير يكمل بهما استعداده لعظائم الامور

ثم تكلمنا على هداية الله له وسوقه اياه عند ارادته طلب العلم الى حضن الاستاذ الامام فكان له تلميذاً عنه يتلقى العلم ، ومريداً اليه ألقى مقاليده في تربية النفس ، كما انه أدرك معه أواخر عهد حكيم الامة السيد جمال الدين الافغاني ، فكان يختلف الى مجالسه ، ويلتقط بعض ما ينثر من دره ، وتنفعل روحه بما يتجلى في شكل خلقته ، وعلو همته ، وملامح نظرته ، من شعاع ينبعث من عينيه ، وحرارة تفيض من بين جنبيه ، وحكمة تتدفق من بين ماضغيه ، وهمة تتضاءل أمامها العظائم ، وشجاعة تجبن دونها الضياغم ، وناهيكم بفصاحة لسانه ، وقوة عارضته ، وتأثير خطابته ،

حدثني حفني بك ناصف وهو كسعد ومحمد باشا صالح من الرعيل الاول من

تلاميذ الاستاذ الامام قال: كنا اذا قيل لنا ان السيد سيخطب الليلة نفضل سماع خطبته على سماع أطرب المغنيين (كالسيد عبده) فنؤثرها عليها حتى ان المدعو منا الى وليمة عرس يترك الاجابة لها، وكنا نجد في أنفسنا من سماع خطبته (وكذا سائر كلامه في الاصلاح) ان انواحد منا جدير باصلاح مديرية أو اصلاح مملكة اه

قد صار جميع الذين اختلفوا الى مجلسه خطباء يتفاوتون بقدر معارفهم ولسنتهم، وكان الاستاذ الامام أوسعهم علما، وأصحهم حكما، وأفصحهم لسانا، وأحسنهم بيانا، وأبلغهم قلما، وكان يليه في سلاسة الانشاء ودقة التعبير ابراهيم بك اللقاني، وانفرد ابراهيم بك المويلحي ببلاغة الترسل ونكت النقد، فخلف وراءه فيهما كل أحد، وخطابة ابراهيم بك الهلباوي معروفة للجماهير لان الشيخوخة لم تنل من منته، ولم تضعف من شرته، ولم تخفض من جرس صوته، وقد اشتهر السيد عبد الله نديم بخطابة التهييج في عهد الثورة العرابية فكان مسعر نارها، ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها، فانه ذو خلابة وغلو، ولا يهيج العوام الا الغلو، وأما سعد فقد برّ الجميع في الخطابة الجدية بعد أن زاولها في عهد اشتغاله بالمحاماة، وإن أصعبها مركبا، وأعزها مطلبا، وأعلاها على العقول منالا، وأعصاها على فصاح الالسنة مقالا، لهي الخطابة السياسية، في متنازع المصالح الدولية، والمطامع الاستعمارية، كما هو شأننا مع الدولة البريطانية، وقد أصاب سعد القدح المعلى منها، حتى شهد له أشهر خصومه الانكليز وغيرهم بنبوغه فيها، وكانت أفعل مواهبه في زعامته، وكان مع هذا كاتبا مجيداً، والاستاذ الامام هو الذي علمه الانشاء، ثم مرنه عليه بجعله أحد المحررين بالقسم الادبي في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) في عهد توليه لرياستها مع ادارة المطبوعات العامة. وقد رأى القراء نموذجا من مكتوباته العادية لاستاذه وأستاذنا إذ كان في بيروت عقب نفيه من مصر (١)

(١) مر في ص ٥٩١ ج٨ ان ذلك الكتاب كان بعد عودة الاستاذ من أوربة الى بيروت والصواب انه كان بعد ذهابه من مصر الى بيروت وقبل سفره الى أوربة ووقع غلط آخر في ص ٥٩٠ من تلك النبذة وهو ان محلة نصر بلدة الاستاذ في مديرية الغربية والصواب انه في مديرية الشرقية كما بيناه في ترجمته وتاريخه، وكان الغلط من المطبعة

(٣) ايمان سعد وخلائقه وتأثيره هما في عمله

قد علم مما تقدم ان سعدا تربى في حجر الاستاذ الامام تربية اسلامية استقلالية فكانت عقيدته الدينية راسخة وآدابه الاسلامية عالية ظهر أثرهما في أعماله الكسبية ونزاهته فيها عن الطمع والدناءة وأكل السحت ، بل كان يقيد في دفاتره ما يأخذه من مقدم جعل الوكالة في المحاماة في دفتر الامانة لا في دفتر الدخل والايراد ، ليردها الى صاحبها إذا لم يقدر على عمل شيء له ... ولم يكن يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها على الباطل ، وربما كان ينصح لبعض الذين يطلبون توكيله عنهم نصائح يستغنون بها عن توكيله ، حدثنا عن نفسه أن رجلا عرض عليه أن يوكله في قضية ذكرها له فقال له انني لا أقبل جعلا منك أقل من مائتي جنيه ، وقضيتك هذه بسيطة لا تحتاج المدافع فيها عنك علما واسعا ولا حججا تعجز أنت عن الادلاء بها كما ألقنك ، فأنا أذكر لك ما أدافع به عنك إذا قبلت الوكالة وأرجو أن يحكم لك به كما يحكم لي إذا كنت صادقا فيما ذكرت لي من موضوع القضية ، فاسمع ما أقوله لك ووفر على نفسك مبلغ ٢٠٠ جنيه . وذكر له ما يجب أن يدافع به . فقال الرجل بل أرجو أن تقبل الوكالة عني وتدافع لي في المحكمة بنفسك وتأخذ الجعل حلالا طيبة به نفسي

قال سعد فقلت له قبلت وسترى وتسمع صدق ما نصحت لك به ، وذهب الى المحكمة في بنها ومعه الموكل وقال فيها عند الدفاع عنه ما كان ذكره له بعينه وحكمت له المحكمة على خصمه (قال) وكان دفع لي نصف الجعل فلما جاءني بالنصف الآخر قال لي : أتظن انني أبله (عبيط) لم أفهم نصيحتك لي أو لم أصدقها ؟ كلا انني فهمتها وصدقتها ولكنني رجل ذو نعمة وأطيان واسعة وقد كثر المعتدون علي فأردت أن يعلموا ان وكيلي « سعد زغلول » ليكفوا عن الاعتداء علي فأنا وفرت بهذا المبلغ مالا كثيرا وتعبا لا يعرف آخره ! اه وهذا القول يدل على بعد مدى الصيت الذي وصل اليه سعد في أثناء اشتغاله بالمحاماة

ثم ان سعداً دخل في أطوار التفرنج في معيشته وأفكاره الاجتماعية والقانونية ، وغلبت نزعة الوطنية المصرية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية ، وظل يقول بأن المسلمين لا يرتقون ارتقاء صحيحا إلا بالاصلاح الديني الذي كان يدعو إليه الحكيمان

أستاذه وأستاذ أستاذه ، وأما العبادات فلا نعلم انه كان يذهب الى المساجد الا في بعض الاحتفالات الرسمية في عهد وزارته وبعض صلوات الجمعة في زمن زعامته ، وأنكر عليه أهل الدين أموراً منها عمله في تجرئة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ، ولكنه قاوم الدعوة إلى لبس البرنيطة

وأما ايمانه بالله وتوحيده له وتوكله عليه فلم يزدد في هذه السنين الاخيرة الا قوة وثباتا ، حتى انه صار حالا له ووجدانا ، وقد بلغ من الايمان بالقضاء والقدر ان صار من قبيل من يسميهم الصوفية أهل الفناء في التوحيد أو ممن يسميهم المتكلمون بالجبرية . فكان كثيراً ما يصرح في الكلام على كل ما مسه من مصيبة ، وكل ما أوتي من فلج على الخصوم في حادثة ، بأن هذا فعل الله وحده ، وانه لا حول له فيه ولا قوة ، حتى انني ناظرته في بعض كلامه هذا وبينت له فيه مذهب السلف ومذهب متكلمي السنة فكان يقول : انني أعبر عما أشعر به وأراه علما ضروريا لا اختيار لي فيه مهما تكن المذاهب ، وكان أول عهدي بهذه الحال فيه عقب فوزه المضاعف في انتخابه للجمعية التشريعية في دائرتين ، بعد أن تصدى لمناهضته في الانتخاب صاحبا السلطتين ، سلطة الامير الشرعية ، وسلطة عميد الاحتلال الفعلية

وقد جرى بيني وبينه مناظرات كثيرة في بعض المسائل الشرعية الاجتهادية وبعض المشكلات في تفسير القرآن فكان فيها كلها متحليا بالاستقلال والانصاف لا يتعصب لرأيه ولا فهمه ، ولا يجد أدنى غضاضة في قبول ما يظهر له أنه الصواب وكان يسأل عن بعض المشكلات سؤال استفهام لا يشوبه رأي يحتج له أو يدافع عنه

جلست بجانبه في مأتم صديق الجميع حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى وكان القاري ، يقرأ سورة النمل فسألني عدة مسائل في بعض الآيات وقبل مني كل ما أجبته به عنها وربما كان يكون الجواب كلمة واحدة . مثال ذلك انه سأل عند قوله تعالى حكاية عن بلقيس ملكة سبأ (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) الآية . قال ان الامر ليس كذلك الآن ، وكم يحفظ التاريخ مثل ما نراه الآن من زيارة الملوك لعواصم غير بلادهم فما المراد من الآية ؟

قلت: المراد اذا دخلوها فاتحين. قال: ظاهر

وسألني مرة عن الانجيل المنزل على عيسى بن مريم كما ورد في القرآن أين هو؟ وانما عند النصارى أربعة أناجيل هي عبارة عن تواريخ وجيزة كالسيرة النبوية عندنا. قلت ان الانجيل المفرد المذكور في القرآن مذكور في هذه الاناجيل الاربعة أيضاً وفي غيرها من كتب تلاميذ المسيح ورسله المعبر عنها عندهم بالعهد الجديد كقوله للحواريين (التلاميذ) «واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها» كما ترى في أواخر انجيل لوقا عنه عليه السلام. وأول كلمة في انجيل مرقس «بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله» فهذا الانجيل المفرد في كلامهم هو الذي يعنيه القرآن وهو ما كان يعظهم ويبشرهم به ولم يوجد كله في كتاب كما يدل عليه قوله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به) الخ ما فصلته له فأعجبه ومن شاء الوقوف عليه فليراجعه في أول تفسير سورة آل عمران وغيره من تفسيرنا

فمن كان يسمع منه إشكالا مثل هذا أو ذاك يظن انه معترض على القرآن وهو لا يبالي ذلك، والأقرب أن يقال هو مستشكل لا معترض، ولولا انه كان صريحاً في أمثال هذه الاشكالات اذا عرضت ومجاهراً بما أنكرنا وأنكر غيرنا عليه لما ذكرناه. وأرجى ما يرجى له عند الله تعالى قوة ايمانه به وتوحيده إياه توحيداً علمياً وجدانياً لا يشوبه شرك في ألوهيته تعالى ولا في صفاته ولا في أفعاله، حتى كاد يكون منكراً للاسباب أن يكون لها تأثير في الوجود كما علمت. وأنه كان اذا ظهر له الحق يذعن له وينقاد فهو حسن النية فيما أخطأ فيه

لهذا أنكرت على الذين كانوا انشقوا عليه من الوفد وطفقوا يطعنون عليه بأنه متكبر مستبد، وعلى من قلدهم في ذلك، أنكرت على هؤلاء كلهم قولا ومناظرة لبعضهم في المجالس وخطابا على المنبر وكتابة في المنار، وقد كتبت مقالا طويلا في تلك الاثناء نشرته في الجزء ٧ من المجلد ٢٢ (سنة ١٣٢٩ هـ ١٩٢١ م) بلغت صفحاته ٢٧ صفحة عنوانه ﴿الطور الجديد للمسألة المصرية﴾ ومما ذكرته فيه من خطبة لي في إحدى الاحتفالات بعد عودته من أوربة أثر توليه عدلي باشا للوزارة

وظهور الشقاق في أثنائها ردا على من اتهم سعدا بالكبرياء والاستبداد بالرأي «ان الذي نعهده فيه بالاختبار هو الاستقلال في الرأي واحترام الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في داره محاورات في مسائل علمية وشرعية واجتماعية كان ينصف فيها مناظريه ومحاوريه بكل ارتياح ، ويعترف بصحة رأيهم اذا ظهر له انه الصواب ، وربما كنا معهم أو منهم في بعض الاحيان» اه

على انه كان شديد الاعجاب بنفسه ، وعدم المبالاة بخصمه، بل غلبت عليه في المدة الآخرة المحاباة السياسية ، على ماسبق له في الاولى من العدالة القضائية ، فصار يؤثر المتملقين له على المتنزهين عن التملق والدهان حتى من محبيه الناصحين ، وكنت ذكرت في مقالي المذكور آنفا (انطور الجديد للمسألة المصرية) ماينتقد عليه من ضعف السياسة بغلب ملكة القضاء عليه ، ولما قرأ تلك المقالة في المنار قال هذه مقالة تحفظ للتاريخ ، سمع هذا منه محمد بك يوسف المحامي المشهور وهو الذي نقله إلي

وجملة القول ان سعداً قد ربي تربية ايمان وعقل ، واستدلال واستقلال ، وحب للحق والعدل ، وعزيمة قوية ، وشجاعة أدبية، فكانت هذه التربية سبب نجاحه في كل عمل تولى أمره ، وكانت أعماله في الكتابة والتحرير ثم في المحاماة ثم في القضاء ثم في وزارتي المعارف والحقانية ثم في الجمعية التشريعية هي المكملة لاستعداده الفطري لزعامة الامة واضطلاعه بما حمل من أعبائها، والاستهانة بأعظم الاخطار في سبيلها ، وكان استعداد الشعب مع استعداده هما السبب فيما نال من الفلج والظفر في مكالمة بريطانية لعظمى فقد صرحت الجرائد الانكليزية المشهورة بأن كفاحه كان هو السبب في رفع الحماية الرسمية عن مصر والاعتراف لها بالاستقلال والسيادة القومية ، ولما كان هذا الاعتراف مقيداً بما سموه التحفظات الأربع لم يعتد ولم يزده الامضاء في جهاده. والأمة لم تأل جهدا في تأييده وتفويض أمر قضيتها له، ولولا ذلك لذهب استعداده كما ذهب استعداد أستاذه الذي كان أكبر من استعداده كما سنفصله في النبذة الثالثة من هذه الترجمة ان شاء الله تعالى

التقريظ وانتقاد المطبوعات

﴿ الحديث ﴾ مجلة « تبحث في الآداب والتاريخ والعلوم الاجتماعية » أنشأها في حلب كل من سامي افندي الكيالي وهو محررها ومديرها المسئول وادمون افندي رباط . قيمة الاشتراك فيها ٧٥ قرشا وأنه ليسرنا أن تكثر المجلات العلمية والادبية في أمتنا ولكن يسوءنا أن يكون بعض هذه المجلات أضر على الامة من بعض الجرائد السياسية التي تخدم الاجانب الضراة باستعبادها واستعمار بلادها، وتمهد لهم السبيل لذلك. فان جمهور الامة يسهل عليه أن يدرك خيانة هؤلاء فان ثوب الوطنية المزور الذي يلبسونه نهنهٌ يشف عما وراءه، وأما إفساد المجلات والجرائد لتكوينها بتقطيع الروابط التي توحد جمعها وتجمع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعبر عنه بمقوماتها ، ومن عادات وأزياء وهو ما نعبر عنه بمشخصاتها ، فلا يدرك كنهه ويحيط بمفاسده إلا أفراد قليلون، ذلك بأن أولئك المفسدين يدعون أنهم يخدمون العلوم والآداب ويرقونها لتنهض بها الامة الى مستوى الامم العزيزة الراقية، ويقل من يدرك أنهم يخربون بيوتها بأيديها وأيدي أعدائها من حيث يعجزون عن بناء بيوت أخرى لها تكون خيراً مما هدموا

ذلك مثل بعض محرري جريدة السياسة ومجلة الهلال بمصر كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمي . . . المنتحلين لانفسهم صفة تجديد الثقافة ، واننا نرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بآرائهم مثنية عليهم ، فان كان محررها العريق في هذه الامة العربية، الاصيل في بيوتات هذه الملة الاسلامية ، غير مقلد لهؤلاء الواغلين عليهما، الأدعياء فيهما، الذين لا ينزع بهم عرق غيرة عليهما ، ولا موافق لهم في كل رأي من آرائهم، ولا مائل مع كل ريح من أهوائهم، ـ وهو ما نعتقده في نفي الكلية لا الكل المنطقيين ـ فلماذا لا يفتأ ينوّه بهم، بما يغري قراء مجلته باتباع خطتهم، وهي ما يسمونه الثقافة الجديدة التي يحكمونها في كل ما أشرنا اليها من مقومات الامة ومشخصاتها، وبذلك كانوا دعاة هدم وإفساد فيها ؟

الثقافة في اللغة مصدر ثقف الرجل (كضخم) أي صار ثقفا وثقيفا ـ ويقال

ثقف (كتعب) أيضاً أي صار ثقفا أي حاذقا خفيفا ، وهذا الحذق والخفة اللذين يدعو اليهما هؤلاء الملاحدة مفسدة ظاهرة للامة الاسلامية وشعوبها ولا سيما العربية ذات التشريع العادل والتاريخ المجيد ، غايتهما تقليد ملاحدة الافرنج وفساقهم فيما يشكو منه جميع عقلائهم وحكمائهم ، وهو فيهم عرض من أعراض الترف والثروة والسيادة والملك الواسع ، فلو لم يكن في نفسه مفسدة لكان ضاراً للشعوب الضعيفة الفقيرة الجاهلة كشعوبنا ، فكيف وهو الذي أفسد شعوب المدنيات القديمة ذات البأس والقوة ، ولا يشك حكماء أوربة اليوم بأنه سيفسد مدنيتهم في زمن لم يعد بعيداً حتى أن بعضهم يعد عمر بعض الدول الكبرى بعشرات السنين ، ولدينا عنهم نقول كثيرة في ذلك قد نشرنا بعضها

هذا وان هؤلاء الدعاة للثقافة الجديدة التي تشمل في استعمالهم ثمرة العلوم والفنون والآداب والاديان ليس لانفسهم حظ منها الا بعض مدلولها اللغوي وهو الخفة الشبيهة بخفة الصبيان فهم عاقون لامتهم هادمون لهدايتها وتشريعها وآدابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ، ومنهم المستخدمون لذلك ، وهم يوهمون الناس في هذه الايام انهم مبدعو هذه الدعوة في بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها في مصر الخديو اسماعيل اغتراراً بزينتها وشهواتها فهو أول من أراد أن يجعل مصر أوربية وله في ذلك كلمة مشهورة . فكان أول ثمرة منها جناها قد لكه ، وأما جده محمد علي فانما أخذ عن أوربة أسباب الثروة من صناعة وزراعة وأسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقي يملك أمر نفسه دون تقليد القردة في الازياء والزينة والعادات وحرية الفسق والفجور والكفر التي يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة ، وانا لنرجو من مجلتنا السورية الجديدة التي لا يملك هو ولا غيره من أهل وطنه شيئا من أمر تعليم الشعب ولا تربيته ولا ادارته ولا سياسته أن يحرر أولا تحديد الثقافة والتجديد الذي يحببه ويجعله شعباً حراً قوياً ؟ فانا لنضن بابن الكيالي الكريم أن يكون مقلد السلامه موسى ومحمود عزمي وطه حسين الذين لا وطن لهم ولا ملة ولا أمة عليهن .

(العصور) « مجلة انتقادية في الادب والعلم والسياسة ، محررها وصاحب امتيازها اسماعيل مظهر » تصدر بمصر في كل شهر أفرنجي وقيمة الاشتراك فيها

كل سنة ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ شلنا في سائر الاقطار

اسماعيل مظهر بك شاب بحاث في العلوم العصرية عاشق لها وقد جعل عنوان مجلته المبين لغرضه منها قوله الذي ينشره تحت عنوانها في كل جزء منها : «حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما في رفض رأي من الآراء أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه »

هذا عنوان فلسفي حسن ونصيحة أحاول الجري عليها في جميع ابحاثي حتى الدينية منها. ولكن لا أدري أفهمي لها موافق لفهم كاتبها أم مخالف له، التقاليد في عرف علمائنا هي العادات الموروثة و كل رأي غير قطعي يتبع فيه الانسان من لا يمتاز عليه بعصمته عن الخطأ في تبليغ عن الله تعالى ، فهو يتبعه بغير دليل، والاساطير هي أخبار الاوائل المسطورة في الكتب الخرافية التي لا يثبت فيها نقل، ولا يعرف لها أصل ، والمذهب هو طريق من طرق الاستدلال الاجتهادية التي لم تصل عندك الى درجة اليقين ، والحقائق جمع حقيقة وهي ما ثبت باليقين والقطع ، والنقيضان هما الامران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كاثبات الشيء ونفيه في حال واحدة وزمن واحد الخ ما هو مقرر في علم المنطق من شروط التناقض

فالقرآن وما تواتر عن النبي ﷺ من أمر الدين لا يدخل عندنا في التقاليد ولا الآراء ولا المذاهب ، فضلا عن الاساطير ، فاذا كان فهمنا لكل ماذكر واحداً، فان عنوان مجلته لا يعارض ديننا الاسلامي في عقائده وأصوله ولا في فروعه الاجتهادية أيضا. وذلك أن نؤمن برب وإله واحد نعبده ولا نعبد غيره ، ونؤمن بأن محمداً عبده ورسوله وخاتم النبيين، وأن القرآن كتابه المنزل الثابت بالتواتر القطعي عن رسوله ﷺ نؤمن بما دل عليه دلالة قطعية، ونأخذ بظاهر ما دل عليه دلالة ظنية، إلا اذا عارضه دليل قطعي يبيح لنا حمله على مجاز أو كناية تتفق مع الدليل القطعي المعارض. وكذلك نأخذ بكل ما ثبت عن النبي ﷺ من أمر الدين بالدليل القطعي رواية ودلالة ونستعمل اجتهادنا فيما روي عنه من الظني فيهما. وفي هذه الحالة لا يجوز له أن ينشر في مجلته ما يشكك القراء في الدين الذي هو الوازع النفسي

لاجتناب الفواحش والمنكرات واستحلال الاموال والاعراض ، والتحلي بالفضائل والاعمال الصالحات. بل لا يباح هذا الافساد في الامة لعاقل فان الفلسفة الحق تحظره أيضا كما بينه الفيلسوف العربي الكبير ابن رشد بما معناه ان الفيلسوف لا يبيح لنفسه البحث في حقية الدين وصحته لانه عبارة عن التشكيك في الفضيلة ومحاولة البحث هل هي ثابتة أم لا . الناس يمكنهم التشكيك في كل شيء وقد فعلوا، فاذا أرادوا أن يشككوا في فائدة علم الطب مثلا فانهم يجدون على ذلك شبهات كثيرة وحقائق ووقائع صحيحة تشكك غير المحقق في ذلك ولكنهم يكونوا في ذلك مفسدين جانين على الناس ، وان نفع الدين للبشر فوق نفع الطب فالتشكيك فيه أشر وأضر ، وأدهى وأمر .

واننا مع هذا نسأل صاحب العصور الواسع الاطلاع أن يعد لنا كل ما أجمع علماء الغرب وعقلاؤهم عليه ويعدونه من حقائق العلوم القطعية التي يجزمون بأنه لا يمكن الارتياب فيها ولا الرجوع عنها، أو كل ما يعلمه من ذلك ليعلم قراؤه منه ما الذي يجب ترك كل مذهب وكل رأي يخالفه لاجله . ولنرى نحن علماء الدين الاسلامي والدعاة الى هدايته والمدافعين عنه رأينا في موافقته أو مخالفته لقطعيات الاسلام وما هو بين هذا وذاك ، وأما إطلاق المشككات في هداية الدين تلذذاً بنظريات بعض الباحثين ، فهو فتنة في الارض وفساد كبير ، فعسى أن يتأمل فيلسوفنا الشاب في ذلك ويراعيه فيما ينقله إلينا من علوم الغرب الناضجة.

مطبوعات المطبعة العصرية

لصاحب المطبعة العصرية المتقنة الياس افندي أنطون الياس عناية بنشر الكتب والرسائل التي يصح أن توصف بالعصرية كمطبعته وهذه طائفة منها أهداها الينا

﴿التربية الاجتماعية﴾ تأليف علي أفندي فكري أمين دار الكتب المصرية وموضوعه الآداب التي تجب مراعاتها في هذا العصر بين أصناف الناس من شخصية ومنزلية واجتماعية ووطنية ودينية وآداب المحادثة والمناظرة والمراسلة والمرافعة والضيافة والزيارة والتهنئة والتعزية وجميع أنواع الاجتماع. والكتاب مؤلف من ٢٠٠ صفحة ونيف بقطع رسالة التوحيد، وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار وثمن النسخة منه ١٠ صاغ

﴿المرأة الحديثة - وكيف نسوسها﴾ بقلم الكاتب القانوني الاجتماعي «عبدالله

حسين الخريج في الحقوق والعلوم السياسية » وفيه فصول عن المرأة الانكليزية للموسيو جلليكان » افتتح هذا الكتاب مؤلفه بمقدمة في وجه الحاجة الى مباحثه وخلاصة تلك المباحث وهي في عشرين فصلا (١) في الخلاف بين الجنسين في القبائل الوحشية والحب والبغض وكونهما يوجدان معاً (٢) في سوء التفاهم الدائم بين الجنسين ومن مباحثه : المرأة والدين، المرأة والفن ، ظلم النساء (٣) الزوجان في الحب (٤) الحرب الزوجية . ومن مباحثه: الزواج الامثل، رأي المرأة الحديثة في الزوجية ، الزواج في الحال والاستقبال، المقابلة بين الحياة الزوجية والمعاشرة الحرة أي السفاح واتخاذ الاخدان (٥) العراك في الاسرة (٦) النزاع في الكسب وفيه الكلام في احتراف النساء ونتائجه (٧) المعركة السياسية ، ومن مباحثه الخوف من حكم النساء . تطلع المرأة الى الحرية . عداء الرجال باستعمال القوة في الحرب الجنسية (٨) هل السلام ممكن ؟ ذات بين الزوجين (٩) المرأة والكتاب. ومن مباحثه المقابلة بين المرأتين الانكليزية والمصرية . مسائل المرأة في العالم واحدة، الحب وهم (١٠) صفات الزوجة ومن مباحثه : الزواج ليس ضروريا دائماً ـ خطر النسل على هناء الزوجية ـ المرأة تحت القوة ـ الفتور في الزوجية (١١) اختيار المرأة خطيبها ـ ومن مباحثه تعدد الزوجات والطلاق ـ جهل الفتاة بخداع الشبان (١٢) مطالب المرأة المصرية ـ يعني مطالب جماعة الاتحاد النسائي كحقوق الانتخاب ومنع تعدد الزوجات والطلاق (١٣) الامانة الزوجية ، ومن مباحثه احتكار الرجل لزوجه ، وذوبان حمية الرجولية في هذا العصر ، وخطر الجناية على الامانة الزوجية وهو انحلال الاسرة . وفضائح الاسرة الكبيرة في أوربة ومصر (١٤) الزواج والطلاق (١٥) هل تتزوج ؟ ومن مباحثه الرغبة عن الزواج وعللها ٨ انتشار الفجور، الراحة في الحياة الطليقة، كثرة المشاكل الزوجية، الجمال الزائل الاولاد، الاستقلال عند الرجل والمرأة (١٦) بمن تتزوج؟ (١٧) الزواج بالاجنبيات (١٨) المناعة الجنسية وهو فصل مهم لا يدل عنوانه على مباحثه وهي شكاية الاخلاق الفاضلة ـ سيئات اللهو غير الشرعي ، مشاكل الخليلات (أي ذوات الاخدان) ... والصحة والشهوة والجنسية والعفاف ، وأهمه قرارات المؤتمرات

الطبية والمجامع الدولية في فضل العفاف وبحث طبي في ذلك (١٩) البغاء ، ومن مباحثه أسبابه الثمانية وتشريعه في أوربة و«استحالة مقاومة البغاء» (٢٠) الرقص

وقد طالعنا هذا الكتاب المهم ونتربص فرصة لابداء رأينا التفصيلي فيه، وأما الرأي الاجمالي فهو انه مثال للاضطراب والذبذبة اللذين أحدثهما العلم العصري الناقض وإهمال التربية - وان جميع ما يشرحه الكتاب من مشكلات الحياة الزوجية لا علاج له الا في التربية الاسلامية الصحيحة مع العلم الصحيح الناضج كما بيناه من قبل في مقالاتنا (الحياة الزوجية) المنشورة في مجلد المنار الثامن وغيرها. وصفحات الكتاب ٢٥٦ ماعدا فهرسه من قطع رسالة التوحيد وهو يطلب من مكتبة المنار

مجلة وجريدة شابتان رباعيتان

﴿مجلة الزهراء﴾ أتمت مجلة الزهراء ثلاث سنين من عمرها ودخلت في سنتها الرابعة حسنة النبتة، راسخة الشجرة، يانعة الثمرة، تخدم النهضة العربية العصرية خدمة صالحة، على خبرة وبصيرة، يتوخى منشئها الكاتب البارع محب الدين افندي الخطيب فيما ينشئه بقلمه وما ينشره لغيره كل ما يفيد أدب اللغة وأدب النفس وأدب الاجتماع، ويجتنب كل ما يزلزل العقائد أو يفسد الاخلاق، مما يكثر في المجلات والجرائد في هذه الايام، ويعده في اجتهاده كثير من الكتاب المجيدين، والشعراء النابغين ، الذين عرفوا قيمة خدمته ، أو أعجبوا بأدبه وهمته ، فكيف بمن جمعوا بين الامرين، وبلغوا منهما مجمع البحرين، فنسأله تعالى أن يزيدنا وإياه علما نافعا، وعملا صالحا، وينصرنا في جهادنا على أعداء أمتنا، الذين يهاجمونها في دينها ولغتها وسائر مقوماتها ومشخصاتها، وأكثرهم من الادعياء فيها ، والمدعين لخدمتها وتجديد شبابها ، ألا لعنة الله على الكاذبين

﴿جريدة الشورى﴾ أتمت جريدة الشورى ثلاث سنين من عمرها ودخلت في سنتها الرابعة وهي تنبت نباتا حسنا وتزداد في كل عام نمواً وتأثيراً وفائدة على اضطهاد بعض الحكومات الاستعمارية لها ومنعها إياها من دخول البلاد التي ابتليت بحكمها، حتى صار لها من موارد الاخبار، ومصادر الانتشار ، وثقة الاحرار، ما ليس للجرائد اليومية المعمرة . فنهنئ صاحبها محمد على افندي الطاهر بنجاحه على حين نرى الجرائد الحديثة في كل عام تولد فلا تلبث تؤد، زاده الله نجاحا وتوفيقا

﴿ الجزء العاشر ﴾ ١٣٤٦ ﴿ المجلد الثامن والعشرون ﴾

المنار
١٣١٥

تنبيه
يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك
عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) ذهبا في مصر و ٢٥ شلنا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة اوعن نصف سنة

سنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤونه الاجتماع والعمران
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

﴿ عنوانها (ادارة مجلة المنار بمصر) والتلغرافي « المنار بمصر » ﴾
التيفون - رشيد رضا (منزل) رقم ١٥-٧٧ بستان

كلمة في المنار للاستاذ الامام

رحمه الله تعالى

في كتاب أرسله الينا من المنصورة

سنة ١٣٢٠ وهي

﴿ إن الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو ﴾
﴿ أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك ﴾
﴿ الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ﴾
﴿ ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل ﴾

فهرس الجزء العاشر من مجلد المنار ٢٨

باب التفسير ٧٢١

وفيه الوعد والوعيد على الفرار من الزحف إلا لعذر التحرف أو التحيز ٧٢١ـ٧٢٥

ومشكلة اسناد قتل الكفار في بدر الى الله ونفيه عن المقاتلين ونفي رميهم عن الرسول مع إثباته له وإثباته لله تعالى وفيه بحث الجبر ووحدة الوجود ص ٧٢٦ـ٧٢٨ وتعليل ذلك ببلاء المؤمنين واضعاف كيد الكافرين ٧٢٩

الاستفتاح في غزوة بدر والفتح للمؤمنين ٧٤٠ أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله ونهيهم عن الاعراض عنه ، واثباته سماع القرآن وقول الرسول لهم ونهيهم أن يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وتشبيههم بالصم البكم الذين لا يعقلون الخ وتحرير مسألة السماع والفهم ودرجات الناس فيهما ص ٧٣١ـ٧٣٦ امر المؤمنين بالاستجابة لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم وبحث وجوب طاعة الرسول بعد موته كحال حياته وما يؤخذ به من اجتهاد السلف وأئمة العلم ص ٧٣٧ ـ ٧٣٩

وفيه بحث جليل في حيلولة الله بين المرء وقلبه ومعالجة القلب في تقلبه وسنة الله في افعال العباد وخلق الله وقدره فيها ونفي الجبر ص ٧٤٠ ـ ٧٤٣

وبحث الفتن الاجتماعية والسياسية كالملك والخلافة وكون العقاب عليها عاما لا خاصا بالمذنبين وتذكير المؤمنين بما كان من ضعفهم وخوفهم قبل الاسلام وفي أوله وما من الله عليهم من النصر وسعة الرزق . وفيه بحث اول الفتن في الاسلام وهي قتل عثمان (رض) ص ٧٤٣ ـ ٧٤٦

﴿ باب الفتاوى ﴾

(اسئلة من تونس) ٧٤٧

(خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) ٧٤٨ـ٧٥٣

حالة سيدنا عيسى الآن وآية وفاته ورفعه ومسألة نزوله من السماء وحكم من ينكر وجوده حيا ٧٥٣

﴿ باب المقالات ﴾

(الاصلاح الحقيقي والواجب للازهر) للاستاذ محمد عرفة غراب ٧٥٨

(نظرة عامة في حالة الاسلام) لمصطفى بك نجيب ٧٦٥

كلمة مترجم كتاب الصحة فيه ـ للشيخ عبد الرازق المليح آبادي ٧٦٩

(مناظرة في مسألة القبور) للشيخ محمد عبد القادر الهلالي ٧٧٦

(رحلة جلالة ملك الافغان) ٧٨٨

انباء العالم الاسلامي ٨٩٣

﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾ ٧٩٧

خاتمة المجلد الـ ٢٨ ٨٠٠

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الثامن والعشرون

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ رجب سنة ١٣٤٦ﻫ ٢ برج الدلو سنة ١٣٠٧ ﻫ ش ٢٣ يناير سنة ١٩٢٨

تفسير القرآن الحكيم

(١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

نبدأ بتفسير الالفاظ الغريبة في الآيات فنقول (الزحف) مصدر زحف اذا مشى على بطنه كالحية، أو دب على مقعده كالصبي، أو على ركبتيه، قال امرؤ القيس:

فأقبلت زحفا على الركبتيـ ـن فثوب لبست وثوب أجر

والمشي بثقل في الحركة واتصال وتقارب في الخطو كزحف الدبا (صغار الجراد قبل طيرانها) قال في الاساس: وزحف البعير وأزحف: أعيا حتى جر فرسنه وزحّف الشيء جره جراً ضعيفا، وزحف العسكر الى العدو: مشوا اليهم في ثقل لكثرتهم، ولقوم زحفا، وتزاحف القوم وزاحفناهم، وأزحف لنا بنو فلان صاروا زحفا لقتالنا. اه ملخصاً والزحف الجيش ويجمع على زحوف لخروجه عن معنى المصدرية. (والادبار) جمع دبر (بضمتين) وهو الخلف ومقابله القبل بوزنه وهو القدام، ولذلك يكنى بهما عن السوأتين. وتولية الدبر والادبار عبارة عن الهزيمة لان المنهزم يجعل خصمه متوليا ومتوجها الى دبره ومؤخره، وذلك أعون له على قتله اذا أدركه (والمتحرف) للقتال أو غيره هو المنحرف عن جانب الى آخر وأصله من الحرف وهو الطرف، وصيغة التفعيل تعطيه معنى التكلف أو معاناة الفعل المرة بعد المرة أو بالتدريج وفي معناه (المتحيز) وهو المنتقل من حيز الى آخر، والحيّز المكان، ومادته الواو، فالحوز المكان يبنى حوله حائط، قال في الاساس: انحاز عن القوم: اعتزلهم، وانحاز اليهم وتحيز انضم. وذكر جملة الآية (والفئة) الطائفة من الناس (والمأوى) الملجأ الذي يأوي اليه الانسان وينضم و (موهن) الشيء مضعفه اسم فاعل من أوهنه أي أضعفه ومثله وهنه وهنا ووهنه توهينا. و (الكيد) التدبير الذي يقصد به غير ظاهره فتسوء غايته المكيد به كما تقدم في تفسير الآية ١٨٣ من سورة الاعراف. والاستفتاح طلب الفتح والفصل في الامر، كالنصر في الحرب

والمعنى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتموا الذين كفروا زحفا﴾ أي اذا لقيتموهم حال كونهم زاحفين زحفا لقتالكم كما كانت الحال في غزوة بدر فان الكفار هم الذين زحفوا من مكة الى المدينة لقتال المؤمنين فثقفوهم في بدر ﴿فلا تولوهم الادبار﴾

أي فلا تولوهم ظهوركم وأقفيتكم منهزمين منهم وان كانوا أكثر منكم عدداً وعدداً، واذا كان التزاحف من الفريقين أو كان الزحف من المؤمنين فتحريم الفرار والهزيمة أولى، ولفظ لقيتموهم زحفا يصلح للاحوال الثلاثة ورجح الاول هنا بقرينة الحال التي نزلت فيها الآية وكون النهي عن التولي والفرار انما يليق بالمزحوف عليه لانه مظنة له، ويليه ما اذا كان التزاحف من الفريقين. وأما الزاحف المهاجم فليس مظنة للتولي والانهزام فيبدأ بالنهي عنه وهو منه أقبح ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ عبر بلفظ تولية الدبر في وعيد كل فرد كما عبر به في نهي الجماعة لتأكيد حرمة جريرة الفرار من الزحف وكون الفرد فيها كالجماعة وآثر هذا اللفظ مفرداً وجمعاً على لفظ الظهور والظهر أو القفا والأقفية زيادة في تشنيعها لانه لفظ يكنى به عن السوأة أي وكل من يولهم يوم إذ تلقونهم دبره ﴿ إلا متحرفا لقتال ﴾ أي إلا متحرفا لمكان من أمكنة القتال رآه أحوج إلى القتال فيه — أو متحرفا لضرب من ضروبه رآه أبلغ في النكاية بالعدو كأن يوهم خصمه انه منهزم منه ليغريه باتباعه فينفرد عن أشياعه فيكر عليه فيقتله ﴿ أو متحيزاً الى فئة ﴾ أي منتقلا الى فئة من المؤمنين في حيز غير الذي كان فيه لينصرهم على عدو تكاثر جمعه عليهم، فصاروا أحوج اليه ممن كان في حيزهم ﴿ فقد باء بغضب من الله ﴾ أي فقد رجع متلبسا بغضب عظيم من الله عليه ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ ومأواه الذي يلجأ اليه في الآخرة جهنم دار العقاب وبئس المصير جهنم، كأن المنهزم أراد ان يأوي الى مكان يأمن فيه من الهلاك فعوقب على ذلك بجعل عاقبته التي يصير اليها دار الهلاك والعذاب الدائم، أي جوزي بضد غرضه من معصية الفرار، وقد تكرر في التنزيل التعبير عن جهنم والنار بالمأوى وهو إما من قبيل ماهنا وإما للتهكم المحض، فانك إذا راجعت استعمال هذا الحرف في غير هذا المقام من التنزيل تجده لا يذكر الا في مقام النجاة من خوف أو شدة كقوله تعالى (إذ أوى الفتية الى الكهف) وقوله (أو آوي الى ركن شديد) وقوله (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) وقوله (والذين آووا ونصروا) الخ والآية تدل على أن الفرار من الزحف من كبائر المعاصي وقد جاء التصريح

بذلك في أحاديث أصحها عن أبي هريرة مرفوعا عند الشيخين «اجتنبوا السبع الموبقات» أي المهلكات، قالوا يارسول الله وماهن؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وقد قيد بعض العلماء هذا بما اذا كان الكفار لا يزيدون على ضعف المؤمنين، وعدَّ بعضهم الآية منسوخة بقوله تعالى من هذه السورة (٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) الآية وستأتي. وهذا ظاهر على قول من يسمي التخصيص نسخا كالمتقدمين. قال الشافعي رحمه الله تعالى: اذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا الا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة. وان كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ولا يستوجبون السخط عندي من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز الى فئة، وروى هو وابن أبي شيبة عن ابن عباس قال: من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر

وقد روي عن عمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي بصرة وعكرمة ونافع والحسن وقتادة وزيد بن أبي حبيب والضحاك ان تحريم الفرار من الزحف في هذه الآية خاص بيوم بدر - قيل إنه بناء على ان قوله تعالى (يومئذ) يراد به يوم بدر، ولكن هذا خلاف قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده نزول الآية بعد انتهاء الغزوة، فانه ليس فيها ذكر «يوم بدر» وانما المراد بتنوين يومئذ مافهم من أول الآية أي يوم لقائهم زحفا كما تقدم فاليوم فيه بمعنى الوقت. وانما قد يتجه بناء التخصيص على قرينة الحال لو كانت الآية قد نزلت قبل اشتباك القتال - خلافا للجمهور - مع ما لغزوة بدر من الخصائص ككونها أول غزوة في الاسلام لو انهزم فيها المسلمون والنبي ﷺ فيهم لكانت الفتنة كبيرة، وتأييد المسلمين فيها بالملائكة يثبتونهم، ووعده تعالى بنصرهم وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم - فاذا نظرنا الى مجموع الخصائص وقرينة الحال في النهي اتجه كون التحريم المقرون بالوعيد الشديد الذي في الآية خاصا بها، أضف الى ذلك ان الله تعالى امتحن الصحابة (رض) بالتولي والادبار في القتال مرتين مع وجوده ﷺ معهم: يوم أحد وفيه يقول تعالى (٣: ١٥٥ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض

ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) ويوم حنين وفيه يقول الله تعالى (٢٥:٩ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٦ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الخ وهذا لا ينافي كون التولي حراما ومن الكبائر، ولا يقتضي أن يكون كل تول لغير السببين المستثنيين في آية الانفال يبوء صاحبه بغضب عظيم من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. بل قد يكون دون ذلك ويتقيد بآية رخصة الضعف الآتية في هذه السورة وبالنهي عن القاء النفس في التهلكة من حيث عمومها كما تقدم في سورة البقرة وسيأتي تفصيله قريبا

وقد روى أحمد وأصحاب السنن الا النسائي من حديث ابن عمر قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة [1] وكنت فيمن حاص، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة فبتنا، ثم قلنا لو عرضنا نفوسنا على رسول الله ﷺ فان كان لنا توبة والا ذهبنا. فأتيناه قبل صلاة الغداة [2] فخرج فقال «من الفرارون؟» فقلنا نحن الفرارون. قال «بل أنتم العكارون [3] أنا فئتكم وفئة المسلمين» قال فأتيناه حتى قبلنا يده. ولفظ أبي داود: فقلنا ندخل المدينة فنبيت فيها لنذهب ولا يرانا أحد، فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كانت لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا، فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا اليه فقلنا نحن الفرارون الخ، تأول بعضهم هذا الحديث بتوسع في معنى التحيز إلى فئة لا يبقى معه للوعيد معنى ولا للغة حكم، وقد قال الترمذي فيه: حسن لا نعرفه الا من حديث يزيد بن أبي زياد. أقول وهو مختلف فيه ضعفه الكثيرون، وقال ابن حبان كان صدوقا الا أنه لما كبر ساء حفظه وتغير فوقعت المناكير في حديثه فمن سمع منه قبل التغير صحيح. وجملة القول أن هذا الحديث لا وزن له في هذه المسألة لا متنا ولا سندا، وفي معناه أثر عن عمر هو دونه فلا يوضع في ميزان هذه المسألة

«١» حاص عن الشيء حاد وهرب «٢» أي الصبح «٣» العكار كالعطاف والكرار لفظا ومعنى

وأما قوله ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ فهو وصل للنهي عن التولي بما هو حجة على جدارتهم بالانتهاء، فان كانت الآية التي قبله قد نزلت بعد انتهاء القتال في غزوة بدر كسائر السورة كما عليه الجمهور فوجه الوصل بالفاء ظاهر جلي، كأنه يقول يا أيها المؤمنون لا تولوا الكفار ظهوركم في القتال أبدا، فأنتم أولى منهم بالثبات والصبر ثم بنصر الله تعالى، فها أنتم أولاء قد انتصرتم عليهم على قلة عددكم وعددكم وكثرتهم واستعدادهم، وانما ذلك بتأييد الله تعالى لكم، وربطه على قلوبكم وتثبيت أقدامكم، فلم تقتلوهم ذلك القتل الذريع بمحض قوتكم واستعدادكم المادي ولكن الله قتلهم بأيديكم بما كان من تثبيت قلوبكم بمخالطة الملائكة وملابستها لأرواحكم، وبالقائه الرعب في قلوبهم، فهو بمعنى قوله عز وجل (٩ : ١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) الآية، والمؤمن أجدر بالصبر الذي هو الركن الاعظم للنصر من الكافر، لأنه أقل حرصا على متاع الدنيا، وأعظم رجاء بالله والدار الآخرة كما قال تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون) وقال حكاية لرد المؤمنين بهذا الرجاء، على الخائفين من كثرة الاعداء (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

ثم التفت عن خطاب المؤمنين المقاتلين بأيديهم، والمجندلين لصناديد المشركين بسيوفهم، الى خطاب قائدهم وهو الرسول المؤيد منه تعالى بالآيات (ص) ومنها أنه رمى المشركين يومئذ بقبضة من التراب قائلا «شاهت الوجوه» فأعقبت رميته هزيمتهم، روي عن أبي معشر المدني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي بالمعنى وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان النبي (ص) لما قال في استغاثته يوم بدر «يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا» قال له جبريل: خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم - ففعل فما من أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين. وروى السدي انه (ص) طلب من علي أن يعطيه حصبا من الارض فناوله حصبا عليه تراب فرماهم به الخ. وعن عروة ومجاهد وعكرمة وقتادة أيضا أن الآية في رميه (ص) في بدر. فاذا لم تكن رواية من هذه الروايات وصلت الى درجة الصحيح فمجموعها

مع القرينة حجة على ذلك . وروي مثل هذه الرمية في غزوة حنين فحمل الآية بعضهم على ذلك وهو شاذ وحملها بعضهم على رميه لأمية بن خلف بالحربة يوم أحد وهو مقنع بالحديد فقتله وهو شاذ أيضا فالآية بل السورة نزلت في غزوة بدر . والمعنى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ أي وما رميت أيها الرسول أحداً من أولئك المشركين في الوقت الذي رميت فيه تلك القبضة من التراب بالقائها في الهواء فأصابت وجوههم فان ما أوتيته كأمثالك من البشر من استطاعة على الرمي لا يبلغ هذا التأثير الذي هو فوق الاسباب الممنوحة لهم ﴿ ولكن الله رمى ﴾ وجوههم كلهم بما أوصل التراب الذي ألقيته في الهواء اليها مع قلته، أو بعد تكثيره بمحض قدرته ، وحذف مفعول الرمي للدلالة على عمومه في كل من الاثبات والنفي كما قدرنا فيهما وفاقا لما تقرر في علم المعاني — وقد علم من هذا التفسير المتبادر من اللفظ بغير تكلف وجه الفرق بين قتل المؤمنين للكفار الذي هو فعل من أفعالهم المقدورة لهم بحسب سنن الله في الاسباب الدنيوية ، وبين رمي النبي ﷺ إياهم بالتراب الذي ليس بسبب لشكاية أعينهم وشوهة وجوههم لقلته وبعدهم عن راميه وكونهم غير مستقبلين كلهم له ، ولاجل هذا الفرق ذكر مفعول القتل مثبتا ومنفيا — وهو ضمير المشركين فنفى المحسوس مطلقا وأثبت المعقول مطلقا لعدم تعارضهما فالمراد من كل منهما ظاهر بغير شبهة ، ولو أثبت لهم القتل مع نفيه عنهم لكان تناقضا ظاهراً يخفى جعل المثبت فيه غير المنفي . وقتلهم لهم مشاهد لايحتاج الى اثبات من حيث كان سبباً ناقصا ، وانما الحاجة الى بيان نقصه وعدم استقلاله بالسببية ، ثم بيان ما لولاه لم يكن وهو اعانة الله ونصره .

وأما رمي النبي (ص) لوجوه القوم فلم يكن سبباً لاصابتهم وهزيمتهم لا مشاهداً كضرب أصحابه لأعناق المشركين ولا غير مشاهد ، والجمع بين نفيه واثباته لايوهم التناقض للعلم بعدم السببية ولم يذكر مفعول الرمي بأن يقال « وما رميت وجوههم » إذ لا شبهة هنا في عدم استطاعة النبي ﷺ لهذا استقلالا بكسبه العادي ، وأما هنالك فالظاهر أن القتل من كسبهم الاستقلالي . والحقيقة أنه لولا تأييد الله تعالى ونصره بما تقدم بيانه لما وصل كسبهم المحض إلى

هذا القتل ، وقد علمنا ما كان من خوفهم وكراهتهم للقتال ومجادلة النبي ﷺ فيه (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) فلو ظلوا على هذه الحالة المعنوية مع قلتهم وضعفهم لكان مقتضى الاسباب أن يمحقهم المشركون محقا .

وأما الفرق بين فعله تعالى في القتل وفعله في الرمي فالاول عبارة عن تسخيره تعالى لهم أسباب القتل التي تقدم بيانها كما هو الشأن في جميع كسب البشر وأعمالهم الاختيارية من كونها لا تستقل في حصول غاياتها الا بفعل الله وتسخيره لهم والاسباب التي لا يصل اليها كسبهم ، كقوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ لو نشاء لجعلناه حطاما) الخ فالانسان يحرث الارض ويلقي فيها البزر ولكنه لا يملك انزال المطر ولا إنبات الحب وتغذيته بالتراب المختلف العناصر ، ولا دفع الجوائح عنه . ولا يستقل بإيجاد الزرع وبلوغ ثمرته صلاحها بكسبه وجده . وأما الثاني فهو من فعله تعالى وحده بدون كسب عادي للنبي ﷺ في تأثيره فالرمي منه كان صوريا لتظهر الآية على يده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فمثله في ذلك كمثل أخيه موسى عليه السلام في إلقائه العصا (فاذا هي حية تسعى) فخاف منها أولا كما ورد في سورتي طه والنمل

هذا ما يدل عليه نظم الكلام بلا تكلف ولا حمل على المذاهب والآراء الحادثة من كلامية وتصوفية وغيرها ، فالجبري يحتج بها على سلب الاختيار وكون الانسان كالريشة في الهواء ، والاتحادي يحتج بها على وحدة الوجود ، وكون العبد هو الرب المعبود ، والاشعري يحتج بها على الجمع بين كسب العبد وخلق الرب باسناد الرمي إلى النبي ﷺ وإلى الخالق عز وجل . وهو يغني عن إسناد القتل إلى المؤمنين بالاولى ، والقرآن فوق المذاهب وقبلها ، غني بفصاحته وبلاغته عن هذه التأويلات كلها (كل حزب بما لديهم فرحون) وكلام الله فوق ما يظنون .

وأما موقع الفاء في أول الآية على القول بأن الآية السابقة عليها نزلت قبل القتال تحريضاً عليه فقد قيل إنها واقعة في جواب شرط مقدر واختلفوا في تقديره وقال بعضهم بل هي لمجرد ربط الجمل بعضها ببعض ، وقد يقال إنه لا مانع من نزولها بعد المعركة ووصلها بما قبلها للدلالة على ما ذكرنا من التعليل والاحتجاج

على مشروعية النهي عن الهزيمة. وأولى منه أن يستدل بها على نزول ماقبلها في ضمن السورة بعد المعركة.

وأما قوله تعالى ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ فهو معطوف على تعليل مستفاد مما قبله، أي انه فعل ماذكر لاقامة حجته وتأييد رسوله (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) بالنصر والغنيمة وحسن السمعة

والبلاء الاختبار بالحسن أو بالسيء كما قال تعالى في بني اسرائيل (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) وتقدم بيانه بالتفصيل. وختم الآية بقوله ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ وهو تعليل مستأنف للبلاء الحسن والمراد أنه تعالى سميع لما كان من استغاثة المؤمنين مع الرسول ربهم ودعائهم اياه وحده، عليم بصدقهم واخلاصهم، وبما يترتب على استجابته لهم من تأييد الحق الذي هم عليه وخذلان الشرك، كما أنه سميع لكل نداء وكلام، عليم بالنيات الباعثة عليه، والعواقب التي تنشأ عنه، وبكل شيء

ولما كان من سنة القرآن المقابلة بين الايمان والكفر وبين أهل كل منهما وجزائهما عليهما قال ﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ أي الامر في المؤمنين وفائدتهم مما تقدم هو ذلكم الذي سمعتم، ويضاف اليه تعليل آخر وهو أن الله تعالى موهن كيد الكافرين، أي مضعف كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومحاولتهم القضاء على دعوة التوحيد والاصلاح قبل أن تقوى وتشتد، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر (موهن) بتشديد الهاء والتنوين ونصب (كيد) والتشديد للمبالغة في الوهن. وقرأ حفص عن عاصم بالتخفيف والاضافة والباقون بالتخفيف والنصب

وقد صرح التنزيل بجزاء الفريقين في تعليل آخر في عاقبة الحرب، قال في سياق غزوة أحد من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ـ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين (١٤١ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)

﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ قيل ان الخطاب للكفار ذكر اضعافهم ثم التفت عنه الى تذكيرهم وتوبيخهم على استنصارهم إياه على رسوله (ص)

ذكر محمد بن اسحاق وعروة عن الزهري عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فأحنه الغداة . فكان ذلك استفتاحا منه . رواه عنه أحمد ورواه النسائي في التفسير والحاكم في المستدرك عن الزهري، وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم. وقال السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين ، فقال الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يقول قد نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ ، وفي رواية أن أبا جهل قال حين التقى الجمعان: اللهم رب ديننا القديم ودين محمد الحديث فأي الدينين كان أحب اليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم. فالفتح هو نصر النبي ودينه وأتباعه . وهذا يدل على ان أبا جهل كان مغروراً بشركه واثما بدينه ولم يكن أكثر أكابر مجرمي مكة كذلك بل كان كبرهم عن كبر وعلو وحسد للنبي ﷺ .

﴿ وان تنتهوا فهو خير لكم ﴾ أي وان تنتهوا عن عداوة النبي ﷺ وقتاله فالانتهاء خير لكم لانكم لا تكونون الا مغلوبين مخذولين كقوله ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ﴾ والخيرية في هذه الحالة بالاضافة الى الاستمرار على العدوان والقتال، ويحتمل أن يراد به الانتهاء عن الشرك فتكون الخيرية على حقيقتها وكلها ﴿ وان تعودوا نعد ﴾ أي وإن تعودوا الى مقاتلته نعد لما رأيتم من الفتح له عليكم حتى يجيء الفتح الاعظم الذي يذل فيه شركم ، وتدول الدولة للمؤمنين عليكم ﴿ ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت ﴾ أي ولن تدفع عنكم جماعتكم من المشركين شيئا من بأس الله وبطشه ولو كثرت عدداً فالكثرة لا تكون سببا للنصر ، إلا إذا تساوت مع القلة في الثبات والصبر ، والثقة بالله عز وجل ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ بالمعونة والولاية والتوفيق فلا تضرهم قلتهم. قرأ نافع وابن عامر وحفص (وأن) بفتح الهمزة بتقدير اللام أي ولان الله مع المؤمنين

كان الامر ماذكره ، وقرأها الباقون بالكسر على الاستئناف

وقيل ان الخطاب في الآية المؤمنين كسابقه ولاحقه والمعنى : ان تستنصروا ربكم وتستغيثوه عند شعوركم بالضعف والقلة فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يأمر به الرسول ومجادلته في الحق بعد ماتبين فهو خير لكم . وإن تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهييج العدو ، ولن تغني عنكم كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فهانحن أولاء قد نصرناكم على قلتكم وضعفكم . هذا أقوى من كل مارأيناه في تصوير المعنى فأكثر ماقالوه ظاهر التكلف ، ولولا السياق لكان المعنى الأول أرجح لانه أظهر

---

(٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢٢) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٣) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ

كانت السورة من أولها إلى هنا في قصة غزوة بدر الكبرى إلا انها افتتحت بعد براعة المطلع — وهو السؤال عن الغنائم — بالمقصد من الدين وهو الايمان وطاعة الله ورسوله ووصف الايمان الكامل ، وانتقل منها إلى مقدمات الغزوة وما كان من عناية الله فيها بالمؤمنين ، ثم انتقل هنا وفيما قبله إلى نداء المؤمنين المرة بعد المرة وتوجيه الأوامر والنواهي اليهم في مقاصد الاسلام والايمان والاحسان — ثم ينتقل من ذلك إلى شؤون الكفار مع المؤمنين وعداوتهم لهم وللرسول ﷺ وكيدهم له وعدوانهم عليه ، وفتنة المؤمنين به — ومنه إلى حكمة مشروعية قتالهم ، ثم يعود الكلام الى غزوة بدر وما كان فيها من حكم وسنن وأحكام وتشريع ، وهذا يدخل في أول الجزء العاشر وهو آية (٤١ واعلموا انما غنمتم من شيء) الخ

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ ذكرت هذه الطاعة في الآية الاولى من هذه السورة وأعيدت هنا ليعطف عليها قوله ﴿ ولا تولوا

عنه وأنتم تسمعون ﴾ أي ولا تتولوا وتعرضوا عن الرسول ﷺ والحال أنكم تسمعون منه كلام الله المصرح بوجوب طاعته وموالاته واتباعه ونصره، والمراد بالسماع هنا سماع الفهم والتصديق والاذعان الذي هو شأن المؤمنين الذين دأبهم أن يقولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) والموصوفين بقوله عزوجل (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

ثم قرر هذا المعنى وبين مقابله بقوله ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ وهم فريقان (الاول) الكفار المعاندون (٤ : ٤٥ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا — ليا بألسنتهم وطعنا في الدين — ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) وأمثالهم من الكفار المعاندين والمقلدين، وورد فيهم آيات سيذكر بعضها هنا (الثاني) المنافقون الذين قال تعالى في بعضهم (٤٧ : ١٦ ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا؟) وتقدم في سورة الاعراف من صفات أهل النار في الدنيا (ولهم آذان لا يسمعون بها) مع آيات أخرى والمراد في هذا كله انهم لا يسمعون سماع تفقه واعتبار يتبعه الانتفاع والعمل

ثم علل الامر والنهي بقوله ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ الدواب جمع دابة وهو كل ما يدب على الأرض قال في سورة النور (٢٤ : ٤٥ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) الآية وقلما يستعمل هذا اللفظ في الانسان وحده وانما يغلب في الحشرات ودواب الركوب، فهو هنا يشعر بالاحتقار

والمعنى ان شر من يدب على الارض في حكم الله الحق هم الاشرار من البشر «الصم» الذين لا يلقون السمع لمعرفة الحق والاعتبار بالموعظة الحسنة فكانوا بفقد منفعة السمع كالذين فقدوا حاسته «البكم» الذين لا يقولون الحق، كأنهم فقدوا قوة

النطق، « الذين لا يعقلون » أي فقدوا فضيلة العقل الذي يميز بين الحق والباطل، ويفرق بين الخير والشر، إذ لو عقلوا لطلبوا، ولو طلبوا لسمعوا وميزوا، ولو سمعوا لنطقوا وبينوا، وتذكروا وذكروا، كما قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) فهم لفقدهم منفعة العقل والسمع والنطق كانفاقدين لهذه المشاعر والقوى، بأن خلقوا خداجا أو طرأت عليهم آفات ذهبت بمشاعرهم الظاهرة والباطنة، بل هم شر من هؤلاء لان هذه المشاعر والقوى خلقت لهم فأفسدوها على أنفسهم لعدم استعمالها فيما خلقها الله تعالى لأجله في سن التمييز ثم التكليف، فهم كما قال الشاعر:

خُلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رُزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وإذا أردت فهم الآية فهما تفصيليا فارجع إلى تفسيرنا لقوله تعالى (١٧٩:٧ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ولم يصفهم هنا بالعمى كما وصفهم في آية الاعراف وآيتي البقرة لأن المقام هنا مقام التعريض بالذين ردّوا دعوة الاسلام، ولم يهتدوا بسماع آيات القرآن، ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾ أي ولو علم الله فيهم استعداداً للايمان والهدى ببقية من نور الفطرة، لم تطفئها مفاسد التربية وسوء القدوة، لأسمعهم بتوفيقه وعنايته الكتاب والحكمة سماع تفقه وتدبر، ولكنه علم انه لا خير فيهم لانهم ممن أحاطت بهم خطاياهم وختم على قلوبهم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿ لتولوا ﴾ عن القبول والاذعان لما فهموا ﴿ وهم معرضون ﴾ والحال انهم معرضون من قبل ذلك بقلوبهم عن قبوله والعمل به - كما هو مدلول الجملة الحالية - كراهة وعناداً للداعي إليه ولما جاء به، لا توليا عارضا موقتا، وفرق عظيم بين التولي العارض لصارف موقت وتولي الاعراض والكراهة الذي فقد صاحبه الاستعداد للحق وقبول الخير فقداً تاما. ومن اضطرب في فهم الجمع بين التولي والاعراض

فقد جهل معنى الجملة الحالية الفارق بينها وبين الحال المفردة كما بينه الامام عبد القاهر في دلائل الاعجاز ، والآية نص في انه تعالى لم يسمعهم أي لم يوفقهم للسماع النافع لان الباعث عليه هو مافي الفطرة من نور الحق المحبب للنفس في الخير، وقد فقدوا ذلك بافسادهم لفطرتهم، واطفائهم لنور الاستعداد للحق والخير الذي يذكيه سماع الحكمة والموعظة الحسنة فصاروا ممن وصفهم في سورة المطففين المكية بقوله (٨٣ : ١٤ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقوله في سورة البقرة (٨١:٢ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ووصفهم فيها بقوله (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) وضرب المثل لسماعهم بقوله في الآية الاخرى منها (١٧١:٢ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون) يعني أنهم كسارحة النعم تسمع صراخ الناعق فترفع رءوسها ولكنها لا تفهم له معنى فاذا سكت عادت الى رعيها كما قال ابن دريد في مقصورته :

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب أخلى فارتعى
اذا أحس نبأة ريع وإن تطامنت عنه تمادى ولها

وقد أشرنا آنفا الى آيات أخرى في هذا المعنى تحثو التراب في في من يزعم أن الآية تدل على الجبر وعدم اختيار العبد في كفره وإيمانه ، كما انها تسجل الجهل باللغة على من يزعم ان فيها إيهاما في النظم بجواز تقدير : ولو أسمعهم لعلمه بأن فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون عن الايمان والهدى ، ونقول ان تقديره هذا هو الباطل فهو لا ينتج إلا باطلا ، إذ قد علم من قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) انه علم انه لا خير فيهم فكيف يقدر بعد ذلك ضده وهو انه علم ان فيهم خيرا ؟ وعفا الله عمن صوروا الاشكال الوهمي بالاصطلاح المنطقي الفلسفي وأطالوا في الرد عليه من تلك الطرق الاصطلاحية الشاغلة عن كتاب الله تعالى

ألم يك خيراً لهم من هذه الحذلقة اللفظية الصارفة عن القرآن توجيه قلب سامعه لمحاسبة نفسه على هذا السماع ودرجة حظه منه ؟ فان للسماع درجات باعتبار مايطالبه الله تعالى به من الاهتداء بكتابه : أسفلها أن يتعمد من يتلى عليه القرآن أن لا يسمعه

مبارزة له بالعداوة من أول وهلة خوفا من سلطانه على القلوب أن يغلبهم عليها كالذين قال الله فيهم (٢٦:٤١ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) ويليها من يستمع وهو لا ينوي أن يفهم ويعلم كالمنافقين المشار اليهم في آية سورة القتال (١٧:٤٧) وذكرت في هذا السياق - ويليها من يستمع لأجل التماس شبهة للطعن والاعتراض ، كما كان يفعل المعاندون من المشركين وأهل الكتاب ، وكما يفعل في كل وقت مرتزقة دعاة النصرانية وغيرهم اذا استمعوا للقرآن أو نظروا فيه - ويليها أن يسمع ليفهم ويعلم ثم يحكم للكلام أو عليه

وهذه الدرجات كلها لغير المؤمنين به والمنصف منهم الفريق الأخير وكم آمن منهم من تأمل وفهم ، نظر طبيب إفرنسي معاصر في ترجمة القرآن فرأى ان كل ما يتعلق بالطب والمحافظة على الصحة منه موافق لأحدث المسائل التي استقر عليها رأي الاطباء في هذا العصر ، فرغبه ذلك في تأمله كله فأسلم ... ونظر (مستر براون) وهو رجل بحري من الانكليز في ترجمة مستر سايل الانكليزية له فاستقصى فيه الكلام عن البحار والرياح فظن ان النبي (ص) كان من أكبر رباني الملاحين فسأل عنه فقيل له انه لم ير البحر قط وكان مع ذلك أميا لم يقرأ كتابا ، ولا تلقى عن أحد درسا ، (قال) فعلمت ان هذا كان بوحي من الله لانه حقائق لم يعلمها من اختباره بنفسه ، ولا بتلقيه عن غيره من المختبرين ، وقد أسلم وتعلم العربية رحمه الله تعالى

وأما المسلمون في هذه البلاد فأكثرهم اليوم يسمعون القاريء يتلو القرآن فلا يستمعون له ولا يشعرون بأنهم في حاجة الى سماعه ، وأكثر الذين يستمعون له وينصتون يقصدون بذلك التلذذ بتجويده وتوقيع التلاوة على قواعد النغمات ، ومنهم من يقصد بسماعه التبرك فقط ، ومنهم من يحضر الحفاظ لتلاوته عنده في ليالي رمضان لأن ذلك من شعائر أكابر الوجهاء ، وانما تكون التلاوة في حجرة البواب أو غيره من الخدم ، واذا سمعت بعض السامعين للتلاوة يقول : الله الله ، أو غير ذلك من كلمة مفردة أو مركبة أو صوت لا معنى له فانما ينطق به إعجابا بنغمة التالي ، حتى انهم لينطقون عند سماعه ببعض الاصوات التي تخرج من أفواههم عند سماع الغناء

دعيت مرة الى حفلة عرس فاذا أنا بقاريء يتلو بالنغم والتطريب وبعض

الحاضرين يهتز وينطق بتلك الحروف المعتادة في مجالس الغناء ويستعيدون بعض الجمل أو الآيات كما يستعيدون المغني على سواء، وكان القاريء يتلو تلك الوصايا الصادعة من سورة الاسراء وما يتلوها من وصف القرآن وهدايته ومواعظه وتوبيخ المعرضين عنه كقوله تعالى (١٧: ٤١ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا - الى قوله (٤٥ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ٤٦ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا، واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا ٤٧ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا)

فلما سمعت مكاء أولئك السفهاء وأصواتهم المنكرة عند سماع هذه الحكم الروائع، والمواعظ الصوادع، لم أملك نفسي أن صحت فيهم صيحة مزعجة ووقفت على الكرسي الذي كنت جالساً عليه ووبختهم توبيخا شديداً مبيناً لهم ما يجب من الأدب والخشوع والخشية عند سماع القرآن ولا سيما أمثال هذه الآيات، وتلوت عليهم قوله تعالى (٥٩: ٢١ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فسكتوا وسكتوا إلا واحداً منهم أخذته العزة بالاثم، ولكنه صار يتظاهر بأنه يهتز متخشعاً، ويهمهم معتبراً متدبرا.

وليعلم القاريء ان لفهم الكلام نفسه درجات فمن الناس من لا يفهم من الكلام إلا مدلولات الالفاظ على ما فيها من إجمال وإبهام، بحسب ما تفسر به المفردات في معاجم اللغة، أو مع المركبات بحسب قواعد النحو والبيان، ككون لفظي الصم والبكم هنا من مجاز الاستعارة مثلا، وهذا الفهم قاصر لا يتسع عقل صاحبه للتدبر والتذكر المطلوب، ومنهم من يكون فهمه تفصيلياً ينتقل من الكليات إلى الجزئيات، ويعدو المفهومات الذهنية إلى المصداقات، ولكنه يجعلها بمعزل عن نفسه، ويتصور الكلام كله لغيره وفي غيره، بان يقول هذه الآية نزلت في الكافرين أو المنافقين، لا في أمثالي من المؤمنين، وإن كان متصفاً بما تنهى عنه وتتوعد عليه من صفاتهم وأعمالهم فصاحبها يصدق عليه بوجه ما انه من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون،

وإنما الدرجة العليا للسماع أن تسمع فتفقه وتعقل وتتدبر فتعتبر وتعمل، حتى لا تقول يوم القيامة (٦٧ : ١٠ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)

(٢٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٥) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

يقال دعاه فأجابه واستجابه واستجاب له ، وكثر المتعدي في التنزيل ويقول الراغب ان أصل الاستجابة التهيؤ والاستعداد للاجابة فحل محلها، أقول والاقرب الي الفهم قلب هذا وعكسه وهو ان الاستجابة هي الاجابة بعناية واستعداد فتكون زيادة السين والتاء للمبالغة، وهو يقرب مما قالوه في معانيها من التكلف والتحري أو هو بعينه إلا انه لا يعبر به فيما يسند إلى الله تعالى كقوله (فاستجاب لهم ربهم)

فقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ معناه اذا علمتم مافرضنا عليكم من الطاعة ، وشأن سماع التفقه من الهداية ، وقد دعاكم الرسول بالتبليغ عن الله تعالى لما يحييكم ، فاجيبوا الدعوة بعناية وهمة ، وعزيمة وقوة ، فهو كقوله تعالى (خذوا ما آتيناكم بقوة) والمراد بالحياة هنا حياة العلم بالله تعالى وسننه في خلقه ، وأحكام شرعه ، والحكمة والفضيلة والاعمال الصالحة التي تكمل بها الفطرة الانسانية في الدنيا وتستعد للحياة الابدية في الآخرة ، وقيل المراد بالحياة هنا الجهاد في سبيل الله لانه سبب القوة والعزة والسلطان ـ والصواب ان الجهاد يدخل فيما ذكرنا وليس هو الحياة المطلوبة بل هو وسيلة لتحققها وسياج

لها بعد حصولها ، وقيل هي الايمان والاسلام، وانما يصح باعتبار ما كان يتجدد من الاحكام ، وثمرته في القلوب والاعمال ، وبما في الاستجابة من معنى المبالغة في الاجابة، وإلا فالخطاب للمؤمنين. وقيل هي القرآن ولا شك انه ينبوعها الاعظم، الهادي الى سبيلها الاقوم ، مع بيانه من سنة الرسول وهديه الذي أمرنا بان يكون لنا فيه أسوة حسنة ، ويدل عليه اقتران طاعته بطاعة الله تعالى ، بل قال بعض العلماء انه كان اذا دعا شخصاً وهو يصلي يجب عليه أن يترك الصلاة استجابة له وان الصلاة لا تبطل باجابته بل له أن يبني على ما كان صلى ويتم، واستدلوا على ذلك بحديث رواه البخاري عن سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه - أو قال فلم آته حتى صليت ثم أتيته - فقلت يارسول الله اني كنت أصلي ، فقال «ألم يقل الله (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) ؟ الحديث . وروى الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة انه ﷺ دعا أبيّ بن كعب وهو في الصلاة وذكر نحواً مما رواه البخاري عن أبي سعيد وصححه. وقال الحافظ في باب فضائل الفاتحة من الفتح عند ذكر فقه الحديث: وفيه ان الامر يقتضي الفور لانه (ص) عاتب الصحابي على تأخير اجابته، وفيه استعمال صيغة العموم في الاحوال كلها. قال الخطابي: فيه ان حكم لفظ العموم أن يجري على جميع مقتضاه وان الخاص والعام اذا تقابلا كان العام منزلا على الخاص ، لان الشارع حرم الكلام في الصلاة على العموم ثم استثنى منها اجابة دعاء النبي ﷺ في الصلاة (وفيه) ان اجابة دعاء النبي ﷺ لا تفسد الصلاة — هكذا صرح به جماعة من الشافعية وغيرهم وفيه بحث لاحتمال أن تكون اجابته واجبة مطلقاً سواء كان المخاطب مصلياً أو غير مصل، اما كونه يخرج لاجابته من الصلاة أو لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه ، فيحتمل أن تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة ، والى ذلك جنح بعض الشافعية الخ ما أورده ولا تعرض فيه لما يدعو المرء اليه وهل يشترط لما ذكر أن يكون من أمر الدين أم لا ؟ وقد كان (ص) دعا سعيداً هذا ليعلمه فضل سورة الفاتحة وانها السبع المثاني ، وفي متن الحديث شيء من الاضطراب. على أنه لا يتعلق به بعده (ص) عمل .

وأحق من هذا بالبيان ان طاعته ﷺ واجبة في حياته وبعد مماته فيما علم

انه دعا اليه دعوة عامة من أمر الدين الذي بعثه الله تعالى به كبيانه لصفة الصلوات وعددها والمناسك ولو بالفعل مع قوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقوله « خذوا عني مناسككم » ومقادير الزكاة وغير ذلك من السنن العملية الدينية المتواترة وكذا أقواله المتواترة التي أمر بتبليغها فيما تدل عليه دلالة قطعية — وأما غير القطعي رواية ودلالة من سننه فهو محل الاجتهاد، فكل من ثبت عنده شيء منها ببحثه أو بحث العلماء الذين يثق بهم على انه من أمر الدين فينبغي له الاهتداء به فيما دل عليه من الاحكام الخمسة بحسبها — الوجوب والندب والحرمة والكراهة والاباحة — لان الامور العملية الاجتهادية يكتفى فيها بالظن الراجح في الدليل وفي دلالته، ولكن لا يملك أحد من المسلمين أن يجعل اجتهاده تشريعاً عاماً يلزمه غيره أو ينكر عليه مخالفته أو مخالفة من قلده هو فيه، إلا الائمة أولي الامر فتجب طاعتهم في اجتهادهم في أحكام المعاملات القضائية والسياسية اذا حكموا بها لاقامة الشرع وصيانة النظام العام — وعلى هذا كله جرى السلف الصالح وجميع أئمة الامصار، ومن كلامهم ان المجتهد لا يقلد مجتهداً، وانه لا يجب على أحد أن يقلد أحداً معيناً دينه، ولكن من عرض له أمر يستفتي فيه من يطمئن قلبه لعلمه بالكتاب والسنة ويأخذ بفتواه إذا اطمأن لها. وقد امتنع الامام مالك من إجابة المنصور ثم الرشيد إلى ما عرضاه عليه من الزام الناس العمل بكتبه حتى الموطأ الذي هو سنن واطأه جل علماء المدينة عليها

وأما من يقولون أن النبي ﷺ إنما كانت تجب طاعته في عهده ولا يجب العمل بعده إلا بالقرآن وحده فهم زنادقة ضالون مضلون يريدون هدم الاسلام بدعوى الاسلام، بل تجب طاعة الرسول كما أطلقها الله تعالى ويجب التأسي به في كل زمان إلى يوم القيامة. بل نقول اننا نهتدي بخلفائه الراشدين، وأئمة أهل بيته الطاهرين، وعلماء أصحابه العاملين، وعلماء السلف من التابعين وأئمة الامصار من أهل البيت والفقهاء والمحدثين، نهتدي بهم في آدابهم واجتهاداتهم القضائية والسياسية مع مراعاة القواعد الشرعية والمصالح العامة، ولا نسمي شيئا منها دينا ندين الله به الا ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على الوجه المتقدم، وأما السنن والارشادات النبوية في أمور العادات كاللباس والطعام والشراب والنوم فلم

بعدها أحد من السلف ولا علماء الخلف من أمور الدين فتسمية شيء منها دينا بدعة منكرة لانه تشريع لم يأذن به تعالى. وقد فصلنا هذه المسألة من قبل في هذا التفسير وفي غيره من مقالات المنار

﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ﴾ هذا تنبيه لامرين عظيمين أمرنا الله أن نعلمهما علما يقينا إذ عانيا لما لهما من الشأن في مقام الوصية بالاستجابة لدعوة الحياة الانسانية العليا التي فيها سعادة الدنيا والآخرة ، (الاول) ان من سنة الله في البشر الحيلولة بين المرء وبين قلبه ، الذي هو مركز الوجدان والادراك ذي السلطان على ارادته وعمله ، وهذا أخوف ما يخافه المتقي على نفسه ، إذا غفل عنها وفرط في جنب ربه ، كما انه أرجى ما يرجوه المسرف عليها اذا لم ييأس من روح الله فيها ، فهذه الجملة أعجب جمل القرآن ولعلها أبلغها في التعبير ، وأجمعها لحقائق علم النفس البشرية ، وعلم الصفات الربانية ، وعلم التربية الدينية ، التي تعرف دقائقها بما تثمره من الخوف والرجاء ، فبينا زيد يسير على سبيل الهدى ويتقي بنيات طرق الضلالة الموصلة إلى مهاوي الردى ، اذا بقلبه قد تقلب بعصوف هوى جديد ، يميل به عن الصراط المستقيم ، من شبهة تزعزع الاعتقاد ، أو شهوة يغلب بها الغي على الرشاد ، فيطيع هواه ، ويتخذه إلهه من دون الله ، (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا؟) على انه فيه مختار ، فلا جبر ولا اضطرار.

ويقابل هذا من الحيلولة ما حكي بعضهم عن نفسه ، انه كان منهمكا في شهواته ولهوه ، تاركا لهداه وطاعة ربه ، فنزل يوما في زورق مع خلان له في نهر دجلة للتنزه ومعهم النبيذ والمعازف ، فبيناهم يعزفون ويشربون ، اذ التقوا بزورق آخر فيه تال للقرآن يرتل سورة (اذا الشمس كورت) فوقعت تلاوته من نفسه موقع التأثير والعظة ، فاستمع له وأنصت ، حتى إذا بلغ قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) امتلأ قلبه خشية من الله ، وتدبراً لاطلاعه على صحيفة عمله يوم يلقاه ، فاخذ العود من العازف فكسره وألقاه في دجلة ، وثنى بنبذ قناني النبيذ وكؤوسه فيها ، وصار يردد الآية ، وعاد إلى منزله تائبا من كل معصية ، مجتهداً في كل ما يستطيع من طاعة

فتذكير الله تعالى إيانا بهذا الشأن من شؤون الانسان ، وهذه السنة القلبية

من سنن الله تعالى في الارادات والاعمال ، وأمره ايانا بان نعلمها علم ايقان واذعان، يفيدنا فائدتين لا يكمل بدونهما الايمان ، وهما أن لا يأمن الطائع المشمر من مكر الله فيغتر بطاعته ويعجب بنفسه ، وأن لا ييأس العاصي والمقصر في الطاعة من روح الله ، فيسترسل في اتباع هواه ، حتى تحيط به خطاياه . ومن لم يأمن عقاب الله، ولم ييأس من رحمة الله، يكون جديراً بان يراقب قلبه، ويحاسب نفسه على خواطره ، ويعاقب نفسه على هفواته ، لتظل على صراط العدل المستقيم، متجنبة الافراط والتفريط ، ويتحرى أن يكون دائما بين خوف يحجزه عن المعاصي ورجاء يحمله على الطاعات، ويساعدنا على ذلك الأمر (الثاني) وهو تذكر حشرنا اليه عز وجل ومحاسبته إيانا على أعمالنا القلبية والبدنية ، ومجازاته إيانا عليها إما بالعذاب الاليم، وإما بالنعيم المقيم ، وهذا منه مقتضى الفضل، وذلك أثر العدل،

ومما يؤيد ما فهمناه في هذا المقام مقام حرمان الراسخين في الكفر من سماع الفقه والهدى، والحيلولة بين المرء وقلبه أن يعصي الهوى ، (٤٥: ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون) فهي صريحة في أن من هذا حاله ليس مجبوراً عليه وان الله لم يحرمه الهدى باعجازه عنه وهو يؤثره ويفضله ؛ أو باكراهه على اتباع الهوى وهو كاره له ، فانه أسند اليه اتخاذ هواه إلهه ، وقد قال تعالى لنبيه داود عليه السلام (٣٨: ٢٦ ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية

فهذا نص في ان اتباع الهوى سبب للضلال عن سبيل الله ، فقوله في آية الجاثية (وأضله الله على علم) ليس معناه انه تعالى خلق فيه الضلال استقلالا كما يدعي بعض المتكلمين بل هو داخل في سنته تعالى في الاسباب والمسببات ويؤيده اثبات كون ضلاله على علم وهو انه متعمد لاتباع الهوى ، مؤثراً له على الهدى ، والله تعالى يسند الامور الى أسبابها تارة واليه تعالى تارة من حيث انه خالق كل شيء وواضع سنن الاسباب والمسببات . ومن الاسباب ما جعله من أفعال المخلوقات الاختيارية على علم ، وما جعله باسباب لا يعلم للخلق اختيار فيها ولا علم،

وكل من القسمين يسند الى سببه تارة والى رب الاسباب تارة والجهة مختلفة معروفة، ويختار هذا أوذاك في البيان بحسب سياق الكلام كقوله تعالى في الحرث (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟) فهل يقول عاقل ان الفلاح لا فعل له ولا اختيار في زرعه، وان الله يخلقه له بدون إرادة ولا فعله، أو ان فعله وتركه في أرضه سواء، وتلقيحه لنخله وعدمه سيان ؟

وجملة القول ان من سننه تعالى في البشر ان من يتبع هواه في أعماله ويستمر على ذلك ويدمنه الزمن الطويل تضعف إرادته في هواه، حتى تذوب وتفنى فيه، فلا تعود تؤثر فيه المواعظ القولية، ولا العبر المبصرة ولا المعقولة، وهذه الحالة يعبر عنها بالختم والرين والطبع على القلب، وبالصمم والعمى والبكم كما تقدم آنفا وسبق مثله في تفسير سورة البقرة وغيرها،

وأمثال هذه الامثال المضروبة لهذه الحالة قد ضل بها الجبرية غافلين عن كونها عاقبة طبيعية لادمان تلك الاعمال الاختيارية، وكذا الخمار الذي يعتري مدمن الخمر، فيشعر بفتور وألم عصبي لا يسكن إلا بالعودة الى الشرب، على ان هذه الآية علمتنا عدم اليأس

ومن تفسير القرآن بالقرآن في تقليب القلوب والحيلولة بينها وبين إرادة الانسان المتصرفة في قدرته ومشاعره قوله تعالى من سورة الانعام (٦ : ١١٠ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة . ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فيراجع معناها في آخر تفسير الجزء السابع، وقال الراغب : تقليب الله القلوب صرفها من رأي الى رأي . وذكر آية الانعام هذه

ومن تفسير الآية المأثور في السنة ما رواه ابن مردويه في تفسيرها عن ابن عباس مرفوعا « يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الهدى » وسنده ضعيف كما قال الحافظ في الفتح وله ولغيره آثار في هذا المعنى . وروى البخاري وأصحاب السنن إلا أبا داود من حديث عبد الله بن عمر قال كانت يمين النبي (ص) « لا ومقلب القلوب » وفي رواية له عنه : أكبرُ ما كان النبي ﷺ يحلف « لا ومقلب القلوب » وفي معناه أحاديث أخرى عند ابن ماجه وغيره وللمفسرين وشراح الاحاديث أغلاط لفظية ومعنوية في تفسير لفظ القلب وفي تقليب الله تعالى له.

وقد تقدم تفسيره اللفظي من قبل ، ومعنى تقليبه آنفا ، وقولهم ان الله خالق القلوب ومقلبها حق وكذا أفعال العباد كلها ، وليس بحق ماعبر به بعضهم عن ذلك بأن الله تعالى يمنع الكافر بمحض قدرته عن الايمان وغيره من أفعال الخير مباشرة ، ويخلق في قلبه ولسانه الكفر اعتقاداً ونطقا خلقا اُنُفاً لا فعل له فيه ، فالجمع بين الآيات التي أوردناها وما في معناها يبطله ويثبت الاسباب الاختيارية ، والقائلون بما ذكر يثبتون قول القدرية ويحتجون به على قول الجبرية فهم يؤيدون الفاسد بالفاسد ولا يشعرون ، ويمدهم إخوانهم الصوفية في الغيّ ثم لا يقصرون .

بعد هذه الأوامر والنواهي الخاصة باعمال الناس الاختيارية الشخصية ، وما يخشى أن تؤدي إليه مما يحرمهم من الهداية الخصوصية ، بانتهاء الاختياري منها الى مايكاد يخرج عن الاختيار ، باضعاف الارادة واستعبادها للاهواء ، — أمرهم باتقاء نوع من أنواع الفتن الاجتماعية التي تكون تبعة عقوبتها مشتركة بين المصطلي بنارها فعلا ، وبين المؤاخذ به لتقصيره في درئه ، وإقراره على فعله ، فقال ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ أي واتقوا وقوع الفتن القومية والملية العامة التي من شأنها أن تقع بين الأمم في التنازع على مصالحها العامة من الملك والسيادة أو التفرق في الدين والشريعة ، والانقسام الى الاحزاب الدينية كالمذاهب والسياسية كالحكم ، فان العقاب على ذنوب الامم أثر لازم لها في الدنيا قبل الآخرة كما تقدم مرارا ، ولهذا عبر هنا بالفتنة ، دون الذنب والمعصية ، والفتنة البلاء والاختبار كما تقدم بيانه مرارا .

روى أحمد والبزار وابن المنذر وابن مردويه عن مطرف قال قلنا للزبير يا أبا عبد الله ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ فقال إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ولم نكن نحسب انا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت . وروى عنه جمهور مخرجي التفسير المأثور : لقد قرأناها زمانا وما نرى انا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها . وأخرج ابن جرير من طريق الحسن عنه قال لقد خوفنا بهذه الآية ونحن مع رسول الله ﷺ وما ظننا اننا خصصنا بها . قال

الحافظ في الفتح وأخرجه النسائي من هذا الوجه نحوه ، وله طرق أخرى عن الزبير عند الطبري وغيره . وأخرج ابن جرير وابن المنذر في الآية قال : نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير - وعبد بن حميد عنه قال : أما والله لقد علم أقوام حين نزلت أن يستخص بها قوم . وهو وأبو الشيخ عن قتادة قال : علم والله ذوو الالباب من أصحاب محمد ﷺ حين نزلت هذه الآية أن سيكون فتن . وابن جرير وأبو الشيخ عن السدي في الآية قال : نزلت في أهل بدر خاصة، فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا فكان من المقتولين طلحة والزبير وهما من أهل بدر. وآخرون عنه قال : أخبرت انهم أهل الجمل . وابن أبي حاتم عن الضحاك قال : تصيب الظالم والصالح عامة . وأبو الشيخ عن مجاهد قال : هي (يحول بين المرء وقلبه) حتى يتركه لا يعقل . وروى جمهورهم عن ابن عباس قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب

قال الحافظ ولهذا الاثر شاهد من حديث عدي بن عميرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه ، فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » أخرجه أحمد بسند حسن وهو عند أبي داود من حديث العرس بن عميرة وهو أخو عدي وله شواهد من حديث حذيفة وجرير وغيرهما عند أحمد وغيره

ومعاني هذه الروايات متفقة صحيحة المعاني الا قول من قال بالتخصيص فهي عامة إلى يوم القيامة لانها بيان لسنة من سنن الله تعالى في الامم والملل كما بينا . وأما فتنة عثمان فكانت أول هذه الفتن التي اختلفت فيها الآراء فاختلفت الاعمال من أهل الحل والعقد فخلا الجو للمفسدين من السبأيين وأعوانهم من زنادقة اليهود والمجوس وغيرهم ، وأعقبت فتنة الجمل وصفين ، ثم فتنة ابن الزبير مع بني أمية ثم قتلهم الحسين عليه السلام الخ . ولو تداركوها كما تدارك أبو بكر (رض) عنه الردة لما كانت فتنة تبعتها فتن كثيرة لا يزال المسلمون مصابين بها ومعذبين بعذابها وأكبرها فتن الخلافة والملك وفتن افتراق المذاهب

﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالف سننه في الامم والافراد التي

لاتبديل لهـا ولا تحويل ، ولمن خالف هداية دينه المزكيـة للانفس وقطعيات شرعه المبنية على درء المفاسد والمضار وحفظ المصالح والمنافع . وهـذا العقاب منه مايقع في الدنيا والآخرة ومنه مايقع في احداهما فقط ، سواء كان الأفراد أو للأمم ، وعقاب الامم المذكور في هذه الآية مطرد في الدنيا ، وأول من أصابه من أمتنا الاسلامية أهل القرن الاول الذي كانوا خيرها بل خير الأمم كلهـا ولكنهم لما قصروا في درء الفتنة الاولى عاقبهم الله عليها عقابا شديداً كما تقدم آنفاً ، وهكذا تسلسل العقاب في كل جيل وقع فيـه ذلك ، ثم امتزجت الفتن المذهبية بالفتن السياسية الخاصة بالخلافة والسلطان ، ولهذا كانت فتنة الخلاف بين أهل السنة والشيعة أشد مصائب هذه الامة وأدومها ، فزالت الخلافة التي تنازعوا عليها ، وتنافسوا فيها ، وتقاتلوا لأجلهـا ، ولم تزل هي تزداد قوة وشبابا ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مواضع من مجلة المنار

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض﴾ قيل ان الخطاب للمهاجرين يذكرهم بما كان من ضعفهم وقلتهم بمكة — وقيل إنه للمؤمنين كافة في عهد نزول السورة يذكرهم بما كان من ضعف أمتهم العربية في جزيرتهم بين الدول القوية من الروم والفرس ، ولا مانع فيه من ارادة هذا وذاك معاً. فقوله تعالى ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ أي تخافون من أول الاسلام إلى وقت الهجرة أن يتخطفكم مشركو قومكم من قريش وغيرها من العرب ، أي أن ينتزعوكم بسرعة فيفتكوا بكم — كما كان يتخطف بعضهم بعضاً خارج الحرم وتتخطفهم الامم من أطراف جزيرتهم. قال تعالى في أهل الحرم (أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم؟) ﴿ فآواكم ﴾ يامعشر المهاجرين إلى الانصار ﴿ وأيدكم ﴾ وإياهم ﴿ بنصره ﴾ في هذه الغزوة، وسيؤيدكم على الروم وفارس وغيرهم كما وعدكم في كتابه بالاجمال وبينه لكم الرسول ﷺ بالتصريح ﴿ ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ هذه الثلاث وغيرها من نعمه، فيزيدكم من فضله كما وعدكم بقوله (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

وقد جاء في الدر المنثور من تفسير هذه الآية بالمأثور باختصار قليل مانصه:

أخرج ابن المنذر وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله (واذكروا إذ أنتم قليل) الآية ، قال كان هذا الحي أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا ، وأعراه جلوداً وأبينه ضلالة، معكوفين على رأس حجر بين فارس والروم لا والله مافي بلادهم مايحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، لا والله ما نعلم قبيلا من حاضر الارض يومئذ كان أشر منزلا منهم ، حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالاسلام أعطى الله مارأيتم فاشكروا لله نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله عز وجل

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله (يتخطفكم الناس) : في الجاهلية بمكة (فآواكم) الى الاسلام، وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ في قوله (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس) قيل يارسول الله: ومن الناس؟ قال «أهل فارس» وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله (فآواكم) قال الى الانصار بالمدينة (وأيدكم بنصره) قال يوم بدر اه

ومن العبرة في الآيات انها حجج تاريخية اجتماعية على كون الاسلام إصلاحا أورث ويورث من اهتدى به سعادة الدنيا والسيادة والسلطان فيها قبل الآخرة، ولكن أعداءه الجاحدون لهذا على علم قد شوهوا تاريخه ، وصدوا الناس عنه بالباطل ـ وان أهله قد هجروا كتابه وتركوا هدايته وجهلوا تاريخه ، ثم صاروا يقلدون أولئك الاعداء في الحكم عليه حتى زعموا انه هو سبب جهلهم وضعفهم وزوال ملكهم الذي كان عقوبة من الله تعالى لخلفهم الطالح على تركه ، بعد تلك العقوبة لسلفهم الصالح على الفتنة بالتنازع على ملكه . فالى متى الى متى أيها المسلمون ؟ إنا لله وإنا اليه راجعون

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من تونس ﴾ (تأخرت سهواً)

(س ٢٩ ـ ٣٣) من صاحب الامضاء بتونس

حضرة صاحب الفضيلة والفضل ، والرأي والقول الفصل .

سيدي أعزك الله وأخذ بيدك . من بعد تقديم السلام والاحترام لسعادتكم ، وما يجب عليّ أن أبرز ماأشعر به بفؤادي نحو خدمتكم، من الشكر الجزيل، والدعاء لكم بالبقاء والعمر الطويل فاني أرجو من فضيلتكم أن تعيرونا فترة من وقتكم النفيس كي تجيبونا على السؤالين التاليين خدمة للعلم ودحضاً للدعاية التي يبثونها جماعة المبعوثات البروتستانت بهذه البلدة المنكوبة الحظ مما جعل الناس في حيرة من القبض على دينهم وكأنه قد انطبقت عليهم كلمة الرسول «يأتي يوم» الحديث ـ ولكم المنة والشكر وعظيم الأجر

أولا : أن تفسروا في منارکم المنير . ما معنى أو كنه الآية التي بعد: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية . وما يقصد بالمثلية وإن كانت في العدد كما هو المتبادر فكيف يتصور عدهن وإن كانت طبقات طبقات بعضها فوق بعض (حسب ما أشار اليه ذو الجلالين) وتحيط بجميعها الكرة الارضية فلماذا لحد الآن لم يكشف شيئا من هذا الانفصال العلم الحديث رغم ماحفروا ونقبوا الارض تنقيبا ولماذا يفرق بينهن إن كانت على هاته المنوال والحالة هذه . وإن فرضنا ان كل أرض مصورة بكرة أرضية خاصة والحال أننا في واحدة فقط كما هو المقرر فالباقيات الست أين هي؟ ومن يسكنها ؟ وما أقوال الباحثين فيها ؟ انتهى

ثانياً : ما حالة سيدنا عيسى الآن ؟ وأين جسم سيدنا عيسى من روحه ؟ وما قولكم في الآية التي بعد (إني متوفيك ورافعك إليّ) الآية . وإن كان حياً يرزق كما كان في الدنيا فهم يأتيه الغذاء الذي يحتاج اليه كل جسم حيواني كما

هي سنة الله في خلقه ؟ وإن قلنا انه في السماء وأثبتنا من الآية أو غيرها ماتقدم فعند نزوله في أي مكان ينزل؟ ومن أين يأتي ؟ وما أقوال السادة العلماء فيه ؟ وماحكم من ينكر وجود سيدنا عيسى الآن حياً ويعتقد[1] في يوم يأتي؟ ومانصيب هذا المفكر من الايمان ؟ أفيدونا عن ذلك ولكم الدعاء بالاعانة والامتنان . وياحبذا لو تسرعوا بنشر السؤالين في المجلة حتى ينفصم حبل الالحاد والتضليل (وإبادة كل بدعة أو ضلالة أنفع لجميع المسلمين) والله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا. على لسان من يقيضه من خلقه ويجعله بذلك خليقا، والسلام

من محبكم الداعي لكم مشتركم
فقير ربه عمر خوجه بتونس

تفسير (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)

جاء ذكر السموات والارض معا في عشرات من الآيات، وجاء ذكر الارض وحدها في آيات أخرى كثيرة ولم تذكر في القرآن إلا مفردة ، بل ليس فيه مايشير الى تعدد الارض إلا هذه الآية في آخر سورة الطلاق على بعض الوجوه المحتملة في المثلية وهي مبهمة لايمكن تعيين المراد منها بالرأي على سبيل القطع ، وقد تغلغلت الاسرائيليات في تفسيرها ولا سيما أقوال كعب الاحبار ووهب بن منبه التي صرح المحققون بعدم الثقة بشيء منها ، وناهيك بهذه الاسرائيليات في وصف السموات السبع والارضين السبع وما فيهن، ومن أغربها اثر ابن جريج الطويل العريض في خرافات طولهن وعرضهن وما فيهن والمسافات بينهن وبالصخرة الخضراء المكللة والثور ذي الثلاث القوائم والقرنين وبالحوت الذي ذنبه عند رأسه .وبالخرافة التي أخرجها أبو الشيخ في العظمة عن كعب الاحبار قال : الارضون السبع على صخرة والصخرة في كف ملك والملك على جناح الحوت والحوت في الماء والماء على الريح والريح على الهواء ريح عقيم لاتلقح وان قرونها معلقة بالعرش

وروي عن ابن عباس في تفسير الآية انه قال لو حدثتكم بها لكفرتم وكفركم تكذيبكم

[1] كذا في الاصل ولعله سقط منه شيء وهل هو إثبات نزوله في يوم يأتي أو عدمه؟

بها وروي عنه انه قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم . قال البيهقي اسناده صحيح ولكنه شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا . وقال الذهبي مثل ذلك وزعم أبوحيان انه موضوع من رواية الواقدي . وهو رأي في المثلية معناه : وخلق من الارض مثلهن في الصفة وهو كونها كأرضنا حتى في حياة أمثالنا من العقلاء المكلفين فيها . وهذا المعنى يقتضي ان في السموات السبع ولو في جملتهن ومجموعهن أحياءً كبني آدم بعث فيهم رسل كرسلهم وهو ليس بشاذ لا يعرف له أصل كما زعموا بل له أصل في القرآن نفسه وهو (٤٢ : ٢٧ ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير)

وقال جمهور المفسرين إن المراد بالمثلية العدد وهو كونها سبعاً وحاول بعضهم وصفهن بكل ماوصفت به السموات السبع من كونهن طباقا بعضها فوق بعض إلى غير ذلك ، ومن وجود السكان فيهن قيل من الملائكة وقيل من الجن ـ ولكن الملائكة والجن لم يطلق عليهما اسم الدواب ، ولا أدري لماذا يهرب هؤلاء من اثبات انواع الحيوان فيهن والله تعالى يقول (وما بث فيهما من دابة) أي السموات والارض ولو في جملتهما

وقال بعضهم تبعا للضحاك انهن سبع طبقات متصل بعضها ببعض لا متفرقة وفصله بعضهم بما يقرب من قول علماء الجيولوجيا في طبقات الارض. وقال آخرون: ومن الارض مثلهن في العدد فقط مع الامساك عن الاتصال والانفصال

والسائل مطلع على هذه الاقوال والآية ليست نصاً في شيء مما قيل والمتبادر منها بحسب العبارة وصرف النظر عن الروايات والاقوال أن الله خلق سبع سموات وخلق الارض مماثلة لهن أو خلق من الارض مثلا ونظيراً لهن . أي ان خلق الارض كخلق السموات ، والمثلية تصدق في الامور المشتركة بين المثلين ولا يجب أن تكون من كل وجه في المادة والصفات، كيف وقد ضرب الله المثل لنوره المصباح في المشكاة ، وانما تعرف الصفات المشتركة بين الاشياء بالحس يقينا أو بالقياس ظنا أو بالوحي إيمانا، وليس عندنا نص من الوحي في وجه المماثلة ، وأما

الحس فاننا نرى الارض على قرب ونعرف من صفاتها شيئاً كثيراً إن لم نقل كل شيء ولو بالاجمال، وأما السموات السبع فاذا كان المراد بها الدراري التابعة لنظام شمسنا هذه كما كان يفهم العرب مثل أمية بن أبي الصلت الذي ذكر السبع في شعره وكما يقول الكثيرون من العلماء بالتفسير وبعلم الهيئة الفلكية فوجه الشبه ظاهر عندهم وهو ان هذه الارض نفسها كوكب من كواكب النظام الشمسي كالمريخ والمشتري التي تستمد النور من الشمس وترتبط معها بسنة الجاذبية العامة، إلا ان بينها فروقا وأقربها الى صفة الارض في أحيائها النباتية والحيوانية المريخ. وقد نقل الراغب عن بعض العلماء عبارة بديعة في هذا المعنى وهي: كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء وبالاضافة الى مافوقها فأرض، إلا السماء العليا فانها سماء بلاء أرض اقال وحمل على هذا قوله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)

وأقول إن هذه الدراري انما كانت تعد سبعاً في عرف المتقدمين بعد الشمس والقمر منها دون الارض، وهي تعد الآن ثماني منها الارض وكوكبان عرفا بمراصد هذا العصر وهما أورانوس ونبتون ومكانهما وراء زحل أي فوقه ودونه المشتري فالمريخ فالزهرة فعطارد وهي سبع سموات بالنسبة الينا كما تقدم فبقيت عبارة القرآن صحيحة في نفسها وإن كانت السموات السبع مجهولة لنا كأن تكون من عالم الغيب فالواجب أن يحمل معنى المثلية على أعم الوجوه ككونها من خلق الله الدال على قدرته وعلمه كما يدل عليه آخر الآية وسيأتي، ولكن هذا القول مردود بالآيات القرآنية المتعددة

وقد ورد في الاحاديث والآثار روايات كثيرة في ذكر السموات السبع والارض وفي بعضها ذكر لتعدد الارض وقد عقد البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه بابا سماه (باب ما جاء في سبع أرضين) وقول الله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الخ الآية وذكر فيه حديث عائشة مرفوعا « من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين » وحديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل « اشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول « من أخذ شبراً من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » وظاهره يوافق قول من قال ان المراد بالسبع الطبقات وأنهن متصلات كطبقات الجيولوجية قال الحافظ في شرح الحديث

من كتاب المظالم من الفتح : وفيه ان الارضين السبع متراكمة لم يفتق بعضها عن بعض لأنها لو فتقت لا كتفى في حق هذا الغاصب بتطويق التي غصبها لانفصالها عما تحتها، أشار الى ذلك الداودي وفيه ان الارضين السبع طباق كالسموات وهو ظاهر قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) خلافا لمن قال ان المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم الخ . وأنت ترى ان هذين القولين مختلفان فان كانت السبع الطباق من السموات منفصلا بعضها عن بعض لا يظهر معنى التطويق منهن في الحديث الصحيح ، وهو الحديث الصحيح في التعدد دون غيره . ولا ندري أكان هذا الجمع مستعملا بالسبع عند العرب كالسموات أم لا

وروى أحمد والترمذي عن الحسن عن أبي هريرة حديثا مرفوعا فيه بعد سبع أرضين بين كل منها خمسمائة عام ، وهو حديث غريب منقطع والحسن لم يسمع عن أبي هريرة ورواه البزار والبيهقي من حديث أبي ذر مرفوعا بنحوه وهو مرسل قال في البداية ولا يصح اسناده

وقد علم مما تقدم ان أصح ما ورد في تعدد الارض حديثا عائشة وزيد بن سعيد (رض) في مغتصب شيء من الارض أنه يطوقه من سبع أرضين وهذا لا يدل على تعدد الارض بوجود سبع مستقلة منفصل بعضها عن بعض كالسموات وهو لم يرد تفسيرا للآية. ويليه حديث ابن عباس في كون كل أرض منها منفصلة عن غيرها مستقلة يسكنها عقلاء مكلفون فيهم رسل منهم كأشهر الرسل منا . وقد ضعفوه بشذوذ متنه عندهم لاستغراب وجود رسل في عالم آخر غير أرضهم . قال القسطلاني: ففيه ـ أي في تضعيف البيهقي والذهبي له بالشذوذ ـ انه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن كما هو معروف عند أهل هذا الشأن فقد يصح الاسناد ويكون في المتن شذوذ وعلة تقدح في صحته . ومثل هذا لا يثبت بالحديث الضعيف . وقال في البداية وهذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس أخذه من الاسرائيليات اه

وأقول ان هذه القاعدة صحيحة عند المحدثين والاصوليين جميعا ولكن قل من عني بتحكيمها في الاحاديث الشاذة المتون بمخالفة القطعيات حتى الحسية منها كحديث أبي ذر (رض) في غروب الشمس وكونها تكون مدة غيابها عن الارض

ساجدة تحت العرش تستأذن ربها في العودة الى الطلوع الخ وهو متن مخالف للحس فان الشمس لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، وهذا مشاهد معلوم بالقطع . ولما أوردنا رد طعن الطاعنين على الاسلام به وبينا الرد على ذلك من عدة وجوه طعن في ديننا دجال بيروت يوسف النبهاني الشاعر بجهله وتعصبه لانه روي في الصحيح

ومما سبق لنا بيانه في هذا المقام من وقوع مثل هذا الشذوذ في الصحيحين على قلة ان حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم في خلق السموات والارض في سبعة أيام وأوله « خلق الله التربة يوم السبت » وصرح فيه أبو هريرة بالسماع منه ﷺ قال القسطلاني كغيره لكن اختلف فيه على ابن جريج وقد تكلم فيه فقال البخاري في تاريخه : وقال بعضهم عن كعب الاحبار وهو أصح . يعني انه أصح مما سمعه أبو هريرة وتلقاه عن كعب فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا. وفي متنه غرابة شديدة الخ

أقول وقد حققنا من قبل ان كعب الاحبار من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين وتحمل على الرواية عن أنبياء بني اسرائيل وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه وصاروا يتناقلون قوله بدون اسناده اليه حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم انها مما سمعوه من النبي ﷺ وأدخلها بعض المؤلفين في الموقوفات التي لها حكم المرفوع كما قال الحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره من أوضحها كلامه في تفسير هذه الآية ، ونحن كما بينا ذلك مراراً في التفسير وغير التفسير من مباحث المنار

وجملة القول انه ليس لدينا حديث صحيح مرفوع لا قطعي ولا ظني في بيان المراد من قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) والمتبادر منه انه خلق لنا من هذه الارض أو هذه الارض نفسها مثلهن خلقا وتكوينا ويدخل في هذه المثلية تنقل خلق كل من هذه الارض وتلك الاجرام المماثلة لها في الاطوار المبينة في آيات حم السجدة وليس الغرض من ذكر ذلك بيان حقيقة السموات والارض وصفاتها ، بل دلالة ذلك على قدرة الله تعالى وعلمه بما خلقه، فانه قال في آخر الآية (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما)

فعلم مما تقدم كله ان نص الآية المسئول عنها لا يرد عليه اعتراض علمي فلكي مما ثبت في علم الهيئة بالقطع بل هي موافقة لهذا العلم في الجملة ولا سيما على القول الذي نقلنا ما ذكره الراغب في بيانه ، وهو ان كل كوكب من الدراري أرض بالنسبة الى من فيه من المخلوقات وسماء بالنسبة الى من يراه فوقه من سكان سائر الكواكب — وهذا التعبير أصح مما نقله هو لموافقته للهيئة الجديدة — واذا ضممنا اليه سائر الآيات في هذه المسائل ظهرت معجزة أو معجزات جديدة للقرآن باثباته لحقائق أخرى لم يكن يعلمها الرسول ولا قومه من قبله بل منها ما لم يكن يعلمه أحد ، وقد بينا الشواهد على هذا في الكلام على إعجاز القرآن من جزء التفسير الاول وغيره وفي مواضع أخرى من المنار ، وآخر ما أثبته بعض كبار الفلكيين الغربيين من ذلك إثبات حركة للشمس تجري فيها الى غاية مجهولة وجميع دراريها تابعة لها وهو صريح قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ولكن ماورد في كتب اليهود والنصارى في الخلق والتكوين للسموات والارض وغيرهما هو المعترض الذي لا يمكن الجواب المعقول عنه ، وسبب ذلك أنه لم ينقل عن الوحي نقلا صحيحا متواترا

حالة سيدنا عيسى الآن وآية وفاته ورفعه

الذي نعلمه قطعاً ان سيدنا عيسى عليه السلام في عالم الغيب كغيره من اخوانه النبيين ، وان حالته فيه حسنة لأنه من أولي العزم من الرسل وقد وعد الله أمه بان يجعله وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ولا نعلم شيئا تفصيليا عن حالته كما هو شأننا في سائر ما في عالم الغيب لأنه لا مجال للعقل والرأي فيه وإنما الواجب فيه اتباع النصوص القطعية من القرآن ومن أخبار المعصوم القطعية الرواية والدلالة فليس عندنا نص من ذلك في علاقة جسده بروحه ولا في صفة رزقه ولو وجد نص في ذلك لما كان إلا مثل ماورد في صحيح مسلم عن حياة الشهداء وكون أرواحهم في الآخرة تكون « في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من

الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل » فهل يمكننا أن نفهم من هذا الحديث شيئا نعرفه معرفة تفصيلية ؟

وأما قوله تعالى (ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ) الآية فهو على ظاهره كما رواه مخرجو المأثور عن علي بن طلحة عن ابن عباس قال (إني متوفيك) مميتك ونقله الحافظ ابن كثير ومحيي السنة البغوي في تفسيريهما[1] وذكرا بعده ان وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . وقال مطر الوراق : اني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه . وقال الاكثرون المراد بالوفاة ههنا النوم . ذكره ابن كثير وأورد الشواهد على تسمية النوم وفاة ولا نزاع فيه لغة فان التوفي قبض الشيء وافيا تاما ويتعين المراد منه بذكر المتوفى بالصراحة أو بالقرائن . وعبارة البغوي بعد ذكر الاقوال الثلاثة : وقال بعضهم المراد بالتوفي الموت وروي عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه : إني مميتك . يدل عليه (قل يتوفاكم ملك الموت) فعلى هذا له تأويلان أحدهما ماقاله وهب ـ وذكره وقفي عليه بقول الضحاك . فعلى هذا يكون قول ابن عباس هو الظاهر المتبادر وقول وهب والضحاك تأويل مخالف للظاهر فيكون كل منهما ضعيفا في نفسه ، على انحطاط رتبة قائله في علمه وفهمه ، ولاسيما وهب بن منبه الذي هو صنو كعب الاحبار في بث الخرافات الاسرائيلية في تفسير أمثال هذه الآيات من القرآن بدهاء غريب ألبس بعضها ثوبي زور من المرفوعات والموقوفات

وذكر المفسرون عند تفسير هذه الآية من سورة آل عمران مافي موضوعها من آية سورة النساء وهي قوله تعالى في اليهود (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) وهي لا تختلف مع الآية الاولى في شيء . وقد كتبت في تفسيرها (من جزء التفسير ٦ ص ٢٠) مانصه :

« وأما قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) فقد سبق نظيره في سورة آل عمران

---

١) راجع ذلك في تفسير ابن كثير وتفسير البغوي (ص ١٥٠ ج ٢ من طبعة المنار)

وذلك قوله تعالى (٣:١٥٥ إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا) روي عن ابن عباس تفسير التوفي هنا بالاماتة كما هو الظاهر المتبادر ، وعن ابن جريج تفسيرها باصل معناها وهو الاخذ والقبض وان المراد منه ومن الرفع إنقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذي اصطفاه وقربه اليه . قال ابن جرير بسنده عن ابن جريج : فرفعه إياه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا اه . أي ليس المراد به الرفع إلى السماء لا بالروح والجسد ولا بالروح فقط. وعلى القول بأن التوفي الاماتة لا يظهر للرفع معنى إلا رفع الروح. والمشهور بين المفسرين وغيرهم ان الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء اه . وذكرت هنالك استدلالهم على هذا بحديث المعراج وكونه يقتضي حياة كل الانبياء الذين ذكر ﷺ انه رآهم في بيت المقدس وفي السموات كحياته بالروح والجسد، ولم يقل بهذا أحد . وورد في ادريس عليه السلام من سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) وقال تعالى في الرسل (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

نزول المسيح من السماء

وأما نزوله عليه السلام في آخر الزمان فقد استدلوا عليها بآية (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) بناء على وجه من ثلاثة أوجه قالوها في تفسيرها (الاول) وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته الذي سيكون بعد نزوله - وهو أبعد الوجوه عن المتبادر من لفظها اذ ليس فيها اشارة ما إلى نزوله وان هذا الموت يكون بعده (الوجه الثاني) الضمير في موته إلى الكتابي ، والمعنى انه يؤمن بعيسى عند موته وقبيل خروج روحه باطلاع الله إياه على حقيقة أمره عند الغرغرة ، وعلى غير ذلك من أمر الآخرة ، وهو الوقت الذي لا ينفع فيه أحداً إيمانه لانه يصير اضطراريا (الوجه الثالث) ان الضمير في قوله (ليؤمنن به) لمحمد ﷺ

وجملة القول انه ليس في القرآن نص صريح في ان عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى الى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وانما هذه

عقيدة أكثر النصارى وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهر الاسلام إلى الآن بثها في المسلمين وممن حاولوا ذلك بادخالها في التفسير وهب بن منبه الركن الثاني بعد كعب الاحبار لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات كما تقدم آنفا

والاحاديث الواردة في نزوله عليه السلام كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرها، وأكثرها واردة في اشراط الساعة وممزوجة بأحاديث الدجال وفي تلك الاشراط ولاسيما أحاديث الدجال والمهدي اضطراب واختلاف وتعارض كثير بيناه في أواخر تفسير سورة الاعراف. والظاهر من مجموعها انه يظهر في اليهود دجال بل أكبر دجال عرف في تاريخ الامم فيدعي انه هو المسيح الذي تنتظره اليهود فيفتتن به خلق كثير لما يظهره من الغرائب والعجائب التي هي أغرب من جميع معجزات الانبياء أو مثل أعظمها، وفي آخر مدته يظهر المسيح الذي هو عيسى بن مريم ويكون نزوله في «المنارة البيضاء» شرقي دمشق ويلتقي بالمسيح الدجال بباب لدّ - وفي فلسطين بلد يسمى باللد - فهنالك يقتل المسيح الصادق عيسى ابن مريم عدو الله المسيح الدجال بعد حرب طويلة تكون بين المسلمين واليهود والله أعلم

حكم من ينكر وجود المسيح حيا

وأما من ينكر الآن وجود المسيح حيا بروحه وجسده وما نصيبه من الايمان؟ فقد علم حكمه مما تقدم. وهو ان هذه المسألة ليست من أصول عقائد الاسلام التي تلقن لمن يدخل فيه ولاهله - ولا من الاحكام التي تذكر في كتب الردة بناء على ان جاحدها يرتد عن الاسلام لدخولها في قاعدة كفر من يجحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة - بل هي من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده الى السماء ممن لا قيمة لاقوالهم كوهب بن منبه وكذا الضحاك بن مزاحم على انه وان اختلف في توثيقه وتضعيفه خير من وهب بن منبه الذي وثقه الجمهور انخداعا منهم وغفلة عن كون دسائسه الاسرائيلية من وضعه لا منقولة من كتب بني اسرائيل المقدسة. ولم يرو الضحاك عن أحد من الصحابة سماعا وكان يأخذ التفسير عن ذا وذا كما اعترف به

وأما من اطلع على الاحاديث الواردة في نزوله وقتله للدجال واعتقد صحتها فلا يسعه الا أن يعتقد ان النبي ﷺ قالها باعلام من الله تعالى لانها ليست من الآراء الدنيوية التي يتكلم فيها الانبياء كغيرهم بحسب الظن الذي يخطيء ويصيب وهم غير معصومين فيه كما ورد في أحاديث تأبير النخل في صحيح مسلم وما في معناه. وحينئذ يجب عليه الايمان بصدقه فيها، فان أنكره ورده عالما بصحته غير متأول لمدلوله يكفر والعياذ بالله تعالى. والأولى والاسلم له أن يقول ان قول الرسول حق وسيقع على الوجه الذي أراده من قوله، والله أعلم بمراده منه في جملته وتفصيله. وصحته لا تتوقف على القول بعدم موت عيسى فقد قال حبر القرآن وأعلم المفسرين في تفسير آية آل عمران بدلالتها على موته عليه السلام والله تعالى قادر على بعثه، وعلى ارساله بصفة خارقة للعادة. وقد ذكر الاستاذ الامام ان بعضهم تأولها بأن روح المسيح ومقاصده التي جاء بها لاصلاح جمود اليهود على ظواهر الألفاظ وتركهم لمقاصد الدين الخ كما تراه في تفسير آية آل عمران من تفسيرنا. وهذا التأويل بعيد عن ظواهر الالفاظ في تلك الاحاديث ولكن المتأول يقول انها وأمثالها من اشراط الساعة وأمور الغيب قد نقلت بالمعنى فعبر الرواة عما سمعوا بما فهموا. وقد تقدم هذا البحث في أشراط الساعة من تفسير سورة الاعراف المشار اليه آنفا.

وأما العهد الجديد عند النصارى من الأناجيل وغيرها فهي صريحة في أن المسيح يظهر في الملكوت قبل انقضاء الجيل الذي كان فيه وتقوم الساعة ويدين العالم. وقد ظهر عدم صحة تلك النصوص فاضطروا الى تأويلها بما لا يعقل. ومع ذلك ينتقدون علينا بما لا إشكال فيه. ينظرون القذى في أعين غيرهم وينسون الجذع الذي في أعينهم

والخلاصة أنه لا يجب على مسلم أن يقف على تلك الاحاديث وأمثالها لانها ليست من أركان الايمان ولا من أركان الاسلام كما تقدم - ولا يضره في ايمانه واسلامه الاشتباه في صحتها وعدم القطع برواياتها ودلالتها على ماقال الجمهور - وإنما الذي يضره هو أن يكذبها أو يردها بعد العلم بصحتها واعتقاد ارادته ﷺ لظاهرها لانه حينئذ يكون مكذبا للصادق المصدوق المعصوم من الكذب وكذا من الخطأ فيما يبلغه عن الله تعالى والله أعلم

(باب المقالات)

الاصلاح الحقيقي والواجب للازهر (*

(والمعاهد الدينية)

إن الأمة المصرية كسائر أمم الشرق جماعة دينية جمعها الدين ووحد بينها، وبنيت أخلاقها وحضارتها عليه. وقد تغلغل الدين في جميع شؤونها، فنظم سلوك الرجل في منزله، وسلوك المدنيين بعضهم مع بعض، وسلوك الملك مع رعيته والرعايا مع ملوكهم. فلو قد سألت مصرياً لماذا تصدق في قولك وتتوخى العدل في حكمك وتؤدي الأمانة اذا اؤتمنت؟ ولماذا لا تأتي الفحشاء والمنكر ولا تكذب ولا تجور ولا تخون؟ لأجابك بأن الله أمر بالأولى ونهى عن الثانية، واذا كان عالما أو متعلما تلا عليك الآيات والاحاديث الدالة على ذلك مثل آية (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) ومثل حديث « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » فاذا لم تقو الروح الدينية في نفوس المصريين أو ضعف الدين عندهم انهارت هذه الفضائل لانه الاساس لها عندهم وقد بنيت عليه فتتداعى وتتصدع بانصداع الاساس، وكذلك اذا شوّه بادخال البدع والخرافات عليه فسدت الامة وضعف أمرها. واذا قوي الدين واستحكمت عقيدته فيهم وبقي بمنجاة من الزوائد والبدع صلحت الامة وقوي أمرها، لذلك كان حتما مقضياً على أولي الامر في مصر أن يعنوا بأمر الدين ويتعهدوه مخافة أن تضعف العقيدة في نفوس الامة أو تطرأ البدع والمحدثات عليه فتشوّه جماله ولا يكون في الامة أداة عز ومنعة

ولما كان الازهر والمعاهد الدينية هي معقل الدين في مصر والمنبع الذي يتخرج منه رجاله وجب أن يعنى بها وأن تتعهد بالقيام عليها واصلاحها

لذلك كان المصلحون الاولون : الشيخ جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام

---

*) للاستاذ الشهير صاحب الامضاء

وغيرهما يولون وجوههم قبل الازهر ، ويرجون صلاح الامة بصلاحه ، ورقيها برقيه . ولكن الازهر أبى على المصلحين وامتنع عليهم من الاصلاح ، والسبب في إبائه أن الازهريين لم يكونوا قد اطلعوا إلا على علومهم في كتبهم التي تدرس في الازهر ، ولم تكن قد أخرجت لهم المطابع من كتب السلف ولا نتائج قرائح الأمم فما كانوا يرون وراء علمهم علما ، ولا غير تعليمهم تعليما ، ويعتقدون أن كل يد تمتد اليهم فانما تمتد بالمسخ والتشويه والافساد .

تلك كانت العقيدة السائدة ، ليس غير الازهر معهداً وليس غير مافيه من علوم علما ولا غير الازهريين علماء ، لذلك أبى ما كان يريده منه المصلحون ، فاضطروا الى انشاء مدارس يراد منها ما كان يراد منه ، فعلوا ذلك وهم يعلمون أنه لايجدي إلا قليلا ، لأن الازهر لما له من المكانة الدينية والتاريخية في الامة هو المسموع الكلمة والنافذ الرأي فيها والمعلم الموثوق به عندها في شأن الدين ، فعقيدتها عقيدته ، وآراؤها في الحياة والاجتماع آراؤه ، وان هذه المدارس التي تنشأ بجانبه ليست لها هذه المنزلة فلا تؤثر الاثر المطلوب ، ولكنهم فعلوا ذلك ريثما يفيء اليهم ليكون الاصلاح به تاما وشاملا .

هذا شأن الازهر فى الماضي البعيد . أما بعد ذلك فقد أذعن للاصلاح لانه قد اتسع أفقه بما خرجته له المطابع من كتب السلف ومن علوم الشعوب فعلم أن وراء علمه علما ، وأن وراء كتبه كتبا ، ولانه رأى أبناءه يعزلون عن الحياة لانهم لا يتسلحون بأسلحتها الجديدة ، لكن ذلك الاصلاح كان كذلك الاصلاح الذي بنيت عليه مدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي في الشكل والعرض لا في الصميم والجوهر

لقد اقتصر الاصلاح في مدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي والمعاهد الدينية الى الآن على إدخال بعض علوم جديدة واختصار بعض الكتب وترتيبها وتبويبها

وأما العلوم نفسها فقد بقيت كما كانت لم تمتد اليها يد بتغيير ولا تبديل وربما كان ذلك الاصلاح خيراً فى ذلك الزمن ليتقى به الطفرة ولانه كان ملائما لحاجة ذلك العصر . أما الآن وقد تطورت الامة وتغير الزمن وتطلبت أساليب الحياة الجديدة أنماطا من التعليم جديدة فمن الواجب لمصلحة مصر والعالم الاسلامي

أن يكون الاصلاح في موضوع العلوم وجوهرها وأن يتناول مافي الكتب نفسها ومسميات العلوم فربما يغير مسمى العلم نفسه ولا يبقى منه إلا اسما يدل على مسمى آخر ليس بينه وبين المسمى الاول إلا الاشتراك في الاسم .

يجب أن يكون الاصلاح أبعد في الوهم وأقصى في الامد من تلك القشور التي يقترحها المقترحون والتي وقف عندها المصلحون الى الآن . ومنذ صدر القانون بتنظيم سلطة صاحب الجلالة الملك على المعاهد الدينية وأصبحت تابعة لرئيس مجلس الوزراء وأصبح مسؤولا عنها أمام مجلس النواب ، أبدى مجلس النواب غير مرة رغبته في إصلاح الازهر والمعاهد الدينية وقد أبدت لجنة الاوقاف والمعاهد في تقرير ميزانية الازهر تلك الرغبة أيضاً وتقدمت الى الحكومة أن تؤلف لجنة يكون فيها جماعة من النواب لوضع الاصلاح المنشود ليقدم الى البرلمان في الدورة المقبلة ـ ولما كنت قد درست الازهر والمعاهد الدينية مدة ربع قرن وبحثت عن عللها وأمراضها بحثاً مستفيضاً مستقصى فعلمت داءها الدويّ ودواءها الناجع وكنت أتربص الوقت الذي تتجه فيه نيات أولي الأمر الى إصلاح الازهر والمعاهد الدينية إصلاحا جديا ورأيت الفرصة قد سنحت الآن لاظهار أولي الامر رغباتهم في ذلك الاصلاح وفي تعيين لجنة لوضعه أردت أن أعرض على أولي الامر إجمال الاصلاح الذي رأيته بعد جهود بذلتها ، ومشقات عانيتها ، وأن أضع بين أيديهم القواعد الكلية التي ينبني عليها ذلك الاصلاح ،فان رأوا فيه غناء ورأوه جديراً بأن يرضي حاجات الامة التواقة الى النهوض من إصلاح الازهر فصلت ماأجملته وأوضحت ما اختصرته وشرحته شرحا وافياً مبينا

وسأقصر بحثي هنا على الاصلاح العلمي ، أما الاصلاح الاداري فقد تركته لمن هم أمس به مني . وهاءنذا آخذ في إجمال الاصلاح الذي أراه :

هذا الاصلاح الذي نقترحه على أولي الامر ونجمله هنا ونأخذ على عاتقنا بسط القول فيه وتنفيذه قد نظر الى تطورات العلوم فرآها في طور عظمتها وارتفاعها ورآها في طور ضعفها وإسفافها . رآها حينما كانت مصاحبة لقوم أعزة فقويت بقوتهم ، وحينما صارت مع قوم آخرين أذهانهم كالملحة لايقع فيها شيء

إلا أحالته ملحاً فضعفت بضعفهم، فيبعث العلم الحيّ في طوره الحيّ من مرقده، ويرمس تلك الرسوم الميتة البالية التي هي حثالة الاذهان الجامدة ونخالة الافكار المتبلدة.

هذا الاصلاح خبير، وجريء، وحكيم: أما خبرته فلأنه ساير الدين في أطواره المختلفة فرآه وهو في جدته ونضرته في الصدر الاول حينما كان مبعث العظمة والمجد والسعادة لمن يدينون به، ورآه وقد أدخلت عليه البدع وغيّر فيه كثير من رسومه وتواضع الناس على رسوم وأوضاع أدخلوها في الدين على أنها من الدين، ونظر الى تاريخ العقائد والنحل المختلفة والفرق الاسلامية المتباينة ورأى ماعند بعضها من حق ونافع، وباطل وضار.

وأما أنه جريء فلأنه سيعمد الى تلك الاوضاع والزوائد والبدع والخرافات التي حشرت في الدين وليست منه ويزلزلها من قواعدها ويهدم شامخها ويحل محلها تلك المبادىء العلوية السامية، ويعود بالدين الى عهد السابقين الاولين، فيضحى كما كان نوراً وسعادة ورحمة للعالمين، ويأخذ من الفرق الاسلامية أيّاً كانت حقها ونافعها، وينفي باطلها وضارها

وأما أنه حكيم فلانه لايغير فجأة وقسراً واستبداداً، وانما يغير تدريجاً، ولا يغير شيئاً إلا بعد أن تقوم الحجة على صحته ووجوبه وقبول الجمهرة له، فان الاصلاح بالرفق والاناة خير وأجدى منه بالعنف والشدة وأدعى الى الطمأنينة والسلام. وبذلك تصبح مصر الامام المقتدى به في الشرق والمعلمة للثقافة الاسلامية

وسيكون الاصلاح مبنياً على قاعدتين: أولاهما ان العلوم لم يفرغ من تمامها ولم تبلغ الكمال المرجو لها، وانما هي سائرة نحو التطور والكمال أمامها لا وراءها، ثانيتهما ان الاخلاق والشرائع والاديان والعقائد والعلوم وكل مافي الكون جعلت لمصلحة البشر وسعادته وعظمة الانسانية وعزتها

هذا الاصلاح ليس إصلاحا للمعاهد الدينية فحسب وانما هو انقلاب اجتماعي خطير له فائدته وخطره في الحياة الاجتماعية المصرية خصوصا، والحياة الاسلامية عموما. ذاك أنه نظر الى أمم الشرق والى أمم الغرب فوجد الأولى أمماً اتكالية، ووجد الثانية أمما استقلالية. وجد الاولى وانية قليلة الأمل في الحياة ترضى

بالدون، ووجد الثانية بعيدة الامل لاترضى من الغايات إلا أبعدها منالا، وأشرفها مقصدا. وجد الاولى أمما مكسالا تألف الدعة والراحة وقد أشربت نفوسها شيئا من معاني اليأس والقنوط، فهي نائمة تغط غطيطا لاتكاد تصحو أو تفيق. وأما الثانية فهي أمم ذات عزائم وذات جلد، تألف التعب والجهد، وهي آملة متطلعة تبسم للحياة وتبسم الحياة لها. وبحث في علة مافي الشرق من أمراض فوجد من بعض أسبابها تلك العقائد والآراء التي أدخلتها الفرق المختلفة من المتصوفة وغيرهم على الاسلام وليست منه فتأصلت في نفوس الشرقيين وآتت أكلها الخبيث المستوخم فذلك الاصلاح سيجتث هذه العقائد الباطلة من الامة ويحل محلها العقائد الاسلامية الصحيحة التي تدعو الى الجد والعمل والمثابرة والجهاد في هـذه الحياة. وسيعد الازهريين ليكونوا عونا على ذلك، فهم معقد الأمل لهذه المهمة ومناط الرجاء، وسأمثل لبعض هذه الآراء ليعلم الناس أي خير يحل بالأمة، وأي شر يرفع عنها، وأي بركة تنزل، وأي وباء يزول، اذا أدخل هذا الاصلاح.

من هـذه الآراء ما أدخله المتصوفة من أن التوكل على الله ينافي الادخار والكسب، والأخذ في الاسباب، وينافي التداوي، ولن يكون المتوكل متوكلا حقا حتى يقطع الاسباب، وأن التوكل ينافي التدبير والاحتياط والاحتراز، وكأنه هو إهمال العواقب، وإطراح التحفظ، ويروون لتثبيت ذلك ماقاله أبوسليمان الدارابي وهو: لو توكلنا على الله تعالى مابنينا الحيطان ولاجعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص. ويروون أن أبا يعقوب الزيات سئل عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجاب فأعطى التوكل حقه، ثم قال استحييت أن أجيبك وعندي شيء، ويروون عن ذي النون المصري أنه قال سافرت وما صح لي التوكل إلا وقتا واحدا: ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة فقالت لي نفسي ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل

وهذه العقيدة تنافي الدين والعقل ومذلة للأمم: أما مخالفتها الدين فلأن الدين يقول (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ويقول (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) ويقول (خذوا حذركم) ويقول (وشاورهم في

الامر) وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين

وأما مخالفتها العقل فلان العقلاء مازالوا يوصون بالادخار وكسب المال والاخذ في الاسباب، ويقولون: لا عقل كالتدبير. ويطلبون أن ينظر المرء في الامور ببصر وينفذ البصر بالعزم بعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف.

وأما انها مذلة للأمة فلأنها تدعوها الى الاخلاد والعجز والتواني وطرح الاسباب فتضعف وتهن ويستولي عليها الاقوياء المستعدون المحتاطون الذين عرفوا الأسباب واستعملوها ولم يهملوها. هذه العقيدة توارثها الأحفاد عن الآباء وذاعت في الامة ذيوعا عظيما حتى نطقت بها أشعارهم، ودارت في أمثالهم، وسيعنى الاصلاح بتطهير الامة منها ومن أمثالها فليست هي الأولى والاخيرة، وإنما هناك عقائد أخرى لها ما لهذه من الضرر وإنما سبيلنا هنا أن نمثل ولا نستقصي

ان الغاية التي يرمي اليها ذلك الاصلاح ويسعى لتحقيقها وتبيين الاسباب لادراكها هي:

أولا: تخريج قضاة مجتهدين أو على الاقل متبعين يتبعون المجتهد بعد قيام الدليل عندهم على صحة قوله فيحكم القاضي عن اجتهاد أو اتباع لا عن تقليد كما هو الآن، لأنه قد اتفقت كلمة الاولين على منع حكم المقلد وفساد التقليد في الحكم والافتاء، وقالوا ان التقليد مرتبة العوام لا من نصب نفسه للقضاء والفتيا، وقالوا لا فرق بين بهيمة تقاد وانسان يقلد

ثانيا: تخريج معلمين ذوي كفاية لتعليم اللغة العربية والدين والاجتهاد في أن يكون معلم الدين متحليا بمكارمه، واقفا عند منهياته، متبعاً أوامره، ليقتدى به وتحسن الاسوة، وأن يكون معلم اللغة العربية قد اكتسب ملكة الخطابة والكتابة باللغة العربية البليغة ليكسب تلاميذه هذه الملكة بمحادثته اياهم ومحاورته لهم، ويكون تعليمهم اللغة عمليا وعلميا لا علميا فقط، وبتوالي الزمن على ذلك ترقى لغة التكلم إلى لغة الكتابة فيسهل انتفاع العامة من لغة الكتابة

ثالثا: تخريج وعاظ ومرشدين عارفين بسياسة المدينة والمنزل وما به تسعد المدينة والمنزل، وبطباع الجمهور، عارفين بوسائل الاقناع قادرين على الاقناع فيما فيه سعادة المدنيين، فيضبطوا المدنيين بالاقاويل الخطابية ويحملوهم على مافيه

سعادتهم وأمانهم - لا كما هم الآن يقلدون في الخطابة فيأتون بخطب قيلت في عصور التأخر والانحطاط ليس لها غرض الا التزهيد في الدنيا والكف عن الجهاد فيها

رابعا : جعل رجال الدين مسؤولين عن الحياة الخلقية في مصر فكما ان مصلحة الصحة مسؤولة عن صحة أجسام من في مصر كذلك رجال الدين مسئولون عن صحة أخلاقهم والقيام عليها ، فيعدون لان ينشروا في الامة قوة الارادة وصحة العزم وحب الوطن والايثار والتعاون والتضامن وتفهيم المصريين انهم كشخص معنوي كل عضو يعمل لمصلحة الجميع وألم العضو ألم للجميع. وأن يكافحوا الرذيلة الفاتكة بالمجتمع من الحسد والتباغض وانحطاط الهمم وضعف الارادة وحب الذات دون الصالح العام ، وأخيراً هم مسؤلون عن ذلك العامل المسكين الذي يكسب ما يكسب بعرق الجبين فينفقه في الكوكايين والافيون والحشيش والخمر وتلك السموم الضارة والمهلكة. إنه سيغرس في الازهريين حب الانسانية والمجتمع والتضحية بذواتهم لاجل سعادة المجتمع وبث الفضيلة فيه وتنقيته من الرذيلة وسيقض مضاجعهم الشوق إلى نجاة المصابين من أمتهم بتلك الامراض القتالة والسموم المهلكة من الخمر والميسر والمخدرات وسيقدمون اليهم الدواء الناجع ان جاءوا اليهم فان لم يجيئوا ذهبوا هم اليهم ، وطرقوا عليهم أبوابهم وأماكن لهوهم ليقدموا اليهم الاصلاح . وإنهم بذلك ليكونون منتجين في أمتهم إنتاجا لا تنتجه أية طائفة من الطوائف ، ويقدمون لمجتمعهم يداً لا يقوم بشكرها . فأين منهم حينئذ الاطباء . إن الاطباء يصحون الاجسام أما هؤلاء فيبنون الاخلاق [1] في الامة ويقومون على تربية نفوسها ، وليست الامم إلا بأخلاقها

فبالاخلاق تحكم أمة أمة أخرى وتسخرها كما تسخر الناس الانعام والدواب وهذا الانتاج الذي لا إنتاج بعده. وكلما تقدمت الامة ورقيت وعلمت قيمة الاخلاق في الوجود عرفت لهم قيمتهم وفضلهم

(١) المنار : وكذا الصحة البدنية فان من يتبع هداية الدين في حظر المسكرات والمخدرات والفواحش وفي الطهارة للبدن والثوب والمكان وأشباه ذلك قلما يصابون بالامراض ويحتاجون الى الاطباء، فاتباع الدين أعظم واق من الامراض قبل وقوعها

خامسا: تسليح رجال الدين بالعلم الحق ليتمكنوا من تطهير أمتهم من العقائد التي ورثها الناس عمن تقدمهم والتي هي تخالف الدين وفي الوقت نفسه قاتلة للامة مضعفة لاخلاقها. وأكبر الظن انها كانت أكبر عامل على ضعف الشرق وانحطاطه وارتكاسه في تلك الهوة التي يتخبط فيها الان

سادسا: اطلاق العقول من أسر التقليد الى فضاء الحرية في الفكر والاستنباط وتعليمها صناعة الانتاج العقلي وخلق حركة علمية ابتكارية في علوم الاخلاق والاجتماع والدين واللغة والعلوم الفلسفية كالتي كانت في أزهى العصور السابقة كعصر المأمون

هذا إصلاح نتيجة درس ربع قرن خمس وعشرين سنة مع الاناة والتثبت ودقة الملاحظة والاستقلال في الرأي والحرية في الفكر. هذا علم لا يعلمه إلا من توافر عليه وتهيأت له أسبابه. ان أولي الامر إذا أرادوا إصلاحا كهذا فانه يقتضيهم ما شاء الله من زمن وما شاء الله من جهود وقوى، ولعلهم بعد ذلك ينقطعون دونه

إن في أعناقنا لامتنا أمانة ثقيلة هي بعثها ببعث أسباب الحياة والمجد فيها. وقد حملنا القدر هذه الامانة بما علمناه من أسباب ضعفها والاسباب التي تحيا عليها وان ظهورنا لتنوء تحتها ولا نكاد نستقل، فهل لاولي الامر أن يعينونا حتى نستقل بها ونؤديها كما وجبت؟

محمد عرفه — أستاذ بمعهد الاسكندرية

المنار] يوافق الاستاذ الى هذه الاصول الاصلاحية وقد أكثر من الكتابة فيها بعد أن أشرنا اليها في مقاصد المنار وموضوع دعوته في فاتحة العدد الاول الذي صدر في شوال سنة ١٣١٥

نظرة عامة في حالة الاسلام

(مقالة للمرحوم مصطفى بك نجيب الذي كان من أشهر كتاب المسلمين في مصر أرسلها الى المنار مشايعة له على خطته منذ اكثر من ربع قرن فلم ننشرها يومئذ لكثرة لحنها وخجلنا من الافتيات على صاحبها بتصحيحها بدون إذنه، ثم ضلت بين الاوراق حتى عثرنا عليها في هذه الايام فرأينا الحاجة اليها كما كانت أو أشد مما كانت سنة كتابتها فصححنا أكثر غلطها ونشرناها وهذا نصها)

من الأمور التي يحار فيها لب المدققين في الامور الاجتماعية والذين لهم إلمام بعلوم التاريخ وأسباب تقدم الأمم أن يرى الاسلام في درجة الشقاء التي أصبح

بها وهذه الحالة التي عليها الأمم المختلفة المتدينون بالدين الحنيف قد استلفتت أنظار كل المجتهدين في أسباب تقدم وارتقاء سعادة الأمم ومن جهة أخرى قد شمتت أعداء الاسلام لأنهم جعلوا ذلك حجة قوية يحتجون بها على ان الدين المنيف هو دين الهمجية والانحطاط وقد كذبوا في زعمهم ولكن المقادير لم تساعد المسلمين في الارتقاء والارتفاع ولا يسند هذا الى الاسلام لانه بريء من كل ما يسند اليه من الخزعبلات والتعصب الاعمى

ولو نظرنا نظرة عامة في أحوال المسلمين لوجدناهم في أسوأ حال لأنهم تركوا فضائل ما يأمرهم به دينهم القويم واتخذوا الكسل عادة والخرافات طبعاً غريزياً، مع ان القرآن الشريف يأمرهم بالاجتهاد والعمل، ويرغبهم في الكسب والارتزاق، وأن يسعوا في الأرض من مشارقها لمغاربها ليتحصلوا على الفوائد والمنافع التي تعلي شأنهم وتنمي ثروتهم

يتأسف المسلم الغيور أن يرى ما آلت إليه أحوال المسلمين من (ضلال عن) سواء السبيل، فقد ضلت الافراد وتغيرت معالمهم وصار بينهم وبين الدين بون عظيم مع انهم لو ساروا على مبدأ الدين الاسلامي لأصبحوا في العز الرفيع والسؤدد الجليل، ولكن أين ذلك، وقد ضربت على أفئدتهم غشاوة من الجهل وتركوا لأنفسهم مسالك الغباوة حتى حادوا عن الفضائل، وتشبثوا بالرذائل، ومع ذلك تراهم مصممين على ما هم عليه قائمون، واليه متجهون؟ أما آنت لهم الفرصة؟ ألم يستفيدوا من الدروس المدهشة التي يرونها اليوم بعد الآخر؟ ألم تعلمهم الأهوال كيف المآل؟ فقد انتهز الاجنبي فرصة نومنا وتداخل في أمورنا، ورمانا بعدم الكفاءة والأهلية للعمل، هل بعد ذلك احتقار؟ كيف تكون أحوال المسلمين وقد أمسوا مستعبدين بالأجانب لا يملكون لنفسهم حرية ولا يمكنهم أن يجعلوا لدينهم صفة ولا شأنا بين الأديان؟ أين العلماء المجتهدون منهم الذين يهبون أنفسهم للتعليم ويرغبون في تهذيب أخلاق إخوانهم المفتقرين لتنبيههم عن غفلتهم؟ لا غيرة عندهم، ولا نفس ترغبهم في العمل للمنفعة العامة،

سمعت من سائح سألته عن حالة المسلمين في جاوه وسوماطرة: فجاوبني انهم في

أتعس عيش وأحط حالة، لا يسوغ لهم أن يجتمعوا في اجتماعات، ولا تأذن لهم الحكومة ببناء مساجد وجوامع يقيمون بها الصلاة، حتى مدائنهم خالية من كل ما يقام فيه شعائر العبادات الدينية الاسلامية، وإذا وجد شيء من هذا القبيل فيمكن العثور عليه صدفة في القرى، فالمسجد يكون مركبا من أكواخ حقيرة تقام فيه بعض الفروض، ولا يسمح لساكني هذه الجزر بشيء سوى الضروري جداً مع أنهم ملايين عديدة يسكنون هذه البقاع الخصبة والتي لا ينقصها إلا العلم والانتظام في سلك المدنية، كل ذلك حاصل والمسلمون في غفلة شديدة لا يحركون ساكنا ولا يرفعون صوتا، فهل هـذا ما يأمرهم به دينهم السديد؟

هل يأمرهم بالذل والمسكنة؟ كلا ثم كلا

وهذا مثل من الأمثال التي يصادفها الانسان بنفسه في حياة الأمم الاسلاميه وإذا قلنا ان هذا الضعف ناتج من الضغط على الافراد وعـدم تمكنهم من حكم أنفسهم بأنفسهم فاليك أمثالا متنوعة تشاهد بالعين وتراه وإذا لم تراها فقد سمعنا عن أخبارها. فعدد الممالك الاسلامية التي تحكم نفسها فترى (؟) ان حالهم أسوأ وأردأ من غيرهم: لا نظام لحكوماتهم ولا مبدأ لدى الحكام إلا الاستبداد والظلم، حتى ان هذه الأسباب تجعل بابا للتداخل الاجنبي كما هو مشاهد الآن بمراكش وغيرها من الممالك الأسيوية الاسلامية المستقلة

ما الذي ينتظر من هذه الأمم ما دامت على هذه الحالة من الضعف؟ هل يؤمل منهم خير بعد أن سلموا أرواحهم وبلادهم للأجانب وبعد أن سيطر هؤلاء عليهم وأخذوا زمام أعمالهم في قبضتهم؟

أرى انه ما دام أمراء المسلمين لاهين في شهواتهم ولذاتهم، مبتعدين عن كل ما يجلب السـعادة لشعبهم، غير مبالين إلا بمنافعهم الشخصـية ومزاياهم النفسانية، فذلك ما يجلب الدمار ويورث الضياع، لأن الملك إذا ترك لنفسه العنان وانقاد إلى أهوائه ضاع وضيع من هو عليهم سلطان، فمن الوبال أن يحرم الاسلام من الأمراء العاملين لنفعه الساعين في مصـلحته واعلاء كلمته. وإني أرى أن السلطان العادل أو الأمير العارف يفيد المسلمين كثيراً ويصلح شأنهم لأنهم يعدون

ان الحاكم عليه صلاح الرعية، وبفساده تفسد البرية ، وقد رسخ ذلك في أوهامهم بدرجة غريبة لأنهم تعودوا ذلك من قديم مع ان ذلك لم يكن إلا بدعة من البدع التي أضاعتهم وهضمت حقوقهم ، لأنهم إذا طالبوا الحكام بواجباتهم لم يستطيعوا أن يفعلوا مثل ما يفعلون معهم ، ويستبدون مثل ما يستبدون ، ويجحفوا بحقوقهم مثل ما هم عليه قائمون

هذا ومن جهة أخرى ترى ان المسلمين أصبحوا في حالة تأخير من جهة الفكر والتصور لأنهم امتثلوا للخرافات وزودوا عقولهم بأفكار سخيفة وتركوا الأصول الحقيقية فلذلك أثرت في حياتهم ووجودهم هذه الاعتقادات المأخوذة عن محض الجهل حتى صارت لهم عادة مأثورة و قياما مألوفا مع ان ذلك مخالف لنصوص الشرع على خط مستقيم

ترى أيضاً ان المسلمين منقسمون بينهم لا تربطهم محبة ولا تجمعهم الفة ولا جامعة لأنهم أصبحوا محكومين ولا يخفى ان الضغط والاستبداد يذهبان ما في الانسان من الغيرة والحمية وخصوصاً إذا جعل هذا الأمر عادة فيصير كأنه مخلوق لهذه الحالة . فلهذه الأسباب لا تجد للمسلمين جامعة واحدة حتى إنك ترى في البلد الواحدة فتوراً بين الأهل والافراد وقد نسوا كل النصائح الحكيمة التي أتى بها القرآن الشريف من الآيات البينات في الاتحاد (سنشد عضدك بأخيك) (إنما المؤمنون إخوة) إلى آخر تلك الآيات البينات

ومن الحديث الشريف ما يغني عن البيان ويفصح عن المقصود في مثل هذا الموضوع

وأما من يسمون بالعلماء فهم في حالة تأخر وانحطاط فهم يرمون وراء ظهورهم وينبذون نبذ النوى كل المباديء الحديثة من العلوم ويكفرون من اتبعها زعما أن ذلك مخالف للشريعة السمحة ولو تصوروا قليلا لعرفوا تماما سوء فهمهم وقلة ادراكهم

٣٠ اغسطس سنة ٩٠٥ مصطفى نجيب

كتاب الصحة لمهاتما غاندي

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه الهادين المهديين

(وبعد) فاني أقدم هذا الكتاب الصغير في حجمه، الكبير في معناه، إلى الأمة العربية في لغتها الشريفة التي لها فضل كبير عليّ وعلى العالمين . وقد خصصت مجلة «المنار» الغراء بنشر هذه الترجمة لما لها من الايادي البيضاء في الاصلاح الاجتماعي والديني ، ولما لصاحبها من المنة الكبيرة عليّ بتثقيفي وتربيتي ، إذ أنا تلميذه ومريده ، وتشرفت بالمثول بين يديه سنين عديدة

ترجمت الكتاب الى العربية بعد أن استأذنت مصنفه مهاتما غاندي[1] فاستحسن فكرتي ، وأذن لي بل ألح عليّ بذلك قائلا « إني أحب العرب وأحترمهم، وأنتظر منهم أعمالا عظيمة لخير الشرق والانسانية ، وأرغب في عرض أفكاري عليهم »

فقلت له « ولكن العرب فطروا على عيشة تصدهم أن يأخذوا ببعض أفكارك التي بسطتها في الكتاب ، بل ربما يستهزئون بها »

فقال « لاعجب ان فعلوا ذلك . إني لا أنتظر من جميع الناس ان يقبلوا كل ما أقول . وظيفتي أن أقول ، لا ان أكره الناس على اتباعي»

(١) « مهاتما » معناه في اللغة السنسكرية « الروح الاكبر » لقب غاندي بهذا اللقب لان قومه يعتقدون بكظم روحانيته .

ألف مهاتما غاندي كتابه هذا وهو ليس بطبيب ، وترجمته أنا ولست بطبيب . أراد غاندي بتأليفه ان يخدم الناس بما جربه بنفسه من قواعد الصحة . وأردت أنا بترجمته ان أخدم الناطقين بالضاد بما قرأته ولم أجربه بنفسي قط . فغرضي من هذه الترجمة ليس دعوة الناس الى العمل بكل ماجاء في هذا الكتاب ، لاني لا أجزم بصحة كل ما جاء فيه . بل انما غرضي الاخبار بما قاله في مسألة الصحة هذا الزعيم السياسي والمصلح الاجتماعي والقائد الديني في القارة الهندية ، والذي يحسب كثير من الاوربيين والامريكان — وفيهم عدد من القسيسين — أنه مسيح جديد ، جاء ليجدد تعاليم المسيح القديم ! وأقواله مهما تبدو غريبة ، وأفكاره مهما تظهر شاذة ، تستحق الاعتبار والتأمل على كل حال .

ان من سوء حظ الشرق أنه لم يفقد استقلاله السياسي فحسب ، بل قد فقد استقلاله الفكري أيضاً ، ولذلك تراه يقلد الغرب في كل شيء ، حتى إنه أصبح لا يتفكر في نفسه ولا يقيم للاشياء وزناً ولا يميز بين الحق والباطل ، بل لا يزال نظره الى الغرب فان رآه يقول لشيء إنه حق ، قال هذا أيضاً إنه حق وبالعكس .

أنا لا أكره الغرب ولا أنكر فضله في العلم والمدنية ولا أحرّم الاقتباس والاستفادة منه . ولكن الذي أقبحه وأشمئز منه هو الاستعباد الفكري للغرب . لان هذا الاستعباد اذا تمكن من نفوسنا لن نسترد حريتنا السياسية المغصوبة ، ولن نجدد أسس قوميتنا المتهدمة .

أقول هذا لأني أخشى أن ينبذ فريق من القراء هذا الكتاب قبل أن يطلع عليه ، لا لانه يستحق النبذ ، بل لانه جاء من مصدر شرقي بحت ، فيحسبه سخافة شرقية . فلذلك أرجو من هو على هذه الشاكلة أن

يتمهل في الحكم عليه ليقرأه بامعان ، فان لم يعجبه فليرمه ان شاء . واني تطميناً لهؤلاء أقول ان هذه الآراء ليست خاصة بغاندي وحده ، بل هناك في أوربا وأمريكا أيضا ثورة كبيرة على الطب وأساليبه وأدويته . بل ان تقدم العلوم قد أخذ يهدم أركان هذا الطب الذي نسميه «الحديث» ويسمونه هنالك « القديم » .

ان مهاتما غاندي — وان لم يكن طبيباً — مهتم بمسألة الصحة اهتماما كبيراً ، ذلك دأبه من نعومة أظفاره . وكتب ما كتب بعد أن جرب بنفسه على نفسه سنين طويلة ، وهو لا يزال متمسكا بكل ماقاله وعاملا به بكل دقة وشدة.

يعلم اهتمام غاندي بمسألة الصحة من كتاباته وخطبه الكثيرة فيها . وقد صرح مراراً بأنه لو لم يقدر له أن يكون سياسياً ومصلحاً اجتماعياً ، لكان كناساً في بلدته ، ينظف المراحيض ويزيل القاذورات من البيوت ، ليعيش الناس بالصحة والعافية !

وقد سمعت ممن شهد المؤتمر الوطني سنة ١٩٢١ في بلدة أحمدآباد مقر غاندي — ولم أستطع الاشتراك فيه لاني كنت يومئذ مسجونا — أن مهاتما غاندي كان ينظف المباول وبيوت الخلاء بنفسه ومعه تلاميذ مدرسته. مع انا نعلم ان هذا المؤتمر كان عظيما جداً اجتمع فيه اكثر من نصف مليون نفس.

وقد يتعجب الذين بهرتهم المدنية الغربية ، وغرتهم أبهة الزعامة الوطنية ، كيف يقوم هذا الزعيم الجليل بهذا العمل القذر ؟ هؤلاء يتعجبون لانهم لم يعرفوا هذه الشخصية العجيبة النادرة : شخصية مهاتما غاندي. ان هذا الرجل — وان ظهر ونبغ في القرن العشرين — يضرب لابناء هذا العصر في نفسه مثل بوذا وكنفوشش وغيرهما من المصلحين وقادة البشر في العصور الغابرة

الذين أسسوا دعوتهم على مكارم الاخلاق وحب الانسانية والعيشة الساذجة والروحانية النقية والثقة التامة بذات الله العلي الكبير والتوكل عليه .

ان هذا الزعيم كذلك يدعو الناس الى المعيشة الفطرية الساذجة ونبذ البذخ والترف، والى التخلق بالاخلاق الفاضلة ، والمحبة الشاملة العامة ، والتمسك بجميع مافي الاديان من الخير والتقوى وخشية الله والرأفة بالبشر .

ليت شعري كيف كان يكون عجب المغترين بالمدنية الغربية اذا رأوا هذا الزعيم الهندي بأعينهم؟ انهم ليرونه عاريا، حافياً، حاسراً ، قد تجرد من الملابس قائلا «لا يصح لي أن أتجمل بالملابس والملايين الكثيرة من بني جلدتي لايجدون مايسترون به عوراتهم ويقون به أجسادهم من الحر والبرد» فتراه الآن متجرداً ليس على جسده لباس اللهم الا إزار صغير يستر به عورته !

وكذلك شأنه في مأكله : لا يأكل المشتهيات والملذات والاطعمة الشائقة . ليس ذلك لانه يرى رأى المتقشفين الغفل الذين يحرمون أنفسهم من الطيبات ويحسبون ذلك قربة الى الله . بل يرى ذلك مضراً بالصحة البدنية والعقلية . فلذلك نراه لا يأكل الملح ولا اللحم ولا العدس ولا الحبوب . ماعدا خبز القمح نادراً . وقد حصر غذاءه في الفواكه وهو يكثر من أكل البرتقال والموز ويفضلهما على غيرهما من الفواكه .

وقد أخبرني عن سبب تركه الملح فقال :

مرضت زوجتي في أفريقية الجنوبية (وكان يشتغل هنالك بالمحاماة) مرضا شديداً فداويتها أولا بنفسي فلم ينفعها شيء . فراجعت أحد الاطباء وأدخلتها في مستشفاه الخصوصي . فأمرها أن تترك اكل الملح والعدس فغضبت من نصحه وأبت امتثاله فغضب الطبيب أيضا ، وكان حديد المزاج قاسيا فدعاني

في نصف الليل وقال ان زوجتك عصت أمري، فأنا لا أعالجها بل لا أسمح لها بالبقاء عندي دقيقة واحدة ، فاذهب بها حيث تشاء حالا بدون أدنى تأخير!

قال مهاتما غاندي فتحيرت في أمري ورجوت الطبيب أن يسمح لها بالبقاء الى الصباح ولكنه أبى ذلك وأصر على أمره ، فاضطررت أن أخرج زوجي في تلك الساعة من الليل البهيم البارد وأحملها على ظهري مسافة ١٥ ميلا حيث كان مقامي !

« فلما وصلت بها الي البيت ، قلت لها بئس مافعلت . إنك لا تشفين الا باتباع نصح الطبيب . يجب أن تتركي أكل العدس والملح والا تموتين. فقالت ان الامتناع عن العدس سهل ، ولكن الملح لا أستطيع تركه وان مت بسببه ، ولو كنت أنت في مكاني لما وسعك تركه ! فقلت تقولين ذلك ! فها أنا ذا أترك الملح سنة كاملة مختاراً ! فلما سمعت ذلك أخذت تبكي وتعتذر من قولها . ولكني هدأت روعها وقلت لها لا بأس عليك. لم أقل ذلك لاني غضبت من قولك ، بل انما أفعل ذلك لتتشجعي أنت في مكانك فيسهل عليك ترك الملح »

قال « فلما مضت السنة ورأيت فوائد ترك الملح ، ماعدت اليه الى الآن »

أما صحته ـ فجسمه نحيف جداً ، لا يجاوز ثقله أكثر من ١٠٤ أرطال (Pound) ولكنه يرى نفسه أصح الناس جسداً ويقول ان الرضوبات والشحم الزائد والفضلات التي لا احتياج اليها قد خرجت من جسمي وأصبحت قويا بكل معنى الكلمة .

وكلامه هذا ليس جزافا لانه يقوم بأعمال قد يعجز عنها الرجال الاشداء . فهو يحرر ثلاث جرائد أسبوعية وهي تصدر في أوقاتها المعينة

بدون أن يحدث فيها أي خلل . ونحن نعلم أنه يشتغل بالاشغال العقلية ١٦ ساعة كل يوم ومع ذلك لايشعر بالتعب . وكذلك نراه من سنين كثيرة في السفر ، لايستقر في مكان ، يدور من بلد الى بلد ، يخطب مرات عديدة في يوم واحد ويقابل ألوفا من الناس .

وأكبر دليل على قوته أنه صام أربعين يوما متتابعة لم يذق فيها أي شيء . ومع ذلك لا أغمي عليه ولا أحس بضعف ، بل مازال يكتب لجرائده المقالات ويغزل كل يوم من القطن المقدار الذي قرره لنفسه . ومن أعجب ما رأيناه أنه بينما كان ثقله قد قل كثيراً في الاسبوع الاول من الصوم حتى خافوا على نفسه ، أخذ يزداد وزناً بعد ذلك ! وقد تحير الاطباء في تعليل ذلك .

ثم انه فوق ذلك قد ملك زمام نفسه ، فيعيش كما قرر لنفسه ان يعيش . فلا ينام الا القدر الذي قرر ان ينام ، ويقوم بجميع أعماله بنظام تام ، بدون أن يطرأ عليه أي خلل . ثم انه لا يغضب أبداً ولا يستعجل ولا يفزع ، بل يبقى دائما هادئا مطمئنا كأنه مالك نفسه سخرها فأصبحت له أطوع من بنانه .

ومن عجيب أمره أنه يعيش مع زوجته ولكنه يحسبها كأخته او امه كما اشار في هذا الكتاب ، وكما صرح في احدى خطبه هذه الايام فقال « أنا وزوجتي قد اتفقنا على أن نعيش كالاخ والاخت أو كالابن والاب أو البنت والام . فأنا لها كأب وهي لي كأم »

وكلامه هذا لا يرتاب فيه . لان عيشته مفتوحة وليست بسر . وهو لا يكذب أبداً مهما اضطرته الاحوال .

فيعلم من كل هذا أن صاحب هذا الكتاب ، وان لم يكن طبيبا قد عرف أسرار الصحة وجربها في نفسه فأصبح رجلا غير عادي في

صحته الجسدية وصحته العقلية . وقد قدم في نفسه نموذجا للرجل الصحيح تمام الصحة . وأودع تلك الاسرار في هذا الكتيب ليجربها الآخرون فان وجدوها خيراً تمسكوا بها والا ضربوا بها عرض الحائط

هذا ما أردت أن أقوله للقراء قبل أن يطلعوا على الصفحات الآتية: الا أنه بقي عليّ أن أشكر صديقي ورفيقي في الدرس حضرة الاستاذ الشيخ عبد العزيز العتيقي من أهل نجد الذي ساعدني في تقويم عبارة الترجمة . فأشكره شكراً جزيلا وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يأخذ بيده ويمهد له السبيل لخدمة شعبه ، الذي كنت أعهده متفانيا في حبه .

والحمد لله أولا وآخرا عبد الرزاق المليح آبادي

« المنار » لما عرض علينا ولدنا الروحي الفاضل الخادم لملته وأمته الاسلامية ترجمته لهذا الكتاب النفيس استحسناه وقبلنا أن ننشره في أجزاء المنار ليستفيد منه قراؤه الاهتمام بصحة أجسادهم وسلامة أرواحهم فهو يفضل جميع ما الفه الاطباء أنه يعنى بالامرين معا ، ولعمري ان حاجة البشر الى صحة أرواحهم أشد ، كما ان تفريطهم فيها أعم ، ولنا على قول المترجم ان المؤلف غير طبيب ان الطب الصحيح ما صدقته التجارب وكان مستنبطا منها ، وهو صادق في خبره عن تجاربه الا انه لا بد من تكرار التجربة ، وأن يراعى فيها اختلاف الاحوال والامزجة ، وكذلك صفات الانفس وقواها فان المؤلف ذو ارادة قوية هي الركن الاعظم لعظمته التي ساد فيها قومه وأصبح زعيمهم الاكبر في دينهم ودنياهم باستحقاق وهي مع الذكاء والبصيرة ركن لصحته الجسدية أيضا . ومثله في استقلال عقله وكبر همته وعقائد ملته لا يخلو من شذوذ ذاتي ومخالفة دينية لكثير من الناس . وقد علقنا في حواشي الكتاب على أهم ما شذ به في نظرنا . وانا نشكر له بلسان أمتنا الاسلامية عنايته بالتأليف بين مسلمي الهند وهندوسها وفاقا لرأينا ونشكر له أيضا ثناءه على أمتنا العربية وحسن أمله فيها وقد قال نبينا (ص) « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل »

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٦)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لا يتعصب لمذهب من المذاهب المقلدة ﴾

﴿المقام السابع والعشرون﴾ قوله ومن جاء بعدهم قوم لم يتدبروا معاني الحديث ولم يتفطنوا لما عليه اسلافهم فشددوا النكير على تشييد القباب والبناآت حول القبور زعماً منهم أنهم فهموا من الاحاديث مالم يفهمه الأولون الراسخون في العلم وأنهم وصلوا الى مالم يصل إليه أئمة المسلمين وهيهات ذلك

أقول وددت أن هذه المغالطة القبيحة لم تصدر من السيد مهدي - والمقدر كائن - وما أدري كيف طاوعه ضميره ولم ينهه عن عكس القضية فناشدتك الله الذي هو عند لسان كل قائل من أحق بهذا الكلام؟ في الاستدراك على السلف والحكم عليهم بالجهل والرغبة عن الخير وعدم الفطنة لفضيلة بناء القباب مع أنهم زعموا أنها من أعظم القربات. الذين ابتدعوا بناء القباب وزخرفها وزينوا للغافلين الجاهلين الغلو فيها ولم ينصحوهم حتى وقعوا في الكفر البواح وعصوا الرسول وضربوا بنصوصه المستفيضة عرض الحائط وجاءوا بموبقة لم تخطر ببال أحد من السلف سلف جميع الطوائف فضلا عن ان يقولوا بها بل اجمعوا على تركها. ولو كانت خيراً ما قصر عنها السلف وسبق اليها الخلف ، أم الذين تلوا نصوص نبيهم فقالوا سمعنا وأطعنا وأجروها على ظواهر دلالتها بلا تأويل ولا تحريف ولا تعسف وفهموا منها ما فهمه الاسلاف فانتهوا عما نهتهم عنه كما انتهى سلفهم

فوافقوا السلف علما وفهما وعملا ولم يبتدعوا بعدهم مثقال ذرة، فهذه أقوال الرسول (ص) وأقوال السلف وأفعالهم وفيها هدم ما يبنى على القبور وتركهم ومنها ترك بناء القباب وغيرها على القبور كلها مع المانعين من القباب وليس مع المجيزين لها حرف واحد عن الرسول ولا لهم سلف به في بدعتهم البته الا من هو مثلهم أو قريب منهم أو زلة صدرت من غير معصوم ثم إن النبي (ص) ما كان يحدث الناس بالاغاليط حتى تلتبس أحاديثه على الافكار وتتضارب فيها الافهام وكيف وهو أفصح الفصحاء وأقدرهم على ايصال مراده الى الاذهان السليمة والقلوب البصيرة الطاهرة من البدع بكل سهولة فكل من له أدنى معرفة بلغة العرب ورأى نصوص الباب وتلقاها بقلب سليم من العصبية تبين له كالشمس مراد الرسول فيها بلا كلفة لا يختلف في ذلك اثنان ولا ينتطح فيه عنزان

ثم لو سكت الرسول (ص) عن البناء على القبور وسكت السلف لكان محرما بلاشك لادلة (منها) أنه بدعة وكل بدعة ضلالة على لسان محمد (ص) ومنها أنه حدث وقد صح عن النبي (ص) أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» (ومنها) اجماع السلف على تركه (ومنها) أنه باب جهنمي من أبواب الشرك ماقرت عين أبليس بمثله وما ولجه أحد الا ارتطم في قعر هاوية الكفر كما هو مشاهد بالعيان ولا يحتاج الى اقامة برهان (ومنها) اتفاق العقلاء الا من تغيرت فطرته على استقباحه وأنه عبث تصان منه أفعال العقلاء (ومنها) أنه من سنن المشركين وقد أمرنا بمخالفتها الى غير ذلك

﴿ المقام الثامن والعشرون ﴾ قوله . مع ان هؤلاء ليس لهم ان يجتهدوا

لو كانت لهم اهلية الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام بعد تقرر اجماع أهل السنة على وجوب التقليد والاخذ بقول احد الائمة الاربعة (١).

اقول لقد حجرت واسعا وما انصفت علماء أهل السنة اذ أبحت لنفسك ولعلماء فرقتك الاجتهاد وحظرته عليهم ولا ادري لم فعلت ذلك؟ أظننت ان جمهور علماء المسلمين من أول المائة الرابعة الى اليوم ماوجد فيهم احد يعرف حكم الله ويقوم بحجته؟ إني لأربأ بك عن تصور هذا فضلا عن تصديقه وما المانع لهم من الاجتهاد بعد التبحر في علوم الشريعة والتضلع من موارد أدوات الاجتهاد؟ وهل منعهم من الاجتهاد بعد ذلك الا تحكم محض وتلك اذا قسمة ضيزى؛ ولو فرضنا أن علوم الاجتهاد انمحت ودرست معالمها عند جميع المسلمين ماعدا الشيعة ماجاز على علماء أهل السنة أن يقتنعوا بالجهل في تلك القرون المديدة. وليس بعزيز عليهم أن يرحلوا الى علماء الشيعة من جميع الاقطار ويتلقوا عنهم من العلم مايؤهلهم لمعرفة الحلال والحرام بالدليل وذلك أهون عليهم من درس فلسفة اليونان والتبحر فيها واستنباط العلوم الرياضية الدقيقة كعلم الجبر والمقابلة ودقائق الهندسة وعلم النحو وغيرها

(١) سبب هذه الفرية على أهل السنة ان بعض المقلدين الذين ينعقد الاجماع باتفاق أمثالهم قالوا ولم يوافقهم سائر علماء عصرهم بوجوب تقليد الجمهور ولا سيما الحكام لبعض المذاهب المدونة وعللوا ذلك بالمصلحة. وهذا ليس باجماع كما زعم الشيعي تعصبا كما ترى في رد مناظره. وانما ذكرت هذا لأقول ان الشيعة يكثرون من التبجح على أهل السنة بزعمهم انهم انفردوا بالقيام بفريضة الاجماع دونهم، وهو زعم مردود بالبداهة فانهم أشد من أهل السنة تعصبا لمذهبهم والاجتهاد والتمذهب ضدان لا يجتمعان

وان أمة مضى عليها ألف سنة إلا قليلا وليس فيها أحد يعرف حكم الله بدليله ويقوم لله تعالى بحجته ويحمل ميراث محمد ويبثه في الناس ويدعو الى الله على بصيرة - لفي خسران مبين

وان كنت معترفا بأن علماء أهل السنة يعلمون من علوم الاجتهاد مايعلمه علماء الشيعة أو أكثر فكيف تختلف النتيجة عن المقدمات الصحيحة ويتجرد الملزوم بلا مانع عن لازمه ؟

وقوله ليس لهم أن يجتهدوا لو كانت لهم أهلية الاجتهاد فيه نفي لاهلية الاجتهاد عنهم وحجره عليهم حتى لو وجدت اهلية وما بعد هذا تحكم!

وقوله في استنباط الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ادهى وأمر لانه لم يقتصر على نفي استنباط الاحكام عنهم بل نفى عنهم معرفة الحلال والحرام ويلزم منه أن قضاتهم ومفتيهم جميعاً في تلك الاعصار كانوا يسفكون الدماء ويبيحون الفروج(١) ويتصرفون في الاموال غير عالمين بحلالها وحرامها وأي قدح أعظم من هذا ؟

قوله : بعد تقرر إجماع أهل السنة على وجوب التقليد . (أقول) متى تقرر هذا الاجماع وأين تقرر ومن هم المجمعون ومن هم الناقلون له ؟ فهذه أسئلة أربعة يجب الجواب عنها ، والحق الذي لا شك فيه هو أن علماء أهل السنة مجمعون على تحريم التقليد والقول على الله بلا علم وأجمعوا أيضا على أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد ليس بعالم ولا هو من أهل الاجماع فلا يعتد بوفاقه ولا خلافه بل هو بمنزلة الصبيان حكى ذلك ابن عبد البر في كتاب

«١» اللزوم في هذين الامرين على اطلاقهما غير مسلم فان تحريمهما من المعلوم من الدين بالضرورة لا بالاجتهاد

العلم وأبو شامة وابن حزم وابن القيم والسيوطي والشوكاني والفلاني ونقلوه عن أئمتهم نقلا يفيد العلم النظري وهذه كتبهم شاهدة بذلك وقد الف في رد التقليد كثير من السلف والخلف قال الامام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في كتابه (الرد على من أخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض) في ص ٤٢ ط الجزائر (الباب الثالث) في ذكر من حث على الاجتهاد وامر به وذم التقليد ونهى عنه . اعلم انه مازال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضون عليه وينهون عن التقليد ويكرهونه ويذمونه وقد صنف جماعة لا يحصون في ذم التقليد فممن صنف في ذلك المزني صاحب الامام الشافعي الف كتاب فساد التقليد نقل عنه ابن عبد البر في كتاب العلم والزركشي في البحر ولم أقف عليه والف ابن حزم ثلاثة كتب في ابطال التقليد وقفت عليها والف ابو شامة في ذلك كتابه خطبة الكتاب (المؤمل في الرد الى الامر الاول) وقفت عليه والف ابن دقيق العيد كتاب (التسديد في ذم التقليد) لم أقف عليه وألف ابن قيم الجوزية كتابا في ذم التقليد وقفت على كراسين منه وألف المجد الفيروزادي صاحب القاموس كتاب الاصعاد الى رتبة الاجتهاد ولم اقف عليه وهذه نصوص العلماء في ذم التقليد اه ثم ذكر أقوال العلماء ومنهم الائمة الاربعة في تحريم التقليد فأين اجماع أهل السنة على جواز التقليد فضلا عن وجوبه ؟ فمن الورع اللائق بالناس عامة وبالعلماء خاصة أن لا يسارعوا الى الحكم في مسألة ولا سيما ان كانت اجنبية عنهم الا بعد تمحيصها

﴿ المقام التاسع والعشرون ﴾ قوله وقد فات المنار ومكاتبه ان يطعنا بمثلها على أهل السنة حيث شيدوا بنا آت القبور وقباباً منذ أكثر من

تسعمائة سنة ومن المعلوم بالوجدان ان القبور التي شيدها أهل السنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ومصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار أكثر بكثير مما شيده الشيعة

(اقول) لم يفت صاحب المنار انتقاد ماصنعه من ينتسبون الى السنة من بناء القباب وعبادة القبور بل رد عليهم بما لم يرد بمعشار عشره على الشيعة وهو معروف بعدم التعصب والمجاملة والتساهل مالم يفض الى تضييع الواجب وهو مسالم للشيعة متودد اليهم حتى إن جماعتهم بالقاهره يدعونه لحضور المأتم السنوي فيجيبهم الى الحضور(١) فاذا قيل له في ذلك أجاب بانه ارتكب أخف المفسدتين لان ماينشأ عن عدم اجابتهم من التقاطع والتدابر بين المسلمين اعظم فسادا من حضوره بمكان تعمل فيه بدعة، وله اصدقاء كثير من علماء الشيعة، ولو عرفتموه حق المعرفة لرفعتموه عن وصمة التعصب للمذاهب والوقوف مع المشارب ولا ادعي فيه العصمة فلا معصوم الا محمد ﷺ

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط ؟
غير محمد الذي عليه جبريل هبط
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

(لها بقية)

«١» أي في بعض السنين لا دائما

رحلة جلالة ملك الافغان

(أمان الله خان)

تواترت أنباء البرق من أوربا ثم من الهند بعزم صاحب الجلالة أمان الله خان ملك الافغان على القيام برحلة طويلة من بلاده إلى الهند فمصر فأوربا فتركية فروسية ثم تتابعت بشروعه فيها ، ثم بوصوله إلى كراجي فبمباي فابحاره منها الى مصر. وأهم أنبائه في الهند عندنا أنه صلى الجمعة في مسجد بومباي الجامع فاكتظ بعشرات الألوف من المصلين فيه وفي رحبته وفنائه حتى قال مراسل رويتر انهم بلغوا خمسين ألفاً . وقد التمسوا منه أن يخطب فيهم فخطب خطبة بليغة بالفارسية حثهم فيها على التسامح الديني والاتفاق مع الهندوس ووصاهم باحترام دينهم الوثني ليحترموا هم الاسلام وقد ترجمت الخطبة باللغة الاوردية في المسجد فكان لها تأثير عظيم . ومن أغربها انه ظهر منه هنالك ما استدل به على جفوته للانكليز .

ولما وصل الى هنا سر أهل هذه البلاد جدَّ السرور بزيارته وبدعوة جلالة ملكهم اياه الى ضيافته الملكية وضيافة حكومته السنية لأنه ملك شرقي قد نالت بلاده استقلالا تاما مطلقا من كل قيد بعد الحرب العالمية الكبرى، التي هدم تأثيرها ممالك وبنى ممالك أخرى، وأخص من ذلك أنه ملك شعب اسلامي وهذه البلاد شرقية اسلامية وقد دخل كل من الشرق والاسلام في طور جديد من تعارف شعوبهما وتآلفهما

وثم سبب ثالث لاهتمام شعبنا المصري بالملك الافغاني وهو أن لقب « الافغاني » مرسوم في القلوب والادمغة من رجال النهضة العصرية في مصر وسائر الشرق وفي كتبها العصرية ومجلاتها العلمية والادبية والدينية وصحفها السياسية بأحرف من النور إذ كان هو اللقب الوطني لمصلح الشرق وموقظه من رقاده وحكيم الاسلام الداعي لاصلاحه [السيد جمال الدين الحسيني الافغاني] الذى كان الاستاذ الامام والزعيم الاكبر للاصلاح الديني والعلمي والاجتماعي أول مريديه وخليفته من بعده ، وكان سعد باشا زغلول الزعيم السياسي الاكبر من أصغر تلاميذه سناً ، وأوائل تلاميذ خليفته وأظهرهم نبوغا، رحمهم الله تعالى

أجمعت الجرائد المصرية على التنويه بالزائر الكريم ، والضيف العظيم ، وعنيت اليومية منها بنشر أخباره ، وذكر ماعرفت من اقواله وأحواله ، في زيارته للمعاهد العامة من المساجد ودور الآثار العادية والكتب والبرلمان والمدارس العليا ، كقوله في دار الكتب المصرية الكبرى وقد قدمت له صورة السيد جمال الدين « أوه ، هذا رجلنا » وكاستعباره عند رؤية سعد زغلول باشا وتمنيه رؤيته حياً . وكاستقصائه في السؤال عن كل شيء مهم ولا سيما الآثار المصرية ومنها السؤال عن سبب معرفتهم للغتها الهيروغليفية وتعجبه من سماح حكومتهم لخروج (حجر رشيد) المشهور الذي عرفوها منه إلى بلاد أجنبية — والسؤال عن طريقة استخراج الآثار واستغرابه لكون الاخصائيين من الاجانب يتبرعون بالحفر عنها واستخراجها والعناية بحفظها بغير أجر خدمة للعلم ، وقوله إنه سيراعي ذلك في استخراج آثار بلاده .

وخير ماأعجب به الجمهور من شمائله وآدابه تواضعه حتى لطبقة الخدمة وذكروا من ذلك أن أحد خدم مسجد السلطان حسن قدم له عند ارادة الدخول ذلك الجرموق الذي يلبسه السياح فوق أحذيتهم عند دخول المساجد ، فلما انحنى ليربطه له على حذائه كالعادة استكبر ذلك وقال : أستغفر الله ، أستغفر الله ، وانحنى هو وربطه بيده . وذكروا أيضاً أنه كان يصافح عامة الناس كخاصتهم في حديقة الاسكندرية التي دعاه اليه مجلسها البلدي ثم يضع يده على صدره ورأسه . ولم يخل وجوده في القاهرة والاسكندرية من أمور تدل على كراهته للانكليز كما ظهر في إلمامه بالهند ، ومثل هذا غير معهود في المعاملات الدولية بين الملوك ورجال الدول الرسميين في الاحوال الودية العادية ، وهو مع هذا يريد زيارتهم في عاصمتهم زيارة رسمية ، ويقال إنه يرغب في التأليف بين دولتهم ودولة الجمهورية التركية ، ويسعى لعقد اتفاق ودي ثلاثي هو الركن الثالث فيه ! !

وقد زرناه مع اخواننا من هيئة مجلس ادارة جمعية الرابطة الشرقية في دار الضيافة فاستقبلنا فيها واقفاً إذ دخل علينا وألقى السلام فصافحنا وصافحناه واحداً بعد واحد ، وكان يعرفه بنا أحدنا ميرزا مهدي بك رفيع مشكي ثم قرأ الرئيس خطاب ترحيب به موقع عليه من الاعضاء تلاه بالعربية — وتلا مهدي بك ترجمته

بالفارسية ، فأجاب جلالته بخطاب وجيز رحب به بالجمعية وأثنى عليها ونصح لها بمثل ما نصح لمسلمي الهند بالتساهل الديني وعدم التعصب بين الملل والطوائف ، وقد علم أن هذا من مقاصد الجمعية وأنه ليس في مصر مثل مافي الهند من التعصب

ثم قدم له الخطابان مع صندوق لهما من الفضة منقوش نقشاً صناعياً دقيقاً جميلا من صناعة مصر لهذا العهد — وقدمت له مع ذلك بعض كتبي وكتب شيخنا الاستاذ الامام المختصرة مجلدة بالسندس الاخضر ، وقدم له توفيق بك من أعضاء الجمعية الحاضرين كتابا شرعيا خطياً وجيزاً أيضاً — فقبل الجميع بالشكر ، ولما انفتل راجعاً أراد حمل هذه الكتب بيديه فأخذها منه بعض بطانته — فكان هذا مما عد من تواضعه المطبوع غير المتكلف ، ولكن لم يكن منه استقباله للجماعة وقوفا وإن كان هو واقفا أيضاً

وأما الكتب التي قدمتها لجلالته فهي رسالة التوحيد للاستاذ الامام وكتاب الوحدة الاسلامية وفيه محاورات المصلح والمقلد — وخلاصة السيرة المحمدية ، والدعوة الاسلامية — وكتاب الخلافة أو الامامة العظمى

هذا وإنه لولا لبس هذا الملك للبرنيطة وكذلك جلالة الملكة زوجه مع سفورها الذي لم يجد له في مصر مجالا واسعاً مع محافظة جلالة ملكة مصر على الحجاب لما كان لأحد من أهل مصر أدنى انتقاد عليه ، ولكان السرور به عاما والثناء عليه غير مشوب بشيء إلا مايقال همساً من عدم تبرعه بشيء من المال لشيء من الاعمال الخيرية كما هي عادة الملوك والامراء في أمثال هذه الزيارات ، وأخبار تبرعات جلالة ملك مصر في ممالك أوربة لا تزال ترنّ في الآذان ، وتلوح في آفاق الأذهان .

كانت مخيلات المفكرين عندنا تصور ملك البلاد التي أنبتت السيد جمال الدين بصور شتى ، فبعضهم يتصور أنه متوج بتاج قد كورت عليه عمامة عجراء كعمامة هارون الرشيد ، وبعضهم يخيل اليه أنه يزين مفرقه خوذة عليها عمامة مخصرة كخوذة صلاح الدين ، وأنه يلبس قباء خسروانياً ، ومعطفا مزركشاً هنديا ، وأكثر الواقفين على حال العصر كانوا يعتقدون أنه يلبس الزي الافرنجي كملوك أوربا

وسلاطين آل عثمان الا أنه يمتاز بعمارة [١] شرقية غير الطربوش العثماني المصري كالقلبق الايراني أو غيره ، ولم يكن يلوح في خيال أحد أنه يضع على رأسه برنيطة عادية حتى رأوا ذلك بأعينهم حتى في زيارته لبعض المساجد الأثرية والمعاهد العامة

تأثير لبس ملك الافغان البرنيطة

انما يسيح صاحب الجلالة الافغانية في الارض بقصد الاختبار والاعتبار فما يجب أن يعلمه ويتلقاه بصدر واسع أن السواد الاعظم من علماء الاسلام وأهل الدين من سائر الطبقات قد امتعضوا من رؤية البرنيطة على هامته ، بل خشوا أن تكون أثرت في نفسه دعاية الترك الكماليين وأن يتلو تلوهم في حكومتهم اللادينية، ويحذو مثالهم في مدنيتهم التقليدية ، أعاذه الله وشعبه من ذلك ،

قد شرع الترك في تقليد الافرنج منذ قرن أو أكثر بتدريج بطيء ليكونوا مثلهم مع اتقاء خطر الطفرة في التحول والانقلاب فلم يزدهم التقليد إلا وهناً على وهن. لذلك يقدر أهل الرأي والبصيرة من علماء الاجتماع ان وثبة مصطفى كمال ستكون أشد خطراً على قومه وان أوهم ظاهرها انها دخلت في حياة جديدة ، فان الدولة المهرمة يظهر فيها مثل هذا الانتعاش قبل موتها فيكون كايماض الذبالة (الفتيلة) في السراج قبل الخمود والانطفاء كما قال مؤسس علم الاجتماع حكيمنا العربي عبد الرحمن ابن خلدون . وإننا نرى حكماء أوربة يسخرون من التقليد التركي الجديد الجهلي، والافغان أجدر بالحياة من الترك اذا راعوا في تجديد دولتهم ، جميع مقومات ملتهم .

وأما دعاة الغلو الالحادية في التفرنج من زنادقة المسلمين والملاحدة منهم ومن سائر الطوائف المقيمة في هذا القطر فقد ابتهجوا وانشرحت نفوسهم برؤية الملك الشرقي المسلم قد آثر البرنيطة الافرنجية على كل عمارة اسلامية أو شرقية، وجددوا دعوتهم إلى إلقاء الطربوش واستبدال البرنيطة به اقتداء بالملك الشرقي العظيم الذي صرح بأنه لم يلبسها بقصد الاقتداء والتشبه بالافرنج، بل لأنها قديمة العهد في بلاده، ولعله يعني بذلك أن لا يدخل في عموم حديث عبدالله بن عمر (رض) عند أبي داود عن النبي ﷺ قال «من تشبه

(١) العمارة والعمرة بالفتح كل مايوضع على الرأس من عمامة أو تاج أو غيرهما

بقوم فهو منهم» ورواه الطبراني في الاوسط من حديث حذيفة رضي الله عنه أيضاً

أول مارأيناه في تجديد الدعوة إلى لبس البرنيطة اقتداء بالملك أمان الله خان (بعد أن خفتت أصوات دعاتها زمانا ليس بقصير) مقالة نشرت في المقطم وأول مانقوله في ذلك اننا نعلم أن دعاة البرنيطة لايقصدون بالدعوة اليها الا جذب الناس إلى التفرنج بترك مشخصات أمتهم وقوميتهم كما يدعونهم الى ترك مقومات الامة المليةمن تشريع وآداب ولغة ودين بحجة أنها عتيقة بالية وان لذة الحياة بالجديد ، وما التعلق بالجديد لأنه جديد إلا شأن الاطفال : يسرع اليهم الملل مما ألفوا ، فيؤثرون مايعرفون كل يوم على ماكانوا عرفوا ، وأما من بلغ أشده واستوى ، وكملت فيه جميع القوى ، فانه مهما يألف من المنازل فحنينه أبداً للمنزل الاول ، ومهما ينقل فؤاده مع الهوى فلا يزال حبه الصادق للحبيب الاول ، ولذلك يعدون الرابطة الوطنية من أقوى روابط الحضارة للانسان، حتى أسندوا إلى حكم النبوة قول بعضهم « حب الوطن من الايمان»، وعلماء الاجتماع يقولون إن الامة سليلة التاريخ القديم ، لا وليدة العهد الجديد ، فان ملكات العلوم والفنون فيها لاتحصل لها الا بتعدد الاجيال جيل الاقتباس ، وجيل الحضرمة ، وجيل الاستقلال

والحق الحقيق بالقبول أن كل انسان مركب من قديم موروث ، وجديد مخلوق ومكسوب ، وانما يطلب المكسوب لحفظ الموروث وتكميله فهو تابع للمصلحة والمنفعة ، واننا نرى أقوى الامم وأعزها هي الشديدة المحافظة على القديم والتروي في الجديد كالاسرائيليين والسكسونيين، فما لهؤلاء الاحداث المتفرنجين يبثون في هذه الامة الدعاية إلى تحقير كل قديم، والترغيب في كل جديد، حتى مايسكره كل عقل سليم ، كتهتك النساء والاسراف في الزينة والشهوات وتقطيع ما لأممهم من روابط وصلات ، حتى المقومات والمشخصات

يريد ناشر الدعوة إلى البرنيطة اليوم أن يخدع الشعب المصري بالاقتداء بهذا الملك العظيم ملك الافغان ، فان كان هذا الشعب ينتظر ملكا شرقياً يقتدي به في مثل هذا فأقرب الملوك اليه ملكه وممثل حكومته فهو أحق من غيره بالاتباع في هذه الحالة التي عدوها من أحوال التنازع بين القديم والجديد ، فجلالته شديد المحافظة على

زي قومه وحكومته الرسمي، وجلالة ملك الافغان قد اعتذر عن لبس البرنيطة بعذر إن صدق عليه فانه لا يصدق علينا في مصر وأمثالها من الاقطار كسورية التي سرى سم التفرنج التقليدي إلى بعض شبانها المغرورين وقد قلت في مطلع قصيدة نظمتها في عهد طلب العلم بينت فيها مضار هذه التقاليد الصورية وأهمها تفريق وحدة الامة

ليس التمدن تقليد الاربي ... فيما انتحاه من العادات والزي
ان المقلد لا ينفك مرتكساً ... في الضعف يخبط في ليل دجوجي
بل التمدن ملزوم التقدم مد ... عاة الرفاهة منفاة الألاقي
روح شريف به تحيا الشعوب بما ... يبث فيها من العلم الحقيقي
حتى ترى كثرة الافراد راجعة ... لوحدة والفرادى كالاتابي

بل جلالة ملك مصر وجلالة ملكتها حجة على كل هؤلاء الجناة على روابط ملتهم ووحدة أمتهم وخير قدوة في موضوع القديم والجديد التي ألمحنا بها. ذلك أنهما على كونهما في أعلى درجات الحضارة والرفاهة العصرية يحافظان كل المحافظة على شرف الملة والامة وآدابها ومشخصاتها، فجلالة الملك يتنزه عن شرب المسكرات في المآدب الملكية والمواقف الرسمية كما يتنزه عنها في قصره، وبينه وبين ربه، حتى إنه لم يبح لنفسه أن يحسو منها حسوة بالتبادل مع أعظم ملوك العالم فيما يسمونه شرب الانخاب الودية

بل نقل الينا من أخبار رحلته الاوربية في الصيف الماضي أنه اشترط فيما دعي اليه من مآدب الملوك ورؤساء الحكومات ووزرائها أن لا يكون على الموائد شيء من لحم الخنزير وقد كان نقل الينا مثل هذا عن المرحوم الأمير حبيب الله خان والد جلالة الملك أمان الله خان، عند ما زار لندن عاصمة الانكليز، بل قيل انه اشترط في حضور مائدة الملكة فيكتوريا أن لا يكون عليها خمر ولا شيء من صحاف الذهب والفضة وكؤوسها.

وأما جلالة ملكتنا فأبت عليها وعلى جلالة الملك الآداب الاسلامية والتقاليد القومية أن تظهر في أوربة سافرة الوجه أو أن تحضر الاحتفالات والمآدب الرسمية او غير الرسمية التي يجتمع فيها النساء والرجال بالازياء الرسمية المعهودة في هذا العصر وهي مما لا يبيحه الاسلام،

فشكراً لملكنا ولملكتنا على هذا منا ومن العالم الاسلامي كله،

جمعية الشبان المسلمين

أحمد الله تعالى أن وفق المسلمين في مصر الى تأليف هذه الجمعية التي يرجى أن تكون على تأخرها عن أخوات لها في بلاد أخرى هي الرأس لهن وهن أعضاؤها، وأن تكون مصر هي الدوحة الباسقة لهن وهن فروعها، ولم يسرني تأليف جمعية بعد جماعة الدعوة والارشاد كتأليف هذه الجمعية التي طال تفكري في شدة حاجة المسلمين اليها وتحدثي مع أهل الرأي في السعي لها، وقد مكثت سنين أبحث عن تاريخها وتطورها وتعاليمها السرية، وعزّ عليّ أن أختار طائفة تنهض بتأسيسها ثم تقوم بأعبائها، وكلفت الاستاذ توفيق دياب الخطيب المشهور في أيام الحرب الكبرى أن يبحث في المسألة وهل يمكن لنا تأليف جمعية للمسلمين كجمعية الشبان المسيحيين مع مراعاة قانونها في اجتناب السياسة أم تعارض السلطة العسكرية في ذلك؟ ثم علمت منه ومن غيره عدم الامكان في ذلك الزمان، على انني لم أعتد بعد عودة الحرية الى البلاد الى رجال ينهضون بهذا العمل الجليل، ويستقلون بهذا الحمل الثقيل. ولكل قدر أجل، فلما استعدت البلاد بتطورها له ظهر ظهوراً طبيعياً بتداعي بعض شباب المدارس العليا اليه، وهم أحق وأولى وأجدر به، فلما تم تكوين أعضاء الجنين ظهر له الرأس الطبيعي القمين بتدبيره، وما كان كذلك طبيعيا فهو الذي يحيا حياة طبيعية. فتأسست الجمعية ولله الحمد، وتأسس مجلس ادارتها ولله الحمد، ووضع لها القانون وهذا نصه ولله الحمد:

القانون الاساسي لجمعية الشبان المسلمين

﴿ الباب الاول ﴾

(في تأليف الجمعية ومقاصدها)

[المادة الاولى] تألفت في القاهرة عام ١٣٤٦ من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام (١٩٣٧ من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام) جمعية تسمى « جمعية الشبان المسلمين »

[المادة الثانية] لا تتعرض هذه الجمعية لشئون السياسة بأي حال

[المادة الثالثة] تنحصر أغراض الجمعية فيما يأتي :

١ — بث الآداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة

٢ — السعي لانارة الافكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر

٣ — العمل لازالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية

٤ — الاخذ من حضارتي الشرق والغرب بمحاسنها جميعاً ، وترك مافيهما من مساوىء

[المادة الرابعة] تتوسل الجمعية إلى هذه الاغراض بالطرق الادبية : فتنشيء ناديا لالقاء محاضرات أدبية علمية اجتماعية ، وتنشر ماتدعو المصلحة إلى نشره بأي لغة تمس الحاجة إلى استعمالها

﴿ الباب الثاني في أعضاء الجمعية ﴾

[المادة الخامسة] تتألف الجمعية من أعضاء عاملين وأعضاء مؤازرين ، فالعضو العامل هو كل من يثبت على تأدية قيمة الاشتراك وهو عشرة قروش شهريا ، والعضو المؤازر هو كل من يعطف على الجمعية فيخدمها أدبياً أو يعينها مالياً ويرجع تقرير عضويته إلى تقدير مجلس الادارة

[المادة السادسة] يشترط في العضو العامل أن يكون مسلما حسن السيرة طيب السمعة ، وألا يكون معروفا بنزعة تخالف أصل العقيدة الاسلامية

[المادة السابعة] يجب فيمن يطلب الانضمام إلى الجمعية أن يزكيه اثنان على الاقل من أعضائها

﴿ الباب الثالث في الجمعية العمومية ﴾

[المادة الثامنة] تتألف الجمعية العمومية من جملة الاعضاء العاملين وتنعقد في خلال الاسبوع الثاني من شهر رمضان في كل عام ، أو في غير هذا الميعاد اذا اقتضت الحال انعقادها

[المادة التاسعة] تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة نافذة اذا تكامل في أول اجتماع لها — بعد دعوتها اليه — ثلثا الاعضاء ، فاذا لم يتكامل هذ

العدد تأجل انعقادها أسبوعين . وعلى رئيس مجلس الادارة أن يجدد الدعوة الى هذا الاجتماع الثاني قبل ميعاده بأسبوع على الاقل ، وحينئذ تكون كل قراراتها صحيحة نافذة مهما كان عدد الحاضرين من الاعضاء.

[المادة العاشرة] اذا طرأ في المدة الواقعة بين آخر انعقاد للجمعية والانعقاد الذي يليه شيء يدعو إلى عقد الجمعية العمومية بصفة غير عادية وجب أن تنعقد في الموعد الذي تحدده الدعوة إلى ذلك ، وتجري عليها حينئذ أحكام المادة التاسعة فيما يختص بانعقادها وقراراتها

[المادة الحادية عشرة] اذا اتفق خمس أعضاء الجمعية العمومية على دعوتها إلى انعقاد غير عادي ، ووجهوا الدعوة من أجل ذلك إلى مجلس الادارة ، كانت دعوتهم قانونية ، وكانت تلبيتها واجبة . ومثل ذلك أن يقرر هذا الانعقاد مجلس الادارة بأكثرية ثلثي أعضائه

﴿ الباب الرابع ﴾

(في مجلس الادارة)

[المادة الثانية عشرة] يتألف مجلس الادارة من اثني عشر عضواً تنتخبهم الجمعية العمومية من أعضائها بالاقتراع السري لادارة شئون الجمعية مدة سنتين وفي نهاية السنة الاولى لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاثنى عشر يقترع المجلس سريا لاسقاط نصفهم وتكمل الجمعية العمومية — بطريق الانتخاب — عدد أعضاء مجلس الادارة بالانتخاب . وهلم جراً في كل عام . أما رئيس المجلس ووكيل الرئيس وكاتب السر العام وأمين الصندوق فتختارهم الجمعية من أعضاء المجلس

(المادة الثالثة عشرة) يختص المجلس بالادارة العامة ويكون مسئولا عنها وعن تنفيذ أحكام القانون ونظام الجمعية ، وعليه أن يفكر فيما يرقى بالجمعية ويحقق مقاصدها ويتسع به نطاقها

(المادة الرابعة عشرة) يكون انعقاد مجلس الادارة قانونياً اذا حضر سبعة من أعضائه ، وتكون قرارات مجلس الادارة قانونية متى صدرت عن الاكثرية

المطلقة وهي ماتزيد على النصف بصوت واحد ، واذا تساوت الاصوات ترجح الجانب الذي يكون الرئيس معه

(المادة الخامسة عشرة) اذا تخلف أحد أعضاء مجلس الادارة عن حضور جلساته ثلاث مرات متوالية بدون عذر صحيح كتب اليه المجلس في ذلك . فان لم يحضر الجلسة الرابعة بعد وصول الكتاب اليه عدّ مستقيلا عن عضوية مجلس الادارة

(المادة السادسة عشرة) اذا خلا مكان أحد أعضاء مجلس الادارة يحل محله العضو الذي حاز أكثرية الاصوات في الجمعية العمومية بعد أعضاء المجلس فان لم يتيسر هذا ندب مجلس الادارة من أعضائه العاملين من يحل محله إلى أن تعقد الجمعية العمومية فتنتخب من تشاء

(المادة السابعة عشرة) على مجلس الادارة أن يقدم للجمعية العمومية تقريراً سنويا ببيان أعمال الجمعية وميزانيتها من إيرادات ومصروفات

﴿ الباب الخامس في مالية الجمعيه ﴾

(المادة الثامنة عشرة) تتكون مالية الجمعية من الاشتراكات التي يدفعها الاعضاء العاملون . ومن اعانات أهل الغيرة والخير من الاعضاء أوغيرهم .ومن ريع المطبوعات التي تصدرها الجمعية ، ولمجلس الادارة أن يوسع موارد الجمعية بالطرق الشريفة المشروعة متى كانت متفقة مع روح الجمعية وغير منافية لاغراضها

(المادة التاسعة عشرة) مجلس الادارة مسئول عن مالية الجمعية وعليه أن يودع أموالها باسمها أمانة في مصرف يختاره . ويجوز أن يبقي المجلس في عهدة أمين الصندوق عشرين جنيهاً ينفق منها لحاجة الجمعية

(المادة العشرون) لأمين الصندوق بالاشتراك مع رئيس مجلس الادارة أن يتصرف من مالية الجمعية في مبلغ لا يزيد على عشرة جنيهات عند الضرورة ، وعليه أن يقدم حسابها لمجلس الادارة في أول اجتماع له

(المادة الحادية والعشرون) لا يصح أن يسحب شيء من أموال الجمعية من المصرف المعين إلا بقرار قانوني من مجلس الادارة وتوقيع الرئيس وأمين الصندوق

﴿ أحكام عامة ﴾

(المادة الثانيـة والعشرون) على مجلس الادارة أن يضع لائحة داخليـة للجمعية تتضمن تفصيل ماأجمله القانون من أحكامه ، وتأليف لجان من الاعضاء العاملين يكون اختصاصها تحقيق أغراض الجمعيـة في وجوهها المختلفة ، وتحديد واجبات الاعضاء الادبية وما يتبع ذلك من أحكام تأديبية تختص بمـا يقع من الاعضاء من مخالفة هذا القانون أو الخروج على الجمعية أو العمل ضد مقاصدها ، وتعرض هذه اللائحة على الجمعية العمومية للنظر فيها ثم اقرارها

(المادة الثالثة والعشرون) للجمعية أن تنشيء فروعاً داخلية في القطر المصري وشعباً في الاقطار الاخرى ، وتتكفل اللائحة الداخلية بتحديد الصلة بين المركز وهذه الشعب والفروع

(المادة الرابعة والعشرون) لايجوز بحال من الاحوال تعديل شيء من مواد هـذا القانون الا اذا اقترح ذلك ثلاثة أرباع مجلس الادارة أو خمس أعضاء الجمعية العمومية ، وفي كلا الحالين لابد من عرض مشروع التعديل على الجمعيـة العمومية لتقبله أو ترفضه بأكثرية ثلثي أعضائها الحاضرين

(المادة الخامسة والعشرون) لايصح تغيير المادة الاولى والمادة الثالثة والمادة السادسة من هذا القانون بأي حال

[المنار] في بعض مواد هذا القانون إجمال من جهة وتحديد من جهة أخرى سيدعو الاختبار الى تلافيهما على ان تنفيذه مع ذلك خير وبركة وسيكون أول فوائده صد سيل الالحاد الأتي دون جرف عقائد الأمة وآدابها بدعاية التجديد العمياء الصماء ، ومناط الرجاء في التنفيذ أعضاء مجلس الادارة الجامعون بين العلم بالحاجة ، وعلو الهمة في العمل ، فرئيسهم عبد الحميد بك سعيد ، والوكيل الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش ، وأمين الصندوق الاستاذ أحمد باشا تيمور ، وأمين السر الاستاذ محب الدين الخطيب ، فهم لعمري أولو كفاءة وكفاية ، وجد وعناية ، تغني شهرتهم عن الثناء عليهم ، وفقهم الله تعالى وسائر أعضاء الادارة ومساعديهم المصلحين ، وخذل معارضيهم من الملاحدة والضالين والمفسدين ، آمين

أنباء العالم الإسلامي

وفيات الاعيان

توفي في هذه الفترة — فترة تعطيل المنار السنوي — ثلاثة رجال من الممتازين في اشخاصهم وبيوتاتهم: أمين بك الرافعي صاحب جريدة الاخبار بمصر والامير نسيب ارسلان في (لبنان ـ سورية) والحكيم محمد أجمل خان في الهند، ولكل منهم مقام معلوم، وحق من الفضل مشاع أو مقسوم. وعمل في خدمة الامة ظاهر او مكتوم. فعلى الامة شكر ما ظهر، ولا يخفى على الله شيء مما بطن، والله شكور حليم

(أمين بك الرافعي الفاروقي) هو ابن الشيخ عبد اللطيف الرافعي الفقيه مفتي الاسكندرية في آخر عهده، وبيت الرافعي أشهر بيوتات العلم في مصر وسورية على الاطلاق ووطنهم الاصلي طرابلس الشام وتخرج أكثر علمائهم في الأزهر ونيطت بهم الوظائف الشرعية في هذا القطر من قضاء وإفتاء وولي كبيرهم الشيخ عبد القادر الملقب بالرافعي الكبير إفتاء الديار المصرية في آخر عمره بعد الاستاذ الامام وهم ينتسبون إلى الخليفة الثاني الامام العادل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقد علم الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى ولديه امينا وعبد الرحمن في المدارس المصرية حتى تخرجا في مدرسة الحقوق ونالا شهادتها (الليسانس) واختارا الاشتغال بالمحاماة الحرة على خدمة الحكومة لميلهما إلى السياسة، وقد انتسبا كلاهما إلى الحزب الوطني فكانا من أركانه العاملين المتحمسين المخلصين، واشتغل امين بالتحرير في جرائد الحزب من اللواء والعلم والشعب فكان خير محرريها بل خير محرري الصحف في هذا القطر علما وبيانا واخلاصا وثباتا واستقامة. ثم انفرد بادارة جريدة الاخبار ورياسة تحريرها فكان إماما مستقلا تمام الاستقلال في كل ما يعتقد انه الاصلح للامة والملة والوطن لا يتقيد بقرار الحزب الوطني ولا غيره على كونه أشد أعضاء هذا الحزب استمساكا بمقاصده وغايته وهي استقلال مصر والسودان التام المطلق من كل قيد، وعدم الاعتراف للمحتلين فيهما بأدنى حق، والسعي لاخراجهم منهما بخفي حنين.

وكانت تربية أمين وأخيه الاسلامية على كمالها اللائق ببيته ونسبه لم يؤثر

التعليم العصري تحت مراقبة الاحتلال في أنفسهما أدنى تأثير يزلزل العقيدة أو يفسد الأخلاق أو يخل بأداء الفرائض أو يفتن الشباب باقتراف الشهوات المحرمة، وناهيك بتربية دينية تحفظ على مثل هذين الشابين الموسرين الجميلي الصورة عفتهما وصيانتهما في بلد كمصر في حرية الفسق وانتشاره

وقع بيني وبين امين من التلاقي والمخالطة في السنين الاخيرة مالم يكن من قبل فعلمت منه بالاختبار المحافظة على الصلوات وتلاوة القرآن للتعبد والاهتداء، وليس في سعي الانسان عمل أقوى من هذين العملين في ملكة التقوى في القلب وما للتقوى من حسن الاثر في عزة النفس وشرفها وشجاعتها وعزوفها عن الدنايا والمطامع والشهوات السافلة . (ان الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون) الخ

لهذا كان امين ممن قال الله تعالى فيهم (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) وكان من اركان حرب هذا الجهاد وقواده وان تراءى في صورة الجندي المعتاد بتواضعه وتأبهه عن الشهرة عوضا عن تأبهه بها، وزهده في الزعامة والرياسة التي يعمل الكثيرون لها . ويبتغون اليها الوسيلة بالوطنية وغيرها . على ان هذا الجهاد الشريف لمصلحة الملة والامة والوطن لما يوجد له جيوش ولو وجدت لعرفت ان امينا من قوادها وأركان حربها، وأعطته حقه من قيادتها وزعامتها

بل أقول ان أمينا الرافعي كان من طبقة الشهداء الذين هم حجة الله على متبعي الهوى والباطل في هذا الزمن باستقامته والتزامه الحق الذي يعتقده ودعوته اليه وجهاده في الدفاع عنه، لا يثنيه عن ذلك خوف إيذاء قوي ولا الطمع في منافع ذي سلطان، وحجة على الذين يزعمون ان ما يسمونه الوطنية معارض للاستمساك بعروة الرابطة الدينية. فقد كان أقوى اركان الوطنية في هذه البلاد لا من أقواها، وكان مع ذلك مستمسكا بعروة الاسلام الوثقى التي لا انفصام لها إيمانا وعملا ودفاعا، لم يتهمه قبطي ولا انكليزي ولا يهودي بانه من المتعصبين الذين تحملهم عصبية دينهم على هضم حق أي وطني في بلادهم لمخالفته له

وهو حجة أيضا على زنادقة المسلمين ودعاة الالحاد فيهم سواء منهم الذين يدعون اليه وما يستلزمه من الاباحة بالصراحة ، والذين يدعون اليه بحيلة تجديد شباب الامة، وهدم كل ما للامة من بنيان وتاريخ .. فانه لا يوجد فيهم أحد يدعي انه عرف من شؤون العصر وعلومه ونظمه وقوانينه المثبتة للحاجة إلى التجديد

ما لم يعرفه أمين فيتهم امينا بانه معتصم بالدين لجهله بان الدين الاسلامي ينافي ما يحتاج اليه أهله في العصر من علوم وفنون ونظام. لذلك نرى الجرائد على اختلاف منازعها ومشاربها وعلى وجود الزنادقة وغير المسلمين في محرريها قد أجمعت بعد وفاة أمين على اطرائه باعلى الاخلاق والصفات الوطنية العليا، مع البر والتقوى.

نعم انهم لم يصرحوا بان سبب هذه الفضائل كلها هو هداية الاسلام، وتأثير تلاوة القرآن، والمحافظة على الصلوات، فرحمه الله ورحم احمد مختار باشا الغازي الذي كان يقول ان الصلاة هي «بوليس المسلمين» المانع لهم من ارتكاب الفواحش والمنكرات ولكن مركزه في الباطن لا في الظاهر. اه وليست فائدة الصلاة محصورة في التخلية والمعنى السلبي المعبر عنه بقوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بل هي تعين مقيمها بالخشوع والحضور على جميع معالي الامور كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين) وكما علم من آيات (إن الانسان خلق هلوعا) الخ وقد ذكرت آنفا

مات امين الرافعي فاهتز القطر المصري لموته هزة عنيفة بل زلزل زلزالا شديدا وأجمعت الهيئات الدينية والسياسية الحكومية والنيابية والوطنية والصحفية على تشييع جنازته، والاختلاف إلى مأتمه، وانشاء المقالات الحافلة والقصائد الطنانة في تأبينه ورثائه، وتبيين فضائله ومناقبه، على أنه كان صاعقة شديدة على بعض هذه الهيئات السياسية والالحادية، وحسب المنار التذكير بهذه الكليات من سيرته الحميدة، وقد ترجمه وسيترجمه كثيرون من سائر نواحي فضائله، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ووفق محرري جريدة الاخبار للثبات على طريقته في الدفاع عن الدين وفضائله، والتنفير عن الالحاد ورذائله. والمحافظة على الوطن وحقوقه

(الامير نسيب ارسلان) هو من خيرة أمراء هذا البيت الكريم — امراء ارسلان — تهذيبا وعلما وأدبا، كان رحمه الله تعالى ركنا من أركان النهضة العربية الجديدة وشاعراً من أبلغ شعرائها وخطيبا من مصاقع خطبائها، وحسبك أنه ثالث القمرين للاميرين الشهيرين شقيقيه الامير شكيب والامير عادل، وان لم يشتهر في مصر والبلاد غير العربية كشهرتهما، لانه لم يتح له من السياحة في الارض ما اتيح لهما، بل قضت عليه شؤون الاسرة النبيلة أن يظل في وطنه كما أشرت الى ذلك في تعزيتي عنه لآله وأسرته خطابا لاخي الكريم، وولي الحميم، الامير أبي غالب شكيب، وهذا نصها:

من محمد رشيد رضا الى أخيه الامير شكيب أرسلان

أطال الله تعالى بقاء أمير البيان ، وعماد بيت أمراء أرسلان ، وأحسن عزاءه وعزاءنا به عن شقيقه الامير نسيب ، الكاتب الاديب ، والشاعر الخطيب ، والكافل لخدمة أم الامراء في الوطن ، وقد طوحت بأخويه طوائح الزمن ؛ وأطال له ولنا بقاء شقيقه الامير عادل ، رب السيف والقلم ، ورافع الراية والعلم ، خواض الغمرات ، ومتقنص الطيارات ، قائد الكماة الاباة في ميادين الجهاد ، والحماة الرماة في مواطن الجلاد ، وأبقى الله فيما يطيل من عهده ، وللامة في مستقبلها البعيد من بعده ، عمر نجله النجيب ، وغصن دوحته الرطيب (الامير غالب) بحسن تأديبه وتربيته ، وتم تثقيفه وتنشئته ، فله منهما ولنا منهم خير عزاء وسلوة ، وفيما فقدنا وفقدوا من السلف والخلف أحسن اسوة

ولأنت أيها الامير بعلمك وتجاربك ، وبكبر نفسك وعلو همتك ، وبما يتنشب في قلبك من حب وطنك ، وما يلوث بزعامتك من حقوق أمتك ، لأجدر بالصبر عن أخيك من الخنساء بالصبر عن أخيها ، على كونك أحق منها بالتمثل بقولها :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

فأطال الله بقاءك لأمتك العربية المظلومة ، ولملتك الاسلامية المهضومة ، ولوطنك السوري المجتاح . فكل منهن محتاج الى علمك وبيانك ، والى قلمك ولسانك ، وأطال الله حياتك لأمراء آل أرسلان ، تجدد من مجدهم ما لا يخلقه الزمان ، وانما هو طور جديد ، وأسلوب طريف لفضل تليد ، جمعت به بين قلم ابن خلدون وقول سحبان ، في حكمة تملي بألسنة العرب والترك والفرنسيس والالمان ، أفليس هذا تجديداً لأدب أجدادك الذين قال فيهم اليازجي الكبير شاعر لبنان :

شبانهم مثل الشيوخ نباهة وشيوخهم في البأس كالغلمان
ويخاطبون بكل فن أهله فكأن واحدهم بألف لسان

بلى ، فهذا هو المجد ، لا ما يكذب دعيّه فيه الأب والجد ، وهذه هي الزعامة والامارة ، لا الألقاب المزورة والمستعارة ، فاصبر فان مصابك بالجاة على وطنك وأمتك ، أوجع من مصابك بابن أبيك وأمك ، (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

﴿ الحكيم محمد اجمل خان مسيح الملك ﴾ هو من اكبر بيوتات المجد القديم المسلسل الذي لم ينقطع يتصل نسبه بملا علي القاري المحدث الفقيه المشهور كما أخبرني بلسانه. ومن آثار هذا المجد الموروثة خزانة كتبه المشتملة على نفائس المخطوطات في العلوم المختلفة من شرعية ولغوية وطبية وفنية باللغتين العربية والفارسية المكتوب بعضها على ورق الحرير بالخط الفارسي أو النسخي الجميل الذي يستحق كل سطر منه أن يكون زينة تحلى بها جدران القصور وأندية العلم والادب

انتهت إلى هذا الحكيم الزعامة الطبية والاجتماعية والسياسية في مسلمي الهند وكان من أبرع الاطباء على الطريقة العربية اليونانية مع إلمام بالطب الاوربي العصري يجمع به احيانا بين الطبين في بعض صفات الامراض ومشخصاتها وبعض المؤثرات في الادوية لها، وكان امراء الهند في الممالك الهندية المستقلة يعتمدون على طبه ويدعونه لمهمات الامور. وداره في دهلي عاصمة الدولة، تدعى « بيت الحكمة » وفيها يدرس الطب القديم كما كان على عهد آبائه وأجداده الذين لقب كثير منهم بلقب الحكيم

وقد كان رحمه الله تعالى من أصحاب الرأي والبصيرة في الامور العامة وتولى رياسة جمعية الخلافة وعقد بعض المؤتمرات الهندية العامة تحت رياسته وكان من رأيه وجوب الاتفاق بين المسلمين والهندوس في الامور الوطنية من سياسية واقتصادية وغيرها وكان الزعيم أكرم الله مثواه صديقي ولما زرت مدينة دهلي في أثناء سياحتي الهندية في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠ الموافق أواخر مارس سنة ١٩١٢ دعاني إلى النزول في داره العامرة وألح علي في ذلك فاعتذرت بانني إنما لم أعلمه بوقت مجيئي إلى دهلي وسبقت فنزلت في إحدى فنادقها الكبرى في ضواحيها الخلوية بين الحدائق والبساتين في هذا الفصل الجميل (فصل الربيع) لاجد بعض الراحة فيها من كثرة الزائرين، ولا يتيسر هذا مع النزول بداره القديمة في البلد وهي مأوى طلاب العلم والطب ومنتجع الزائرين، فاكتفى مني بقبول دعوة خاصة ودعوة عامة دعا اليها جمهورا عظيما من العلماء والكبراء، وقدم لي سيارته لركوبها في زيارتي للمعاهد العامرة والاثرية في البلد وضواحيها فجزاه الله تعالى احسن الجزاء

وجملة القول ان الهند قد خسرت بفقده أعظم زعمائها المحنكين علما وحكمة وسياسة وإخلاصا فنعزي عنه الامة كلها ونخص ولده الكبير المهذب جعله الله خير خلف لخير سلف . آمين

باب الانتقاد على المنار

كتب الي الشيخ عبد الظاهر الامام في المسجد الحرام يقول ان بعض الاخوان انكر علي تفسيري الهم في سورة يوسف عليه السلام بما خالف اجماع المفسرين وخاصة شيخهم ابن جرير - وانه هو اي الكاتب وافقهم على ذلك

وجوابه ان المفسرين اختلفوا في تفسير الآية فلم يجمعوا على قول وان إجماعهم ليس بحجة ولا يمكن العلم به ان أمكن وقوعه ووقع ، والامام احمد يحتج باجماع الصحابة ان علم وينفي ماسواه . وان الذي قلته أنا منقول عن بعض المفسرين في يوسف عليه السلام وهو انه هم بضرب امرأة العزيز . وظاهر أنها هي أولى بارادة هذا لان الانسان انما يهم بفعل مايقدر عليه وهي تقدر على ضربه والضرب معتاد من السيدة لفتاها ولاسيما إذا أهانها بمثل الاهانة التي أهان بها يوسف مولاته إذ راودته عن نفسها فاستعصم وهذا معهود في كل زمن . وأما الفاحشة فهي لا تقدر عليها وحدها وهو قد استعصم منها عقب المراودة ولم يجنح إلى القبول. وانما تكون المرأة في حال التراضي مواتية لا مبتدأة . واستعمال هم بفلان في معنى هم بقتله أو ضربه وارد وله شواهد في الآثار الصحيحة لان الهم يتعلق بفعل لا بجثة ويفسر الفعل بالقرائن فاذا قيل ان فلانا فعل كذا من المنكر فهم به عمر مثلا فالمعنى الذي تقتضيه القرينة انه هم بتأديبه بالقتل أو مادونه كالضرب ولو بالدرة. وقد رأى جمهور المفسرين ان القرينة في قصة يوسف تقتضي أن يكون متعلق الهم المشترك بينه وبين سيدته هو الفحشاء وهذا إنما كان يترجح على إغماض في تسمية قبولها هما لو كانت الداعية عندها واحدة ولكن الامر لم يكن كذلك بدليل عدة آيات من السورة فتعين ترجيح تفسير الهم بالضرب والايذاء منها كما هو المعهود من الطباع في مثل هذه الحال في كل زمان : همت بضربه وهم بالدفاع عن نفسه أولا كما هو حق من صال عليه غيره ، فرأى من برهان ربه ماحمله على الفرار فاستبقا الباب الخ

والدليل على هذا من القصة المنزلة أمور (١) انهما لما ألفيا العزيز لدى الباب شكت اليه فتاها بقولها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) الخ واللائق بمعنى السوء هنا التعدي والاهانة بالضرب ونحوه لان معناه في اللغة ما يسوء فاعله أو الموجه اليه من قول أو عمل فهو يطلق حتى على المكروه وصغائر المعاصي (٢) انها لم تكن تتهم يوسف بارادة الفحشاء بدليل قوله تعالى حكاية عنها (ولقد راودته عن

نفسه فاستعصم ، ثم قوله تعالى في آخر قصتها حكاية عنها (الآن حصحص الحق) الخ فترجح انها لم ترد بكلمة السوء لزوجها إلا التعدي (٣) انه عليه السلام كان عرضة لامرين الفحشاء التي دعته اليها بالقول الصريح ، والسوء الذي كادت تلجئه اليه باهم بضربه وقد صرفهما الله عنه كما قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومثل هـذا قوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء)

ويؤيد ذلك من المعقول ان المرأة يبعد أن تفتح باب التهمة لزوجها على نفسها فلما اتهمته بارادة السوء بها دافع عن نفسه وصرح بانها راودته عن نفسه، أي فامتنع حتى همت بالانتقام منه ، فانكرت بالطبع ، فشهد الشاهد من أهلها، بما دل على صدقه وكذبها ، ثم اعترفت بمراودتها هي له مرتين: مرة للنساء وشهدت له فيها بأنه استمسك بعروة العصمة — ومرة للرجال لما ارسل الملك من سأل النساء عن سبب مراودتهن له عليه السلام هل كانت عن اظهاره الميل اليهن (فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) اي ادنى ميل سيء بدليل النكرة المنفية المؤكد عمومها بكلمة « من » (قالت امرأة العزيز) حينئذ (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) .

وأما مخالفة ابن جرير فلا يستنكرها على احد من الناس مسلم يعرف أصول هذا الدين فمن المعلوم من الدين بالضرورة ان فهم ابن جرير ليس أصلا من أصول الدين ولا حجة من حججه ولم يوجد عالم من علماء المسلمين قال بوجوب اتباعه أو التزم اتباعه بالفعل تدينا، وما من مفسر الا وقد خالفه في بعض آرائه وهو نفسه قد خالف في التفسير بعض ماورد عن الصحابة وهم أعلم منه وصرح بانه لا يحتج بقول أحد بعينه في تفسير آية الا رسول الله (ص)

وانتقد الشيخ عبد الظاهر أيضا إيراد المثنى المجرور بالالف في ص ٤٦٩ ج ٦ م ٢٨ من المنار وسأل عن إعرابه — وجوابه انه كتب او جمعه عمال المطبعة هكذا سهواً في الغالب وهو مع هذا ليس خطأ فان لغة استعمال المثنى بالالف في أحوال إعرابه الثلاثة مشهورة وهي لغة فصيحة حملوا عليها قوله تعالى (ان هذان لساحران) من سورة طه على قراءة تشديد إن . فليراجع المنتقد تفسيرها في كتب التفسير التي تعنى بالاعراب أو في المغني لابن هشام أو ما شاء من كتب النحو . وينبغي لمن ينتقد الاعراب أن يكون عارفا بضروريات النحو على الاقل

﴿ خاتمة المجلد الثامن والعشرين من المنار ﴾

بسم الله وبحمده نختم المجلد الثامن والعشرين كما افتتحناه بهما ، ونصلي ونسلم على خاتم النبيين ، من أكمل الله برسالته الدين : محمد النبي الأمي العربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، وآله وصحبه الهادين المهديين ، ومن اتبع هديه الذي بلغه وبلغوه عنه بالقول والعمل إلى يوم الدين .

أما بعد فاننا قد ازدادت اعمالنا في هذه السنة بما حدث من الخلاف في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت تقوم بأعمالها في خدمة الوطن بالنظام التام - وبكثرة المطبوعات لدينا بعد تجديد مطبعتنا وادارتها بالكهرباء ، وتوسيع أعمال مكتبتنا وتنظيمها ، فاما اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني فقد علم الخاص والعام أن سبب الخلاف الذي حدث فيها هو ما ظهر من محاولة أولاد لطف الله استغلال القضية السورية وثورتها بالتزلف لفرنسة لجعل أحدهم أميراً للبنان الكبير والتوسل الى ذلك بما يدعونه من خضوع جميع المعارضين للانتداب للجنة التنفيذية وكون مقاليد اللجنة بيد رئيسها الامير ميشيل بك لطف الله وقد رأت اللجنة انه لا علاج لذلك الا اسقاط هذه الرياسة ففعلت ذلك وانفردت بالعمل والف الرئيس السابق لنفسه لجنة خاصة به ينعم برياستها ولكنها لا تمثل حزبا موجوداً ولا يثق بها حزب من تلك الاحزاب بل زالت ثقة جماهير الوطنيين به وبمن جرأه على الشقاق والانفصال من أعضاء اللجنة وصار اعضاء اللجنة الحقيقية الممثلة للاحزاب والزعماء في سورية وفلسطين على رأي واحد وشعور واحد ولكن بعد الاشتغال عن كل عمل بمفاوضات الصلح على أساس عودة ميشيل بك لطف الله الى الرياسة كما كان فلم يمكن ذلك

وأما ادارة المجلة والمطبعة والمكتبة فقد انتظمت في سلك واحد وصار لدينا سعة في الوقت للعود الى العناية بالمنار والتفسير الذي تطالبنا باتمامه الامة من جميع الاقطار . ولم يبق الا أن يؤدي لنا قراء المنار قيمة الاشتراك في أوقاتها وستقاضي الادارة الجديدة الماطلين المسوفين في هذا القطر لدى المحاكم إن لم يؤدوا ما عليهم من الحقوق من تلقاء أنفسهم

واننا نطالب أهل العلم والرأي بأن يكتبوا الينا بكل ما يرونه في المنار مخالفا للحق او منافيا لمصلحة الامة مؤيدا بالدليل ومراعى فيه الاختصار ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

منشيء المنار
محمد رشيد رضا

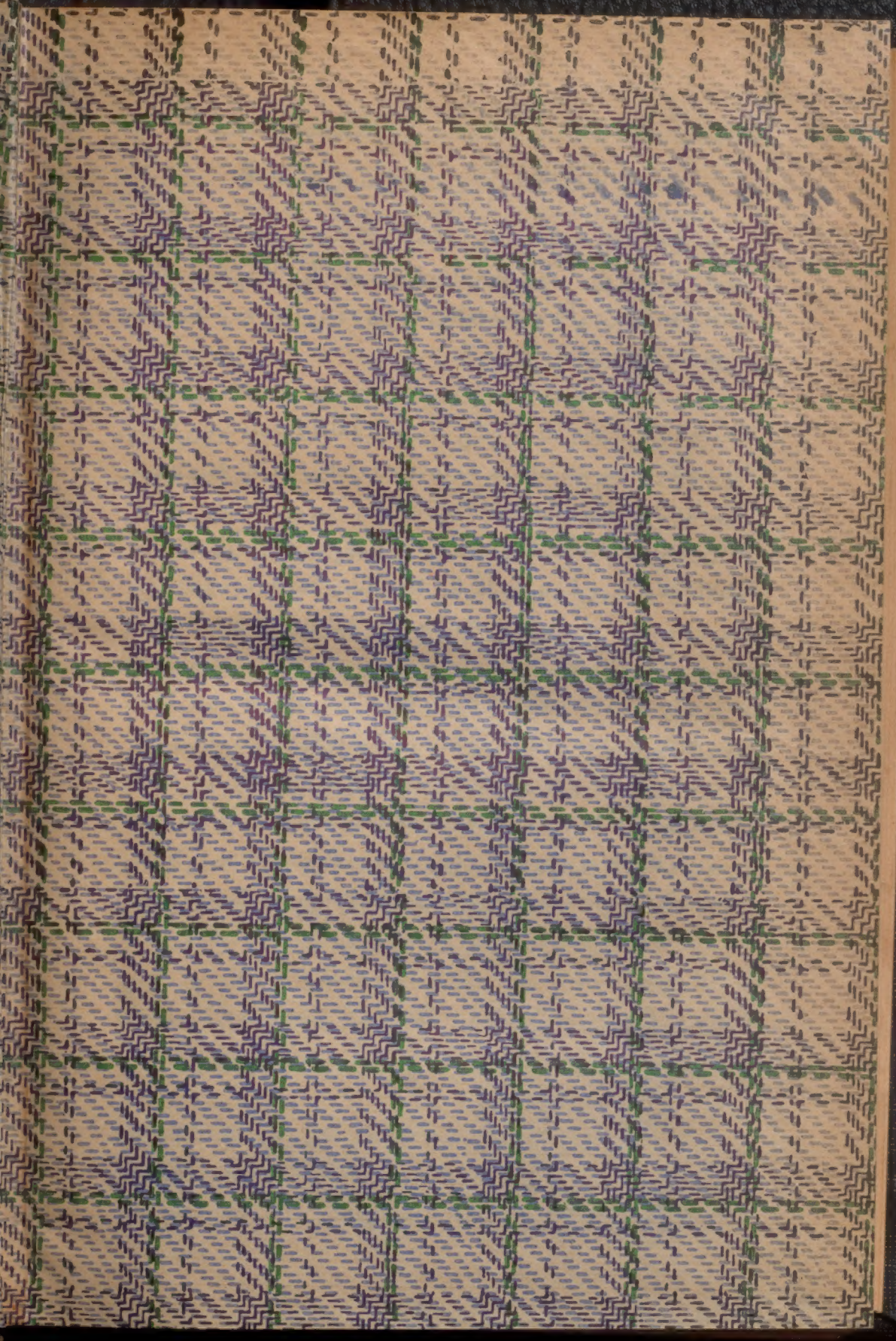

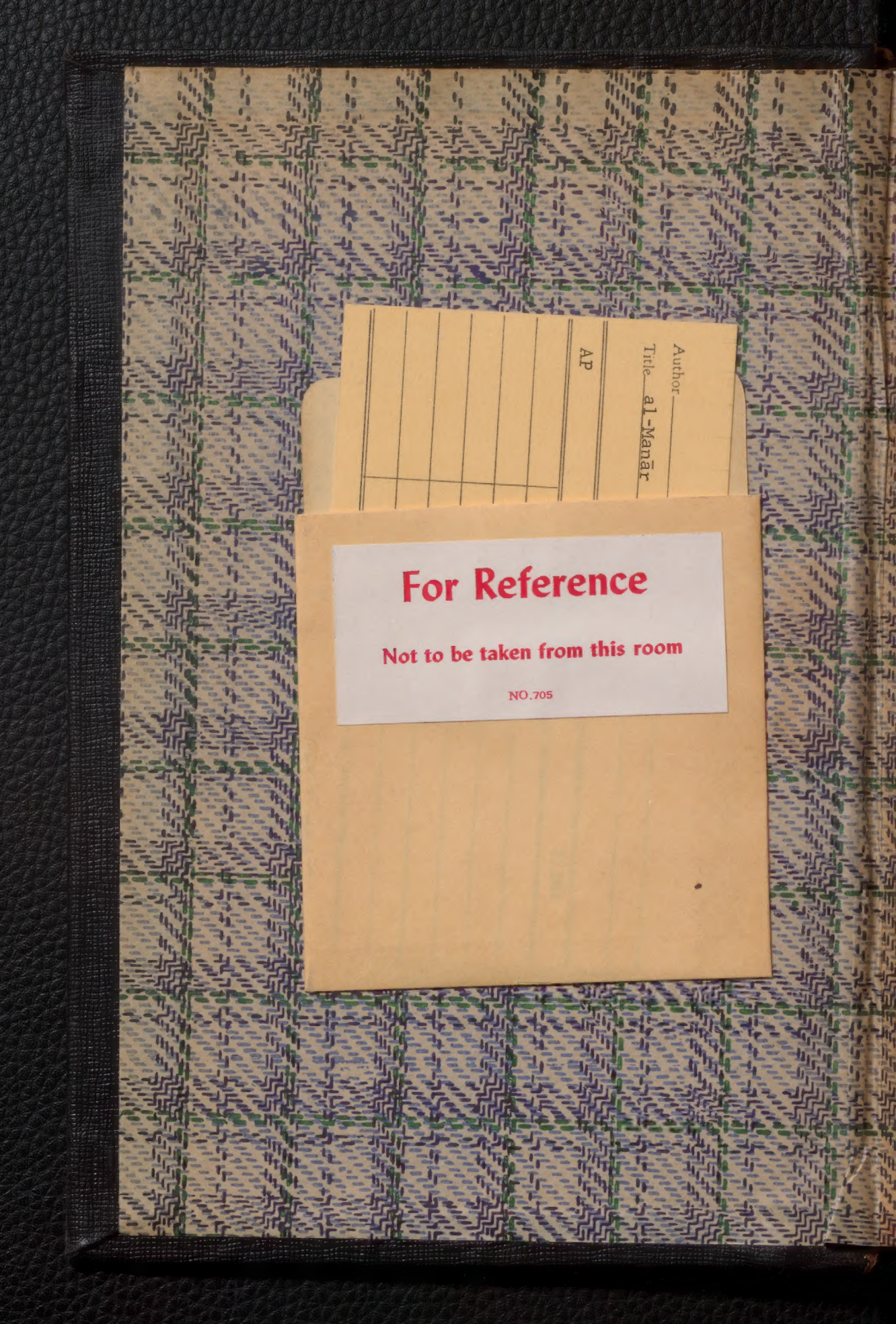
Author
Title al-Manār
AP
For Reference
Not to be taken from this room
NO.705